محمود غنيم

شعر

الأعمال الكاملة

المجلد الأول

- صرخة في واد
- في ظلال الثورة
- رجع الصدى





الأعمال الكاملة

للشاعر محمود غنيم

المجلد الأول



بسم الله الرحمن الرحيم



الشاعر الكبير محمود غنيم
شاعر الإسلام والعروبة

- هو أديب مصري وشاعر ومؤلف مسرحي .
- ولد بقرية مليج - محافظة المنوفية فى ٣٠/ ١١/ ١٩٠٢ .
- حفظ القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة بكتاب القرية .
- التحق بمعهد طنطا الأزهري ثم تركه إلى مدرسة القضاء الشرعي ١٩٢٠م ولكنه لم يستكمل دراسته بها نظرا لإلغائها فلحق بالثانوية الأزهرية و حصل على شهادتها ١٩٢٤م ثم لحق بمدرسة دار العلوم وتخرج منها ١٩٢٩م .
- عين بعد تخرجة بالتدريس بمدينة كوم حمادة بمديرية البحيرة وكانت أمنيته أن ينتقل إلى القاهرة وهى مركز الثقافة والصحافة والأضواء .
- نقل إلى القاهرة ١٩٣٨م وساعدة فى ذلك أنطون الجميل رئيس تحرير الأهرام وبذلك تمكن من الاتصال بالصحافة والمجالس الأدبية وأشتهر أسمه وظل يتدرج فى وظائف التربية والتعليم .
- فى ١٩٤٣م عمل مفتشا للنشاط الأدبي بالوزارة .
- ١٩٤٥م عين مدير قسم المباريات الأدبيه وإدارة المجمع اللغوي بإدارة الثقافة العامة بالوزارة .
- ثم ١٩٤٦م مفتشا للغة العربية بالتعليم الأجنبي ثم مفتش عام .
- إلى أن وصل إلى عميد اللغة العربية بوزارة التربية والتعليم حيث أنهى حياته الوظيفية فى عام ١٩٦٣م .
- تجلت مواهبه الشعرية وهو لا يزال فى مراحل الدراسة المبكرة وكانت أول قصائده المنشورة فى رثاء الزعيم الراحل محمد فريد وهو لم يبلغ بعد السادسة عشرة من عمره .
- حظيت بعد ذلك تجاربه الأولى بترحيب الصحف اليومية والمجلات الأدبية حيث نشر شعره فى الرسالة وأبوللو والثقافة وتصدرت قصيدته فى رثاء سعد زغلول كتاب دموع الشعراء على سعد زغلول ١٩٢٧م .
- حصل ديوانه الأول (صرخة فى واد) على الجائزة الأولى فى أول مسابقة شعرية ينظمها المجمع اللغوي على مستوى الأقطار العربية ١٩٤٧م .
- حصل ديوانه الثاني (فى ظلال الثورة) على جائزة الدولة ١٩٦٢م .
- تم إصدار ديوانه الثالث بعد وفاته ١٩٨٦م (رجع الصدى) بمعرفة الأسرة .

- بادر أبنائه بإصدار أعماله الشعرية الكاملة فى طبعة أنيقة ١٩٩٣م إحياء لذكراه تذكيراً بدوره فى مجال الشعر العربي المعاصر .
- يعد محمود غنيم من رواد المسرح الشعري بعد شوقي حيث يضم نتاجه الشعري خمس مسرحيات شعرية هي :-

  (المروءة المقنعة ١٩٤٤ ـ الجاه المستعار ١٩٤٥ ـ غرام يزيد ١٩٥٠ ـ يومان للنعمان ١٩٥٨ ـ النصر لمصر أو هزيمة لويس التاسع ١٩٦٠) .
- وقد نظم محمود غنيم فى مجالات الشعر (الإسلامي ، القومي ، السياسي ، الاجتماعي ، الفكاهي) وأصبح من كبار شعراء العالم العربي وكانت قصائده تهز المحافل الأدبية .
- اختير الشاعر عضو بلجنة الشعر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب وكان له دور بارز فى الدفاع عن الشعر العربي فى المعارك الأدبية التي شهدتها الساحة الثقافية مع نهاية الخمسينات عند ظهور ما يسمى بالشعر الحر .
- اقترب غنيم من الجمعيات الأدبية المعنية بأمور الشعر منذ ثلاثينات هذا القرن مثل "مدرسة البعث " " الديوان " " جماعة أبوللو " وجماعة " أدباء العروبة " و" رابطة الأدب الحديث " وغيرها .
- إلا إنه اتخذ موقفاً مستقلا من هذه الاتجاهات يعتمد على رؤيته الخاصة وأهمية التجديد وتطويع الشعر التقليدي لمقتضيات العصر والأفكار الحديثة فى إطار من المحافظة على الشكل الذي عرف به حتى أن البعض يراه متفرداً فى أدبنا الحديث تعز على أى مدرسة أدبية .
- يتميز غنيم بغزارة شعره الإسلامي وتشكيله بعداً عميقاً فى شعره إضافة إلى أنه يعكس الروح الإسلامية الغالبة على موضوعاته بصفة عامة مع تنوع موضوعات شعره الإسلامي كما أن وضوح الفكرة الإسلامية فى شعره كل الوضوح حتى أنها لاتشكل لديه اتجاهاً فحسب بل منهجا إسلاميا متكامل الأبعاد والملامح .

إعداد دكتور / عزيز محمود غنيم

مؤلـفاتـه

أولا / الدواوين الشعرية :

- **"صرخة فى واد "** ١٩٤٧ م طبعته لجنة البيان العربي
  نال عنه الجائزة الأولى من المجمع اللغوي ١٩٤٨م
- **"فى ظلال الثورة "**١٩٦٢م طبعته دار المعارف بالقاهرة
  نال عنه جائزة الدولة ١٩٦٣م
- **" رجع الصدى "** طبع بعد وفاته ١٩٨٦ م طبعته دار الشعب
- **" الأعمال الكاملة "** المجلد الأول ويضم جميع هذه الدواوين
  طبعته دار الغد بمعرفة أبناءه بإشراف رابطة الأدب الحديث

ثانيا / المسرحيات الشعرية :

- **" المروءة المقنعة "** ١٩٤٤م دار الكتاب العربي
- **" الجاه المستعار "** ١٩٤٥م مجلة دار العلوم العدد (،)
- **" يومان للنعمان "** ١٩٥٨م
- **" غرام يزيد "** ١٩٤٩م لجنة البيان العربي
  نال عنها جائزة وزارة الشئون الاجتماعية الأولى ١٩٥٠م
- **" النصر لمصر أو هزيمة لويس التاسع "** دار القلم
  نال عنها جائزة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والأدب

ثالثاً / الدراسات الأدبية والنقدية :

- كتاب حفني ناصف سلسلة من أعلام العرب ١٩٦٠م
- كتاب خمس من شعراء الوطنية الهيئة العامة للكتاب الجزء الأول .
  (كتب عن الشاعر أحمد الكاشف)

وذلك إلى جانب مئات المقالات والدراسات النقدية نشرتها الصحف والمجلات الأدبية مثل : (الرسالة ـ مجلة المجمع اللغوي ـ مجلة الهلال ـ الوعى الإسلامي ـ قافلة الزيت ـ رابطة العالم الإسلامي) وذلك على امتداد نصف قرن .

رابعاً / تحقيق التراث :

أسهم فى تحقيق الجزء الحادي والعشرين والثاني والعشرين من كتاب الأغاني لأبى الفرج الأصفهاني .

المصادر :

- **تقويم دار العلوم**

العدد الماسي ١٨٧٤ ـ ١٩٤٧ م ا/ محمد عبد الجواد ـ دار المعارف

- **من تاريخنا المعاصر**

اد/ محمد عبد المنعم خفاجى

- **مشاهير الشعراء والأدباء**

على مهنى ـ على نعيم دار الكتب ببيروت ـ لبنان

- **دموع على الشاعر محمود غنيم**

د/ محمد أحمد سلامة

- **خمس من شعراء الوطنية**

اد/ محمد عبد المنعم خفاجى الهيئة العامة للكتاب الجزء الأول

- **شعراء مصر ١٩٩٠م**

ا/ عبد الله شرف طبع بمساعدة مؤسسة البابطين

- **موسوعة إعلام الفكر العربي**

سعيد جودة السحار مكتبة مصر بالفجالة

- **الاتجاه الإسلامي فى شعر محمود غنيم**

اد/ عبد اللطيف الحديدي دار المعرفة للطباعة طبعة أولى ١٩٩٨م المنصورة طلخا

دراسات عن الشاعر:

"**محمود غنيم وشعره** " رسالة دكتوراه محمد احمد سلامة

كلية اللغة العربية بالقاهرة

" **المسرح الشعري عند محمود غنيم** " رسالة ماجستير علاء عبد الفتاح

كلية اللغة العربية بالزقازيق .

" **التجديد فى شعر المحافظين فى مصر** " رسالة ماجستير ياسر أحمد عكاشة

كلية اللغة العربية بالزقازيق .

" **الصور البيانية فى شعر محمود غنيم** " رسالة دكتوراه كوثر سيد يوسف

كلية الدراسات الإسلامية بالقاهرة .

" **الواقع الاجتماعي فى شعر محمود غنيم** " رسالة ماجستير على السيد محمد زايد

كلية اللغة إيتاى البارود .

" **الاتجاه الوطني بين محمود غنيم وهاشم الرفاعى**" رسالة ماجستير رفعت محمد عثمان

الأعمال الكاملة

محمود غنيم

المجلد الأول

الدواوين الثلاثة

« صرخة في واد »

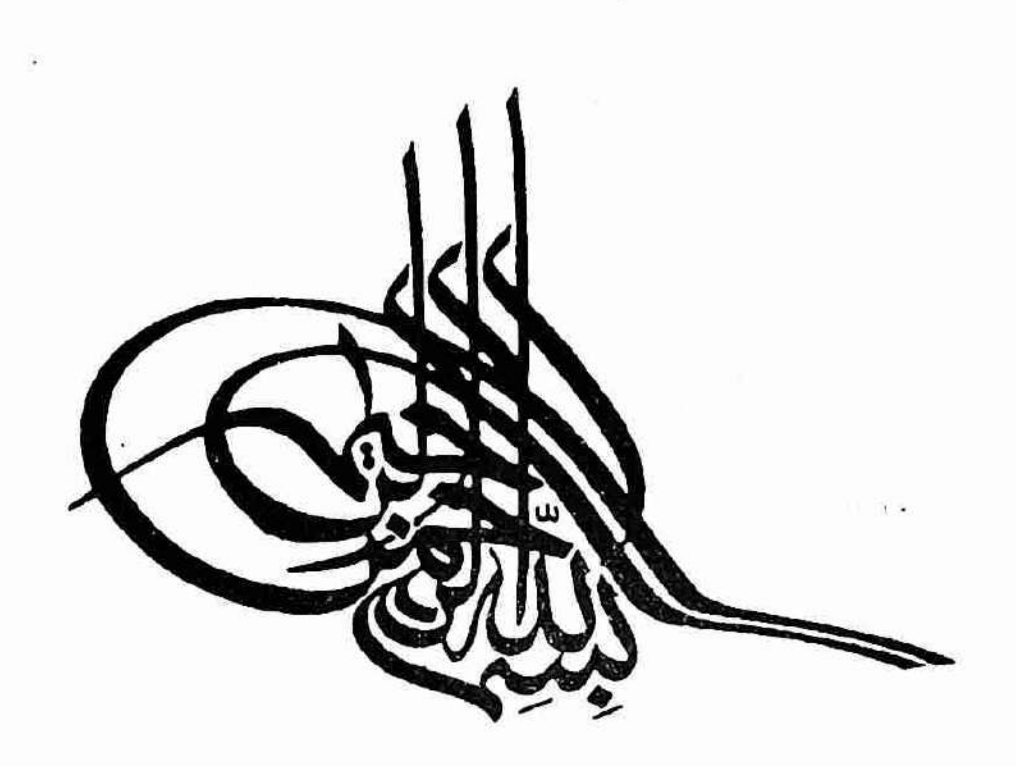
« في ظلال الثورة »

« رجع الصدى »

الناشر

دار الغد العربي

١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م



إذا لم تَقُمْ للشِّعر في الشَّعب دولة

تَيقنْتُ أن الشعب ماتتْ مشاعرُه !

محمود غنيم

الشاعر في سطور

* ولد الشاعر : «محمود غنيم» عام ١٩٠٢م ، بمحافظة المنوفية ، وتلقى علومه الأولى فى المعاهد الدينية بشبين الكوم وطنطا ، ثم انتقل إلى القاهرة ؛ للدراسة فى مدرسة القضاء الشرعى ، وكلية دار العلوم ، حتى حصل على درجة الدبلوم عام ١٩٢٩ م .

* تدرج الشاعر الكبير فى وظائف التدريس ، إلى أن ترقى إلى سلك التفتيش ، ونقل إلى القاهرة ، عام ١٩٤٣ م .

* وفى عام ١٩٤٥ م ، عين مديراً لقسم المباريات الأدبية والمجمع اللغوى ، بإدارة الثقافة العامة ، التى كانت تابعة ـ وقتها ـ لوزارة المعارف العمومية (التربية والتعليم) .

***

* تجلت موهبته الشعرية ، وهو لا يزال فى مراحل الدراسة ، وحظيت تجاربه الأولى بترحيب الصحف اليومية ، والمجلات الأدبية فى العقد الثانى من القرن العشرين ، وتصدرت قصيدته فى رثاء «سعد زغلول» كتاب : «**دموع الشعراء على سعد**» ، الذى ظهر عام ١٩٢٧ م .

* حصل ديوانه : «**صرخة فى واد**» على الجائزة الأولى ، فى أول مسابقة شعرية ينظمها المجمع اللغوى على مستوى الأقطار العربية ، عام ١٩٤٧ م .

* وحصل ديوانه الثانى : « **فى ظلال الثورة** » على جائزة الدولة عام ١٩٦٢ م .

* يعد محمود غنيم من رواد المسرح الشعرى ، بعد شوقى ؛ حيث يضم نتاجه الشعرى خمس مسرحيات شعرية ؛ وهى :

« **المروءة المقنعة** » عام ١٩٤٤ م ، و « **الجاه المستعار** » عام ١٩٤٥ م ، و « **غرام يزيد** » عام ١٩٥٠ ، و « **يومان للنعمان** » عام ١٩٥٨ م ، و «**النصر لمصر**» عام ١٩٦٠ م .

وقد حصلت هذه المسرحيات جميعها على جوائز تقديرية عند ظهورها .

***

* اختير الشاعر عضوًا بلجنة الشعر ، منذ إنشائها حتى وفاته ؛ وكان له دور بارز فى الدفاع عن الشعر العربى ، فى المعارك الأدبية التى شهدتها الساحة الثقافية مع نهاية الخمسينات ، عند ظهور ما يُسمَّى : « **الشعر الحر** » .

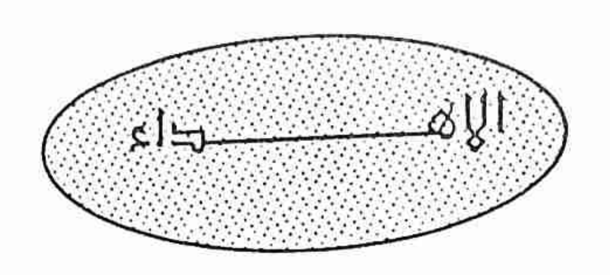
* اقترب « **غنيم** » من الجمعيات الأدبية المعنية بأمور الشعر ، منذ ثلاثينات هذا القرن ؛ مثل : « **مدرسة البعث** »، و « **الديوان** » ، وجماعة « **أبولّو** » ، وجماعة « **أدباء العروبة**» ، « **ورابطة الأدب الحديث**» ، وغيرها .

وقد اتخذ موقفًا مستقلاً من هذه الاتجاهات ؛ يعتمد على رؤيته الخاصة فى أهمية التجديد ، وتطويع الشعر التقليدى لمقتضيات العصر ، والأفكار الجديدة ، فى إطار من المحافظة على الشكل الذى عرف به .

الديوان الأول

صرخة فى واد

صدرت الطبعة الأولى عن مطبعة الاعتماد سنة ١٩٤٧
ضمن مطبوعات لجنة البيان العربى.



عهدتُك - يا والدى - محبًا للشعر ، تَلَذ سماعَه، وتجيد روايتَهُ، وتُحسن الاستشهادَ به.

وما زلتُ أَذكرُ - وإن بعد العهـد - أننى كنتُ حين أقرأ لك فى قصة عنترة، أتجاوز الشعرَ كلما بلغته؛ برَماً به وشغفاً بتتبُّعِ مجرى الحوادث، فتردُّنى إليه فى شبه انتهار قائلا: «اقرأ الشعر تتعلم الفصاحة».

ومازلتُ أَذكرُ - وإن بَعُدَ العهدُ - تلك الدريهماتِ التى كنتَ تَرصُدُها لى مُقابلَ استظهار مـا تشير علىَّ باستظهاره مما يُضاف من شعـر الحماسة إلى «عنترةَ»، ومن شعر الحكمة إلى «علىّ بن أَبى طالب».

ومازلتُ أَذْكرُ - وإن بَعُدَ العهـد - تلك الدريهمات التى كنتَ تنفحنى بها كلّمـا أَهَلَّ عيد، فحييتُك بتصيـد، قلَّمـا سَلِمَ من اضطـرابٍ فى بُنيانـه، أو تخلخُلٍ فى أَوزانه.

عَلَى أَنَّ أَجلكَ لم يمتدَّ بك حتى تسمعَ منى شعرا سليمَ البُنيان، مستقيمَ الأوزان.

فإلـى روحك الطاهـرة أُهدى هذا الـديوانَ؛ لعلَّ فيـه ما يحقِّقُ أمنيَّـةً من أمنيَّاتك، لم تُتَحْ لك فى حياتك، ولعلَّ فى إهدائه إلى روحك الطاهرة قليلا من البرِّ لم أَستطع أَن أقدِّمَهُ إلى شخصك الكريم.

محمـود غـنيم

تقديم

بقلم : حضرة صاحب المعالى

إبراهيم دسوقى أباظة باشا

يخيّلُ إلىّ أَنه ليس بين دفَّتى هذا الديوانِ الفخمِ للشاعر الكبير الأستاذ : «محمود غنيم» قصيدةٌ أو مقطوعة لم أُمتع بها سمعى أو عينى من قبلُ ؛ فالأستاذ «غنيم» شاعر مرموق المكانة ، يقف فى طليعة الرعيل الأول من شعرائنا المعاصرين ، وليس فى بلاد العرب من لا يعترف له بذلك ، لهذا لم أعانِ عنتا أَو إرهاقًا وأَنا أعبرُ ديوانه : (صرخة فى واد) ؛ لأقدمه إلى قرائه العديدين المعجَبين فى مصر وسائر أقطار العروبة والضاد .

لمَع نجمُ الأستاذ «غنيم» فى أفق الشعر الحديث ، أَثناء احتدام المعركة بين مدرستَي العقاد وشكرى من جهة ، وشوقى وحافظ من جهة أخرى ؛ أي : بين مذهَبَى الفكرة والأسلوب ، وقد انجلت هذه المعركة عن صَرعى كثيرين من الفريقين على السواء ، ثم دار الفلك دورته ، وظفر الأستاذ «غنيم» بديوانه هذا بالجائزة الأولى فى مباراة الشعر ، التى نظمها أَخيرا مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، وكان مقرر لجنة الاختيار هذه الأستاذ العقاد نفسه ، بغض النظر عن لون هذا السبق الذى انعقد لواؤه للأستاذ «غنيم» فى رأى

الأستاذ العقـاد؛ إذ جعل طابع الأسلوب والصيـاغة أَبـرز من طابع التجديد والابتكار فى هذا الديوان .

وهنـا : أُريد أَلا أسلم بمـا ذهب إليه الأستـاذ العقاد فى حكمـه على صاحب هذا الديوان؛ فالفكرة والأسلوب فى الجدَّة والطرافة، والمعنى واللفظ فى الإِشراق والدلالة، يتـآخيان فيما بين أَيدينا من هذا الشعر، الذى ينساب فى سهولـة ويُسْر انسيابَ صفحة الغدير المصقول. والأستاذ «غنيم» نسيجُ وحـدِهِ فى وضوح اللفظ المعبِّر عن المعنى الجميل، وسلاسة العبـارة مع إشراق الصورة، واتساق الكلمة مع المعنى اتساقا لا يسمح باحلال غيرها محلَّها .

كل أولئك وسـائلُ تسمو بـالأسلوب والـديبـاجة وتلـوِّنهما بمـا يستكن فيهمـا من معنى، وتلك قـدرة فى المواهـب لا يوفَّقُ إليهـا الكثيرون، وقد رُزِقَها صاحبُ هذا الديوان ووُفِّقَ إليها كلَّ التوفيق .

وبين صفحات هـذا الديوان مـا يصوِّر هذه الميـزاتِ الفنيَّةَ أَدقَّ تصوير، ويرسُم هذه السِّماتِ البيانيةَ آنقَ رسم .

لم يفـرط الشـاعـرُ فى صغيرة ولا كبيـرة من شئـون الحيـاة، أَو الاجتمـاع، أَو السيـاسةِ، أَو الفـنِّ إلا استوعبهـا خيـالُـه الخصبُ وقريحتُه المدركةُ، وأَحالاها إلى شعر عال ونسج فريد، سَرعان ما تتلقَّفُـهُ الصحفُ والمجـلاتُ؛ فإذا بـــه أُنشـودةٌ على كل لسـان، وحـديث فى كل مكـان، وهـذه الشهـرةُ الـواسعـةُ التى يتمتعِ بهـا الأستـاذ «غنيم» فى مصر وجـاراتهـا العربيـة ليست وليدة دواوينـهِ

الكثيرةِ، أو مناسباتِـهِ الخاصَّةِ التى يدبرها للدعـاية لفنه؛ فإن هذا أَول ديوانـه يظهر له، ثم هو مـن الذين لا يستطيعون تدبيـر وسائل الدعاية لأنفسهم؛ لأنه أكبر من أَن يستسيغ فهم الشعوذة والتهريج باسم الفن.

إنـه لا يزيـد عن أَن يـدفع بشعـره إلى صحيفـة سيارة أو مجلـة ممتازة، ثم يدع الحكم للقارىء فى ثقة به وبنفسه هو، وهكذا قدر الناسُ شعرَ «غنيم» وأَحلُّوه من أنفسهم مكانا عليا.

أذكر أننى قرأتُ فى مجلة الرسالـة ـ منذ زمن بعيد ـ كلمة عن: (خليفة حافظ إبـراهيم) فيها دراسة وافية، وتحليل دقيق لشـاعرية «غنيم» وقـد وازن صـاحب الكلمـة بين «غنيم» وحـافظ مـوازنـة، كادت معايير التقدير فيها لفن «غنيم» تفوت حظ شاعر النيل، وما أظن أَن حافظـا ـ على مالـه من فضل السبق فى مضمار الـوطنية، والقـومية، والاجتمـاع ـ قـد لمس كل جـوانب الحياة التى لمسهـا «غنيم» لمسـاً عنيفاً قـوياً يتسرب فـى تلافيفهـا، ويسبر أَغـوارها، ويصور خلجاتِها، ويرقب كل ما حوله من حركة ونشاط وحياة.

وسـأَعـرض ـ على سبيل المثـال ـ نمـاذجَ من شعـر هـذا الديوان؛ تؤيد ما قررتُهُ من: أن ريشة شاعرنا العبقرى تلعب باللفظ والمعنى فى قدرة فـائقة واستعداد عظيم، ينبعَان من رصيـد الطاقة الفنية التى تنطوى عليها نفس الشاعر وقلبه الكبير.

ينقسم هذا الديوان إلى تسعة أبواب: الباب الأول (فى الحرب،

والثاني (في الاجتماع)، والثالث (في الوصف)، والرابع (في المرأة)، الخ . . .

ومن هذا التقسيم : تبرز للقارىء فكرة استيعاب الشاعر لكل معاني الحياة والأحياء في إحاطة نادرة، ويقظة فاحصة لكل ما يضطرب في الكون من صور الجمال والطبيعة، وعواطف الخير والشر .

في الباب الأول: يستقبل الشاعر العام الهجري بقصيدته : (الهلال الأحمر) . . وقد طال نفَسُهُ فيها حتى جاوز مائة بيت من الشعر المتدفق الرصين، الحَافل بكل معنى شريف وخاطر طريف :

أَهلاً بِمطلعك السَّعيد ... يا غرَّة العام الجديد
عد بالسَّلامِ على الورى ... وانشره خفاقَ البنودَ
عَبَسَ الوجودُ فكان نو (م) ... رُكَ بسمةً بفم الوجود
قد لُحْتَ مثل البرق في ... جوِّ العواصف والرعود
وطلعتَ في حذر تطـ (م) ... ـلّ على البرية من بعيد
يا نجم، ويحكَ! لا تغر ... يا أرض، ويحك! لا تميدى
السِّلم طال شرودُه ... لهفى على السلم الشَّريدِ

ثم ينتقل - بعد هذه المناجاة - إلى الكلام عن الهلال والشاعر، والقطيعة التي حدثت بينهما من تسخير الهلال لأسباب الشر والأذى والدمار:

آنا من محاقك صغتُ لا ... من نورك الزاهي نشيدي
ما عاد نورك فتنةً ... يغري بإنشاد القصيد
ويثير أشجان الهوى ... والشوق في القلب العميد

ثم يتحدث عن (جبار روما)، وكيف غرَّه طمعه حينما ولى وجهه شطر القاهرة:

جبارَ «روما»، خاب قبـــ (م) ـــلك كلُّ جبَّـــار عنيـــد
يـا من تحـدَّى الكـون حتى (م) خلتُـه بـالكـون يـودى
أفهـــذه عُقبى النـــذيــ (م) ــر وتلك آخـرة الـوعيـد؟

ويظل مع الطاغية الصريع، حتى ينتهى إلى سخرية مرة، وتهكم أليم:

يـا شـاهـراً لحمـايـة الـ (م) إسـلام سيفَ ابن الـوليـد
جـدَّدْت فى «لـوبيـا» سنـا بغـدادَ فى عصـر الـرشيـد
وظهـرت فى هـدى الحُسَيْـ (م) ـنِ وأنت أشقى من يـزيـد
هـلا تـركت حمـايـة الـ (م) إسـلام لله الحميـد؟

ويقول فى الباب الثانى والثالث فى قصيدتيه: (تجار العقائد)، و(الكلب هول).. يقول فى الأولى؛ ناعيًا على الفتنة العمياء، التى كاد يستشرى خطرها باسم العصبية الدينية:

خطــرٌ تغلغـل فـى الحَمـي بـاسم المسيح ومـريَمـا
إنى أُعيــذ عُـرى المــو (م) ة بيننــا أن تفصَمـا
مـن عقَّ مصـر يعق أحــ (م) ـمَد والمسيحَ كليهمـا
الــدين مثـل العــرض لا نــرضى لــه أن يُثْلمـا
حَـرَمـان لا سلمتْ حيـا (م) ةُ المــرء إن لم يسلمـا

ثم يقول:

عصــر التعصب قـد تقـ (م) ـلَّص ظلـه وتصـرمـا
لا تبعثـوا من لحـده هـذا الـزمـان المظلمـا
الآن قـد بـرئت عيـو (م) ن النـاس من هـذا العمى!

والقصيدة كلها تتداولها هذه المعانى الكريمة من : الذود عن حمى العقيدة والإسلام ، وتنحية العدوان عن نطاق الدين والشرائع ؛ ليحيا الناس فى أَمن وسلام .

ثم يقول ـ فى قصيدته الثانية ـ عن (الكلب هول) :

كلب ينُمّ على الجنـــاه … تمشى العدالـــة فى خطـــاه
إن قـــال أرهفت النيـــا … بـة سمعها وصغا القضاه
لم يعى أهلَ البحث ســر (م) غـــامض إلا جـــلاه
يستخـــرج الســر الدفيـــ … ـن كأَنـه بعضُ الحـــواه

إِلى أَن يقول :

قـالـــوا : أتطرى الكلب؟ قلـ (م) ـت لهم: ومن أطرى سواه ؟
يـرعى الـوداد، ومـا رأيـ (م) ـت من الأنـام فتى رعـاه
سألـــوا الكـــلاب الحق إذْ (م) وجـــدوه بين النـــاس تـــاه!

وقد علمت أن هذه القصيدة العصماء أحدثت ضجة أدبية هائلة فى البرازيل ، وترجمت ، وكانت حديث أدباء المهجر فى مجامع الأدب والشعر هناك ، وعقدت بينها الموازنة وبين قصيدة الشاعر الانجليزى «شلى» المشهورة فى وصف القُبَّرة .

ثم له فى الباب الرابع والخامس قصيدتان بعنوان : (راقصة) و(رثاء طيارين) . يقول فى الأولى :

مقبلـــة مـــدبـــرةٌ … مـــائلـــة معتـــدلـــه
كـأن تحـت أخمصيـ (م) ـــهَا جمـــرةً مشتعلـــه
بـــاسمـــة يحسبهـــا … كـلٌّ فتـى تبسم لـــه

تــدور حــول نفسهــا كمــا تــدور العجلــه
يــا حسنهــا إذ عــركت أنملــة بأنملــه!
من تــرمــه بلحظهــا أدنت إليــه أجلــه
كم ارتقتْ مســرحهــا فصيــرتــه مقْصَلــه

هذه البراعة فى الوصف، والدقة البالغة فى تصوير الحركة السريعة، إحدى ميزات فن «غنيم» الشاعر المصور، الذى يقول فى «رثاء طيارين»:

يــا مصــر، قــد عــزَّ العزاءْ نفنى، وأنــت لــك الْبقـــاء
نَسْــران ليســا كــالنســو (م) ر رَمَــاهمــا سهم القضـــاء
بطــلان سبــاقــان نــا (م) دت مصرُ فــاستمعــا النــداء
راحــا فــداءَ المجــد حيــ (م) ـنَ تطلَّب المجــدُ الفــداء
وأعــزُّ مــا حــوت العــَرو (م) قُ: دمُ الشبــاب الأبــريــاء
إن كــان طيــاران قــد سقطــا، فمــا سقط اللــواء
إنّــا خطبنــا المجــد فلـ (م) ـتَجْــر الأمــور كمــا تشــاء
المجــد لا يبنيــه بــا (م) نيــه بطين أو بمــاء
يبنى بأشــلاء الضحــا (م) يــا ثم يُطلى بــالــدمــاء

وخشيةَ أن أَشق على القارىء بعرض بقية النماذج التى كنت حريصاً على التعليق عليها؛ لأكشف عما تشتمل عليه من أسرار الجمال الفنى وصور الخلق والإبداع، سأحيلُ القارىء على عناوين مختلفة من الأبواب الباقية فى الديوان وكلٌّ ما فيه معجب مطرب يستحق العناية والتقدير.

لـه فى الباب السادس: (مبايعة الفاروق)، و(تحية العراق)،

و(تحية السودان). وله فى الباب السابع: (كأس تفيض)، و(بين الشعر والمال) وله فى البابين الثامن والتاسع: (بيوت الشعراء)، و(العيد والأزمة)، و(إلى القمر)، و(الراعى والقطيع)، و(بطش الضعيف).

هذه أَسماء - كما قلت - لقصائد أُنبه إليها القارىء؛ ليرى كيف يتسع أفق الشاعر الناضج المواهب والملكات، وليطمئن إلى مواجهة القائلين بأَن الشعر الحديث فقير من حيث المعنى والصورة؛ جاعلا هذا الديوان حجته الدامغة وبرهانه البليغ. . غير عابىء بهذه التسمية التى اختارها الشاعر الكبير لديوانه: (صرخة فى واد).

إنها ليست كذلك؛ فهي صرخة الأَدب الرفيع سيرن؛ صداها على مدى الأجيال بين آفاق العروبة والشرق، وسيملأ ترديدها أَسماع عشاقه وسيكون لهذا الديوان فى نهضة الشعر الحديث أَثره النافع إن شاء الله.

إبراهيم دُسُوقى أباظة

خليفة حافظ

نشر هـذا البحث سنة ١٩٤٠م، فـى العدد الممتاز مـن مجلة «العصبـة» التى يصدرهـا أدباء المهجر فى البرازيل، وقد نقلته عنها مجلة الرسالة الغراء فى العدد: ٣٤٧.

وقد آثرنا نشره ـ على بعد العهد به ـ لورود ذكره فى المقدمة التى قدم بها معالى: إبراهيم دسوقى أباظـة باشا هـذا الديوان، فضـلا عن أن هذا البحث كان أول صـوت جرىء برىء انبعث فى تقـدير شاعـرنا الكبير. ولعل ممـا يزيد فى قيمتـه: أنه صدر مـن واد سحيق، على لسان كاتب لا تـربطه بالشاعر مجرد المعرفة، فضلا عن شتى الوشائج والصلات، كما تدل على ذلك مادة المقال.

النـــاشر(١)

لمـا كنتُ من عشاق الشعـر السائغ، السهل المبنى، الـواضح المعنى، المـؤدى صورةً صـادقـة من عـاطفة نـاظمـه وهدفِـه فى الوجـود، ومن كارهى الإغراقِ والتعقيدِ، ومـواراةِ المعنى المقصودِ وراء أكثف الحجب التـى لا تختـرقهـا البصيـرةُ، ولا تُعين على استجلائها كتبُ اللغة ومعاجُمهـا، بحيث يصبح الشعرُ كنايةً عن رموزٍ وطلاسمَ لا يحلُّها إلا الله والراسخون فى العلم، فلا بدعَ أننى

(١) المقصود بالناشر: لجنة البيان العـربى، التى أشرفت على نشر هذا الديوان حين صدر ـ أولاً ـ عن مطبعة الاعتماد سنة ١٩٤٧م، وليس المقصود دار الغد العربى التى تصدر عنها هذه الطبعة؛ لذا حسن التنويه!.

كلما وقعت فى يدِى جريدة أو مجلة، رحتُ أقلِّبُ صفحاتِها، علِّى أعثر على سطور مشطَّرة، فأقرأ مطلعَها راجياً أن يستدرجنى إلى قراءة ما يليه، وإلا اكتفيت به وقلَبْتُ الصفحة آسفاً نادماً على الوقت الذى أضعتُه؛ لأن المطلع عندى بمثابة الوجه الذى تستهويك النظرةُ الأولى إليه فتُقبلُ على صاحبه، أو تنفِّرك فتعرض عنه.

وكان خيرُ ما يستهوينى ـ نظراً إلى استيفائه الشروطَ المقدَّمَ ذكرُها ـ شعر حافظ إبراهيم، فلما ارتحل عن هذا الوجود أخذتُ أفتش في صفحات المجلات المصرية عن خليفة له أُجلسُهُ على عرش إعجابى واحترامى فلا أجد، حتى وقع يوما فى يدى جزء من مجلة الرسالة التى وجدت فيها ضالتى المنشودةَ من حيث الأدبُ العالى والثقافةُ الدقيقةُ، فقلبتُ بعض صفحاتِهِ، وإذا بي أعثر على أبيات من الشعر استهوانى مطلعها، واستدرجنى إلى الإتيان عليها حتى ختامها. وكنا فى «العصبة»، فرحت أتلو على مسامع الإخوانِ تلك الأبيات التى لمستُ فيها روحَ حافظٍ وأسلوبَهُ الطلىَّ الأخَّاذَ فشاطرونى رأيى، وطفقتُ ـ منذ ذلك الحين ـ أتلمَّس آثار «محمود غنيم» الأدبية، فى تلك المجلةِ الغنيةِ بنتاج أدمغة المجلين فى مضمار الأدب فى ذلك العصر السعيد.

وعلمت بعد ذلك أن «محمود غنيم» مدرس فى «كوم حمادة»[1] ـ إحدى قرى الصعيد ـ يُحمِّلُ شعره المجنَّحَ شكواه من

(١) الصواب: أنها فى مديرية البحيرة. ومما ينبغى ملاحظته: أن الشاعر ـ الآن ـ يشغل وظيفة مفتش للغة العربية، بالمدارس الأجنبية بمنطقة القاهرة.

سوء حاله وضيق مجاله؛ فهو يحسب نفسه سجينا فى تلك القرية يتوق إلى الإفلات منها ولا توقَ الطائِر الغرِّيد إلى الإفلات من قفصه ولو كان من ذهب، فكيف به وهوَ من معدن بخس وخشب؟ مجال ضيق وعيش على وتيرة واحدة يُسْئِم النفس، وعشرة لا مطمعَ فيها للأديب الذى يُؤثر تغذيةَ روحه على تغذية جسده!! وفيم أطيل فى تصوير الحال التى هو فيها، وقد وصفها هو على أدقِّ وأكملِ شكل فى القصيدة التالية، وعنوانها «كأس تفيض»؟ قال:

نعلَّلْتُ دهراً بالمنى، فإذا بها
قوارير من مسِّ الصَّبا تتحطمُ
لعمرك، لا أدرى: على أيِّ منطقٍ
أشاهد في مصرَ الحظوظَ تُقسَّم؟
فمن يكُ ذا قُربَى وصِهرٍ، فإننى
بمصرَ وحيدٌ لا قريبٌ ولا حمُ
أقمت بمصرٍ عاثر الجدِّ ساكنا
كما سكنَتْ أَهرامها والمقطَّم
وقفت مكانى لا أَريم، وأَخمصى
على الشَّوك من طول السُّرَى تتورّم
كأنى إطارٌ دائرٌ حَول نفسه
يطول به المسعى ولا يتقدَّم!

***

أَيــذوى شبَــابى بين جــدران قَــريــةٍ
بِبــاب كــأنَّ الصَّمتَ فيهــا مخيِّم؟
أكـادُ مـن الصمَّت الـذى هـو شـاملى
إذا حُسِبَ الأحيــاءُ لـم أكُ منهمـــو
وعـــاشــرت أَهليهـــا سنيـنَ وإننى
غــريبٌ بإحســاسى وروحىَ عنهمـو
يقــولــون: خضــراءُ المــرابع نضْـرةٌ
فقلتُ: هبــوهــا، لستُ شــاةً تُسـوَّم
علـى رِسلكـم؛ إنى أقيـم بقفـــرة
يجـوز علـى الأحيـاء فيهـا التـــرحُّم
حيــاة كسطح المــاء، والمــاءُ راكـدٌ
فليس بهـــا شـىءٌ يســرُّ ويــؤلم
ومـــا أَبتغى إلا حيـــاةً عنيفـــةً:
تســـرُّ فأرضـى، أو تَســوء فأنقم
حيــاة كلـج البحــر، والبحــرُ زاخــرٌ
تــدوِّى بهـا الأنــواءُ، والــرعـد يهـزم
حيـاة بهـا: جـدٌّ ولهـوٌ، بهـا: رضـاً
وسخط، لهــا طعمـان: شهــدٌ وعلقم

***

حنـــانيكَ! إنى قـــد بــرمتُ بفتيــةٍ
أَروح وأَغــــدو كـل يـــوم إليهمـــو

صغـــار نـــربِّيهـمْ بمثل عقـــولهم
ونبنيهمـــــو، لكنَّنـــا نتهـــدَّم

لأوشِكُ أَن أَرتــدَّ طفــلا؛ لطــول مــا
أمثِّـل دور الطفل بيـن يـــديهمـــو

فصــول بـدأنــاهـا وسـوف نعيـدُهـا
دواليـكَ، واللحـنُ المكـــرَّر يُسـأم

فمن كـــان يــرثى قلبُـــهُ لمعـــذب
فأجــدَرُ شخْـص بـالــرثـاء المعلم!

***

ألا فليُســدْ مـن شـــاء، حسبـيَ أنني
ضننتُ بمـاء الـوجـه حيـن تكـرَّمـوا

وإنى لمغبـــونٌ إذا صـــرتُ قيصـــراً
وطــوَّقَ بـــالنعمـــاء جيـــديَ منعم

فهل هناك ما هو أَوْهَى من هذه القوارير التى كنى بها عن أمانيه العـاثـرة، وقـد وصفهـا بكـونهـا تتحطَّم مـن مس أخف وألطف النسمات؟ وهل هناك ما هو أدلُّ على حقيقة الواقع مع أنه لا منطق على الاطـلاق فى توزيع الحظـوظ؟ وربما صحَّ هـذا الحكم على الشهـرةِ نفسِهـا؛ إذ لم يقم أديب إلا اختلـف النـاس فى تعيين مقـداره، وطـالما كـانت الشهـرةُ نصيبَ من لا يستحقهـا لعـواملَ وأسباب لا علاقـة لها بالكفاية المجردة، كأن تسخـر الأقدارُ لغير الكفء ما لا تسخـره للكفء من المذيعين والمطبِّلين والمـزمِّرين

لهوى أو غاية فى النفس، وأين نجد صورة للعزلة التامة لمقيم فى القطر المصرى كالأهرام والمقطم؟ يلى ذلك: وصفُ الضجر والسآمةِ، فحياةُ المعلم والأدوار التى يمثلها، فالاعتصام - بعد كل هذه الشكاوى المؤلمة - بالصبر، والاستمساك بالأنفة والاباء.

ثم عثرت على صورة ثانية، استوثقت منها أن «محمود غنيم» لا يعدم تعزية عما هو فيه؛ مستمدة من محيًا صُغيريه، اللذين لا يسأم مداعبتهما كلما عاد إلى منزله عودة الطائر إلى عُشِّه طلبا للراحة والدفء والقوت، وهاك ما يقوله فى وصف هذا المشهد بعنوان «أنا وابناى»:

وأطيَبُ ساعِ الحياة لديَّا — عشيةَ أخلو إلى ولديَّا
إذا أنا أَقبلتُ يهتفُ باسمى الـ — (م) فَطيمُ، ويحبو الرضيعُ إليَّا
فأُجلسُ هذا إلى جانبى — وأجلس ذاك على ركبتيَّا
وأغزو الشتاء بموقد فحْم — وأبسُطُ من فوقه راحتيَّا
وأحسبُنى بين طفلىَّ «شاها» — وأَحسَبُ عُشِّيَ قصراً عليَّا
فكلُّ طعام أراه لذيذا — وكل شراب أراه شهيَّا
وما حاجتى لغذاءٍ وماءٍ؟ — بحسبىَ طفلاى زاداً ورِيَّا

***

فياليت شعرى: أَتَمْتَدُّ بى — حياتى، فأَجْنىَ غرسَ يديَّا؟
وأَشهدَ طِفْلِيَ حين يشبّ — فتى عالىَ النفس، شهما، أبيا؟
أبوكَ امرؤ من رجال الكلام — فكنت أنت ـ يا ابنى ـ امرأ عمليا
فما احتقر الناسُ إلا الأديبَ — ولا احترم الناسُ إلا الغَنِيَّا

***

أَيا ابْنَىَّ، أَحبِبْ بما تكسرانِ! — وأَهْوِنْ بما تُتْلفَان عليَّا!

فانظر إلى العاطفة الأبوبة الصادقة المتجسمة فى هذه الأبيات ، وأَكبرْ معى التضحيةَ إلى أَقصى حدودها فى الاستهانة بكل ما يمكن أَن يكسره الصغيران المحبوبان أَو يتلفاه استهانةً تبلغ حد استحلاء الأضرار وتشجيعهما عليها ، وما يتخلل ذلك من عظات وتمنيات .

ومما تقدم رأيت كلَّ الجمال فى روح « محمود غنيم» . عَلَى أَنىَّ افتقدته فى رسمه القائم فى بعض صفحات الرسالة شاهداً عَلَى أَلاَّ علاقة البتة بين المظهر والمخبر ، ولكن حبذا عدم الوسامة فى الخَلْق إذا كانت ترافقها مثلُ

هذه الـوسامـة في الخُلُق ، عَلَى أَن صورة «غنيم» هذِه تَـزيده شبهـاً بحافظ وتؤكد ترشيحه لخلافتِه .

هذا هو « محمـود غنيم » ، الذى أقدمه الآن لقـراء العصبة ، فخورا بأَننى أقدِّم شاعراً مجيدا ؛ إذا لم يضارع حافظـا فى أَصيله فإنه يجاريه فى ضحاه ، وهذا حـاضِره يبشـر بمستقبل ربما كان أَخصبَ منـه وأَجدى . وممـا يرجح كفتـه ـ فى نظـرى ـ عقمُ محيطـه بـالنسبة إلى محيط حـافظ أَيام كـان يطلق صيحـاتِـهِ وأَغاريـدَه فى القـاهـرة حيث : المجـالُ الرَّحب ، والمـوحيـاتُ ، والمستثيراتُ على أنـواعها ، وكلها مما يفجِّـرُ الشاعريـة ، ويبعث الكوامن ، ويعين على الإجـادة ، أضف إلى ذلك : أنـه منذ البـدايـة حافظىٌّ فى تأنقـه وتدقيقه ، وبراعته فى تخيـر الألفاظ ، والبحور ، والقوافى ، التى تماشى روحَ القصيـدة وتكسبها خـاصـة الإعـراب عن مرامى نـاظمهـا ، وتـوائمُ حركـاتِ وسكناتِ الحدث الذى تدور عليه ، أو المناسبة التى اقتضتها .

أَما مستندى ؛ فما سبـق ، وما سيَلى ممـا اقتبسته واجتـزأت به مُكـرَها ؛ بـداعى ضيق المجـال من بضع قصـائدَ احتـرت فيمـا اختـرت من أَبيـاتهـا الحسان ، وهـذَا بذاته يـدعو إلى الاعجاب بخصب قـريحة الشاعـر ، وسعة اطلاعه ، وقدرتـه على الإجادة حتى فى أَتْفَه الموضوعات المطـروقة وأَبعدها عن استرعاء الالتفات ؛ إذ يغلب فى الشعر أن يكـون الجيد منه هو الأندر ، فكيف وقـد رأيتُ النـــدرة تصيبَ مـا يمكن الاستغنـاءُ عنـــه على رغبتى فى الاختصار تفادياً للتطويل وخشية الملل ؟

شعرٌ تصويرىٌّ : سداه الدقة ، ولحمته الأمانة فى الأداء ، ونزعةٌ حرة ، وفكر طليق من سيطـرة الأوهـام ، وخيـال واسع ؛ يتغلغل فى الأعمـاق ، ويكشف

الخبايا، ونفس طمُوح لا يكبح جماحها إلا الاباءُ المستحب .

اسمعه يصف راتبه بأبلغ ما يدل على سهولةِ وسرعة التفلت، وقلة الوفاء بالحاجة، ويجيد التخلص إلى نصيحة غالية يسديها إلى أبناء قومه؛ محذرا إياهم من عواقب الوكل، كارها لهم الأعمال ذات الكسب المحدود :

ولى راتب كالماء تحويه راحتى فيُفلتُ من بين الأصابع هارباً
إذا استأذن الشهر التفتُّ فلم أجد إلى جانبى إلا غريما مطالبا
فأمسيت أرجو نعيه يوم وضعه وليس الذى يمضى من العمر آبيا

***

فقل لشباب النيل قالةَ ناصح تعافُ له أخلاقه أن يواربا :
إذا مصر لم ترفع قواعد مجدهاً بساعدها، لم تقض منه مآربا
وأن نكُ فى كل المرافق عالة على غيرنا عشنا بمصر أجانبا

وهاك مطالب أخرى لم تفته فى أيها الاجادةُ المبتغاةُ، فمن قوله مخاطبا ملكة الجمال العالمى المصرية بعنوان: «ملكة الجمال»، بيتان ضمنهما نزعته الاستقلالية، وهما :

كم عاهل ذى سطوة لم يفتتح قلباً وإن فتح المدائن والقرى
ما للمها فى مصر تحكم عالماً والليث يعجز أن يعيش محررا ؟

***

وما هى إلا فترة من الزمن حتى يتجلى «غنيم»، فينزع عن نفسه أطمار التذمر والشكوى، ويرتدى وشاح الحكمة والاختبار، ويتسنّم منصة الوعظ والإرشاد؛ مصوِّراً حقيقة الحياة وانخداع البشر بأنفسهم، ومبطلاً ما يدعونه عادة من عفة وتقشف، ويرشحون ذواتهم من أجله لسكنى دار الخلود، كما يضرب الرياء والتظاهر ضربة قاصمة؛ إذ يقول بعنوان «المادة» :

فتشتُ بين النـــاس عـن زاهـــدٍ فلـم تقع عينى علـى واحــــدِ

مــا أزهــدَ المـرء إذا لـم يجـد وأبعــدَ الــزهــدَ عـن الــواجـد!

فقيمــة الفـــردِ بمــا يملـكُ الــ (م) فَــرْدُ من الطـــارف والتـــالـــد

قــد يُحسَــد المـــرء على رزقـــه ولا أرى للخُلْق مــن حـــاســـد

لم يختـــر النـــاسُ ديـــانــاتهم بل أخــذوا بــالمــذهب الســـائد

ليس جمـــال الطبع في غــادة مثلَ جمـــال اليــدِ والســاعــدِ

يـــازاعـم العفـــة فـى حبّـــهِ مــا تبتغى من كــاعب نــاهــد؟

لـم يتـق الله امــــــرؤ للتقى بل لنعيـم الجنـــة الخــــالـــد

لـــولا جمــالُ الحــور مــا لامست أرضَ المصلى جبهــةُ الســاجــد

هل كنت تلقى فى الـورى ساعيا لــو كــان يسعى الــرزقُ للقـاعـد؟

سيــان: مــن يسعى إلى قـــوتــه بــالسلب، أو بــالــورع الــزائد

كم لحيـــة أجــدى على ربهـــا من ألـف سهم بيـــد الصـــائد

صــاح، دع الــروح ودع قـدسَهــا نحنُ عبيــد الجســد الفـاســد

فإذا وَقَفْتـه على الشاطىء الرملى فى الاسكنـدرية، يمتع طـرفه بمـرأى المستحمات، ويشبع نهمه من محـاسنهن، خلع العذار، وأجاد فى وصف ذلك المشهد البـديع، وسال رقة بمقطعات غـزلية، موشاة، منمقـة مطرزة، كأنها بستان، فيه من كل فاكهة زوجان، وهذا بعضها:

أعَــوَارٍ تلـك الــدُّمَى أم كـــواسٍ بلبـــاس يفصـلُ الأجســـامـــا؟

لا وقـــاهُ الله البلى مــن لبـــاسٍ إنـــه كـــان واشيـــاً نمـــامـــا

***

أيهـــا المشتكى مـن الإقـــلالِ متع النفسَ بـــالجمـــال متـــاعـــا

لم يبيحــوا لنـــا شيــوع المـــالِ وأبــاحــوا لنا الجمـــال مشـــاعـــا

لا تضيقوا بالمعصم المكشوفِ / وتقولوا : خيرُ الجمال المصونُ

ما غناءُ الشذى بغير أنوفِ ؟ / قيمة الحسن أن تراه العيون؟

* * *

وانظر إلى رشاقته فى وصف راقصة ؛ أخذت عقله بخفتها، ومرونة أعضائها، وحسن تثنيها، يقول :

مقبلة مدبرة / مائلة معتدله

كأن تحت أخمصيـ (م) ها جمرةً مشتعله

باسمة يحسبها / كلُّ فتى تبسم له

أبدلها خالقها / بكل عظم عضله

جسمٌ كموج عيلمٍ / تسبحُ فيه الأخيله

تحسب فيه كلَّ عضـ (م) وٍ وَحدةً منفصله

فى مرقص لا يعرف الـ (م) هَمَّ فؤادٌ نزله

الهم فيه واقفٌ / خجلان يخفى خجله

دعنى أضلُّ ساعةً / عبء التقى ما أثقله !

ما كنت من أهل المسو (م) ح والذقون المرسله

كم ورَعٍ مصطنعٍ / وعفةٍ مفتعله

وأخيراً: انظر إليه فى النقد الصائب، واللوم العادل، والتنبيه إلى الواجب؛ إذ يصف بَنِى قومه الذين يترسمون خطا الغرب دون تخير أو استثناء :

يترسمون الغرب حتى يوشكوا / أن يعبدوه عبادة الأصنام

ما قلدوهم مبصرين ؛ وإنما / تبعوا نظامهمو بغير نظام

ما صاغ ربك من نضار خالصٍ / شعباً، وشعباً من حصى ورغام

هـذا الكثير المختـار من بضع قصائد عـامرة قليلٌ من كثيـر .
ولعمـر الحق ، إن شاعـراً تتفق لـه مثل هـذه الإجادة ، وتصـادُ من ساحلـه كل هذه الدرر ، لهـو بحر لا يجـوز أن نطمره أو نضع فى سبيلـه الحـواجـز والسـدود ، بل يجب أن نهيء لــه الحيـاة التى اختـارهـا ، وأحسن وصفهـا فيمـا سبـق لى نقلـه من أنـات آلامـه وحشرجات شكاويـه ! ولعل هذا الصوت الضعيف يصل إلى آذان القـادرين من إخـواننـا المصريين ، فيجـد صـدى فى نفـوسهم ؛ يستفزهم إلى إنصـاف هذا الشـاعر المجيد المغبـون ، فيعـود إلى مصر حافظهـا متقمصـا فى شخص محمود غنيم .

البرازيل

توفيق ضعون

في الحرب

فجر السلام [1]

الثقافة ٢٩ من مايو سنة ١٩٤٥م

أَدْرك بفجرك عالماً مكروباً ... عوَّدْتُ فجرك أن يكون كذوبا [2]

يأيها السِّلمُ المُطلُّ على الورى ... طوبى لعهدك ، إن تحقق ، طوبى [3]

ما بالُ وجهك بعد طول حجابه ... يحكى وجوه العاشقين شُحوباً ؟

رُحماك طال الليل واتَّصل السُّرى ... حتى تساقطت النفوس لغوبا ! [4]

لفحت لظى الحرب الوجوهَ ، فطف بها ... كالزَّهر نفحاً ، والنسيم هُبوبا

لم يَبْقَ فى مجرى الدماء بقيةٌ ... شكَت العروقُ من الدماء نُضُوبا

طحنت فريقيها الحروب بضرسِها ... لا غالباً رحَمت ولا مغلوبا

***

لما شدا بالنصر شاديهم ؛ بدا ... لحنُ السُّرور على الشفاهِ غريبا

جاءوا بيوم النَّصر يمخُرُ فلكهُ ... سيلاً من الدَّمِ والدموعِ صبيبا [5]

---

(١) أنشئت عندما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها .

(٢) الخطاب للسلم . والفجر فجران : كاذب وصادق ، وبينهما دقائق ، ويكون الأول أسود معترضا ، أما الثانى فناصع يملأ الآفاق .

(٣) طوبى : حسنى ، أو خيراً ، أو هى اسم من أسماء الجنة .

(٤) اللغوب : الإعياء الشديد .

(٥) مخرت السفينة : شقت الماء .

مـلأوا الكئـوسَ، فَكُلَّمـا همُّـوا بهـا ذكـروا بحُمـرتهـا الـدمَ المسكـوبـا

فتَّشت بيـن المحتفين، فلم أجـد إلا طعينـاً فى الصميم أصيبـا

كم في غمـارِ المحتفين، خطيبـة بـاتـت تناجى فى التـراب خطيبا!

كم ثـاكلٍ لم تَـدر أين تـرى ابنهـا فتعيـره من دمعها شؤبـوبـا! (١)

ومشـوَّهٍ تَـزوى المـلاحُ وجـوههـا عنـه ،وكـان إلـى المـلاح حبيبـا!

من فـارقتـه يـداه فى سَاحِ الـوغى أنى يصفِّـق للسـلام طـروبـا ؟

قم سـائل النيـران: مـاذا أنضجت أسبـائكـاً أم أكبـداً وقلـوبـا ؟

وسل المحيط الغمـر: كـم نفساً بـه قـرّت؟ وكم كنـزاً حـواه رغيبـاً ؟

غـولٌ تغـول الطفل من يـد أمـه بسعـارها والكـاعب الـرُّعبوبـا (٢)

هـوجاءُ؛ تـذرو الدَّوْحَ عنـد هُبوبهـا وتُخَلِّف البُـرجَ الأشـمَّ كثيبـا

لا يـرتـدى الأكفـانَ فـى سـاحـاتهـا ميتٌ نضـا بـرد الشبـاب قشيبـا (٣)

***

أعـراسُ يـوم النصـر أيـن نقيمهـا ؟ المُـدْنُ صِـرنَ خـرائبـاً ولهيبـاً!

هيهـات أن تنسـى البـلادُ حـدادهـا أو تستـردَّ جمـالهـا المسلـوبـا!

تعـدو الحضـارة وهْـي داءٌ فـاتكٌ وتسيـرُ فى خَطْو الكسيح طبيباً (٤)

وهي الجـراحُ إذا انـدملْنَ، فإنمـا يتركْنَ فى جسـد الجريح نـدوبا (٥)

---

(١) الشؤبوب : الدفعة من المطر .

(٢) البيت فى وصف الحرب . والسعار : القرم . والرعبوب : البيضاء الناعمة .

(٣) نضا الثوب : خلعه .

(٤) يقول : إن الحضارة سريعة التدمير بطيئة التعمير .

(٥) الندوب : جمع ندبة ؛ وهي : ما يتخلف عن الجرح من الأثر .

أَمَمٌ بنت ركن الحضارة عالياً ... ما بالها لم تألُهُ تخريباً ؟[1]

الأوصياءُ القيِّمون على الورى ... تركوا الورى بدمائهم مَخْضُوبا

فَرَض القوى على الضعيف رقابة ... من ذا يكون على الرقيب رقيبا؟

من للرَّعيل؟ ومن لقادته؟ لقدْ ... ضلَّ الجميعُ مسالكاً ودُروبا[2]

خلُّوا مقاليد الشُّعوب لأُمَّةٍ ... عزلاءَ تقنعُ بالكفاف نصيبا

القُوتُ عنوانُ الحياة، فما له ... أمسى يبُيد ممالكاً وشعوبا ؟

***

دُوَلٌ يحول نحوسُها وسعودها ... مثلُ الكواكب مشرقا وغروبا

يا رُبَّ جبّارٍ يصول بجنده ... أمسى بأيدى جنده مصلوبا[3]

وطِىءَالنساءُ رفاتَهُ، ولربما ... كان اسمُهُ عند الرجال مهيبا[4]

ملأت محاسنُه العيونَ مظفَّراً ... حتى إذا سَقَطَ استحلْن عيوبا

يا رُبَّ غِيلٍ بعد صيحة أُسْدِه ... قد بات يملؤه الغراب نعيبا

ومؤمِّل مُلْكَ الثرى وَلَّى، فما ... أَجْرَى دموعاً، أو أثار نحيبا[5]

لم يَلقَ قبرا فوق أرضٍ طالما ... فتحتْ له أحضانها ترحيبا[6]

***

(١) لم يأل الأمر كذا : لم يقصر فيه من هذه الناحية .

(٢) أصل الرعيل : جماعة الخيل ونحوها .

(٣) يشير إلى : موسولينى وكيف صلبه جنوده .

(٤) يشير إلى : المرأة التى وطئت رفات موسولينى بقدمها وهو مصلوب .

(٥) يشير إلى : هتلر وكيف مات فلم ينع أو يقم له مأتم .

(٦) لم يعرف إلى الآن لهتلر قبر .

حتـام نَنْعَتُ بـالبطـولـة فـاتكـاً ... يحكى الـوحـوش ضـراوة ووثـوبـا ؟

ينقضُّ من أعلـى عُقـابـاً كـاسـراً ... ويـدِبّ مثلَ الأُفْعُـوان دبيبـا؟ (١)

لا تجعلـوا سَفكَ الـدمـاء مناقبـاً ... للفـاتحين، بـل اجعلـوه ذنـوبـا

المجـد ليس لفـاتـكٍ ولـوَ انـه ... بـذَّ النُّسـورَ مخـالبـاً ونيـوبـا

والغـارُ يبـرأ مـن رءوسٍ أهلُهـا ... سـامـوا الأنـامَ القتلَ والتعـذيبـا (٢)

مـا البـاسلُ المغـوارُ إلا مصلحٌ ... مـلأ الحيـاةَ على البـريـة طيبـا

يُضفى على هـذا الـوجـودِ وجودُه ... ظـلاًّ ، ويكشـفُ عن بنيـه خطـوبـا

جـادتْ بـه الـدنيـا الضنينةُ عـالمـاً ... متضلِّعـاً، أو شـاعـراً مـوهـوبـاً

أقسمتُ، مـاقـادَ الجيـوشَ كقـائدٍ ... حشـدَ الْجهود وكـافح « المكروبـا »

***

نـزل السـلاحُ عن المنـابـر، وانبـرى ... صـوتُ الضمـائرِ والعقـولِ خطيبـا

ودعـا الـدعاةُ إلـى السلام فصـادفـوا ... من كـلِّ قلب سـامعـاً ومجيبـا

قل للكمـاة الظـافـريـن: تأهَّبـوا ... كم للسـلام مـواقعـاً وحـروبـا (٣)

والله، مـا كسَـبَ الْحـروبَ معـاشـرٌ ... ليس السـلامُ لديهمـو مكسوبـا (٤)

---

(١) الأفعوان : الحية الذكر .

(٢) سامه الأمر : حمله إياه .

(٣) الكماة : جمع كمّى بمعنى الشجاع، والخطاب للحلفاء .

(٤) يريد : أن من كسب الحرب وخسر السلم، أضاع معنى انتصاره .

قد علَّقت آمالَها بوعودكم ... أسمٌ ترى يومَ الخلاصِ قريبا

إنا نريد من السلام لُبابه ... لا لفظه، أو صكَّه المكتوبا[1]

عذراً إذا ما الشَّكُّ خامر معشراً ... عهدوا السياسة بالكلام لعوبا

كم للسلام مواثقاً عبثت بها ... ريحُ السياسة شَمْأَلاً وجنوباً

سيمتْ بها الأممُ المهيضُ جناحُها ... رقًّا على أعناقها مضروبا

لم تطفيء الحربَ الضروسَ نصوصُها ... بل زادت الحربَ الضَّروس شُبوبا[2]

إن تكتبوا للسِّلم عهدا، فاجعلوا ... دمعَ الثكالى بالمداد مشوبا

أو فانقشوا بدم الضحايا خطَّهُ ... وتذكروا يوما قضوه عصيبا

صوغوه عدلا للبرية شاملاً ... لا مرتعاً للأقوياء خصيبا

واستشهدوا الرحمنَ فيه عَلَيكُمُو ... وكفى بربك شاهداً، وحسيبا!

واستودِعوه مساجداً، وكنائساً ... وضعوا هلالا فوقه وصليبا

اللهُ قد خلَقَ الشُّعوبَ سواسياً ... لا رَبَّ بينهو، ولا مربوبا[3]

لن يستقيم لكم سلامٌ ماشكا ... شعبٌ ضعيفٌ حقَّهُ المغصوبا

لن تبلغ الشطَّ الأمينَ سفينةٌ ... تركتْ بها أيدي البُناة ثقوبا

هذا هو الماضي، وتلك عظاتهُ ... لكمو، وقد تُجدى العظاتُ لبيبا

---

(١) اللباب من كل شيء: قلبه وصميمه.

(٢) الضروس: الشديدة الفتك، شبهت بالناقة أو الفرس الكثيرة العض.

(٣) رب الأمر: ساسه. والمراد: لاسيد في الناس ولا مسود.

لاح الهلال (١)

أذيعت بمحطة الشرق الأدبى، أول العام
الهجرى ١٣٦٥هـ ـ ٥ ديسمبر سنة ١٩٤٥م

لاح الهـلالُ لنـا بـومض شعـاعِ ... يَحْكى بـريقَ الثَّغر خلفَ قنـاعِ(٢)
أحسَسْتُ خفْقَ القلب حين لمحتهُ ... يـزدادُ بينَ جـوانب الأضلاع
تبـدو الأهلَّـةُ في السمـاء وتختفى ... ويسيـرُ ركْبُ العمْـر فى إسـراع
مـا الحَـوْلُ حين يحولُ إلا بَضعـةٌ ... مـن كلِّ نفْسٍ آذنَتْ بـوداع! (٣)
يأيهـا العـامُ المُطِلُّ، تحيـة ... من خيـر سكـان بخيـر بقـاع
أملُ العـروبـة فيك أعـرَضُ جـانبـاً ... من سـؤدُد تبكـى عليـه مُضـاع
أمـلٌ تكـادُ تُحِسُّ وقـعَ دبيبـه ... بين القلـوب منـافـذُ الأسمـاع
مـاذا ادَّخـرتَ لآمليك ؟ سلمتَ من ... صَوْبِ الـدِّماء، وسيلها الـدفَّاع! (٤)
ستٌّ سواك خَلَتْ، فمـا تركتْ سوى ... مُلتـاعـةٍ فى الكـون أو مُلتـاع!

---

(١) نشرت هذه القصيدة فى هذا الباب؛ لما عرضت له فى كثرة أبياتها من ذكر الحرب وآثارها، وإن كانت خاصة باستقبال العام الهجرى .

(٢) الومض : اللمعان الخفيف .

(٣) آذن بالشىء : أعلم به .

(٤) الصوب : المطر .

فتِّشْ بـربك : هل تَرى فى الشـرق أو ... فى الغــرب غيـرَ مشـرديـن جيـاع ؟

ركن الحضـارة مال فـى ساح الـوغى ... أتقيمُ حـائطَ ركْنهـا المتـداعى ؟[1]

إن الـــذى شـادتْ يمينُ العلـم فى ... حقَبٍ ، محتْـهُ شِمـالـه فى سـاع [2]

***

الغـرب أُولِعَ بـالــدمـاء ؛ فمـا تـرى ... إلا قـــراعـــاً فيـــه إثْـــرَ قـــراع

يبتـــاع بـــالعمـــران نصـــراً زائفـــاً ... خسرت ـ لعمرك ـ صفقةُ المبتاع[3]

لا حـــربــــه أبْقت ، ولا بســـلامــه ... شُفيتْ لنـــا كبِـــدٌ مـن الأوجـــاع

وَيْحَ السـلام! جنى القـوىُّ ثمـارَهُ ... وكـوى الضعيفَ بجمــره اللَّـذاع

ما بـال من أبدى الشجاعـة فى الوغى ... خـاضَ السـلامَ فكان غيـرَ شجـاع ؟

الحـرب يفتك بـالنفـوس صِراعُهـا ... والسلم فـــاتكـــةٌ بغيـــر صِـــراع

خَطُّوا الـوثائقَ فى المحيـط ؛ فحينما ... أَمنُـوا العـدوَّ رَمَـوْا بهـا فى القـاع[4]

مضت الحـروب بقـدْسهـا ؛ فإذا بهـا ... فى السلم بضعـــةُ أسْطـر ورقـــاع

كُتِب الشقـــاءُ لأمـــة مهضـومـــة ... تجـــرى وراءَ ســـرابهـــا الخَـــدَّاع

---

(١) ساح جمع ساحة : بمعنى الناحية أو الفضاء

(٢) جمع ساعة .

(٣) يبتاع : يشترى .

(٤) يشيـر إلى : الميثـاق الذى عقـده الحلفـاء فى الأطلنطى، وكفلـوا به الحـريـات المختلفة للشعوب .

قالوا: السلامُ . فقلتُ: كم هتفوا به ... ودعا له فوقَ المنابر داع

فإذا الدعاة إلى السلام عُداتُهُ ... ليس المخالفُ أمرَه بمطاع

يا رُبَّ سلم أعلنوا ميلادَهُ ... فنعاه من قبل الفطام الناعى

إن التناحُرَ فى النفوس طبيعةٌ ... والناسُ ـ مذْ خُلقوا ـ عبيدُ طباع

لا الماء جفَّ من الحياض، ولا الثرى ... ضنت منابتُهُ على الزُّراع

لم يفقد الناسُ الحطامَ؛ وإنما ... قَلَّ الحطامُ بكثرة الأطماع

أفنَى مواردَ كلِّ شعبٍ ناهضٍ ... جَيْشَا: هجومٍ حولَه، ودفاع(١)

***

قل للمبشر بالسلاح وحدَّه: ... ليس السلاحُ وسيلةَ الإقناع

«الله أكبر» ـ وهْى بضعَةُ أحرفٍ ـ ... دكَّتْ بناء معاقلٍ وقلاع(٢)

فَتحٌ لوَ ان السيف جرِّد وحدَهُ ... فى مدِّه، ما امتدَّ قيدَ ذراع(٣)

شقَّ الأذانُ إلى القلوب طريقَهُ ... وكأنه ضَربٌ من الإيقاع(٤)

---

(١) جيشا: مثنى فاعل أفنى، محذوف النون للإضافة . يندد بما تنفقه الأمم فى سبيل التسليح؛ مما كان يمكن استغلاله لرفاهيتها.

(٢) جملة «الله أكبر»: مبتدأ مقصود لفظها ، وجملة «وهى بضعة أحرف»: معترضة، وما بعدها خبر .

(٣) قيد : قدر .

(٤) من معانى الإيقاع: بناء ألحان الغناء .

صوتٌ إذا ما انسابَ فوقَ منارة | أزْرَى بصوت حمامها السَّجَّاع
البيدُ أهدت للوجود مشرِّعا | ماخطَّ فوق صحيفة بيراع
جادت به كصَفاتها في عزمه | وكشمسها في الدفء ، والإشعاع[1]
من مكَّةَ انبعثَتْ أشِعَّةُ هديِهِ | فتَغلغَلت في سائر الأصقاع
فَتَحَ القلوبَ محمدٌ بمبادئ | كمجُاج نحل ، لا لعابِ أفاع
الناسُ في الدنيا سواسية ، فما | مِن عِلْية في شرعه ورعاع
والأمرُ أمرُ المسلمين جميعِهم | والفَيْءُ يُقسمُ بينهم بالصاع[2]
وأميرُهم منهم وإن كانوا له | نِعْمَ الرعيَّةُ وهْو نعم الراعي
ملأ ابنُ آمنةَ الزمانَ حضارةً | وبنو الزمان سوائمٌ بمراع
وأجدَّ للتاريخ دينُ محمد | عصراً له في العلم أطولُ باع
تلكَ الحواضرُ، يا رعاة الشاءِ، مَنْ | أرسى قواعدَها بكَفِّ صَناع[3] ؟
أمسَتْ ومتعةُ كلِّ عينٍ حُوُرها | وحِوارها للروح خيرُ متاع
طفَحتْ بألوان الحياة صِحافُها | فمذاقها متعدِّدُ الأنواع[4]
مُدُن يحفُّ بها الجلالُ ، أديمها : | أبراجُ أقمارِ، وغِيلُ سباع

***

(١) الصفاة : الصخرة .
(٢) الفيء : الغنيمة .
(٣) الحواضر جمع حاضرة ، والرجل الصناع : الصانع الماهر .
(٤) صحاف جمع صحفة : ما يقدم فيه الطعام .

ذكـرى ومـوعظـة أسـوقهمـا إلى ... قـومى، فهـل للقـوم سمعٌ واع ؟

هل يُجمعون لدى الخطوب أمورهم؟ ... فـالخيـرُ كلُّ الخيـر فى الإجمـاع

أبنـاءَ يعْـربَ، لا حيـاة لأمـة ... بـالـذكـريـات؛ بل الحيـاةُ مساع

فَثِبُـوا إلى الأهـداف وثْبَ مغـامـر ... لا واجبٍ قلبًـا، ولا مُـرتـاع(1)

لا تطلبـوا بـالضعف حقًـا ضـائعًـا ... مـا للضعيف الحـولِ من أشيـاع

مَن عـالج البـابَ العصىَّ فلم يلنْ ... ليـديـه، حطَّم جـانب المصـراع

الشِّـرْك في الأوطـان شِـرْك آخـرٌ ... وطنُ الكـريم الحـرِّ غيـرُ مشـاع(2)

فيم الجمـودُ ودينكـم متصـرِّف ... وزمـانُكُمْ متغيِّـرُ الأوْضَـاع ؟

ولقـد تطـوَّرت الحيـاة، وفُلْككم ... مـا زال يْمخُـرُ مـاءَه بشِـراع

تُـرمى الحنيفـة بـالعيوب؛ وإنمـا ... عيْبُ الحنيفـة : غفـوة الأتْبـاع

الله صـوَّرَ أرضكـم من جنَّتىْ ... عـدْنٍ، فـأبـدعَ أيَّمـا إبْـدَاع

وَحَبـاكُمـو من عنـده بـرسَـالـةٍ ... قـدُسٍ، وفضل فى الكتـاب مـذاع

* * *

---

(1) وجب قلبه : دق؛ كناية عن الخوف .

(2) المراد بالشرك الثاني : الشرك بالله ؛ أى : الكفر .

محنة فرنسا[1]

الرسالة ١٦ من سبتمبر سنة ١٩٤٠م

رُحمـاك ربِّ ! إلامَ نصلى نـارَهـا؟ فَنِيَ العبـادُ، ولـم تَضَعْ أوزَارَهـا[2]

غـابت ملائكـةُ السمـاء، وأصبحتْ تَـذْرُو أبـالسـةُ الجحيم غُبـارهـا

قبضَتْ على سُكّـانهـا يـدُ مـاردٍ جَعَلَ الصَّبيبَ من الـدماء بحاره[3]

في كـل وادٍ ثـورةٌ مشبـوبـةٌ لا يطفىءُ البحـرُ الخِضَمُّ شَـرارهـا

حتى كـأنَّ الأرضَ من إعيـائهـا سكنَتْ، وأخطأَت النجـومُ مـدارهـا

كُتب الفنـاءُ على البريـة . ويحهُمْ! مـا بـالهم يستعجلـون دمـارهـا؟

زُمَـرٌ من الأسمـاك نـاطقـة إذا مـا جاعت ازْدرد الكبـار صغارهـا[4]

* * *

حـربٌ رأيتُ الجـوعَ بعض سهـامها فـرضَتْ على المتـراشقين حِصارهـا

غـدت الجبـال الشامخـاتُ سفينَها والـزاحفـات من الحـديـد مهـارهـا

الـزيتُ والبتـرولُ من آلاتهـا والعلْمُ ينفخ إن خَبَتْ أكـوَارهـا[5]

قـد سيَّـرت فـوق الثـرى دبَّـابَهـا وإلى الكـواكب صَعَّـدَتْ طيَّـارهـا

---

(١) أنشئت هذه القصيدة عندما سقطت فرنسا أمام الزحف الألمانى سنة ١٩٤٠م.

(٢) الضمير المؤنث في البيت وما بعده: يعود على الحرب وإن لم يسبق لها ذكر.

(٣) سكان السفينة : دفتها.

(٤) ازدرد : ابتلع.

(٥) الكور : مجمرة الحداد.

ملأت قذائفُها العبَاب؛ فعكّرتْ زَبَدَ البحار وكدَّرت أغوارها

يا بحرُ، ما فعلتْ مياهُك ـ ويحَها ـ بُرفاتِ قوم يسكنون قرارها؟

كم لابن آدمَ في المحيط عجائبا قلَّتْ أعاجيبُ المحيط جِوارها

ضجّتْ بناتُ الماء منه، وأَوشكتْ تجفو الطيورُ لأجله أوكارها[١]

***

يا رُبَّ شعبٍ في حِماهُ وادعٍ جَرَفَتْهُ لجُتُها فخاض غمارها

ومُحاربينَ لغيرهم أسلابُها لكنهم يتحمَّلونُ خَسارها[٢]

وذوي عروشٍ طوَّحتْ بعروشهم وتخطَّفتْ من حولها أمصارها

تتطاير التيجانُ عن أربابها كالقِدر تنفثُ في الفضاء بُخارها

عِبَرٌ على مرّ القرون تشابهتْ حتى أجاد العالمُ اسْتظهارها

ورواية من عهد ذي القرنين، ما بَرِحَ الزمانُ مردِّداً أدوارها[٣]

أو كلما كادت تَتِمَّ فصولها مُنيتْ بشيطان يزيح ستارها؟

***

سائل ضفاف «السِّينِ»: كيف استهدفت للغزو، واقتحم العدا أسوارها؟

خطٌّ حسِبنا الجنَّ لو مرتْ به ولَّتْ أمامَ حصونه أَدبارها[٤]

أترى «فرنسا» أطبقت أجفانَها من خلفه، وتجاهلتْ أخطارها؟

---

(١) بنات الماء: كناية عن الحيتان وما إليها من الأحياء المائية.

(٢) يشير في هذا البيت ـ وما قبله ـ إلى الدويلات التي يجرفها تيار الحروب، والتي يعترف بها عند خوض غمارها ويتجاهل وجودها عند توزيع الأسلاب.

(٣) يريد بهذه الرواية: مطامع هتلر في أن ينضوي الغرب والشرق تحت لوائه؛ وهو أمل من عهد الاسكندر المقدوني، يداعب خيال عظماء الرجال.

(٤) يشير إلى: خط «مجنو» الذي أقامه الفرنسيون فاصلا بين حدودهم وحدود الألمان، وكيف أنهار أمام مدافع هؤلاء، وكان المظنون أنه لا تعمل فيه النيران.

هيهات! لا الحصنُ المنيعُ أقالها ... كلا، ولا الأدبُ الرفيع أجارها

لا تعدَمُ المرآةُ كسرَ زجاجها ... يوما وإن كان الحديدُ إطارها

إن المعاقلَ لا تُحصِّنُ أهلها ... ما لم تحاكِ قلوبُهم أحجارها

قالوا: مهادنةٌ. فقلنا: حبذا ... لو أن هدنتَها تقيل عِثارها[1]

هيهاتَ! ما أرضت بذاك خصومها ... كلا، ولا اسْتَبْقتْ به أنصارها

ماذا تقولُ إذا الجدودُ تعثَّرت ... وإذا المشيئة أنفذت أقدارها؟[2]

وإذا قضاءُ الله أحدَقَ بالشرى ... لم تلْقَ آسادُ الشرى أظفارها

كالوا الملام لها، فقلت: تريَّثوا ... يا قوم، والتمسوا لها أعذارها

أو ما كفاها أنها ما سلَّمت ... حتى طَلَتْ بدمائها أنهارها؟

إن قيل: عارٌ أن تسلِّم أمةٌ ... نهَضَ الدمُ المسفوحُ يغسل عارها

إني لأشفق أن يكون مصابُها ... أزرى بجوهرها، وشان نضارها

وَمَحَا مَحَاسِنَها فعدن مساوئاً ... وأحال لؤلؤها؛ فصار محارها

من يكبُ لم تعذره عِتْرَتُهُ، ومن ... ينهضْ تقلدْهُ الأعادى غارها[3]

والنفس تعجبُ بالقويّ وإن يكن ... جلادَ تلك النفس أو جزارها

***

أسألت «باريس» المهيضة: مالها؟ ... سَلْ أهلها: هل قوّموا منهارها؟

سلها بربك: كيف ذلَّ عزيزُها ... وتحمَّلتْ أسْدُ العرين إسارها؟

كيف الغوانى والمغاني بعدما ... طمَس المغيرُ بجيشه آثارها؟[4]

---

(١) يشير إلى: الهدنة الذليلة التى عقدها الفرنسيون مع الألمان بعد الهزيمة؛ فأفقدتهم عطف الانكليز، ولم تخفف من وطأة احتلال الألمان.

(٢) الجدود: الحظوظ.

(٣) عترة الرجل: رهطه الأدنَوْن.

(٤) الغوانى: جمع غانية، والمغانى: جمع مغنى، والمراد بالأولى: فاتنات باريس وبالثانية: قصورها.

بـالله، هل عـاث العـدوُّ بأرضهـا ؟ وهل استـرق ببأسـه أحـرارهـا؟[1]

مـاذا أصـاب مـدينـةَ الأزيـاء؟ هل أبلى القتـالُ المستحـرُّ إزارهـا؟[2]

هل أظلمت آرادُهـا؟ ولطـالمـا حسـد النهـارُ وشمسهُ أسحـارهـا[3]

وهل المخـابىءُ أصبحت مأوىً لمن كـانت مقـاصيـر المسـارح دارهـا؟

راعتْ أراملَهـا الحـروبُ وخلَّفت ـ في حسـرة لا تنقضى ـ أبكـارهـا!

من كل نـافـرة يـدُق فـؤادُهـا لم ينفـر الظَّبىُ الغـريـرُ نفـارهـا

نفرت من الحـرب الضَّروس! وطـالما كـان النفـارُ من الـدلال شعـارهـا[4]

مـا للتى ألـفَ المـزاهـرَ سَمعُهـا وزئيـرَ آلات الوغـى، وخُوارهـا[5]

حملت همومَ الحـرب فى « باريسَ » مَن كـانت يـداهـا تشكُوان سـوارهـا؟

كم غبَّـرت بـدخـانهـا وجهـا، إذا بصرَتْ بـه شمس السمـاء أغـارهـا

سـائلْ عـن القبـلات أهليهـا: أمـا زالت تحسُّ شفـاهُهم تيـارهـا؟

كيف القلـوبُ الخـافقـاتُ صبـابـةً تُفْشى مـواعيـدُ الـدجى أسـرارهـا؟

شهـدت خمـائلهـا مـواقـعَ للهـوى مـا حـركت من خيفـة أطيـارهـا

شتـان بيـن مَـواقَـعٍ ومَـواقِـعٍ كلتـاهمـا تشكـو الضلـوعُ أوارهـا[6]

* * *

مـا كنت، يـا بـاريسُ، إلا روضـةً مُنيتْ بسـائمـة رعَت أزهـارهـا

---

(١) عاث: أفسد.

(٢) استحر القتل: اشتد.

(٣) آراد: جمع رأد، ورأد الضحى: ارتفاعه.

(٤) الضروس: الكثيرة العض؛ شبهت الحرب بالناقة العضوض وما إليها.

(٥) المزاهـر ـ من آلات الغنـاء ـ: جمع مـزهر، والزئيـر: معروف، والخـوار: صوت البقر.

(٦) الأوار: اللهيب، والمراد بـالمواقع الأولى: المواقع الحـربية، وبالثانيـة: المواقع الغرامية، والنار فى الأولى حقيقية، وفى الثانية مجازية.

أَصْمَى الحضـارةَ من رمـاك؛ فإنهـا منك استُعيرتْ . مَن سواك أعـارها؟

وجنت يـداه على علـوم طـالمـا أجريْتِ شـرعتها وشدتِ جـدارها[1]

مـا ضـرنى أن لـم أزرْهـا طـالبـاً وقـد اقتبستُ العلم ممـن زارهـا

بـاريس، أين دِمَشـقُ أو بغـدادُ؟ هل قصَّت عليك رواتهـا أخبـارهـا؟

المُــدْن مثلُ النـاس فـى آجـالهـا تفنى البـلاد إذا قضت أعمـارهـا

❊ ❊ ❊

(١) الشرعة ـ فى الأصل ـ: مورد الماء يستقى منه .

حول غارات الاسكندرية :

فاجعة الثغر !

الأهرام ١٣ من يونية سنة ١٩٤١م

الثغـــــرُ أيـن مَضَـى رُواؤهْ ؟	أوَ لم يفـــارقـــهُ شتـــاؤهْ ؟[١]
كـــانـت تمـــوجُ ظبـــاؤهُ	مـــا بـــالـــه نفــرَتْ ظبــاؤه؟
قـــد ظلَّـل الثغـــرَ الـــوجــو (م)	مُ، ولـف شـــاطئَـــــه رداؤه[٢]
رق الهـــــواء بـــــه فلم	ينفـــــذْ إلى رئةٍ هـــــواؤه
ويحـى عليــــه مـن الـــوغـى	طـــالـتْ، وطــال بهـــا اصطـلاؤه
أرأيـتَ إذ هَتَـفَ النـــــــذ (م)	يـــرُ فعـــاد إعـــوالا غنـــاؤه ؟[٣]
وجـــلا الشـــرارُ ظـــلامَـــهُ	حتى غـــدا كَـــدَراً صفـــاؤه
يـــرميــــه بـــالنيـــران ســـا (م)	حلُـــهُ، وتـــرجُمُـــهُ سمـــاؤه[٤]
جَمْـــــــــــــر يُشَـبُّ أوارهُ	مـن كـل إنسـيًّ شـــــواؤه[٥]
جـــانُـــوهُ فـي دَعـــة وأمْـــــ (م)	نٍ، والضحيـــة أبـــريـــاؤه[٢]

---

(١) يقول : انقضى فصل الشتـاء ، وحل فصل الصيف ؛ وهو فصل نشـاط الثغر، فأين مظاهر هذا النشاط ؟ وأين جمال الثغر المعهود ؟

(٢) الوجوم : السكوت .

(٣) المراد بالنذير : صوت زمارات الإنذار .

(٤) يشير إلـى : القذائف المتساقطـة من الطائرات ، والقـذائف المنبعثة من المـدافع المضادة للطائرات .

(١) الأوار : اللهيب .

(٢) يريد بالجانين : من تسببوا فى إشعال هذه الحروب ، وإضافتهم إلى ضمير الثغر؛ لمجرد إقامتهم فيه .

كـم ميِّـت بـــــرَدتْ جــــوا	رحـــــهُ ولـم يبــــرُدْ عشــــاؤه
ربع الــــرجــــالُ بــــه، وعـن	أطفـــــالهـــا ذُهلتْ نســـاؤه!
هـــامـــوا كمـــا هـــام القطيــــ (م)	ــــعُ تخلفت عنـــــه رعـــاؤه
يجـــرى الشــريـــدُ بــــه، فــلا	يـــدرى إلى أيـن التجـــاؤه ؟
أشقـى بنيــــه مَـن نجـــــا	فأطــــال لـــوعتَــــه نجـــاؤه
مــــا طـــالَ حبلُ حيـــاتِـــهِ	بل طـــال فى الـــدنيـــا شقـــاؤه
مـن ضلَّ عنـــــه مـــالـــــه	وقضى بنـــوه، فمــــا بقــــاؤه ؟
ألِفَ السهـــادَ؛ فـــإن غفـــا	فـــالأرضُ أجْمَعُهـــا وطـــاؤه[1]
تخـــذ السمــــاء غطــــاءهُ	من كــــان من خــزٍّ غطــــاؤه[2]
وكســـــا البِلى بأديمـــــه	مَـن كــــان لا يبلى كســــاؤه
وطـــوى الحشـا مَـن كـــان مِن	مَنٍّ ومِـن سَلْـــوى غـــذاؤه[3]
يَــرْجـــو العطـــاءَ مِنَ الشحيــــ (م)	ــــح، وكـــان مـــرْجُـوًّا عطــاؤه
هيهـــات! يـــومىء بـــالســؤا (م)	ل، فــــلا يطـــاوعُـــه إبـــاؤه
مـــا مـــد راحتَـــه الطــوى	إلاّ ثَنَتهـــا كبـــريــــاؤه
قـــد ضـــاع مـــا ملكت يـــدا (م)	هُ، ولـم يضع منـــه حيـــاؤه
مَـن كـــان يحييـــه هـــوا (م)	ءُ الثغـــر، صـــار بــه فنــاؤه[4]
ويـح الهـــواء غـــداة جُـــ (م)	ـنَّ جنـــونُـــه وعـــوى عُـــواؤه
لا الــــرعـــدُ يحكيــــه، ولا	كـــالسَّهم منطلقًـــا مَضـــاؤه

---

(١) الوطاء : المهاد .

(٢) الخز : نوع من الحرير .

(٣) المن : طعام يشبه العسل، والسلوى : طائر شهى يشبه الحمام .

(٤) يشير إلى : تخلخل الهواء بفعل القذائف، وما يحدثه من تدمير، بعد أن كان هواء البحر حياة للنفوس .

القصـــرُ ذو الشــرفـــات كيــــ (م) ـــف هـــوى بسـاكنــه بنـاؤه ؟[1]

فى الثغــر تحت الصخــر حشـــ (م) ـــرجةٌ يـــردِّدهـــا فضـــاؤه

يـــــا رُبَّ طفل تحتَـــــــه نـــــادى فلم يُسمع نـــداؤه

يـــــــا رُب جسم منحــنٍ لم ينج صـــاحبَـــه انحنـــاؤه[2]

يـــا رُب صخـــــر أحمـــرٍ من جـــرح غـــانيـــة طـــلاؤه

يـــا رُب وجـــــهٍ مشـــرق تحتَ الـــرمـــال خبـــا ضيـــاؤه

كـــانت تَغشيـــــه العطــــو (م) ر، فصـــار من تُـــرب غشـــاؤه

أثـــوابـــــهُ من فـــوقـــه كفـنٌ ومَــــدْفنـــــه خبـــاؤه

مـــا للشيــــوخ وللـــوغـى ؟ الشيـخ مـأمـــونٌ عِـــداؤه

مـــا للــــرضيع بمهــــده يشتــــدُّ بـــالهَيْجـــا بـــلاؤه ؟

لا ثغـــــرَ يفتحُـــــهُ ولا عـــرشٌ يتـــاح لـــــه اعتـــلاؤه

يكفيـــه مُلْكـــا ثــــدىُ أمٍّ (م) زادُه فيــــــه ومـــــاؤه

* * *

الثغـــر بــــات يئـنُّ! أهـــــ (م) ـــلونا وأنفُسنـــا فـــداؤه!

هـــامى الـــدمـــوعِ، وإنمـــا من فيضِ أعيُنِنَـــا بكـــاؤه

دامـى الجـــراح ومـن شَغـــا (م) ف قلـــوبنـــا نـــزفت دمـــاؤه[3]

يـــا مَنْ إذا مـــا الصيف طـــا (م) رَدكـمْ أظلَّكمــــو لـــواؤه[4]

أدُّوا إليـــــــه دَيْنـــــــه والـــدَّينُ محتـــومٌ أداؤه

---

(١) يرجع تداعى المبانى إلى تخلخل الهواء بفعل القذائف ، لا إلى القذائف مباشرة .

(٢) جسم منحن : كناية عن الشيخ الهرم .

(٣) شغاف القلب : ما يغطيه من جلد رقيق .

(٤) الضمير فى (لـواؤه) يعـود على الثغـر ، وهـذا البيت ومـا بعـده حث على التبـرع لمنكوبى الثغر .

قـل للـــــذيـن أُوَوْا مســـــا (م) جـــد ربهم : هـــذا قضـــاؤه[1]
أنتـم بســـاحتهـــا ضيـــو (م) ف الله يغمـــركم سخـــاؤه
أدْعُـــوه لـــلإنسـان فَـــالــــ (م) مَظلـــوم مقبـــولٌ دعـــاؤه
ويـح ابـنِ آدم! مَـن لَـــــه بـــالجهـلِ؟ إن العلـمَ داؤه[2]

(١) فى تلك الآونـة : ضـاقت المسـاكن بـاللاجئين، ففتحـت الحكومـة لهم أبـواب المساجد العامة .

(٢) يشير إلى : أن تلك الاختراعات السريعة التدمير ، وليدة التبحر فى العلوم .

فى استقبال العام الهجرى :

الهلال الأحمر (1)

الأهرام ٣ من مارس ١٩٤١م

أهــــلا بمطلِعكَ السعيـــدِ	يـــا غـــرَّةَ العـامِ الجـديـد (2)
عُـدْ بـالسلام على الـورى	وانشـــرْهُ خفّـاقَ البنــود (3)
واعمـر خـراب النفس يـا ابْـ (م)	نَ الشمس بـالأمل الـوطيـد (4)
أَوْمِضْ علينـا ومضـة الْـ (م)	إيمـان فى ليـل الجحـود
عَبَسَ الـوجـودُ؛ فكـان نـو	رُكَ بسمـة بفم الـوجـود
قـد لحتَ مثلَ البـرق فى	جـوِّ العـواصف والـرُّعـود (5)
وطلعت فى حـذَر تطلّ (م)	على البـريَّـة من بعيـد
لا تستبينُ على البسيـ (م)	ـطة غيـرَ خُـوذات الجنـود
غيـرَ الشـرار تمجُّـهُ	فى الجـو أفـواهُ الحـديـد (6)
آلـى يمينـاً، مـالـه	غيـرَ ابن آدم من وَقـود (7)

---

(١) يريد : أنه هلال مصبوغ بالدمـاء . وقد نشرت هذه القصيدة ، فى هذا الباب ؛ لأن الحديث عن الحرب يستأثر بمعظمها أو بها كلها .

(٢) الخطاب للهلال : والغرة بياض فى جبين الفرس .

(٣) البنود : جمع بند بمعنى الراية .

(٤) القمر : ابن غير مباشر للشمس ؛ فانه ابن الأرض ، والأرض بنت الشمس .

(٥) المراد : العواصف والرعود الحادثة من الحروب ، لا الطبيعة .

(٦) يريد : قذائف المدافع .

(٧) آلى : حلف . والوقود ـ بالفتح : ـ ما تتقد به النار .

لا تستبين سـوى دم | قـانٍ تفجّـر من وريـد
أو رأسِ إنسـان يطيـ (م) ـر، كأنـه كـرةُ الـوليـد
أو بنيَـة مـن نـاطحـا (م) ت السُّحب تـومىء بـالسجـود[1]
هيجـاء تلتَهمُ الـورى | وتقـول : هل لـى من مـزيـد ؟
يـا نجمُ ، ويحك ! لا تغُـرْ | يـا أرض، ويحك !لا تميـدى[2]
السلم طـالَ شـرودُهُ | لهفـى على السلم الشـريـد

***

لاح الهـلالُ مقـوَّسـا | كقـلادة الـدُّرِّ النضيـد
بين النجـوم كـأنهـا | حَبٌّ تنـاثـر من عقـود
حيـرانَ يبحث فـى زوا (م) يـا الأُفْقِ عن نحـر وجيـد
مـا بـالنـا نـرنـو إليـ (م) ـه، بمقلة الحـذر الشديد ؟[3]
نتنسم الأخبـارَ منـ (م) ـه كـأنـه سـاعى البـريـد
كم من جـريح سـوف تَـنْـ (م) ـرك يـا هـلالُ ومن فقيـد ؟
نطليك بـالأصبـاغ لـو نجـ (م) ـدُ السبيلَ إلى الصعـود
أنـا مـن محـاقك صغـتُ ــ لا | من نـورك الـزاهى ــ نشيـدى
مـا عـاد نـورُك فتنـةً | يغـرى بـإنشـاد القصيـد
ويثيـر أشجـان الهـوى | والشـوقِ فى القلب العميـد[4]
طلع الهـلالُ فأمطـرى الـ (م) ـدمَ، يـا سمـاءُ، على الصَّعيـد

---

(١) كنى بقوله : « تومىء بالسجود » عن الانهيار .
(٢) غار النجم : هوى .
(٣) يشير إلى : كثرة الغارات فى الليالى المقمرة مهتدية بنور القمر .
(٤) القلب العميد : هو الذى هده العشق .

هـــاتى القـــذائفَ واحـــرمى الْــــ (م) أجفـــــانَ من طِيـبِ الهجُـــــود
عيـــــدٌ أطلّ وقـــــد تعـــوَّ (م) دْنـــــا الإغـــارة كـلَّ عيـــــد
عبثت بمصـــرَ؛ فـــروَّعتْــــــ (م) ـــــها كفُّ شيطـــان مـــريـــد[1]
لـم يَـــرْعَ مـــاضَيهـــــا، ولـم يحفِل بحـــاضـرهـــا العتيـــد[2]
بلَـــدُ الشـــرائعِ والهـــدى وكنـــــانـــــةُ الله الـــــودود
قـــرَّتْ بمصـــر خـــلافـــةُ الْــــ (م) إســـلام من عهـــد عهيـــد[3]
ومشـى المسيحُ بهـــــا، ومـــو (م) سى فـى ثـراهـــا الطُّهْـر نـــودى
مـــا ضـــاق ذرعـــا بـــالنصـــا (م) رى رُحبهـــــا، أو بـــاليهـــود

***

جبـــارَ رومـــا، خـــاب قبـــــ (م) ـــلَكَ كـلُّ جبـــار عنيـــد
مـــاذا أفـــدتَ بمـــا حشـــد (م) تَ من الجيـوش علـى الحـدود؟[4]
أحجمـت فـى ضعف النَّعـــــا (م) م، وصُلْتَ فـى عـزم الأســود[5]
يـــا من تحـــدَّى الكـــون حتى خلتُـــه بـــالكـــون يُـــودى
أفهــــــذه عقبـى النـــــذ (م) يـــرِ وتلك آخـــرة الـــوعيـــد؟
أخـــذتْكُمـــو من جـــانب الـــ (م) سَّلـــوم صيحـــة قـــوم هـــود
فـــإذا الحصـــونُ المـــانعـــا (م) ت بهـــا استحلْنَ إلـى لحـــود
وإذا العيـــونُ الجـــاريـــا (م) ت بهـــا استحلـن إلى صـــديـــد

---

(١) يشير إلى: موسولينى وغارات الطليان على مصر.
(٢) العتيد: بمعنى الحاضر؛ فهى أشبه بتوكيد لفظى.
(٣) يعدد مظاهر قدسية مصر، التى كانت تقتضى أن تكون القاهرة موضع احترام دولى؛ فلا توجه إليها غارات. ويشير فى البيت إلى: استقرار الخلافة الإسلامية بمصر من أيام الظاهر بيبرس.
(٤) المراد: الحدود الغربية.
(٥) كان المنتظر تقديم الصيال على الإحجام، ولكن الواو لا تفيد ترتيبًا ولا تعقيبًا.

أحسبتهم أخلَــوا لــك الــــ (م) سّلــوم عـن كــرم وجــود؟[١]
صيْــدٌ ظفــرتَ بـــه، فلـم تظفَـــرْ بـــه أيـدى الفهــود
كـــانت بنـــانُك حينمـــا قبضَتْ عليـــه بنـــانَ خُــود[٢]
مِثْلُ القنـــافـــذ مُـــدْنُ وا (م) دى النيل شَـــائِكـــةُ الجلـــود

***

منَّيتَ قـــومَك بـــالـــوعـــو (م) د، فـأين تحقيـق الـــوعـــود ؟
قـــد قمت تختطـفُ الحــرو (م) ب، ففـزْنَ بـالعُمُـر المـديـد
لـم تمحق اليـــونـــانَ حـــر (م) بُك؛ بـل حبتهم بـــالخلـــود[٣]
أشبـــالُ «إسبـــاطـــا» حـــذَوْا فى حـــربهم حَـــذْو الجـــدود
القـــاطعـــون طـــريقَكـم كـــالمـــرتقى الصعْبِ الكئــود
التـــاركـــون الأرضَ مـن دمكـم مُـــوردَّةَ الخـــدود
مـــا بـــال جنـــدك أجفلـــوا فى البيـد كـالسِّرب الطـريـد؟[٤]
وتـــراجعـــوا كـــالسيْل لـم يقـــدر على دَفْع السُّـــدود؟
كَلَّفْتَ جيشَـك مـــا تـــريــــ (م) دُ، وَليس جيشُك بـــالمـريــد[٥]
فمشـى يجـــرُّ إلـى الـــوغـى أقـــدامَـــه مشْىَ القعيـــد
مشـىٌ وئيـــــــد لـم يكـن عنـــد الهـــزيمـــة بـــالـــوئيـد
يتســـاءلـــون: عـــلام جـــرَّ (م) دْنـــا السيـــوفَ من الغمـــود؟
لا يبغضـــــون عـــــدوهـم أو يعـــرفـون عـــلام عُـــودى؟[٦]

---

(١) استولى الطليان على تلك المدينة أولا، ثم انتزعت من أيديهم .
(٢) الخود : جمع خود ـ بفتح وسكون ـ وهى : المرأة الناعمة .
(٣) المراد بـالخلود : خلـود الذكـر الحسن؛ لما أبـداه اليونـان من البطولـة فى حرب الطليان .
(٤) أجفلوا : تفرقوا فزعا .
(٥) يشير إلى : إقحام موسولينى نفسه فى الحرب على غير إرادة شعبه .
(٦) عودى : ماض مبنى للمجهول، ضميره يعود على العدو .

نــار الحــروب وَقــودهــا حَطـب الضغـائن والحقـود

والــروح يــوم الــزحف قــد تغنى عـن العـدد العـديـد

« الــرَّيخ » يحسب أنــه آوى إلـى ركـن مشيـد[1]

فليشهــدوا بعيــونهم أيـن السمـاع مـن الشهـود؟

حــاكيت بــازيَهم بــلا ظفــر ولا نــاب حـديـد[2]

وذهبت تقتنـصُ الطيـــو (م) رَ فكنتَ من حَبِّ الحصيـد

لستَ العُقــابَ؛ وإنمــا قلَّــدت تقليــدَ القــرود

***

مــا أقبحَ الأحــرارَ حــو (م) لَ «السين» تخضع للعبيـد! [3]

والسيــدَ الحــرَّ الأبىَّ (م) زمــامــهُ بيــد المسُــود!

دخلــوا على الأسْـد الشَّرى وقعـدت أنت على الـوصيـد[4]

حتى إذا ظفــروا، رأيــ (م) ـت الخيـر فى تـرك القعـود

فـدلَفْتَ كـالسِّـرحـان تنهَــ (م) ـلُ من دم الشعب الشهيـد[5]

ورجَعْـت رجعــةَ ظــافــر تختــال فـى وشـى البـرود

حتـى كـأنـك مَـنْ رمـى « مجنـو » ، ولاذ « بسجفـريـد »[6]

مــا كنت بــالشَّهم النبيــ (م) ل، ولا بـذى الـرأى الشـديـد

---

(١) يريد بالريخ : الألمان .

(٢) يكنى ببازى الريخ عن : هتلر .

(٣) يشير إلى : اشتراك إيطاليا مع ألمانيا فى احتلال فرنسا .

(٤) الوصيد : الباب .

(٥) السرحـان : الذئب . يشيـر بهذا البيت ــ وما قبلـه ـ إلى عـدم دخول مـوسولينى الحرب، إلا عندما أشرفت باريس على السقوط .

(٦) « مجنو » : حصون الحدود الفرنسية و « سجفريد» : حصون الحدود الألمانية .

ليثٌ تناولَ زاده ورمى بفضلته لسيد[1]
مَن حكَّم الطليان في شُمّ أباة الضيم صيد ؟[2]
لو كنت وحدك خَصْمهمْ ما كنت بالخصم اللدود
ما زال في أقدامكم من أسرهم حزُّ القيود[3]

***

أو ما شكا الأسطولُ من طول التثاؤب والرقود ؟
ما باله أَلِف الثغو (م) رَ كأنهن ثغورُ غيد ؟[4]
وكأنه لا يشتفي من ريقها العذب البرود؟
صَبَتِ البحارُ إليه من شغفٍ، وأمعنَ في الصدود[5]
الماءُ أصبحَ تحته مثلَ الحجارة في الجمود
قد بات يُفزعه الصدى ولوَ انه من ضرب عود[6]
ويكاد يَصهَرُهُ الدخا (م) نُ ، كأنما هو من جليد
وكأن أسطولَ العدوِّ (م) بكل أمواه وبيد
يهوِي عليه من البحا (م) ر، أو السهول، أو النجود

***

أو لم تزلْ تصبو إلى مجد القياصرة التليد ؟
هيهات! أين المجد ؟ فابْـ كِ ، كما بكت بنتُ الشريد[7]

---

(١) السيد : الذئب .
(٢) الصيد : جمع أصيد؛ وهو من يرفع رأسه كبرا .
(٣) يشير إلى : أن الطليان من عهد قريب كانوا خاضعين لفرنسا .
(٤) الثغور الأولى مدن الشواطىء والثانية أفواه الغيد .
(٥) صبت : مالت .
(٦) الصدى : المراد به الصوت الخفيف .
(٧) بنت الشريد: هى الخنساء . وهى بنت عمرو بن الشريد فالشريد جدها .

مـــا فـــات ليس بعـــائد ... أيـن اللحـــودُ مـن المهـــود؟

فـــاذهـب صـريعَ المجـد، أو ... عـش عيشَ زهّـــاد الهنـــود

يكفيك مـــا أحـــرزت فى الْـــ (م) أحبـــاش من نصـــر مجيـــد[١]

مـــاذا تـــريـــد؟ أتقهـــر الـــ (م) جِنْسَيْـنِ مـن بيـض وســـــود؟

لقـــد انتصـــرت فلم تكلَّـــ (م) ـــلْ بـــالأزاهـــر والـــورود

زعمـــوك بعـتَ هنـــالك الْـــ (م) أرواحَ بـــالثمن الـــزهيـــد[٢]

حســـدٌ مُنيت بـــه، وهـل ... يخلـــو عظيم مـن حســـود؟

***

يـــا شـــاهـــرا لحمـــايـــة الْـــ (م) إســـلام سيفَ ابن الـــوليـــد[٣]

جـــدَّدت فـى «لـــوبيـــا» سنـــا ... بغـــداد في عصـــر «الـــرشيـــد»[٤]

وظهـــرتَ فى هَـــذْى الحسيـــ (م) ـــن، وأنـت أشقى من «يـــزيـــد»

هـــلا تـــركت حمـــايـــة الْـــ (م) إســـلام لله الحميـــــد؟

وبـــذلـتَ فـى إنقـــاذ «رو (م) مـــا» مـــا لـــديك من الجهـــود؟

أصليتَ «رومـــا» حَـــرَّهـــا ... متـأجِّجـــا صعْـب الخمـــود

«نيـــرون» أنت حفيـــده ... لله درُّك مـــن حفيـــــد[٥]

أعطـــاك عهـــدا لـم تخُنْـــ (م) ـــه، فمـــا أبـــرَّك بـــالعهـــود!

***

---

(١) هذا البيت ـ وما بعده ـ: تهكم بانتصار الطليان على الحبشة .

(٢) ذاق موسولينى الأمرين فى فتح الحبشة ، وهى بلاد قليلة الغناء .

(٣) كان موسولينى يلقب نفسه بحامى الإسلام؛ خداعا للعرب . ابن الوليد: هو خالد.

(٤) يشير إلى: فظائع الطليان فى لوبيا وعملهم على إضعاف روح العروبة والإسلام .

(٥) يشير إلى: الخرافة الشائعة عن حرق نيرون لروما .

شبح الحرب [1]

الدستور ٢٤ من مايو ١٩٣٩م

هو الموت إن قامت على ساقها الحربُ ... وإلا، فَحَسْبُ الناس: ما يفعلُ الرعبُ

يلوح لهم فى الصحو والنوم طيفها ... ودون انتظار الخطب أن يقع الخطب [2]

فزعنا؛ فلا جفنٌ من الخوف مُطبق ... ولا مستقرٌّ فى مضاجعه جنب

ولا أنفَ إلا عالق بكمامة ... ولا دار إلا شُقَّ فى جوفها جب [3]

وما اكتوت الأيدى ولا احترق الحشا ... بجمر كجمر لا يُشَبُّ ولا يخبو

فيأيها الليثُ المكشر للورى ... حنانيك! إما الانصراف، أو الوثب

مطامعُ غَرَّ الغرب ومضُ سرابها ... فأصبح يصلى نارها الشرق والغرب

كأنى بها قامت، وشب أُوارها ... وقد جفت الأقلام، وانطوت الكتب [4]

سفين بلجِّ البحر يرميه مثله ... وسرب بأعلى الجو يقذفه سرب

وبينهما تمشى المنايا كأنها ... طيور، وأرواح الأنام لها حبُّ

وغىً: لا الدروع السابغات موانعٌ ... أذاها، ولا مُجدٍ بها الصارم العضب [5]

تثلم حدُّ السيف، وانقصف القنا ... وأصبح لا طعنٌ هناك ولا ضرب

كأنى بها ترمى مدافعُها؛ فلا ... يطيش لها سهم، ولا مضرب ينبو

---

(١) أنشئت هذه القصيدة فى الفترة التى سبقت نشوب الحرب، والحرب - إذ ذاك - بين اليأس والرجاء.

(٢) دون - بمعنى أقل -: خبر مقدم، والمصدر المؤول: مبتدأ مؤخر

(٣) فى تلك الفترة: كان أشد ما يخافه الناس، ويتخذون له أسباب الوقاية؛ حرب الغاز السام، ويريد بالجب: المخابىء المنزلية.

(٤) الأوار: اللهيب.

(٥) السابغات: الدروع الضافيات، والصارم العضب: القاطع.

تُـدمـر مـا تأتـى عليـه؛ لـوَانهـا تُصـوَّب نحو الألب، دُكَّ بهـا الألب

هى البرق خطـافا، هى الرعد قـاصفا هى الشهب إذ تهـوى من الفلك الشهب

فمن كـان يصطـاد الحمـام بنبلـه فإن لنـا نبـلا يصـاد بـه القطب

كأنـى بهـا والطـائراتُ بغـازهـا تجـود كمـا جادت بـوابلهـا السحب

يمـد إلـى الأرواح كفيـه خلسـةً فلا الرأس مقطوع، ولا الدم منصب!

رقيقُ الحـواشى لا تكـاد تحسـه وألْيَنُ منـه الصخر والمعـدن الصلب

لـه قطـرات لا يُبَل بهـا صـدى ولا يـابس تبقـى عليـه ولا رطب[1]

إذا انتشـرت فى الأفق لم تـرع حـرمـة لأنثى، ولا شيخٍ عـلا رأسَـه الشيب

إذا انتشـرت فى الأفق تصـرع كـاعبـا وتخنقُ أمًّـا خلفهـا طفلهـا يحبـو

لقـد شِيب بالسـم الهـواء؛ فهل تُـرى يُشَابُ من الأنهار سائلها العذب؟[2]

* * *

أرى الغربَ يدنو كالفَراش من اللظى أللقـوم فى إحـراق أنفسهم إرب؟[3]

ويـا رُبَّ حـرب منـذ عشـرين حجـة بكل فـؤاد من جـراحتهـا نـدب[4]

أضـرت بحِـزبيهـا وإن تم نصـرُهـا لحزب، وقـاسى ذلَّ خذْلانهـا حزب[5]

إذا مـا ذكـرنـاهـا اقشَعـرَّت جلـودُنـا إذِ النـاسُ كـالأنعـام قـوتُهم العشب

وإذْ هم بأكنـاف الخنـادق مـالهم مضاجع غير التُّـرب لو نَفَع الترب[6]

---

(١) الصدى: الظمأ.

(٢) شيب ـ من الشوب ـ: بمعنى الخلط.

(٣) الإرب: المأرب والرغبة.

(٤) الندب: ما يتخلف عن الجـرح بعد اندماله، والبيت يشير إلى: الحـرب العالمية الأولى. وبين انتهاء الأولى وبداية الثانية نحو عشرين عامًا.

(٥) يريد بالحزبين: المنتصر والمخذول.

(٦) الأكناف: جمع كنف بمعنى الجانب.

يقاسون حرا مالضب بحمله يدانِ، وبردا ليس يحمله دُب[1]

وحشو أنوف القوم غازٌ مسمَّم وللنار فى أبدانهم مرتع خصب

فيالحروبِ لا يجف لها دمٌ! ويالشعوب كلما نهضت تكبو !

أجِدَّكمو يا قوم، طال بنا السُّرَى ولم يسترح حينًا من السفر الركب[2]

لقد سار نحو المجد قوم فأدلجوا ولم يعلموا أين انتهى بهم الدرب؟[3]

ولو أنفقوا فى الخير ما ينفقونه على الحرب، عم الخصب وانقطع الجدب

ولم يَبْقَ طاوٍ ليس يملك قوُتَهُ ولم يبق عارٍ ليس يسترُهُ ثوب

* * *

شعوبٌ بعصر النور يفتك بعضها ببعض كما يعدو على الحمل الذئب

يُمثِّل بالإنسان فيها، وربما أقام قرير العين فى ظلها الكَلْبُ

إذا قنص الليث الغزالة ساغبا فما عذر شعب بات يقنِصُه شعب؟[4]

ذنوب الضعاف العاجزين كثيرةٌ وما لقوى إذ تحاسبه ذنب

كأنْ ليس بين العالمين شرائعٌ ولا خلفهم بعث، ولا فوقهم رب

ولا فى قوانين البرية رحمة ولا شيءَ فى الدنيا يقال له: الحب!

ولم يبق معبود سوى القوت وحده فكل فؤاد مستهام به صب

عزاءٌ لنا: أن الحضارة أفلست فرونقها زَيْف، ومنطقها كِذْب

إذا ما تمثلتُ الحضارة، خلتها لباةً لها جوف، وليس لها قلب

سل العلماء الفاخرين بعلمهم: أجاءوا بنور العلم أم نارَه شَبوا؟

---

(١) الضب: حيوان يعيش فى الصحارى، ومن أمثالهم: «حر يذيب دماغ الضب» والدب حيوان يعيش فى المناطق الباردة، وليس لى بهذا الأمر يدان، أى: لا أطيقه.

(٢) أجدك: بفتح الجيم أو كسرها؛ فإن كسرت فقد استحلفته بحقيقته، وإن فتحت فقد استحلفته بحظه.

(٣) الإدلاج: سير الليل.

(٤) ساغبا: جائعا.

تقـــدم فن المـــوت أىَّ تقـــدم — وسـار بطيئـا عـاشـرَ القـدم الطب

فظـــائع لم يحلم أوائلنـــا بهـــا — فياليت شعرى: ما الذى يضمر الغيب؟

فسحقًا لعصر النور، سحقا لأهلـهِ — فكـلُّ بنى حـــواء دأبهم السلـب

كـذلك شأن النـاس من عهـد آدمِ — تبـاينت الأشكـال، واتحـد اللُّب[1]

وحسب بنى حـواء عيبـا حـروبُهم — إذا لم يكن غيـر الحـروب لهم عيب

---

(١) لب الشىء: قلبه وصميمه.

ثغر لا يتبسم[1]

الرسالة فى ١٦ اكتوبر سنة ١٩٣٩م

الشط داج، والسكون مخيمُ ... ما بالُ ثغر الثغر لا يتبسمُ؟

عهدى به طلقًا صبيحَ الوجه إذْ ... وجهُ الطبيعة عابس، متجهم

غمر الظلامُ البحر، حتى أوشكت ... فى الليل تخشى أن تطلَّ الأنجم

فكأن أرواحا « بوارسو » أزهقت ... فأقيم فى مصرٍ عليها مأتم[2]

البحر يغمره الظلام، فياله ... من عليم يطغى عليه عيلم![3]

لا نورَ فى الآفاق إلا أن ترى ... طيارة قد طاردتها أسهم[4]

أو طيف مصباح بدا وكأنه ... يخشى من الغارات؛ فهو ملثم(٥)

نورٌ كنور النجم خلف الغيم أو ... كهلال يوم الشك خافٍ مبهم

ولقد نظرت إلى المنار فما انثنى ... طرفى. وهل يثنيه جسم معتم؟[6]

قد عُطل المصطاف من سماره ... وانقض من قبل الأوان الموسم

---

(١) يريد بالثغر : مدينة الاسكندرية. وقد أنشئت هذه القصيدة فى مبدأ الحرب، بعدما أطفئت أنوار المدينة.

(٢) وارسو : عاصمة بولندة ومنها انبعثت الشرارة الأولى، التى أوقدت نار الحرب.

(٣) العيلم : البحر.

(٤) يريد بالأسهم : الأنوار الكاشفة التى تطارد الطائرات.

(٥) فى ذلك العهد : طليت المصابيح بالألوان القاتمة.

(٦) يشير إلى : تعطيل منار الإسكندرية.

أقـوت مسـارحـهُ، وأغطـش ليلـه! ... لا راقص فيــه ، ولا متـــرنم[1]
قـد كـان يحيى الليلَ فيـه معشـر ... فتثـاءبـوا عنـد الغـروب وهـوّمـوا[2]
أين المـلاح علـى مـلاعب سِيفـه ... وكأنهـن بـه طيـور حـوم؟[3]
جيش مـن الآرام كـان مـرابطـا ... مـا بـالـه من غيـر حـرب يهـزم؟
هـذى عـروس البحـر أم أنـا حـالم؟ ... مـا بـالهـا ليست كمـا أتـوهم؟
مـا سـاهمت فـى الحـرب إلا أنهـا ... بـالصمت عن هـول الحروب تترجم
لكأن هـذا الصمت بيـن مسـامعى ... طلقـات أفـواه المـدافع تهـزِم[4]
البحـر كم أغـرقت فيـه لـواعجى ... واليـوم مـا بـالى بـه أتبـرم؟
كم كنـت أغشـاه، فـأنسى عنـده ... نفسى، ويسبـح بى الخيـال وأحلم
دنيـا يفيض بهـا السـرور، وعـالم ... مـرح، وجـو بـالسعـادة مفعم

---

(١) أقوت : خلت، وأغطش : أظلم.
(٢) التهويم : بدء النوم.
(٣) سيف البحر - بكسر السين -: ساحله.
(٤) هزيم الوعد ونحوه: دويه.

عصبة الأمم[1]

الرسالة فى ١١ من مارس سنة ١٩٣٥م

ويحى على محكمة السلام
محكمةٌ لكن بلا أحكامِ[2]
للَّهو، لا للنقض والإبرام
سابحة فى عالم الأحلام
والسيف يبرى الهام كالأقلام
ألم تر العصبة فى المنام[3]
تحرّش الذئاب بالأغنام؟
«روما» تهز صفحة الحسام
وشَفَتَا «جنيفَ» فى ابتسام
إنْ رضىَ القاضى عن الإجرام
فإنه أولَى بالاتهام
ويحٌ لحام من أخيه سام![4]
يا سودُ، ما أنتم من الأنام

* * *

(١) أنشئت هذه الأرجوزة عند تحرش إيطاليا بالحبشة سنة ١٩٣٥م.
(٢) محكمة السلام : هى المحكمة التابعة لعصبة الأمم، التى كانت تتولى الفصل فى المنازعات الدولية.
(٣) الهام : جمع هامة وهى : الرأس.
(٤) ليس المراد : أن الطليان من أبناء سام ؛ بل المراد : ويل للأخ من أخيه.

يــا جيــرةَ الهضــاب والآكــام

وســاكنى الــذروةِ من شِمــام[1]

لا فضل إلا بــالحـديــد الــدامى

فــالحقُّ فـى أسنــة السهــام

لستم تنــالــون بــالاحتكــام

مــا نــالــه « منليـك » بــالصمصـام[2]

هم يخــدعـون النــاس بــالأوهــام

متى استطــاعــوا الفصل فى خصــام؟

أيــومَ فتك التــرك بــالأروام؟

أم يــوم رُوِّعـت ربــوعُ الشــام؟[3]

أم يــومَ دِيسَ الصِّيـن بــالأقــدام؟

وهــدَّدت «طــوكيـو» بــالانقســام؟[4]

فــآثَــرُوا الصمت على الكــلام؟

مــا للضعيف فـى الــورى من حــام

لــولا نيــوب الأســد الضــرغــام

لكــان مـن فصيلــة النَّعــام

ولاستبيحـت حــرمــةُ الآجــام

---

(١) شمام: جبل معروف.

(٢) منليك الثانـى : ملك الحبشة الذى انتـزع استقلال بـلاده من أيدى الطليـان بحد السيف.

(٣) يشير إلى: حرب مصطفى كمـال مع اليونان، وإلى تنكيل الفرنسيين بسـوريا ـ إذ ذاك ـ على مرأى من العصبة.

(٤) يشيـر إلى : حـروب اليابـان مع الصين وتهـديـد الأولى بالخـروج من العصبـة إذا تدخلت فى الأمر.

جنازة السلام ![1]

الرسالة ٢ من ديسمبر سنة ١٩٣٥م

أرأيت إذ وُلِـــد الســـلامْ   فنَـــوْه من قبل الفطـــامْ؟
وضعتـــه « أوربـــا » لنـــا   يـــاليت «أوربـــا» عُقـــام!
طفلٌ بـــــرىءٌ ذاق مـــن   يـــد أمِّـــه كـأسَ الحِمـــام
لهفى عليــه ممـــزَّق الْـــ (م) أَوْصـــال منتثـــر العِظـــام!
عَصَفت بـــه ريحُ الـــوغى   عصفًـــا وغطّـــاه القتـــام[2]
فمضى شهيـــدًا؛ مـــا لـــه   قبـــر يُـــزار ولا مَقـــام
ليس السَّـــلام بســـائدٍ   مـــا دام فى الـــدنيـــا حُطـــام
مـــا النَّـــاسُ إلا النـــاسُ فى   عصـــر الضيـــاء أو الظـــلام
سيّـــان: مَنْ سَكـن القصُـــو (م) ر الشُّمَّ، أو سكن الخيـــام[3]
بســـوى الـــدم المسفـــوح لا   يَـــرْوى لظـــامئهم أوام[4]
وأَحَبُّ مـــا وقعَتْ عليـــ (م) ـــه عيـــونهُم جُثثٌ وهـــام[5]
وهـــــو ابن آدم ينتشـى   من حُمـــرة الـــدَّم والمُـــدام
الـــذئبُ كـــالإنســـان لـــو   يتعلم الـــذئبُ النظـــام
فكـــلاهمـــا وحش حـــد (م) يـــد النـــاب يلتمس الطعـــام
سيّـــان عنـــد الفتك: نـــا (م) بُ اللَّيث، أو حـــدُّ الحســـام
قـــالوا: الســـلام. فقلت: مـــا (م) عـيَّ اللســـان عن الكـــلام

---

(١) أنشئت عند نشوب الحرب بين إيطاليا والحبشة سنة ١٩٣٥م.
(٢) القتام: الغبار.
(٣) سيان: تثنية سواء على غير قياس، والشم: جمع أشم، بمعنى مرتفع.
(٤) الأوام: العطش.
(٥) هام: جمع هامة وهى الرأس.

وتعـــــاهـــــدوا؛ فسألتهُـمْ: مـــا حــدُّ مـن خَفَــرَ الــذِّمـــام؟

أبغصـن زيتــــون يجـــــا (م) زَى أم بصَــــارم الانتقــــام؟[1]

قـــالـــوا: السَّـــلام. فقلـت: كم قـــد حـــارب الـــرسُـلُ الكـــرام

لا «الفـــاتكـــان» من الحـــرو (م) بِ نجـــا، ولا البيـت الحـــرام

قـــد كـــانت الخلفـــاء تُصْـــ (م) لَـبُ بين زمــــزمَ والمقـــام[2]

كـلٌّ يشيـــــر إلـى الســــلا (م) م بعيـن ذئب لا تنـــــام

وأمـــــامَـــه أسطـــولُـــه ووراءه جيـش لهــــــــام[3]

فقـــد المهنَّـــد عـــرشَـــهُ والمُـلْكُ ليـس لـــــه دوام

نـــــار وغـــــاز فـــاتـك بــــدلَ الأسنـــــة والسِّهـــــام

شبـحُ المنيــــة جــــاثـمٌ فـــوق الميـــاه أو الـــرَّغـــام[4]

أو فـي السمـــاء مـرفـــرِفٌ بجنـــاحـــه مثـلَ الحمـــام

* * *

جبَّـــارَ «رومـــا»، ســـوف تلــــ (م) ــبس تـاجَ «قيصرَ» فـي المنام[5]

أتـــريـــد ــ ويحك ــ أن تـــؤخـــ ــــر أهـلَ جيلك ألـفَ عـــام؟

ولِّـى زمـــانُ القيصـــريَّـــ (م) ــة والقيـــاصـــرة العظـــام

أو مـــا رأيت الحكْـم بـــا (م) ت الآن فـي أيـــدى الطَّغـــام؟[6]

ولقـــد مشيت القهقـــرَى ومشى الـــزمـــانُ إلـى الأمـــام

أئذا صفـــا جـــوّ الســــلا (م) م زفـرتَ؛ فـــانتشــر الغمـــام؟

رحمـــاك! هل تشكـــو إليــــ (م) ــك الأرضُ من هَـــول الـزحـام؟

---

(١) يشير فى هذا البيت ـ والبيتين السابقين له ـ إلى: أن فكرة السلام لا يمكن تحقيقها بدون الالتجاء إلى الحرب نفسها.

(٢) يشير إلى: حادثة مقتل الخليفة عبد الله بن الزبير وصلبه.

(٣) جيش لهام: أى كثير العدد.

(٤) الرغام: التراب.

(٥) يريد: موسولينى

(٦) طغام الناس: ضد عليتهم.

لم تخْبُ نـــارُ الفتنـــة الــــ (م) ــكُبرى وجُـــرْحُ الكـــون دام[1]
ولقـــد تحــــدَّيْتَ الأنـــا (م) م ؛فكنت سخــــريَــة الأنـــام
أســـرفتَ ويحك فـــاتئـــد مـــاذا جنى أبنـــاء حـــام؟[2]
لا تحْسَبنَّ مـــــرابضَ الآ (م) ســـاد سهلــة الاقتحـــام[3]
هـــذى معـــاقلهم فمن لك بـــالبــواذخ من شمـــام؟[4]
هـــا هم خصـــومُك حـــول شــــ (م) طِّ «المنش» إن رمت الخصـــام[5]
القـــابضـــون على « جنيـــ (م) ــفَ » ورَهْطِهـا مثلَ الســوام[6]
قـــالــوا: الحصـــارُ؛ فـأذعنَتْ « والقــولُ مـا قـــالت حـذام »[7]
أخَـــذوا على «رومـــا» المســـا (م) لــك فهْـى فى ضيـق المســـام
عجبى على بـــاغ يقـــو ل لمن بَغـى : هـــذا حـــرام![8]
استعمـــروا فتلثّمـــوا وخـــرجت مكشـــوفَ اللِّثـــام
رمْـتَ التنمــــــر مثلهـم فظهـــرت فـى ريش النعـــام
شـــررٌ «بـــرومـــا» طـــار، يـو شك أن يكـــون لـــه ضـــرام
الشعـب هُـــدِّد بـــالطـــوَّى والجيشُ بـــالمـــوت الـــزؤام[9]
يتســـاءل الأقـــوام: هـل «نيـرونُ» بعـد المـوت قـام؟[10]
زعــــزعـت أركـــان الســلا م، فــــذق مـــرارة الانهـــزام!

---

(١) يريد بالفتنة الكبرى : الحرب العالمية الأولى

(٢) يشير إلى : ما تشير إليه الخرافة من أن الأحباش وغيرهم من السوادن من نسل حام بن نوح.

(٣) مرابض : جمع مربض وهو المأوى أو المبرك.

(٤) البواذخ من شمام : أى القمم المرتفعة من هذا الجبل المعروف.

(٥) يريد : الإنجليز.

(٦) يريد بجنيف ورهطها : عصبة الأمم.

(٧) يشير إلى : حصار الطليان الذى أشارت به انجلترا على العصبة ؛ فنفذته.

(٨) يندد بالانجليز ؛ الذين يعيبون على إيطاليا ما هم واقعون فيه من الاستعمار.

(٩) الموت الزؤام : هو المجهز.

(١٠) يشير إلى : خرافة حرق نيرون لروما.

في الاجتماع

ثورة على الحضارة

الرسالة ٢٥ من فبراير سنة ١٩٤٥م

ذَرَعْتُم الجـوَّ : أشبـارًا وأميـالاَ
وجُبْتم البحـر : أعمـاقًا وأطـوالاَ (١)

فهل نَقَصْتم همـومَ العيش خـردلـة
أو زدتمـو فى نعيـم العيش مثقـالا؟

صـرعى الهواء وصـرعى المـاء قد كثـروا
وراكب الخيل جـرّ الذيل مختـالا(٢)

العيسُ أَلْيَنُ ظهـرا من مـراكب إنْ
جَنَبْنَ هـولاً، فقـد قرَّبن أهـوالا (٣)

تسنمَ القـوم غَـرْبَ الجـو وانطلقـوا
كأن للقـوم فى الأفـلاك آمـالا (٤)

أقسمتُ، لـو دنت الأفـلاك طـائعـةً
فنـالهـا المـرءُ، لم يقنعْ بمـا نـالا

❊ ❊ ❊

إنى أرى النـاسَ مـا زادوا رفـاهيـةً
فى العيش ،زادوه تعقيـدًا و إشكـالا

كم هـان أمـرٌ فقلّـدنـاه طـائفـةً
من الحـواشى وحمَّلْنَـاه أثقـالا (٥)

---

(١) ذرع الشىء : قاسه بالذراع.

(٢) يكنى بالمصراع الأول عن : أخطار الطائرات والسفن.

(٣) العيس : الإبل.

(٤) الغرب : الظهر.

(٥) من ذلك : عملية تناول الطعام مثلا؛ فهى فى ذاتها عملية طبيعية بسيطة، ولكن إذا نظرت إلى « الإتيكيت » المتبع فى المآدب الرسمية وما إليها، وجدت هذه العملية البسيطة قد استحالت مشكلة معقدة غاية التعقيد.

تجاوَزَ العُرفُ والعادات حدَّهُمَا … فأصبحا فى رقاب الناس أغلالا

يا طالما حدَّثتنى النفسُ قائلةً: … أنحن أنْعَمُ أم أجدادُنا بالا؟

كانت حياتهمو تُضْفى بساطتُها … عليهمو من هدوء البال سربالا

كم للمحاكم أحكامٌ يقومُ بها … فى البدو فيصَلُهُ، والقول ما قالا

لا الحقُّ ضاع إذا ما عَىَّ مِدْرَهُهُ … ولا ترقُّبُ يوم الفصل قد طالا[1]

قدَّرتُمُ الوقت تقديرَ الشحيح به … فكدتمو تمْلأُون الليلَ أعمالا

أتْخَمتُم الوقتَ بالأعمال، ويحكمو … هلا أضفتم إلى الآجال آجالا!

❊ ❊ ❊

تحضر النَّاس حتى ما لمكرُمة … قُدسٌ لديهم، ولكن قدسوا المالا

فى كل مملكةٍ حربٌ منظمة … تضم جيشين: مُلَّاكا وعمالا

يد السياسة بالأخلاق قد عبثت … وقوَّض العلم صرح الدين فانهالا[2]

البدو أكرمُ أخلاقًا، وأحسبُهُم … للَّه أكثرَ تقديسا وإجلالا

قالوا: تألق نُور العلم. قلت لهم: … بل ناره أصبحت تزداد إشعالا!

عهدُ الحسام بفضل العلم قد دَرَست … آثارُهُ وزمانُ الرمح قد دالا[3]

يا رُبَّ حربٍ بغير العلم ما اتَّقَدتْ … ورُبُّ جيشٍ بغير العلم ما صالا

فى الماء والجو آلات مسخَّرَة … تصوِّر الموت ألوانًا وأشكالا

---

(١) المدره: المحامى. ينعى فى هذا البيت على القضاء المتحضر من ناحيتين: «الأولى»: تعرض حق الفقير للضياع إذا لم يستطع أن يوكل محاميا لسنا «الثانية»: التراخى فى الفصل بكثرة التأجيل الذى طالما أضاع على ذى الحق حقه، بل ربما أضاعه على ورثته أيضًا.

(٢) من المعلوم: أن رجال السياسة أبعد ما يكون عن الصدق والصراحة، وأن الفلاسفة المتبحرين فى العلوم أقرب الناس إلى الزيغ والالحاد.

(٣) درست: عفت وانمحت، ودالت الأيام: دارت وانقلبت.

لنــا جــرائمُ لم يسبقْ بهــا زمنٌ ... بـاتت تُـزلـزل ركنَ الأمن زلـزالا [1]

كم وضَّحَ العلمُ منهـاجًـا لمختلِسٍ ... وبـات يحمـى من القـانـون مغتـالا

* * *

ابنُ الحضـارة جسمٌ دون عـاطفـةٍ ... يكـاد يحسَبُـهُ رائيـهِ تَمثـالا

وبـرقُهـا خُلَّبٌ، يغـريك بـارقُـهُ ... حتى إذا شِمتَـهُ ، ألفيتَـهُ آلا [2]

رسـالةُ الغـرب ـ لا كـانت رسالتـهُ ـ ... كم سامنا بـاسمها خسفًا و إذلالا [3]

وصـوَّرتْـهُ لعين الشـرق أمثلـةً ... عليـا، وصـوَّرنـا الـرحمن أمثـالا

تغـزو الحضـارة أقـوامًـا لتُسعـدهُمْ ... والـزَّنجُ أسعـدُ من أربـابهـا حـالا

* * *

هى الطبيعـة ،مـا برَّ الأنـامُ بهـا ... أمًّـا ؛ وبـرت بهم مـن قبل أنجـالا

هل تَشْهَرون عليها الحـرب ـ ويحكمو ـ ... وكم طـوت قبل هـذا الجيل أجيـالا؟

عـودوا إلى حجـرها إن شئتمـوا رغـدًا ... كمـا نشأتُمْ بهـذا الحجـر أطفـالا

صـوتُ الهـزار وصـوت العـود أيُّهمـا ... أشجـاهُمـا أثـرًا فى النفس فعـالا؟

أقسمتُ، مـا نظرت عينـى بحاضـرةٍ ... كالـرَّمل أصفرَ ، أو كالمـاء سلسالا

---

(١) يشير فى هـذا البيت ـ ومـا بعده ـ إلى: الأساليب العلميـة الحديثـة، التى يتبعها اللصوص والسفاكون فى البلاد المتحضرة.

(٢) بـرق خلب أى : خـداع، شـام البرق: راقبـه ليعـرف متى يصـوب، الآل: بمعنى السراب.

(٣) سامـه الذل: حمله إيـاه، يشير فى هـذا البيت إلى استبعاد الشعوب بحجـة نشر الحضارة بين أهلها.

إذا نظـــــرتُ إليكـم من ذرًا جبـل   لاحت قصـوركم الشَّمـاءُ أطـلالا

يا ربَّ قصـرٍ له شمس الضحى طنُفٌ   بين العيـون وبين الشمس قد حـالا (١)

يَـودُّ سـاكنـه لـو كـان منطلقًـا   كالـذئب يسكن أَحْراَجًـا وأدغالا (٢)

قودوا البخـارَ وسوقوا الكهربـاء؛ فما   زلتمْ بأسـرار هـذا الكـون جُهَّـالا

لكم حيـاةٌ ومـوتٌ كـان سـرُّهمـا   من عهـد آدَمَ مستـورًا، ومـا زالا!

* * *

(١) الطنف : ما أشرف خارجا عن البناء والسقيفة فوق البـاب، والمصراع الأول من البيت : كناية عن رفعة القصر وسموه.

(٢) الأحـراج : جمع حرج ؛ وهـو : المكان الضيق الكثيـر الشجر، والأدغـال: جمع دغل؛ وهو: الشجر الكثير الملتف.

المادة

الرسالة ٤ من نوفمبر سنة ١٩٣٥م

فتّشتُ بين الناس عن زاهدِ ... فلم تقعْ عينى على واحد
ما أزهَدَ المرءَ إذا لم يجِدْ ... وأبعد الزهدَ عن الواجد![1]
لا يُزْهَ إنسانٌ بآدابه ... أو يفتخر بالسلف البائد
المجد: إما سطوةٌ، أو غنًى ... ما العاجز المعدم بالماجد
فقيمةُ الشعب ـــ إذا قستَها ـ ... بقيمة الصادر والوارد
وقيمة الفرد بما يملك الـ (م) ... فردُ من الطارف والتالد
كم طفلةٍ أودعَ من هرةٍ ... حوّلها الجوعُ إلى مارد!
قد يُحسدُ المرءُ على رزقهِ ... ولا أرى للخُلْق من حاسد[2]
لم يفتَتِنْ بالمكرماتِ امرُؤٌ ... والغانياتُ فتنةُ العابد
العلمُ والأخلاقُ ما قُدِّسا ... إلا لنفع منهما عائد
لا يردَعُ التاجرَ عن غشِّه ... مثلُ اتقاءِ المتجر الكاسد[3]
لم يَختر الناسُ دياناتِهم ... بل أخذوا بالمذاهب السائد
ليس جمالُ الطبع فى غادة ... مثلَ جمال اليد والساعد
يا زاعمَ العفة فى حبّه ... ما تبتغى من كاعب ناهد؟
لم يتقِ الله امرُؤٌ للتقى ... بل لنعيم الجنّة الخالد

---

(١) ليس المراد: ما أزهد الفقير الذى لا يجد. بل المراد: ما أكثر دعواه الزهد.
(٢) يقابل فى هذا البيت ـ وما بعده ـ بين: الجمال المعنوى والجمال المادى المحسوس، ويبين: أن الناس عبيد الثانى لا الأول.
(٣) يشير فى هذا البيت إلى: أن الفضائل نفسها كثيرًا ما يكون الباعث عليها ماديا.

تيَّمَتِ النـــاسكَ حـــوريـــةٌ ذاتُ قـــوام أهيفٍ مـــائد

تسقيـه كـأسـا حُلْـوَة الطعم من خمـر الجنـان الشَّبِم البـارد[1]

لـولا جمـالُ الحـور، مـا لامَسَتْ أرضَ المصَّلى جبهـةُ السـاجـد

هل كنت تلقى فـى الـورى سـاعيًا لـو كـان يسعى الـرزق للقـاعـد؟[2]

سيَّـان: مـن يسعى إلى قُـوتِـهِ بـالسلب، أو بـالـورع الـزائد

كم لحيـةٍ أجـدى على ربِّهـا من ألـف سهم بيـد الصـائد

جُـرحُ يـد المـرء لـه قـائدٌ ومـا لجـرح العـرض من قـائد[3]

كم مجـرم يقتـل روحـا، ولا يُجـزى جـزاءَ القـاتل العـامـد[4]

قـد يُتـرك الأولادُ من جهلهم صـرعى ولا حـدّ علـى الـوالـد

صـاحِ، دع الـروحَ، ودع قُـدسَهـا نحن عبيـد الجسـد الفـاسـد!

---

(١) الشبم: بمعنى البارد؛ فما بعدها بمثابة توكيد لفظى.

(٢) يقول: إن المادة هى التى تسير دولاب الحياة، وإليها يرجع ما فى العالم من سعى وحركة.

(٣) قائد ـ من القود ـ: بمعنى القصاص، يشير إلى: أن القوانين نصت على عقوبات الجرائم الحسية، وتركت كثيرًا من الجرائم المعنوية بدون قصاص.

(٤) هذا البيت ـ وما بعده ـ بمثابة شرح البيت السابق، يشير إلى بعض الجرائم المعنوية التى لا يعاقب عليها القانون.

وقفة على طلل ! (١)

الرسالة ١٥ من إبريل سنة ١٩٣٥م

مـالى وللنجم يـرعـانى وأرعـاه؟ أمسى كلانا يعافُ الغمضَ جفناهُ (٢)
لى فيكَ ـ يـاليـلُ ـ آهـاتٌ أردِّدُهـا أوّاهُ لـو أجْـدت المحـزونَ أواه!
لا تحسبَنِّى محبًّـا يشتكى وَصبًـا أهْـونْ بما فى سبيل الحب ألقاه! (٣)
إنى تـذكـرتُ ـ والـذكـرى مُـؤَرِّقَـةٌ ـ مجـدًا تليـدا بـأيـدينـا أضعنـاه
أنّى اتجهت إلى الإسـلام فى بلـد تجدْهُ ـ كـالطير ـ مقصوصًـا جناحاه
ويحَ العـروبة! كـان الكونُ مسـرحها فأصبَحـت تتـوارى فـى زوايـاه
كم صـرفَتْنَـا يـدٌ كنّـا نصـرِّفهـا وبـات يملكنـا شعـبٌ ملكنـاه
كم بـالعراق، وكم بالهنـد ذو شجنٍ شكـا؛ فـردَّدَت الأهـرامُ شكـواه !!
بنى العمـومـةِ، إن القُـرحَ مسّكمـو ومسَّنـا. نحن فـى الآلام أشبـاه!
يـا أهل «يثـرب»، أدمت مُقْلَتَىَّ يـدٌ بـدريـةٌ تسأل المصـرىَّ جـدواه (٤)
الـديـنُ والضـادُ من مغنـاكـم انبعثـا فطبّقـا الشـرقَ: أقصـاه، وأدنـاه
لسنـا نمـدّ لكـم أيمـاننـا صلـةً لكنمـا هــو دَيْـن مـا قضينـاه

* * *

(١) أنشئت فى استقبال العام الهجرى الموافق للتاريخ المشار إليه.
(٢) عاف الشىء: كرهه.
(٣) الوصب: الوجع.
(٤) يثرب: اسم من أسماء المدينة. وفى ذلك التاريخ كانت تجمع التبرعات من مصر والعالم العـربى لفقراء المدينة. وفى قـوله بدرية: إشارة إلى أن هـؤلاء أحفاد أهل بدر.

هل كـان دِيُن ابنِ عـدنانٍ سـوى فلق ... شق الـوجـود، وليلُ الجهل يغشـاه؟(١)
سل الحضارة ـ ماضيها وحاضرها ـ: ... هل كـان يتصلُ العهـدان لـولاه؟[٢]
هى الحنيفـةُ عيـنُ الله تكلـؤهـا ... فكلمـا حاولـوا تشـويهها شاهـوا[٣]
هل تطلبـون من المختـار معجـزةً؟ ... يكفيـه: شعبٌ من الأجـداث أحيـاه
مَنْ وحـد العـرب حتـى كـان واتـرهم ... إذا رأى ولَـدَ المـوتـور آخـاه؟
وكيف كـانوا يـدًا فى الحرب واحـدة ... مَن خـاضهـا بـاع دنياه بأخـراه؟
وكيف سـاس رعـاةُ الإبْل مملكـة ... مـا سـاسَهَا قيصرٌ من قبلُ أو شـاه؟
وكيف كـان لهـم علم وفلسفـة؟ ... وكيف كـانت لهم سُفْن وأمـواه؟
سنُّوا المسـاواة: لاعُـرْبٌ، ولا عجَمٌ ... مـا لا مـرىء شـرفٌ إلا بتقـواه
وقـرَّرتْ مبـدأ الشـورى حكـومتُهم ... فليس للفـرد فيهـا مـا تمنـاه
ورحب النـاسُ بـالإسـلام حين رأوْا ... أنَّ السـلام وأن العـدل مغـزاه
يـا من رأى عُمـرًا: تكسـوه بـردتُـه ... والـزيتُ أدْمٌ لـه، والكـوخُ مأواه؟
يهتـز كسـرى على كـرسيِّه فـرَقًـا ... من بأسـه وملـوكُ الـرومِ تخشـاه؟[٤]

* * *

سل المعـالىَ عنـا، إننـا عَـرَبٌ ... شعـارُنـا: المجـدُ؛ يهـوانـا ونهـواه
هى العـروبـة، لفـظ إن نطقت بـه ... فـالشرق، والضاد، والإسـلام معنـاه
استرشـد الغربُ بالمـاضى، فأرشده ... ونحن كـان لنـا مـاضٍ نسينـاه
إنـا مشَيْنـا وَرَاءَ الغـرب نقبس من ... ضيـائه؛ فـأصـابتنـا شظـايـاه

* * *

---

(١) الفلق: ضوء الصبح.
(٣) تعتبر الحضـارة الإسلامية حلقـة الاتصال بين الحضارة اليـونانية القـديمة، وبين الحضارة الأوربية الحديثة.
(٣) الحنيفة: يعنى بها الشـريعة الإسلامية؛ من الحنف بمعنى الاستقامـة. تكلؤها: تحفظها.
(٤) فرقا: خوفا.

بالله، سل خلف بحر الروم عن عرَبَ ... بالأمس كانوا هنا، واليوم قد تاهوا! [1]

فإن تراءتْ لك الحمراء عن كَثَب ... فسائل الصرحَ: أين العز والجاه؟ [2]

وانزلْ دمشق، وسائل صخر مسجدها ... عمن بناه، لعل الصخر ينعاه [3]

وطُف ببغداد، وابحث فى مقابرها ... علَّ أمرأً من بنى العباس تلقاه

هذى معالم خرسٌ؛ كلُّ واحدة ... منهنَّ قامت خطيبًا فاغرًا فاه [4]

إنى لأَشْعُرُ - إذ أغشى معالِمَهم - ... كأننى راهبٌ يغشى مُصلاه [5]

الله يعلم، ما قلَّبتُ سيرَتَهُمْ ... يومًا وأخطأ دمعُ العين مجراه

أين الرشيد وقد طاف الغمام به ... فحين جاوز بغدادًا تحداه؟ [6]

مُلْكٌ كملك بنى «التاميز»، ما غَرَبت ... شمسُ عليه، ولا برقٌ تخطاه

ماضٍ تعيش على أنقاضه أَمَمٌ ... وتستمدُّ القوى من وحى ذكراه

لادر درُّ امرىء يُطرى أوائله ... فخرًا، ويُطرق إن ساءلته: ما هو؟ [7]

***

ما بال شمل شعوبِ الضاد منصدعا؟ ... رباهُ، أدركْ شعوب الضاد، رباه!

عهد الخلافة فى البسفور قد درست ... آثارُه، طيب الرحمن مثواه! [8]

---

(١) يشير إلى: عرب الأندلس.

(٢) الحمراء: الأثر الأندلسى المعروف. عن كثب: عن قرب. والصرح: البناء العالى، ويريد به: الحمراء.

(٣) يريد بالمسجد المسجد الأموى.

(٤) معالم: آثار جمع معلم، وفغر فاه: فتحه

(٥) غشى المكان: أتاه.

(٦) يشير إلى: ما يؤثر عن الرشيد؛ من أنه رأى سحابة فخاطبها قائلا: أمطرى حيث شئت؛ فسوف يأتينا خراجك.

(٧) لادر در فلان دعاء عليه. والدر اللبن.

(٨) يشير إلى: سقوط الخلافة التركية على يد مصطفى كمال. درست: عفت، وانمحت. المثوى: المقر، ويراد به هنا: القبر.

تـاج أغـرّ على الأتـراك تعـرضـه ... مـا بـالنـا نجـد الأتـراك تـأبـاه؟

ألم يـروْا : كيف فـدّاه معـاويـةٌ ... وكيف راح علىٌّ من ضحـايـاه؟

غـالَ ابنَ بنت رسـول الله ، ثم عـدا ... على ابن بنـتِ أبى بكـر فـأرداه[1]

لمـا ابتغى يـدَهـا السفاحُ ، أمهـرهـا ... نهـرًا من الـدم فـوق الأرض أجـراه

مـا للْخـلافـة ذنبٌ عنـد شـانئهـا ... قـد يظلـم السيفَ من خـانتـه كفـاه[2]

الحكمُ يسلسُ بـاسم الدين جـامحه ... ومن يـرمُـهُ بحـد السيف أعيـاه

يـا ربَّ مـولى لـه الأعنـاقُ خـاضعةٌ ... وراهبُ الـدَّيـر بـاسم الـدين مـولاه

إنى لأعتبـرُ الإسـلام جـامعـةً ... للشـرق ، لا محضَ ديـن سنـهُ الله

أرواحنـا تتـلاقى فيـه خـافقـةً ... كـالنحل إذ يتـلاقى فى خـلايـاه

دستـورهُ الـوحى ، والمختـارُ عـاهلـهُ ... والمسلمـون ـ وإن شتـوا ـ رعـايـاه

لا هُمَّ ، قـد أصبحت أهـواؤنا شيعـا ... فـامننْ علينـا بـراع أنت تـرضـاه![3]

راع يعيـد إلـى الإسـلام سيـرتَـهُ ... يـرعى بنيـه ؛ وعينُ الله تـرعـاه

---

(١) يريد بالأول : الحسين ابن بنت الرسول ، وبـالثانى : عبد الله بن الزبير؛ أمه أسماء بنت أبى بكر. أرداه : أهلكه .

(٢) شانئها : مبغضها .

(٣) أصبح القوم شيعا : تفرقوا .

المهاترات الحزبية:

معترك السباب! (١)

اللواء الجديد ٥ من ديسمبر سنة ١٩٤٥م

سَكن الحسامُ إلى القرابِ ... وأقيم معتركُ السِّبابِ [٢]

ترك النسُورُ مكانهم ... لطنين أجنحة الذباب [٣]

وخلا المجالُ لكل صوّ (م) ال بلا ظفر وناب

قومى نِعَامٌ فى الحرو (م) ب ، وفى التنابز أسْد غاب [٤]

يتراشقونَ بكل مُنْ (م) دِية كمسموم الحراب [٥]

الشملُ محلولُ العرَا ... والصُّحْفُ حاسرة النقاب

والشعب ينْدُبُ ـ قائلا ـ : ... هذا النضالُ على حسابى ! !

* * *

تهمٌ تُصَبّ، كأنها ... غيثٌ تدفّق من سحاب

ليست روائحها كريح ... الزهر أو ريح الملاب [٦]

لو أُلقيتْ وَسَط العُبا (م) ب، لعكرت صفْو العباب

اليوم تنظرُ مصرُ قا (م) دتَها بمقلة الارتياب

---

(١) أنشئت عندما اشتدت المهاترات الصحفية ، وتفاقم تناحر الأحزاب، وظهر الكتابان : الأسود والأبيض .

(٢) قراب السيف : غمده . والمصراع الأول : كناية عن انتهاء الحرب .

(٣) المراد بالنسور: الطيارون .

(٤) التنابز: التعاير ، والتداعى بالألقاب .

(٥) يتراشقون : يترامون .

(٦) الملاب : نوع من الطيب .

عِيبَ المبــــــرأ منهمـــــــو ورَمى ســـــواه بـألف عـــــاب[1]

إنْ يكــــذبـــوا فى الاتهـــا (م) م، فحسبهُم عـــارُ الكِــذاب

أو يصــــدقـــوا فيـــه فيـــا لله مـن هَـــوْل المصــــاب!

غُضُّـــوا الحـــديث، فلستمـــو يـــا قــومُ فـى أرضٍ يبَـــاب[2]

أســــراركم سَـــربتْ إلى جيــــرانكم من كـل بـــــاب

وحــــديثكُم يتلـــــوه نَـشءٌ (م) طــــاهــــرٌ غضُّ الإهــــاب[3]

حـــربُ الخَنـــا والفُحْش فـــا رسُهـــا العييُّ عن الجـــواب[4]

❊ ❊ ❊

الثـــورةُ الكبـــــرى التـى جـــدنـــا لهـــا بـــدم الشبـــاب

مــــا بـــالهـــا انقلبت مـــوا (م) ئدَ للطعـــــام وللشــــراب؟

أمست مســــارح للظهــــو (م) ر، وأصبحتْ ســــوقَ اكْتســـاب

لا در درُّ الحكـــــم؛ كـــم دس المعــــاطس فى التــراب[5]

الكــلُّ حيــن يَشمُّ رِيــــــ (م) حَ الحكـم سيــالُ اللعَـــاب

حـــــزبـــــان: ذاك علـى أرا (م) ئكـــه، وذلك فـى ارتقـــاب[6]

قـــالـــوا: أراد الشعــبُ، قلــــ (م) تُ: الشعبُ مظلـــوم الجنـــاب

ولقـــد تكشـف بــارق الـــ (م) ـــدُّ ستــور عن ومْضِ السّــراب[7]

---

(١) العاب: العيب.
(٣) غضوا الحديث: أى اخفضوا أصواتكم.
(٣) غض الإهاب: طرى الجلد.
(٤) الخنا: الفحش.
(٥) لادر دره: دعاء عليه. والدر: اللبن. المعاطس: الأنوف.
(٦) الضمير فى أرائكه: ضمير الحكم، والأرائك ـ جمع أريكة ـ وهى: السرير أو كل ما يتكأ عليه.
(٧) ومض السراب: لمعه.

خلت العهـــودُ، فـأيُّ عهـــــ (م) ـــد لم يكن عهـــد انقـــلاب؟
أيـن الـــــذي ولـيَ الأمـــو (م) رَ، فلـم ينكـلْ أو يحـــاب؟
إنـــا جعلنـــا الحكم عنـــ (م) وان المثـــوبـــة والعقـــاب

* * *

إنـى أرى حـــــزبيَّـــــةً هـوجـاءَ طـائشـة الصـوابِ[1]
رَمَت الأقـــارب بِـــالشتـــا (م) ت، وفـــرَّقت بيـن الصحـــاب
سَقَـت البـــلاد بكفهـــا كـأسين: مـن سم، وصـــاب[2]
حـــزبيَّـــة قـــامت على أُس مـن الشهَّـــوَات نـــاب
حـــارت وحـــار رجـــالهـــا بيـن المـــروق والانتســـاب
ومـن المبـــادىء مـــا يبـــدَّ (م) لُ مثـلَ تبـــديـل الثيـــاب

* * *

القـــوم طـــال سكـــوتهُـم والصخـرُ يـومـىءُ بـالخطـاب[3]
أيقـــال: أبطـــالُ الحمـى وضعـوا المطـالب فى العيـاب؟[4]
وتمخضـتْ عـــزَمـــاتهُـمْ عن قصـــة الملـح المـــذاب؟
وطـــوت مقـــاليـــدُ الأمـــو (م) رِحمـــاسَهم طـى الكتـــاب؟[5]
الشـــرقُ يـــركـضُ نحـــو غـــا (م) يتـــه، ووادى النيـل كـــاب[6]
أيـن الـــذى طلـبَ الجـــلا (م) ء وراح يصـــدُقُ فـى الطـــلاب؟
غـــابَ المطـــالب بـــالحقـــو (م) ق، ولـجَّ فى طـــول الغيـــاب
فى وقـت تقـــريـــر المصيـــ (م) ـرِ، وَوَقتِ تحـــريـــر الـــرقـــاب

---

(١) الهوج: الحمق. (٢) الصاب: شجر مر.
(٣) يومىء: يشير. كانت تلك الفترة فترة ركود فيما يتعلق بالمطالب القومية.
(٤) العياب: جمع عيبة وهى ما يشبه الحقيبة.
(٥) مقاليد الأمور: مفاتيحها. الفرد: مقلاد بمعنى مفتاح.
(٦) يركض: يجرى بسرعة. وكاب: عاثر.

فـــاروقُ، يـــا زيـنَ الشبـــا (م) ب، وشبـل آســـاد غضـــاب
مهمـــا تفـــرقت الشِّعـــا (م) بُ، فأنت مُجْتَمَعُ الشعـــاب
أنت المـــؤمَّل فـى الخطـــو (م) ب، المـــرتَجَى عنـــد الصعـــاب
أدرك بحكمتـك السفيـــــــــــــ (م) ــنةَ؛ فـــالسفينـــةُ فـى اضطـــراب
الـــريـح تجـــرى زعـــزعًـــا والمـــوج يعلـــو كـــالقبـــاب
إن الـــرعـــاة تفـــرقـــوا ويـح القطيـع من الـــذئاب!

في المولد النبوي :

ذكرى محمد [1]

الرسالة ١٧ من يونية سنة ١٩٣٥م

هــو عيدُ ميلاد ابن عبدِ منـافِ — لا عيــدُ مختــرع ، ولا كشّــافِ

أكبرتُ قـدرك - يـا بن عبد الله ــ عن — تـأليـف أوزان ، ونحتِ قـــوافِ

مـــا أنـت إلا عَيْلَـمٌ لم يُكتشـفْ — يطغى بلجتــه على الــوصّـاف [2]

بحـر خضـمّ ، غيـرَ أن جُمـانَـه — مـا زال سرًّا داخل الأصـداف [3]

لــولاك لانقطع الـزمـان ؛ فلم تكن — حلقـاتُـه مـوصـولـة الأطـراف

دجت القـرونُ ؛ فقـام دينُك حـارسًـا — يحمى ذمـار حضـارة الأسـلاف [4]

❊ ❊ ❊

هــزّ الــوجـودَ بكفـه فـى مهـده — طفلٌ يتيمٌ من كنـانـةَ عـاف [5]

جــادت بـه الفلـواتُ أصفى طينـةً — وطـويـةً من جـوِّهن الصـافي

وأشـدَّ مـن خضبـاتهن صـلابـة — وأهبَّ من إعصـارهن السـافى [6]

فإذا الأكـاسـر خـاضعـون لحكمـه — وإذا القيـاصـرُ مـرغمـو الآنـاف

---

(١) أنشئت فى مولد الرسول المقارب لهذا التاريخ . (٢) العيلم : البحر.

(٣) بحر خضم : أى واسع .

(٤) دجت : أظلمت . الذمار: ما تجب حمايته . يشير - فى هذا البيت وما قبله - إلى : أن الحضارة الإسلامية حلقة الاتصال بين الحضارتين : اليونانية القديمة والأوربية الحديثة .

(٥) العافى : الفقير.

(٦) الإعصار السافى : الريح الشديدة الهبوب .

فتحت مبـادئُه الحصـونَ أمـامـهُ ... قبل الصـوارم والقنـا الـرعَّـاف[1]

غـزتِ القلـوبَ بسحـرهـا ؛ فكأنها ... قـد لامست منهـن كل شَغَـاف[2]

أين الـذى يغـزو القلـوب من الـذى ... يغـزو الـرقـاب بحـدَّة الأسيـاف؟

تلك المبادىء ـ وهى شتى ـ جُمِّعتْ ... فى مبـدأين : الحقِّ، والإنصـاف

* * *

آخى ابنُ عبـدِ الله بيـن معـاشـر ... يتنـاحـرون تنـاحُـر الأخيـاف[3]

لانت قنـاتهمـو لـدعـوتـه، ومـا ... لانت قنـاتهمـو لغمـز ثقـاف[4]

ولقـد يـروض الأسْـدَ رائضُهـا ، ولا ... يتغيـرُ الطبـعُ الغليظ الجـافى

هـذا هـو الإعجـاز ، لا بحـرٌ، ولا ... قمـرٌ قـد انشقـا إلى أنصـاف

آىٌ من الـذكـر الحكيم أتـى بهـا ... فإذا القلـوب تَلِينُ بعـد جفـاف

ولـوَ ان ألفَىْ دوحـة سجـدا لـه ... مـا كـان ذلـك بـالـدليل الكـافى

عجبـا ! أجـاء محمـد بـالسحـر فى ... آيـاتـه أم شـابهـا بسُـلاف؟

أم كـان تنـويمـا خضـوعهمـو لـه ؟ ... مـا ذلك السـرُّ العميـقُ الخـافى؟

أقسمتُ، مـا كـان النبىُّ محمـدٌ ... بمشعـوذ ، كـلا، ولا عـرَّاف[5]

لكنـه الإيمـان مـن يظفـرْ بـه ... يلق المفـاوز سهلـة الأكنـاف[6]

لـوْ يـرزقُ الإيمـانَ طـودٌ ، لارتقى ... بقـوادم مـن ريشـه وخـواف[7]

---

(١) الرعاف : أى الذى يقطر دما .
(٢) شغاف القلب : غطاؤه .
(٣) الأخياف : هم الأخوة ؛ أمهم واحدة، وآباؤهم شتى
(٤) الثقاف : آلة كانت تستعمل لتقويم الرماح المعوجة .
(٥) المشعوذ : خفيف اليد الذى يأتى أعمالا تشبه السحر .
(٦) المفاوز : جمع مفـازة وهى المكان غير المأمـون . والأكناف : جمع كنف بمعنى الجانب .
(٧) قوادم الطائر : ما ظهر من ريشه وخوافيه ما إذا ضم جناحيه لم يظهر .

هـذا الـذى جعل النبىَّ ورهطَـهُ إن حاربـوا ، انتصروا علـى الأضعاف

يـزداد فى سـاح الـوغى إيمـانهم فيقـابلـون المـوت بـاستخفـاف

يُستضعَفــون لقلــةٍ ، لكنهـم بـوثــوقهم فى الله غيــرُ ضعـاف

فإذا دُعـوا للحـرب ، هبـوا ، أو دعـوا للمـال ، عفُّــوا عنـه أىَّ عفـاف

قم سـائل الأعـراب : أيـةُ دولـة نهضـوا بهـا حمـلا على الأكتـاف؟

بـذت « أثينـا » فـى الحضـارة أمـةٌ لم تأوِ غيــرَ مضـارب وفيــاف [1]

شُغلــوا بفلسفــة وعلـم بعــدمـا شغلـوا بـوصف منـازل وأثـاف [2]

تَخـذوا القصـور مساكنًـا وتسرْبلـوا بـالخـزِّ ، لا الأوبـار والأصـواف [3]

فإذا الجـزيـرةُ بعـد جـدْب جنـةٌ ميَّـاسـةٌ مهتـزةُ الأعطــاف [4]

يــا رب أسطــول بنـوهُ كـأنـه بحــرٌ خضمٌّ فـوق آخـرَ طـاف

السوقـة الأجلاف قـد حكموا الـورى أنعم بحكم السوقـة الأجـلاف ! [5]

ما شئـت من : عدل ، وتسويـة ، ومن شــورى ؛ فيـا لثـلاثـة أحـلاف !

* * *

يـا شـرقُ ، يا مهـدَ الشـرائع ، رحمـةً لك ! مـا لأهلك فيـك كـالأضيـاف؟

يـا شـرق ، أنت لكـل شمس مطلعٌ ما بـال أفقك حالـكَ الأسداف؟ [6]

أعــزز علينــا أن نــراك تئـن من تقييــد أقـدام وشــد كتــاف !

بـدأت من الشـرق الحضارة سيـرهـا أفمـا لــرحلتهـا مـن استئنـاف؟

---

(١) أثينا : المـراد بها : حـاضرة اليـونان القـديمة . والمضـارب : الخيام . والفيـافى : الصحارى .

(٢) الأثافى : جمع أثفية وهى : الحجر توضع عليه القدر ، والمراد : وصف الأطلال ، والرسوم ، وما إليها فى أشعارهم .

(٣) الخز : نسيج ناعم كالحرير .

(٤) مياسة : متثنية . الأعطاف : جمع عطف ؛ وهو : الجانب .

(٥) السوقة : عامة الناس .

(٦) الأسداف : الظلمات .

أنصاف رجال (1)

الرسالة ٢٤ من ديسمبر سنة ١٩٣٤م

شبابَ النيل، يا زين الشبابَ ... ويا أشبال آسادٍ غضابِ
معي: عتبٌ أوجهُهُ إليكم ... وقد تصفو المودة بالعتاب
أرى منكم فريقًا حين يمشي ... يحكُّ بأنفه ظهر السحاب
كليث الغاب في صلف وتيه ... وما هو في القِرَاعِ بليث غاب (2)
لزهْر النَّرد قد خلقت يداه ... وليست لليراع، ولا الكتاب (3)
تفنَّن في محاكاة العذارى ... وخالَفَهُنَّ في وضع النقاب
وأرسل شعرهُ المضغوط، يحكي ... وميض البرق، أو لمع الشهاب
تداعبُهُ الصَّبا فيموج موجًا ... كما هب النسيمُ على العباب (4)
له حلَلٌ تحاكي الطيْف لونًا ... بأزرار من الذهب اللباب (5)
وفيها جسمه انصبَّ انصبابًا ... فما تدري الثياب من الإهاب (6)
وليس بمُحُكم عملا شريفا ... ويحكم وضْعَ أربطة الرقاب
ولا يخشى على شيء، ويخشى ... إذا ثار الغبار على الثياب
إذا خاطبتَهُ في غير لينٍ ... تأوَّه، أو تنهَّد في الخطاب

---

(١) أنشئت هذه القصيدة؛ بمناسبة تغالي بعض الشبان، في التأنق تغاليا يصل إلى الحد الذي ينقلب إلى الضد.
(٢) الصلف: الكبر وهو من صفات الأسد
(٣) ضمير ليست يعهود إلى: «يداه» وهو استعمال مألوف عند العرب؛ قال الشاعر:
كأني أنا المطروق دونك بالذي ... طرقت به دوني؛ فعيناي تهمل
(٤) الصبا: ريح الصباح.
(٥) الذهب اللباب: أي الخالص.
(٦) الأهاب: الجلد.

وإن أربى على العشـــرين منهـم فتى، أمس يغـالـط فى الحسـاب[1]

وكم مـن لِمَّـة فى مصـرَ شـابتْ ولم تنفكَّ عن دعـوى التصـابى [2]

وإن يَخْلـل فتـــاهـم قلب أنثـى يحلَّ هنـاك بـالـركن الخـراب

فلن تـرضـاه كـالطـاووس شكـلاً ولكن كـاسـرًا مثل العقـاب

وكم ضـاق الجمـالُ بطـالبيـه وأُوذِىَ بـالتَّجمـل والخضـاب!

فقل للغـاصبيـن الحسنَ : مهْـلا منى نيل الجمـالُ بـالاغتصـاب؟

إذا الـذئبُ استحـال بمصـر ظبيًّـا فمن يحمـى البـلاد من الـذئاب؟

بـرئتُ من الفتى يبـدو، فتبـدو عليـه نعـومـةُ البيض الكعـاب!

---

(١) أربى : زاد.

(٢) اللمة : مجتمع الشعر عند الأذن.

تجـــار العقـــائد (1)

الأهرام ٢٣ من يونية سنة ١٩٣٣م

خَطَـــــرٌ تغلغـل فـي الحمـى	بـــاسم المسيح ومـــريمـــا
إنـي أعيـــذُ عُــرا المــودّ (م)	ةَ بيننـــا أن تُفصمـــا[2]
مَـن عَق مصـــرَ، يعقُّ أحـــ (م)	ـــمَد والمسيحَ كليهمـــا
أكبـــرتُ عيسى أن يكـــو (م)	ن إلى المطـــامع سلَّمـــا
فلطـــالمـــا نَشَـــر الســـلا (م)	مَ، وبـــاسمـــه جَـرَت الـدِّمـــا

❊ ❊ ❊

الـــدينُ مثـلُ العـــرض، لا	نـــرضى لــــه أن يُثلمـــا[3]
حَـــرَمـــان، لا سلِمَتْ حيـــا (م)	ةُ المـــرء إن لم يسلمـــا!
أفتجـــرحـــونَ شعـــورنَـــا	فيــــه ولا نتـألمـــا؟
هيهـــات نسمحُ للـــدخيـــ (م)	ـــل عليـــه أن يتهجمـــا!
قـــد تخســرون المسلميـــ (م)	ـــن إذا كَسَبْتم مسلمـــا
لا يخـــدعَنكم امـــرُؤٌ	فى دينـــه قـــد سُـــووِمـــا
هــو تـــاجـر بـــالـديـن، يســـ (م)	مَحُ حين يـــربـح درهمـــا
إن ينتفـع بيســـــوع، غنـى	بـــاسمــــه، وتـــرنمـــا
أو ينتفـعْ بمحمــــــــد	صلّـى عليــــه وسلَّمـــا

❊ ❊ ❊

---

(١) فى سنة ١٩٣٣م : استشرى خطر التبشير فى مصر، حتى كاد يؤدى إلى فتنة عمم؛ فأنشأ الشاعر هذه القصيدة.

(٢) فصم العروة : قطعها.

(٣) ثلم الأناء : كسر من جانبه.

كم ضمّـــدوا جـــرح الجـريــــ (م) ح إذا الجـــــريـح تـألمَّــــــا
من بعــــد مــــا نفثـــوا السمــــو (م) م بعقلـــــــه فتسمَّمــــــــا
يُغـــــرونَ بـــــالمـــــال اليتيـــــ (م) ـــمَ، ويفتنـــون المعـــدمـــا
ويعلِّمــــون ليجـــذبـــوا مـن شـــــاء أن يتعلمــــــا
مـــا ضــــرَّ لـــو لم يمـــزجـــوا بـــالسمُّ هـــذا البلسمـــا؟
لـــو يفعلـــون الخيـــر محـــ (م) ـضًا كـــان ذلـك أقْـومـــا [1]

❊ ❊ ❊

خلـــــوا الأنـــــام على عقـــــا (م) ئدهـم، وإن عبـــدوا الـــدُّمى
الـــــدينُ مـــــا ضمـن الهـــدا (م) يـــة كـــــان دينـــا قيِّمـــا
دين المسيـــح ـــــ كـــدين أحـــ (م) ـــمد ـــ لا يـــؤيِّـــد مجـــرمـــا
سيَّـــان مـن بـــالشـــام قـــدَّ (م) س أو بمكـــة أحــــــرمـــا
الكـــل فى الفـــــردوس يطـــ (م) ـــمع أو يخــــاف جهنمـــا
مـــا حــــرَّم الإســـلام حـــلاً (م) أو أبـــــاح محــــرَّمـــا
ديـنٌ محـــا جهـــلا على شبـــه الجـــزيـــرة خيَّمـــا
ردَّ الخيـــامَ مقـــاصـــرًا وبنـى وشـــاد ودعَّمـــا [2]
وبنى المــــدائن حـــول دَجـــ (م) ـــلةَ والفـــرات فـأحكمـــا
واجتـــاز بحـــر الـــرُّوم فـى قـــرن وجـــاب القُلـــزُمـــا [3]
ونمـــالنـــا شعبـــا مـن الـــ (م) بـــدو الجفـــاة منظَّمـــا
أقصى ملـــوكَ الفـــرس والـــ (م) ـــر ومـــان عن عـــرشَيْهمـــا

---

(1) المحض من كل شيء: الخالص منه
(2) المقاصر: جمع مقصورة وهى الغرفة. البناء: معروف، وبنى: غير شاد وغير دعم، فشاد البناء: أى طلاء بالشيد وهو الجص، ودعم البناء أى: ركز له ما يسنده.
(3) بحر الروم والقلزم: هما البحران الأبيض والأحمر.

وأضـــاف مـــا بيـــديـــه من (م) أدب إلــى أدبيهمـــــــــــــــا
وروَى عـن اليـــونـــان للـــ (م) جيل الحـــديث وتـــرجمـــا

* * *

هل تـــرجعـــون إلى الـــورا (م) ء إذا الـــزَّمـــان تَقـــدَّمـــا؟
عصـــر التعصُّب قـــد تقـلَّ (م) صَ ظلـــه وتصـــرَّمـــا[1]
لا تبعثـــوا مـن لحـــده (م) هـــذا الـــزمـــانَ المظلمـــا
أيـــامَ كـــان المـــرء بـــاســـ (م) ـــم الـــدين ربًّـــا منعمـــا
بـــاسم الصليب أو الهــلا (م) ل على الـــرقـــاب تحكمـــا
الله فـــوَّضَـــهُ؛ ليعـــ (م) ـــدل في الـــورى أو يظلمـــا
وحبـــاه جنَّتـــه؛ ليُعـــ (م) ـــطىَ من يشـــاء، ويحـــرمـــا
الآن قـــد بـــرئت عيـــو (م) نُ النـــاس من هـــذا العمى
فليستـــرحْ من بـــالبيـــا (م) ض أو الســـواد تعمَّمـــا
قضت العلـــوم على الخـــرا (م) فـــاتِ القضـــاءَ المبـــرمـــا

---

(1) قلص الظل: انحسر وتلاشى.

قومى بين الشرق والغرب[1]

الرسالة ١٧ من مارس سنة ١٩٣٩م

قــــومى، لأنتم عبــــرةُ الأقــــوامِ ... هل تنسبــون ليــافثٍ أو ســامِ؟[2]

أبنـــاءُ عمى من نـــزارَ ويعـــربٍ ... ليســـوا بـأعـــراب ولا أعجـــام

يتـــرسَّمون الغـــربَ حتى يُـوشكــوا ... أن يعبـــدوه عبـــادة الأصنـــام[3]

مـــا قلـــدوهم مبصـــرين؛ وإنمـــا ... تَبِعُـــوا نظـــامَهمـــو بغيـــر نظـــام

للغـــرب عـــاداتٌ مسّممـــةٌ، ســـرت ... فى الشرق مسرى الداء فـى الأجسام

إنى رأيـت جيـوشـــه لم تغـــزُنـــا ... فى الحرب، بل فـى مشرب وطعـام

لا تأمنـوا المستعمـريـن؛ فكم لهم ... حـــربٌ تَقنَّع وجهُهـــا بســـلام

حـــربٌ على لغـــة البلاد وعـــادِهـــا ... ليست تُشَـنُّ بمـــدفع وحســـام[4]

والشعب إن سَلمت لـــه أخـــلاقـــه ... ولســـانـــه، لم يخْشَ قطع الهـــام[5]

مـــا صـــاغَ ربك من نضـــار خـــالص ... شعبًـــا، وشعبًا من حصى ورغـــام[6]

هى محضُ أوهـام! أعيذ الشـرق من ... أمـــم تعيش أسيـــرة الأوهـــام

إنى أعيـــذ الشـــرق مـــن متَمسِّح ... بـــالأجنبِّى، لقـــومـــه هـــدَّام!

---

(١) يعنى الشـاعر ـ فى هذه القصيـدة ـ على بعض الشرقيين افتتـانهم بكل ما هـو غربى، وعلى من يتعلمون فى أوربا تنكرهم لأوطانهم بعد عودتهم إليها.

(٢) يشير إلى: ما تشير إليه الخرافة من: أن العرب من نسل سام بن نـوح، والفرنجة من نسل يافث.

(٣) ترسمه: اقتفى أثره.

(٤) العاد: جمع عادة.

(٥) الهام: جمع هامة وهى الرأس.

(٦) النضار: الذهب. الرغام: التراب.

إن لامه الغربيُّ فى أوطانه … أنحى بلائمه مع اللُّوَّام

وإذا رنا نحو الغريب، فإنما … يرنو بمجْهَر راصِد الأجرام[1]

وإذا أعار بنى أبيه نظرة … فبمقلة الأعمى أو المتعامى

والعين تخدَعُ ربَّها، ولربما … خلقت عمالقة من الأقزام[2]

وإذا تنكَّر للحمى أبناؤه … فهمو أضرُّ له من الأخصام

* * *

ما بالُ بحرِ الروم من يجتازُهُ … يوما تناسى سالفَ الأيام؟

فإذا به خَلقٌ جديد ما مضى … من عمره حُلمٌ من الأحلام

تتغير الدنيا عليه؛ فكلُّها … فى عينه نقصٌ بغير تمام

هل تغرق العاداتُ من أربابها … فى ذلك البحر الخِضَمِّ الطامى؟ [3]

ما اجتاز شرقىٌّ عجاجة موجه … إلا وَعَاد مزودا « بمدام »

إن التكافؤ فى الدماء فريضةٌ … ولوَ انها لم تأت فى الأحكام

وهو القران إذا تخالف أهلُه … جنسا، فعقدته لغير دوام

كم زيجةٍ ما زال يدمَى جرحها … ومن الجروح: ذوابلٌ ودوامى!

* * *

لا أعرفُ العربىَّ يكشفُ رأسه … نحو المجالس مُومئًا بسلام[4]

إنْ زِيرَ، تَخْرجُ عِرسُهُ من دُونِهِ … للزائرين بثغرها البسام[5]

بدوارس الأطلال يُلحقُ أمَّهُ … ويرى أباه رابعَ الأهرام[6]

---

(١) المجهر: المنظار المكبر، والمراد بالأجرام: الأجرام السماوية.

(٢) العمالقة: جمع عملاق، والأقزام: جمع قزم؛ وهما ضدان؛ الأول: الطويل، والثانى: القصير.

(٣) الخضم؛ الواسع. والطامى: الفياض الممتلىء.

(٤) مومىء: اسم فاعل من أومأ بمعنى أشار.

(٥) زير: ماض بنى للمجهول بمعنى زاره زائر، والعرس ـ بكسر العين ـ: الزوجة.

(٦) دوارس الأطلال: الآثار البالية، ورابع الأهرام: كناية عن العتق والقدم.

يعصى الإلـه، فإن أشـارت عِـرسُـهُ ... بإشـارة ، فـالقولُ قـولُ « حـذام »[1]

ويكـاد يسلـخ نفسـه من قــومـه ... لـو تستطـاع قطيعـة الأرحـام

ويكـاد يمسخ خلقـه، لـو كـان فى ... يمنـاه قَلْبُ معـالم الأجسـام

* * *

لا أعـرف العـربى يلـوى فكَّـه ... إن همَّ يـومـا فكَّـه بكـلام

إن فـاه، تسمعُ لكنـةً ممقـوتـة ... من فيـه « سكسـونيَّـةَ » الأنغـام

لفظـا من الفصحى، وآخـرَ نـابيـا ... كـالقـار ممـزوجـا بكأس مُـدام

لغـة إذا قـرَعَت بجنـدل لفظهـا ... أذنَ السميـع ، شكـت مـن الآلام

لهفى على الفصحى! رمـاهـا معشرٌ ... من أهلِهَـا . شَلَّت يمينُ الـرامى

لم يهتـدوا لكنـوزهـا ؛ فإذا همـو ... يـرمـونهـا بـالفقـر، والإعـدام

الـدر فـى طىِّ البحـور مخبـأ ... والتبرُ ـ إن تنشـدْهُ ـ تَحْت رغـام

لن يستعيـد العُرْبُ سـالف مجـدهم ... ولسـانهـم غـرضٌ لكل سِهَـام[2]

إن يـرفعـوا مـا انقضَّ من بنيـانهم ... فـالضـادُ أولُ حـائطِ ودعـام

* * *

أبنى نـزارَ ويعـربٍ، أوصيكمـو ... بـذخيـرتين : الضـادِ، والإسـلام

المسلمـون ـ على شتـات ديـارهم ـ ... فـرضَ الإلـهُ خضـوعهم لإمـام[3]

الله بـالجمعـات وحَّـد بينهم ... وبحجِّ بيت فى الحجـاز حـرام

دين ابـن عبـد الله دينٌ بـاسمـه ... قبض الـرشيـدُ على الـورى بـزمـام

هـو دولـةٌ كبـرى، وملكٌ شـامخٌ ... لا محضُ تكبيـرٍ، ومحـضُ صيـام

* * *

---

(١) « القول ما قالت حذام » : مثل مشهور ، يضرب لمن لا يعارض له قول.

(٢) غرض السهام : هدفها.

(٣) يشير فى هذا البيت وما بعده إلى : ما فرضه الإسلام على أتباعه من مظاهر الوحدة، التى تكون منهم دولة ذات قوة ومنعة، وإلى أن الإسلام ليس دينا لاهوتيا محضا.

إن يُـزهَ شـرقيٌّ بغيـر العُـرْب من ... أجـداده الأتـراك ، والأروام

فأنـا الفخـورُ بأننـى: لا ينتمى ... للغيـر أخـوالـى ، ولا أعمـامى

إن تسألـوا عنى: إلى مـن أنتمى؟ ... فإلـى رعـاة النـوق والأغنـام

أبغيـر مجـد بنى نـزارَ ويعـربٍ ... يُـزهى عـراقيٌّ، ويفخـر شـامى؟

الديمقراطية (١)

مجلة دار العلوم يناير سنة ١٩٤٣م

اليومَ : لا قيصرٌ يطغى ، ولا شاهُ ... لكل شعب رعاةٌ من رعاياهُ (٢)

ليس الولاةُ بأربابٍ مصغَّرةٍ ... يا رب مولى سوادُ الشعب مولاه (٣)

القومُ فى مجلس الشُّورى سواسَية ... وَالعدلُ يأخذ بين القوم مجراه (٤)

أبصرتُ عاملَهم فى صف عاهِلِهِمْ ... لا حانيًا رأسهُ أو مطبقًا فاه

إن الحكومة فى شتَّى مظاهرها ... خَلْقٌ تُصَوِّرُهُ للشعب كفاه

* * *

الشعب كالجسم؛ ما للجسم من أرب ... فى الرأس إن هو لم تحمله رجلاه (٥)

للناس فى الفلك والطاووس موعظة ... كلاهما خيرُ ما فيه ذُناباه (٦)

---

(١) هذه إحدى القصائد الظافرة ، فى المسابقة التى نظمتها الإذاعة البريطانية سنة ١٩٤٢م.

(٢) القيصر: لقب ملك الروم قديما والشاه : لقب ملك الفرس؛ وهما مضربا المثل فى الدكتاتورية والاستئثار بالأمر.

(٣) جملة : « سواد الشعب مولاه » ، فى محل رفع خبر.

(٤) يريد بمجلس الشورى: المجلس النيابى.

(٥) يقول: إن كل عضو فى الجسم - كبرت قيمته أم صغرت - يؤدى وظيفته، والشعب كذلك، والأرب بمعنى: البغية.

(٦) ذنابى: ذنَب. يدافع الشاعر عن الطبقة الوضيعة فى المجتمع، ويشبهها بذنب السفينة وهو خير ما فيها، أو بذنب الطاووس وهو أبدع ما فيه.

البحر يثلجُ صدرى عند غفوته | إذا تساوت بسطح البحر أمواه
كم زُيِّنَ اسمٌ بألقاب مكدَّسة | وقد تجرَّد من زَيْن مُسماه
شر الورى: عَقِبٌ، أطغاهمو لقبٌ | إذا سالتهمو، قالوا: ورِثناه!
يتيه بالفضل ذو فضل فأمقته | ما بال قوم بأسلاف لهم تاهوا؟

***

من قسَّم الناس أجناسا: فذاك له | مجدٌ، وذلك لا مجد ولا جاه؟
من قسَّم الدَّمَ: هذا آسِن كَدِرٌ | وذاك من نفحات المسك ريَّاه؟ (١)
أبناءَ آدمَ، ما تلك الفوارقُ؟ هل | منكم له ابنٌ، ومنكم من تبناه؟
لم يخلق الناسُ من در ومن خزف | الناس - مهما عَلَوْا - للنَّاس أشباه
لا تُغلِ نفسك أو ترخص أخاك، فقد | سوَّاك ربك من طين وسواه
ولا تقل: هذه أنثى وإن ضعفت | أما تدبِّرُ مُلْكَ النحل أنثاه؟

***

خير الحكومات: ما الشورى دعامته | وما أقيم على الدستور مبناه (٢)
حكم تَنَزَّه؛ لا يرمى إلى غرض | فى النفس؛ لكنّ محض الخير مرماه
أرسى قواعده شعبٌ له خُلُقٌ | ذو صولة تتحدَّى من تَحَدَّاه(٣)
إن كان للفرد فيه مأرب، وقفت | روحُ الجماعة ضدَّ الفرد تنهاه
ضَعُوا مقاليَد أمر الشعب فى يده | ما صرَّفت أمرَهُ يمنى كيمناه(٤)
يطيبُ نفسا إذا التوفيق حالَفَهُ | ولا يلوم إذا التوفيق أخطاه
قد يُلحقُ الخيرَ بى غيرى فيُسخطنى | وتُلحق الشرَّ بى نفسى فأرضاه

***

(١) أسن الماء: تغيرت رائحته. والريا: الرائحة الطيبة.
(٢) الدعامة: ما يستند عليه الجدار.
(٣) يشير - فى هذا البيت - إلى: أن صلاحية الدساتير وحدها لا تكفى؛ بل لابد من شعوب ساهرة؛ تقف المعتدى عند حده.
(٤) مقاليد: جمع مقلاد وهو المفتاح.

قـالوا: النيـابة شـرٌّ. قلتُ: ربَّ أذًى ... نـرضـاه دفعـا لشـرٍّ منـه نخشـاه [1]

مَنْ يطلبِ الخيـر محضًـا عزَّ مطلبُـهُ ... فإنمـــا فطـرةُ الأشيـــاء تأبـــاه [2]

يـا رُبَّ مُلـك بنتـه كفُّ طـاغيـةٍ ... تحصى النجومُ، ولا تُحصى ضحاياه

دم الضحـايـا طـلاءٌ فى جـوانبـه ... وهـامُهمْ لَبِنَـــاتٌ فى زوايـــاه

لا يسلُم الحكـمُ للجبـار فـى وطن ... إلا إذا بـات مقصـوصًا جنـاحـاه(٣)

حكم إذا سـاد، لـم يُسمع لمنتقـدٍ ... صوت، ولم يفض ذو شكوى بشكواه

الشعب يبقـى ويبقى مجـدُ دولتِـهِ ... ودولـة الفـرد تُنْعى يـومَ منعـاه!

---

(١) لا يسلم الحكم النيابى من المساوىء، وكثيرًا ما وجهت إليه الانتقـادات، ولكنه أخف الضررين. قال بعض الحكماء: ليس الحازم من يعرف الخير من الشر، بل الحازم من يعرف أهون الشرين.

(٢) محضا: خالصا.

(٣) الضمير فى جناحاه: يعود على الوطن.

آمال وآلام !! (١)

الدستور ٢٠ من إبريل سنة ١٩٣٦م

شُقَّ الفضاءَ بنورك المتجددِ ... يا ليت شعرى : ما تخبىءُ فى غدٍ؟
ولقد مضى عامٌ عرفتُ صروفه ... وعييتُ بالغيب الذى لم يوجد
رصدوا النجوم، ورحت أرصد شيخها ... شيخَ النجوم الزُّهْر، علَّك مرشدى!
يَا ابْنَ الظلام، أما تعبتَ من السُّرى؟ ... أبدا تروحُ على الأنام وتغتدى
شيَّبت ناصيةَ القرون ولم تزل ... طفلا، تُطالعنا بوجهٍ أمرَد
تمضى الحياةُ، فلا تعودُ إذا مضت ... وأراك تختتم الحياةَ وتبتدى (٢)
حتَّامَ تضرب فى الدياجى هائمًا ... تهدى الأنام ولا إخالك تهتدى؟ (٣)
رقد الأنامُ خليُّهم وشجيُّهم ... وظلِلْتَ وحدك ساهرا لم ترقد
ولقد حسبتكَ بالسلام مبشرًا ... فبرزتَ مثل الخِنجرِ المتجرِّد
الشرقُ مضطرم الجوانح ثائرٌ ... والغربُ يهدر كالخضم المزبد (٤)
إنى أرى نارًا أُعِدَّ هشيمُها ... وثقابها، لكنها لم توقد (٥)

* * *

(١) أنشئت هذه القصيدة في استقبالى العام الهجرى، المقارب للتاريخ المشار إليه.
(٢) المراد : أن الهلال يولد ثم يكتمل ثم يتلاشى، وبعد ذلك يولد من جديد، وهكذا دواليك.
(٣) الدياجى : الظلمات، جمع ديجاة.
(٤) مضطرم : أى متقد، والهدير: صوت الجمل والبحر وما إليهما، والخضم: الواسع.
(٥) الثقاب : الكبريت.

عـــامٌ، وآخـــر: مقبلٌ، ومـــودعٌ شيعتُ نعشًـــا، واحتفلتُ بمـــولـــد

ولّى القـــديم، فمـا ظفـرت بطـائلٍ وأتى الجديد، فهل ترى هو مُسعدى؟

ولقـــد تشـــابهت السنـــونَ، كأننى مـــا عشت عمرىَ غيـرَ عـامٍ مفـرَد

قـالـوا: عجبنـا! مـا لشعـرك نـائِحًـا فى العيـد؟ مـا هـذا بشـدو معيِّـد

مـــا حيلـة العصفـور قَصُّوا ريشـهَ ورمَـوْه فى قفص وقـالـوا: غـرِّد؟

* * *

يـا ليت شعـرى، يـا هـلال، أعـائد للمسلمين بنصـــر ديـن محمـــد؟

أتعيـد للجمعـات سـابق عهـدهـا؟ أتعيـد لـلإسلام مجـدَ المسجـد؟

أدركتَ عهـد الـراشـدين بيثـربٍ وحسـدتهـا بيـن النجـوم الحسـد[1]

وشهـدت دولـة عبـد شمس حينمـا بلغ الـوليـدُ بهـا عنـان الفـرقـد[2]

ولقـــد طَلَعْتَ علـى بنى العبـــاس إذ جلس الـرشيـد مع السُّهـا فى مقعـد

لهفى عليهـــا دولـــة قـــد أوشكت تمتـــدُّ حتـى سـاحل المتجمـــد!

للشرق مـــاض، كلمـا سنحـت لـه ذكـــراه يـــزفـــرُ زفـــرة المتنهـــد

الشـــرق يـأمل أن تَحُلَّ وَثَـــاقَـــه جرت الشعـوبُ، وسار سيـر المقعد

لهفى عليـــه منسَّبـــا لـم يُجـــده طيبُ النجـار ولا كريمُ المحتـد![3]

بتنـا نعيش بـذكـريـات جـدودنـا هيهـاتَ! ليـس الحـر كـالمستعبدَ

أين الجبـالُ من التـلال أو الـربـا؟ أين القوى مـن الضعيف القعْدد؟[4]

لا القـــومُ منى لا، ولا أنـــا منهمـــو إن لم أُنْقْهـم فى العُـلاَ والسـؤدُد

كـــان الجـدودُ لهم شـرًى يأوونَـهُ ولنـــا وكــورٌ مـن يـردهـــا يصطـد

---

(١) يثرب: اسم من أسماء المدينة المنورة.

(٢) دولة عبد شمس: هى دولة بنى أمية بن عبد شمس، والفرقد: نجم معروف.

(٣) النجار والمحتد: الأصل والعنصر.

(٤) القعدد: العاجز الكثير القعود.

كانوا مغاورَ يعتدون على الورى ... فإذا بنوهم عرضةٌ للمعتدى[1]
صالوا برمح ذابل ومهندٍ ... عضبٍ، ونعجز أن نصول بمبرد
أين الذى نظم الجيوشَ من الذى ... نظم الكلام قلائدًا من عسجد؟[2]
قد كان همُّهم الفتوحَ، وهمُّنا: ... أن نغتذى، أو نرتوى، أو نرتدى!
إرثٌ على يدنا تبدَّد شملهُ ... يا ليت هذا الإرث لم يتبدد!
يا من رأي أرضًا أبيح حرامُها ... بالأمس كانت فى قداسة معبد؟
أمَمٌ تباع وتشترى في السُّوق؛ من ... يد سيِّد تمضى إلى يد سيد
الحربُ حولَ الشرق شبَّ أُوارها ... والشرقُ يرقبُ، من يقُدْهُ ينقد[3]
مالى أرى الشرقَ المهيضَ جناحُه ... رغم اتحاد الهم غيرَ موحَّد؟[4]
وإذا تفرقت الشعوبُ مواقعًا ... وتقاربتْ غاياتها، لم تبعد
ولقد تهانُ أمامَنا جاراتُنَا ... وشكاتهن تُذيب قلبَ الجلمد[5]
فنرى ونسمعُ صامتين، كأننا ... لم نستمع، وكأننا لم نشهد
فإذا تحمَّسْنَا، مَددْنا نحوهم ... كفَّ الدعاء، وغيرَها لم نمدد
عذرًا بنى أعمامنا. أغلالنا ... قعدتْ بنا عن نجدة المستنجد
أَعزِزْ علينا أن نرى جيراننا ... يُتخطفونَ، ونحن مكتوفو اليد!

***

---

(١) مغاور: جمع مغوار وهو الكثير الغارات. وليس المراد، وصف الجدود بالعدوان، بل وصفهم بالقوة، وهو استعمال مألوف عند العرب، قال الشاعر يصف قوما بالضعف:

قبيلته لا يغدرون بذمة ... ولا يظلمون الناس حبة خردل

(٢) العسجد: الذهب.

(٣) شب أوارها: اتقد جمرها.

(٤) جناح مهيض: أى مكسور.

(٥) يشير ـ فى هذا البيت وما بعده ـ إلى: الاعتداء على فلسطين.

مَن لـى بجيل مستجـــد لـم يـــرث ... إلا عن الجـــد القـــديـم الأبعـــد

يـــرث ابن هنـــد فى أصـــالـــة رأيـــه ... أو خـالـــدًا فى عـزمـه المتـــوقـد[1]

لم يعتـــد الضيـم الـــذى نعتـــاده ... أهـــون بكل أذى علـى المتعـــود!

إن قـــام يثبتُ حقـــه، فـــدليلـــه ... قصفُ المـــدافـع، أو صليلُ مهنَّـــد

لا خيـــر فـى حق يقـــال، ومنطق ... عـذبٍ، بحـد السيف غيـــرِ مـؤيَّـد

جيلٌ: إذا سِيـمَ الهـــوان أبى، وإن ... يُطلبْ إليـــه البـــذلُ لم يتـــردد[2]

يهـوى الحيـاة طليقـــةً، ويعـافهـا ... ذلا، ويُـــدعى للفـــداء فيفتـــدى

* * *

---

(1) ابن هند: هو معاوية بن أبى سفيان، أمه: هند بنت عتبة

(2) سيم الهوان: أى حمل عليه.

في الوصف

الكلب هول (١)

الرسالة ٢٩ من أغسطس سنة ١٩٣٨م

كلبٌ ينم على الجُنَـــاهْ	تمشى العدالة فى خُطَاهْ
إن قـال، أرهفت النيا (م)	بةُ سمعَها، وصغا القضاه
كم أفلت الجانى، فشمَّـ (م)	ـر ساعديه، واقتفاه
لم يُعْى أهلَ البحث سرُّ (م)	غامضٌ إلا جلاه
يستخرج السرَّ الدفيـ (م)	ـنَ، كأنه بعض الحواه
وكأنما هو إذ ترا (م)	ه مشعوذ يتلو رُقَاه[2]
عَيُّ اللسان وإنما	فى أنفه جُمعتْ قواه[3]
هو لا يحيد عن الصوا	ب ،ولا يحابى من رشاه
لا يعْرف القربى ولو	كان الذى يجنى أخاه
هيهات! لا إشكالَ فيما	يدَّعيه ولا اشتباه
كم ناطق تبع الهوى	فَلوى بغير الحق فاه
ضلَّ ابنُ آدمَ نهجَهُ	حتى رأى كلبًا هداه
ما أضعف الإنسانَ مقـ (م)	ـدرةً، وأكثرَ ما ادعاه!

* * *

---

(١) هو: الكلب البوليسى المعروف، الذى يستخدم فى كشف ما غمض من الجرائم، يشم آثار الجريمة ثم يتتبع فاعلها.

(٢) المشعوذ: من يأتى بأفعال غريبة تشبه السحر، والرقى: جمع رقية.

(٣) عيّ: صفة مشبهة بمعنى عيى.

قــد بــات يــرعى الأمنَ « هــو ل » ، وغيــرُهُ يــرعى الشيــاه

كلــبٌ عصـــامـيّ بنتْ أركـــانَ دولتـــه يـــداه[1]

يـــا رُبَّ مفتخـــر عليــــ (م) ـــك ببيت مجــد مــا بنــاه

كلـــبٌ وضيـــعُ الأصـــل لا ليثٌ ، ولا ليثٌ نمـــاه[2]

استقبلـــوه مصفقيــــ (م) ـــن ، كأنــه بعضُ الغــزاه

كـم ودَّ شبل شـــرًى بجـــد (م) ع الأنف لـــو أضحى أبـــاه[3]

خــافتـــه دونَ الله أفـــ (م) ـــئدةُ الجبـــابـــرة الطغـــاه

يخشـــاه من لا أُذْنَ تســـ (م) ـــمعُهُ ، ولا عينٌ تـــراه

عجبـــا يخـــاف الكلبَ قـــو (م) مٌ لا يخـــافـــون الإلـــه!

❊ ❊ ❊

شيخَ الكـــلاب ، أخفـت ذئـ (م) ـــبَ الأنس ، لا ذئب الفـــلاه

لهجـت بـــذكـــرك ألسُنٌ وروت حـــوادثَكَ الـــرواه

وسلبـت كلـبَ الكهـف مـــا بيـــديـــه من عـــز وجـــاه

لـم تقض فـى النـــوم الحيـــا ةَ كمـــا قضى فيـــه الحيـــاه[4]

لكـن سهـــرتَ علـى السَّـــلا (م) م، وبـــات ينعم فـى كـــراه[5]

صـــاد الكـــلابُ فكـــان صيـــ (م) ـــدُهم الحمـــامـــةَ والقطـــاه

---

(١) العصامى : ضد العظـامى ، الأول من يفتخر بنفسه ، والثانى من يفتخـر بأسلافه ؛ نسب الثانى إلى : العظام ، والأول إلى : عصام الذى قال فيه الشاعر:

نفس عصام سودت عصاما ... وعلمته الكر والاقداما

وصيرته ملكا هماما

(٢) انتمى إليه : انتسب ؛ أى : ليس هو بأسد ولا الأسد من آبائه .

(٣) جدع الأنف : قطعها .

(٤) فاعل قضى : يعود على كلب الكهف ، والضمير فى فيه : ضمير النوم .

(٥) الكرى : النوم .

وأنفت من صيد البزا (م) ة فصدت صياد البُزاه[1]
إن طوقوك، فطالما طوقت أعناق العتاه
أو سلسلوك، فطالما سلسلت أقدام العصاه
يـأيها الواشى، رعا (م) ك الله من بين الوشاه!
يـا ربَّ مظلوم لـه كُتبت على يـدك النجاه
بإشارة منك الحيا (م) ةُ لمن تشاء، أو الوفاه

***

للأمن شرطيٌّ عليـ (م) ـهِ ساهر يحمى حماه
لا يستقلُّ بمكتب بين اليراعة والدواه
قبض المرتبَ غيرُه والخبْزُ فى الدنيا كفاه
مازان معصمَه شريـ (م) ـط، أو تألق منكباه[2]
أدَّى لوجه الله وا (م) جبَهُ بحزم وانتباه
متواضع بين الجنو (م) د، يلين إذ يقسو القساه
يـا رُبَّ جنديٍّ بدا لك «بيدقا» فى ثوب «شاه»[3]
يمشى فيغضب حين لا تعنو لطلعته الجباه[4]

***

قالوا: أتطرى الكلب؟ قلـ (م) ـت لهم: ومن أطرى سواه؟
يرعى الوداد، وما رأيـ (م) ـت من الأنام فتىً رعاه

---

(١) البزاة: جمع باز؛ وهو الطائر المعروف، وصياد البزاة: كناية عن الإنسان.
(٢) تألق: لمع، والمراد: أنه لم يزين منكبه بنجوم الضباط وما إليها.
(٣) البيدق: العسكرى، الشاه: الملك، وهما فارسيتا الأصل.
(٤) تعنو: أى تخضع وتنحنى.

لا أبتغى صلـــــةَ الأنـــــا (م)	م؛ فكلهـم مثلـى عفــــــاه[1]
كـم لـــــذَّ طعـم وعـــودهـم	عنــد المـــرور من الشفـــاه
فتبخـــــرت تلك الــــوعــــو (م)	دُ؛ كمـــا تبخـــرت الميـــاه
الصلــب بيــن النــــــاس إن	أنـت استنـــدت إليـــه واه[2]
والليثُ فيهـم ســاعـــة الـــ (م)	ـــجُلَّى يفــرُّ فــرار شـــاه
لا يـــــؤمَنـــون علـى الأذى	والكلـب مــأمـــــــونٌ أذاه
ســألـــوا الكـــلاب الحـقَّ إذ	وجـــدوه بيـن النـــاس تــاه

* * *

(١) الصلة: الهدية وما إليه، العفاة: جمع عاف وهو الفقير.

(٢) واه: اسم فاعل من وهى بمعنى ضعف.

الريف[1]

الرسالة ٢٧ من أغسطس سنة ١٩٣٤م

عشقوا الجمالَ الزائف المجلوبا ... وعشقت فيكَ جمالكَ الموهوبا

قدستُ فيك من الطبيعة سرَّها ... أنعمْ بشمسك مشرقًا وغروبا!

ولقد ذكرتك فادَّكَرْتُ طفولتي ... وتمائمي، طوبى لعهدك طوبى![2]

زعموك مرعىً للسَّوام، وليتهم ... زعموك مرعى للعقول خصيبًا![3]

فهي القرائحُ أنتَ مصدر وحيها ... كم بت تلهم شاعرًا وخطيبا

حيَّيتُ فيك الثابتين عقائدًا ... والطاهرين سرائرًا وقلوبا

والذاهبات إلى الحقول حواسرًا ... يمشي العفاف وراءهن رقيبا

سلبت عذاراكَ الزهورَ جمالها ... فبكت تريد جمالها المسلوبا[4]

❋ ❋ ❋

كست الطبيعةُ وجْهَ أرضك سندسًا ... وحبت نسميك - إذ تضوَّع - طيبا[5]

بُسُطٌ تظللها الغصون، فأينما ... يممت، خلت سرادقًا منصوبا

مالت على الماء الغصون كما انحنت ... أمٌّ تقبل طفلها المحبوبا[6]

---

(١) أنشأ الشاعر هذه القصيدة في إحدى إجازاته التي يقضيها ببلدته: «مليج منوفية».

(٢) طوبى: بمعنى الخير والحسنى أو هي اسم للجنة.

(٣) السوام: الماشية السائمة.

(٤) المراد ببكاء الزهور: ما يتساقط منها من الندى.

(٥) تضوع: انتشرت منه رائحة ذكية.

(٦) تعوق الرطوبة نمو الزرع، وهذا يجعل الأشجار المزروعة على حواف المياه بطيئة النمو من الناحية المواجهة للماء، فتكون النتيجة: أنْ تميل هذه الأشجار جهة الترع وما إليها.

وبـدا النخيل: غصـونـهُ فيـروزجٌ
يحملن من صـافى العقيق حبوبـا[1]

أرأيت عمـلاقًـا عليـه مِظلَّـةٌ
أو مـاردًا مـلء العيـون مهيبـا؟

يـا رُب سـاقيـةٍ لغيـر صبابـة
أنَّت وأجـرَت دمعهـا مسكـوبـا

وحمـامـة سمع الفـؤاد هتـافهـا
فسمعتـه بين الضلـوع مجيبـا[2]

والغيـد تغمس فى الغـديـر جرارَهـا
فيظلُّ يضحك ملء فيـه طـروبـا[3]

سِـربَـان من بط وبيضٍ خـرَّدٍ
يتبـاريـان سبـاحـة ووثـوبـا[4]

وتـرى الجـداول فى الأصيل، كأنهـا
من فضـة فيهـا النضـار أذيبـا

يـا بدر، أنت ابنت القـرى، وأراك فى
ليل الحـواضر ـ إن طلعت ـ غـريبـا

❊ ❊ ❊

نشـر السكـونُ على القـرى أعـلامَـه
فتكـاد تسمع للفـؤاد وجيبـا[5]

بـدت الحيـاة هنـاك فى ريعـانهـا
ولـوَ انهـا سـارت تـدب دبيبـا

ولقـد ينـام القـوم مـلء العين فى
زمن يُقضُّ مضـاجعًـا وجنـوبـا

وهى السعادة، كم أوت كـوخًا، وكم
هجـرت أشمَّ مـن القصـور رحيبـا

قالوا: الحضارة، قلت: أسفر وجهها
وبـدت محـاسنهـا، فكنَّ عيـوبـا

❊ ❊ ❊

مـا ضـرَّ أهل الـريف ألا يحفلـوا
بالطب، أولا يعرفوا (الميكروبا)؟[6]

ضمنت سـلامتهم سهـولـةُ عيشهم
وصفـا هـواؤهمـو، فكـان طبيبـا

---

(١) الفيروزج والعقيق: حجران كريمان؛ الأول: أخضر اللون، والثانى: أحمر.
(٢) المراد بإجابة القلب: خفقانه.
(٤) المراد بضحك الغدير: صوت الفقاقيع الناشئة عن حلول الماء محل الهواء.
(٤) الخرد: جمع خريدة؛ وهى البكر، أو الخفرة السكوت.
(٥) أى يكاد يسمع الإنسان دقات قلبه من شدة انتشار السكون.
(٦) خمسة الأبيات التالية لهذا البيت: بمثابة التدليل على مضمونه؛ وهو أن الريفيين أغنياء عن الأطباء.

رضعوا رحيق السائمات، ومادروْا غير النمير وغيره مشروبا[1]

وسرى شعاع الشمس فى أبدانهم فجرى بأوجههم دَمًا مَشْبُوبا [2]

شمس القرى كست الوجوه نضارة أرأيت وجهًا فى القرى مخضوبا؟[3]

سِرْ فى الحقول، تَرَ الرياضة عندهم فنًّا، وخطًّا عندنا مكتوبا

* * *

أكبرتُ فى القَرَوِيِّ حدة عزمهِ وحسبتُه فى صبره «أيوبا»

ورأيت طيبَ النفس فيه سجيةً ووداده سهل المنال قريبا

فيه ترى الخلق الصريح ، ولا ترى ضحك النواجذ بالخديعة شيبا[4]

أنا لا أقول: تشينه أمِّية كن خيِّرًا ، لا كاتِبًا وحسيبا

كم ضلَّ من أهل الحواضر قارئٌ فاغتال أعراضًا وشقَّ جيوبا

فى الريف فتيان تسيل جباهم عرقًا فيصبح لُؤْلُؤًا مثقوبا

لا فتية مُرْدٌ بأيد بضَّة فى كل يوم يلبسون قشيبا[5]

بذلوا لمصرٍ فوق ما فى وسعهم ورضُوا بما دون الكفاف نصيبا

* * *

(١) رحيق السائمات : كناية عن اللبن .

(٢) مشبوبا : متقدا .

(٣) المراد : نفى الخضاب الصناعى .

(٤) الصريح : الخالص، والنواجذ :الأنياب، وشيب : ماض مبنى للمجهول؛ بمعنى : خلط .

(٥) المرد : جمع أمرد ؛ وهو : من لانبات بوجهه . القشيب : الجديد .

أنا وأبنائى

الرسالة ١٥ من فبراير سنة ١٩٣٧م

وأطيبُ ساع الحياة لديَّا ... عشيةَ أخلو إلى ولديَّا[١]

إذا أنا أقبلت، يهتف باسمى الـ (م) ... ـفطيم، ويحبو الرضيع إليَّا

فأُجلسُ هذا إلى جانبى ... وأجلس ذاك على ركبتيّا

وأغزو الشتاء بموقد فحمٍ ... وأبسط من فوقه راحتيَّا

هنالك: أنسى متاعب يومى ... كأنِّىَ لم ألق فى اليوم شيَّا

وأحسبنى بين طفلىَّ «شاهًا» ... وأحسبُ كوخىَ قصرًا عليَّا

فكل طعام أراه لذيذًا ... وكل شراب أراه شهيَّا

وما حاجتى لغذاء وماء؟ ... بحسبىَ طفلاى زادًا، وريَّا[٢]

وأيَّةَ نجوى كنجواى طفلى ... يقول: أبى، وأقول: بنيَّا؟[٣]

ويارب لغو يفوه الصبىٌّ ... به؛ فيكون حديثًا شجيًا[٤]

وأفصحُ من أفصح الناس طفلٌ ... أراد الكلام فكان عييَّا

هنا أستعيدُ قديمَ حياتى ... وأرجعُ أطوى اللياليَ طيَّا

فأنسى عذارى، وأنسى وقارى ... وأحسب أنِّىَ عدت صبيا[٥]

---

(١) ساع: جمع ساعة.

(٢) بحسبى طفلاى: أى كافى طفلاى، الباء: زائدة، وحسبى طفلاى: مبتدأ وخبر.

(٣) طفلى: مفعول به لنجواى، والإضافة من إضافة اسم المصدر إلى فاعله.

(٤) لغو القول: أخلاطه.

(٥) العذار: صاحب اللحية.

أيــا ابنيَّ، أحبُّ بمــا تتلقــان! وأمــونْ بمــا تكســران عليــا!

يصــونكمــا الله مـن حــادثــات (م) الــزَّمــان. ويبقيكمــا لى مليــا

ويكفيكمــا الله شـــرَّ البكـــاء ويحفـظ من وقعـــه أذنيـــا

أمن كبــدى أنتمــا فلــذتــا (م) ن أم أنتمــا حبتــا مقلتيـــا؟

❊ ❊ ❊

ألا ليت شعــرى: أتمتـــدُّ بـى حيــاتى فأجْنِىَ غــرسَ يــديــا؟

وأشهـــــد طفلـىَ يَيْفَـعُ، ثـم يَشبُّ، ويصبـح شهمًــا أبيــا؟[1]

أبــوك امــرؤ مـن رجــال الكـــلام فكن أنت، يــا ابنى، امــرأً عمليــا

فمـــا احتقــر النـــاسُ إلا الأديب ولا احتــرم النــاسُ إلا الثــريــا!

❊ ❊ ❊

(١) يفع الغلام: صار بين الصبا والشباب.

الحيــــاة

البلاغ الأسبوعى ١٠ من فبراير سنة ١٩٢٨م

حــــرَّةٌ لا تـــزور إلا لمــــامًـــا ... تيَّم الشيخ حبُّهـــا والغــلامَـــا[١]

تيَّم النمل حبُّهـــــا فتـــولى ... يطلب المـــاء مثلنـــا والحطـــامـــا

كشَّـــرت عن أنيـــابهـــا للبـــرايـــا ... فــرأوا ذلك القطـــوب ابتســـامـــا[٢]

كم سَقتهــم من الشقـــاء زعـــافًـــا ... وسقـــوْهـــا من الـــوفـــاء مـدامـــا[٣]

قــد يــراهـــا السعيــد حلمًـــا لــذيــذًا ... ويـــراهـــا الشقىُّ مــوتًـــا زؤامـــا[٤]

* * *

صــاح، إن الحيـــاة لغـــزٌ، إذا مـــا ... زدتُـــهُ بحثًـــــا، زادنى إبهـــامـــا

ليت شعــرى! مــاذا تكــون: أحسًـــا ... أم خيـــالا ويقظـــةً، أم منـــامـــا؟

أم طـــريقًـــا إلى الفنـــاء قصيـــرًا ... قـــد ركبنـــا لطيِّـــه الأيـــامـــا؟

كــل حىًّ لـــــه كتـــــابٌ، ولكــن ... أعجم الله خطــــه إعجـــامـــا![٥]

لـــو عـرفنـــا متى تكـــون المنـايـــا؟ ... لانتظـرنـــاهـــا مـــذ بلغنـــا الفطـــامـــا

* * *

---

(١) زار لماما: أى زيارات قصيرة متقطعة.

(٢) القطوب: ضد التهلل وانبساط الأسارير.

(٣) الزعاف: السم المهلك.

(٤) الموت الزؤام: السريع.

(٥) المراد بالكتاب: الأجل قال تعالى: ﴿ومـا أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم﴾ والمراد بإعجام خطه: إبهامه وخفاء موعده.

أيهـا العلم، كـم هتكت حجـابًـا فأمِطْ عن سـر الحيـاة اللثـامـا[1]
تلك آثـارهـا إذا عـرضَتْ لى ألهمَتْنى وجـودهـا إلهـامـا
فـإذا رمتُ وصفهـا بلسـانـى ألْجَمَتْنِى، فـلا أحيـرُ كـلامـا[2]
فهْى كـالكهـربـاء؛ لست أراهـا وأرى ضـوءَهـا يشقُّ الظـلامـا
هـى من رُوح الله، وهْـو خفـىٌّ ذو صفـاتٍ دلت عليـه الأنـامـا

* * *

يـا ابنـة الشمس، وجـهُ أُمِّك بـادٍ فعـلام احتجت أنـتِ عـلامـا؟
عـرف النـاسُ فضلَ أمك قِـدمـا فتلقَّـوْهـا سجَّـدًا وقيـامـا
حّـدثينـا: كيف ابتـدأتِ على الأرْ (م) ض، وحـركت هـذه الأجـرامـا؟
وأرينـا متى ظهـرتِ عليهـا؟ وإلام البقـاءُ فيهـا إلامـا؟
أخـذ النـاسُ فى التكـاثف، حتى بـاتَت الأرض وهْى تشكـو الزحـامـا

* * *

ليت شعـرى: أضلَّ « داروِن » بحثًـا حين آخَى الـوحـوش والأنعـامـا؟[3]
قـال قـوم: هـلا شهـدنـا ذبـابًـا فى الحيـاة ارتقى فصـار حمـامـا؟
وغـلا آخـرون فيـه، فقـالـوا: كـان فى مـذهب النشـوء إمـامـا
قـد عـرفنـا أبـا الأنـام جميعـا فهل الطيـرُ والـوحـوش يتـامى؟[4]
وهل الجـن تنتمى كـالبـرايـا لأبٍ يُـدْعى يـافثـا أو حـامـا؟

* * *

(١) أماط اللثام: كشفه.
(٢) لا يحير جوابا: لا يرد.
(٣) هو يزعم: أن الإنسان والوحوش والأنعام من أصل واحد؛ فكأنه آخاهما.
(٤) هذا البيت ـ وما بعده ـ : من مقول القول فى البيت السابق.

سـائل البحـر: كيف أنبتَ لحمًـا من أواذيِّـه وسـوى عظـامـا؟[1]
وتأمل بين الحقـول نبـاتـًـا سوَّت الأرض سوقه، فاستقاما[2]
علَّ من بـارد النمير شـرابًـا وتغـذى من الهـواء طعـامـا[3]
ولقـد يـولـد النبـاتُ وَيَفْنَى ويعـانى مثل الأنـام سقـامـا
حكمـةٌ تمـلأ النفـوس يقينًـا بإلـه يـديـر هـذا النظـامـا!

* * *

سـائل الشمسَ عن بنيهـا: لمـاذا كـانت الأرض وحدهـا مِتآمـا؟[4]
أتـرى للكـواكـب السبع نسـلاً يشبه النـاس أم تـراهـا عقـامـا؟[5]
ليتنى أركب الـريـاح إلى الأفـ (م) ـلاك أو أمتطى إليهـا الغمـامـا!
أيُّهـذا الأثيـر، إن كـان فى المـر (م) يخ حىٌّ، فـاحمل إليه السلاما[6]
حىِّ أهليـه إن مـررت عليهـم إن للجـار حـرمـة وذمـامـا

* * *

صاح، لولا الحياة ما بات يخشى الـ (م) ـموت حىٌّ، أو يحمل الآلامـا!
قـال بـالجن معشـرٌ، وأراهـا وحـدهـا جنـا يلبس الأجسـامـا
أوليست تحـزُّ لحم البـرايـا مثل حـز المـدى وتبـرى العظـامـا؟
قسمـا، لـوْ أن الأجنـة تـدرى كنههـا لم تفـارق الأرحـامـا
أيُّهـذا الجمـاد، حسبك: ألا تَصحَب الشيَّب، أو تـذوق الحمامـا

* * *

(١) الأواذى: جمع آذى وهو الماء.
(٢) السوق: جمع ساق.
(٣) عل علا أو عللا: أى شرب ثانيا، ونهل: شرب أولا.
(٤) المتآم: المرأة التى تلد أزواجا: توءمين توءمين.
(٥) السبع بدون تاء وإن كان المعدود مذكرًا لأن العدد إذا تأخر عن المعدود جازت فيه المطابقة تقول رجال سبعة أو سبع. وعقام جمع عقيم.
(٦) إنما خص المريخ؛ لأنه أقرب كواكب المجموعة الشمسية إلى الأرض.

حمَّلتنى الحيـــاة عــبء التصـــابى وأرى الحبُّ للحيـــاة لـــزامـــا

لو سرت فى الصَّخر الأصم، لراشت نحــوه أعين المـــلاح سهـــامـــا[1]

ولقـــــد أسمع الطيـــــور تغنـى فَـإخـال الطيـور تشكـو الغـرامـا

وإخــــال النبـــات يبكى حنينـــا كلمـا ســال الطَّلُّ منه سجـامـا[2]

دقـــة الحِسِّ لـم تـــدع لى فـــؤادا ملك الحسن من فـــؤادى الـــزمـامـا

* * *

---

(١) راش السهم: وضع له الريش؛ استعدادًا لإنفاذه.

(٢) سجاما: متابعا.

الإنسان الآلي[1]

الرسالة ٢٥ من يونية سنة ١٩٣٤م

مـاذا أشـاهـد ؟لا طينًـا ولا مـاءَ / وليس هـذا الفتى مـن نسل حـواءَ!

لا يشبـه الناس: إحساسًـا وعاطفـة / ويشبـه النـاسَ: تـركيبًـا وأعضـاء

فتى عـريـقٌ، بحبل العلـم متصلٌ / إن عـدَّد الصيـد أجـدادًا وآبـاء[2]

وهْيَ الحضـارة أمُّ أنجبتـه، ومـا / زالت ـ كمـريَمَ ذات الطهـرَ عـذراء

خَلقٌ جـديـد؛ إذا شـاهـدت طلعتـه / تكـاد تـومىء بـالتسليم إيمـاء[3]

لا يشتكى مثلمـا يشكـو الـورى سقما / ولا يهـاب رسـول المـوت إن جـاء

يـرى ويسمع، لكن لا يحس، وإن / هم قطعـوه بحـد السيف أشـلاء[4]

فيـالـه سـاعيـا: يمشى على قـدم / لا تشتكى إن شكت أقدام وجناء![5]

ويـالـه خـازنـا : لا تستبيـه ، ولا / تغـريـه بـالمـال إن حـاولتَ إغـراء!

ويـالـه حـارسًـا: لم يشك من أرق / ليـلا، ولا حـاولـت عينـاه إغفـاء!

❊ ❊ ❊

لن تـرهب العقم بعـد اليـوم والـدةٌ / أو يعـدم الشيخ بعـد الشيب أبنـاء

للشيخ مـا يشتهيـه الشيخ من عقبٍ / ولليتيم مـن الآبـاء مـا شـاء

---

(١) أنشئت هـذه القصيـدة ، على إثر اطـلاع الشـاعـر على صورة نشـرتهـا الصحف للإنسـان الميكانيكى الذى اخترع فى أمـريكا ، وزاول كثيرًا من الأعمال التجـارية التى يزاولها الإنسان.

(٢) الصيد: جمع أصيد ، وهو الذى يرفع رأسه كبرا.

(٣) تومىء : تشير.

(٤) أشلاء الجسم : أعضاؤه أو بقاياه؛ جمع شلو.

(٥) الوجناء: الناقة البارزة الوجنتين.

فلينفخوا الروح فيه، مثلما خلقوا ... له يدين، وشقوا العين حوراء[1]

* * *

قم سائل العلم - إذ سوى جوارحه -: ... هل رام هدما به أم رام إنشاء؟

يشكو البطالةَ غادينا ورائحنا ... فهل نضيف إلى أدوائنا داء؟[2]

أما ترى الأرض قد ضاقت بمن حملت ... فثارت الحرب حول القوت شعواء؟[3]

حسبُ البرية : أن الطب يكلؤها ... وأن سهم الردى يخشى الأطباء[4]

* * *

يأيها الرجل الآليُّ، هل لك فى ... ود أساقيكه ماء وصهباء؟[5]

تشابه الناس عندى فى المذاق، وإن ... تعدد الناس ألوانا وأسماء

لأنت أسلم - يا بن الصلب - عاقبة ... من أنفس ملئت حقدًا وبغضاء

أقسمت، أنك بين الناس أنزههم ... يدًا، وأطهرُهم قلبًا وأحشاء

حيّيت فيك فتى: ما قال فاحشة ... يوما، ولا عاب إنسانًا، ولا ساء!

* * *

---

(١) العين الحوراء : هى الواسعة أو الشديدة البياض مع شدة السواد.
(٢) الأدواء : جمع داء. والأدوية : جمع دواء.
(٣) حرب شعوا أى متفرقة.
(٤) يكلؤها : يحفظها.
(٥) الصهباء : الخمر.

زورق في الفضاء

الثقافة ٢٧ من مايو سنة ١٩٤١م

أسـرَجـوا الجـوَّ، وامتطـوْه ركـابـا ... ثم مَـرُّوا فـوق السحـاب سحـابـا
زاحَمـوا النـون فـى البحـار، وراحـوا ... يتحـدَّوْن فى الهـواء العقـابـا[١]
ضيَّقـوا رقعـة البسيطـة حتى ... لم يعـد يشتكـى بنـوهـا اغتـرابـا[٢]

❊ ❊ ❊

راكبى الجـوِّ ، قـد ركبتم ذلـولا ... لا وهـادًا خشيتمـو، أو هضـابـا
انطلقتم، وسـار يحبـو فيكبـو ... من حـدا الفلك والمهـار العـرابـا
ليت شعـرى: متى أراكم غلـوتم ... فمـددتم إلى السهـا أسبـابـا؟[٣]
وركبتم متـن الأثيـر سـراعـا ... وكشفتم عن النجـوم الحجـابـا؟
ليس من ينعـت الكـواكب رجمـا ... مثل راءٍ رأى فقـال صـوابـا

❊ ❊ ❊

زورقٌ شق فـى الهـواء طـريقًـا ... فكأن الهـواء صـار عبـابـا
طـائر ليس كـالطيـور، صقيلٌ ... مستقيم الجنـاح، صُلب الذُّنـابي[٤]
نفخـوا الـرُّوح فيـه، وهْـو جمـاد ... وكسـوْهُ من الحـديـد إهـابـا[٥]
معـرق؛ أمُّـه الحضـارة، والعلـ (م) ـم أبـوه، إذا أراد انتسـابـا

---

(١) النون : الحوت.
(٢) المعنى : أنهم قاربوا ما بين أطراف الأرض بسرعة المواصلات؛ فكأنهم ضيقوا رقعتها.
(٣) السها : نجم معروف. والأسباب : الحبال.
(٤) الذنابى : الذنب.
(٥) الاهاب : الجلد.

تنتحنى الــــريـح إذ تــراه وتمشى ... زُمَـرُ الطيـر خلفـه أسـرابـا

ملك فـى الســلام حتـى إذا مــا ... خـاض نـار الحروب، كـان شهـابـا

إن أرادوا الســلام كـــان حمـامـا ... أو أرادوا الحــروب كــان غــرابـا

كم رمى الغـاز، فـاستحال شجـاعـا ... تستعيـر الحيّـات منـه اللعابـا[1]

قــذَف الأرضَ بـاللظى، وتــولى ... فى حمى الجـو آمنًـا أن يُصـابـا

ربَّ سهم فى الجـو أصمى، وسهم ... فى الثـرى عىَّ أن يصيد الـذبابـا![2]

❊ ❊ ❊

أيهـا الطـائرُ المحلق نحسًــا ... أنت أحـدثْتَ فى الـوجـود انقـلابـا

كم مقتنـا لأجلك النـور مقتًـا ... وكـرهنـا المنـاخ إن هـو طـابـا[3]

واستطبنـا الـريـاح إن هى ثــارت ... وطلبنـا الـدجى، ورمنـا الضبـابـا

قـد بلـونـاك عـاديـا، فـوجـدنـا (م) ك أحـدَّ الطيـور ظفـرا ونـابـا

لك: عـدوُ الظبـاء سـارت خفـافًـا ... وزئيـرُ الأسـودِ ثـارت غضـابـا

❊ ❊ ❊

هتف الخلقُ للعلـوم زمـانـا ... وانْجَلى بـرقهـا فكـان سـرابـا

ظنهـا تعمُـرُ الـوجـود؛ فكـانت ... معـولا يتـرك الـوجـودَ خـرابـا!

---

(١) الشجاع: الحية الذكر.

(٢) أصمى السهم الضريبة: اخترقها.

(٣) من المعلوم: أن الغارات الجوية لا تكون إلا فى نور القمر؛ حيث يطيب المناخ.

سمر الأدباء (1)

الدستور ... سنة ١٩٣٩م

مِنْ هــؤلاء المعشــرُ السُّمَّــارُ
بحــديثهم تتعطَّــرُ الأسحــارُ؟

رقـد الورى، وَحَمى عيونَهم الكرى
جــدلٌ تــردَّدَ بينهم وحــوار (2)

سُهْــدٌ كسهـد العـاشقين؛ وإنمـا
أَصْبَتْهُمُــو ببنــاتهــا الأفكــار

كَلِفُــوا، ولكن بــالبيــان وسحــرِه
ومن البيــان: عــرائسٌ أبكــار

يتطـارحــون القــولَ فيمــا بينهم
يحكى كُئُــوس الــرَّاح حين تُــدار

يَسْقُــون مَن وَرَدَ النــدىَّ عليهمــو
خمـرًا مَنَـابتُ كـرمهــا الأسفـار (3)

مِـن كلِّ راويـــةٍ، كـأنَّ فـــؤادَهُ
نُقشَتْ على صفحــاتــه الأخبــار

متحــدِّثٍ لبقٍ، كأن حــديثــه
زهْــرُ الــرِّيــاض يــزفــه « آذار »

إن قــال، خلتَ الأصمعىَّ أعــارهُ
شَفَتَيْــهْ، لــوْ أن الشفــاه تُعــار

يتســابقــون إلـى البيــان، كـأنهم
جُـرْدٌ مـذاكٍ ضمَّهــا مضمــار (4)

لهمـو دعـابـات تُســاقُ، فـلا تـرى
حُلْمًــا ينِــدُّ، ولا يطيش وقــار (5)

يتنــــدرون ولا ابْتِــذَالَ؛ وإنمــا
تُــرعى الحقــوق، وتُحفظ الأقــدار

---

(1) أنشئت هذه القصيدة على إثر جلسة من الجلسات الأدبية، التى كـانت تعقد فى جريـدة الدستـور. وكانت ندوة الـدستور تتألف من بعض كبـار رجال الأدب مثل الأساتذة: لطفى جمعة وعلى، طه المهندس، ومحمد خالد، وغيرهم، كما كان الشاعر من أعضائها.

(2) حماه الشىء: منعه إياه؛ يتعدى لاثنين.

(3) الأسفار جمع سفر ـ بكسر السين ـ وهو: الكتاب.

(4) جـرد مـذاك: المـراد الخيل؛ والجـرد؛ أى: القصيـرة الشع؛ ر والمــذاكى؛ أى: الناضجة.

(5) تند: تطيش وتخرج عن حدها.

أحيَـوْا لنـا العظم الـرميم: فتـارةً معنـا الـوليـد، وتـارة بشـار[1]

وتـذاكروا أدب الممـالك؛ فانطـوت في حجـرة جمعتهم الأقطـار

لهجـوا بـذكـر «فـرانسَ» حتى خلتـه حيـا، إليـه بـالبنـان يشـار[2]

يتنقلون على ضفـاف «السين»، لم ينقل ركـابَهمـو إليـه قطـار

بينـا تـراهم فـى «دمشق»، إذا بهم نحـو العـراق ـ بـلا جنـاح ـ طـاروا

فكأنمـا وجـه البسيطـة روضـةٌ وكـأنهم فـى دَوحهـا أطيـار

أنـا لا أشبـه بـالجمـان حـديثهم إن الجـواهـر كلهـا أحجـار

حـذقـوا البيـانَ: قـديمَـه وحـديثـه ولكـل عصـر بينهـم أنصـار

كلٌّ يهـب منـافحًـا عن رأيـه ضـدَّ الخصـوم كـأنـه إعصـار[3]

فإذا بهم قلبـوا النـديَّ معـاركـا حتى كـأن النقع فيـه مثـار[4]

وسـلاح كل مـدرَّع بـرهـانُـه فهـو الحـديـد بكفـه والنـار

يـا رُب ليل حـالـك يُحيـونـه بـروائع الآداب؛ فهْـو نهـار

قم يـا زيـادُ، عكـاظ جُدِّد عهـدهـا وتنـوشـدت فى سـوقهـا الأشعـار[5]

مـا النَّـاسُ إلا: كـاتبٌ أو شـاعـرٌ أو نـاقـد، وسـواهمـو أصفـار

---

(١) الوليد: هو البحترى الشاعر المشهور.

(٢) يريد: أناطول فرانس، الكاتب الفرنسى المشهور.

(٣) منافحا: مدافعا.

(٤) النقع: الغبار.

(٥) يريد بزيـاد: النابغة الذبيانى؛ وقد كانت تنصب لـه فى عكاظ قبة من أدم ويتولى الفصل والمفاضلة بين الشعراء.

الراديو

الرسالة ٧ من يناير سنة ١٩٣٥م

شـــــادٍ تـــــرنمَ، لا طيـــــرٌ ولا بشـــــرٌ
يـــا صَـــاحبَ اللحن، أيـن العـــود والـــوتـــرُ؟
إنـى سمعتُ لســـــانًـــا قُـــدَّ من خشبٍ
فهـل تُـــرى بعـــد هـــذا ينطقُ الحجـــر؟
لـــو قلتُ بـــالجنّ، قلتُ: الجن أنطقَـــهُ
أو قلتُ بـــالسحـر، قلتُ: القـــوم قـــد سحـــروا[١]
كـأنمـــــا كـلُّ أُذْنٍ أُذْنُ ســـــاريـــــةٍ
وكـل نـــاء ينـــادى نـــائيـــا عمـــر[٢]
هنـــا الخطيـبُ الـــذى خـــانَتـــهُ جـــرأتـــهُ
يقـــول مـــا شـــاء لا جُبـنٌ، ولا خَـــوَر
فليس ثَمَّـــةَ مخلـــوقٌ يقـــاطعــــه
وليس يعنيــــه قَلَّ القــــومُ أو كثـــــروا
وليـس يخشى ضجيج القـــوم إن طـــربـــوا
وليس يخشـى عجيجَ القـــوم إن سخـــروا

* * *

(١) يطلق القـول على : الاعتقـاد؛ فقلت الأولى ــ من المصراعين ــ : بهـذا المعنى، والثانية : بالمعنى المألوف.

(٢) يشير إلى : مـا يروى عن سيدنـا عمر بن الخطـاب مع قائده ساريـة ؛ حين نادى الأول الثانى ، وهو فى بعض غزواته ـ على بعد ما بينهما ؛ وقد أحاط به الأعداء من كل جانب ــ قائلا: « يـا سارية الجبل » ، فسمع سـارية نـداء عمر ، والتجأ إلى الجبل، فنجا.

وآلـــةٍ جَعَلَتْ من حجـــرتى أُفقَـــا
يـــرتـــدُّ منحســـرًا عـن حـــدِّه البصـــر

كـأنمـــا الكـــرةُ الأرضيَّـــة انحصـــرتْ
فى جـــوفهـــا ، والـــورى فـى جـــوفهـــا انحصـــروا

تطـــوى الفيـــافىَ طيًّـــا وهْى جـــاثِمَـــةٌ
كـأنهـــا الشمس إذ تســـرى ، أو القمـــر[1]

قـــد كنتُ أغشى بيـــوتَ اللّهْـــو منتقـــلا
فصـــار يسعـى إلىَّ اللهـــوُ والسمـــر

كـأنَّنى ـــــ وأنـــا فـــردٌ بجـــانبهـــا ـــــ
حـــولـى مئـــاتٌ مـن السُّمَّـــار قـــد حضـــروا

قـــد حكمتنىَ فى الأصـــوات لـــوحتهـــا
فصـــرت أختـــار مـــا آتى ومـــا أذر[2]

وكـلُّ رقْـم عليهـــا حشـــوُهُ طـــربٌ
وفيـــه كنـــزٌ مـن الألحـــان مستتـــر

عـــوراءُ ، لا تخـــرج الأصـــواتُ من فمهـــا
إلا إذا مـــا بـــدا من عينهـــا الشـــرر

صَمَّـــاء ، لكـن تعى مـــا لا تعى أذنٌ
بكمـــاءُ ، مـن فمهـــا الأخبـــار تنتشـــر

ثَـــرثـــارَةٌ، إن أردتَ القـــولَ ثـــرثـــرةً
فـإن أردتَ اختصـــارا فهْـــو مختَصـــر

* * *

(١) يشبهها بالشمس والقمر ، من حيث طيهما الأرض ، وهما ثابتان فى رأى العين.
(٢) المراد باللوحة : الميناء .

فـى كل يـــوم نـــرى للغـــرب خـــارقـــةً

وليـس للشــــــرق إلا السمـعُ والنظـــــــر

القـــوم يبتكـــرون المعجـــزات لنـــا

ونحـن نفتـنُّ فـى إطـــراء مـــا ابتكـــروا

فهـل تـــرى الشـــرق قـــد أدى رســـالتَـــهُ؟

وهل تـــرى أنبيـــاء الغـــرب قـــد ظهـــروا؟

* * *

يوم عابس ! (١)

الرسالة ١٩ من أبريل سنة ١٩٣٦م

يـــا لصبـــاحٍ حـــائل الأديم ... قـد طَعَـنَ الـربيعَ فـى الصميم!
أمطـــارُه قـــد شـــوَّهت آذارَهْ ... وريحـهُ قـد صـوَّحت أزهـارَهْ(٢)
قـد يظفـر البـاحثُ بـالعنقـاء ... فيـه ، ولا يـرى ابنـة السمـاء(٣)
فقلتُ : هـل ضلَّ صبـاحُ اليـوم ... أم أغـرقت شَمْسُ الضحى فى النـوم؟
ويحك، يـأيتهـا الشمس اطلُعِى ... يا أرضُ غيضى، يا سماءُ أقلعِى!(٤)
وقَفْتُ حيـرانَ على الطـريق ... من غير مـاء صرتُ كـالغـريق!(٥)
الأرضُ تحتـاج إلى عـوام ... فكيف بـالسيـر على الأقـدام؟
من رام أن يسعى يمينـا ، أيْسَـرا ... ومن مشى قـدَّامَ، عـاد القهقـرىَ
لكننى شحـذْتُ غـربَ عـزمى ... وخضـت لـجَّ ذلـك الخضـمِّ(٦)
مشَيْتُ كـالنشـوانِ، كـلُّ همى : ... ألاَّ يخـوننى اتـزانُ جسمِى(٧)
أسألُ فى الطـريق كـلَّ سـابلِ ... كأننى أسيـرُ فى المجـاهل(٨)
دمعُ السمـاء فـوق رأسى هـام ... والأرضُ من تحتىَ بحـرٌ طـام

---

(١) أنشئت على إثر يوم ماطر، عاناه الشاعر فى بلدة كوم حمادة !
(٢) صاح الزهر: جف وذبل.
(٣) العنقاء : طائر وهمى تخيلته العرب ولا وجود له؛ وبه يضرب المثل فى عدم الوجدان. والمراد بابنة السماء: الشمس.
(٤) غيضى: جفى. أقلعى: أى كفى عن المطر.
(٥) المراد بالغرق ـ فى قوله: كالغريق ـ: الحيرة والارتباك.
(٦) الغرب: الحد، وشحذ الغرب: أرهفه.
(٧) يشبه نفسه بالنشوان فى الترنح.
(٨) سابل: قاطع السبيل، والمراد بالسؤال عن حال الطريق.

والماءُ قد رانَ على منظارى — فصرتُ أهتدى بصوت جارى [1]

وبعد أن كنتُ على « غيارى » — أخشى من الرشاش والغبارِ

فرَّطتُ فيه غاية التفريطِ — وصرت لا أخشى سوى السقوطِ

وعثرةُ اللسان فى المَقَالِ — دون عِثار الرِّجْل فى الأوحالِ

وبينما نحن نجوز حارهْ — إذْ دهمتنا عندها سياره

تنطلق انطلاق سهم مارقِ — سابحة فى خفة الزوارقِ

تنضح بالمياه جانباها — على ثيابٍ ليس لى سواهَا

فطرَّزتْ إذ ذاك من ثيابى — ما أخطأته ريشةُ السحابِ

فقلت: ويلٌ للفقير العافى — من الغنِّى المترف المتلافِ! [2]

قال صديقى: دنت الدروسُ — وبعد خمس يضربُ الناقوسُ

فقلتُ: مهلاً أيها الرفيقُ — ما يفعل المدرسُ الغريقُ؟

قال: أجيما تبتغى وسينا؟ — فقلتُ: لست أجهل القانونَا

لا تذكر القانونَ فى الأريافِ — قد وُضع القانون فى الجفافِ

حيث الشوارعُ التى لا تنضحُ — ولا بماء المزن فيها تسمحُ [3]

وهكذا « نشرب » نحن المطرا — وساكنُ المدْن به ما شعرَا

وكل ما فى الريف من محامدِ — يذهب فى أمطار يوم واحدِ!

---

(١) ران عليه: غطاه بطبقة خفيفة.

(٢) العافى: فى معنى الفقير، والمتلاف: المسرف؛ الكثير إتلاف المال.

(٣) المزن: السحاب؛ الواحدة مزنة.

أنس الطبيعة

جلستُ على بســـاط من رمـــالِ ... خــلالَ العُشْب والمـــاءِ الـــزُّلالِ

وقـــد رقَّ النسيم ، فكـــانَ أشهى ... إلى قلـب المحب من الـــوصـــالِ

طيـــورُ الأيـك تصـدح عـن يمينى ... ومـــاءُ النهـــر يهمس عن شمـــالى

وجيشُ الليـل من أبنـــاء حـــامٍ ... يُغيـــر على المـــزارع والتِّـــلال[1]

وقـــد وليتُ شطـــرَ النجم وجهى ... وألّف بيننــــا سهـــر الليـــالى

فخلتُ كـأننى أسمـــو بـــروحى ... إلى دنيـــا ســـوى دنيـــا الـــزوال

هنـــا تَتَكَشَّـفُ الـــدنيـــا أمـــامى ... ويسبحُ فـى مجـــاهلهـــا خيـــالى

فأنـت تخـــالنى فـــردا ، وحـــولى ... بنـاتُ الفكـر تُسرف فى الـدلال[2]

سكـــون الليل يُـرهف غـربَ حسى ... فأسمعُ وقْعَ أقـــدام النمـــال[3]

ويمـــلأ صمتُـــهُ نفسى خشـــوعـــا ... فتصفـــو صفـــوَ حبَّـــات الـــلآلى

وتُخفى الشمسُ كنـــهَ الكـــون عنى ... وألمحُـــهُ على ضـــوء الهـــلال[4]

ولم أر كـــــالطبيعــــة ذاتَ حسن ... مبـــاح تشتـــريـــه بغيـــر مـــال

لئن يـك تحت بطـن الأرض كنـــزٌ ... فكم كنـــزٍ على قمم الجبـــال![5]

وإن يكُ فـى قـــرار البحـــر درٌّ ... فكم فـى سطحـــه دُرَرٌ غـــوالى!

ظـــواهـــرُ ذاتُ ألسنـــة فِصـــاحٍ ... تحـــدثنـــا بقـــدرة ذى الجـــلال!

---

(١) يشير إلى ما تشير إليه الخرافة من : أن السودان من نسل حام بن نوح .

(٢) المراد ببنات الفكر : الأفكار التى تخالج كل جالس منفرد .

(٣) الغرب : الحد .

(٤) كنه الشىء : حقيقته .

(٥) يريد بالكنز الذى على قمة الجبل : المنظر الطبيعى نفسه ، ومثل ذلك يقال فى البيت الثانى .

نعى الشتاء !

الرسالة ٣٠ من مارس سنة ١٩٣٩م

تعادَلَ الليلُ والنهارُ ... وأدرك القرَّ الاحتضارُ[1]

وراح فصلُ الشتاء يهوى ... فى هُوَّةٍ مالها قرار

يا صفرةَ الموت، أدركيه ... ليكسُوَ الأرضَ الاخضرار

كم ارتدينا؛ فما وقانا ... منه شعارٌ ولا دثار[2]

لا كان! هل فيه غيرُ برقٍ ... من عينه يقدحُ الشرار؟

وغيرُ رعدٍ يصُكُّ سمعى ... كأنما صوتُهُ خُوار؟[3]

يامن رأى قبله صريعًا ... غنى على رأسه الهَزار

أما ترى السُّحبَ يومَ ولىَّ ... جفَّت لها أدمعٌ غِزار؟[4]

لا يُثلجُ الغيثُ حين يهمى ... صدرى ولو جفَّت الثمار

وإن تغنَّتْ به تميمٌ ... وسبحتْ باسمه نزار

الدفءُ والضَّوءُ أين راحا؟ ... لِينكشفْ عنهما السِّتار

الطيرُ والأيكُ أين غابا؟ ... لِينتفضْ عنهما الغبار

كم من نهارٍ مضى. عليه ... ثوبٌ من الليل مستعار!

رياحُهُ آذنتْ بحربٍ ... فالنَّقع فى جوِّه مُثار[5]

---

(١) تعادل الليل والنهار: كناية عن حلول الربيع، ففى بدئه يستوى الليل والنهار.
(٢) الشعار: ما لاصق الجسد من الثياب، والدثار: ما فوق ذلك.
(٣) يصك: يضرب، الخوار: صوت البقر.
(٤) يريد بجفاف الدمع: انقطاع المطر، فالمطر من خصائص الشتاء فى مصر غالبا.
(٥) آذنت: أعلنت، النقع: الغبار.

كـأن شمسَ الشتـــــاء ظبـيٌ ... من طبعـــه الــــدلُّ والنِّفـــار

أو وجـــهُ عـــذراءَ ذاتِ خِـــدرٍ ... تظـنُّ أن السفـــورَ عـــار

لابـــذْرُهُ ــــ إن بـــدا ــــ لجيْنٌ ... كـــلا ، ولا شمســـه نضـــار[1]

ولا أواذيُّـــــه مَـــرايَـــا ... والنبتُ مـن حـــولهـــا إطـــار[2]

كم أصبح الفحْـم ــ وهْـو فحم ــ ... كـــالــــزاد لـم تَخل منـــه دار

كل امـــرئٍ كـــالمجـوس فيـــه ... أمـــامَـــه مـــوقـــد ونـــار

نجـــومـــه قـــد مشيْنَ حبـــوًا ... وشمســـه جـــرَّهـــا البخـــار[3]

إن جنَّ فيـــه الـــدجى احتجبْنَـا ... فـــالأرض من أهلهـــا قفـــار[4]

وبـــات كل امـــرئٍ سجينًـــا ... فـى داره حـــولـــه حصـــار

يـــاليت أعمـــارنَـــا ربيعٌ ... صِـــرفٌ، ولـــو أنهـــا قصـــار

لهفـى على معشـــرٍ إذا مـــا ... دارت عـــروسُ السمـــاء داروا!

مشَـــوْامع الشمس؛ كلُّ فصْـل ... لهـم بـــه كعبـــة تـــزار

كم ضـــاق مشتـىً بهم؛ وجـــادت ... لهـم بشُطـــآنهـــا البحـــار

قـــد لطَّـف المـــالُ كـلَّ جـــو ... فـــــلا صقيعٌ ، ولا أُوار[5]

وبـــات فـى الحـــالتين يشقـى ... من خـــانـــه مثلـىَ اليســـار

---

(١) اللجين : الفضة ، النضار: الذهب .
(٢) أواذى : جمع آذى وهو: الماء .
(٣) كنى بالمصراع الأول عن : طول الليل ، وبالثانى عن : قصر النهار.
(٤) جن الدجى : أقبل .
(٥) الصقيع الجليد . الأوار: حر الشمس .

في سكون الليل

مجلة أبولو في فبراير سنة ١٩٣٣م

هـا هــو الليلُ قــد طـرقْ　　　فـي خشــــوعِ
يبعــث الشَّـــكَّ والقلـــق　　　فـى الضلــــوع
نشـــرَ النجمَ فى الغسق　　　كالقطيـــع[١]
وطلـى صفحـــة الشفـق　　　بالنجـــيع[٢]
ربَّ جفـنٍ بـــه انطبق　　　فـى هجـــوع
وَسِـــوَاءُ شكـــا الغـــرق　　　بـــالـــدمــوع

❊ ❊ ❊

نبِّهـــونى لـــدى السحـــرْ　　　نبهـــــونى
وضعـــونى علـى النَّهَـــر　　　ودعــــــونى
أنـــا والمـــاءَ والشجـــر　　　فـى سكـــــون
أمــلأ السمعَ والنظـــر　　　بـــالفنـــون
ثـم أُفضى إلـى القمـــر　　　بشجـــــونى
ليس ســرّى لـــدى البشــر　　　بمصـــــون

❊ ❊ ❊

هـا هـو الـديك قـد صدحْ　　　بـــــالأذانِ
وسنـــا الفجـــر قــد لمح　　　للعيـــــان

---

(١) الغسق : ظلمة أول الليل .
(٢) النجيع : نوع من الدم .

في وشـــاح مـن الفـــرح   أرجـــــــوانـي
هَـــزَمَ الليـلَ وانجـــرح   فـي الطعـــــان
والنـــدى حـــولَـــهُ نضح   كـــالجمـــــان
منظـــر سَـــاحـــرٌ طفح   بـــالمعـــــانى

* * *

الفـــأر

يـــا قـــارضَ الفـــراشِ والثيـــابِ
وفـــاجعَ القـــارىء في الكتـــاب
ومـــالىء المنـــزل بـــالأســـراب[1]
ونـــافـــذًا من أحكـم الأبـــواب
بـأىِّ ظِفــــــرٍ أم بـأىِّ نـــــاب
تعْمـلُ فـى الجـــدران والأخشـــاب؟
سنُّـك مـن أسنـــــة الحـــــراب
لا كُنـت يـــا أحـــذَرَ مـن غـــراب!
كـم وُضـعَ الفـخُّ على الأعتـــــاب
والسُّـمُّ فـى الطعـــام والشـــراب
فمـــا نجـــا البيتُ من الخـــراب
رُميـتَ يـــا محلـــوْلـكَ الإهَـــاب[2]
بكـلِّ قـطّ مثـلِ ليـث الغـــــاب

(١) الأسراب : جمع سرب ـ بفتح السين والراء ـ وهو : طريق فى الأرض.
(٢) محلولك : أى مظلم مسود. الاهاب : الجلد.

المحراث

يُخطِّطُ الأرضَ فى نظْم وإتقانِ ... كأنه ريشةٌ فى كفِّ فنّانِ

يخطط الأرضَ ، لكنْ لا يلوِّنُهَا ... فإن نما زرعُها ، ازدانت بألوان

تلك السطورُ سطُورٌ بات ينقشُهَا ... فى صفحة الأرض بالمحراث ثوران

شاهدتُ فى الحقل - بعد الحرث - هندسةً ... ليست تقوم على دعوى وبرهان [1]

حَسْبُ المُزارع - إن لم يغشَ مدرسةً - ... ما فى المَزارع من علم وعرفان [2]

ما أجمل الأرضَ والمحراثُ ينظمها ... قصيدةً ذاتَ تقطيع وأوزان !

يمشى ومن خلفه كفٌّ توجِّهُهُ ... كالفُلكِ سُكّانها فى كفِّ رُبَّان [3]

ما قلقل الأرض إلا زاد غَلَّتها ... ضعفين ، فاعجب لهذا الهادم البانى !

له سلاح إذا ما شقَّها انفتحت ... فيها كنوزُ يواقيتٍ ومَرجان

لولاه ما جاد بالخيرات باطِنُها ... ولا جنى ثمرًا من ظهرها جان

---

(١) يشير بقوله : « دعوى وبرهان » إلى : ما هو معروف من الاصطلاحات الهندسية فى الهندسة النظرية .

(٢) الأولى « المزارع » بضم الميم ، والثانية « المزارع » : بفتح الميم .

(٣) سكان السفينة : دفتها ، وربانها : قائدها .

فى المـــرأة

في استانلي (١)

الرسالة ٣٠ من أغسطس سنة ١٩٣٧م

كلُّ شيء في الصيف يشكو الركودا وأرى الثغر وحده في نشاطِ

قذف البحرُ درَّه المنضودَا أرأيتَ الجمان فوق الشاطي؟ (٢)

* * *

يا خَلِيليَّ، أين أين الرداءُ؟ أنا مالي بكل ذاك يدانِ

ذاك ماءٌ أم هذه كهرباءُ؟ أم لهذا الخليج تياران؟ (٣)

* * *

أنا أخشى عواريَ الأجسادِ لست أخشى العبابَ والإعصارا

يصرع الموجَ ساعدي، وفؤادِي خائرٌ واهنٌ أمام العذاريَ!

* * *

رفعوا في الزوابع الأعلامَا ينذرون الأنام بالأخطارِ (٤)

نكِّسوها ثم ارفعوها إذامَا لاح سربٌ من الأوانس عارِ

* * *

أعوارٍ تلك الدُّمي أم كواسِي بلباس يفصِّل الأجساما؟ (٥)

لاوقاه اللهُ البلي من لباسِ إنه كان واشيا نمامًا؟

* * *

(١) من شواطيء الاستحمام في الإسكندرية.

(٢) يريد: الدر المجازي «فتيات الشاطيء».

(٣) يريد بالتيارين التيار المائي والتيار الكهربائي.

(٤) ترفع الأعلام عند هياج البحر إنذارا بخطر الاستحمام.

(٥) الدمي ـ جمع دمية ـ: التمثال من الرخام ونحوه، ويريد باللباس: «المايوه».

صـاح، مـاذا رأيـتُ حـول المـاءِ؟ أهْـو سـربٌ من الحمـائم ظـامِ؟
طيبَّ اللهُ خـاطـرَ الصحـراءِ أصبح البحـر مـرتـع الآرامِ

* * *

هـاهنـا: لـؤلـؤٌ بغيـر محـارِ سـابح بـاحث عن الغـواصِ
وظبـاءٌ لم تـدر معنى النّفـارِ تضع السهم فى يـد القنـاصِ

* * *

انظـر الشمسَ، والهـوى، والهـواءَ كيف راحت تنسـابُ فى الأجسامِ؟
إن للشمـس والهـواء شفـاءَ لا يسـاوى مـا للهـوى من سَقـامِ

* * *

رب ثغـر يـداعـب الأمـواجـا ينثـر المـاء كـاللجين المـذابِ
تشتهيـه النفـوس ملحًـا أجـاجًـا خـارجا من تلك الثنـايا العـذابِ [1]

* * *

رب سـاقَيْـن غـاصتـا فـى المـاء كلجيـن ينسـاب وسْطَ لجيـنِ
بـدَتـا آيتين فـى الإغـراءِ وهمـا فيـه نصف عـاريتينِ

* * *

إن فـوق الـرمـال غيـدًا نيـامًـا كـالأفـاعى؛ لينٌ بغيـر عظـامِ
ليس سمّـا لعـابهـا؛ بل مـدامًـا هـو: بـرءُ السقيـم، رِىُّ الظـامِى [2]

* * *

قـال جـارى: ألا تكـون رزينـا؟ قلتُ: لا تلحنـى عـدمتك جـارا
وتلفـتُّ يَسـرة ويمينًـا قـال: ماذا أضعتَ ؟ قلـت: الوقـارا

* * *

---

(١) ثنايا الأسنان: معروفة وعددها أربع، والمفرد: ثنية.
(٢) يريد باللعاب: الرضاب؛ وكأنه يفرق بين الغيد والأفاعى فيما يفرزه الفم، بعد أن شبه الأولى بالثانية فى اللين.

أيهــــا المشتكى مـن الإقـــلالِ   متّع النفـس بـالجمــال متــاعــا
لم يبيحـــوا لنــا شيــوع المــالِ   وأبــاحـوا لنــا الجمــال مشــاعــا

* * *

صاح، قل لى: ما بال تلك الصدورِ   كشفهـــا لا يحل لِــلأحـــداقِ؟
ليتهم حــــرَّمــوا ذواتِ الشعـــورِ   فهْى عند مثل القـذى فى المآقى (١)

* * *

لا تضيقــوا بــالمعصم المكشــوفِ   وتقـولـوا: خيـرُ الجمـال المصـونُ
مــا غنــاء الشـذى بغيـر أنــوفِ؟   قيمـــة الحسـن أن تَــراه العيــونُ

* * *

لا تقـولـوا: قـد غـاض مـاءُ الحيـاءِ   واقــرءوا الآى فى وجــوه الحسـانِ
رُبَّ عضـــو مـن هـــذه الأعضـــاءِ   نمَّ عـن ســـر قـــدرة الـــرحمنِ

* * *

أيهـــا الآسف الحـــزيـن البـــاكى   ابْكِ مـــا شئتَ ضيعـــة الأخــلاقِ
قِف ـــ إن اسْطعتَ ـــ دورةَ الأفــلاكِ   أو فكِلْ أمــر الخلـق للخـــلاقِ (٢)

* * *

هــاهنا أعشق المــلاحـة صِرفَــا   مـــا عليهـــا من الثيـــاب غشـــاءُ
هــاهنــا ليس بعـرف الكحل طــرفــا   لا، ولا يغمـــر الخـــدودَ طـــلاءُ

* * *

---

(١) يريد بالصدور ذات الشعور: صدور الرجال.
(٢) دورة: مفعول به لقف، والمراد: أنها سنة التطور.

هـــاهنـــا روعـــة الطبيعـــة تبـــدو فتـــراهـــا عـــذراء بين العـــذارى
انظـــر البحـــر وهْـــو جـــزر ومـــدٌّ وانظـــر الشمس فيـــه إذْ تتـــوارى

* * *

أيهـــا البحـــر، قـــد نـــزلتك ضيفـــا فكأنـــى أغـــرقت فيـك همـــومى
ليت عمـــرى جميعَـــه كـــان صيفـــا ينقضى فـــوق شط بحـــر الـــرومِ!

* * *

فـــى الريـــف:

على ضفاف الغدير

مجلة أبولو أبريل سنة ١٩٣٣م

جنبّـــانى خليج بحـــر الـــرومِ وقفـــا بـى على ضفـــاف الغـــديـرِ
هـــاهنا الغيـــد فى ائتـلاق النجـــومِ حُمْنَ حـــولَ الميـــاه مثلَ الطيـــورِ

***

هنَّ أَقبلـنَ بـــارزاتِ الصـــدورِ ثـم شمَّـــرن كـلَّ ذيـلٍ عفيـفِ
يـــالهـــا من طهـــارة فى سفـــورِ! جُمعَ الطهـــرُ كلـــه فـى الـــريفِ

***

قـــد كشفن الـــذيـــول عن سيقـــانِ أرأيـت الـــدُّمى وهـنَّ عـــوارِ؟
وتقـــدمنَ فـي خطـــا متـــوانِ يتمـــايلن خيفـــةَ التيـــارِ

***

رفعتْ ذيـلَ حـــالـكٍ في الســـوادِ عن حـــواشى مـــورَّدَ اللـــون دامِ
فـإذا طـيّ هـــــذه الأبـــــرادِ شفـقٌ لاح تحت جنـح الظـــلامِ

***

وإذا مـــــا رأيـتَ رأى العيـنِ منظـر السوق غصْنَ في الأمـواجِ (١)
قلـتَ: وادٍ أديمُــــه مـن لجيـنِ نبتتْ فيــه غـــابـــةٌ من عـــاجِ

***

(١) السوق: جمع ساق.

ركعتْ كل غـــادة هيفـــاءِ	كـركـوع البتـول فـى المحـرابِ [1]
فــرأتْ ظلّ وجههــا فـى المـاءِ	ورأى المـــاء فيــه ظل العبـــابِ

❊ ❊ ❊

رُمْـنَ غمس الجـــرار فـى الآذيِّ	فأبـى غمسَهـــا دلالا وتيهـــا [2]
فإذا مـــا انتصـــرن نصـر الكميِّ	ضحكت كل جـــرة ملءَ فيهـــا [3]

❊ ❊ ❊

ثـم أدبـــرن يحتملـن الجـــرارا	تتثنّـى من تحتهـــــا الأجيـــادُ
مـــادلالا تميس تلـك العـــذارَى	كـلُّ لـــــدنٍ تئـــــوده ينـــآدُ

❊ ❊ ❊

رفعتْ عنـد سيـــرهـــا بـــاليمينِ	ذيلَ ضـافٍ، مهفهف، معثـارِ [4]
واتقت بـــالشمـــال فــوق الجبينِ	غـــزواتِ الشعـــاع لـــلأبصـــارِ

❊ ❊ ❊

ســرْنَ سيـر المجـدِّ عنـد الـورودِ	فإذا مـــا صـــدرن ســرن اتئـــادا
أرأيــت الظليم عنـــــد الشـــرودِ	أو رأيت القطـــاةَ إذ تتهـــادى ؟ [5]

❊ ❊ ❊

وعجبنـــا لحـــامـــلات الجـــرارِ	لحْنَ فـــوق الـــروءس كـــالأبـــراج
كيف تبـدو فى عـــزمـة الجبـــارِ	ذاتُ جسم كـــالـــزئبق الـــرجـــراجِ؟

❊ ❊ ❊

---

(١) المراد بالركوع : الانحناء لملء الجرار.
(٢) الآذى : الماء، ويريد بإباء الماء : ضغطه على الجرة عند محاولة غمسها فيه.
(٣) يريد بضحك الجرة : صوت الفقاقيع الناشىء عن حلول الماء محل الهواء.
(٤) يريد : ذيل ثوب ضاف، والضافى : الطويل الشامل.
(٥) الظليم : ذكر النعام.

تِلكَ ســوقٌ مصقــولــة في العــراءِ لم تَمِسْ فى جـوارب من حريـرِ (١)
ورءوسٌ خُلقـن لــــلأعبــــاءِ لا رءوسٌ أَلْفْـنَ قصَّ الشعــــورِ

❊ ❊ ❊

مــا تــرهَّلن فـى ظــلام الخــدورِ أو طليْـن الأديم بـــــالألــــوانِ
بل جـرت فى الـوجـوه جـرىَ النميـرِ حمــرةُ الشمـس صبغــةُ الــرحمنِ

❊ ❊ ❊

ســائلانـي عن أهل تلك المغـــانِي إن هــــــذا الأديـمَ مسقـطُ راسـيِ
لقَّنَتْنـى طيــــورُه ألحــــانـى وسقـــانى هـــواه أولَ كـــاسِ

❊ ❊ ❊

مســرح كنت فــوقــه منــذ حينِ وعليـــــه لعبتُ دور الغـــلامِ
لك ــ يـا ريفُ ــ زفــرتى، وحنينى لك عنــدى تقـديس بيت حــرامِ

❊ ❊ ❊

---

(١) فى البيتين : بعض الموازنة بين القرويات والحضريات.

راقصة (١)

الرسالة ٢٣ من مايو سنة ١٩٣٠م

هنا الغرام والوَلَهْ ... يا منظرًا ما أجملهْ ! (٢)

أتلك أنثى خطرتْ ... أم فتنة منتقلهْ؟

مقبلةٌ مدبرةٌ ... مائلة معتدلهْ

كأن تحت أخمصيـ (م) ـها جمرةً مشتعلهْ (٣)

باسمةٌ يحسبها ... كلُّ فتى تبسم لهْ

تدور حول نفسها ... كما تدور العجلهْ

وَتنثنى كأنها ... عن نفسها منذهلهْ

أبدلها خالقها ... بكل عظم عضلهْ

يا حسنها إذ عركت ... أنملة بأنملهْ

أناملٌ من فضةٍ ... ليِّنة مُنْفَتِلَهْ

جميعُ ما فى جسمها ... يغريك أن تقبلهْ

والسحر كل السحر فى الـ (م) أُنوُثة المكتملهْ

من ترمه بلحظها ... أدنت إليه أجلهْ

كم ارتقت مسرحها ... فصيرته مقصلهْ (٤)

---

(١) أنشئت على إثر سهرة فى مرقص.

(٢) من معانى الوَلَه: ذَهَابُ العقل والحيرة.

(٣) الأخمص ـ من باطن القدم ـ: مالا يمس الأرض.

(٤) القصل: القطع، والمقصلة: كمشنقة وزنا ومعنى.

دقت على أديمه   بساقها منفعلهْ [١]

كأن فى المسرح حر (م)   بًا هى فيها البطلهْ

زلزَلة قد أحدثت   فى كل قلب زلزلهْ

تستر نصفَ جسمها   غلالةٌ مشكَّلهْ

تنم عن أعضائها   من تحتها مفصلهْ

جسم كموجٍ عيلم   تسبح فيه الأخيلهْ [٢]

تخال فيه كلَّ عض (م)   وٍ وحدةً منفصلهْ

فليس بين خصرها   وبين صدرها صلهْ

فى مرقص لا يعرف   الهمَّ فؤادٌ نزلهْ

كأنه فى بقعة   عن الدنى منعزلهْ [٣]

بين الدنى وبينه   ستائرٌ منسدلهْ

الهمُّ فيه واقف   خجلان يخفى خجله

دعنى أَضلَّ ساعة   عبءُ التقى ما أثقلهْ!

ما كنت من أهل المسو (م)   ح والذقون المرسلة [٤]

كم ورعٍ مصطنع   وعفةٍ مفتعلهْ!

---

(١) يشير إلى: حركة خاصة تأتيها الراقصة فى نهاية الشوط.

(٢) العيلم: البحر.

(٣) الدنى: جمع دنيا، وجمعها باعتبار تعدد أمكنتها أو ألوانها.

(٤) المسوح: جمع مسح ـ بكسر الميم ـ وهو: رداء عليه طابع الزهد.

عصفورة تتحدى النسور ![1]

الأهرام فى ... سنة ١٩٣٣م

شـاعرَ النيل، يـا نـزيل الجنـانِ ... هل شهـدت الفتاة يـوم الرهـانِ؟ [2]

لـو تـرى غـادة الكنانـة فى الجوِّ (م) لأنستك غـادة اليـابـان [3]

لم يسعهـا الخبـاء بـل لم يسعهـا ... فـوق ظهـر الغبـراء أىُّ مكـان

فتسـامت إلى السمـاء كأن الْـ (م) أرض ضـاقت عن جسمهـا النورانى

يـالَعصفـورة تحـدت نسـورا ... فشأتهـم فى حَلْبـة الطيـران! [4]

***

رفعت أمسِ رأسَ مصـر فتـاةٌ ... هى والبـرق ـ إن سـرى ـ تـوءمان [5]

أسـرعتْ سرعـةَ الأشعـة والأصـ (م) ـوات نحـوَ العيـون والآذان [6]

تعثـر الـريح حين تقفـو خطـاهـا ... عثـراتِ الجبـان فى الميـدان [7]

ويسيـر السحـاب فـى ركبهـا المحـ (م) ـفوف بـالنصـر آخـذا بـالعنـان

لـم يعقهـا عن التقـدم لينٌ ... فى عظـام أو رقـة فـى بنـان

أو قـوام كأنـه الغصنُ لـدْنٌ ... أو فتـور فى جفنهـا الـوسنـان [8]

---

(١) أقيمت ـ فى ذلك التاريخ ـ مسابقة عالمية فى الطيران ؛ فكانت الأولى آنسة مصرية.

(٢) يريد بشاعر النيل: « حافظ إبراهيم ».

(٣) يشير إلى: بائية حافظ المشهورة التى تحمل اسم: « غادة اليابان ».

(٤) شأه: سبقة، والحلبة: الميدان.

(٥) التوءمان: المولودان يولدان فى بطن واحد.

(٦) يعتبر الضوء والصوت مضربان للمثل فى السرعة، وإن كان الضوء أسرع. ضوء الشمس يصلنا فى ست دقائق، وبيننا وبينها: ٩٣ مليون ميل.

(٧) تقفو: تتبع.

(٨) الوسن: النوم. الوسنان: الفاتر النعسان.

مـــا عهـــدنـــا بطـــولـــةَ الغيـــد إلا ... فى سبـــاق الـــوجـــوه والسيقـــان
فـإذا سهمُهن فــى الجـــــو أمضــى ... من سهـــام العيـــون والأجفـــان

❊ ❊ ❊

كـــاعبٌ من بنـــات مصـــرَ أرتنـــا ... جـــرأةَ الليث فى وجـــوه الحســـان
لم تـــر المجـــد فــى لبـــاس أنيق ... أو طـــلاءِ الـــوجـــوه بـــالألـــوان
بل رأتـــه بين السحـــاب، فنـــادتـــ (م) ـــه؛ فلبى نـــداءَهـــا غيـــرَ وان [١]
إنمـــا المجـــد درةٌ سبحـت فى الــ (م) أُفْقِ، لا فــى مســـابح الحيتـــان [٢]
غـــــادة تمتطى الهـــواء وتغضى ... عينهـــا عن طـــوارق الحـــدثـــان
كلَّ يـــوم تـــرى عُقـــابـــا تـــردى ... وهى كـــالطـــود فى ثبـــات الجنـــان [٣]
لا لعمـــرى ، ليست مَـــلاكـــا؛ ولكن ... هى أنثى قـــويـــــةُ الإيمـــــان

❊ ❊ ❊

إيــه يـــا ربــة البســـالــة والعـــز (م) م ،ويـــارمـــز نهضـــة الأوطـــان
مـــا يـــريـــد المحلَّفـــون ســـوى أن ... تصلى قبـــل ســـائر الأقـــران؟ [٤]
أشهـدى الـريح والسحـاب، إذا مـا ... عـــزبَ الحق عـن بنى الإنسـان [٥]
ليـس يُمحى ثبـــــوتُ سبقـك إلا ... يـــوم تمحى حقـــائقُ الأكـــوان

---

(١) وان: اسم فاعل من ونى ينى، بمعنى تأخر.
(٢) كنى بمسابح الحيتان عن: البحر. يقـول: إن للطيران الآن المقام الأول فى عالم القوةوالمجد.
(٣) تردى: سقط، ويريد بالعقاب: الطيار، والجنان: القلب.
(٤) يشير إلى: قـرار المحلفين ـ إذ ذاك ـ بأنهـا خالفت بعض الشـروط؛ فلا تستحق الجائزة الأولى.
(٥) عزب: غاب.

أنـت أثبتِّ أن مصــــر بخيــــر أمــةُ السبق من قــديم الــزمـــان

حلِّقى كَيْفَ شئت فى الشـرق أو فى الـ (م) ـــغَرْب، تــرعـاك مقلــة الــرحمن

واملئـى كـل مُسمـع بـأزيـــــــزٍ هـــو أشجـى من رنـــة الألحـــان

لستِ عنـدى أختَ العصافيـر؛ لكن أنـتِ أختُ البــــزاة والعقبـــان

قــد عقـدنـا لك اللـواء على الجـــ (م) ـــوِّ ؛ ففـوزى بـالتـاج والصـوْلجـان

* * *

شاعرة!

الرسالة فى ... سنة ١٩٣٣م

كاعبٌ جرَّتْ ذيول الأدبِ ... وتغنَّت بقريض العربِ
يأسَنُ الشعرُ، فإن مرَّ على ... فمها، عاد بنفح طيب [(١)]
تخرج الألفاظ معذوذبِةً ... من فم حلو اللمى معذوذب [(٢)]
دررٌ خارجة من درَرٍ ... تلك لم تثقبْ، وذى لم تُثقب
إن خمرًا كأسُها من خزف ... غيرُ خمر كأسها من ذهب

* * *

شدّ ما يأسر لبى قلمٌ ... مرهفٌ فى أنمل مختضب!
يارعى الله قوامًا لينًا ... يَنْحَنِى كالقوس خلفَ المكتب!
ويمينا بضةً ناعمة ... خُلقت للجدِّ ، لا للعب
طبعَ النِّقسُ عليها شامةً ... كالتى فى خدها الملتهب [(٣)]
أنَّ فى مِعصمها مِرقمُها ... كأنين العاشق المكتئب[(٤)]
وحنى بين يديها رأسَهُ ... كانحناء الساجد المقترب

(١) أسن الماء : تغير.
(٢) اللمى : سمرة فى الشفة .
(٣) النقس : المداد .
(٤) المرقم : القلم.

غـــادة: مــرآتهـــا إن نظـــرت		صفحـــةٌ من صفحـــات الكتب
يـــا إلـــهَ الشعـــر، بـــاركْهـــا إذا		سبحت فى مـــوجـــه المصطخب!
احفـظ الهيفـــــاء مـن تيــــاره		ليس بحـــر الشعـــر سهلَ المـــركب
يـــا فتـــاة الخـــدرَ، عـــوَّذتُـك من		سهــــر الليل، ونجـــوى الشهب
وشـــرود الفكـــر فى جنح الـــدجى		وهــــروب اللفظ عنـــــد الطلـــب
اتـــركى جفنَـك ينفثْ سحــــره		فى خيـــالـى، وقفى عـن كثب (١)
لا تقـولـى الشعـــر، بل أوحـى بـــه		أنت خصـب للخيـــال المجـــدب
إنمـــا الشعـــر محيط، فـــاسلمى		ودعى أمـــــواجـــه تقـــذف بى
إنــــه عبء على حـــــاملــــه		مـــا لهــــذا العبء إلا منكبى

* * *

---

(١) كثب : قرب.

عـرش الجمــال (١)

الرسالة ١٤ من أكتوبر سنة ١٩٣٥م

يـا ربّـة المُلك الـذى انتظم الـورى — مُلْكُ البسيطـة مـا أتيح لقيصـرا
خضعت لحكمك دولـة عـزت على — دارا ، وأعيـا عـرشهـا الإسكنـدرا (٢)
لك دولـة لم تـرهفى مـن أجلهـا — حدّ الحسام، ولـم تقـودى عسكـرا
لتـودِّع الأسـدُ الغضـاب عـروشهـا — قـد أصبح المِلكُ المتوَّجُ جـؤذرا (٣)
من كـان يمتلـك الـرِّقـابَ، فـإنمـا — عرشُ الجمـال على القلـوب تسيطرا
كم عـاهل ذى سطـوة لـم يفتتح — قلبـا وإن فتح المـدائن والقـرى
مُلك الفـراعنـة الشـداد أعـدتِـهِ — بيـد مخضَّبـة وطـرفٍ أحـورا (٤)
مـا للمهـا فى مصـر تحكم عـالمـا — والليث يعجِـزُ أن يعيش محـرَّرا؟ (٥)

***

ملكت يمينك كـلَّ صـدر نـاهـدٍ — وأطـاع أمـرَك كـلُّ خـدٍّ أحمـرا
كم كـاعبٍ ملكـت قلـوبـا أصبحت — أمَـةً تبـاع إذا أردتِ وتشتـرى
كم تحت حكمك ذِاتُ لحظ، إن رنا — تـرك المهنـد لا يسـاوى خنجـرا
جنـد أغـرُّ من الحسـانِ الحـور لـو — لاقيت أسطـولا بـه، لتقهقـرا
أقسمت، مـا بين الملـوك أعـزُّ من — مَلِكٍ على عـرش المـلاح تـأمَّـرا

***

(١) فى ذلك التاريخ: أقيمت مسابقة عالمية للجمال، فازت فيها آنسة مصرية.
(٢) «دارا»: من كبار ملوك الفرس، وكان بينه وبين الاسكندر حروب معروفة.
(٣) الجؤذر: ولد البقرة الوحشية.
(٤) الحور: شدة سواد العين فى شدة بياضها.
(٥) المها: جمع مهاة؛ وهى البقرة الوحشية.

عرش الجمال أيضا

مُـرِى بمـا شئت ؛ كلُّ النـاس آذانُ ... مـا نـال قَبلك مُلْكَ الكـون إنسانُ

من ذا الذى عنَت الـدنيـا لطلعتـه؟ ... أتلك « بلقِيسُ » أم هـذا سليمـان؟ (١)

فى أى جنـة خلـدٍ أنتِ نـاشئـةٌ؟ ... وكيف أفلت هـذا الـوجهَ رضـوان؟

النيل ســوّاك تمثـالا ونمَّقـه ... كأنَّمـا أنتِ فن وهْـو فنـان

وجـه أشعَّـةُ شمسِ النيل تكسبـه ... لـونـا ، وعـودٌ بمـاء النيل ريـان

يا غـادة النيل ، إن الناس قـد جحدوا ... مصـرًا ، فحين رأوْا آيـاتهـا دانـوا

هم أنكـروا كلَّ معنى فى تقـدمنـا ... فهل لمـا تـدرك العينـان نكـران؟

❊ ❊ ❊

اليـوم تحكم عـرشَ الحسن قيصـرَةٌ ... عـريقـة ، عنـدهـا للعـدل ميـزان

مِن معشـر ألِفـوا السلطـان من قِـدم ... إن أصدروا أمرهم ، فالدهر مذعان (٢)

يا بنت فرعون ، إن سُدتِ الأنام ، فقد ... عـادوا لمصـر رعـايـا مثلما كـانـوا

التـاج ليس غـريبـا فـوق رأسكِ كم ... كـانـت بهـامـاتنـا التيجـانُ تـزدان

مـا بـالهم رشحـوا للكـون عـاهلـةً ... فى حين ضاقت بحكم الفـرد بُلدن؟

قـد بـوَّءوك سـريـرَ المُلْك فى زمن ... تسـاقطت سُـررٌ فيـه وتيجـان

تحكمى واستبدِّى كيـف شئت ؛ فما ... للحسن - مهما طغى فى الحكم - طغيان

❊ ❊ ❊

شـادت لمصـر يـدٌ بيضـاءُ نـاعمـةٌ ... مـا لم تشـده أسـاطيـلٌ وفرسـان

---

(١) عنت : خضعت ، وبلقيس : زوجة سليمان .

(٢) مذعان : صيغة مبالغة من الإذعان ؛ بمعنى الخضوع .

قد يدرك الظبيُ فى أمن وفى دَعة ... ما يعجز الليثُ عنهُ وهْو غضبان

ما بالكنانَة من أمثالها عِقَمٌ ... حسنُ الكنانة مثلُ الزهر ألوان

فلو أردتم لعرش الحسن حاشيةً ... كنا لها، وجميعُ الناس عُبدان

سحرُ العيون بمصرٍ منذ أن طُرحت ... فيها العصا ؛ فهى فوق الأرض ثعبان (١)

قد أنبتت يوسفَ الصديقَ تربتُها ... وكلُّ أرض لها طلع وسكان (٢)

أما سبَتْ عاهلَ الرومان فاتنةٌ ... مصريَّة، مهرُها : عرش وإيوان؟ (٣)

وكيف يذبل روض الحسن فى بلد ... مخضوضرٍ، جوُّه روْح وريحان؟

للنيل شمس بلا غيم، ولا وهج ... كأنما كلُّ شهر فيه « نيسان » (٤)

وكل صُقع بمصر روضة أُنُفٌ ... ماء، وظل، وأطيار، وأغصان (٥)

كنانة الله مهد المجد من قدم ... ما طال بنيانَها فى الأرض بنيان (٦)

أقسمت، ما أَنبتت آسادَها أجمٌ ... ولا كغزلانها فى القاع غزلان

هى الجحيم إذا ثارت، فإن هدأت ... فجنة ملؤها : حور وولدان

❊ ❊ ❊

يا دميةً خطرت، فى كل جارحة ... منها على قدرة الرحمن برهان

عرشُ الملاحة جل الله واهبُهُ! ... الحب رمز له، والسلم عنوان

لم ينطلق يوم أن أسَّسْتِهِ شررٌ ... ولم تَسِلْ من دماء الناس غدران

---

(١) يشير إلى : عصا موسى. يقول : إن مصر بلد السحر الحقيقى والمجازى من قديم.

(٢) يوسف الصديق : مضرب المثل فى الجمال، وقد طالت إقامته بمصر، وإن لم تكن مسقط رأسه.

(٣) يشير إلى : « كليوباترة »، التى ضحى أنطونيوس قيصر فى سبيلها بعرش روما.

(٤) الوهج : النار تهيج، ونيسان : معروف؛ وهو من أشهر الربيع.

(٥) الروضة الأنف : البكر التى لم ترع.

(٦) طاله : فاقه طولا.

عـرش المـلاحـة عـرش لاسِـلاحَ لـه ... إلا عيـــونٌ كحيــلات وأجفـــان

فيم الحديد؟ وفيم النار؟ حسبك : من ... عينيك سيف، ومن خــديك نيـران !

مُلك الملـوك على الأشبــاح سلطتُـهُ ... وللجمـــال على الأرواح سلطـــان

إذا غــزوتَ حصـون المشــرقين ولم ... تَغـز القلــوب، فمـا للعــرش أركـان

***

قالـوا: الهوى، قلت: إن الحسن بـاعثه ... فينـا ، ولـولا الهـوى مـا كـان عمـران

الــورد يفْتـن فــوق الخــد منظـرُه ... وكيف لا، وهْـو فـوق الغصن فتـان؟

فى الزهر، فى الطير، يسبى الحسنُ ناظرَه ... فى الشرق، فى الغرب، ماللحسن أوطان!

الحسن يملك حبـاتِ القلـوب، فإن ... لم يملك الحسن قلبا، فهو صفوان (١)

لولا الجمـال، لما كـان الخيال، ولا ... أوحى إلى شـاعــر بـالشعـر شيطـان

الحسن صُنْعُ يـدِ البــارى؛ عبـادتُـهُ ... دينٌ، وكفـــرانـــه بـــالله كفـــران

غــادة البســفور (٢)

الأهرام ٢٦ من فبراير سنة ١٩٣٣م

أنسيــــةٌ أم تلك بعضُ الحـــورِ ... من عَـــدْنٍ انطلقتْ إلى البسفـــورِ؟

يـــا صـــورةً، أحسَسْتُ ســرَّ الله فى ... تكــوينهــا، فجهــرت بــالتكبيــر!

لمــــا تجلى للمقطـم وجهُهـــا ... أشفقت أن ينــدك مثل الطـــور (٣)

الحسنُ معنى قـــد جهلنــا كنهَـــه ... فتحـــدثى عن ســـره المستـــور

***

(١) الصفوان: الحجر.

(٢) أنشئت تحية للآنسة: «كريمان هانم» عند زيارتها مصر، وهى تركية فازت بلقب ملكة الجمال فى مسابقة عالمية.

(٣) يشير إلى: حكاية موسى، حين قال: «رب أرنى أنظر إليك قال: لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل... إلخ».

إسكنـــدريـةُ ـــ إذ رأتك ـــ تلفَّتَتْ وهفت لسـالـف مجـدهـا المـدثـور
أتظن فـــاتنــةً القيـــاصــر أقبلت وتظن هــذا اليــومَ يــوم نشـــور؟ (١)

* * *

مـا أسهم « الغـازى » وحدُّ حسـامـه بجــوار حـدَّة جفنك المكســور؟ (٢)
مـا بـالــه يـرضى بعـرشك بعــدمـا ثلَّ العــروش بحكمه الجمهـورى؟ (٣)
هـدَمَ الأسـرة فـوق هــام مـلـوكهـا وظفــرتِ أنـت بــدولــة وســريــر
الكــون دان لــوجنتيك، وطــالمـا دانت لقـــومك صفحــة المعمـــور
مُلكٌ بنـــاه التـــرك فـى جبـــروتهم وبنيتِـــــهِ فـى رقـــــة وفتــــور
مـا ضـاع من أيـدى الليـوث جمعتِـهِ فى قبْضتَىْ ظبـى أغنَّ، غــريـــر (٤)

* * *

أحمـــامـــةَ البسفـــور، ألف تحيـــة لك مصــــرُ بيـن خمـــائلٍ ووكـــور
رِفِّى علـى النيل السعيـــد وحلِّقـى ثــم اهبطـى فى أعيـن وصـــــدور
أهلــوك تـــربطهـم بمصـــر أواصـــرٌ من قبـل كل سفـــارة وسفيـــر (٥)
إنَّـــابعيــن الفخـــر نـــرمُقُ نصـــرهم ونعيــذهــم من نشـــوة المغــــرور (٦)

---

(١) يريد بفاتنة القياصر : كليوباترة ، وكانت إقامتها بالإسكندرية العاصمة إذ ذاك .
(٢) يقصد بالغازى: مصطفى كمال .
(٣) ثل العرش: هـدمه. ويشير إلى: إعـلان مصطفى كمال الجمهورية، وإسقـاطه الخلافة .
(٤) الأغن: من فى صوته غنة .
(٥) الأواصر: جمع آصرة بمعنى الرابطة . ويشير ــ فى هذا البيت ـ إلى: حادث جرى لسفير مصر فى تركيا ـ إذ ذاك ـ كدر صفو العلاقات بعض الشىء .
(٦) فى المصراع الثانى ـ من البيت ـ: شبه عتاب على الحادث المشار إليه .

شكر عارفة (١)

الأهرام فى ... ١٩٤١م

رقْم تسجلـــــه هـــدَى فـى الأريحيَّـــة والنـــدَى
أنثـى تفيض مـــــروءة جُعل الــرجـــالُ لهــا فــدى
من خلَّــدتــه هُــدى فأخـــ (م) ـــلقْ بــاسم أن يَخْلـــدا!
هـل رام شكـــــرَ الميْت مـن أســدى إلى ميت يـــدا؟
قم ـــ يـا فـؤادُ ـــ مـرتِّـلا آىَ الثنـــاء مــــرددًا
أتُــراك تـــومـىء بـــالهتـــا (م) ف لهـــا فيلجمك الـــردى؟
مـــا ضـاع شعــرُكَ حين خلَّـــ (م) ـــف فى مســامعهـا صـدى
كنـــز رعتــه بعطفهـــا السّــــ (م) ـــامى، فلم يـذهب سـدى
زيـنَ النســـاء بقيتِ لِلْـــــ (م) أدب المصفَّـى مـــــوردا
الشعـــر مثـل الـــزهـــر رف (م) عليـــه عطفك كـــالنـدى
رحمـــاهُ غــاب النـاهضـو (م) ن بـــه، فأصبح مقعـــدا!
أبضــرتُ سيـــدة تقــدَّ (م) ره ولـم أر سيـــــدا
ضـــربت لنـــا الأمثـــال غـــا (م) نيـــة؛ فمن شـــاء اقتـــدى

---

(١) أنشئت هذه الأبيات؛ شكرا للسيدة: هدى هانم شعراوى ،على ما تفضلت به من استعدادها لطبع ديوان الشاعر المأسوف على شبابه: «فواد بليبل» ـ وهو صديق الشاعر ـ على حسابها الخاص. راجع قصيدة: «الربيع الحائل» فى باب «عبرات».

أدب الجمـــال (١)

الأهرام في ... ١٩٤١

أرأيـتَ ربـــاتِ الجمـــالِ ... ينطقن بـــالــدُّرر الغـــوالى

سلبت صحـــائفُهن مـــا ... بنحـــورهـنَّ من الـــلآلـى

سلس اليـــــراع بكفهـن (م) ... ســلاســـةَ العـذب الـــزلال

فخطـــرن فـى بـــردين مـن: ... نسج الفصـــاحـــة، والـــدلال

حُسْـن البيـــان مـن الحسـا ... ن نهـــايـــة السحــر الحـــلال

وحـــديثـــه أشهـى إلـى ... قلـب الأديب مـن الـــوصـــال

❊ ❊ ❊

طَلَبَ الغـــوانى فـى الحيـــا ... ة نصيبهـن مـــن النضـــــال

وأثـــرنهـــا شعـــواء مـن ... خلف الخـــدور على الـــرجـــال

وإرادة الغيــــد الكـــوا ... عـب مـن إرادة ذى الجـــــلال

أنـــا عـن بنى حـــواءَ أعـــ ... ـلنتُ الفـــرار مـن المجـــــال

قلـم الفتـــاة كجفنهـــــا ... فيمـــا يَـــريـش من النبـــال (٢)

مـــا كنتُ أولَ ضيغـم ... طلـب الأمـــان مـن الغـــزال

قـم يـــا أمين، تـــر الفتـــا (م) ... ةَ تجيـــد تـــدبيج المقـــال (٣)

وتـــرَ الفتـــاة تســابق الشـــ (م) ... ـــعراء فـى وادى الخيـــال

---

(١) أنشئت هذه القصيدة، على إثر شهود احتفال أقامته جميعة الاتحاد النسوى.

(٢) راش السهم ونحوه: وضع الريش؛ استعدادا للرمى.

(٣) يريد: المرحوم قاسم أمين، أول من نادى بتحرير المرأة

قـــد روّضتْ متـن الهـــوا ء، وســـابقت ريـح الشمـــال (١)
حملـت يـــداهـــا مبضعـــا وشفـت من الـــداء العضـــال
شَــدَتِ الفتـــاة، فقصـــرت بغنـــائهـــا طـــولَ الليـــالى
وتـــوسطـت حـــرم القضـــا (م) ء، فأحكمـت طـــرق الجـــدال
وغَـــدَت إلى التمثيـل مـــر (م) شـــدة إلى كـــرم الخـــلال
وقفـت تصيـح خطيبـــــة وتصـــــدرت كل احتفـــــال
مـــا كنتُ أعهـــد سبقهـــا فى غيـــر ميـــدان الجمـــال
حلـم تحقـق، يـــا أميـــــ (م) ـــنُ، ولـم يكن سهـل المنـــال
هـــذا زمـــان المعجـــزا (م) ت، وعصـــر تحقيق المحـــال

❊ ❊ ❊

الأمهـــاتُ بـــريـف مصـــــ (م) ـــرَ يهمن فـى وادى الضـــلال
العلـم ألـــــزمُ للفتـــــا (م) ة مـن المهنـــد للقتـــال
رَبِّ الفتـــــاةَ وألقهـــا بيـن الـــذئاب ،ولا تبـــال!

---

(١) يريد بترويض متن الهواء : امتطاء الطائرات.

رياء! (1)

مجلة أبولو مايو سنة ١٩٣٣م

نامت الأمُّ فى جوار الفتاةِ ... فإذا الكل غارقٌ في السبات
ثم فاها بما يكنان همسًا ... يالنجوى البنات والأمهات!

* * *

قالت الأم: يا بنيةُ، تبًّا ... لك! تبا من حية رقطاءِ! (2)
أنا لولاك ما اكتهلتُ، ولكن ... كنتُ فى عود كاعب عذراء
لك ركن تبنينه بانهدامى ... وحياة تحيَيْنَها بفنائى
ليتنى أستطيع وأدك، حتى ... أحتسى ما احتسيتهِ من دمائى

قالت البنت: يا أميمةُ، تبا ... لك شمطاء، ذاتَ وجه دميمِ! (3)
كم تريدين أن أعيشَ كما كنـ ... ـتِ تعيشين فى الزمان القديمِ
أنت غلٌّ فى أخمصىَّ ثقيل ... وحجاب بينى وبين النعيم
ليتنى أستطيع وأدك، يا أمّـ ... ـاه، حتى أشَمَّ ريح النسيمِ!
صحَت الأمُّ ـ بعد ذاك ـ فقالت: ... يا ابنتى، يا حمامتى، عانقينى
عانقتها فتَاتُها، ثم قالت: ... أنت روحى، وراحتى. قبلينى!

* * *

(1) نظم هذه القطعة بالإنجليزية: «جبران خليل جبران» وترجمها نثرا: «انطونيوس بشير».
(2) التباب: الخسران، والحية الرقطاء: التى فى جلدها خطوط.
(3) الشمطاء: التى اختلط بياض شعر رأسها بسواده.

القبلة (1)

بين محرم ومحلل

مجلة أبولو مايو سنة ١٩٣٣م

تلامس كفَّانا ، فألقت بنفسها ... عليَّ ، وسلطان الهوى يتحكمُ
فوالله ، ما دنستُ ساعةَ ضعفها ... عَفافًا لنا ، والحبُّ : طهر ، ومأثم
وحرمت فاها والخدود على فمى ... وكم من محب يشتهى ما أحرِّم
وكم من أناس حللوا قبلة الهوى ... ليرُضوا هواهم ، لا عفا الله عنهمو!

* * *

يعفُّ عن التقبيل وهْوَ متيمُ ... فهل هو إنس أم مَلاك مكرَّمُ؟
وهل هو صبٌّ أم فقيهٌ مشرع ... يحلِّلُ فى شرع الهوى ويحرِّم؟
متى اعتنق الخلان من غير قبلة ... وهذا له خدٌّ وذاك له فم؟
وكم لثم العشاق فى غير ريبة ... وضموا على طهرٍ. عفا الله عنهمو!

* * *

(١) الأبيات الأربعة الأولى ـ للأستاذ : أحمد عبد المجيد ، والثانية ــ نظمها الشاعر؛ ردا عليه ، وكانا طالبين إذ ذاك .

عبـــرات

ذكرى فريد ! [1]

اللواء المصرى ١٧ من ديسمبر سنة ١٩٤٤م

ذكـرى يُـرَدِّدُهـا الحمى تـرديـدا ... فتفـوحُ مسكـا فـى البـلاد وَعـودا
تجـرى علـى شفـة الـزمـان وسمعـه ... نَغمـا ، وتسرى فى الـدماء وَقـودا [2]
لم يطـوهـا الفَلـكُ المـدارُ، كأنهـا ... أخـذت على الفلك المـدارِ عهـودا
أقسمتُ ، لم يهتف بمصـرٍ هـاتفٌ ... إلا ذكـرتُ مع الهتـاف « فـريـدا »
اسنم يَمَسُّ مـن القلوب شَغـافهـا ... فكأن أحـرفـه انتظمْن نشيـدا [3]
ويُعيد للـذكرى صحـائف كالضحى ... بِيضًـا ، وأخـرى كـالـذوائب سـودا
إنى لمحتُ دم الشهـادة فى اسمـه ... وقـرأتُ فيـه النفـى والتشـريـدا
جُمعَ الضحـايـا كلُّهم فى روضـة ... أُنُفٍ فكـان علـى الجميع عميـدا [4]

***

بـالله فتِّـشْ بين أطبـاق الثـرى ... وانظـر هنـالك صـارمـا مغمـودا
صـاغتـه مصـرُ فلـم تصُغـه معـدنـا ... بل كـان من أهـرامهـا مقـدودا
وابحث هنـالك عـن خطيب طـالمـا ... رفع النـداء ، فأسمـع الجلمـودا
الهـاتف الصـدَّاحُ بـاسم بـلاده ... يطـوى بـه بحـرًا ، ويقطـع بيـدا
نشـر القضيـة وهْى سـر غـامض ... حتى أحسَّ لهـا الـوجـودُ وجـودا
والحـربُ قـائمـةٌ على سيقـانهـا ... يجـرى الصعيـد بهـا دمـا وصـديـدا

---

(١) ألقيت هـذه القطعة فى ذكرى المرحـوم : محمـد فريد ـ فى ذلك التـاريخ ـ بدار « الأوبرا » .

(٢) الوقود ـ بفتح القاف ـ : المادة التى يوقد بها .

(٣) شغاف القلب : غشاء رقيق يغطيه .

(٤) الروضة الأنف : البكر التى لم ترع .

مـا كـان جيشُ الظـافـرين بأسـره ... ليُخيفـه بطشًـا ولا تهـديـدا

حَمل الأمـانـةَ بعـد مصرع مصطفى ... مـا نـاءَ ظهـرًا، أو تخـاذل جيـدا [(١)]

وحبـا البـلاد بنفسـه وبمـالـه ... ولـو استطـاع حبا البـلاد مـزيـدا

رجلٌ: محبـة مصـرَ سـرُّ شقـائه ... لـولا محبـة مصـر عـاش سعيـدا

مِن أجلهـا هَجَـرَ الأحبـة، والكـرى ... والعيشَ فى ظـل النعيـم رغيـدا

وأوى السجـون كمـا أواهـا يـوسفٌ ... حيًّـا، فلمـا مات مـات طـريـدا [(٢)]

إن لم يكن سبِطَ الـرسـول، فإنـه ... أودى ـ كما أودى (الحسين) ـ شهيدا [(٣)]

أودى صـريعَ الـداء، يبـرى جسمـه ... صفـر اليـدين، عن الـديـار بعيـدا

ظمـآنَ، هـام بقطـرة معسـولـة ... من نيل مصـر فمـا استطـاع ورودا

مـا سـال خلفَ سـريـره دمعٌ، ولا ... خفَّ السُّعـاةُ إلى السـريـر وفـودا

هيهـات أنْ يُبكى غـريبُ الـدار، أو ... يلقى الحفـاوةَ من يمـوت وحيـدا!

❋ ❋ ❋

قم، يـا فريـدُ، وأَتمِمِ الصرح الـذى ... أسسْتَـه ضخم البنـاء، وَطِيـدَا [(٤)]

إن كـان فى مصـرٍ بنـاءٌ قـائمٌ ... تُـزهى به، فعلـى أساسك شِيـدا [(٥)]

الصيحـة الكبرى بصـوتك ـ وحـده ـ ... دوَّتْ طبـولا فى الحمى، ورعـودا

---

(١) ناء بالحمل: أثقله فسقط.

(٢) سجن المرحوم محمد فريد غير مرة؛ بسبب الحركة الوطنية التى تزعمها. أما موته؛ فكان فى برلين.

(٣) السبط ـ بكسر السين: ـ ولد البنت، كما يطلق على ولد الولد أيضًا. والمراد بالحسين: الحسين سبط الرسول؛ ولد الزهراء.

(٤) الصرح: البناء الضخم.

(٥) زهى به ـ بالبناء للمجهول ـ: افتخر به.

إن قــام بعــدك من يصيـح ، فإنمــا قــد كنتَ مبتــدئا ، وكــان معيــدا
لم ينقلــوا الأقــدام إلا بعــدمــا مهَّــدت أَنـت طـريقهــا تمهيــدا
ســاروا وسـرت ، فكنـت أنت طليعـة لهمـو، وكـانـوا فى الصفـوف جنـودا
لم تَتَّخِــذْ حبَّ البــلاد تجــارة أو سُلَّمــا تبغى عليــه صُعــودا
أو تحشـد الـدهمـاء خلفك مـوكبًا ليسيـر بـاسمك هاتِفًـا ومشيـدا (١)
مــا قمـت تعلن عن جهــادك مــرةً ... أو تبتغـى نظــــارةً وشهــــودا
بل كنت مثلَ النجـم ، يطـوى أفقــه والعين تحسبــه يسيــر وئيــدا (٢)

* * *

حيَّيْتُ ــ في ذكراك ـ ذكـرى مصطفى وعصــابــةٍ زأروا بمصــرَ أســودا
سكنـوا القبـور؛ فما حـوتهم أعظمـا وجمــاجمًــا ، بل لـؤلـؤًا منضـودا
زينَتْ بهم مصرٌ، فلمــا استُشهـدوا لبستهمــو صحــراءُ مصــرَ عقــودا
قـادوا الحمى فى فجـر نهضته؛ فمـا عــرفـوا عن النهـج السوىِّ محيــدا
لا صـولــة الحكم استخفَّتهم ، ولا عــاشـوا لسلطــان الحطـام عبيــدا
لادَرَّ درُّ الحكـم ؛ كم أحنـى لنــــا رأســا ، وعفَّـر بـالتـراب خـدودا! (٣)
قل للــذى جعل المنــاصب والغنى ثمنَ الجهــاد : لقـد كسبت زهيــدا

* * *

قُمْ، يـا فـريـدُ، نجدِّدُ العهـد الـذى عــاهــدتنــا ونــزيــده تــوكيــدا
صان الحـواريُّون ــ بعدك ــ عهدهم صون الكرام ، وواصلوا المجهودا (٤)

---

(١) الدهماء : عامة الناس .
(٢) السير الوئيد : البطىء .
(٣) أصل الدر : اللبن، ولا در دره : دعـاء عليه . من مبادىء الحزب الـوطنى : عدم قبول كراسى الحكم .
(٢) الحواريون : الأنصار، مفرده : حوارى ويقصد بالحواريين : رجال الحزب الوطنى الأحياء .

نهضوا بحِمْلك، يا فريد، وإن يكن ... فوق الكواهل جندلا، وحديدا

ما صاح صائحهم بملء لهانِهِ ... إلا سمعنا صوتك المعهودا

قالوا لهم: « حزب الجلاء »، وإنه ... لقب يزيد مقامهم تمجيدا

« والله ما دون الجلاء ويومه ... يومٌ تسميه الكنانة عيدا » (١)

الله يعلم، لستُ أبخس عاملا ... حقا، ولا أجزى الجميل جحودا

نفرٌ بهم دار النيابة تزدهى ... لا يقبلون أذىً بمصرَ أُريدا

لا يسمع المفتاتَ صوتَ أكفهم ... أو يعرفون لمبطل تأييدا (٢)

نابوا، فكانوا الناطقين برأيهم ... والمُنطقين الخائرَ الرِّعديدا (٣)

لم يقبلوها قيصريةَ قيصر ... لا نافذًا فيها، ولا منقودا

شَرْعُ النيابة ليس فيه مؤلَّه ... آراؤه لا تقبل التفنيدا

الله قد خلق الأنام سواسيًا ... لا ترْضَ إلا وجهَهُ معبودا

مَنْ لم يعش حُرا على وجه الثرى ... فليتَّخذْ فى بطنه أخدودا (٤)

* * *

قُمْ، يا فريدُ، تر الرجالَ تفرقوا ... شِيعا، وبُدِّدَ شملهم تبديدا

سرت العداوة بينهم؛ فتنابزوا ... ونسُوا عدُوًّا للبلاد لدودا (٥)

سل مصر: هل ألقى السلاحَ جنودها ... أو حَققوا استقلالها المنشودا؟

المطلبُ الأسمى الذى من أجله ... ذَهبَ الضحايا، لم يزل مفقودا

ماذا أفادت مصر بعد جهادها ... إلا صحائفَ حُرِّرتْ وبنودا؟

---

(١) هذا البيت من قصيدة للمرحوم شوقى بك.

(٢) المفتات: اسم فاعل من افتات بمعنى ظلم، وصوت الأكف: كناية عن التصفيق.

(٣) الرعديد: كثير الرعدة؛ الجبان.

(٤) الأخدود: الشق فى باطن الأرض ونحوه.

(٥) التنابز: التعاير والتداعى بالألقاب.

هيهات! لا تمحو الوثائقُ وحدها … ذلَّ الإسار، ولا تحل قيودا

قل للكماة الظافرين: بذلتمو … بالأمس فى عُرض المحيط وعودا [1]

وكسبتمو عطف الشعوب، ونلتمو … من أهل مصرَ العوْن والتعضيدا

وجرت بسعدكمو طوالعُ، لم تزَلْ … تجرى نحوسا تارة، وسعودا

ماذا ادَّخرتم للكنانة فى غد؟ … أترى الكنانةُ حقَّها مردودا؟

العهد يقضى أن نعيش: حليفةً … لحليفة، لاسيدًا، ومسودا

إن تشطروا النيل المباركَ، تقطعوا … من مِصَر خيطَ حياتها الممدودا

سودانُ مصرَ، ومصرُ: مملكة، فلا … تضَعوا فواصلَ بينها، وحدودا

أخَوانِ من قِدَمَ. أليس كلاهما … للنيل ذى الحسب العريق وليدا؟

هذى مبادئكم، وتلك حقوقنا … كالشمس؛ لا لبسًا، ولا تعقيدا

دار الزمان، وجدّ فى دورانه … عار علينا أن نظلَّ قعودا!

شعبٌ بنى الأهرام عالية الذرا … لم لا يؤمل فى الحياة خلودا؟

لسنا نضنٌّ على الحمى بدمائنا … فلنا أوائلُ علَّمونا الجودا

مهما تفرقت المبادىء، تلتقى … فى حب مصرَ مقاصدًا وجهودا [2]

حبُّ البلاد ـ لدى الجميع ـ عقيدة … بين الجُنوب تُجاور التوحيدا

إنا على اسم الله سرنا، نقتفى … مَلَكًا موفقةٌ خطاه رشيدا

قد قلبت صفحاتها مصرٌ؛ فما … وجدت كأسرته ملوكا صيدا

لم تلق مثل محمد جدا، ولا … كحفيده ـ زين الشباب ـ حفيدا

فاروق، إنك للكنانة كعبةٌ … أمسى عليك رجاؤها معقودا

---

(١) يريد بالظافرين: الحلفاء، ويريد بالمحيط: الاطلانطى، ويريد بالوعود: ميثاق الاطلانطى المشهور، الذى يكفل للشعوب حرياتها.

(٢) تلتقى ـ بثبوت الياء ـ وإن كان جوابا للشرط، فرفع الجواب إذا كان الشرط ماضيا جائز، بل حسن.

مدفع فوق مدفع ! (١)

الأهرام ٣ من فبراير سنة ١٩٤١م

سـارَ بيـن الـدمـوع والـزفـراتِ ... خيـرُ نعْش يقل خيـرَ رفـاتِ !

مِـدفعٌ خـامـدٌ على مـدفع سـا (م) رَ من الـوجـد وارِىَ الجمـرات (٢)

ولـواءٌ طـوَتـه أحـزانـه حـو (م) لَ لـواء طـوتـه كفُّ الممـات (٣)

لـودرت أنجـم اللـواء بمن ضمَّـ (م) ـتْ، لأومتْ إليـه بـالقُبـلات (٤)

أخمـدت قبضـةُ المنيـة صـوتًـا ... طـالمـا صاح فى وجـوه الطغـاة

وحنتْ مـن محمـد رأسَ حـرٍّ ... مـا حنـاه إلا أمـام العفـاة (٥)

ساهـرُ الجفن فى دجى الليل، قـدبا (م) ت غـريقـا فى لجَّـة من سبُـات

والكبيـرُ الـذى تضيق بـه الأر (م) ضُ أقلتـهُ حفـرة فى فـلاة

والخطيبُ البليغُ طـال بـه الصمـ (م) ـتُ، وصمتُ البليغ إحـدى العظات

مـات فى حـالـك الظـلام؛ فكـانت ... ظلمـاتٌ تطغى على ظلمـات

طـالمـا ألحف السقـام عليـه ... فخـدعنا النفوس بـالتُّرهـات (٦)

هكـذا تخـدع الغـريق يـداه ... حين يطغـى عليـه حُبُّ النجـاة

* * *

(١) أنشئت يوم وفاة المرحوم: محمد محمود باشا، ونشرت فى اليوم التالى.

(٢) يريد بالمدفع الأول: الرفات، وبالثانى: المدفع الحقيقى الذى أقل الرفات.

(٣) اللواء الأول: مجازى، والثانى: العلم الذى لف فيه الفقيد.

(٤) أومت: أصله أو مأت؛ بمعنى أشارت.

(٥) العفاة: جمع عاف؛ بمعنى فقير.

(٦) السبات: النوم.

(٧) الترهات: الأباطي،ل مفردها: ترهة كقبرة.

فُجِعتْ مصرُ ـ وهْى أكرم أمٍّ ـ في أبرِّ البنين بالأمّهات

في فتى، طاهر السريرة، عفٍّ برئت نفسه من العِلات

لم تَحُم ريبةٌ حواليه يوما لا، ولا شيبَ حوضُه بقذاة [1]

مَثَلٌ في الخصام أعلى، إذا خا (م) صم لم يرم خصمه بأذاة

ليِّنٌ إن قسا القساةُ، أبيٌّ إذ تشمُّ الثرى أنوفُ الأباة

الصريحُ الذى يقول: « نعم »، أو « لا »، إذا شاءَها بِمِلءِ اللَّهات [2]

مستقلٌّ برأيه في زمان كثرت فيه دولة الإِمَّعات [3]

شدَّةٌ في كياسةٍ، ومراحٌ في وقار، وبسطة في تقاة

كان سمْحا بحقه، أريحيًّا غير سمح بحق مصر الفتاة

لم تدنِّس له السياسة طهرا وهْى حربُ الشمائل الطاهرات

ما عهدنا خبَّ الثعالب فيه لا، ولا لينَ مَلْمسِ الحيات [4]

ما عهدناه ذا دهاء، ولكن لم يغرِّرْ به دهاء الدُّهاة

ظنَّ قوم به الهوادة، حتى عجموه؛ فكان صُلب القناة [5]

قَرويٌّ، لم يغرس الغرب فيه غير عقل مثقف، وحصاة [6]

ورد الغرب، ثم عاد من الغَرْ (م) ب سليم الطباع والعادات

***

يا فتى الريف، إنني فيك أنعى ما حوى الريفُ من نبيل الصفات!

---

(١) شيب ـ بمعنى خلط ـ: مبنى للمجهول، والقذى: ما يقع فى العين أو الشراب.
(٢) اللهاة: لحمة فى الحلق أسفل الفم.
(٣) الإمعة: التابع الذى لا رأى له.
(٤) الخب: الخداع.
(٥) الهوادة: اللين.
(٦) من معانى الحصاة: الرأى الثاقب.

هبـةُ الـريف أنتَ، وهْـو كـريمٌ … مـا عهـدنـاه يستـردُّ الهبـات

يـا طبيب البـلاد سـاعـة تشكـو … كيف أعيت شكواك طبَّ الأساة؟ (١)

كيف تخبـو، والجـو أسحمُ داج … وتُـولـىٍّ فى أحـرج الأوقـات؟

نم قـرير الأجْفَـان، حسبك: مـاض … نـاصعُ اللـون ، أبيض الصفحـات

قـد بكتك الأخـلاق بيـن البـواكى … ونعتـك الأهـرام بيـن النعـاة

عُمُـرٌ حـافـل بحلـو، ومـرٍّ … ورضـا صحبـة، وسخط عـداة

هكـذا العمـر ــ والحيـاة زوالٌ ــ … سنـواتٌ، تمـرُّ مثلَ سنـات

سنَّـة الله سنهـا فـى البـرايـا … كلُّ جمع مهـدَّدٌ بـالشتـات

غيـر أن العِظـامَ قـد يتحـدَّوْ (م) … ن البِلى بـالمـآثـر الخـالـدات

والمنـايـا بـرازخٌ فـاصـلات … بين عهـديـن: بين مـاض، وآت

مـا طـوى الموتُ صفحـةً من كتـاب … قـد وعينـا مـا فيـه من آيـات

أنتَ خلفتَ ــ بعـد مـوتك ــ فينـا … بـاقيـاتٍ لا تنقضـى، صـالحـات

خـالـدٌ أنت رغم أنف المنـايـا … إن مـوت العظيم بـدءُ حيـاة

❊ ❊ ❊

(١) الأساة: جمع آس، بمعنى طبيب.

(١) هرم يهوى ![1]

الدستور ١ من مارس سنة ١٩٤٥م

فى بهوْ فرعونَ، بل فى ساحة الحرمِ ... ترنَّحت، ثم مالت صفحة الهرمِ ![2]

وأمسكت جنَبها مصرٌ، فقلت لها: ... «ياويح جنبك بالسهم المصيب رمى» ![3]

قل للخطيب الذى ما اجتاز منبرَه ... حتى رمتْه سهامُ الموت بالبكم: [4]

هذى جراحك عند الصمت مفصحةً ... فيهنَّ: ألفُ لسان ناطقٍ، وفم

كأننى بالوغى — إذ قمت تعلنها — ... سجَّلت رأيك فى إعلانها بدم [5]

يا ساهر الليل، قد طال السهاد، وقد ... قرَّحت جفنك فى حب الحمى، فنم

أقسمت بالنيل، ليس النيل أطهرَ من ... تلك الدماء، وما بالغت فى القسم

هذا دم سال من وجه أغرَّ، ومن ... قلب يروع قلوب الأُسْد فى الأجم

هذا البرىء الذى لم تدرِ مصر له ... ذنبا يخفِّفُ عنها لوعة الألم

كان الصراحةَ، والأفواهُ مطبقة ... كان الوفاء بعصر غادر الذمم

لا يشتكى خصمه منه مواربة ... أو تشتكى أذُناه فاحش الكلم [6]

---

(١) أنشئت يوم وفاة المرحوم: أحمد ماهر باشا، ونشرت عقب إنشائها.

(٢) يريد ببهو: فرعون البهو الفرعونى من دار النيابة، وهو المكان الذى أصيب فيه الفقيد بالطلقات النارية التى أودت بحياته.

(٣) المصراع الثانى من البيت للمرحوم شوقى بك.

(٤) مات الفقيد عقب خطبة ألقاها بمجلس النواب، وكان على أهبة إلقائها بمجلس الشيوخ.

(٥) كان من رأى الفقيد: أن تخوض مصر غمار الحرب إلى جانب الحلفاء، وكان هذا مضمون خطبته المشار إليها.

(٦) المواربة: الختل والخداع.

عفُّ اليـدين، شريـفٌ فى خصومتـه عفُّ اللسـان، نـزيـهٌ، طـاهـر القَلَم
كـان الشجاعـة فى أسمى مظـاهرهـا يخطـو إلى الموت فـردًا ثابت القـدم
لا تعجبـــوا كيف غـــالتـهُ منيَّتُـــه بل اعجبوا كيف لم تصـرعه من قدم!

* * *

يـا آل أحمـدَ، قـــد جلت فجيعتُكم أنتم أولو العزم فى اللأواء والهمم![1]
فقيـدكم خطبـه - بين الـورى ــ عَمَمٌ قد حل فى أمـة، بل حل فى أمم[2]
حيـاتــه: صفحـاتٌ كلُّهـا عظمٌ ومـوتــه :آيـةُ الآيــات فى العظم
لفــوه فى العلم المصــرىِّ تكـرِمـةً أفــديـه مـن علم قـد لـفَّ في علم!

---

(١) اللأواء: الشدة.
(٢) الخطب العمم: الشامل.

(٢) هرم يهوى ! [١]

أرى هرمًا فى بهو فرعون هاويا ... وما زالت الأهرام شمًّا كما هيا

تصدَّع ركناه، وخرَّ أساسه ... وقد كان مثلَ الطود بالأمس راسيا

ألا أيها الطرف الضنين بمَائه ... دع الدمع، أو فاسكبه أحمرَ قانيا

تدفَّقْ؛ فهذا الحشد مأتم أحمدٍ ... ولن ترجع الأيامُ أحمدَ ثانيا

دفينٌ نناديه، ونهتف باسمه ... وهل يسمع الميْتُ الدفين المناديا؟

توالت عليه أربعون عشية ... فلم ندر: أجيالا مضت أم لياليا؟

أطِلَّ علينا من سمائك لحظة ... لتنقع أكبادًا بمصر صواديا [٢]

رنَتْ نحَوك الأحداق، والخطبُ محدقٌ ... ولكنها ألفَتْ مكانك خاليا

أيُرديك سهم بين جنبيك طائش ... وقد كنت سهما فى الملمَّات ماضيا؟ [٣]

ومثلك قد يرديه بالخب ثعلب ... ولكنه يروى الأسود الضواريا [٤]

عهدناك تغشى الموت فى كل مكمَن ... وتكشف للمغتال صدرك عاريا

جناية قتل أنت بعض جناتها ... لك الله مجنيًّا عليه، وجانيا!

تعجب قوم أن تموت، وإنما ... تعجبت أن تبقى إلى اليوم ناجيا!

❊ ❊ ❊

---

(١) أنشئت فى رثاء المرحوم أحمد ماهر أيضًا، لتلقى فى يوم الأربعين.

(٢) تنقع: تروى، وصواد: جمع صادية، والصدى: الظمأ.

(٣) لا يريد بطيش السهم: عدم إصابته؛ بل يريد: إصابته من لا يستحق أن يصاب.

(٤) الخب: الخداع والغش، والأسد الضارى: المتعود الفتك.

مصـابٌ عـرا دارَ النيـابـة فجأة ... فـروَّع أهليهـا، وهـزَّ المبـانيـا [1]

رأتْ علمـا يهوى؛ فقـالت: من الفتى؟ ... فقيل لهـا: من شادَ رُكنك عـاليا [2]

فضجت مغـانيهـا، وضجت قبـابهـا ... ومـال عليـه منبـر الـدار حـانيـا

ولا حـيَّ إلا راح يمسك جنبـه ... ولا قلبَ إلا خلتـه صـار داميـا

وقلَّب كفَّيـه الطبيب بحسـرة ... وسهمُ الـردى يعيى الطبيب المداويـا

همـو نضحـوا بـالمـاء دامىَ جـرحـه ... ففـاح عبيـر المـاء كـالمسك ذاكيـا

دمٌ أرخصَتْـه كفُّ أحمـقَ، طـائش ... وقـد كـان إلا فى فـدى مصـر غـاليـا

***

أرى مصـر يلهـو بـالسـلاح شبـابُهـا ... فيـا لشبـاب بـات بـالنـار لاهيـا!

رأوْا بعيـون يعكس الضـوء لحظهـا ... كأنَّ على تلك العيـونِ غـواشيـا [3]

شبـابَ الحمى، لا تجعلـو السيف بيننا ... إذا ما اختصمنـا فى السيـاسة قـاضيا

شباب الحمى، هلا ادخـرنا سلاحنا ... لِنَلْقَى بـه يـوم الكفـاح الأعـاديـا؟

ومنَ نكَـد الأيـام: أن يحسب امـرؤٌ ... أبـرَّ بنى مصرٍ على مصـرَ جـانيـا

فـلا بـارك الله الحـروب وأهلهـا ... فـإنا لقينـا بـالحـروب الدواهيـا! [4]

***

ألا أيهـا الـرامى، لـك الـويل راميـا! ... أتهـدم بنَّـاءً وتجـرح آسيـا؟

فجعتَ - لعمرى - مصـر فى ليث غابها ... وخلفت حيـات بهـا وأفـاعيـا

غـدرت فتى لا يعـرف الغـدرَ طبعـه ... يـلاقى عـداه سـافـرَ الـوجـه باديـا

---

(١) كانت إصابة الفقيد فى دار النيابة.
(٢) العلم: الجبل. وقد تولى الفقيد رياسة مجلس النواب ردحا طويلا من الزمن.
(٣) انعكاس الضوء معروف، والمراد: أنهم يرون الأشياء على غير حقيقتها.
(٤) يعتبر هذا المصاب من ويلات الحرب؛ فقد مات الفقيد فى سبيل الدعوة إلى أن تخوض مصر غمارها.

أصبتَ لــه وجهـا يفيـضُ بشـاشـةً ... وصـدرا من البغضاء والحقـد صافيـا
فتى لم يكـن فيـه مجـالٌ لــريبـة ... فلم يتخـذْ من صـولـة الجنـد واقيـا
لقـد لاذ بـالإنصـاف طـول حيـاتـه ... ومن لاذ بـالإنصاف لـم يخش عاديـا
فتى عاش، لم يغضب ويرضَ لنفسه ... ولكن لمصـرٍ كـان غضبـان راضيـا
فمن أجلها عـادى، ومن أجلها مشى ... يمـد إلى الخصم اليمين مصـافيـا
فتى الثـورة الكبـرى، كـوتـه بنـارهـا ... وما زال حتـى مات بـالنار صـاليا [1]
لقـدّ نهضَتْ مصـرٌ، فما سـار ركبهـا ... إلى المـوت إلاَّ كـان للـركب حـاديـا
زعيم بلـوْنـاه: خطيبًا، وكـاتبًـا ... فمـا خط هجـرا، أو تكلم نـابيـا
إذا قـرَّب النـاس الـوشـاةَ، وجـدتـه ... كـريم الحـواشـى؛ لا يقـرب واشيـا
وإن كُمت الأفـواه، صـاح بـرأيـه ... ولـم يخش جبارا من النـاس عاتيا [2]
تفـانـى أنـاسٌ فى الحطـام وجمعـهِ ... وآثـرَ فى حب البـلاد التفـانيـا
يقـولـون: مـاذا فـات بعـد وفـاتـهِ؟ ... فقلت لهم: فيضـا من الـدمع هاميـا
ودنيـا من الـذكـر الجميل عـريضـة ... وكنـزًا من المجـد المـؤثَّل بـاقيـا

***

ألا، مـا لسيف الهنـد فلَّ غِـراره؟ ... ومـا لجـواد السبق أصبـح كـابيـا؟
بكت مصر ُفى جنـح الظلام؛ فأرَّقت ... نجوم الدياجى ـ إذْ بكتْ ـ والدياجيا [3]
فمـا لـوعـة الخنسـاء إذْ هـي ثـاكلٌ ... تنوح على صخر، وتبكى معاويا؟ [4]

---

(١) يريد بالثورة الكبرى: ثورة سنة ١٩١٩م، وقد كان الفقيد على رأس مجاهديها، وبسببها تعرض للموت غير مرة.
(٢) كمت الأفواه: سدت فلم تتكلم، بالبناء للمجهول فيهما.
(٣) جنح الظلام: طائفة منه، والدياجى: الظلمات مفردة ديجاة.
(٤) صخر ومعاوية: أخوا الخنساء اللذان ضرب ببكائها عليهما المثل.

وما خص هذا الخطبُ مصرَ، وإنما رأيت بلادَ الشرق فيه سواسيا

طوى كلَّ مصرٍ خطب مصرٍ؛ فما درت: أتقبل فيه أم تسوق التعازيا؟

* * *

ويوم كيوم الحشر هَوْلاً وموقفا مشى الركب فيه مطرقًا متهاديا!

مشى النعش مثل الستر، والركب حوله يسير الهوينى، خاشع القلب، خاشيا! (١)

فكم سال جفن كان فى الخطب جامدا وكم ذاب قلب كان كالصخر قاسيا

كتائب تَتْرَى، خلفهن كتائبٌ هى الغيث هطالا، هى السيل طاغيا(٢)

مشت خلفه مصرٌ، فلم أدر: هل مشت تشيِّع ميْتًا أم تكرِّم غازيا؟

حُملت على الأعناق حيًّا، وميتًا وكُللت فى الحالين بالزهر حاليا

طوى العلم المصرىَّ موتُك غيلة وما كان يلقى غير موتك طاويا(٣)

لقد كان مخضرَّ الأسارير، ناضرًا فأصبح مغبرَّ الأسارير، ذاويا (٤)

بدا كهلال الشك وجه هلاله وأطلع نجما حائل اللون خابيا

لئن نكَّسوه يوم متَّ، فطالما وقفت له فى ساعة الروع حاميا

تسلمته حينا، فكادت نجومه تطاول فى الأفق النجوم الدراريا

لقد كنت تفديه، فمالك حينما دنا الموت لم يقبل لك الموت فاديا؟

* * *

فتى النيل، عاهَدْناك أن نصل الخطا وما ضل من يختار نهجك هاديا

وإنا، لعمرى، إذ نعاهد أحمدًا نعاهد حرا، كان بالعهد وافيا

طوى الموت ـ لما أن طواك ـ صحائفا من المجد فاضت عبرة ومعانيا

صحائِفُ خطتْ بالضياء سطورها إذا تُليتْ، أمسى لها الدهر راويا

---

(١) المراد بالستر: ستر الكعبة حين يطاف به، وسير الهوينى: السير الوئيد.

(٢) تترى: متتالية؛ أصله وترى.

(٣) المراد بطى العلم: تنكيسه يوم وفاته، وقد أدرج فيه رفات الفقيد.

(٤) أسارير الوجه والكف وما إليها: خطوطها.

فقيد الفصحى ! (١)

مجلة الإصلاح الاجتماعي سبتمبر سنة ١٩٤٤م

ضجيعَ التراب، أطلتَ الرقودَا ... عزيزٌ على الضاد ألا تعودَا!

بكتك، لعمرى، عيونٌ شحاحٌ ... تعوَّدنَ عند المصاب الجمودا

بكى النيل مَنْ كان فى طهره ... وكانت سجاياه أشهى ورودا (٢)

فتى شَيَّعتْه الوفود، فسارت ... مناقبُهُ تتحدَّى الوفودا

ولو لم نُؤبِّنْهُ نحن، لقامت ... فألقت على كل سمع قصيدا

له سيرة كعبير الزهورِ ... لوَ ان الزهورَ رُزِقنَ الخلودا

نثرنا الورود على قبره ... فقطَّرَ طيبُ ثراه الورودا

قضى، وهْو للكل خِلٌّ، ودود ... وكان له الكلُّ خلا، ودودا

وعاش؛ فما عاش إلا كريمًا ... ومات؛ فما مات إلا شهيدا

وأدَّى رسالتَهُ فى الحياة ... ولولا الردى، لتوخى المزيدا

ومدُّوا له فى زمان الجهادِ ... ويأبى له الموتُ عمْرًا مديدا (٣)

فتى نال باللين مالا يُنالُ ... وللِّين بأسٌ يَفلُّ الحديدا

تراضُ الوحوشُ بألفاظه ... وينقلبُ الجمرُ ماءً بَرودا

يسوس الأمورَ بمحضِ الأناةِ ... فيطوى العدوَّ، ويُرْضى الحسودا

وما كان فى الحلم إلا ابنَ هندٍ ... وذو الحلم أخلقُ به أن يسودا! (٤)

* * *

(١) أنشدت فى رثاء المرحوم : محمد جاد المولى بك ، المفتش الأول للغة العربية ، وألقيت فى حفل تأبينه الذى أقيم بقاعة الجميعة الجغرافية .

(٢) الهاء فى طهره : تعود على النيل .

(٣) يشير إلى أن الفقيد بعد أن بلغ سن التقاعد، مدت له الوزارة فى سنى خدمته .

(٤) ابن هند : هو معاوية، وبه يضرب المثل فى الحلم .

محمدُ، لو تُفتدَى بالشبابِ بذلناه للموت فيك زهيدا
عهدتك مبتسمًا للحياةِ ترى كلَّ يوم أظلَّك عيدا
بوجهٍ طليق، كوجه الربيعِ إذا طاب نفحًا، وأورقَ عودا
ولم تَشْكُ من حادث الدهر يومًا كأنكَ منه أَخذتَ العهودا
أَلا إن ذلك سرُّ اليقينِ رُزقت اليقينَ، فَعِشْتَ سعيدا
سجدتَ لربك حين أطالتْ جباهٌ لغير الإله السُّجُودا
أقدِّسُ فيك التقى والصلاحَ أقدِّسُ فيك الخلاق الحميدا
عهدتك تدعو إلى الخُلْق دينًا وتهتفُ بالصالحاتِ نشيدا
ورقَّتْ خِلالك مثلَ النسيم فكانت على ما تقول شهيدا
عهدتك تعملُ خَلْفَ الستارِ وتَبذلُ إثر الجهود الجهودا
تُهَيِّءُ للضاد مجدًا طريفًا وتبعثُ للضاد مجدا تليدا
تُشيد بها فى سكون وصمت وتدفع عنها الأذى إن أريدا
جهودٌ يحسُّ بهنَّ الجمادُ وتنكر أن لهن وجودا

* * *

أبَا جابر، كلُّ حى يصيرُ إلى حتفه، كارهًا، أو مُريدا (١)
على الأرض ننمو نموَّ النباتِ ويلقطنا الموتُ حَبًّا حصيدا
سنسلُكُ يوما سبيلَ الجدودِ فلسنا بأسعدَ منهم جدودا (٢)
سألتُ عن الأرض: ماذا أقلت؟ فقالوا: مهودٌ تغذِّى لحودا
ولم أرَ كالموت داءً قديمًا تخرَّم عادًا، وأفنى ثمودا (٣)

---

(١) جابر: نجل الفقيد.
(٢) الجدود الأولى: آباء الآباء، والثانية: بمعنى الحظوظ.
(٣) تخرم عادا: أهلكها.

فمــا بــالنــا كلمــا مــات ميْتٌ شَـرْبنـا من الحـزن لـونًـا جـديـدا؟

رأيتُ البكــاءَ يعــزى الحــزينَ ولكنـــه لا يــردّ الفقيـــدا

لعمـرُك، مــا المـوتُ إلا انطـلاقٌ فــإن الحيـــاةَ تفيـضُ قيـــودا

عــلامَ تشكّى الحيــاةَ زهيْـــرٌ وأضجـرَ طـولُ البقـاء لبيـدا؟ (١)

أبــا جـابرٍ، شـاهَ وجـهُ الحيـاةِ وصــار الـورى للحُطــام عبيـدا!

فــلا العيشُ أمسى يُعَضُّ عليـه ولا المـوتُ أصبح خصمـا لـدودا

ومــاذا تــركت من الطيِّبـاتِ؟ تـركتَ حـروبًـا تشيب الـوليـدا

تُــرَوى أديمَ الثــرى بــالنجيعِ وتمــلأ سمعَ الــزمــان رعـودا (٢)

حــروب يسعِّــرهـا الأشقيــاءُ فتتخــذُ الأبــريــاءَ وقــودا

غـدت تَصْهـرُ النـاس مثـلَ الجليدِ ولكنَّ فى مصـر شعبًـا جليـدا (٣)

إذا الأرض مــادتْ بسكــانهــا فــإن لنــا وطنًــا لـن يميـدا

***

أبــا جــابــر، مـا نسينـا الـوفـاءَ ولا علَّمْتنــا الحــروبُ الجحــودا

أشـادتْ بــذكــرك «دارُ العلـومِ» فمـا كنـتَ إلا فتاهـا الـرشيـدا (٤)

وواسطـــة العقــد فى نحـرهــا وإن كـــان بــاقيــه درا نضيـــدا

لعمـــرُك، مـــا زال للــدار أهلٌ ومــا زالـت الغـابُ تنمى الأسـودا

---

(١) زهير ولبيد : شاعران معروفان، أما الأول؛ فهو القائل :

سئمت تكاليف الحياة، ومن يعش ثمانين عاما ـ لا أبالك ـ يسأم

وأما الثانى؛ فهو القائل :

ولقد سئمت من الحياة، وطولها وسؤال هذا الناس : كيف لبيد؟

(٢) النجيع : الدم الأسود.

(٣) الجليد الأول : اسم، والثانى : صفة بمعنى صبور.

(٤) كان رجـال دار العلوم هم الذين قـاموا بحفل تأبين الفقيد، الـذى ألقيت فيه تلك القصيدة.

لئــن أنجبتـــكَ، فكــم أنجبـــت لمصــر حصــاةً، ورأيًــا سـديـدًا [1]

وأنفًــا أشمَّ يـــزيـــد ارتفــاعًــا إذا شمَّ بعضُ الأنــوف الصعيـدا [2]

رجــال بعصــر الجهــالــة لاحــوا نجــومًــا تشقُّ ليــالَيِ ســودا

همــو حملــوا رايــة الضــاد حتى أعــادوا لها جعفــرا والـرشيــدا [3]

إذا لمحــت مصـــر آثـــارهـم تثنّت من التيــه عِطفًــا وجيــدا [4]

ولم تَــرَ أخلصَ منهم رجــالاً وأنكـــر للـــذات منهم جنـــودا

إذا شبَّت الحــرب، هبــوا قيــامًــا وإن قُسِّم الفيء، ظلــوا قعــودا [5]

ولا يحسب النــاس «دار العلــوم» بنــاءً علـى أرض مصــر مشيــدا

فإن لهـــا بـــالعــراق فصـــولاً وإن لهـــا فـى الحجــاز حــدودا

إذا رفعت فـى الكنـــانــة بنـــدًا فقــد رفعت فى ســواهــا بنــودا [6]

مثــابـــة أم اللغى، مـن بنــاهــا بنى للعــروبــة صـرحــا وطيــدا

* * *

---

(١) تطلق الحصاة على: العقل.

(٢) أشم: مرتفع، والمصراع الثانى: كناية عن الذلة والخضوع.

(٣) يريـد: جعفرا البـرمكى، وهارون الـرشيد؛ وكـان عصرهما مـن عصور الفصحى الذهبية.

(٤) العطف ـ بكسر العين ـ: الجانب.

(٥) الفيء: الغنيمة.

(٦) البند: الراية.

الربيع الحائل [1]

الأهرام ٢٢ من مارس سنة ١٩٤١م

أتمـــوت بين عشيـــة ونهـــارِ؟ يـــا للـــدمـــارِ ، وقســـوة الأقـــدارِ!

حـــال الـــردى بين الطُّمـــوح وربِّـــه وكبـــا جـــواد السبـــق في المضمـــار

قـــد كـــان لى خلٌّ، فـــراح فـــريسةً للمـــوت ذى الأنيـــاب والأظفـــار

فـــاليـــوم أخبط فى الحيـــاة بمفردى وأخـــوض وحـــدى غمـــرة التيـــار

ودَّعـــتُ طيب العيش إذ ودعتـــــه ودفنت فى جـــوف الثـــرى أوطـــارى

شيعتـــه ورجعت أقـــرع بـــابـــه بيـــدى، أقـــول: لعلـــه فى الـــدار

الـــوهـــم يخـــدعنى؛ فأحسب أنـــه مـــا زال ملء السمع والأبصـــــار

أومى إليـــه بـــالحـــديث، كـــأنمـــا أنـــا جـــاره، وكأنمـــا هـــو جـــارى

يـــا للبـــدورِ تغيب عنـــد تمـــامهـــا! أكـــذا البـــدور قصيـــرة الأعمـــار؟

يـــا للـــزهـــورِ تصـــوح فى ريعـــانهـــا! أكـــذا يصـــوح الـــزهـــر فى آذار؟ [2]

البلبل الصـــــداح ليس مكـــــانـــــه بين الصخـــــور الصم والأحجـــــار

لا تـــدفنـــوه ببـــاطن الصحـــراء، بل فى الـــروض بين المـــاء والأشجـــار

أفـــؤادُ ، هـــذى دارة الأهـــرام، قم نسمـــرْ؛ فـــإنك زينـــة السُّمَّـــار [3]

قم، فـــاتلُ شعـــرك أُبـــدِ إعجـــابى بـــه واسمَعْ ــ كمـــا عـــودتنى ــ أشعـــارى

---

(١) أنشئت هذه القصيدة رثاء للمرحوم: فؤاد بليبل، صديق الشاعر، وكانت وفاته أول ربيع سنة ١٩٤١م، ونشرت بالأهرام فى اليوم التالى لوفاته.

(٢) صاح الزهر وصوح: ذوى، وآذار: من شهور الربيع.

(٣) كان الفقيد موظفا بجريدة الأهرام.

لا يـذوِ زهـرُك فى الـربيع ؛ فإنمـا ... هـــذا أوان تفتح الأزهـــار

قم، يـا فـؤاد، وغنِّ فـوق غصـونـه ... أتنـام سـاعـة صحـوة الأطيـار؟

لا تحسبنِّى بعـد مـوتك جـامـدا ... الله يعلـم أن صـــدرىَ وار [1]

سيظل طيفك مـاثلا لى: فى الكـرى ... فى الصحو، فى الآصـال، فى الأسحار

لـولا الـوقـار، أطعـت فيك عـواطفى ... وخلعت بيـن النـائحين عـذارى

---

(١) وار: متقد.

ذكرى فنان! (1)

« داودُ »، يبكيك فنٌّ كنت تبكيه ... كأنما دمعه دَيْن يؤديه
لقد رثيتَ له إذ قلّ ناصره ... وكنتَ من عَنَت الأيام تحميه[2]
غرسٌ تعهدتَه ــ إذ مات ــ من ظمأ ... فقمتَ بالدم ــ لا بالماء ــ تسقيه
لم ألقَ فى مصر فنَّانًا يزاوله ... إلا تلقَّى على « حسنى » مباديه
حتى إذا ما شدا طير على فنَنٍ ... خلناه تلميذ « حسنى » فى أغانيه
غنوا على قبره يوم احتفالكمو ... بذكره. ذاك بعد الموت يشجيه
وجنِّبوا سمعَ « داودَ » « النشازَ » ؛ فما ... زال « النشازُ » بجوف القبر يؤذيه!
ما كنت للفن، يا « داود »، غير أبٍ ... بَرٍّ، وما كان إلا ابنا تربيه
فمن حياتك فى الفن الحياة سرت ... ومن معانيك قد رقَّت معانيه
لم ألقَ مثلكما: فنَّا وصاحبَهُ ... يفنى شبابك فنَّاء وتحييه
رحماك! قضَّيت فيه العمر مبتئسًا ... وراح غيرك فى اللذات يقضيه!
قد كنت فى زمن تشقى الفنون به ... فعشت عيشَ رجال الفن فى التِّيه
ماذا أصبت من الدنيا وزينتها؟ ... هات التُّراث الذى خلَّفت أحصيه

* * *

يا رُبَّ ليل بلا فجر، شدوت به ... مضى حثيث الخطا، وابيضَّ داجيه[3]

---

(1) ألقيت هذه القصيدة فى دار « الأوبرا » الملكية، فى الاحتفال بذكرى المرحوم: داود حسنى الموسيقار، سنة ١٩٤١م.
(2) العنت: المشقة.
(3) حثيث: سريع.

تغار شمس الضحى من سعد أنجمه ... وتشتهى لـو أطلَّت فى حـواشيـه

تكـاد أسحـاره تصغى إليك؛ فـإن ... نـاديتَ: « يـاليلُ »، لبىَّ من ينـاديـه

يا مرسِلَ اللحن؛ يبكينا، ويضحكنا ... ويشعل القلب نيـرانـا، ويطفيـه

كأنـه ملِكٌ تعنـو القلـوب لـه ... مُلْكُ القلـوب تعـالـى الله بـانيـه (1)

* * *

لم يتخِـذْ عـودَه « داودُ » من خشبٍ ... بل كـان من مُهَج العشـاق يبـريـه

يمس أوتـاره مسًّـا؛ فينطقهـا ... كأنمـا هى أرواح تنـاجيـه

إذا تـرنم، أنْسى النـاسَ أنفسهُمْ ... حتى يـذيع الهـوى من كـان يخفيه

وبـات كـل محبٍّ وهْـو فـى شُغُلٍ ... كأنمـا هـو دون النـاس يعنيـه

إن الحيـاة بـلا لهـو ولا طـرب ... داءٌ نقـاسيـه؛ بل مـوت نعـانيـه

الطيـر يسجع إن هـاجت بـلابلـه ... والـركب يحـدوه فى البيـداء حـاديـه

والـوحش يأنس بـالأنغـام نـافـره ... والخل إن صـدَّ بـالألحان تصبيـه (2)

* * *

« داود »، كم لـك ألحـان مـرددة ... يجرحن أحشـاء من يخرجن مـن فيه

لا تطـرُقُ السمعَ إلا خلفـت أثـرا ... كـالنقش فى الصخر؛ لا يمحـوه ماحيـه

تطيـر في كل آفـاق بسـامعهـا ... كأنهـا وُكّلـت بـالجـو تطـويـه

تغلغلت فى نفـوس الشعب، وامتـزجت ... بـه، فأصبح يَـرويهـا، فتُـرويـه (3)

أتيت بـالنغم الشـرقىِّ منسجمـا ... مبـرَّءًا خـالصـا من كل تشـويـه

وراح غيـرُك يهـذى بالجـديـد، فمـا ... كـان الجديـد السوَى زيفٍ وتمويـه

مـا للفتى وطـن يُعـزى إليـه إذا ... مـا لم يحس الفتـى إحسـاس أهليـه

قل مـا تشـاء؛ فإن الـدهـر ينقـده ... تنفى الحصى يـدُه، والـدرَّ تبقيـه

---

(1) تعنو: تخضع.
(2) صبا: مال، وأصباه: أماله.
(3) يرويها: من الرواية، وترويه: من الإرواء.

رثاء طيارين ! (1)

يـا مصـرُ، قـد عـزَّ العزاءْ نَفنى، وأنتِ لـك البقـاءْ!
نَشـران ليسـا كـالنسـو (م) ر ،رمـاهمـا سهم القضـاء
سقطـا ؛ فأجفلت الـريـا (م) حُ، وضجَّ سكـان السمـاء (2)
وبكـاهمـا المُـزْن الهتـو (م) نُ ،وحق للجـار البكـاء! (3)
وتلَّفتت قمم الجبـا (م) ل بعين مَنْ فقَـد الـرجـاء

❊ ❊ ❊

بطـلان سبّـاقـان، نـا دتْ مصـرُ، فـاستمعـا النـداء
وتقـدَّمـا ، والمـوت ـــ عن كثب ـــ يصيح : إلى الـوراء
شـرَيـا الخلـود، وقـدَّمـا روحَيْهمـا ثَمَنَ الشـراء
راحـا فـداء المجـد حيـ (م) ـن تطلَّب المجـدُ الفـداء
وأعـزُّ مـا حـوت العـرو (م) قُ :دمُ الشبـاب الأبـريـاء

❊ ❊ ❊

رجِّعْ أزيـزك أيهـا السِّـ (م) ـرب المحلقُ فـى الفضـاء
رجْعُ الأزيـز ألـذُّ لِلْـ (م) أسمـاع من رجع الغنـاء
جمـح الهـواء، فـروِّضـوا بثبـاتكم متن الهـواء

---

(1) أنشئت هذه القصيدة فى رثاء طيارين مصريين، سقطت بها طائرتهما أول عهد مصر بالطيران ، وقد نشرت بالأهرام إذ ذاك، غير أننا لم نهتد إلى التاريخ .

(2) أجفل : نفر.

(3) المزن الهتون : السحاب المتدفق.

مـن حـيٍّ منكـم فـى الجهـــــــا د، ومـن قضى نحبـــا ســواء

أدى رســــالـــــة مصـــرَ كـلٌّ (م) منكمـــــــــــو حـق الأداء

إن كـــــــان طيـــاران قــــــد سقطـــا فمــــا سقط اللـــواء

مــا بـــارح الأسمـــاءَ وقــــ (م) ـــع فجيعـة « المنطـاد راء »! [1]

ولقـــــــد رأيت أشـقَّ خـطــ (م) ـــوِ المجـد خطـوة الابتـــداء

ولكـل عـــاريــــة مــدى ولكـل غـــاشيـــة جــلاء

والجـــو مثـل الــدهـــر تلـــ (م) ـــحقه الكـدورة والصفـــاء

وريـــاحـــه: نكبـــاء فـى يـــوم، وفى يــوم رُخـــاء [2]

إنـــا خطبنـــا المجـــدَ، فلـــ (م) ـــتجر الأمـــور كمـــا تشـــاء

لـن ننثنى ولـــــوَ ان صـــــر (م) فَ الـــدهـــر نـاصبنـا العـداء

مــن رام إدراك السعـــــا (م) دةِ، يمتطى متـن الشقـــــاء

سبـل العـــلا قفـــراءُ مـــو (م) حشـــة كثيـــرةُ الالتــــواء

فَلْيَجتنِبْهـــــا مــن يحبُّ (م) العيش أو يخشـى الفنــــاء

المجـــد لا يبنيـــه بـــا (م) نيـــه بطيـن أو بمـــــاء

يُبنـى بـأشـــلاء الضحــــا (م) يـــا، ثم يُطلى بـــالـــدمـــاء [3]

---

(١) يشير إلى فـاجعة المنطـاد: « ر ١٠١ »، الذى بناه الانجليز على غرار المنطاد زبلن، فسقط وتحطم فى أول جولة له.

(٢) النكباء: العاصفة، والرخاء: اللينة. ضدان.

(٣) الأشلاء: جمع شلو، وهو عضو الفريسة ونحوها.

سبق القضاء! (١)

الرسالة فى ١٤ من يوليو سنة ١٩٣٨م

أمرٌ بـه سبقَ القضـاء الجـارى ... مـا حيلـة الانسـان فى الأقـدارِ؟

لا تأخـذوا بـالـذنب غيرَ جنُـاتِـهِ ... إن الصـواب تلمُّسُ الأعـذار (٢)

الـرزء يـذهب بـالعقـول جلالـهُ ... فحـذَار من شطط المقـال، حـذار!

إن تسـرفـوا فـى الاتهـام، جنيتمـو ... أنتم على القطـر الشقيق الجـار

هى أمـة، وَزَرَ امـرؤٌ من أهلهـا ... أفتثقلـون الكلَّ بـالأوزار؟

الله يعلم، أنهـم مـا أضمـروا ... للنيـل غيـر الحب والكبـار

أو لم يُصَبْ « سعـد » بأيـدى أمـة ... تفـديـه بـالأسمـاع والأبصـار؟ (٣)

إن الـذين أصـاب « سيفًـا » سهمُهم ... من دمعهـم، غَسَلـوه فـى أنهـار

ولـو استطـاعوا، لافتـدَوْهُ من الحمـا (م) م بألـف سيف منهمـو بتـار (٤)

قالوا: العراقُ، ومصُر، قلنا: بل هما ... مصـران، بل مصـرٌ من الأمصـار

***

هــذا أبٌ أودى بــه تَــزَقُ ابنــه ... مــاذا تقــول لفتيــة أغــرار؟

مــاذا تقــول لغــائب عـن رشـده ... يجنى جنــايتــه، وليس بــدار؟

---

(١) فى ذلك التـاريخ: اعتـدى طـالب عـراقى على الـدكتـورين: سيف، وعـزمى، المصـريين المدرسين فى العـراق؛ لرسـوبـه فى الامتحان على يـديهما، فتـوفى الأول، وجرح الثانى، ثم انتحر الطالب.

(٢) يـوجه الخطـاب إلى: بعض الصحف التى شددت النكيـر على هذا الحـادث، ونددت على القطر الشقيق فى كثير من المغالاة.

(٣) يشير إلى: حادثة ضرب المرحوم سعد باشا بالنار من يد مصرية.

(٤) البتار: القطاع، ويريد بألف سيف: ألف رجل من خيارهم.

مـا حـاد عن سَنَن العـدالـة آخـذٌ — من نفسـه لغـريمـه بـالثـار [1]

عـذر الشبيبـة طيشهـا، والخِطء مـا — فعلـوه عن عمـد، وعن إصـرار

لا كـان مخترع « الـرصاص »؛ فإنـه — بـاع المنـون رخيصـة الأسعـار

❊ ❊ ❊

بغـداد، عـذرا للكنـانـة إن قست — فى عتبهـا، والعَتْب لـلأحـرار

أو مـا نظـرتِ إلى الكنـانـة أعينـا — تهمى، وأفئـدةً بغيـر قـرار؟

إنـا لنـرخص فى سبيل الـودِّ، يـا — بغـداد، مـا يغلـو من الأعمـار

وهـو الـوداد، إذا عـراه تـوثقت — أضفى على الآثـام كل ستـار

❊ ❊ ❊

هـذا شهيـد العلـم، عـزَّزنـا بـه — من راح من شهـدائنـا الأبـرار

خُلقَ الجهـادُ لنـا، سـواء عنـدنـا — من بـالحـديـد يموت، أو بـالنـار

والعلم مختلف الضحايـا؛ كم طوى — من سـابح، وقَضى على طيَّـار

يـا رُبَّ مختـرع يـروح ضحيـةً — للكشف عن سـر من الأسـرار

ومعلم قـد راح يبـذل نفسـه — بـذْلَ الكـرام لنـا شِئينَ صغـار

تمتص أَفـواه الشبيبـة روحـه — مثل امتصـاص النحل لـلأزهـار

---

(1) السنن: الطريق، ويشير إلى: انتحار الطالب؛ فكأنه ثأر لغريمه من نفسه.

الشـــهيد الأول ! (١)

الأهرام ١١ من مارس سنة ١٩٣٤م

رسم الطـــريق لنـــا وراحْ ... واختطهـــا دمــه المبـــاحْ
هــذا دم ـ كــدم الحسَـيْـ (م) نِ ـ عبيـــرُه كالمســك فـــاح
القطـــــــرة الأولى التـى ... ســالت بمعتــرَك الكفــاح
عنــد اصطـــدام القــوة الــ (م) ــهوجاء بـالحق الصُّـراح (٢)
مــا كـــان هـــذا الســائل الـــ (م) ـــغالى لتـذروَه الــريـــاح
هيهـــات يمحـــو رسمَـــهُ ... من صفحـــة التـــاريخ مـــاح!
لله جنــــديٌّ أغـــــرُّ ... جبينُــه كـــالصبح ضـــاح! (٣)
لم يعتقل بيــضَ الصفــــا (م) حِ ،ولا انتضى سمــرْ الــرمـــاح
لكنّ فـى يـــده اليـــرا (م) عَــةَ والكتــاب همـــا الســلاح
قـــد راح يهتـف للحمى ... كــالطيـر فــوق الغصن صـاح
فــرمـــاه سهـم الصــائدِيــ (م) نَ، فخَــرَّ مخضــوبَ الجنــاح
ويـح الســـوائم، كـم رعـت ... فى مصــر مـن زهـر الأقـــاح (٤)
لهفى على هــــذا الشبـــا (م) ب الغضِّ، تثخنُــه الجـــراح!

---

(١) فى يوم ٩ من مارس سنة ١٩٣٤م، نشرت الصحف ـ لمناسبة ذكرى ٩ من مارس سنة ١٩١٩م ـ صورة شهيد الثورة الأول الطالب : مصطفى ماهر، فأوحت الصورة إلى الشاعر بهذه القطعة.

(٢) الهوجاء : الطائشة الحمقاء.

(٣) ضاح ـ بكسرتين تحت الحاء ـ من الضحى.

(٤) يريد بالسوائم : الجنود المحتلين، وبالزهر: أمثال هذا الطالب.

فكأنما امتدَّتْ لنا ... منهن ألسنةٌ فصاح

أتراه سِيء بما رأى ... بعد الوفاة أم استراح؟ (١)

إنى لألمح وجهه ... وكأنه عنا أشاح (٢)

إنى لأَذْكُرُ إذ تهيَّـ (م) أت الكنانة للنطاح

أيامَ عرَّضنا الجوا (م) نح للرصاص بلا وشاح

لا تنثنى عن غاية ... والموتُ يهتف: لا براح

ونسامُ فى أرواحنا ... فنبيعها بيع السماح (٣)

من خَمْسَ عشْرةَ قد خلت ... وكأنها بنت الصباح

---

(١) سيء: ماض مبنى للمجهول، وفى البيت - وما بعده - ما يشبه العتاب على الاستسلام للمحتل.

(٢) أشاح: أعرض.

(٣) سام وساوم على السلعة - بمعنى واحد - أى: طلب شراءها.

رثـــاء طفـــل ! (١)

الرسالة ٣٠ من مارس سنة ١٩٣٦م

راح كـأن لم يـــوجـــدِ ... يــا ليتـــه لم يـــولـــدِ!

مـــا اليتمُ فقـــدُ والـــدِ ... اليتم فقـــد الـــولـــد!

الخطـب غيـــــر هيِّنِ ... والصبـــر غيـــر مسعـــد

يــا غـــرَّةَ الفـــرقـــد ، هـــلا ... عشت عمـــر الفـــرقـــد؟ (٢)

عيـــد الـــربيع قـــد أتى ... مـــالك لم تعيِّـــد؟ (٣)

مـــالـك لم تبسم لـــه ... عن لـــؤلـــؤ منضـــد؟

مـــا فَعَلتْ نسمتُـــه ... بخـــدك المـــورَّد؟

يأيهـــا العصفـــور، قم ... بين الـــريـــاض غـــرد

قم، امـــلأ البيت نشـــا ... طـــا بين لهـــو ودَدِ (٤)

البيـت مـــا لـم تـأوه ... كالـدَّيْرِ، أو كـالمسجد (٥)

أعـــزِزْ على أبيـك أن ... تصمُـتَ صمتَ الأبـــد!

مـــا أبعـــد الصبـــرَ على ... فقـــد الصبِّى الأملـــد! (٦)

صـــادٍ أصـــاب منهـــلا ... لكنـــه لم يـــرد (٧)

---

(١) أنشئت هذه القصيـدة فى رثاء الطفل : « رجـاء » ، نجل الأستاذ الكـاتب : أحمد حسن الزيات، صديق الشاعر.

(٢) الفرقد: كوكب معروف. يقول : أشبهته فى غرته ، فهلا أشبهته فى طول عمره ؟ .

(٣) كانت وفاته فى أول الربيع .

(٤) الدد : المرح .

(٥) وجه الشبه : الوحشة والخشوع .

(٦) الأملد : الناعم .

(٧) صـاد : ظـامىء والمنهل : المستسقى، يـريـد : أن الطفل وقـف على شـاطىء الحياة، ولم يرو غلته منها .

وإنمـــا أطفـــال هـــ (م) ـــذا اليوم، أبطـال الغـد

ويــح البنيــن ويحهــم | في المـوت أو في المـولـد!

همْ عـــوَّدوا قلبي الأسـى | وقبلَهـم لـم أعتـــد

لسُقمِهِـمْ ومـــوتهم | حـــزازة في الكبـــد!

تخطفهـم يـــد الـــردى | ونحن مكتـــوفـو اليـــد

ليت الـــذي يسلبهـم | يسعـــد بـــالتجلـــد!

ليت لنـــا أفئـــدةً | منحـــوتـة مـن جلمـــد!

كم عـــاقـــر بـــدونهم | يعيش عيش المفـــرد[1]

ووالـــــد من هَمِّهـم | يشيب قبـل المـــوعـــد!

---

(٤) العاقر: العقيم.

تعـــزية صـــديق ! (1)

تُــرى هل أســوق إليك العــزَاءَ؟ وكيف يعــزى حــزينٌ حــزينــا؟

إذا مـــا ألـمَّ بجبــريلَ خطـبٌ فــإن لجبــريلَ عقـــلا ودينــا

وهل كنت تــرجـو خلــودَ أخيكَ ولــوْ أنــه كــان روحــا أمينــا؟ (2)

إذا نحن فـى إثــر كـلِّ عــزيــزٍ بكيْنــا، قضينـــا الحيـــاة أنينـــا

مأتم فـــى عرس !! (3)

الأهرام ١٢ من سبتمبر سنة ١٩٤٣م

بـالأمس: هنَّـأتُـه بـالعقــد إذ عُقـدَا واليـوم: شيَّعتُـه بـالـدمع إذ فُقِـدا!!

هـذا عروسٌ، طـواه المـوت فى كفنٍ وما طـوتْ عرسُهُ أثوابهـا الجددا! (4)

قالوا: استحـال رمادًا، قلت: لا عجبٌ ألـمْ يكن ذهنــه كــالجمـر متقــدا؟

أستودع الله، يـا « قابيل »، فيك فتىً شـدَّ الـرحـال، ولـم أمـددُ إليـه يـدًا

قد خفَّفَ الحزنَ عنى: أن ذهبتَ وما أعقبت لليتـم لا بنتـــا ولا ولــــدا

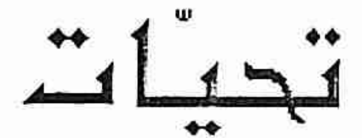
---

(1) احتسب الأستاذ: جبريل، المحرر بالأهرام، شقيقا له؛ فعزاه الشاعر بهذه الأبيات.

(2) يقول: إن أخاك لم يكن ليخلد، ولو كان جبريل الروح الأمين، لا جبريل البشر.

(3) قبل هذا التاريخ بأيام توفى المرحوم الشاب الأديب: محمد قابيل، المدرس بالحلمية الثانوية، صديق الشاعر؛ فأنشأ هذه الأبيات فى رثائه.

(4) يطلق لفظ العروس على كل من الزوج والزوجة.



مبايعة الفاروق [1]

الرسالة ٢٦ من يولية سنة ١٩٣٧م

النيل تحمـلُ سبطَ إسمـــاعيـــلاَ ... أرأيتَ نيـلا جاء يحمل نيـلاً؟ [2]

لـو كـانت الأمـلاكُ تحـدو مـركبًا ... لـرأيتَ بيـن حُـداتهـا جبـريـلا

سـارت، فغضَّ البحـر من غُلَـوائه ... ومشى كمـا يمشى الجـوادَ ذلـولا [3]

هبَّت عـواصفُـه؛ فكـنَّ حيـالهـا ... رهْـوًا، كمـا هبَّ النسيم عليـلا

مـا لاطمت أمـواجـهُ جنبـاتِهـا ... بل أوسعـتْ جنبـاتِهـا تقبيـلا

لـو أنَّ زاحفـة تفُـوهُ، لكبَّـرت ... نينـانُـهُ، ولهللت تهليـلا [4]

يـا بحـرُ، فـوقـك درةٌ، هيهـات أن ... تلقى لهـا فيمـا حـويتَ مثيـلا!

أولست تعـرف فيـه مَن أَجـدادُه ... قطعـوك عـرضـا بـالسفين وطـولا؟

فلطـالمـا مَلأُوا الميـاهَ مـراكبًـا ... ولطـالمـا مَلأوا السهـول خيـولا

عـرفتْهـم الأيـام إن هم حـاربـوا ... أسْدًا وإن سـاسـوا الأمـورَ عـدولا

أشـرقْ بنـورك فى البـلاد، فـإنمـا ... صبرُ البـلاد على فـراقك عيـلا [5]

الشعب ـ يـا فـاروق ـ صـادٍ، نيلـهُ ... من يـوم بعـدك لا يبلُّ غليـلا [6]

مـا كـان يسعـده التجلـد سـاعـةً ... لـو لـم يكن بكَ قلبـه مـأهـولا

---

(١) أنشئت تحية لجلالة الملك المعظم، عند تولية العرش.

(٢) النيل: اسم الباخرة التى أقلت جلالته من رحلته إلى أوربا؛ لمباشرة مهام ملكه.

(٣) غض من غلوائه: خفف من كبريائه.

(٤) نفوه: تنطق. والنينان: جمع نون؛ وهو الحوت.

(٥) عـال الشىء الشىء: غلبـه، ومنـه: عيل صبـرى ـ بمعنى: غلب ـ بـالبنـاء للمجهول.

(٦) صاد: ظامىء، والغليل: الظمأ.

ما غبتَ عن بصرالبلاد وسمعها يوما ، ولا بعدت ركابُك ميلا

كانت تطالع ما تقول فتنتشى طربا . وإنَّ من الكلام شَمولا[1]

وترى على القرطاس رَسْمَك زاهيا غضًا ، فيمسى طرفُها مكحولا

قد كنت أنت حديثها ، وسكوتَها حتى غدا بك وقتها مشغولا

زرتَ الممالك داعيًا ، فكشفت عن أمجاد مصر حجابَها المسدولا

أنعم بشعب أَنت عنوان له ! وكفى بعنوان الكتاب دليلا!

تمشى الممالكُ فى ركابك أينما تمشى ، وتحنى هامها تبجيلا

سمعوا بمجد الأقدمين ، وأبصروا بعيونهم للأقدمين سليلا

كى يعلموا أن الكنانةَ أمةٌ طابت فروعا فى الورى وأصُولا

إنا لفى زمن يفيض دعايةً كادت تدقّ به الشعوب طبولا

هم يعلنون عن الشعوب كأنها سلع ، ونرضى بالسكوت خمولا

من راح ينشر للبلاد دعاية فكأنما يبنى لها أسطولا

❊ ❊ ❊

وَلِيَ الأمورَ بمصرَ أصيدُ ، يافعٌ بذَّ الأوائلَ فتيةً وكهولا[2]

جاشت بصدرى يوم قُلِّد عرشَهُ ذكرى فراعنة القرون الأولى[3]

ما أبهجَ الأكليل فوق جبينه! هذا الجبين يزين الإكليلا!

هذا هو الفاروقُ ، أشرقَ وجهُهُ فسل الغزالة : هل تريد أفولا؟[4]

أفديه من ملك أغرَّ ، وراءه شعبٌ يرتِّلُ حمده ترتيلا

---

(١) الشمول : اسم من أسماء الراح .
(٢) الأصيد : من يرفع رأسه كبرا .
(٣) جاشت : تجمعت .
(٤) الغزالة : اسم من أسماء الشمس .

يعنو لطلعته، ويهتف باسمه ... ويكاد يتلو قوله إنجيلا [1]

ملِكٌ تواضعهُ يزين جلالَه ... ليس الغشومُ المستبدُّ جليلا

يرنو إليه الطرْف غيرَ منكس ... والبدر يظهر من سناه خجولا

يقضى لبُانته اليتيم ببابه ... ويرى الفقير دعاءَهُ مقبولا [2]

لا تحصِ أعمارَ الملوك؛ فإننى ... أجد الملوك: مداركا، وعقولا

أنا لا أقول: اليومَ أدركَ رشدَه ... فعليه كان بطبعه مجبولا

إنا عهدنا الرشدَ فيه سجيةً ... ما كان فى يوم عليه دخيلا

ما ضر غرسا طاب قَبلَ أوانه ... أن كان حرا فى النبات أصيلا؟

قد كان « ذو القرنين » مثلَك يافعا ... وأراكما تتشابهان ميولا

هيهات! أنت أجل منه حضارةً ... وأعزُّ أوطانا، وأكرم جيلا

* * *

فاروقُ، تلك عناية الله التى ... قد حقَّقتْ فى عهدك المأمولا [3]

إن الكنانة ظنَّتِ استقلالها ... حُلما، فكنتَ لحلمها تأويلا

وهى المشاكل كلها وجدتْ لها ... فى عهدك الزاهى السعيد حلولا

عهد قصير، غير أن غضونه ... قد صرْنَ فى تاريخ مصرَ حجولا [4]

لو حاكت التيجانُ تاجَك، لم يجد ... يوما إليها الثائرون سبيلا

ليت الذينَ وَلُوا العروشَ جميعهم ... كانوا على حكم الشعوب نزولا

أسِّس على الدستور ملكَك، وابنِهِ ... تبلغْ به الشُّمَّ الرواسىَ طولا

كم ثلَّ الاستبدادُ عرشا بعدما ... أجرى حواليْه الدماءَ سيولا [5]

* * *

---

(١) يعنو: يخضع. (٢) اللبانة: الحاجة.

(٣) يشير إلى: استقرار الأمور بمصر - نسبيا - بعد عقد معاهدة سنة ٣٦م.

(٤) الحجول: بياض فى أرجل الفرس.

(٥) ثل العرش: هدمه.

فــاروقُ، يفـديك الحمـى بشبـابـه ... وكهــولـــه ،وأرى الفــداء قليـــلا
أصبحت فى مــرح الشبـاب ولهــوِه ... عن خيـر شعب فـى الـورى مسئـولا
حمل الشبــابُ يـــراعَــهُ وكتــابـهُ ... وحملت عبئـا كــالجبـال ثقيــلا
أوْلَتكَ مصــرُ قيــادهَـا فـأعِـدْ لهــا ... مجـدا بنـاه الأقـدمـون، أثيـلا[1]
إن الكنـانــة بــايعتـك، فكن لهــا ... ظـلا ـ كمـا كان الجـدود ـ ظليـلا
وهبَتْ لعـرشك مــا لهـا، ودمـاءهـا ... إن شئت تلـق كليهمـــا مبـــذولا
فـامــلأ بـلادك حكمــةً، ومعــارفًــا ... واجعل بــلادك فى المنـاعـة غيــلا
لن يستقيـم لشعبٍ استقـــلالُـــهُ ... يـومــا إذا حملَ السـلاحَ كليـلا[2]
أين المــدافع كـــالـرعــود دويُّهـــا ... والخيلُ تصهل بــالجنـود صهيــلا؟
يــا رُبَّ طـــائرة سمعت أزيـــزهـــا ... فحسبتــه فى مِسمعىَّ هــديــلا[3]
فانهـض بمصرَ وجيشِها، حتـى يرى ... شبحُ المنيــة طيفَهــا فيميـــلا[4]
واكبح جماحَ الطـامعين، وقل لهم: ... لا تطمعـــوا فى أخت عـــرزائيـــلا
أنى اتجهت، وجـدت خلفك أمـةً ... ورأيت ربـك بـــالنجــاح كفيـــلا

❊ ❊ ❊

(١) المجد الأثيل: المتأصل.
(٢) كليل: مثلم.
(٣) الهديل: صوت الحمام.
(٤) فى البيت: كناية عن قوة مصر؛ حتى يخشى الموت نفسه بأسها.

ميلاد الفاروق [1]

المصرى ١٣ من فبراير سنة ١٩٤٢م

يـومٌ أعَـار الشمسَ بعـض أيـاتِـهِ ... روت النجوم الـزهـرُ عن آيـاتِـه [2]

أحنى لـه التـاريـخ مفـرِق رأسـه ... وأحلّـه فى الصدر مـن صفحاتـه

طـافـت بـه الأعياد، تقتبس السَّنا ... من وجهـه، والطيبَ من نفحـاتـه

يـوم تفـرَّد فـى الـزمـان بمجـده ... كتفـرُّد الفـاروق بين لِـداتـه [3]

يـا يـوم مـولـده، تعـالَ مبشِّـرا ... ضلَّ السـلام عن الأنـامِ، فهـاتـه

الحـرب قـد لفح البـريـةَ حرُّهـا ... فأظلَّهـا واديك مـن لَفَحـاتـه

والكـون قـد شبَّت بـه جمـراتُـهُ ... فنـزلتَ قطرَ نـدى على جمراتـه

والـدهـر إن ثقلتْ عليـه ذنـوبُـه ... يكفيـه أنك أنت مـن حسنـاتـه

يـا يـومَ مـولـده طلعتَ بكـوكب ... مـا انشقت الأبـراجُ عـن هـالاتـه [4]

وجلـوتَ للـدنيا محيًّـا نـاضـرا ... تتحيَّـر الأحداق فـى قسمـاتـه [5]

مـا رقَّ زهـر الـروض إلا خلتُـهُ ... يحكى عن الفـاروق بعـض صفـاتـه

إن الملـوكَ تحَبُّ خشيـة بطشهـا ... لكنَّ فـاروقًـا يحب لـذاتـه

---

(١) أنشئت فى عيد المليك فى هـذا العام. وأنشدت فى مهرجان أعـد لهذا الغرض، بدار «الأوبرا» الملكية.

(٢) أياة الشمس ـ بفتح الهمزة وكسرها : سطوعها وضياؤها.

(٣) لدات : جمع لدة ، ولدة المرء : من ولد معه؛ أى : نده فى السن.

(٤) الهالة : أصلها دارة القمر.

(٥) قسمات : جمع قسمة ـ بفتح السين وكسرها ـ وهى : الحسن.

وافى بـه الـدهـر الضنينُ، كأنـه نبعٌ تفجّـر من أديم صفَـاتـه [1]

فيـه مخَـايلُ مـن أبيـه لمحتهـا هـذى، لعمرى، صـورة من هـاتِـه

تعميـرُ إسمـاعيلَ فيـه عـرفتُـه وثبـاتُ إبـراهيمَ فى وثبـاتـه [2]

وتلـوح روح محمـد فى سِبْطِـه كـالوجـه حين يلـوح فى مـرآتـه

❊ ❊ ❊

لله تـاج يَـزدَهى بجبينـه قـد ضمَّ شمل الشرق بعـد شتاتـه!

مـا مصـر كلُّ جمـانـه، لكنهـا حلّت محلَّ القلب من خـرزاتـه [3]

أعـلام فـاروق تـرفُّ ظـلالُهـا فى الشـرق أجمعَ نيلِـهِ، وفـراتـه

إن كـان لـم يملك جـوارح أهلـه فقلـوبهـم من بعض ممتَلكـاتـه

أضفى على علم البـلاد حَمـاسَـهُ وسـرى إليـه العزم مـن عـزمـاتـه

وأشـاع فـى عـرش المعـز فتـوّةً حتى دجـا مـا أبيض من شعراتـه [4]

وكأنمـا الهـرمُ استعـاد شبـابَـه رغمَ الألوفِ الخمسِ من سنواته [5]

تَفـديـه أمتُـهُ، وتهتفُ بـاسمـه وتبـرُّ إن هى أقسمت بحيـاتـه

فى مستهل العمـر صـار لهـا أبًـا يحنـو على أبنـائه، وبنـاتـه

بلغ الـرجـولـة يـافعـا؛ فهـو الفتى فى بـأسـه، والشيخُ فـى نظـراتـه

يهـدى دهـاقينَ السيـاسـة رأيُـه ويَسِيرُ مـدلجُهم على مشكـاتـه [6]

---

(١) الصفاة: الصخرة.

(٢) يشير إلى: تعمير إسماعيل باشا، وحروب إبراهيم باشا.

(٣) تطلق الخرزة على: الدرة نفسها، والضمير فى جمانه: يعود على التاج.

(٤) يريد: المعز لدين الله مؤسس الدولة الفاطمية.

(٥) الألوف الخمس: بدون تاء وإن كان المعدود مذكرا؛ لأنه إذا تأخر العدد، جازت مطابقته.

(٦) الدهاقين: جمع دهقان ـ بكسر الدال وضمها ـ وهو: الكيس الحسن التصرف، والمدلج: سارى الليل، والمشكاة: الكوة ينبعث منها النور.

تتفـــزَّع الآســـادُ مـن هبَّـانــــه ويغيض مـاء النيـل عنـد هِبـاتــه
ويظَلُّ يـــدنى أفقَــه مـن شعبــه حتى يكـــادَ يُظَنُّ من طبقـــاتــه
نسىَ اليتيـمُ أبـــاه تحت ظــلالــه ودعـا لـه العـافى بملء لهـاتـه [1]
وتعثَّـر الحــافى على وجـه الثـرى فأقـــالــه الفــاروق من عثـراتــه
مـا زال يشكـو الـداءَ، حتى جـاءه عيسى الـذى يشفيـه من عـلاتـه
ما عـاق سيرَ الشعب مثـلُ الداء، إذ ينسلُّ بيـن خُفـاتـــه، وغُـراتــه

* * *

ملِكٌ إذا الإســلام عــدَّ حمــاتَـه كـان الطليعـةَ فى صفـوف حماتـه
نــور الصــلاح يشيع فى قسمــاتــه والشعبُ يُسعــده صــلاحُ ولاتــه
إن القســاورَ فى المغـــاور تتقى من يتقى الــرحمنَ حقَّ تقـاتـه [2]
من يَـرضَ ربُّ العـرش فـى ملكـوتـه عنـه، تفـانى النـاسُ فـى مـرضـاتـه
الله أكبـــر! هل بصُـــرت بــركبــه يمشى الهـوينى غـاديـا لصلاتـه؟
والشعب يــدعـو الله خلـفَ ركـابــه حتى يهــزَّ العـرش من دعـــواتــه
فكأنــــه فــــاروقُ يثــربَ نفسُـــهُ يسعى بمــوكبـه إلـى جمُعـاتــه [3]
قل للمشيـد بعيـد هجـرة أحمـدٍ: جـددت عهـد الفتح بعـد فـواتـه [4]
هــذا جهـــاد فى سبيـل الله مـــا نضح الــدم القــانـى على رايــاتــه
أين الحـروبُ؟ وأين قصف رعـودهـا من لحنــه الشـاجى ومن نغمـاتـه؟
عيــد حسبنـــا أن روح المصطفى طــافت مـرفْـرِفَــةً على حفـلاتـه
مـــا رنَّ فيــــه مـــدفع إلا شـــدا بمــآثــر الفــاروق فى طلقـــاتــه

* * *

(١) اللهاة: عضلة أسفل الفم عند الحلق.
(٢) القساور: الأساد.
(٣) يثرب: اسم من أسماء المدينة المنورة، وفاروق يثرب: هو عمر بن الخطاب.
(٤) فى ذلك العام: أبديت رغبة ملكية سامية بشأن الاحتفال بعيد ابتداء العام الهجرى، احتفالا يتناسب مع جلاله الدينى.

يـا ربُ يـوم مـرَّ مـا ظفـر امـرؤٌ   فيـه بطيـف الـزاد أو بفُتـاتـه
ثـارت نفـوس الناس فيـه، ولن تـرى   كـالشعب حين يصـاب فى أقـواتـه
نـادى بـه الفـاروقُ : شعبى مـالـه   يشكـو الطـوى والتبـرُ من غَـلاتِّـه؟
قـاد السفينـة فـى خضم زاخـر   يطغى الـدمُ القـانى على غمـراتـه
وحَـدَا الكِنَـانَـةَ فى طـريق لـوسرى   نجم بـه، لـم ينج من عقبـاتـه
بـركـانُ حـرب مسَّ مصرَ دخـانُـهُ   وكـوى الشعـوب بنـار مقـذوفـاتـه
لولا هدى الحادى ،لضلَّ الركبُ فى   وادى الفنـاء، وهـام فـى فلـواتـه

* * *

فـاروق، لـو فَتَّشْتْ بين قلـوبنـا   لم تلـقَ قلبـا لستَ فـى طيـانـه
لا قلبَ إلا أحـرفُ اسمك لحنُـهُ   إن دقَّ، رتَّلهُـنَّ فى دقـاتـه
إن كـان وادى النيل ينبت عسجـدًا   فـلأنتَ، يـا فـاروق، خيـرُ نبـاتـه
مـا زلت تـرعـاه بمقلـة سـاهـر   يقظٍ، ويغـرق فى لـذيـذ سبُـاتـه
فإذا شكـا واديك ، كنـتَ مـلاذَه   وإذا بكى، كفكفـت من عَبَـراتـه
وإذا كبـا، فعلى يـديـك نهـوضُـهُ   وإذا تأوَّه، كنت خيـر أُسَـاتِـهِ (١)
فاروق، هـذا لحن شعرى، فـاستمع   نبـراتِ صـوتِ الشعب فى نبـراتـه
لا فضل فيـه للخيـال ووحيـه   بل أنـت رب الفضل فى أبيـاتـه
خـاضت بحـارُ الشعـر بحـرًا زاخـرًا   يطغى عليهـا من جميع جهـاتـه
عطَّـرتُ شعرى بـاسم فـاروق، فكن   يـا دهـر ـ إذ أتلـوه ـ بعضَ رواتـه

* * *

---

(١) أساة : جمع آس بمعنى الطبيب .

زفاف الفاروق

الرسالة فى ٢٤ من يناير سنة ١٩٣٨م

طـربتْ لعُـرْسِك مصرُ، يـا ابنَ فـؤادِ فكأن عـــرسَك ملتقى الأعيـــادِ

بـالفطر ، والأضحى الكنانـةُ تحتفى فيـــهِ ، وبـــالنيـــروز ، والميـــلاد

فى كـل قلب مِهـــرجـــانٌ قـــائم وبكـل أُذْن قـــامَ يهتـف شـــاد

مَلِك قـد اقتـــرن الســرورُ بعهـده فكأنمـــا كـــانـــا على ميعـــاد

أوَ مـا تـرى قلب الـدجى متوهِّجًـا يحكى فـــؤادَ الصبِّ يـومَ بعـــاد؟

نُقشت حـواشى الليل نقش صحيفـة بـــالنـــور ، لا بيـــراعَـــةٍ ومـــداد [(١)]

لم تبـد أنجمُـــهُ لترسـل ضوءَهـا لكـن لتشهـــده مـن الشهّـــاد

غَنّـــوْا لفـــاروق؛ فـألفَيتُ اسمـه أشجى صـدًى من رنـة الأعـــواد

وزهت ثـــريَّـــاتٌ حلفـت بأنهـــا ليست كنـــور جبينـه فى النـــادى

قذفوا « النيازك » فى الفضاء ، فخلتها مشبـــوبـــةً من عـــزمـه الـــوقـــاد [(٢)]

أغنتــه عن بـــاق الـزهـــور خـــلائقٌ نفَّـــاحـــةٌ، مثـلُ الـــزهـــور نـــواد

مـاذا أقـــول عن البـدور وعُـــرسهـا؟ عـــرس البـــدور يجل عن إنشـــادى

خلِّ الشبـــاب الغـضَّ فى ريْعـــانـه وعـــراقـــة الآبـــاءِ والأجـــداد

ودع العلا والمجـدَ ـ ويحك ـ جـانبا فى الصمت مـــا يغنـى عن التعـداد

نثـروا الـزهـــورَ، وقمتُ أنثـر بينهم شعـرى . وشعرى طـارفى ، وتـلادى

إن الـــزهـــور قصيـرةٌ أعمـــارُهـــا وقصـــائدى تبقى علـى الآبـــاد

شعـــرٌ تـودُّ الحـورُ عنـد سمـاعِـهِ لـــو صُغنَ منـــه قـــلائد الأجيـــاد

---

(١) يشير إلى : الزينات المكونة من المصابيح .

(٢) يقصد بالنيازك : ما نسميه بالصواريخ .

قل للشباب: أصبتَ أيَّةَ قدوة في شخص فاروقٍ، وأكبرَ هاد؟
لما رأى وَلَع الشباب بكل ما في الغرب، صاح بهم وقال: بلادى
وبنى بها ريحانةً، مصريةً معصومة من هجنة الأولاد
عذراء نضَّرت الكنانة عودَها من أهل بيت ناطق بالضاد
رشفت من النيل العتيق رحيقه وتَفيَّأَتُ منه ظلال الوادى (١)
ولو ابتغى شمس الضحى عِرسا له لرأيتها هبطت من الآراد (٢)
قل للغريب بقلبه وغرامه: ما أقفرت مصر من الأغياد
لا تبن بامرأة، وتهدم منزلا خيرُ الزواج تزاوج الأنداد
لستم بمصرِّيين حتى تؤثروا مصرًا بكل محبة ووداد
كم فوق شط النيل أهيفُ شادنٌ فتن الغصون بقده المياد
من عهد فاتنة القياصر لم تزل مصرٌ مراحَ نواعم الأجساد (٣)
فاروقُ، كم لك آية شعبيةٌ كبرى تمس شَغاف كلِّ فؤاد
أحصنتَ فى شرخ الشباب، وطالما ألقى الشباب إلى الهوى بقياد
قالوا: كبحتَ النفسَ، قلنا: فارس يعتاد منذ صباه كبح جياد
ومن الشبيبة: حكمةٌ، ورجولة لا تُحسبُ الأعمار بالأعداد
هات المسَرةَ، واسق شعبك إنه شعبٌ إلى كأس المسرة صاد
لم يستظلَّ بمثل عرشك مذهوَى عن عرشه فرعونُ ذو الأوتاد
درجت قرون، وهْو عانٍ مرهقٌ يكفيه ما عاناه من إجهاد (٤)
وطن عريق من شبيبتك اكتسى حللَ الشباب قشيبةَ الأبراد

---

(١) تفيأ الظل: استظل به.
(٢) الآراد: جمع راد، ورأد الضحى: ارتفاعه.
(٣) يعنى بفاتنة القياصر: كليوباترة، ومراح: اسم مكان من راح.
(٤) العانى: الأسير.

حتى سألتُ: أمصر فى شرخ الصبا | أم مصر أقدم من ثمودَ وعاد؟
طوّقتَ أعناق البلاد بطول ما | أسديت من مِنَنٍ وبيض أياد
فعجبت: كيف أسرت مصرًا بعدما | حررتها من رق الاستعباد ؟!

❊ ❊ ❊

يا ثالثَ العُمَرين، أنت أريتنا | بالعين ما يُروى عن الزهّاد [1]
قد جئت فى جيل يُصلِّى جاهدا | ويصومُ ، لا لله، بل للزاد
حرصوا على الدنيا. وكلُّ جديدة | تبلى، وكلُّ ذخيرة لنفاد
فلعل أنفسهم بِهَدْيك تهتدى | فتروجَ سوقُ الروح بعد كساد
وهى الحنيفة: دين كلِّ حضارة | وعدالة، وهداية، ورشاد
شاء المهيمن أن تكون عمادَها | ما كان يتركها بغير عماد
اختلتَ فى بُرد الزفاف، وفى غد | تختال فى برد النبىِّ الهادى [2]
إن الخلافة كلما ذكر اسمها | شخصتْ إليك حواضرٌ، وبواد
يا رب يوم فيه قد وفدتْ على | مصرٍ، ومصرُ كثيرة الوفاد
إنا أوَيْناها غداةَ تشردت | وعدت على دار السلام عواد [3]
أو ما استعار «التركُ» منا تاجها | لجبين «محمود»، ورأس «مراد»؟
مَن ذا سواك يُعيدُ عهد أميَّةٍ | بدمَشقَ والعباسِ في بغداد؟
أصميْتَ بالتقوى صدورَ معاشرٍ | مسخوا محيّا الدين بالإلحاد
لله إذ تَرِد المُصلى خاشعًا | تسعى إليه بخطوك المتهادى!
وكأن ركبك لا يسير على الثرى | وكأن جبريلاً لركبك حاد

---

(١) يعنى بالعمرين: أبا بكر وعمر، وهذا على سبيل التغليب.
(٢) يكنى بذلك عن: أيلولة الخلافة إلى الفاروق.
(٣) يشير إلى: التجاء الخلافة إلى مصر، بعد سقوط دار السلام «بغداد».

ملك يتــوج مَفْــرقيــه بــالتقى ... نــورُ الصـلاح عليـه أبلجُ، بـاد [1]

عجبى لـه يخشى الـزمـانُ نـزالَـه ... وعليـه تبـدو خشيـةُ العُبَّـاد!

إنــا عجمنــا عــودَه؛ فــإذا لــه ... وجـهُ البـدور، وهمَّـةُ الآسـاد [2]

مــا عيــدُه إلا غــداةَ تعــدُّه ... فى شعبـه فـردًا من الأفـراد

عـرشٌ على الـدستور قـام أساسُـه ... فــإذا بــه أرسى مـن الأطـواد

❊ ❊ ❊

بُـوِّئتَ، يـا فاروق، عـرشًـا كـان فى ... أيـدى فـراعنـة بمصـرَ شِـداد

هم شـاركـوا الأربـاب فى ملكـوتهـا ... كم صـاح صائحُهم، وقـال: عبادى

ضمنـوا بقـاء رسـومهم، وجسـومهم ... والحـادثـاتُ: روائحٌ، وغـواد

قُـم، سـائل الأهـرام عن تـاريخهم ... مـا فصَّل التـاريخَ مثلُ جمـاد

هنَّ الثقـاتُ من الـرواة، بـرئنَ من ... عصبيَّـة، وسلمن من أحقـاد

فأعـد لنـا عهـد الجدود، وهـات مـا ... تـركـوا لمن تـركـوا من الأحفـاد

هـات الـذخـائرَ، والسـلاح لأمـة ... عـزلاء، واستكْثِـرْ من الأجنـاد

هـذا الـزمـان مسلحٌ، لا يحْتفى ... بعهـود سلم، أو صكـوك حيـاد

أو مـا رأيتَ الطـامعين بخيلهم ... حول الحمى، يقفون بالمرصاد [3]؟

فـاجعلـه ـ إنْ ذَاقوه ـ سُمَّـا نـاقعـا ... واجعلـه ـ إن مسُّـوه ـ شوكَ قتـاد [4]

فاروق، دُمْ، واسلم لشعب مخلص ... بنفيسـه، وبنفسـه لـك فـاد

سل كل قلـب فى الكنانـة نـابضٍ ... عمـا يـريـدُ، يجبْك: أنت مـرادى!

---

(١) الأبلج: الواضح المشرق.

(٢) عجم العود: قرعه بسنه؛ ليختبر صلابته.

(٣) فى ذلك الوقت كانت الجنود الطليانية محتشدة حول الحدود المصرية الغربية.

(٤) القتاد شجر معروف مجدة أشواكه.

تحية فريال [1]

الأهرام ١٩ من نوفمبر ١٩٣٨م

فــريــالُ، يــا سليلــة الملــوكِ   نُظمتِ نظمَ الــدر فى سلــوكِ
مصبــوبــةٍ مـن ذهب سبيك   الشُّهبُ فـى عليـائهـا تحكيك

هــل تنتمـى الشهْــب إلــى ذويــك؟

* * *

مصـرُ بكـل مـا حـوتْ تفـديك   بِصَيِّبٍ مـن عطفهـا تحبــوك [2]
بين الجفــون أهلُهــا صــانــوك   واللهُ مـــن ورائهـــم راعيـــك

* * *

أشــرقــتِ مثلَ الأمـل الضحــوك   في ليلـــة القـــدْر علـى واديك
كـالبـدر يجلـو ظلمـةَ الشكـوك   أو كَـذُكَـاءَ سـاعـة الـدلـوك [3]

* * *

الشعب يُهــدى آيــةَ التبــريك   وخـــالصَ الحـب إلـى أبيـك
مــا نلت عطفَــهُ بــلا شــريك   فهْــو أبــو اليتيم، والصُّعلــوك

وخيـــرُ جـــالس علـى أريـكِ

* * *

تــرنــو العيــونُ يــا ابنــة المليك   مـن عـــالَـمِ الغيـب إلى أخيـك

* * *

---

(١) أنشئت هذه القصيدة يوم ميلاد الأميرة: فريال.
(٢) الصيب: الوابل من المطر.
(٣) لدلوك الشمس معان؛ منها: استواؤها وسط السماء.

تحيّة العراق [1]

الأهرام في ... ١٩٤٢م

حَيَّيْتُ في شخص الجمالي	بلداً حوى شَطْرَ الجمالِ
بلداً أحنُّ لساكنيه (م)	ه، كأنهم صحبي وآلي
إن كنتُ لم أَزُرِ العرا (م)	ق ولم أشُدَّ له رحالي
فلكم أَقَلَّتني إليه (م)	ه الكتْبُ في جُنح الليالي
بلدٌ إلى أحضانه	آوى الحضارةَ من ضلال
نظَمَ المعارفَ تاجُه	نظْمَ الفريد من اللآلي
أدّى إلى الجيل الجديد (م)	د رسالةَ الأمم الخوالي
إن يتَّصِلْ طَرَفا الثقا (م)	فة، فهْو حلْقة الاتصال [2]
أين الرُّصافة، وَهْيَ كالْ (م)	فردوس وارفةُ الظلال؟
إذ شمسُ دجلةَ في الزوا (م)	ل، وكلُّ شمس في زوال [3]
بغدادُ تحكم في الورى	حكم الموالي في الموالي [4]
والكون ينعَمُ أهلُهُ	بالعدل في ظل الهلال

***

---

(١) ألقيت هذه القصيدة في حفلة تكريم، أقيمت للأستاذ: فاضل الجمالي، وزير المعارف العراقية.

(٢) يعني بذلك: أن الثقافة العباسية كانت حلقة الاتصال بين الثقافتين: اليونانية القديمة، والأوربية الحديثة.

(٣) الزوال الأول: بمعنى استواء الشمس في كبد السماء، والثاني: بمعنى الامحاء.

(٤) الموالي الأولى: بمعنى الحاكمين، والثانية بمعنى: المحكومين.

كيف العـــــراقُ وأهلُــــــه؟ أتُــرى العـــراقَ بخيــــر حــــال؟

أتـــــرى الأواخــــــرَ مــن بنيـــــ (م) ــــه قـــد احتــذَوْا حـــذوَ الأوالى؟

حـــدِّثْ، فقـــد يشفى حــديـــ (م) ـــثك داءً ذى الـــداءِ العضـــال

أنــــــا إن سمعتُك أسمـعُ الــــ (م) ـــتكبير من شَفَتَيْ «بـــلال»[1]

أنــــا بـــالعـــروبـــة واثـقٌ ثقتى بـــوحـــدة ذى الجـــلال

فـــدع الـــزمـــانَ يـــروغ والْــ (م) أيـــــامَ تمعـن فـى المِطـــــال

إن المعـــــالَى قـــد تـــدلّ (م) دلال ربـــــات الحجـــــال

دعهـــــا تـــدلّ كمــــا تشــــا (م) ء فســـوف تسمح بـــالـــوصـــال

لابـــد مـن نصــــر تحقّــــ (م) ــقه العـــروبــــة فـي المـــآل

❊ ❊ ❊

حييتُ بــــالشعــــر العــــرا (م) ق ، وللعــــراق الفضـلُ ، لآلـيِ

إنـى أديـن لشـطِّ دجلــــــــــ (م) ــــةَ بـــالــروائع مـن خيـــالى

إن كــــان يجــــرى فـى ربـــا بغــدادَ بـــالعــذب الــزلال[2]

فلكـم جــــرى فى مصـــر، بـل فى الشـرق بـــالسحـر الحـــلال

---

(١) بلال : هو مؤذن رسول الله ﷺ.

(٢) فاعل يجرى: ضمير دجلـة ، وذكر باعتبارها نهرا. والأبيـات الأربعة يراد بها : أن الشاعر تأدب بالأدب العباسى.

تحيّة الرسالة (١)

الرسالة أول يناير سنة ١٩٤٠م

مشَتْ مثل « جانْ دَرْكَ » بين العربْ ... تشدُّ عراهم بأقوى سببْ

تشقُّ الصفوف بعزم، وتَهْتِـ (م) ـفُ باسم العروبة ، واسم الأدب

إذا هتفَتْ، قلتَ: طيرٌ شدا ... وإن وثبت، قلتَ: ليثٌ وثب

تبشِّر بالضاد بين بينها ... وأكرِمْ بحرمة هذا النسب!

وما وحَّد الجمعَ مثْلُ اللسانِ ... ولا اتحد الجمعُ إلا غلب

إذا اتحد الفكر فى معشرٍ ... تجمَّعَ من شمله ما انشعب

* * *

قد انتظمت أمم الضاد طُرًّا ... فكانت كعقد، وكانوا كحَب

بها تتلاقى العقول، كما ... تلاقى الروافدُ عند المَصب

فذا كاتب من أعالى الفراتِ ... وذا من دمشقَ، وذا من حلب

بكل يراع أسدَّ من السهـ (م) ـمِ، يغزو القلوب إذا ما كتب

فطورا يَمُجُّ لعاب الأفاعى ... وطورا يَمُجُّ عصير العنب

وطورًا له أحرف من ضياءٍ ... وطورا له أحرف من لهب

* * *

تُطل على العالم العربِىِّ ... وترقب أحداثه عن كثب

إذا حرّكت غيرها الشهواتُ ... فلا رغَبٌ عندها، أو رهَب

---

(١) أنشئت؛ تحية لمجلة الرسالة الغراء، بعد مرور بضع سنوات عليها.

وتعلن عـن نفسهـا بـالسكـو (م) ت، عـالمـةً أنـه مـن ذهب
ومـا أعلن المـرء عن نفسه بمثـل الأنـاة، ومثـل الـدأب
ألا مـا أقلَّ الثمـارَ إذا مـا تعـالى الضجيـج وزاد الصخب!
بـدت ولهـا يـومُ وضـع المسيحِ وعمْرُ المسيح الطـويل الحِقَب [1]
تكلـم هـذا صبيًّـا، وتلـكَ أتت، وهْي فى مهـدها، بـالعجب!
لقـد جـاء مـن خيـر أمٍّ، وجـاءت سليلـةُ أحمـدَ من خيـر أب
فتـاة كفـاهـا فخـارًا أبـوهـا إذا افتخـرت غـادة بـالحسب
تكـاد تسـائل ـ حين تـراهـا ـ: هل الـوحى بعـد الـرسـول احتجب؟
وكم للـرسـالـة من نـدمـاءَ هى الكـأس عنـدهمـو، والْحبَب
إذا طلعتْ فى سمـاء البيـا (م) نِ، لم يسـألـوا: أىُّ نجم غـرب؟

***

وقـالـوا: الـرسـالـة، قلت: وهل ثَمَّ (م) أجـدرُ منهـا بهـذا اللقب؟
مشت بـالسفـارة بين البـلادِ تَخطَّى الـوهـاد، وتـرقى الهضَب
فأقسـم، مـا قصَّـرت فى الأداء وإن قصَّـر القـوم عمـا وجب [2]
متى يعـرفُ النـاسُ أن الفتـى ـ بـلا أدب ـ دميـةٌ من خشب؟
فمـا هـو شعـرٌ ونثـر، ولكن هـو الـروح للجسم، وهْـو العصب
يُمِـدُّ الشعـوب بكـل قـواهـا وتـذهبُ شـوكتُهـا إن ذهب

***

---

(١) يشبهها بالمسيح من أربعة أوجه:
(١) يوم الوضع؛ وهو أول يناير. (٢) طول العمر؛ فالمسيح لا يزال حيا.
(٣) تكلم كل منهما فى المهد.
(٤) تناسل كل منهما من طرف واحد؛ فالمسيح: من أم بلا أب، وهى: من أب بلا أم، وأحمد: هو الأديب الكبير الأستاذ أحمد حسن الزيات.
(٢) ينعى على القراء تقصيرهم فى ذات: الأدب واقتناء المجلات الأدبية.

تهنئة بوســـام (1)

السياسة الأسبوعية فى ... سنة ١٩٤٤م

خطـرتْ بغُصْنٍ قـوامهـا الميّـادِ ... تختـال فـى وشْيٍ مـن الأبـراد (2)

حسنـاءُ من رُتب العـلا والمجـد ، لا ... تُهـدَى لغيـر السـادة الأمجـاد

شقَّتْ صفـوف المعجبين بحسنهـا ... وسَعَتْ إليك بخطـوهـا المتهـادى

مـا كنتَ مـن خُطَّـابهـا ، لكنهـا ... كـانـت لإبـراهيم بـالمـرصـاد

جـادت بهـا كفّ المليك ، وحسبهـا ... شـرفـا : أن انتسبَتْ إلـى ابن فـؤاد

بشـرى تـرنمت الشفـاه بلحنهـا ... وتسـاقطت بـردا على الأكبـاد

أقسمتَ ، لستُ على « السعادة » طارئا ... لكـنَّ بينكمـا قـديـمَ وداد

لم يُـذكـر اسمُـك دونهـا يـومـا ، ولا ... نـادى بـه عنـد الخطـاب منـاد

إن نلتَهـا كهـلا ، فإن جـلالهـا ... منـذُ الفطـام على جبينك بـاد

لقب رفيـع ، قـارن اسمك مثلمـا ... قُـرِن الغنـاء بـرنـة الأعـواد

فليهنىءِ اسمك مجـدُهُ ، ولـوَ انـه ... كـالبحـر مستغنٍ عن الإمـداد

إسم كـأن حـروفـه مقطـوعـة ... يشـدو بهـا بين الخمـائل شـاد

بمقـامك الألقـابُ تـزهـو، مثلمـا ... تـزهـو العقـودُ بنضـرة الأجيـاد

مـا أجمل الـرتبَ الـرفيعـةَ مـوقعـا ... فى النفس إذ تُهـدى إلى الأنـداد!

لا تـرفـع الـرتبُ الـرفيعـة خـامـلا ... كم من وسـامٍ فـوق صـدر جمـاد!

---

(1) ألقيت هذه القصيدة فى حفل تكريم معالى الـوزير الأديب : إبراهيم دسوقى باشا أباظة ، الذى أقيم فى دار الأوبرا بمناسبة الإنعام عليه برتبة الباشوية .

(2) المياد : صيغة مبالغة من ماد بمعنى تثنى ، والوشى : النقوش ، والأبراد : جمع برد بضم الباء .

قــالـوا: تكــرِّمــه، فقلت: فتًى إذا | كــرَّمتُــه، كــرَّمتُ فيــه بــلادى
ابنٌ لمصــرَ، تتيــه مصــرُ ببــره | والأُمَّهـــاتُ يتهـن بــالأولاد
لم يعتنق إلا هــواهــا مبــدأً | ولكل فــرد فى الحيــاة مبــاد
أقسمتُ، مـازان الـوسـامَ كـوجهه | وكصــدره الخـالى من الأحقـاد [1]
خُلُق أرقُّ من النسيم، وهمـــةٌ | عنــد النضــال كهمــة الآســاد
لم تُــزْهِــهِ يــومـا عــراقَـةُ بيتـه | ولــوَ انــه أرسى من الأطــواد [2]
مـا سـاد بـالحسب العـريق، وإنمـا | نــزع السيـادةَ بعــد طـول جهـاد
هـذا العصـامىُّ، العظـامىُّ، الـذى | أكبــرت فيــه تقــابلَ الأضــداد
نجم يقــربــه تــواضع نفســه | فتخــالــه فــردا من الأفــراد
مَن راحَ يقــرعُ بــابــه، لم يثنـه | جيش مـن الحجَّــاب والأجنــاد
إنى غَـدوْت ــ بفضـل بسمـة ثغـره ــ | ألقى الــوزيــرَ ولا يــدقُّ فـؤادى
ولطــالمــا لاح الـوزيـر لنــاظـرى | وكأنــه فــرعــون ذو الأوتــاد!

٭ ٭ ٭

يـــا آلَ إبــراهيمَ، إن المجــد فى | أبيـاتكـم كـالمـاء، أو كـالـزاد [3]
قـد كـان يجـرى فى دمـاء أصولكم | ولســوف يجــرى فى دم الأحفــاد
أنا إن أطلتُ القول فى شمس الضحى | وصفــاتهــا، مـا قلت غيـرَ مُعـاد
إنى أرى الأدبَ الــرفيـع شعــاركم | أنتم، لعمــر الله، فخــر الضــاد
كم شــاعـر فيكم كشــاعـر كنـدةٍ | ومفــوَّه يحكى خطيب إيــاد [4]
ومحـدِّثٍ تحـوى صحـائفُ صـدره | مـا غاب عن (خَلَفَ)، وعن (حمَّاد)
يـــا آلَ إبــراهيـمَ، إن بيـــوتكم | للعلـم والأدب الــرفيـع نـــواد
المجـد إذ تُهــدى لكم ألقـابُـه | كـــالــدر إذ يهــدى إلى النقــاد

---

(١) الكاف من كوجهه: اسم بمعنى مثل، فاعل زان. (٢) زهاه: غره.
(٣) يقول: إن المجد فى بيوت الأسرة الأباظيـة أمر عادى شامل؛ لا يخلو منه بيت، كما لا يخلو من الزاد والماء.
(٤) يريد بشاعر كندة: « امرأ القيس »، وبخطيب إياد: « قس بن ساعدة ».

تحيّة وقضيّة [1]

مجلة دار العلوم ... سنة ١٩٤٢م

أقسمت، مـا الـرّوْضُ الخصيبُ ... يهفـو بـه الغُصْنُ الـرطيبُ
لـلأنـف والعينيـن مـن ... أزهـاره طيـفٌ وطيـب [2]
الطيـرُ تهتف فيـه والْـ (م) ـغدران فـى همسٍ تجيب
والبـدر لاح كغُـرَّةِ الْـ (م) ـمحبوب أخطأه الـرقيب
بـأحبَّ مـن نـادٍ يـزيّـ (م) ـنـه بطلعتـه « نجيب »
وافـى النـدىّ، فكل جـا (م) رحـةٍ لـه صـدرٌ رحيب
وافـى، فمـا دقّت لمقـ (م) ـدمه الطبـولُ، بل القلـوب
نـادٍ حللت بـه، ومـا ... أنْتَ امـرؤ عنـه غـريب
هـو معقِل الضـاد الحصيـ (م) ـن، وأنت فـارسهـا المَهيب
هـو مهبط الأدب الـرفيـ (م) ـع، يـزوره العَلَمُ الأديب
إن الأديب ــ كمـا علمْـ (م) ـتَ ــ لكل ذى أدب نسيب

❊ ❊ ❊

تـدرى الـوزارة عن نجيـ (م) ـب أنـه رجلٌ دءوب
سهـرانُ، لا يشكـو اللغـو (م) بَ، ويشتكى منـه اللغـوب [3]
كـم هـزَّ عطفيهـا اسمُـه ... فكـأنـه نَغَمٌ طـروب [4]

---

(١) أقـامت جماعـة دار العلوم فى نـاديها احتفـالا، دعت إليه معـالى : نجيب باشـا الهلالى، وزير المعارف إذ ذاك، وانتدبت الشـاعر، لالقاء كلمة التحية، وعرض قضية المعلمين.

(٢) يريد بالطيف : ألوان الطيف المعروفة، وفى البيت : لف ونشر مشوش.

(٣) اللغوب : التعب. وفى إسناد الشكوى إلى اللغوب : مبالغة ظاهرة.

(٤) العطف : الجانب. ووصف النغم بالطرب على سبيل المجاز.

وحنَتْ إليـــــه مثلمـــــا يحنـــــو إلى الحِبّ الحبيب
إن غــــاب عنهـــا فتـــرةً فلـــــه منـــاهجُ لا تغيب
كـــالشمس تتـــرك خلفهـــا شفقـــا إذا حـــان الغـــروب
إنـى أرى الآمـــال أخـــــ (م) ـــصبَ ربْعُ واديهـــا الجـديب
وأرى العـــزائم كـلَّ عـــز (م) م، كـــالشهـــاب لـــه شُبـــوب
وأرى الـــوزارة كـــالعـــرو (م) س، يـــزينهـــا ثـــوب قشيب
وأرى الحيـــاة بكـل مـــد (م) رســـة يـــدب لهـــا دبيب
روحٌ ســـرى بيـن الجميـــــ ـــع بمثلــه تحيـا الشعـــوب

❊ ❊ ❊

لمعلِّـم الـــوادى رجـــا ء فـــى نجيـــبٍ لا يخيـــب
لـم لا، وأنـت بحقـــــه فـى كـل آونـــــة تُهيب؟
أنت المحـــامى عنـــه، أنْـــ (م) ـــت لجـرحـــه نعـم الطبيب
أو مـــا تـــراه فـى ربيـــ (م) ـــع العمـر يـدركـه المشيب؟
خُلـق السهـــادُ لجفنـــه ولـــوجهـــه خُلق الشحـــوب
ولقـــد تَمـــدُّ إليـــه فـى حرم الفصـول يـدًا شعُـوب [(١)]
فيخـــرُّ فـى ســـاح الجهـــا (م) د، ولا ثـــــوا، ب ولا مثيب!

❊ ❊ ❊

هـــو فـى الفصـــول ممثـلٌ آنًـــا، وآونـــةً خطيب
وإذا ادلَهَمَّ الليـل، والْـــــ (م) ـــتَقَتِ المضـاجع والجنـــوب
أمضـى ســـواد الليـل، وهْـــ (م) ـــو لكـل شـــاردة طَلَـــوب
وطغـت عليـــه دفـــاتـــرٌ كـــالسيل ليس لهـا نضـــوب

---

(١) شعوب: علم يطلق على المنية.

كيف السبيل إلى الكرى | وأمامه منها كئيب؟
إنّ المعلمَ خبزُهُ | بمداده القاني مشوب
يحمرُّ في يده المدا (م) | دُ، كأنه بدم خضيب
إن قدَّروا مجهوده | قالوا: النجاح، أو الرسوب
أو كان عيبٌ في النظا (م) | م ووضعه، فهو المعيب
أو أذنب الطلّاب، عُدَّ (م) | تْ في صحيفته الذنوب
وإذا تولّى الامتحا (م) | نَ، يحوطه شك مريب
يرقى بنوه إلى العلا | ورقيُّه أمل كذوب
سمحتْ براتبه خُلو (م) | ف، ما لها أبدا ثقوب [(1)]
سِيقَ العجافُ له، وسيـ (م) | ـق لغيره البقرُ الحلوب [(2)]

***

اطوُوا مناهجكم، وخلُّـ (م) | ـوا الكُتُبَ تُخطئ أو تصيب
وسلوا المعلم: أهْو را (م) | ضٍ حين يعمل أم غضوب؟
نُظُمٌ تحركها الريا (م) | ح، كما يطيب لها الهبوب
تجري الشَّمال بهن آ (م) | ونةً، وآونةً جنوب
كيف التقدم والمعلّـ (م) | ـم من إرادته سليب؟
عانٍ يتوق إلى الوثو (م) | ب، فلا يتاح له الوثوب
إن لم تطب نفس المعلّـ (م) | ـم، لم تجد شيئا يطيب

***

عُذرا، بربِّك، إن أثُرْ | فالقلب من كمدٍ يذوب
لا خيرَ فيمن لا يثو (م) | ر على المظالم إذْ تنوب

---

(1) خلوف: جمع خلف، وهو ـ للناقة ونحوها ـ بمعنى الندى.
(2) العجاف: ضد السمان.

الثـــورة الكبـــرى نمتْـــــ (م) ـــلك، وأنت أنـت لهـــا ربيب
خلفـى جيـــوشٌ إن شكـــو (م) تُ، فـإننـى عنهـم أنـــــوب
مَنْ يَـــدْعُ مثلك، يـــا نجيــ (م) ـــب، دعــا سميعًـــا يستجيب
لا ينثنـى عــن رفـع مظـــــــــ (م) ـــلمة، ولـــو أبَـتِ الحـــروب
أحلـى الأمـــانـى مـــوقعًـــا ..... مـــا ســـاقـــه الـــزمـنُ العصيب
مـــا دمـت أنت نصيـــرَنـــا ..... فـــالنَّصْـــرُ مـــوعـــدُهُ قـــريب

* * *

أدب الوزراء (١)

الدستور ١٩ من يناير سنة ١٩٤٢م

هتفـوا بَهيكـلِ الـوزيــرِ، وإنمـا حيَّيْتُـــه رجـــلا إلـى الأدب انتمى
لــو لم تكــرمْـه الـوزارةُ ، لا نبــرى بلســانــه الأدبُ الـرفيـعُ فكـرَّمـا
تــاجــان زانـا مفــرقيــه، وإن يكنْ تــاج البيــان على المفــارق أدْوَمـا
حيَّيْتُ فيـــه فتى نحيــلاً جسمُـــهُ يبـــدو؛ فتحسبـه مُعَنىً مغـرمًـا
حتى إذا مــارستــه، لـم تــدر: هل مـارست طـودا شـامخـا أم عيلمـا؟
عهـدى به فى الشرق، مـذ أنا يـافعٌ عَلَمًا ، إذا ذُكـر اسمُـهُ مـلأ الفمـا
متــوقِّــدًا، مثـلَ الشهــاب ذكـاؤهُ متــوثِّبــاً، مــا قــال إلا أبــرمــا
عفَّ اليــراعــة، والضمير كليهمــا سيّانِ: هاجم خصمَـهُ، أو هوجمـا
رجلُ العقيــدة لا يقــدِّس غيـرَهـا إن قــدَّسَ المتلــوِّنــون الـدرهمـا
بيعَتْ مبــادئُنــا ، فمــا أبصـرتُـه فى السـوق سـاوم مـرةً، أو سُـووِمـا

٭٭٭

لله درك بـــالـــوزارة نـــاهضـــا أو فى الثقـافـة منشئـا، ومتـرجمـا!
ذكَّــرتَنــا بـابن العميــد، وعصبـةٍ حـوت السيـاسـة، واليـراع كليهمـا
والفكــر إن سـاس الأمــورَ رجـالــه كـانت بـأيـديهم أسـدَّ وأحكمـا
سـائل بنى العبــاس فى أجـدائهم: كم من أديب فى الـرقـاب تحكَّمـا؟
من ذلك التــاريخ كــان ولـم يـزل سنُّ اليــراع إلى الــوزارة سُلَّمـا

---

(١) ألقيت فى مسرح حديقة الأزبكية، فى حفلة أقامها رجال دار العلوم؛ تكريما لمعالى: هيكل باشا.

أنبَتَّ للأدب المهيض جناحُه ... ريشا، وشِدتَ جداره المتهدما [1]

زعمتْهُ رمزًا للشقاء عصابةٌ ... ورماه بالكلم القوارص مَنْ رمى

حتى أتيت؛ فكنت أبلغَ حجةٍ ... أدلى بها الأدب الرفيع فأفحما

* * *

حلَّلتَ للإسلام سيرة أحمدٍ ... فحلَلْتَها للناس لغزا مبهما [2]

الله يشهد، كنت فى تحليلها ... حُرَّ الضَّمير، وكنت برا مسلما

تمشى على شوك القتاد بمنهج ... خشىَ العِثار به سواك؛ فأحجما [3]

عَبَرَ الرواةُ على حياة محمد ... وأتيت، فاستخرجت منها منجما

شتان بينك - إذ حَجَجْتَ - وبين مَن ... زاروا - كما زرتَ - الحطيم وزمزما

عادوا بمسبحة، وعدت بثروة ... للشرق كان الشرق منها معدما [4]

حتى غدت بطحاءَ مكةَ تشتهى ... فى كل عام أن تحج وتحرما

هذى هى التقوى، وتلك سبيلها ... ما أكثر المُتَهَجِّدين الصُّوَّما! [5]

لم أتْلُ من سِفْريك بضعةَ أحرف ... إلا حسبتكُ - حين تكتب - ملهما

حتى كأنى - حين أقرأ - أجتلى ... صُوَرًا وأستمع الحديث منغّما

يمضى يراعك فى الضريبة إن نَبا ... سيف بكف مدرَّع وتثلّما

أين المهندُ من يراع مجاهدٍ ... فى الله لم يجرحْ ولم يسفك دما؟

قَلم يذود عن الحنيفة تارة ... ويذود تارةً الهوانَ عن الحمى

---

(١) مهيض الجناح: مكسوره.

(٢) يشير إلى كتاب: «حياة محمد»، الذى ألفه معاليه.

(٣) يشيد بمجهود المؤلف فى التوفيق بين: حرية البحث، وإشباع العاطفة الدينية؛ والتوفيق بينهما من العسر بمكان.

(٤) يريد بتلك الثروة: «كتاب فى منزل الوحى»، الذى ألفه معاليه.

(٥) التهجد: قيام الليل.

نفثاتـه فى الطِّرس تُدعى أحـرفا ... لكنهـا فى القلب تنفـذ أسهمـا

يحكى عصـا مـوسى، إذا ألقيْتَـهُ ... أَلْفيتَـهُ فـوق الصحيفـة أرقمـا [1]

أفعى على البـاغين تنفث سُمَّهَـا ... وعلى جـراح النيل تقطـر بلسمـا

* * *

أقسمتُ، ما نسيَتْ لك الفصحى يدا ... بيضاءَ، صانـت حقَّها أن يُهضما [2]

أعلنتَ رأيـك فيـه غيـر مـوارِبٍ ... ووقفْتَ تـزأر خلـف رأيك، ضيغمـا

كـوَّرتَـهُ، وحصبت أقـوامـا بـه ... جمَّ الصـراحة بـالـدليل مـدعمـا

مـا كنت فـردًا إذ وقفت منـافحـا ... بل كنت جيشـا لا يُفَلُّ، عـرمـرمـا

تثنى عليك الضـاد ملءَ لهَـاتهـا ... إن كـان يجـزيك الثنـاء، وقلَّمـا

أو مـا كفـاهـا معشـرٌ من أهلهـا ... تـرك العـروبـة جـانبـا واستعجمـا؟

متخـاذلُ الأسلـوب، ليس بمُفهمٍ ... معنى، ولـو نطق الجمـاد فأفهمـا

حسبَ الـرطـانـةَ حلية لبيـانـه ... وسـرى إليـه لعـابهـا فتسمَّمـا

إن تـرتَقِ اللغـةُ، ارتقـى أبنـاؤهـا ... وإذا هـوتْ، فأقم عليهم مأتمـا

---

(١) الأرقم: الثعبان فى جلده نقوش.

(٢) يشير إلى: موقف لمعالى هيكل باشا، نافح فيه عن اللغة العربية؛ مؤازرا خريجى دار العلوم، إبان توليه وزارة المعارف.

بك تحتفى دارُ العلـوم، وكم شَـدَت ... بـاسم ؛ فأنجـد فى البـلاد، وأتهمـا
انظـر - بـربك ـ حفلهـا : أفلا تـرى ... شبح الـوفـاء بحفلها متجسمـا؟
دار أعَـدَّت للكنـانـة معشـرًا ... صـالـوا بهـا أُسْـدًا ، ولا حـوا أَنْجمـا
حملـتْ بأول مـن تسنَّـم منبـرًا ... وشـدا بقـافيـة، وحـرَّك مِـرقمـا [1]
دارُ العلـوم ، ونيل مصـرَ ، كـلاهمـا ... يـروى بسَلسلـهِ البـلاد من الظمـا
لـولاه فى مصـرٍ لمـا غـرس نمـا ... فيهَـا ، ولـولاهـا لمـا عقل نمـا
من أفْقهـا شعَّ البيـان، ومـا الـورى ... دون البيـان سـوى هيـاكلَ، أو دُمى
لـو أن مصـرًا سوِّيتْ بشـرًا ، غـدت ... دارُ العلـوم لسـانَـهُ المتكلمـا

---

(1) المرقم: القلم، ويريد ـ بهذا البيت ـ : استيعـاب أنواع البيان الثلاثة: الخطابة، والشعر، والكتابة.

تحية السودان (1)

يا جيرةَ النيل، حيَّا الله مقدمكمْ لسنا نعدُّكمو فى مصرَ ضيفانا

لقد نزلتم برهط من عشيرتكم وزرتمو بدلَ الأوطان أوطانا

لما نزلتُم على الفصحى بدارتها كادت ترحِّبُ آساسًا وجدرانا

إنا نكرِّم فى أشخاصكم وطنا لو صُوِّرتْ مصرُ عينا كان إنسانا

النيل قد وحَّدَ الرحمنُ واديَهُ ففيم نقْسِمُهُ: مصرًا وسودانا؟

* * *

حمل القلادة (2)

حمل القلادَة منك صدرُ وزيرِ فيه تواضُعُ عالم نحريرِ

وضُعت - لعمرى - فوقَ صدرِ طاهر بالصالحات وبالتُّقى معمور

هنأتُ كل معلِّم فى معهد إذ خصَّك الفاروقُ بالتقدير

قد كرَّم الفاروقُ كلَّ معلم فى شخص «عبد الرازق السنهورى»

---

(1) ألقيت فى نادى دار العلوم، فى حفل أقيم؛ تكريمًا لبعض الوفود السودانيين.

(2) بعث بهذه الأبيات إلى حضرة صاحب المعالى: عبد الرازق السنهورى باشا عندما منح رتبة «الباشوية».

زفرات !

كأس تفيض !

الرسالة ٣٠ من سبتمبر سنة ١٩٣٥م

لك الله ؛ لا تشكو ، ولا تتبرَّم ... فؤادك فياضٌ، وفكك مُلجمُ!

يفيض لسان المرء إن ضاق صدرُه ... ويطفح زيت الكيل، والكيل مفعم

تعللتُ دهرًا بالمنى، فإذا بها ... قواريرُ من مسِّ الصبَّا تتحطم

حملنا على الأقدار، وهْى بَرِيئةٌ ... وقلنا : هى الأقدار، تعطى، وتَحرم

* * *

لعمرك، ما أدرى: على أيِّ منطق ... أشاهد فى مصر الحظوظَ تُقسَّم؟

فكم رصد الأفلاكَ فى مصر أكمهٌ ... وزلزل أعوادَ المنابر أبكم [(١)]

أقمتُ بمصرٍ، عاثر الجدِّ، ساكنًا ... كما سكنت أهرامها، والمقطم

وقفت مكانى لا أريم، وأخمصى ... على الشوك من طول السرُى تتورم! [(٢)]

كأنِّى إطار دائر حول نفسه ... يطول به المسعى ولا يتقدم!

فمن يك ذا قربى وصهرٍ، فإننى ... بمصرَ وحيدٌ ؛ لا قريبٌ، ولا حمُ

وما أنا ممن تخطىء العين مثله ... ولكنْ تعامى القوم عنىَ، أو عَمُوا

* * *

---

(١) الأكمه : الأعمى .
(٢) لا يريم : لا يتحرك .

أيـذوى شبـابى بين جـدران قـريـة ... يبـاب كأن الصمت فيهـا مخيم؟ [1]

أكـاد من الصمت الـذى هو شـاملى ... إذا حُسب الأحيـاءُ، لـم أكُ منهمـو

وعـاشـرتُ أهليهـا سنين، وإننى ... غـريب بـإحساسى وروحىَ عنهمو

يقـولـون: خضـراء المـرابع نضـرة ... فقلت: هبـوهـا، لسـت شـاةً تسـوَّم

علـى رِسْلكم، إنـى أقيم بقفــرة ... يجـوز على الأحياء فيهـا التـرحم

سئمت بهـالـونًـا من العيش واحـدًا ... فَدَارى بها دارى، وصحبى همو همو

حيـاة كَسطح المـاء، والمـاءُ راكـد ... فـلا أنـا مسـرورٌ، ولا متـألم

ومـا أبتغـى إلا حيـاة عميقـةً ... تسـرُّ، فأرضى، أو تسـوء؛ فأنقم

حيـاة كلجِّ البحـر، والبحـر زاخـر ... تـدوّى بهـا الأنواء، والـرعـد يهـزم

حيـاة بها: جِـدٌّ، ولهـو؛ بها: رضًـا ... وسخط؛ لها طعمان: شهد، وعلقم

فمن مُبلـغٌ «بنتَ المعـز» بـأنَّ لى ... فـؤادًا عليهـا كـالطيـور يحـوِّم؟ [2]

وأنِّىَ مـن سبع خلـون محـافظ ... على العهـد، إن خـان العهـود متيم

فـإن أنأ عن مصـرٍ، فحسبى: أننى ... أحج إليهـا كلَّ عـام، وأُحـرم

***

لعمـرك، إنـى قـد رمت بفتيـة ... أروح وأغـدو كـلَّ يـوم إليهمـو

صغـارٌ، نـربِّيهم بمثل عقـولهم ... ونبنيهمـو، لكننـا نتهـدَّم

لأوشكُ أن أرتـدَّ طفـلا؛ لطـولِمـا ... أمثِّل دَوْرَ الطفـل بين يـديهمـو

فصـول بـدأنـاها، وسـوف نعيـدهـا ... دوالَيْـكَ، واللحنُ المكـرَّرُ يُسـأم

فمن كـان يـرثى قلبـه لمعـذَّب ... فأجـدرُ شخص بـالـرثـاء المعلم!

ومـا كنت أُعنى بـالنتيجـة يـافعًـا ... فصـرت بهـا فى هـدأة الليل أحلم

وددت لـوَ انى عـدت للدرس نـاشئًـا ... أسيـر، وفى يمنـاى: لـوح، ومـرقم

---

(١) يقصد قرية: «كوم حمادة»، وقد طال مكثه بها مدرسا.

(٢) يكنى «بينت المعز» عن: القاهرة.

وكـائِنْ تـرى الحـرَّ الأبيـةَ نفسـهُ ... يضيع لــه حقٌ، وآخــرُ يهْضَم
ينـال المنى من يقطـع السُّبْل ملحفـا ... ويغشى بيـوت النـاس، والناس نـوَّم
ورُبَّ أمـور يخجل الحـرَّ ذكـرهـا ... يضيق بهـا صـدرى الفسيحُ، وأكتم
فيـاليتنى أغضيت جفنى على القـذى ... وعلمت نفسى بعض مـا ليس تعلم!
فلـو أن نفسى طـاوعتنـى قـرضتُّهـا ... على الهـوْن، لم أخسر وغيـرىَ يغنم
ألا فليسُـدْ من شــاء، حسبىَ أننى ... ضننتُ بمـاء الـوجـه حين تكـرَّمـوا
ولم أتغــزَّلْ فى الكــرام وفضلهم ... وغيـرى بهم - لا بـالكـواعبِ - مغـرم
وإنى لمغبـون إذا صــرت قيصـرًا ... وطـوَّق بـالنعمـاء جيـدىَ مُنعم

❊ ❊ ❊

تحية مولود [1]

الرسالة ٢٢ من أبريل سنة ١٩٣٥م

سـرَّكَ اليومَ قـولهم أم سـاءَكْ ... حينَ قـالوا: هـذا غـلامٌ جـاءَكْ؟

جـانبُ اللهـو من شبـابك ولَّى ... فـدع اللهـوَ ينتظـرْ أبنـاءك

وتحمَّل عـبء الأبـوة ، يـا ويْـ ... (م) حَـك، لَمْ يحمـلِ امـرؤٌ أعبـاءك

أيهـا الطـارقُ الجـديـدُ ، سلامًـا ... أَسْـأَلُ الصفح إن أسأتُ لقـاءك

علم الله مـا كـرهتُك ضيفـا ... لا، ولكننى كـرهـتُ شقـاءك

بتُّ أخشى عليك جَـورَ الليـالى ... فـالليـالى مـا أنصفت آبـاءك

غيـر أنى أمسيت ـ رغم شعـورى ـ ... أتمنى على الـزمـان بقـاءك

وأرانـى إذا أصـابك سـوء ... أبـذل النفس والنفيس فـداءك

سـاءنى ، يـا بنّى ، أن كنت نجـلا ... لِى؛ فكـانت أبـوَّتـى لك داءك

أىَّ ذنب جنيـتَ فى المهـد حتى ... يصبح الهـمُّ فى الحيـاة جـزاءك؟

ليت شعـرى: أقـانعٌ أنت أم لـو ... تستطيع الكـلام تبـدى استيـاءك؟

أفتـدرى: كم بـتُّ أرفـو كسـائى ... وأوشِّـى بكـل زاهٍ كسـاءك؟

وإذا ضنَّ ثـدى أمِّـك يـومـا ... بـالحيا [2]، جعتُ، والتمستُ غـذاءك

ولقـد أسمع الـرعـود تـدوِّى ... فى ثبـات ، ولا أطيق بكـاءك

كم حملتَ البكـاء سيفًـا صقيـلا ... إن تلـوِّحْ بـه يُنَلْك رجـاءك

دَمعـةُ الطفل من دمـوع العـذارى ... صـاحِ، صُن من كليهمـا أحشـاءك

---

(١) استقبل الشاعر ـ بهذه القصيدة ـ أول مولود له.

(٢) الحيا: الغيث وأراد به هنا اللبن.

أنت فى مهدك الصغير أميرٌ	فوق عرش يرجو الجميع رضاءك
فتحكَّمْ، تَرَ الذكور عبيدا	لك فى البيت، والنساءَ إماءك
هو عرش أساسُه الحبُّ، لا بُط (م)	شَكَ نخشى، ولا نرومُ عطاءك
أتُراها جنايةً أم تُراها	مِنَّةً تستحق منك ثناءك[1]؟
ليتنى عشتُ ـ مثلما عشتَ ـ غِرًّا	تُغمض المقْلتَيْنِ عما وراءك
إننى، يا بنَّى، أسكن أرضًا	دائمًا همُّها، فصف لى سَماءَك
قد توارت طفولتى فى ظلام الـ (م)	غَيْب، فانْشُر علَى دُجاهَا ضِياءَك
يا دقيقَ البنان واليد، جلَّت	يدُ مثَّالٍ صوَّرت أعضاءك!
نم هنيئًا، يرعاك من شق عينيـ (م)	ـك، وأجرى بين العروق دماءك
علَّ من وكَّل البلى بردائى	يجعل الخزَّ، يا بُنَىَّ، رداءك

---

(١) يقول المعرى:

هذا جناه أبى علىَّ (م) وما جنيت على أحد

ويقول شوقى:

بينى وبين أبى العلاء قضية	فى البر أسترعى لها الحُكَمَاءَ
هو قد رأى نعمى أبيه إساءة	وأرى الإساءة من أبى نعماء!

بين الشعر والمال (١)

الأهرام ١٦ من يناير سنة ١٩٣٥م

حسبتُ أهلك فى عــزٍّ وإقبــالِ ... فكــان أهلُك فــى فقــر وإقــلالِ

لم يُـرو أهلَك شعــرٌ كنت تعصــره ... خمـرا ، ولاقـاتهم أسلـوبُك العـالى

ويحى! متى أجـدَتِ الأشعار قـائلها ... حتى تطـوفَ على الأصحـاب والآل؟

كم شـاعـر لبق يكسو الـورى حلـلا ... لم يُصلح الشعـرُ من سربـاله البـالى

كم شــاعـرٍ مُلِئتْ أقــوالُـه حكمــا ... لم تغن أقــوالُـه عـن جيبـه الخــالى

لــو أن أســواق درِّ الشعـر نــافقــةٌ ... أمسيتَ تـربو علـى قارونَ فى المـال

الدر فى الشعـر غيرُ الـدر فى صدف ... هــذا لــه ثمن بخسٌ، وذا غــال

لا درُّ شعــرك فى الظلمــاء مـؤتلقٌ ... ولا جبينٌ تحليـــه بـــه حـــال!

لا يبلغ المجـدَ شعبٌ مـات شـاعـرُه ... فبــات يشكــو بنــوه رقــة الحــال

لـو كـان أنصفنـى دهـرى، وأنصفـه ... لم يشْك أمثـالُـه بـؤسًـا، وأمثــالى

يـاليت شعرى: أبعـدى ينقضى أدبى ... وغيـــرُ منتفع أهلى بـأقـــوالى؟

يا شعر، ويحك! لا إن عشت تُنفعنى ... ولا تقــوتُ إذا مــا مــتُّ أطفــالى

إن رمتُ قوتـا ، فإن الشعـر من خزف ... أورمت رِيًّـا ، فـإن الشعـر من آل (٢)

من يشتــرى بــرغيف واحــد أدبى؟ ... من يشتـرى الشعر: ديـوانا بمثقـال؟

---

(١) روت الصحف إحصاء عن تـركة المرحـوم: حافظ إبـراهيم بك، فإذا هى تنحصر فى: معاشه الذى يطالب به أبناء أشقائه.

(٢) الآل: السراب.

ويح العيد! (1)

يا عيدُ ، عُذْرًا إن نظمتُ نشيدى ... لك حافلا بالنوح ، لا التغريدِ!

ماذا يخبِّئه هلالك فى غد؟ ... أتُراه جاء مبشرًا بجديد؟

ويح الخلّى، قضى نهارك هانئا ... وقضيتُه متعللا بوعود

والوعتى إن كان برقك خلَّبا ... ما فيه غيرُ تجهُّم ورعود!

ولقد أردت السير فيك مهنَّئا ... فوجدتُ رسغىَ مثقلا بحديد [2]

عَزَفَ « الكمان »، فندَّ عنه مسمعى ... وبكت مطوَّقة، فقلتُ: أعيدى! [3]

أستودعُ الرحمن عمرا ضاع! لى ... فى كل يوم منه أجرُ شهيد

أغضيتُ جفنَ العين فيه على القذى ... وحملتُ فيه مضاضة التشريد

وسكتُّ دهرًا خوف لومة لائم ... أو قولِ لاحٍ: أنت غيرُ جليد

الآن أطلق صيحة محبوسة ... فاض الإناء، وكاد صبرىَ يودى!

***

يا من أناديه وأنشُدُ جانبا ... من عطفه، هل أنت غير بعيد؟

قد طال بى أسرى، فلا شُلَّت يد ... تفرى بقبضتها حديد فيودى

***

---

(1) قالها سنة ١٩٣٧م، وهو بكوم حمادة.
(2) الرسغ: ما بين الساق والقدم.
(3) ند عنه: نفر منه، ولم يألفه.

لا تخدعونى بالمنى ! (1)

السياسة الأسبوعية ٢٣ من نوفمبر سنة ١٩٢٩م

أفَتلَك عـــاقبتى وذاك مـــآلى؟ خُطُّوا المضــاجِعَ ، وادفِنوا آمــالى

لا تخـدعونى بــالمنى وحـديثهـا قـد كــان ذلك فى الـزمــان الخـالى

ولقـد بـرِمْتُ بمصـرَ حين وجـدتها قبــرَ النبــوغ ، ومســرح الجهَّـــال

بلـدٌ تسربل بــالحريــر جهولُــه ومشى الأديب بـــه بـلا ســربــال

أبصــرتُ بـاب الــرزق فيـه مفتحًــا إلا عَلـىَّ ، فمحكـمُ الأقفـــــال

إن شئت أن تحيـا بمصـر ، فـلا تكن حىَّ الضميـــر، تعـشْ خلىَّ البـــال

واركع هنـــاك أمــام كل ريــاســة وَلَـــوَ انهـــا خُلعـت على تمثــال

واظفَــر بــذى جـاهٍ تعشْ في ظلــه أو عش بـــــلا جــاه ، ولا أمـــوال

* * *

خلِّ النعيم لمعشــر خفضـوا لـــه هــامــاتِهم، مــا للنعيم ومــالى؟

الله يعلـم، لـــو أردت بلغتــــه لكنَّ مــاء الـــوجـه عنـدىَ غــال

* * *

---

(١) قالها عند أول عهده بالوظيفة .

راتب !

الرسالة ١٩ من أغسطس سنة ١٩٣٥م

ولى راتبٌ كـالمـاء، تحـويـه راحتى | فيفلتُ من بيـن الأصـابع هـاربـا
إذا استأذن الشهـرُ، التفتُّ فلم أجـد | إلى جـانبى إلا غـريمًـا مطـالبـا
فأمسيتُ، أرجـو نعيَـهُ يَـوْمَ وضعـه | وليس الـذى يمضى مـن العمـر آئبا
لعمـرك ، مـا فـوق المكـاتب راحـةٌ | ولا تحتهـا كنـزٌ يـدرُّ المكـاسبـا
قضيت حيـــاتى بيـن دارى ومكتبى | فألفيت وجـه العيش أصفـر شَاحبا
تشـابهت الأيـام عنـدى، كأنمـا | مضى العمـر يـومًا واحـدًا متعـاقبا

***

فقل لشبـاب النيل قـالـة نـاصح | تعـاف لـه أخـلاقـه أن يـواربـا :
إذا مصـر لم تـرفع قـواعـد مجـدهـا | بسـاعـدهـا، لم تقض منـه المـآربـا
وإن نكُ فى كـل المـرافق عـالـةً | على غيـرنـا، عشنـا بمصـر أجانبا
أمـا من سبيل للحيـاة وغيـرُنـا | يـرى سبـلا شتى لهـا ومـذاهبـا؟

***

من للموظف؟

الأهرام في ... سنة ١٩٤٢م

قل للـذين يلُـونَ أمـر الـوادى : مَن للمـوظـف؟ من لـه بـالـزادِ؟
الحـرب إن مسَّتْ سـواه، فإنهـا عضَّتْ بـأنيـاب عليـه حِـداد
فئـةٌ بمصـرَ جنـى عليهـا أنهـا هى ـ وحـدهـا ـ محـدودةُ الإيـراد
صَهـرَ الغـلاء كبيـرهـا، وصغيـرهـا فـالكل غَـرثـانُ الجـوانح، صـاد [1]
ولقـد تـدهـورت النقـود؛ فأصبحت عشـراتُهـا فى رتبـة الآحـاد
النقـد زيَّفـه الغـلاء؛ فمـا لـه قـذرٌ، فـوالهفى على النقَّـاد!
قـد حـالتِ الأرقـامُ عن مـدلـولها حِـوَلا ، وضـاعت قيمـة الأعـداد
إنـا لـزمنـا الصمـت، حتى أحـدقت مِحَنٌ بنـا يُنطقـن كلَّ جمـاد
لا تجعلـونـا للـوعـود فـريسـة نلْهـو بهنَّ، وهـنَّ ذرُّ رمـاد
هبنى صبرت على الطَّوى، من مسعدى بـالصبـر إن عضَّ الطـوى أولادى؟
فلـذٌ مـن الأكبـاد بـاتت تشتكى اللهَ فـى فلـذ مـن الأكبـاد!
بـاتـوا، وأقصى همِّهِم: لـوْ أنهم شَمـوا قتـار اللحم فى الأعيـاد! [2]

---

(١) غرثان : جوعان .
(٢) قتار اللحم : رائحته المنبعثة منه عند طبخه .

العلاوة !

الأهرام ٢٤ من أبريل سنة ١٩٣٥م

قد حل مايو، فَاسْمَحِي بوصالي ... مُنِّي عليَّ، ولو بطيف خيال
يا أختَ « عرقوب »، وعدت، فأَنجزي ... يكفي جفاؤك من سنينَ طوال
في أي نجم نازح حجبوك أم ... في أيِّ سجن محكم الأقفال؟
هل أنت إلا كالغواني، طالما ... سقن الدلال على رقيق الحال؟
هيفاء، يحَظى المستشار بوصلها ... وتصد كلَّ الصد عن أمثالي
لا هُمَّ، لا أشكو لغيرك علتي ... أنقصْتَ من رزقي، وزدت عيالي!
يا رُبَّ طفل جاءني، أطعمتُه ... ما في فمي، وكسوتُه سربالي
مالي أرى أموال مصر كأنها ... بعضُ الحبوب تُكال بالمكيال؟
حتى إذا طلب الصغير حقوقه ... شكت الخزانة قلة الأموال؟
فاز السعيدُ بعمه، وبخاله ... وفقدتُ عمي في الحياة، وخالي!

الكادر!

الأهرام فى ... سنة ١٩٣٩م

أيهـا القـوم، حسبكـمْ إرهـاقَـا ... كم علينـا تضيِّقـون الخنـاقَـا!

هل تـريـدون أمـةً يئـد الـوا (م) ... لـد فيهـا أولاده إمـلاقـا؟

ويحكم! لا منـابع النيـل غـاصت ... لا ، ولا سطحُ مصرَ بـالناس ضاقا

ضغطـوا «الكـادر» الجديـد إلى أن ... لبستـهُ أعنـاقنـا أطـواقـا

اختـزال يجيء إثـر اختـزال ... من قلـوب لا تَعْـرف الإشفـاقـا

قل لمـن يَنشـد الـرقىَّ : عـزاءً ... إن دون الـرقىّ سبعًـا طبـاقًـا!

مـا كفـاكم أن العـلاوة، يـا قـو (م) ... م، أطـالـت على الجيوب الفـراقـا

كم مشينـا إلى العـلاوة حبْـوًا ... وامتطى غيـرنـا إليهـا البـراقـا

ويح مصـرٍ! أرى المـوظف فيهـا ... حُمِّل العـبءَ وحـده، فـأطـاقـا

قتَّـروا جهـدهم عليـه، وقـالـوا: ... لا تكن نـاهبًـا ، ولا سـراقـا

مـن ينجِّيـه من بنيـنَ صغـار ... وبنـات يسألنـه الإنفـاقـا؟

أيهـا البـائس المعـذب، رحمـا (م) ... ك ! دع الخلق ، واسأل الخـلاقـا

لا تخِطْ للثيـاب ـ ويحك ـ جيبا ... والـزم البيت ، واهجـر الأسـواقـا

وإذا جعت، فـامضغ الصبر! مـا أحـ (م) ... ـلاه فى ذلك الـزمـان مـذاقـا!

مـا لكـم والثيـاب؟ إن أبـاكـم (م) ... آدمًـا كـان يلبس الأوراقـا

عَلِـمَ الله ، لا أضـن ولـو أنّ (م) ... بـلادى كلَّفتنى الأحـداقَـا

غيـر أنـى على بـلادىَ أخشى ... أن أرى الجـوع دهْـورَ الأخـلاقَـا

الأمل الطائح!

مجلة « أبولو » فى ... سنة ١٩٣٢م

أيهــا الهــادى إلـى وادى الفنــاءِ أملى المعســول فـى واديك طــاحْ
شـدت في وهمىَ صرحـا من رجاءِ فـإذا صــرحىَ تــذروه الــريــاحْ

* * *

لكأنـى قمت أجتــاح الجبــالْ أو تعلَّقـتُ بأسبــــاب القمــرْ
أو طلبت النجـم فى وقـت الــزوالْ وافتقـدت الشمس فـي وقت السحرْ

* * *

لا، لعمـرى ، أنـا مـا رمتُ محــالا غيــر أنَّ النـاس فى الـدنيـا طبـاعْ
كلفتنى بسطـــة العيش ابتــذالا وأديمُ الــوجــه غــالٍ لا يبــاع

* * *

ليس أغلـى من إبـائى فـى يـديَّـا فليمـدَّ الـدهـر للبــاقى يـديـهِ
أنــا لا أطلـب غيـر القــوت شيًّـا وإذا مــا عـــزَّ لا أبكى عليـــهِ

* * *

مـــا ألـــذَّ العيشَ فى ظـل الأملْ! فاسبحى، يا نفس، فى جوِّ الخيالِ
لا تقـولى: « ليس » ، بل قـولى: «لعلّ» وتعـــالَىْ نئـــدُ اليأس، تعـــالى

* * *

الأسد السجين ! (١)

الأهرام ٢١ من يونية سنة ١٩٣٤م

أعـزِزْ علينَـا أن نـراكَ سجينَـا ! عِشْ ، يا هِـزَبْرُ ـ كما نعيش ـ حزينًا
بكَ ، يـا هزبـر ، من الإسـار كما بنا قـوسٌ رُميتَ بسهمهـا ورُمينـا
إن تشْك مـن ذلِّ الاسـار، فكلنـا أُسْـدٌ تئِنُّ مـن الإسـار أنينـا
تـركـوك تـزأر، يـا غضنفـر ، كلمـا رمتَ الـزئيـر، فليتهم تـركـونـا !
هل طاب عيشك بيننا، يا ابن الشرى ورضيتَ بـالقفص الحديد عـرينـا؟
لا طـاب عيشٌ ، يا هـزبرُ ، لنـا ، ولا لك، إن رضيت بـذلَّـةٍ ورضينـا
حُلُّـوا عن الأسـد الهصـور وثـاقَـهُ أو فـاسلبـوه إبـاءَهُ ليهـونـا
أكـذاك تُـؤويـه المـلاجىء مثلمـا تـؤوى اليتيمَ، وتكفـل المسكينـا؟
إن تُطعمـوا الـرئبـال من فضـلاتكم شهـدا، تجرَّع شهـدكم غِسلينـا (٢)
فـدعـوه يجمـع زادَه، ولَـوَ انـه يشكـو الطَّوى حينًا، ويشبع حينـا
لا يخـدعنكـم الهـزبـر بصمتـه فلعلَّ فى صدر الهـزبـر أتُـونـا (٣)
عينى تـرى شبح الحمـام ، ولا تـرى حـرًّا أبِيَّ النفس بـات مهينـا
أتكلِّفـون الأسْـدَ غَيْـرَ طبـاعهـا وتـروِّضـون جمـاحهـا لتلينـا؟
أو تحملـون علـى المـذلـة أمَّـةً عـزلاءَ تعتبـرُ الكـرامـةَ دينـا؟
حتـى تكف الأرضُ عـن دورانهـا وتحـولَ أجرام الكـواكب جُـونـا (٤)

---

(١) أنشأ الشاعـر هذه القطعة ، يناجى بهـا الأسد، فى بعض زوراته لحديقـة الحيوان بالجيزة .

(٢) الغسلين : طعام أهل النار، وهو: ما يسيل من أبدانهم، أو: ثمر شجر فى جهنم .

(٣) الأتون ـ بتشديد التاء وتخفيفها ـ : الأخدود تضرم فيه النار.

(٤) الجون : « بفتح الجيم » الأسـود والأبيض ، والمراد هنا : الأسـود، والجمع : جون بضم الجيم .

أين الصديق ؟

البلاغ الأسبوعى ٣ من يناير سنة ١٩٢٨م

أعـددتُ للخَطْب المُلِمِّ مُـواسِيَـا ... فحملتُ فـوق الخطب خطبـا ثـانيا

فـاليـوم أبسمُ للعـوادى وحـدَهـا ... والمرُّ ـ إن ذُكـر الزُّعافُ ـ حـلالِيا [1]

ولقـد أمــرُّ على ابـن آدمَ أشتهى ... لـو أنَّ فى بـرديـه ذئبًـا عـاويـا

إنى تمثَّلـتُ الفضـائَل دوحـة ... فبـدا لى الإخـلاصُ غصْنـا ذاويـا

قالـوا: المودةُ. مـا المودة ويحكم؟ ... أنـا ـ مـذ عـرفتُ النـاس ـ أجهلُ :

يـا خـاطبـا وُدَّ الأنـام، ثكلتَهم ... مـاهِيـا؟

هـذا زمـانٌ لا وفـاءَ لأهلـه ... إني بـذلـتُ المهـرَ قبلَك غـاليـا

زكاة الفطر

الأهرام فى ... سنة ١٩٤٣م

قـال لى اليـومَ بـائسـون عفـاةُ: ... أعطنـا. قلت: إن أصبتم؛ فهـاتـوا

ثقلَـتْ وطـأةُ الغـلاء؛ فحلَّت ... لكبـار المـوظَّفين الـزكـاةُ

لا تـرومـوا الـزكـاةَ منـا احتسابًـا ... نحن ـ لا أنتمُ ـ الجيـاعُ العـراةُ

---

(١) المراد بالزعاف: السم الزعاف؛ أى: السريع الفتك.

زامر الحي!

كتبت مجلة العصبة التى تصدر فى البرازيل ، سلسلة مقالات فى تحليل شعر الشاعر، تحت عنوان: « خليفة حافظ »، وفيها تقترح تلقيبه بهذا اللقب. ولما اطلع الشاعر على بعض تلك المقالات فى مجلة الرسالة ٢٥من فبراير سنة ١٩٤٠م أنشأ هذه الأبيات.

هزَّ شعرى قومًا وراءَ الوادى ... وبه ضاع نفخةً فى رمادِ [١]

علِمَ الله، ما لِمثْلِىَ ذنبٌ ... إنما الذنب: أنَّ مصرَ بلادى

بلدٌ قد سقيْته الودَّ جريا ... لاً، وصدرى به إلى الماء صاد [٢]

أين حظُّ القريض بين أناس ... زعموا أنهم حماة الضاد؟

كيف تسرى الحياةُ فى جسم شعبٍ ... روضهُ عاطلٌ من الإنشاد؟

خرست ألسن البلابل فيه ... وارتقى بومه على الأعواد!

(١) يريد بالوادى: وادى النيل.
(٢) الجريال: من أسماء الخمر.

دعابات

فجيعة في ساعة!

الرسالة ١٩ من يوليه سنة ١٩٣٧م

وساعةٍ كالسُّوار حولَ يدي ... ضاعت، فأوهى ضياعُها جلَدي!
ما زال يطوي الزمانَ عقربُها ... حتى طواها الزمانُ للأبد
ضيَّعها نجليَ الصغيرُ، وكم ... حمَّلني من خسارةٍ ولَدي
قالوا: فداءٌ له، فقلت لهم: ... كلاهما فلْذتان من كبدي
قالوا: التمس غيرها، فقلت لهم: ... وهل معي ما يقيم لي أوَدي؟ (١)
مَنْ مسعدي إن أكن على سفر ... ومن يفي لي بالوعد إن أعِد؟
التبَسَت أيامي عليَّ؛ فلا ... أفْرق ما بين السبت، والأحد
واختلَّ وقتي؛ فإن وعدتك أن ... أزورَك اليومَ، جئتُ بعد غد
كم رمتُ عدَّ الساعات مهتديًا ... بالشمس، لكنْ غلِطتُ في العدد
روَّضت نفسي على السؤال، وما ... حَمَلْتُ ذلَّ السؤال من أحد
جهْل الفتى بالزمان أهونُ من ... سؤال غير المهيمِن الصمد
أمسَتْ يدي — بعدها — معطلةً ... منظرُها في العيون كالرمَد!
فمن لعيني بحسن طلعتها ... ومن لأذْنِي بصوتها الغرد؟
كم آنسَتْ وحشتي بدقتها ... فالآن أصبحتُ شبهَ منفرد
لا غرو إن أقض حق عشرتها ... عشرتُها لي طويلة الأمد
قد لازمتْ معصمي سنينَ، إلى ... أن أصبحتُ قطعةً من الجسد
ناطقة بالصواب، إن سُئِلَتْ ... إن قلتُ: كم؟ لم تَنْقُصْ ولم تزد

---

(١) الأود: العوج. يقيم أوده؛ أي: يعدل قامته.

علـى الصـــراط الســـويِّ دائرة ... إن حـــادتِ الشمسُ عنــه، لم تحـد

أرنـــو إليهـــا إذا مشيْـتُ، وإن ... جلستُ فى مجلـس، كشفتُ يــدى

ألم تشـــاهـد ذا نعمـــة حـــدَثَت ... إذا مشى فـى ثيـــابـــه الجــــدد؟

صبـــرت صبـــرَ الكـــرام، آمل أن ... تعـــود لى ثــــانيـــا فلم تعــــد

فلــــذتُ بـــالأوليــــاء؛ علّ لهم ... ســـرًا، وإن كنت غيـــرَ معتقـــد

مَنْ ليَ بـــالعـــرافيـن أسألهـم ... عنهـا، وبـالنفاثـات فى العقـد؟ (١)

أسأت بـــالأصـــدقـــاء كلِّهمـــو ... ظنـى؛ ففَتَّشتُهـم، فلـم أجـــــد

شتـــــان بينـى وبيـنَ لاقطهــــا: ... بـــات قـــريـــرًا، وبتُّ فى كمــد

ليت الـــذى طُـــوِّقتْ بهــا يــدهُ ... فى جِيـدِه حبلٌ شُـــدَّ من مسـد! (٢)

---

(١) النفث فى العقدة: النفخ فيها، وهو: كناية عن السحر.

(٢) المسد: الليف.

مداعبة صديق (١)

الرسالة ٦ من يونيه سنة ١٩٣٨م

هـوِّنْ عليك، وجفِّفْ دمعك الغـالى لا يجمعُ الله بين الشعـــر والمـالِ!

إنَّـا لفي زمنٍ فقـدُ النقـود بـه يـدمى العيون كفقـد الصحب والآل

* * *

من أيـن أصبحتَ ذا مـال فَتُسْلَبَـه يـا أشبـهَ النـاس بى فى رقَّـة الحـال؟

فيـا لهَـا سبعـةً من جيبك انطلقت وأنت أحـوج مخلـوق لمِثْقـال!

فـريسـة من فم السنوْر سـائغـةٌ شتـان مـا بيـن سنَّـور ورئبـال!

عـوِّدْ نقـودك، واعقـدْ حـولَهـا عُقَـدًا وثيقـةً تتحـدى كلَّ حـلاَّل

* * *

قالـوا: خلتْ يدُه من كل مـا ملكت فقلت: بل رأسُـه من عقلـه خـال

لم يبق عنـدك مـا تخشى عليـه، فنمْ كمـا أنـام، قـريـرًا نـاعم البـال

نفسى فـداؤكَ! ليت اللصَّ صَـادفتى قـد يغلب اللصَّ بـالإفلاس أمثالى!

* * *

يـا ليت شعـرىَ: مـاذا أنت صَـانعـهُ أتُـزمع الصـومَ حتى شهـرِك التـالى؟

عشْ من قريضك فى ريّ، وفى شبع إن كـان ينتفع الظمـآن بـالآل

أقسمت، مـا سَلَبت تلك النقـودَ يـدٌ لكنهـا أبَقت من جيبك البـالى (٢)

الـذئبُ لا يشتهى لحم ابـنِ جلـدتِـه فكيف أوقـعَ نشَّـالٌ بنشَّـال؟

---

(١) داعب بها صديقه الشاعر (...)، وقد سلبه بعض اللصوص سبعة جنيهات.

(٢) أبق: هرب.

بيــوت الشــعراء !

الرسالة ٢٢ من أبريل سنة ١٩٤٠م

كسـوتُ النـاس خـزًا من ثنـائى ... وبتُّ مـن البلى أرفـو كسـائى

فـوا لهفى على أبيـات شعـر ... أشيِّـدهـا ولكـنْ فى الهـواء!

أأنشىء كلَّ يـوم ألفَ بيت ... وأسكن بعـد ذلك بـالكـراء؟

فلـو طـاب المقـام ببيت شعـر ... إذًا لأقمتُ فى أعلى بنـاء

إذًا لمـلأت شط النيل دُورا ... فلم تـر فيـه شبـرا من فضـاء

وآويْتُ الأرامل واليتـامى ... ولم أتـركْ شـريـدا بـالعـراء

ولم أُوقع على السكـان حَجـزا ... ولـو عَجَـزَ الجميع عن الأداء

إذًا لملكـت أحيـاءً بمصـرٍ ... تنـاطح دورُهـا هـام السمـاء

أطـوف بهنَّ دارًا بعـد دارٍ ... فصيفى هـاهنـا، وهنـا شتـائى

ولكـن لا مُقـامَ ببيت شعـر ... يطيب ، ولـو بنـاه أبـو العـلاء

ألا، من يشتـرى أبيـاتَ شعـرى ... بكـوخ شِيـدَ من طيـنٍ ومـاء؟

فليس الطيـنُ أكـرم من فـؤادى ... وليس المـاء أغلى من دمـائى

العيد والأزمة!

الأهرام ٤ من أبريل سنة ١٩٣٣م

هـــا هـــو العيــد قــد أطلّ ... مـــا تـــوارى مـن الخجلْ
حلَّ ضيفًـــا ولا قِـــرًى ... لا على الـــرّحب إذْ نَـــزل
مـــا لـــدينـــا ضَحيَّـــةٌ ... أو جـــديـــدٌ مـن الحُلـل
يـــا لعيـــدٍ مســـالِمٍ ... لـم يخـف بطشـــــه حَمَـل!
يســـرح الطيـــر آمِنًـــا ... فيـــه، والنـــاسُ فى وجـل!

***

أيهـــا العيـــد، هـل تـــرى ... كيـفَ ضـــاقت بنـــا الحيـل؟
فتِّش المـــدْنَ والقـــرى ... هل تـــرى النـاس فـى جـذَل؟
هـل تـــرى طفـــلا احتفـى ... هـل تـــرى كهـــلا احتفـل؟
أيهـــا الـــزائر، اختصـــر ... زُرْ، وفـــارق علـى عجـل
أقفـــــرَ البيـــت، واختفـى ... شبـــح السمْـــن والعســـل
وخـــلا البيـت؛ فـــالـــذى ... معـــــه درهـم بطـل

***

جل شأن «الجنيـــه»، لـــو ... لمس الجُـرحَ لا نْـدمل!
إن شكـــا الجيب علَّـــة ... فهْـــو يـأســـو من العلل
أودع الله لـــونَـــه ... حُمـــــرةً تفتن المقـل
دونهـــا حمـــرة اللَّمى ... وهـى تغـــريك بـــالقبل[1]
«أهيـف» صـــدَّ، ويحـــه! ... مـــا الـــذى ضـر لـــو وصل؟

---

(١) اللمى: سمرة فى الشفة، وحمرة اللمى: أى حمرة الشفة اللمياء.

إيــه، يـــا أزمـــةُ، اضــــربى | لـــــذوى الفطنـــــة المَثَل
أيْقظِـي كـلَّ من غفـــــــا | نبِّهــــى كـــلَّ مـــن غفـــل
أنـتِ أدَّبـتِ أنفســــــــا | خضـن فى اللهــــو والغــــزل
أنـت روَّضت أيْـــدِيًـــــا | نـــاعمــــاتٍ على العمـل
ربَّ شيـخ بقــــــريــــــة | حمـــل الفـــأس واشْتغـــل
كـم أبـى الكـــــدَّ متــــرف | عضـــه الجـــوع فـــامتثل
كـم فتًـى غـــــــره الغنـى | حـــــرَّم الله مـــــا استحـل
عــــــرف الآن ربَّـــــــه | فــــــدعـــــا الله، وابتهـل
ورأى المـــــال خـــانـــــه | مَـنْ على مـــــالـــــه اتَّكل
ذاق ذلَّ الســــــــؤال مَـــن | لـــــو رأى المـــوتَ لم يَسَـل
ضَـنَّ بــــالمـــــاء من إذا | طُلبتْ روحــــه بـــــذل
ســاعــةُ الحشــر ويحهــا! | هــل دنـت وانقضـى الأجـل؟
أم سِنُــــو يـــوسف التـى | غشيَـتْ مصــــرَ لـم تَـــزَل؟

* * *

جيـــرةَ الكعبـــة، اضــــرعـــوا | إن وقفتــم علـــى الجبـــل [1]
واســألـــوا اللطـف فى الـــذى | قـــــــدَّر الله فـى الأزل
اسألـــوا الله: هـل لمـــا | حـلَّ بـــالعـــالمين حلّ؟
اسألـــــوه، لعلـــــه | مستجيــــبٌ لمـــن ســـأل

* * *

(١) كان العيد عيدا أكبر، والمراد بالجبل: عرفات.

صاحب ثقيل

البلاغ الأسبوعى ٢١ من أبريل سنة ١٩٢٨م

لى صـــاحبٌ واف، يـزور مبكّــرا ... وتطــول زورتــه سنيـن، وأشهــرا
مــا زلت أمتــدح الــوفــاء وأهلــهُ ... حتى وفى، فــرجــوتــهُ أن يغــدرا
ويبش فى وجهـى، فأهمس قــائلا: ... سبحــان من خلق الجبال وصــورا!
حــاولت يــومًا صــرفَــه بتثــاؤبى ... فــرأيتــه فــوق الأريك مسمَّــرا
فهتفت: جد لى بالجلاء، فقال لى: ... حتى تجــود لنــا بــه (انْجِلْتَــرا)
ســاءلــت عن دمـه، فقــالــوا: زئبق ... فى كل عــرق مــن نحــاس قــد جـرى
لــو صبَّ منــه قطــرة فى جــدول ... لتجمَّــد الآذىُّ، بـل لتحجــرا (١)
وإذا أحس الجــو رقعــة وجهــه ... صيفًــا، تلبــد بــالغيــوم وأمطــرا
وإذا تحــرك فكـــه متكلمــــا ... أحسست بــركـــانًــا عليك تفجــرا
ثقلت عبــارتــه، فأصبح صمتُــه ... نغمـــا أرق من النسيم إذا ســـرى
فتشت عنــد مسيــره عـن ظلــه ... فوجدته قد غاص فى جوف الثرى (٢)
الأرض تجــذب كل شــىء فــوقهــا ... فإذا رأتـــه، حـــاولـت أن تنفــرا
لــوْ أن ثقلــة روحــه في عقلــه ... مــا كـــان إلا فيلسوفًـــا أكبــرا
ولــوَ ان خفــة عقلــه فى روحــه ... مــا كــان هــذا الـوحش إلا جــؤْذرا
عقل أخفّ من الكحـول، أخـاف إن ... مـــر النسيم عليـــه أن يتبخـــرا

---

(١) الآذى: الماء.

(٢) كناية عن ثقل ظله.

(١) فى المخبأ [١]

الأهرام ١٠ من سبتمبر سنة ١٩٤١م

أرأيتَ صُنع محمدٍ ... فى مخبأ بالناس حافلْ؟
سمع الصفير مدوِّيا ... فتفككت منه المفاصل
ما كان أشجعهُ ؛ فقد ... لاقى « القنابل » « بالقنابل »! [٢]
وَوَهتْ عزيمته فأفـ ... (م) ـلت يابسٌ منه وسائل
ويحى على رفقائه ... من قاتلٍ هربوا لقاتل

---

(١) أنشئت هذه القطعة؛ مداعبة لصديق أغمى عليه فى المخبأ، عند أول غارة جوية حدثت بمدينة الاسكندرية، ولما نشرتها بعض الصحف، انتقم هذا الصديق لنفسه من الشاعر، فجمع فيلقا من الأصدقاء وأغار عليه فى بلدته: « مليج »، وعند عودته شيعه الشاعر بالأبيات رقم ٢ .

(٢) أصل القنابل: جماعة الخيل، ثم استعملت حديثا فى المقذوفات النارية المعروفة. والقنابل الأولى فى البيت: حقيقية ، والثانية : كناية لا تخفى .

(٢) فى المخبأ

الأهرام ١٠ من سبتمبر سنة ١٩٤١م

قــل للمغيــــر علــى القـــــرى : مــــــاذا تــــركت لهتلـــــرا؟
لله درك فقــت عمْــــــــــــــــ (م) ـــرًا في الفتـــوح، وجــوهـــرا! [1]
يهنيـكَ! صـــرتَ مـن الكمــــا (م) ة، وكنــــت أجبـــنَ مــــن أرى!
مــــا بــــال قـطٍّ الثغـــر أصــــ (م) ــــبح فى « مليجَ » غضنفــــرا؟
ليـس الغضنفـــــر مـن أغــــا (م) ر على الـــــدجــــاج محمَّــــرا
أحسبتَ نــــابكَ صــــارمـــا وطيــــورَ بيتـى عسكــــــرا؟
أنت ابـنُ عِــــزِيـن، يــــا محمــــ (م) ــــد فى الـــوغى ، لا ابن الشَّـــرى

(١) يريد: عمر بن العاص، وجوهرا الصقلى؛ فاتحى مصر.

أم علي

الأهرام في ... سنة ١٩٤٢م

اشتهر الأستاذ نجيب بك حتاتة - رئيس جماعة دار العلوم - بصنع الحلوى المعروفة بأم علي، فاقترح الأستاذ علي السباعي - سكرتير الجماعة - على سعادته إقامة مأدبة من هذا الصنف؛ فضم الشاعر صوته إليه وأنشد هذين البيتين:

قل لنجيبٍ: يا أميرَ الندى ... ويا شبيهَ البدر في تمِّهِ:
أدرك عليًّا، إنه مغرمٌ ... زاد به الشوقُ إلى أمِّهِ

(١) إكرام الضيف

الأهرام ١١ من يولية ١٩٣٨م

نشر الأستاذ محمد الأسمر الشاعر المعروف - وهو صديق الشاعر - كلمة في الأهرام، زجر بها الضيوف الذين يقلقون راحة الناس، واقترح على كل ذي بيت أن يكتب على باب بيته قول الأستاذ محمد الهراوي:

إن في الفندُق مأوا (م) ك وفي السوق غذاءَكْ
ليسَ ذنباً لأناسٍ ... أن يكونوا أقرباءك

وقد داعب الشاعر صديقه الأسمر بالأبيات التالية، ردا عليه :

* * *

صُمْ إذا مــا الضيف جــاءَكْ   وامنح الضيفَ عشــاءَك

واجعل الصُّــوف غِطــاء الضــ (م) ــيف، والسقفَ غِطــاءك

لا تصُنْ زادك فى الشِّعـــ (م) ــرى، وفى المــريخ مــاءك [1]

لا تكن كـــزًّا شحيحًـــا   يكـــره الله لقـــاءك

رُبَّ جـــودٍ جـــدتَـــهُ كـــا (م) ن من الـــذمِّ وقـــاءَك

أنـت إن لـم تشْـخُ مثـلَ الْـــ (م) ـعُـــرْبِ، أنكـــرنـــا إخـــاءك

وشكَكْنـــا فيك، يـــا صـــا (م) حِ، وحلَّلْنـــا دمـــاءك

لا أواكَ البيـتُ، والفُنـــ (م) ـــدُق يأوى أقـــربـــاءك

فيـم يخشى فقـــدَكَ النـــا (م) سُ ويـــرجـــون بقـــاءك؟

إن يَهُـنْ عنـــدك ضيفٌ   يكـنِ الهَـــوْن جـــزاءك

فـــدَع الحـــرص ،وإلا   عجِّـلَ الحـــرص فنـــاءك

إنمـــا يُفقـــركَ الحـــر (م) صُ، ويُغنـــى ورثـــاءك

رُبَّ يـــومِ أنـتَ فيـــه   تـــاركُ المـــالِ وراءك

* * *

يـــا صـــديقى قـــد فحصنـــا (م) ك، فكـــان البخـلُ داءك

خـــذ نقيع الجـــود، واشـــر (م) بـــه، تجـــدْ فيـــه دواءك

أنـت بـــالبخـل مـــريضٌ   نســأَلُ الله شفـــاءك

كنـتَ بـــالأمـس سخيًّـــا   رحـم الله سخـــاءك

ابكِ مـــا شئتَ عليـــه   أجمـلَ الله عـــزاءك

---

(١) الشعرى والمريخ : كوكبان معروفان .

(٢) إكرام الضيف

الأهرام فى ٢٠ من يولية ١٩٣٨م

قرأ الأستاذ الأسمر أبيات الشاعر ، فرد عليه فى الأهرام بتاريخ ١٧/ ٧/ ١٩٣٨م بأبيات منها :

يـا صـديقى أنتَ فى شعـــ ـــــرك لـم تلبَسْ رداءَكْ
يـا كـريم العصـر، مـا أجمـ (م) ـمَلَ في الجـود ادعـاءك!
شَـدَّ مـا أتعبت شيطـا (م) نَ قـوافيـك وراءك!
قـد عـرفنـاك صغيـرا وتبينَّـا سخـاءك
فـاحمـد الله على السَّتْـ (م) ـر ،ولا تكشف غطـاءك
لا أطيل القـول أنت الـ (م) ـيوم أصبحت سـواءك
صـرت محمـودًا جـديـدًا بعـد مـا داويت داءك
فـأطـال الله للجـو (م) د الكـلامىِّ بقـاءك

فأجابه الشاعر بتلك الأبيات :

* * *

أيُّهـا المنكـرُ جـودى رحـم الله حيـاءَكْ
أنـا ،لـولا أن يقـولـوا: مَنَّ، أظهـرتُ افتـراءك
هـل تنـاسَيْتَ سخـائى وتنـاسيت ثنـاءك؟
كـم نظمتَ الشعـر فى مـد (م) حى، فأجـزلتُ عطـاءك
وعلى جـودىَ بعـد اللـ (م) ـه علَّقتَ رجـاءك
أنـت مـن يـوم بعـادى عنـك لـم تمـلأ وعـاءك

عـــرف الـــرفَـــاءُ، يـــا أســـ (م) ـــمُر، من بعـــدى كســـاءك

وعجيـب منـك أن تهـــ (م) ـــدمَ مَنْ أعلـى بنـــاءك

رُبَّ شخـص أنـت أحسنـــ (م) ـــت إليـــه فأســـاءك

* * *

صـــاح تُبْ، أمنَحْـك عفـــوى وادعُنـى، أقْبـلْ دعـــاءك

وإذَا شئـت، فكـن ضيـــ (م) ـــفى، وقُـــدْ جيشًـــا وراءك

تجـــد المنَّ شـــرابًـــا (م) لك، والسلـــوى غـــذاءك [1]

فتعلَّـم مِنِّـىَ الجـــو دَ، وعلِّـم أقـــربـــاءك

لستَ بـــالمصـــرىِّ، أو تُعـــ (م) ـــلنَ للنـــاس سخـــاءك

(1) المن: من معانيه العسل. والسلوى: طائر شهى.

هجاء واستغفار!!

مجلة مسامرات الجيب ٩/ ١٢/ ١٩٤٥م

أقام معالى: إبراهيم دسوقى أباظة باشا مأدبة، فاته أن يدعو إليها الشاعر ـ على ما بينهما من صلة ـ فكتب إليه يداعبه:

أأَمنحُ إبـــراهيمَ أشهى قصـــائدى ... وغيـــرى إلى أشهى مـوائده يُـدعَى؟
لَعَمْـــرىَ، مـا تلك الإهـــانـةُ بـــالتى ... يكفِّـــرهـــا عنـــدى قطيعٌ ولا مـــرعى
ومـا حيلتـى فى هجـو أروعَ مـاجـدٍ ... إذا عبتُـــهُ لـم ألق قـــولا ولا سمعـــا
سأنعـت إبــــراهيمَ بــــالبخل مـــرَّةً ... وأستغفـر الـرحمنَ من بعدهـا سبعـا

ولما اطلع معالـى الوزير على تلك الأبيات، بـادر بإقامة مأدبة كـان الشاعر فى مقدمة المدعوينم إليها، وبعد الانصراف كتب إليه:

قل للـوزيـر: بـــدأتُ فى استغفـارى ... ممـــا جنَيتُ، ومـــا جنَتْ أشعـــارى
إنى قـــد استغفـــرتُ ربِّى مـــرةً ... فـــإذا سمحتَ، سمحتُ بـــالتَّكـــرار
عجِّلْ ـ فـديتُك ــ بـالبقيَّـة، إن بى ... شـــوقًـــا إلى التكفيـــر عن أوزارى
سَبعٌ بسبعٍ ، لا أحيـفُ وإنمـــــــا ... خلقى العـدالـةُ، والـوفـاء شِعـارى

الردنجوت

مسامرات الجيب ... سنة ١٩٤٥م

دُعِى الشاعر فى حفلة رسمية ، فذهب إليها بملابسه العادية ، فلما رآه معالى دسوقى باشا ـ وهى الداعى ـ سأله عن « الردنجوت » فقال :

« الردنجوتُ »، يا جناب الوزير ... ليس يقوى عليه جيبُ الفقيرِ

رمتُ أن أستعيره مثل « ناجى » ... ثم أحجمتُ خوفَ منِّ المعيرِ

كم رأيتُ القصيرَ فوق طويل ... ورأيتُ الطويلَ فوق قصير

لستُ أرضى بثوبِ غيرى ، وإن هُم ... نسجوه من سُندُسٍ وحرير

ولما اطلع الأستاذ الشاعر : إبراهيم ناجى على تلك الأبيات ، أجابه مداعبًا بقصيدة طويلة جاء فيها :

***

وأقسم ، لو أن « الردنجوتَ » نِلتَهُ ... وجاد له من جاد قهرًا وسلَّفا

لقلَّبتَهُ ظهرًا لبطن ، تحيُّرًا ... به ، تحسَبنَّ الوجهَ ـ من عَبَطٍ ـ قفا

فأجابه الشاعر بقوله :

لنا طبيبٌ يداوى الناس إن مرضوا ... بالفصل ما بين أرواح ، وأبدانِ

ومن تجرَّع كأس الموت من يده ... فلن يمرَّ على جنات رضوان

ردَّ « الردنجوتَ » موبوءًا لصاحبه ... فلم يطهِّره محلول السليمانى

بديهة وزير

أقام معالى : دسوقى باشا أباظة بمناسبة نجاة جلالة الملك فاروق ـ حفظه الله ـ من حادث القصاصين ، حفلة تبارى فيها الشعراء فى الاشادة بمآثر جلالته ، بقرية القصاصين سنة ١٩٤٥م ، وبعد الانتهاء من الحفلة تناول الأستاذ العوضى الوكيل الشاعر ورقة ، وكتب فيها مداعبا :

* * *

أَلا قلْ للـدسـوقىِّ المفـدَّى ... ومن تحيـا لـديـه الأمنيَـاتُ :

تبـارْينـا مبـاراةً عُجـابًـا ... وأبـدعنـا . فأين الجـائزات؟

ثم دفع بالورقة إلى الدكتور إبراهيم ناجى ، فكتب ما يلى :

بنـوك ، أيتـركـون بـلا هبـاتِ؟ ... جـزيلُ الشعـر أَجدرُ بـالتفـاتِ

أَجـزهُم ، واجـز خيـرهمو بخيـرِ ... فـإنكَ ـ فى الحمى ـ خيـر الحُمَـاة

ثم دفع بالورقة إلى الشاعر فكتب ما يلى :

رضـا الفـاروق مـن دنيـاىَ حسبى ... وعطفُ وزيـره خيـر الصِّـلاتِ

قنـاعـة بـائسٍ ، وعفـافُ عـافِ ... ومـا أَحلى العفـافَ من العُفـاة

ثم رفعت الورقة إلى معاليه فكتب ما يلى :

يـا رعى الله « غنيمـا » ... فهـو خيـرُ الحـاكمينْ

قـد عهـدنـاه عفيفًـا ... مخلصـا فـى كـل حين

فلما أعيدت الورقة إلى الشاعر كتب ما يلي :

شعــــراءُ مصـــرَ رعيَّـــةٌ ... وأنـــا لــــدولتهم أميـــرْ
مـــدحـــوا الـــوزيـــرَ، وإنمـــا ... بـــالِ شعـــر يمـــدحنى الـــوزيـــرْ
أقسمـت، مـــا بلـغ الفـــرز (م) دق مـــا بلغتُ ولا جـــريـــرْ

« جحا » وقريبه

استمع الشاعر إلى محاضرة ممتعة ، ألقاها صديقه الأديب الكبير: كامل الكيلانى ، عن فلسفة جحا ؛ فعقب على تلك المحاضرة بالأبيات التالية :

إنى حسبتُ « جحـا » مجـانة مـاجنٍ ... فـإذا بـــه رجـلٌ جليل الشـــانِ
هـو فيلسـوفٌ، قـام ينشـر فضلـه ... بين البـــريـــة فيلســـوفٌ ثـــان
مـا زال يطـريـه، ويُعلى قـدرَه ... متحـــدِّثـــا عنـــه بكل لســـان
حتى حسبتُ جحـا ابنَ سينا عصرِه ... أو من أقـارب « كـامل الكيـلانى »

أشتات

إلى القمر

يقولون: إن ترويض الذرة سيمكن من ارتياد الكواكب.

مجلة الكتاب، أول مارس سنة ١٩٤٦م

لنـــا فى الجـــوِّ أجنحـــةٌ تطيـــرُ | فتفـــزع عنـــد رؤيتهـــا النســـورُ
قـد اجتَـزْنـا الهـواءَ، فليتَ شعرى: | أيحملنـــا إلى الفَلَـك الأثيـــر؟ (١)
كأنى بـالـزمـان وقـد دنـا مِن | يـد المتنـاوِلِ القمـرُ المنيـر
وصـار الكـوكبـان على اتصـالٍ | لكُلٍّ عنـد صـاحبـه سفيـر

* * *

تُـرى: هل فيـه سكَّـان؟ وهل هم | أُنـاسٌ أم مـلائكـة وحـور؟
وهل ينمـو بـه زرعٌ، وضـرع | وتسجع فـى خمـائلـه الطيـور؟
وهل يجـرى بـه مِلحٌ أجـاجٌ | من الآذىِّ أم عـذب نميـر؟ (٢)
وهل فـى جـوه غيـم، وصحـو | وحـرٌّ لافح، أو زمهـريـر؟
وهل فـى أهلـه شـرهٌ، وشـرٌّ | كأهل الأرض أم كـرم، وخِيـر؟ (٣)
وهـل لحيـاتهم أجـلٌ مُسَمَّـى | ومـوت بعـد ذلك أو نشـور؟

* * *

سليلَ الأرض، مـالك غيـرَ بَـرٍّ | بأمِّـك لا تُـزار، ولا تـزور؟ (٤)

---

(١) الأثير: الطبقة التى افترضها العلماء فاصلة بين الطبقة الهوائية والأجرام السماوية.

(٢) الآذى: الماء. والنمير: الزاكى.

(٣) الخير «بكسر الخاء»: له معان: منها: الشرف والجود.

(٤) القمر: منفصل عن الأرض، ويدور حولها؛ فهو سلسيلها.

أيكفى الأرضَ نَــورُكَ مــن بعيــدٍ	وأنَّك حــولهـــا أبـــدًا تـــدور؟
وهل فــى شــرعـــة الأنصـــاف ألا	تُلِمَّ، وبيننــــا أمَـــدٌ قصيــــر؟
أتأنـس بـــالضيـــوف إذا ألمُّـــوا	بســاحِكَ أم يــزيـــد بك النفــور؟
ألاَ خفَّفتَ عــبء الأرض هَـــوْنًـــا	فأمُّـك آدَهـــا النسـل الكثيــر؟ (١)

* * *

أرى أرضًـــا تضيق بســاكينهــا	وبحـــرًا كلُّــه سفُنٌ تمـــور (٢)
فقـل للفـــاتحيـن إذا أغــــاروا	على الأفـــلاك: إن شئتم أغيـــروا
وخلــوا النــار نــاحيـــةً وصـولـوا	بنـــور العلـم، إنَّ العلـم نـــور
لكم فـى رقعـــة القمـــر اتســاعٌ	وفي استئنـــاســـه مُلْك كبيـــر
منـــاجمُ لــم تصل أيـــدٍ إليهـــا	ومـــاء لم تَنـلْ منـــه الثغـــور
وأرض لم تطـأ قـــدمٌ حصـــاهـــا	وجـــوٌّ لـم يـــدنِّسْـه الـــزفيـــر
هنـالك يكتسى العـارى، ويَــرْوى	بـــه الصـادى، ويستغنى الفقيـــر

* * *

أمـــانٍ كنَّ أحـــلامَ الأوالـى	فهل يــأتى بهـــا الـــزمنُ الأخيـــر؟
تعـــــالى الله! إن العلـم أمسى	وليس أمـــامَـــه أمـــرٌ عسيـــر

(١) هونا: قليلا. وآدها: أثقلها.
(٢) من معانى المور: الاضطراب.

العلم والتاج (١)

الأهرام ٨ من فبراير سنة ١٩٣٤م

فَاروقُ، يــا ربَّ اليـد البيضــاءِ ... يــا خيــرَ بنّــاءٍ لخيــر بنــاءِ

حيَّتْك جــامعةٌ وضعـتَ أساسهـا ... ومنَحتهــا اسمَك زينـةَ الأسمــاء

العلم قــد أهـدى قـلادتــه إلى ... مَن ذاتُـــه جلَّـتْ عن الإهــداء

يـزهــو بنـور العلم تـاجُك، مثلمَا ... يـزهــو بنـور جبينك الــوضّـاء

من ذا الــذى رَفعِ العلـوم مكــانـةً ... حتى تُتــوِّج هــامــة الجــوزاء؟

إنــا عهــدنــا المُلكَ يبسـط كفـه ... للعلم قبـل اليــوم بـــالاعطـــاء

مِن معجزاتك ــ يا زمانَ النور ـ: أَنْ ... نــال الملــوكُ جــوائز العلمــاء

طموح

الرسالة ٢٦ من أغسطس سنة ١٩٣٥م

خليلىَّ، هل للمجد حــدٌّ، فأنتهى ... إليـه؟ لقـد طــال العُبـورُ، ولم أُرسِ

مــآربُ تتــرى، كلمــا نلت مأربًــا ... تنــازُعنى عنــه إلى غيــره نفسى (٢)

فـلا النفسُ إن أبلغُ تقف عند غـايـةٍ ... ولا هَى إن أُخفقْ تُــرخِنِىَ بــاليأس

كـذلك أشقَى مـا حييتُ ،فـإن أمتْ ... فياليت شعرى: ما ورائىَ فى رمسى؟

---

(١) أهدت جامعة فاورق إلى جلالة الملك: الدكتوراه الفخرية.

(٢) تترى: متوالية، أصلها: وترى.

رحلات عزام [1]

الأهرام ١٨ من مارس سنة ١٩٤٠م

نظمتَ البـلاد، فكـانـت كتـابـا ... فسـافـرَ من لا يُحثُّ الـرِّكـابـا [2]

نجـوبُ البسيطـة ركنًـا، فـركنًـا ... إذا مـا تلـونـاه بـابًـا، فبـابـا

كـأنى غـداةَ أطـالـع فيـه ... أشُقُّ الـوِهـاد، وأعلـو الهضـابـا [3]

فأمسحُ مـاءَ الجبين، وأنفـ (م) ـض من فضلات الغبـار الثيـابـا

ربـوعٌ تلـوح وراءَ حـروفٍ ... تـريك مـآذنهـا والقبـابـا

تكـاد تظن الحـروف رسـومـا ... وتَحْسَبُ حسن البيـان خضـابـا

❊❊❊

لك الله من « سِنْـدِبَادٍ » حـديثٍ ... يسوق إلينـا الحـديث العُجـابـا [4]

أرى السِّنـدبـادَ بـوادى الخيـالِ ... يهيمُ، وتنقـلُ أنتَ الصـوابـا

تسـوق الحقيقـة فى روعـةٍ ... وتـرمى القشـورَ، وتَـروى اللبـابـا

❊❊❊

لَكَ اللهُ رحَّـالـةً يـذرع الأر (م) ضَ أمضى من النيِّرات شهـابـا! [5]

يـدور بهـا دَورانَ النجـومِ ... كأن لـه فى النجـوم انتسـابـا

هُمَـام يَعـدُّ جميع البـلادِ ... ديـارًا، وكلَّ الأنـام صِحـابـا

---

(١) أهـدى الدكتـور : عبـد الـوهاب عـزام نسخـة من كتاب : « رحـلات عـزام » إلى الشاعر؛ فكتب إليه هذه الأبيات.

(٢) أحث : أسرع.

(٣) الوهاد : المنخفضات. والهضبات : المرتفعات.

(٤) السندباد : رحالة « ألف ليلة وليلة » المشهور.

(٥) يذرع الأرض : يقيسها بالذراع.

لــــه كـلَّ يــــوم حيـــاةٌ تمــرُّ وعُمــرٌ طـويـل يفـوق الحسـابـا

ويلبس بُــردَ الشبــاب قشيبّــا إذا خلع الجـامـدون الشبـابـا

ألا رافقتـك الســلامـــة أنَّـى ذهبت ، وأنـى نـويت الإيـابـا

لقـد كنت فى الشـرق عنوان مصـرٍ فطـابت بـذلك نفسًـا وطـابـا! [1]

قيس ولبنى [2]

الأهرام ١٧ من مايو سنة ١٩٤٤م

جلـوتَ للضـاد فى زاهٍ مـن الحُللِ خريـدةً من بنـات الأعصر الأولِ [3]

بعثت قيسًـا ولبنـى، يخطـران على أرض الجـزيـرة بيـن الشـاء والابل

كـانـا أحـاديثَ لـلأسمـاع فـاتِنـةً فأصبحـا فتنـةَ الأسمـاع والمقل [4]

روايـــة لم ينل قيسٌ بطـولتهـا بل أظهـرتْكَ لنـا فى صـورة البطل

لـو لم تنُصَّ على المأثـور عنه، لمـا فـرَّقتُ بينكمـا فـى رقـة الغـزل [5]

عبـارةٌ كـرضـاب الغيـد سـائغـة فى منطق كقـوام الغيـد معتـدل

مـا لا تُصـوِّره الألـوان زاهيـةً صوَّرتـه أنت فى: «مستفعلنْ فَعل» [6]

علَّمتَ مَن جحـدوا بـالضـاد أن لهـا فنًّـا دعـائمُـه أرسى مـن الجبل

---

(١) فاعل «طابت»: ضمير الشرق، على طريق اللف والنشر المشوش.

(٢) أهدى الشاعـر: عزيز باشـا أباظة نسخة من رواية: «قيـس و لبنى» إلى الشاعر؛ فأنشأ هذه الأبيات.

(٣) الخريدة: البكر: أو ذات الخفر.

(٤) المقل: العيون. يريد أننا بعد مجرد السماع، صرنا نسمع ونرى على المسرح.

(٥) فى الرواية بعض أبيات لقيس، منصوص عليها.

(٦) كنى بقوله: «مستفعلن فعل» عن الشعر.

يَهنيك مجـدُك! ظـلُّ الحكم منتقلٌ لكنَّ للشعـر ظــلا غيـرَ منتقل
أسـاورُ الغيدِمِن مـاسٍ، ولستُ أرى مثلَ اليـراع سـوارًا فى يـد الـرجل

الملاح التائه ! (١)

بعثـتَ بمــــلاَّحك التـــائِهِ وطـــوَّقْتَ جيـــدى بـإهْــــدَائه
ولكنَّـــه تـــاهَ فى ظلمـــاتِ الــــ (م) محيـط، وضَـلَّ بِـأحَشـــــائه
ألا مــا لشعـرك فـى البحـر تـاهَ وشعــــرُك أعمـقُ مـن مــــائه؟
كـأنى بــه ضـلَّ بين الـــلآلـى فــــلألاؤهــــا مثـلُ لألائه
لـــه الله! كيف اهتـــدى للجميعِ وأخطـأ أشــــوقَ قُـــرّائه؟
تُــرى: هـل ألحَّ عليـــه الحيـاءُ فأعـــرض خشيـــةَ إطــرائه؟
لعمـرُك ، مـا تـاه تيـهَ الضـلالِ متـى ضـلَّ نجـم بعليـــائه؟
ولكنـــه تـــاهَ تيـــه الـــدلالِ وقـــام الجمـــالُ بــــإغـــرائه

---

(١) أهدى الشاعـر : على محمود طه نسختين من ديوانه : « المـلاح التائه » ، واحدة بعد الأخرى إلى الشاعر ؛ فضاعت كلتاهما بالبريد ، فكتب إليه هذه الأبيات .

منصب زائف (١)

وما ســرَّنى التفتيشُ حيـنَ وَلِيتُــه ولا أنــا ــ إن ولَّى ــ عليـه بـآسف

لقـد خلتُـهُ يغنى عيــالى من الطـوى فكــان كمضـروبٍ من النقــد زائف

وَزارةُ مهضــــومين، ليس بقـــابضٍ فتًى يــرتقى فيهــا، وليس بصــارف

إذا قيل: منسيُّــون، فتشتُ عنهمــو فلم ألقهــم إلا رجــال المعـــارف

(١) أنشأها عندما عين مفتشا، سنة ١٩٤٣م.

دواوين [١]

دواوينُ شِيدتْ للكرى والتَّثاؤُبِ ... لحا الله أصنامًا وراءَ المكاتب

إذا أَمَّهم ذو حاجةٍ لقضائها ... فأقربُ منها نيلُ بعض الكواكب [٢]

هنا الوقت يمضى بين: لهو، وغفلةٍ ... وتسويف مطلوبٍ، وإلحاح طالب

وكم سلِمتْ أجسامهم، فتمارضوا ... وراغوا من الأعمال روْغَ الثعالب [٣]

وكم رُمِىَ الحرُّ الكريم لديهمو ... بغلظة ساعٍ، أو فظاظة حاجب

نعامٌ إذا هم أبصروا رؤساءهم ... سباعٌ على الجمهور حُمْرُ المخالب

وما حلموا فى النوم إلا برتبةٍ ... تُساقُ إليهم، أو زيادةِ راتب

ومن زار منهم كاتبًا، خال أنه ... بحضرة « شاه »، لا بحضرة كاتب

إذا خاطب الزُّوَّار، صعَّر خدَّه ... وأوما برأس، أو أشار بحاجب [٤]

ولو فتشوا عما حوته جيوبُهُ ... لما اغترَّ مغترٌّ بتلك المناصب

---

(١) قطعة مستقلة من رواية: « الجاه المستعار »؛ وهى رواية شعرية ألفها الشاعر، واشترت وزارة المعارف حق تأليفها منه.

(٢) أمهم: قصدهم.

(٣) راغ: مال وحاد.

(٤) صعر خده: أماله كبرا.

حفل المولد

شـاهـدتُ حفل المـولـدِ وهتفت بـاسم السيـد [1]

ولثمت تـربَتَـهُ كمـا لثمـوا، وإن لم أعتـد

ومـلأت من بـركـاتـه رحلى، وإنَ صِفـرت يـدى

هـل كنتُ إلا قطـرةً فى لجّ بحـر مـزبـد؟ [2]

مـا بين أقـوام، إذا نفـدِ الحصى لم تنفَـد

إن حـاد قـومى حـدتُ أو رُزقـوا الهـدايـة، أهتـد

***

لهْفى على بلـدٍ بعـا دات الجـدود مقيَّـد!

جـرت الشعـوبُ، ولم يـزل بمكـانـه كـالمقعـد

إن قـاد بعضُ المصلحيـ (م) ـن زمـامـه، لم ينقـد

وإذا دعتْـه عمـامـة خضـراءُ، لم يتـردَّد

بـاسم الصـلاح يشـوِّهـو (م) ن جمـال ديـن محمـد

مـا كل سيِّـال اللعـا (م) ب من الثقـاة الـزهـد

هم قـدَّسـوا البـدوىَّ تقـ (م) ـديس المسيح وأحمـد

كـم لائذ عنـد الخطـو (م) ب بـه، وكـم مستنجـد!

هـبْ أحمـدًا قطبًـا يغـو (م) ص بـرجلـه فى الجلمـد

---

(١) يقصد: السيد البدوى

(٢) أزبد البحر: علاء الزبد، كناية عن فيضانه.

أو آيـــــةً فـى علمــــــه وذكـــــائه المتـــــوقـــــد

أو غـــازيًـــا فتح الممـــا لـك عنــــوةً بمهنــــد

أو ثـــالثَ الحسَنيْنِ فى الـــــ (م) ــــقُربَى وطيب المحتِـــد

أنكـــرَم الأبطـــال بـــالــــ (م) تَّهـــريج حـــولَ المسجـــد؟

إن المـــوالــــدَ مـــرتـعٌ خصـبٌ لكـلِّ معــــربـــد

بين شاعرين

المصرى ٢٩ من فبراير سنة ١٩٤٢م

قرأ الأستاذ الشاعر : محمد مصطفى الماحى قصيدة : « آيات الـولاء » التائية، التى نشرت بالمصرى فـى : ١٣/ ٢/ ١٩٤٢م، فبعث إلى الشاعـر بأبيات تقـدير منها :

لله شعـرك، يـــا « غنيم » ، غنيمـــةً للضـــاد. أنـت رفعت من رايـــاتـــه

أكـــرم بـــه شعــــرًا تألق نــــوره أَلَقًا وبات الدهر بعضَ رُواته! ... إلخ

فأجابه الشاعر بقوله :

أمسى، يفيـضُ علىّ من نفثـــاتـــهِ قلمٌ بحـــورُ الشعــر من قَطَـــراتِـــهِ

أقسمتُ ، مـــا أطـريتَ إلا شـــاعـرًا إعجـــابُـــهُ بك من أخصِّ صفـــاتـــه

مـــا أنت « بـالمـــاحى » وشعـرُك ثـروة درُّ البحـــار يغـــار مـن أبيـــاتـــه

مـا ضـــاع شعرىَ؛ حسبُ شعـرىَ أنه أمسى يـــوثِّـق بيننــــا بصِـــلاتـــه

في الحجاب (١)

قل لطَـــهَ: يـــا كـــوكبَ الآدابِ طال رصْـدى، وأنت خلفَ السحابِ
مـا حـوى الأفْقُ مثل بـرجك بـرجًـا شـــائك السُّـــور ، محكمَ الأبـــواب
إن زواك الحجـــابُ عنى، فكـم فى جنْح ليل شـــافهتَنى بـــالخطـــاب
أنـــا ألقـــاك من قـــديـم على ضـــو (م) ء ســراجـى، وفى سطــور كتـــابى
احتجبْ كيف شئت، يـأيهـا الكـــو (م) كـــب ،إلا عن أعيـن الطـــــلاب

بياض الرغيف

خلَعَ الـــرغيفُ اليـــوم ثـوبَ حـــدادِهِ فليهنأ الشعـبُ الكـــريـم بـــزاده
عجبى عليـــه كأن مـــوسى دسَّـــهُ فى جيبـــه؛ فـــابيـضَّ بعـد ســواده!

---

(١) أراد الشاعـر مقابلة سعادة الـدكتور: طه حسين بك ، فطال انتظـاره، فبعث إليه بهذه الأبيات.

الفــــلاح

الاهرام ٢٣ من يناير سنة ١٩٤٢م

شـــاهــدتُ لـــؤلـــؤةً كـــالبــرقَ تـأتَلِقُ
علـى جبينِ أميـــرِ ســـار مُخْتـــالا !
فقلت: مـــا أنـت؟ قـــالت: إننـى عـــرقٌ
من جبهـــة الـــزارع المسكين قَـــدْســـالا !
النـــاسُ تَنْعمُ، والفـــلاّح يَحْتـــرِقُ
وليس يحـــرز: لا جـــاهـــا ولا مـــالا !
امتصَّـــهُ النـــاس حتى مـــا بـــه رمَقُ
كـأنَّـــهُ صب لـــلإيثـــار تمثـــالا

رجـــولة

الأهرام فى ... سنة ١٩٤١م

عجبتُ لمن تَنصَّل من مقـــالٍ — وكـــان بـــوسعـــه ألا يقـــولَـــهْ!
وقـــالـــوا: كيف قـــال بمـلء فيـــه — وأنكـر؟ قلت: نقصٌ فـى الـرجـولـهْ
أرى فى مصـــرَ أبطـــالا تـــولىّ — إذا قيل: ادفعـــوا ثمن البطـــولـــهْ

المطـــر

الرسالة ٦ من فبراير سنة ١٩٣٩م

بـــدت الأرضُ مـــرة فى الشتـــاءِ ثَـــرَّةً مثل صفحـــة الـــدأمـــاء [١]

فسألـــت الغمـــام: هل بـــك خطبٌ مثلُ خطبى حتى بكيتَ بكـــائى؟

قـــال: لا ،بل دنستم الأرض بِـــالإثْـــ (م) مِ، فطهـــرَّتُ وجههـــا بـــالمـــاء

الغـــرب

الرسالة ٦ من فبراير سنة ١٩٣٩م

قلت للشمس: يـــا عـــروسَ السمـــاءِ إنمـــا تغـــرُبيـــن فى عين مـــاءِ [٢]

فلمـــاذا لمحت وجهَك إذ أشـــ (م) ـــرق مثلَ العقيقـــة الحمـــراءِ؟

قالت الشمس: إننى طفْتُ حـــولَ الـْ (م) غَـــرْبِ، والغـــربُ ســـابحٌ في الـــدمـــاء

---

(١) العين الثرة: السيالة، والدأماء: البحر.

(٢) يشيـــر إلى قـــوله تعـــالى: ﴿حتى إذا بلـــغ مغرب الشمس وجـــدهـــا تغـــرب في عين حمئة﴾.

السعادة

الرسالة ٦ من فبراير سنة ١٩٣٩م

لم أدرِ مـا كنْـهُ السعـادة فـى الصبـا ... فإذا بهـا مـوفـورةٌ أسبـابُهـا

حتـى إذا أصبحتُ أُدْرك كنههـا ... سَلَبَ السعـادةَ من يـدى سـلاَّبهـا

ديك الصباح

قلتُ، يومـا، للديك ساعةَ صـاحا: ... هل تغنِّى لنـا نشيـد الصبـاحِ؟

قـال: لا، بل نَعيْـتُ يـومـا راحـا ... ومحـاه مِن صفحـة العمـر مـاحِ

الذئب

قلت للـذئب: أنت وحشٌ ضـارِ ... قـال: أظفـارُكم شَـأَتْ أظفـارى (١)

أفعـارٌ أن يقنصَ الـذئبُ سخَـلا ... واقتنـاصُ البعيـر ليس بعـار؟ (٢)

أفــزَعَ المـرءُ كـلَّ شـاءٍ وإبْل ... وأخـافَ الطيـور فى الأوكـار

استغـاث العُقـابُ فى الجـوِّ منـه ... واتَّقى النـونُ شـرَّه فى البحـار (٣)

ولخيـرٌ للشـاة: مِخلَبُ ذئبٍ ... من شفـار المُـدَى، وشَىِّ النـار

---

(١) شآه: سبقه.

(٢) السخل: ولد الشاة.

(٣) النون: الحوت.

المصور الشمسى

شاهدتُ حاكية تأتى على الصورِ ... كأنما يتحدَّى رسْمها القَدَرا
فقلتُ : خَلْقٌ بلا سمع ولا بصرِ ... لينفُخ المرءُ فيها الرُّوح إن قَدَرا

الضفدعة المغرورة

من أقاصيص لافونتين

ثورٌ من الثيران كان يَرتَعُ ... حولَ غدير نقَّ فيه الضِّفدعُ
فأكبَرَ الضفدعُ منه شكلَهُ ... وقال: ليتنى أكونُ مثلَهُ!
فانطلقت صفدَعةٌ تقولُ: ... هل دون ذاك حائلٌ يحولُ؟
قالت لها ثانيةٌ: يا للعجبْ! ... أين مضى عقلك أين؟ هل ذهبْ؟
إنك، يا أختى، جهلت قدرَكِ ... لن تستطيعى أن تكونى غيرَكِ
فقالت الأولى: غدًا ترانى ... عيناك من فصيلة الثيرانِ
وتُبصرينني أجرُّ النَّورجَا ... وتسمعين لى خُوارًا مُزعجًا
وانطلقت تجرى إلى الغديرِ ... تفُرغُهُ فى جوفها الصغيرِ
لعلَّها تبلغ ما تريدُ ... حجمًا كحجم الثَّور أو يزيدُ
فما احتسْث كوبًا ولا إبريقا ... بل مزَّقت أحشاءَها تمزيقا
فأنشدت ضفادعُ الغديرِ: ... هذا جزاءُ الجاهل المغرورِ!
كم طالبٍ بجهله ما ليس لَهْ ... أضاع وقتَهُ وأدنى أجلَهْ

سـبـاق

جيـــادٌ خطْــوُهـــا خطْــوٌ فسيحُ ... تبـارت فى السِّبـــاق، فقلتُ: ريحُ

ولكنّى أطلتُ الضَّحْكَ لمـــــا ... تـــولّى الحكمَ بــــرْذَوْنٌ كسيحُ

الراعى والقطيع

الأهرام ... سنة ١٩٤٤م

مــرَّ القطيعُ بـأرض طـاب منهلُهـــا ... وعُشبها، فاستقى مـن مائها ، ورَعَى

فصـاح راعيـهِ: هيَّـا، يـا قطيع، بنـا ... نفلتْ من اللصّ، إن اللصَّ قـد طلعا

فقـالَ كبشٌ لـه: مـا الفـرق بينكمـا؟ ... كــلاكمـا يبتغى مـن لحمنـا شِبَعـا

دعنـا له، وانج ـ إن أحببتَ ـ منفـردًا ... فلستَ أكثـرَ زهـدًا منـه أو ورعـا

نِعْم الفِــرارُ الــذى أقبلتَ تَنْشُــدُه ... لـو كـان ينقـذِنـا منـه ومنك معـا!

الكبش والذئب

الأهرام ٦ من أبريل سنة ١٩٤٢م

الكبشُ قـــام خطيبًـــا فـــوقَ رابيــةٍ ... ينَعى على الذئب فتك الـذئب بالغنمِ

فتمتَم الـذئب فى أذْنيــه: أنتَ على ... رأس القطيع أميــرٌ نـــافــذ الكَلِم

فقبَّل الكبش نـــاب الـذئب معتــذرًا ... عمـــا رمـاه بــه من ســـالف التُّهم

وقال للشـاءِ، خوضـوا ، وارتعوا مَعَـهُ ... من لاذ بـالذئب منكـم ، لاذ بالحـرم

فإن تصِبْ أحــدًا منكم مخـــالبُـه ... فـإنهـــا بلسمٌ يشفـى من السَّقـم

قطان

قِطَّــان ألَّفَ سلب الــزاد بينهمــا ... حتى إذا اختصما فى القسمة افتضحا
لكلِّ قطٍّ مخــازٍ لــو قــذفتَ بهــا ... فى البحر ما راق، أو فى الروض ما نفخا
كلٌّ تحــدَّى أخــاه، غيــر أنهمــا ... لم يأمنا بطش ربِّ البيت، فاصطلحا
صلحٌ مـريبٌ، وجُـرح جفَّ ظاهـرُه ... فكلمــا داعبَتْــه نَسمــة نضحــا
كأننى بهمــا فضَّــا نــزاعَهمــا ... يـومًــا، وفـرَّا أمـام الكلـب إذ نبحـا

الكبش شق العصا

الكبش شقَّ العصـا يومًا على الـراعى ... وقــال للشــاءِ: أنتم بعض أتبــاعى
حتى أحسَّ عصــا الــراعى تــؤدبُــه ... كمــا يــؤدِّب عبــدٌ غيــر مِطــواع
فـلاذ بـالـذئب، يــدعـوه لنجـدتـه ... ومَنْ ســواه يُلبى دعــوة الــداعى؟
تنـاوَل الــذئبُ قـرنيـه، وقــال لـه: ... أقْبل على الرُّحب، ياريمًا على القاع
وسخَّـر الكبشَ فى صيْــد الشياهِ لـه ... فجدَّفى السعى. ضلَّ السعى والساعى!
وظلَّ يــرتعُ حينــا تحتَ رايتِــه ... ويأكل الحبَّ بــالقنطار لا الصــاع
حتى إذا الصَّيـدُ أعيا الكبـشَ، مزَّقـه ... بمخلبٍ مثـل حــدِّ السيف قطَّــاع
فــلا القطيعُ بكــاه يــوم مصــرعــه ... ولا الــذئَابُ نعــاه منهمــو نــاع
وهكــذا راح ذو القــرنين مــوعظــةً ... وعبــرةً مــا وعـى أمثــالهَــا واع
لن ينفـىَ الكبشَ راعيــه فتُنــزلَــهُ ... منهــا الــذئاب بـأبصــارٍ وأسمــاع

ليثان يقتنصان

غابٌ مررتُ به، به ليثانِ ... سارا على نهْجين يقتنصان
هذا يغير على النُّمور، وذاك لا ... يُلوى على صيدٍ سوى الغزلان
فأخو النمور يكدُّ خلف نموره ... كدًّا، وليس له بهنَّ يدان
فإذا أصاب، أصاب مالا يُشتهى ... طعمًا، وعاد مضعضَعَ الأركان
وأخو الظِّباء إذا أحسَّت بأسه ... لاقته بالتسليم والأذعان
فيصيبُ منها الليثُ لحمًا طيِّبًا ... ودمًا يُرَوِّى غُلَّة الظمآن
هيهات! ما بَرَدىَ كنهر السين، أو ... إيرانُ مثلُ الرُّوس فى الميزان (١)

الحدأة والعصفور

مجلة رابطة الشباب ... سنة ١٩٤٥م

مررتُ بحدْأةٍ خارت قواها ... وهاضَ جناحَها بعضُ النسورِ
تصيح بملء شِدقيها، وتبكى ... على حرِّية الطير الأسيرِ
فلما أن بكتْ أبصرتُ فاها ... يَلوكُ عظام عُصفور صغير
فقلت لها: سلمتِ لكلِّ طيرِ ... سجينٍ، يا محرِّرَةَ الطيورا!

---

(١) بردى: نهر فى سوريا.

الكبش والقصاب

مجلة رابطة الشباب ... سنة ١٩٤٥م

بصرت بـالكبش والقصـاب يسحبُـهُ ... إذا ونى خُطـوَةً، بـالسـوط يُلهبُـه

فشـاهـدت مقلتـاه وهْـو منطلقٌ ... قطًّـا، بجـانبـه طفلٌ يعـذِّبُـه

فحـرَّكَ الـرأس ذو القـرنين من أسفٍ ... وصـاح بـالطفل ـ فـى عُنفٍ ـ يـؤنِّبـه

فقـال فى نفسـه القصَّـابُ مبتسمـا: ... يـا كبش أنت رقيـقُ القلب، طيبٌ ـه

أئن بـدا لـك لـونُ المـرِّ تمقُتُـه ... وأنت بـالكأس تلـوَ الكَأس تشربـه؟

بطش الضعيف

كأسٌ تـدور على ثغـورٍ ظمـاءِ ... مُلئتْ بـذوب الفضَّـة البيضـاءِ

أقبلْتُ فـى ظمإٍ أُقبِّـل ثغـرهـا ... فـإذا خيـالى سـابح فى المـاء

ألفيتـهُ يحكـى أديـم إنـائه ... متلـوِّنًـا كتلـوُّن الحـربـاء

فـذكـرت هـذا المـاءَ إذ هـو دافقٌ ... من ثَـدْى كلِّ سحـابـة وطفـاء [1]

فإذا بـه جيشٌ يغيـر جحـافـلاً ... حتى يضـرِّج صفحـة الغبـراء

وذكـرت هـذا المـاء إذْ ينسـاب فى ... جـوف الصخـور بباطـن الصحـراء

---

(١) السحابة الوطفاء: الدائمة الانهمار.

فــإذا تجمَّــد ، زاد قـــدراً حجمُـــه فأذاب قلبَ الصخــرة الصمــاء [1]

وذكـــرتُ أنَّ المـــاء سلـطَ غـــازه فغـــزا زمـانَ النـاقـة الـوجنـاء [2]

فإذا القطـــار بـبأســـه متحـــرّكٌ ينسـاب مثلَ الحيَّـة الـرقطـاء [3]

وذكــرت مـوجَ البحــر إذ هـو ثــائرٌ يـرغى ويُـزبـد سـاعـةَ الأنـواء [4]

فإذا البـــوارج يضطـرْبنَ حيـالَــه مثل اضطـراب الفكـر فى الأحشـاء

وذكـرت هــوْلَ اليمِّ ، إذ هـو فــاغـرٌ أفــــواهَــــه لتلقُّـف الأحيــــاء

وهنــا رأيت الكأس تسقط من يــدى فظمئت ، والمـــاء القَـــراح إزائى !

ورأيت أنَّ المـــاء يستـــر بطشـــه بستـــارتين : ســـلاسـةٍ وصفـــاء

---

(١) كل جسم ينكمش بالبرودة إلا الماء ، فإنه يتمـدد فى درجة : « ٤ » فوق الصفر ، وما دونها .

(٢) الوجناء : البارزة الوجنيتن .

(٣) الرقطاء : المخططة الجلد .

(٤) الأنواء : الأمطار.

اللفتة الملكية

الأهرام أول أبريل سنة ١٩٤٧م

أبدى جلالـة المليك ـ حفظه الله ـ عطفه على المعلمين فى حـديث له، مشيدًا بفضلهم، مشيرا بإنصافهم ؛ فناب الشاعـر عن المعلمين فى شكر جلالته بالأبيات التـاليـة، وقـد نقشتها جميعـة المعلمين على لـوح من الـرخـام فى مـدخل نـادى المعملين الجديد بالجزيرة.

فـاروقُ، يـا أملَ الـوادى، ونجـواهُ | زدتَ المعلَّـمَ مجـــدًا، زادكَ اللهُ!
لمـا أشـدتَ بـه، زالت متـاعبُـه | مـا دمتَ تـرعـاه، فـالـرحمنُ يـرعـاه
يـا رُبَّ نشء غـذاه مـن حشـاشتـه | ومن عصـــارة مـاءِ الفكـــر روَّاه
لم يبغ من كـدّه جـاهًـا، ولا نشبًـا | لكنْ رضـاؤُك أقصـى مـا تمنَّـــاه
يا مصـر، جنديُّك المجهـول من زمن | قـد جـاء قـائدك الأعلى فسمَّـاه
أكـرمْ بهـا لفتـةً جـاد المليك بهـا | من غيـر منٍّ علَى أوفَـى رعـايـاه
فاروق، عـرشك فوق النجم مـوضعه | إن المعلّمَ، والتلميــذَ: ركنـــاه

الديوان الثاني

فى ظلال الثورة

صدرت الطبعة الأولى - من هذا الديوان - عن دار المعارف ،
سنة ١٩٦١ م، بإسهام من وزارة الثقافة والإرشاد



تقديم

بقلم الشاعر الكبير الأستاذ : عزيز أباظـة

صاحب هـذا الديوان ليس بحاجـة إلى تعريف القراء بـه أو التنويه بشعره ؛ فهو صاحـب مدرسة شعرية تزودت من معينهـا الصافى عقولُ المثقفين قرابة ربع قرن أو يزيد ، ولكن ما أحوجنا وأحوج الحياة الأدبية إلى هـذا الشعر الـرصين الـذى يحويه هـذا الديـوان بين دفتيـه ! فمن لمحـاته الشـائقـة المتنـاسقة ، نستطيـع أن نتبيـن طـلاوة البيان عند السلف ، وشفافيـة الإبداع عند الخلف ، ومن بيـن ثنايا تعبيراتـه الرقيقة الدقيقـة ، يتسنى لنا أن نتنشـق عبير الأصالـة الذاتية ، ونستـاف أريج الموهبة الخلاقة التى أينع ثمرها ، فكأن الشاعر يعنى نفسه حين قال :

الشاعـر الموهوب تقـرأ شعره ... فتـرى جمـال الله فى أكـوانـه

نعم ! إنك تحس ـ وأنت تطالع هـذا الديوان ـ أنك فى مُتحف رائع للطبيعة تعرض فيه كـل ما يخلب اللب ، ويأسر المشـاعر من صور ؛ فكل قصيدة من قصائده أشبه بلوحة رائعة أبدعتها يَدٌ صَناع ، وهيهات أن تجد فى بيانه المحكم السبك ما يتجافى عنه الذوق العربى السليم ، أو تنبو عنه النفس الشاعرة! ومردُّ ذلـك إلى مكوِّنات الشاعر من : ثقافة واسعـة متنوعـة ، وموهبـة فطريـة تفـاعلـت معهـا أسـرار الحيـاة ؛

فلا عجب - وقد تكاملت له عناصر الشاعرية المبدعة - أن يهيم فى كل واد من أودية الشعر ، وأن يصبح - بحق - دعامة راسخة من الدعائم التى ارتفع عليها صرح النهضة الأدبية المعاصرة .

ومن أهم خصائص هذا الشاعر: أنه امتداد للخالدين من عمالقة الشعر العربى ؛ فليس شعره ذاتيًّا يدور فى فلك حياته الخاصة ، أو محليًّا يتغنى بالأرض التى درج عليها ، واختال بين خمائلها وأنهارها ، وإنما هو شعر ينتظم آفاق الوطن العربى الكبير ؛ يترسَّل بالعروة الوثقى التى تجمع بين قلوب أهله ، ويترنَّم بالوحدة التى تربط بين مشاعر العرب برباط من الأخوة ، يزداد إحكاماً على مر الأيام :

أمم العروبة وحدت أهدافها	*توحيدها للبارىء القهار*
حلف نماء العلم ، ما أوحى به	*نزق الهوى ، أو حب الاستعمار*
لا تسأل العربى عن وطن؛ فقد	*محت الصلات فواصل الأقطار*
عدنان جدى، والعروبة كلها	*لى عترة ، والشرق أجمع دارى*

وتتركز نظراته الثاقبة على هذه الوحدة العربية فيقول :

إن العروبة قد باتت موحدة :	*حسًّا وعاطفة ، أرضًا وسكانا*
ما عاد يجرح أذن الضاد جارحة	*من ذكر لبنان ، أو من ذكر عمانا*

ومع استغراقه فى حب الوطن العربى الكبير ، تجده يتلفت إلى ماضى بلده ، ويتألم من النزعة الفردية التى كانت تستبد بالحكم والسلطان :

الفرد ليس على حكم بمؤتمن فليحكم الفرد لكن غير منفرد

وكما أن الطبيعة منحته حساسية مرهفة ووجداناً عميقاً ، كذلك لم تضن عليه بعزيمة ثابتة وإيمان لا يتزعزع ، فهو يشعر بأن الهموم التى تصهر غيره ، تزيده هو صقلاً ولمعاناً :

من كان حر الهموم يصهره فإن حر الهموم يصقلنى
والهم يجلو النفوس إن صدئت والهم فيه رياضة البدن !

وتلازمه ابتسامته فى أشد الخطوب حلكة ، ولا يأبه بالمحن :

إذا ضن دهرى بما أبتغيه وباتت علىّ الليالى شحاحا
فإنى أرى فى جمال السماء وطيب الهواء نعيماً مباحا
إذا شرب الناس مر الحياة عصرت من المر شهداً وراحا
وإن حاربتنى صروف الزمان شهرت عليها احتقارى سلاحا

ويتطلع حوله فيرى مواكب المنافقين وقد اتخذوا من النفاق حرفة يرتزقون منها :

سوق النفاق قد اصطفت موائدها
وَراح يسعى إليها كل مرتزق
كفكف دموعاً على الأموات تذرفها
يا صاح ، وابك معى فى مأتم الخلق !!

***

هذه نماذج من شعر هذا الديـوان ، ليست بأحسن ما فيه ، آثرت أن أقدمها بين يدى القارىء؛ ليرى كيـف اجتمعت للشاعر عناصر الجدة والابتداع ، وكيف تأتى له أن يكتب فـى مناحٍ مختلفة وأن يبدع فى كل ما يكتب ؛ فشعره يتسم بالجزالة دون تكلف ، وبالسلاسة دون هبوط ، يحس بهاتين الميزتين من يتذوق مـوسيقى الشعر العربى ، ولا ينكرهما من تنكب هذه السبيل .

ولشاعرنا الأستاذ محمود غنيـم ميزة أود أن أشير إليها ؛ لأنها إحدى ملامحه الفنيـة ، فهو ذو نزعة مرحة سـاخرة ، تماثل تماماً تلـك النزعة التى عرف بها الشعراء المصريون قديماً ، إنه يداعب إخوانه فى أسلوب رصين ، ويرسم لهم صوراً هزلية ضـاحكة ، قل أن يأتى بمثلها كثير من الشعراء ، وأروع مثل على ذلك ما قالـه فى قصيدة «من وحى الكأس» : يداعب شيخاً لا تفارق الكأس شفتيه برغم تقدمه فى السن :

إن الشيوخ تقوم الليل فى حرم ... لكن علىٌّ يقوم الليل فـى «بار»
حمراء سحنته ، بيضـاء لحيته ... لكـن صفحته سـوداء كالقـار

ومع أنه تناول موضوعات نظم فيها شعراء كثيرون من أبناء هذا الجيل فقد ظل محتفظاً بطابعه ، وتلك سمة الأصالة فى كل شاعر كبير ؛ لأن الأصالة تأبى أن تأتى مخلوقاتها مشابهة أو مماثلة ، حتى لما عُرف عند أولى الألباب بالجودة والابتكار .

تحيتى وتقديـرى لصديقى الشاعـر الكبير ، وأبلغ شكرى علـى أنه آثرنى بتقديم ديوانه الخطير .

عزيز أبـاظـة



بيـــان

بقلم : صاحب الديوان

هذا هو ديواننا الثانى ، قسمناه إلى تسعة أبواب - إن صح أن للشعر أبواباً دقيقة الحدود ؛ لا يتداخل بعضها فى بعض - وسميناه باسم الباب الأول منها : « فى ظلال الثورة » ، وقد أصدرنا قبل ذلك ديواننا الأول : «صرخة فى واد » وهو الديوان الذى نال الجائزة الأولى من المجمع اللغوى ، فى أول مسابقة عقدها لشعراء العربية سنة ١٩٤٧م ، وعلى ذلك : فما بين دفتى هذا الديوان «فى ظلال الثورة» أنشىء بعد هذا التاريخ ، على أن هناك طائفة من قصائده يرجع العهد بها إلى ما قبل ذلك ، وربما أوغل بعضها فى القدم حتى رجع إلى عهدنا بالتلمذة ، والسر فى ذلك أن يد الضياع كانت قد عبثت به عند إصدار الديوان الأول ، ثم عثرنا عليه بعد ذلك ، وما زال هناك قدر ليس باليسير فى طى الفقدان يتطلب منا الرجوع إلى ملفات الصحف والمجلات القديمة ، وفى النية أن نفعل إن شاء الله .

وكان بودنا أن نشفع كل قصيدة برقم عدد الصحيفة الذى نشرت به وتاريخه ؛ فلذلك مغزاه عند ناقد الشعر ومؤرخ الأدب ، ولكن عز علينا تحقيق هذه الأمنية ، وإن كنا لم نغفل ذكر التاريخ التقريبى لكل قطعة ، وذكر ما أحاط بها من الظروف والملابسات ما وسعنا ذلك ،

وإنما كان حرصنا على ذلك شديداً ؛ لأننا ندين بأن الشاعر جزء لا يتجزأ من زمنه وبيئته وما يحيط به من المؤثرات ، وبأن إنتاجه وليد هذه العوامل مجتمعة ، وبأن دراسة شاعر ما بعيداً عن إدخال هذه العوامل فى الحسبان لغو لا غناء فيه ، بل نذهب إلى أبعد من ذلك ، فنقول : إن خير تفسير - فى نظرنا - يوضع للقرآن الكريم هو التفسير الذى يوضع فى ظلال السيرة النبوية ، ويربط بين آياته الكريمة ومختلف الوقائع والأحداث .

ربما وجد القارىء فى هذا الديوان شعراً نابعاً من صميم نفس الشاعر ، ولا نستثنى من ذلك ما ورد منه فى حوادث معينة ؛ فإن هذه الحوادث قد انفعلت بها نفس الشاعر ، ثم أخرجتها على طريقته الخاصة ، فهى لا تعدو أن تكون شعراً نفسيًّا . وكم كان بودنا أن نتعقب هذه الأحداث - كما فعل المرحوم : أحمد شوقى فى شوقياته - فنسجلها تسجيلا أدبيًّا هو أَبقى لها ، وأبرز لمعالمها من التسجيل التاريخى الذى تقوم به طائفة المؤرخين ! كان بودنا ذلك ، لولا ما حال دونه من قيود الوظيفة وطبيعتها التى تنفر منها شياطين الشعر : تلك الوظيفة التى لو اضطلع بها الفحول من أمثال المتنبى قديماً ، وشوقى حديثاً لأثرت على إنتاجهما أيما تأثير ، على أننا - مع ذلك - نزعم أن ما قرضناه من شعر يمثل العصر الذى شاءت لنا المقادير أن نعيش فيه تمثيلا فيه كثير من الصدق ، وفيه كثير من إبراز سمات هذا العصر ومشخصاته ، وحسبنا ذلك . وإن كان هذا القدر من التمثيل دون ما كنا نصبو إليه !

ومذهبنا فى الشعر : أن يكون هادفاً ، يضرب فى صميم الحياة ، ويفرض نفسه عليها فرضاً ، ويخب ويضع فى أحداثها ، وربما لم يعدم هذا المذهب ناقداً متحذلقاً يطلق على بعض ما نظمناه : «**شعر المناسبات**» ! وكثيراً ما وقع نظرى على هذه العبارة ، ولا أدرى ماذا يريد بها قائلوها؟ أيريدون أن يكون الشعر كله تشبيباً بالحسان ، وشكوى من تبريح الهجران ، ووصفاً لأمواج البحار ، ورمال الصحراء ، والنجوم المتلألئة فى السماء ؟ إن كان الأمر كذلك فقد باعد هؤلاء بين الشعر والحياة ، أو ربطوا بينه وبينها بخيوط أوهى من نسيج العنكبوت . ويكفى فى الرد على هؤلاء : أن أخلد ما فى الشعر العربى قديمه وحديثه ما ارتبط منه بأحداث معينة ؛ كمعلقة عمرو بن كلثوم ، وبائية أبى تمام فى فتح عمورية ، ونونية شوقى فى توت عنخ آمون ، بل نذهب إلى أبعد من ذلك ، فنقول : إن شعر المتنبى شاعر العربية الأول قيل كله ــ تقريباً ـ فى مناسبات خاصة ، وفى أتفه أبواب الشعر ـ وهو المدح ـ ومع هذا وذاك ؛ فقد استطاع أن يفرغ فلسفته فى مدائحه ، وأن يضمنها حكمه الخالدة حتى فرضها على الناطقين بكل لسان فى مختلف العصور والأزمان . بل نذهب إلى أبعد مما تقدم ، فنزعم أن أكبر أثر أدبى عرفه العالم ـ وهو القرآن الكريم ــ نزل منجماً على حسب الوقائع ، مرتبطًا أوثق الارتباط بالأحداث التاريخية ـ كما سبقت الإشارة إلى ذلك ـ ولعل من نافلة القول بعد هذا : الإشارة إلى أن أقدم ما عرف فى عالم الشعر وأخلده بصفة عامة ـ وهو الإلياذة والأوديسية ــ إنما أوحت بنظمه حوادث معينة . فما أجدرهما أن يسلكهما هؤلاء الناقدون المتحذلقون فى سلك : «**شعر المناسبات**»!

نخلص من هذا القـول كله إلى أن الشاعر لا يسأل : فيـم نظم ؟ بل يسأل : كيف نظم ؟ وعلى أى نحو تناول ما عالجه من الموضوعات؟

ومذهبنـا فى الشعـر ـ كذلـك ـ : أن يجمع بيـن القوة والسـلاسة ، ومقياس جودته عندنا : سيرورتـه ، وخفته على ألسنة الرواة ، ولقد كان أكبر عـزاء لنا على ما لقينـا فى صناعـة الشعر من عنت واضطهـاد ، ما رأيناه مـن تداول أشعـارنا بصفة عـامة ، وبيـن طلاب المـدارس بصفة خاصة ، وفـى مختلف الأقطار العربيـة بصفة أخص ، ولم تكـن هذه السيرورة وليدة مـا ينسج حول الشعر عـادة من دعايات ، ومـا يحاط به مـن هالات ، فنحـن ــ بحمد الله ــ أعجـز مـا يكون عـن تـدبير هـذه الوسـائل ، ولو لـم نتركهـا عجزاً لتركنـاها أنفة واستكباراً . إننـا نعتقد أن الشعر ما لم يحمل فى طيه عناصر خلـوده فلن تخلده الدعايات الزائفة ، أو ما يلتمس له من الأسماء البراقـة ، كاسم الشعر الحر ، والتجديد فى الشعر ، إلى غيـر ذلك مما هو أشبه بالتهريج منـه بأى شىء آخر . وعلى ذكـر الشعر الحر لا أرانى فـى حاجة إلـى إطالة الوقـوف عنده ؛ لأسباب أقلها : أنه لا رواة له ، وأنه يوءد يـوم يولد ، وشتان بين هرم من صخر يصـارع الزمن ، وكـوخ من قش لا يلبـث أن تذروه الريـاح ، ولو سلمنا بـأن هذا الضـرب من الكلام يسمـى شعراً ، ما كـان فى العـربية ناطق غير شاعر .

وبعد فقبل أن أَختم هذا الحديث أقدم خالص الشكر .

أولا : إلى وزارة الثقافـة والإرشاد ، على ما أسهمت فـى إخراج هذا الديوان .

ثـانيـا : إلى الشاعر الكبير الأستاذ : *عزيز أباظة* على ما تفضل به من تقـديم هذا الـديوان ، ولعل ألطـف ما ورد فى مقـدمته البارعـة أنه يشكرنى على أننى آثرته بهـا بدل أن يتقبل منى الشكر عليها ، وإن هذا ليذكرنى بقول الشاعر العربى الرقيق :

إذا مرضنـا ، أتينـاكم نعودكمـو

وتذنبـون ؛ فنـأتيكم ، ونعتـذر !

والســـلام .

فى ظلال الثــورة

النشيد الوطنى (١)

للجمهورية العربية المتحدة

إِرفعى يـا أمَّـةَ العُـرْب اللـواءْ — صاعـدًا فـى عـزة نحـوَ السمـاءْ
إِرفعيـه رمـزَ يُمْـنٍ ورخـاءْ — حـامـلا منـا إلـى الله الـدعـاءْ

***

أنـا العـربـىُّ الأبـىُّ — بـربـى وشعبـى أَديـنْ
شعـارى : سـلامٌ يـرفُّ — ظـلالا علـى العـالميـنْ
وجـوِّى : حمـىً لا يبـاحُ — وأرضـىَ : حصـنٌ حصيـنْ
بـلادى إذا مـا انتسبـتُ — إليهـا ، رفعـتُ الجبيـنْ

حـاضـرى مستبشـرٌ يبسِمُ لـى — مشـرقُ الـوجـه بنـور الأمـلِ
وبعـزمـى أبتنـى مستقبلـى — لستُ مـن يَغْرُبَ إن لـم أفعـلِ

ارفعى . . . . إلخ

إِنَّـا بَنِـى العُـرْب لنـا — فـى كـل إصـلاحٍ يَـدُ
نَجْمَـعُ لا نُبَـدِّدُ — نَـدْفَـعُ لا نهـدِّدُ

---

(١) وضع هذا النشيد ؛ بناء على طلب إدارة رعاية الشباب ـ قسم البنات ـ وقد تولت تلحينه وأداءه .

فــى الأرض نحــنُ رحمــةٌ — بهـــا الجميـــعُ يَسْعَـــدُ
قــد شهــد المــاضــى لنــا — وســـوف يَشْهَـــدُ الغَـــدُ

وطـنٌ يبعَــثُ فـى الأرض الحيــاهْ — يجـدُ الخــائفُ أمْنًـا فــى حمـاهْ
ظلُّــهُ الممــدودُ مــن ظــلِّ الإلٰــهْ — مـاؤه العــذبُ علــى كــل الشِّفـاهْ

اِرفعــى . . . إلــخ

حــىِّ جُمهـــوريَّـــةً — تَمْـــلأُ الـــدنيــا سَنَــا
هَتَـــفَ الكـــونُ بهـــا — ولهـــا الـــدهـــرُ انحنَـــى
هـــا هنـــا المجـــدُ حَبَـــا — وتـــربَّـــى . . هـــا هنَـــا
لِمَـــن السبـــقُ لَمـــنْ — فضلُـــــهُ إلا لَنَـــــا؟

بَيْـنَ مــاضِينــا وبيــنَ الشُّهُــبِ — نَسَــبٌ، أَكْـرمْ بــه مـن نَسَــبِ!
مــا سَنَــا العلــم ونــورُ الأدبِ ؟ — مــا هُمَــا لــولا سَمَــاءُ العَــرَبِ ؟

اِرفعــى . . . إلــخ

تأميم القناة (١)

ما زالت قناة السويس شوكة تخز جنب الوطن
حتى أعلن الرئيس تأميمها فى يولية سنة ١٩٥٦ م

رَبَضَ الجيش على خطِّ القناهْ ... وعلى شُطآنها أَلْقَى عصاهْ
أيها الجيشُ، أعِدْها للحِمى ... فِلْذَةً قد نزعوها من حشاهْ
هى قلبُ النيل، إلا أنهمْ ... وضعوها بين أضلاعِ سِواهْ
ساقت الموتَ إلى مصرَ، وإنْ ... بعثَتْ فى الشرق والغرب الحياهْ[2]
هذه الحفْرَةُ مَنْ عمَّقَها ؟ ... ذلك الجسرُ المَعلَّى مَنْ بناهْ ؟[3]
سائلوها يُنْبِكُمْ ساحلُها ... مَنْ أبوهُ ؟ يَعرِفُ الطفلُ أباهْ
رُبَّ فلاّحٍ شَكَتْ فى كفِّه ... فأْسُهُ الخَرْساءُ إذْ خارَتْ قُواهْ
لم يَزَلْ يَحْفِرُها حتى جرى ... ماؤُها وهْوَ مشُوبٌ بدماهْ

***

أمَّةَ «الدولار»، مُدِّى غيرَنا ... مِنْ عبيد المال واستَجْدِى رضاهْ
أَسعفى بالمال شعْباً آبقاً ... لفظتْهُ أرضُهُ لفظَ النواهْ[4]

---

(١) اختيرت هذه القطعة بين النصوص المختارة لطلبة الثانوية العامة .

(٢) يقصد بالموت : ما جرته القناة على مصر من احتلال وخسائر فى الأرواح والأموال .

(٣) يقصد بالجسر : القناة نفسها ؛ لأنها بمثابة جسر يصل بين البحرين : الأحمر والأبيض .

(٤) أمة الدولار : أمريكا، والشعب الآبق : اليهود الذين تقوم دولتهم على المساعدات الأمريكية . وقد كان السبب المباشر للتأميم : رفض أمريكا مساعدة مصر على بناء السد العالى بمعونة مالية .

كيف يستَجْديكِ شعبٌ ماؤُهُ — من لُجَيْنٍ ومن التِّبْرِ ثَرَاهْ ؟[1]
إنَّ فى مصرَ قناةً قد جرى — ذائبُ الماس بها مَجرى المياهْ
سائلى التاريخَ عن سائِلها — ـ وهُوَ أرضٌ ـ كم جَبَى منه الجُبَاهْ ؟ [2]
سائلى عهدَ المماليكِ وما — شادَهُ فى مصرَ عن سرِّ غناهْ
مَرَجَ البحرين فى مصرَ الذى — شقَّت النيلَ وأجرَتْهُ يداهْ [3]
مُلْتَقَى البحرين نيلٌ آخرٌ — فى الحمى أحْلَى من الشهد جَناهْ
منجمٌ لا ينضُبُ الزيتُ به — وغنًى لا يبلغُ الحصْرُ مداهْ

***

أمةُ «الدولار» غلَّتْ يدَها — عن بنى مصر به . شاهَتْ وشاهْ[4]
فادَّ كرْنا حين ضَنَّتْ موردًا — قد تركناه مُباحًا للسُّقاهْ
شربَ الناسُ به بل سَبَحُوا — فيه والمصرىُّ ما بَلَّ صَداهْ [5]

***

حينما قال جمالٌ : «أُمِّمَتْ» — رقصَ الوادى ، وغنَّتْ ضفتاهْ !
وسَرتْ فى كلِّ عِطْفٍ هِزَّةٌ — وتمشَّتْ بَسْمةٌ فوق الشفاهْ !
وأَظَلَّ النيلَ عيدٌ شاملٌ — فيه حَيَّا كلُّ مصريٍّ أخاهْ
ما بنى التأميمُ سَدًّا عاليًا — بل بنى للنيل جاهًا أىَّ جاهْ

---

(١) اللجين : الفضة ، والتبر : الذهب .

(٢) حينما كانت قناة السويس برزخاً ، كانت البضائع تنقل من الشرق إلى الغرب وبالعكس بطريق البر فى هذا البرزخ ، وتؤخذ عليها المكوس والضرائب الفادحة ، وقد كانت هذه الضرائب سر ثروة دولتى المماليك .

(٣) مرج : خلط ، والمراد أن الذى من على مصر بنهر النيل ، من أيضاً عليها بهذا الموقع الجغرافى الممتاز .

(٤) أى : شاهت الدولة وشاه دولارها .

(٥) الصدى : الظمأ .

هنَّأ الثورةَ مَنْ خاصَمها — وعلى قائدِها أثنى عداهْ
وأقرَّتْ بسَناها أعيُنٌ — تُنكرُ الصبحَ إذا لاحَ سناهْ

***

لجمالٍ كلَّ يوم خَبَرٌ — من حديث المجد يَرويه الرُّواهْ
يُرهِفُ الغربُ له مِسْمَعَهُ — سائلاً: هل كَذَبَتْهُ أذُناهْ ؟
هل شَجَاهم أنَّنا شعبٌ صحا — من كَرَاهُ بعد أن طال كَراهْ ؟
أيها الشَّرقُ، أذِعْهُ نَبأً — يَقْرَعُ الآذانَ فى الغرب صداهْ
أن مصرًا حرّةٌ فى أرضها — شعبُها يُبْرِمُ فيها ما يراهْ
لم تَعُدْ مصرُ طعامًا سائغًا — لجياع الغرب من شاء طَهاهْ
لم تُعدْ تحكُمُ مصرًا أسرةٌ — تشترى العرش بإحناء الجباهْ[1]
دولةٌ حاكمُها من أهلها — شعبُها الحرُّ من الشعب اصطفاهْ
كادحٌ، ما أترَفَتْهُ نعمةٌ — عَرَكَ الدهرَ طويلاً وَبلاهْ
ما رأى فى مهده مِلْعَقَةً — من نُضارٍ خالص تملأُ فاهْ[2]
لا على سُلطانه يخشى، ولا — يَرْهَبُ الفقرَ إذا الفقرُ اعتراهْ
رُبَّ ميدانٍ به هَجَّرَ، أو — خندَقٍ فى ظلمة الليل احتواهْ[3]
واجَهَ الموتَ؛ فلم يحفِلْ: ومن — واجَهَ الموتَ يواجهْ ما عداهْ[4]
يُحكِمُ التدبيرَ إحكامَ الذى — يقرأُ الغيبَ ويدرى ما طواهْ

المحتل فى تثبيت عروشهم، على أن يدفعوا ثمن ذلك خضوعاً وتسليماً بمطالبه .

(٢) النضار : الذهب ، والبيت كله كناية عن أن الرئيس لم يكن ارستقراطى النشأة .

(٣) هجر : قضى وقت الهجير أى وقت القيلولة واشتداد الحر .

(٤) واجه الرئيس الموت فى عدة مواقع ، منها : موقعة الفالوجة المعروفة بين العرب وإسرائيل .

(١) ألقيت هذه القطعة فى احتفال أقيم لوفد من الإقليم الشمالى بفندق الكونتنتال عقب

ويُسِـرُّ الأمـرَ إسـرارًا ؛ فـلا يعـرفُ الكهّـانُ سرًّا قـد نـواهْ

يـؤثـرُالبغَتـةَ فـى تصـريفِـهِ ومـع البغتـةِ تـوفيـقُ الإلـهْ

هـو والنصـرُ حليفـان ؛ فمـا سـار ، إلا وهْوَ يمشى فى خُطـاهْ

يُطلـقُ السهْـمَ فـلا يـدمى بـه جسـدًا لكنَّـهُ يُعيـى الرُّقَـاهْ (١)

وهـوْ يـدرى مَـنْ سَيُـردِى سهمُـهُ ومتـى يـرمى وفـى أىِّ اتجـاهْ ؟

***

أيهـا الغـربُ ، اتَّئِـدْ ؛ إن هنـا ضيغَمًا قـام يحامى عـن شَراهْ (٢)

لا يبـالـى حيـن يحمـى حقَّـهُ لـو عـدا الـدهـرُ عليـه لـرمـاهْ

يطلُـبُ الحق بجيـش باسـلٍ يحسنُ الـزَّحفَ علـى ظهر الفـلاهْ

جنـدُهُ فى البحـر : حيتانٌ ؛ وفـى حـالِـقِ الجـو : نسـورٌ ، وبُـزاهْ

لا يُحـقُّ الحـقَّ إلا قـوَّةٌ تفعـلُ القـوةُ مـا يُعيـى القُضَـاهْ

---

(١) الرقاة : جمع راق وهو من يرقى من السم ونحوه ، والمراد بالبيت كله : أنه يصل إلى ما يريد بدون إراقة دماء ، ومن هنا قيل عن الثورة : إنها ثورة بيضاء .

(٢) اتئد : ترووتريث ، والشرى : غابة الأسود، والشاعر هنا ينصح للغرب الثائر على التأميم بأن يقتصد فى تهديده لمصر ، ويحذره مغبة العدوان عليها .

مصر وسوريا [1]

تمت الوحدة بين مصر وسورية
فــى فبــرايــر ســنــة ١٩٥٨م

عُرسانِ : فى بنْتِ المعزِّ ، وجلَّقَا ... هَزًّا بلحنهمـا الشجىِّ المشـرقَا [2]
المـاءُ فـى بَـرَدَى جـرى مترنِّمًـا ... وعلـى حُـداء النيـل قـام مصفِّقَـا
نهـرانِ مـا سـالا نميـراً سـائغًـا ... بـل منهمـا المجدُ الأثيـلُ تـدفَّقـا
حُرَّانِ ؛ لا يـدنُو فـم المحتلِّ مـن ... مـاءَيْهمـا حتـى يغَـصَّ وَيشـرَقَـا
تـدرى الحضـارةُ أنَّ منبعَهـا هنـا ... وهنـاك فـاض معينُهـا وتـرقـرَقَـا
الشرقُ مـن هذا المعين قـد ارتَوى ... والغربُ من تلك الحيـاض قد استَقَى
قـل للعرُوبـة : يا عـروبةُ كبِّـرى ! ... مجدُ المعزِّ بمجـد مَرْوانَ التقَى [3]
أَخـوَان بينهمـا المشـاعـرُ ألَّفَـتْ ... مـا كــان لـلأَخَـوَيْـن أن يتفـرَّقـا
الضَّـادُ أُمُّهُمـا ؛ ويَعْـرُبُ والـدٌ ... أرأيـتَ أَنْجَـبَ منهمـا أو أعـرَقـا؟
ماضٍ يَـزينُ ، وحـاضرٌ يُـزْهَى بـه ... كالكَرْم طابَ جَنًى ، وطاب معتَّقَا [4]
أَخـوانِ فى حلـو الحيـاةِ ، ومُرِّهـا ... يتقـاسمانِ بهـا السعادةَ ، والشَّقَـا

إعلان الوحدة ، وقد قررت الوزارة دراستها بين النصوص المقررة على طلبة الثانوية العامة .

(٢) بنت المعز : كناية عن القاهرة . وجلق : دمشق .

(٣) المعز لدين الله : مؤسس الدولة الفاطمية فى مصر ، ومروان : هو مروان بن الحكم يعتبر المؤسس الثانى للدولة الأموية بعد معاوية .

(٤) الكرم : العنب ، يؤكل فاكهة ويعتق خمراً .

(١) البيت يشير إلى بلاء صلاح الدين الأيـوبى بجيوشه فى الحروب الصليبية ، وكيف وقى الشرق عدوان الغرب باسم الدين .

لَبَسَا الزمانَ : مطرّزًا، ومُرقَّعًا   وتجرّعَاهُ : صافيًا، ومُرنَّقًا[1]
خاضا إلى الحربة الحمراءِ ما   خاضاهُ من هول يُشيبُ المَفْرِقا
اللهُ يعلمُ كم سَقْيناها دمًا   لو صادَفَ الصَّخر الأصمَّ لأورقا
لم يفصل التاريخُ يومًا بيننا   لكنه عَقَدَ الصِّلاتِ ووثَّقا
من عهدِ فرعَوْنٍ ونحن وأنتمو   بَلَدٌ، وعْندَ الرَّوْعِ نبدو فيلَقَا[2]
قد كان ماضينا لماضيكم صَدًى   ومصيرُكُم بمصيرنا مُتعلِّقَا
إنْ أرّقَتْ أجفانَ مصرَ مُلمَّةٌ   تَرَ كلَّ جفن فى دمَشْقَ مؤرَّقَا
وإذا أصابَ دَمشْقَ مكروهٌ ترى   أحشاءَ مصرَ تكادُ أن تتمزّقا
شَعْبانِ ضاقا بالقيود، ومَنْ له   ماضيهما لم يَخْشَ إلاّ مُطلَقَا
واللهِ ما أزْرَتْ بنا أطواقُنا   اللَّيْثُ ليثٌ ، مطلقًا ومُطوّقًا
قَيْدٌ لبسناهُ فلم تُرْهَقْ به   سيقانُنا، بل عاد منها مُرْهَقَا
إن ضاق فى أقدامنا، فلعلّه   قد كان فى قَدَمىْ «لُويس» أضيَقَا[3]
أيامَ أقبلَ نحو مصرٍ فاتحًا   مصرًا ؛ فغادرها أسيرًا مُعْتَقَا
يا رُبَّ يوم فيه مصرُ وسُوريَا   رَدَّا «التّتارَ» ؛ فكان يومًا أبْلَقَا[4]
لما هوَتْ بغدادُ تحت خيولهم   وجرى الفراتُ دمًا صبيبًا مُهْرَقَا
فى «عين جالوتٍ» غضِبْنا غَضْبَةً   كشفَتْ عن الشرق البلاءَ المُحْدِقا[5]

---

(١) مرنقًا : مكدراً مشوباً .

(٢) يشير التاريخ القديم إلى : أن الصلات بين القطرين كانت وثيقة من عهد الفراعنة .

(٣) فى البيت إشارة تاريخية إلى : حملة القديس لويس على مصر وأسره فى دار ابن لقمان.

(٤) أبلق : أبيض مشهوراً ، وفى البيت : إشارة تاريخية إلى هزيمة التتار فى موقعة عين جالوت المشهورة ، بعد أن اجتاحت جيوشهم الدولة العباسية فى بغداد .

(٥) المحدق : المحيط . وفى البيت إشارة إلى : أن المغول كانوا خطراً يتهدد الشرق، بل العالم لو قدر لهم النصر على مصر والشام .

يـا رُبَّ يوم جيشُ مصرَ وسوريـا ... صـدًّا الصَّليبيِّـن فيه فـوفِّقا[1]

أبْلَـى صلاحُ الـديـن فيه بجحفـلٍ ... يجدُ الشَّهـادَةَ بالمجـاهد أليَقـا[2]

«حِطِّيـنُ» تَشهـدُ أننـا عَـرَبٌ؛ إذا ... فَرِقَ الأسـودُ من الردى، لَنْ نَفْـرَقَا[3]

فلتشْهَـدْ الـدنيـا صـلاحًـا ثـانيًـا ... بخلائق السَّلف العظيـم تخلَّقا[4]

يـا رُبَّ يـومٍ مصـرُ فيه قـاومَـتْ ... جيشًا مـن الدُّول الثـلاثِ ملفَّقا[5]

لمـا رمـى الثـالوثُ كـانـت دِرْعَنَـا ... سُورْيـا؛ فأخفقت السهـامُ وأخفَقَا

حَلَمَ العِـدَافى «بور سعيدَ» بنـزهة ... فـرأَوْا بهـا فـى كل شبـر مـزلَقـا[6]

***

قُمْ سائلِ المحتلَّ فى البلَدَيْن: كم ... حَصَدَتْ مـدافعُهُ شبـابًا ريِّقـا[7]؟

اليــومَ لا دمــعٌ يسيــلُ، ولا دمٌ ... نجـمُ العـروبـة فى السمـاء تـألَّقـا

ولَّـى زمـانُ القول يُسْبَـك عسجـدًا ... مـا المجـدُ فـى قـول يُقـالُ منمَّقـا

مـن لــم يشقَّ طـريقـه بـذراعِـهِ ... لـم يُغْنِه نَسَبٌ إلـى النجم ارتقـى

---

(٢) الشهادة: الاستشهاد أى الموت فى سبيل الوطن.

(٣) (حطين): أشهـر المواقـع التى انتصـر فيها صـلاح الديـن، فرق يفـرق: خاف يخاف.

(٤) المراد بصلاح الثانى: الرئيس جمال؛ فوجوه الشبه بينهما متعددة.

(٥) ملفق: عديم الانسجام، ألفت بين عناصره المطامع الاستعمارية، والبيت يشير إلى: العدوان الثلاثى على بور سعيد.

(٦) كانت الحرب غيـر متكافئة، وكان المعتدون يعتقدون أنهم لـن يجدوا مقاومة، فأخلف الله ظنهم.

(٧) يشيـر البيت إلـى: كفـاح المصـريين ضـد الاستعمـار الإنجليـزى وإلى كفـاح السوريين ضد الاستعمار الفرنسى.

(١) فاعل سرى: مفهوم من المقام، والمراد به: خبر عقد المعاهدة.

(٢) خدر الأسد: عرينه.

المـاردُ الجبَّـارُ هَـبَّ مـن الكَـرَى ... وعلـى عـداهُ بقبضتَيْـه أطْبَقـا[1]

المـارد الجبـار أقسـم جـاهـداً ... ألاَّ يـرى فـى الشـرق شعبًا مُـوثَقـا

لا والـذى خلـق الأنـامَ سـواسيًا ... مـا عـاد ــ بعـد الله ـــ ربٌّ يُتَّقـى

إنـى أرى رُوحَ المجـاهِـدِ خـالـدٍ ... بـالعيـن فـى أُفُـق العـروبـة حَلَّقـا

وأرى بنـى مَـرْوانَ رؤيـا يقظـةٍ ... أخْلِـقْ برؤيـا يقظتـى أن تَصْدُقَـا !

وَأَرَى لِيَعْـرُبَ رايـةً خفَّـاقـةً ... تأبـى علـى غيـر السُّها أن تَخْفُقَـا[2]

لا يـرفـعُ العـادى إليهـا طـرفَـهُ ... إلاَّ وردَّ الطـرف عنهـا مطـرقـا

وأرى لنـا جيشًـا ؛ إذا ذكـر اسمُـهُ ... مَنَـعَ الشفـاهَ جـلالُـه أن تنطقَـا

إن شـقَّ جـوفَ البحر، راعَ عُبـابَـهُ ... أو طـارَ ، أرعـد فى السمـاء وأبـرَقـا

جيشًـا يصـونُ السِّلْمَ روضًـا وارفًـا ... وعلـى العـدا ينصـبُّ جمـراً مُحـرِقـا[3]

***

يـا وارثيـن بنـى أُمَيَّـةَ ، زنتمـو ... مجـدَ الجـدود، وزدتمـوه رَوْنَقـا[4]

إن الـذى جـدَّدْتُمـو مـن إرثهـم ... بـاقٍ بقـاءَ حديثهـم لـن يَخْلَقَـا[5]

مهَّـدتُمُـو نهـجَ العـلا ، وفتحتمـو ... للمجـد مـن أبـوابـه مـا استغْلَقَـا

الـوحـدة الكبرى سعيْتُـمْ نحـوهـا ... وثْبًـا ، وقصَّـرَ غيـرُكـم أن يلحقـا

بالفضـل كنتم سـابقين ، ومَـنْ لَهُ ... تـاريخكُـمْ أجْـدرْ بـه أن يَسْبِقَـا !

وغـدًا نرى التـوحيـدَ صار عقيـدةً ... ونـراهُ أنجـدَ فـى البـلاد وأعـرقَـا[6]

قـالوا: اتحـادٌ بيـن مصـرَ وسورِيـا ... فأجبْـتُ : بل حُلْـمُ القُرون تحقَّقَـا

---

(١) المراد بالمارد الجبار : القومية العربية التى تتمثل فى شخص جمال عبد الناصر .

(٢) الرؤيا فى البيت ـ وما بعده ـ : تعبير عن الأمل فى مستقبل العروبة الزاهر .

(٣) الروض الوارف : أى الظليل المتشابك الأغصان .

(٤) الخطاب : موجه لأهل الإقليم الشمالى ، ممثلين فى وفدهم .

(٥) لن يخلق : لن يتطرق إليه البلى .

(٦) أنجد وأعرق : أى دخل نجدا والعراق ، والمراد : أنه سيشمل ويعم .

صدى الجلاء

بعد طول النضال فى سبيل الحرية ، عقد جمال معاهدة الاستقلال بيننا وبين جيش الاحتلال .

سَرَى فى الكنانة مَسْرَى النَّغَمْ ... فأصغَتْ له لَبِنَاتُ الهَرَمْ[1]

وهزَّ أبا الهول فى خِدْرِهِ ... فأرهَفَ أُذْنَيْه ، ثم ابتَسَمْ[2]

ودَبَّ إلى أعْظُمِ الشُّهَداءِ ... فكادَتْ تَهَشُّ بوادى العَدَمْ

ورَفَّت تسائلُ أرواحُهم : ... أحانَ الجلاءُ ؟ فقلنا : نعَمْ !

لهُ اللهُ من موثقٍ مبرمٍ ... على صَفَحَاتِ القلوب ارتَسَمْ !

أعادَ حقوق البلادِ وردًّ ... لها من كرامتها ما انْثَلَمْ[3]

مُنًى أرَّقَتْ مصرَ سبعين عامًا ... ومَنْ رام دركَ المنى لم يَنَمْ[4]

حصدْنَا سنابلَها من حقولٍ ... رَوينَ بدمعٍ صَبيبٍ ودَمْ[5]

ورُبَّ شبابٍ أغرِّ الجبينِ ... كبَدر السماءِ إذا البدرُ تَمْ

مضى للكفاحِ ، كليل السلاحِ ... بغيرِ عزيمته ما التَأمْ[6]

---

(٣) ما انثلم : ما انصدع وتشقق .

(٤) منى : جمع منية ، والمراد بسبعين عامًا : المدة التى مضت من عهد الاحتلال البريطانى عقب الثورة العرابية .

(٥) المراد بالدم : ما سال من أجساد الشهداء ، وبالدمع : ما سال على فقدهم من عبرات الآباء والأمهات .

(٦) التأم : لبس اللأمة ؛ وهى : غطاء يقى الرأس عند الحرب .

رأى المَــوْتَ يفْغَــرُ فــاهُ لــهُ ... فلـم يتقَهْقَــرْ ، ولكـن هَجَـمْ[1]

فخــرَّ شهيـدَ الحمــى هــاتفًــا ... لمصــرَ بقلــبٍ جــريــح وفَــمْ

فهـذا الـذى خَـطَّ سِفْـرَ الجـلاءِ ... وبـالـدَّم فـى صَكّـِـهِ قَـد خَتَـمْ[2]

مضـى الاحتـلالُ ، ومـا الاحتـلالُ ... سـوى وصمـةِ العـار بيـن الأمَـمْ !

بقيـــةُ إرثِ قـــرون خلَـــتْ ... علـى الظُّلْـمِ قـد طُبعَـتْ والظُّلَـمْ

حملنــاهُ جــرحًــا بكــلِّ فــؤادٍ ... وهمًّــا علــى كـلِّ صــدر جَثَـمْ

ومـا كــان فـى العيــن إلا القَـذَى ... وما كـان فى الجسـم إلا السَّقَمْ[3]

إذا مــا استكــانــت لــه أُمَّـــةٌ ... فمــا أهلُهــا بشَــرٌ ؛ بــل نَعَــمْ

ومَــنْ قَبِـلَ الظُّلْـمَ فهْـوَ الملـومُ ... وليــس المَـلامُ علــى مـن ظَلَـمْ

ولـــن يَحمــلَ القيــدَ حــرٌّ أبــىٌّ ... ولـن يلبسَ الطَّـوقَ شَعـبٌ أشَـم

لـه فــى الكـرامــة مـاضٍ مجيـدٌ ... وســابقَــةٌ فــى العــلا والكَـرَمْ

ومـــا مصــرُ إلا مهـــادُ العلـــوم ... ورمــزُ الحضــارةِ منــذُ القِــدَمْ

ولـــو أقسمَــتْ أنهــا هــىَ أمُّ الـــ ... وجـودِ لمـا حنِثَـتْ فـى القَسَـمْ !

***

دَعُــونَــا نحسُّ جمــالَ البــلادِ ... ومـا استُودِعَـتْ من جـزيلِ النِّعَـمْ

فبئـسَ النعيــمُ نعيــمُ الجِنــانِ ... إذا ضمَّـــهُ وَطَــنٌ مُهْتَضَـــمْ ![4]

وهــل للبــلاد المُبَــاحَــةِ مــاءٌ ... بــه يُــرْتَــوَى أو هــواءٌ يُشَــم؟

ومــا أقبَـحَ الأرضَ أرضَ الحمَــى ... إذا داسهــا غــاصــبٌ بـالقَــدَمْ !

ومــا أقَبــحَ الجــوَّ إن شَــمَّ منــه ... عــدوُّ البـــلاد رقيــقَ النَّسَـــمْ !

---

(١) يفغر فاه : يفتح فمه ، وهنا تشبيه الموت بحيوان مفترس .

(٢) السفر : الكتاب ، والصك : الوثيقة .

(٣) القذى : ما يصيب العين من الأجسام الغريبة .

(٤) المهتضم : المعتدى على حقوقه المسلوبة حريته .

ولـن تسلَـم الأرضُ حتـى تصيـر   جحيمًـا علـى الغـاصبيـن اضْطَـرَمْ
ويحصِبَهُـمْ بحـرُهـا بـالشُّـواظِ   ويقـذِفَهُـمْ جـوُّهـا بـالحُمَـمْ(١)

***

أُسـاةُ البـلادِ قـد استـأصَلُـوا   بِمبضِعِهـم داءَهـا ؛ فـانحسَـمْ(٢)
فمـا عـاد ينْغـرُ جـرحُ البـلادِ   ولا يشتكـى جسمُهـا مـن أَلَـمْ(٣)
وليـس لمتعمـرٍ معقِـلٌ   بمصـرَ إذا عـرشُ مصـرَ انهـدَمْ(٤)
همـو حطَّمـوا صنمًـا قـائمًـا   وثنَّـوْا بعُبَّـاد هـذا الصَّنَـمْ
هَوَى المَلِـكُ الضخمُ عـن عرشـه   فمـا ذلـك الشَّحْـمُ إلا وَرَمْ
ولـم تبـقَ منـه سـوى ذكـريـاتٍ   تلـوحُ كطَيْـف خيـالٍ أَلَـمّ
لقـد مكَّـنَ الله للظـالميـ (م)ـن حينًـا مـن الـدهـر ثـم انتَقَـمْ
أَلا إن للمستبـدِّيـن يـومًـا   يَعضُّـون فيـه بنَـانَ النـدَمْ !
هـو الجيـش طهَّـرَ أرضَ البـلادِ   وجمَّـعَ شمـلَ الحمـى فـانتظَـمْ
وصيَّـرَ أقـواتَهـا قسمـةً   ومـا كـان أعـدَ لَـهُ إذ قَسَـمْ :(٥)
فمـا عـاد يشكـو الفقيـرُ الطَّـوَى   ولا عـاد يشكـو الغنـيُّ البَشَـمْ !(٦)

***

(١) المراد بالشواظ والحمم : قذائف المدافع من الأسطول تارة ، ومن الطائرات أخرى .

(٢) أساة : جمع آسٍ وهو الطبيب ، والمراد : بهم رجال الجيش ، ومبضع الطبيب : سلاحه .

(٣) نغر الجرح : أى تجددت آلامه .

(٤) يشير الشاعر إلى أن حماية العرش ـ دائمًا ـ حجة يتذرع بها المحتل إلى توطيد أقدامه فى البلاد .

(٥) يشير الشاعر إلى الإصلاح الزراعى وما استتبعه من تقسيم أراضى الإقطاعيين على الفلاحين الكادحين .

(٦) الطوى : الجوع ، والبشم : التخمة .

بنى مصرَ ، هـذا زمـانُ القـوىّ   فكـونـوا السبـاعَ ، ومصرُ الأَجَمْ

إذا عـاثَ فـى أرضكـم عـائثٌ   فقـولـوا لـه : تلـك أرضُ الحَـرَمْ !

يقولـون : عهدُ الضياءِ ، وكـم من   ظـلام بعَهْـدِ الضيـاء ادْلَهَـمّ ! (١)

وأقسـمُ ، لـن يتسـاوى الأنـام   فمـا هُـم سـوى سـادةٍ أو خَـدَمْ

ومـا برحَ النـاسُ شَطـرَيْن : منهـم   ذئابٌ جيـاعٌ ، ومنهـم غَنَـمْ

فـلا تـأمَنـوا جـانـب الأقـويـاءِ   فكـم وضَعُوا سُمَّهـم فـى الدَّسَمْ !

وكـم أخْلَـفَ الأقـويـاء لنـا مِنْ   وعُـودٍ ، وكم خَفَـرُوا من ذِمَمْ ! (٢)

وكـم أبهَمُوا عنـد وضع النُّصـوصِ   فكـانَ لصـالحهـم مـا انبهَـمْ (٣)

كـذلـك شَـرْعُ القـوىّ إذا مـا   تَقَاضَى : هو الخَصْم ، وهْوَ الحَكَمْ

إذا شاء ، أعْطَـى الحقوقَ احتسـابًا   وإن شـاءَ مـن كـل حـقٍّ حـرَمْ (٤)

وكـم غَفَـرَ النـاسُ ذنـبَ القـوىّ   وكـم ألصَقُـوا بـالضعيـف التُّهَـمْ

***

بنـى مصـرَ ، هـذا زمـانُ المُجِـدِّ   فـأيـنَ الجُهُـودُ وأيـنَ الهِمَـمْ ؟

وأيـن الـذى يقطـعُ الأرض وثْبًـا   ولا ينثنـى عـزمُـهُ إن عَـزَمْ ؟

ألا ، فارفعـوا صوْتَ مصـرَ إلى أنْ   يـرنَّ صـداهُ بـأذْن الأصَـم

وخَلُّـوا السُّفـوحَ لكـل ضعيـفٍ   وحُطُّـوا الـرِّحَالَ بـأعلـى القِمَـمْ (٥)

أقيمـوا الصِّنـاعـاتِ فـى أرضِكُـمْ   وسَـوُّوا الهِضَابَ ، وروُّوا الأكَـمْ (٦)

---

(١) ادلهم : احتدم ، ويشير الشاعر إلى أن شريعة الغابة ما زالت سائدة فيما يسمونه بعهد النور .

(٢) خفر الذمة : عدم الوفاء بالعهد .

(٣) يشير إلى : أن تأويل نصوص المعاهدات يكون دائماً فى صف الأقوياء .

(٤) احتساباً : تبرعاً وطواعية .

(٥) كنى بالسفوح عن المطالب الدنيا ، وبالقمم عن المطالب السامية .

(٦) يريد بتسوية الهضاب وتروية الآكام : استصلاح الأراضى للزراعة .

ولا تُسرفُوا فى الأمانِي . يَموتُ مِنَ الجوعِ مَنْ بالأمانى ائْتَدَم![1]
أرى الأرضَ جاشَتْ بسُكانها فَلا تقفُوا خَشْيةَ المُزْدَحَمْ[2]

فإنَّ الشُجاعَ شجاع السّلام إذا صادَفَ العَقَباتِ اقتَحَمْ
وإنَّ الحياةَ مجالُ كفاحٍ فويلٌ لمن فى المجال انهَزَمْ

***

بنى العُرْبِ ، سُودُوا كأسلافكم وخَلُّوا الفَخَارَ ببالى الرِّمَمْ
فليس الذى هَدَّ إرثَ الجُدودِ كَمَنْ شَادَ ما أَسَّسُوا أو دَعَمْ
وبالوَحْدةِ اعتصمُوا والوِئامِ فما خابَ مَنْ بالوئام اعتَصَمْ
وخلُّوا الخِصامَ على التُّرَّهاتِ فما ساد شعبٌ عليها اختَصَمْ[3]
وما فكَّكَ الشَّعبَ مثلُ النزاعِ إذا هُوَ بينَ بنيه احتَدَمْ
سحَبْنَا ذيولَ الخلافِ قديمًا : فذلك سَبٌّ ، وهذا شَتَمْ[4]
فلم نكتسبْ من وراءِ الخلافِ سوى أنَّ عِقْدَ البلادِ انفصَمْ

***

بَنى العُرْب ، هذى نجومُ السماءِ فأينَ حفرْتُمْ مكانَ العَلَمْ ؟
عُيونُ الممالِكِ قد أحدَقَتْ بكم ، والمُؤَرِّخُ سَلَّ القَلَمْ !

***

(١) الأدم : ما يؤكل مع الخبز ليسيغه .

(٢) جاشت : ازدحمت وتضخم عدد سكانها ، والمزدحم : الازدحام .

(٣) الترهات : الأباطيل والأوهام .

(٤) فى البيت إشارة إلى : ما كانت عليه مصر من الخلافات الحزبية قبل الثورة .

بطل الجلاء (١)

تحقق الاستقلال على يدى «جمال» ، ومن مفارقات القدر العجيبة : أن يعتدى على حياته الغالية فى الوقت الذى يستحق فيه إكليل الغار ؛ على ما أحرز من انتصار .

أَمَلٌ تحقَّـقَ بعـدَ طُول مِطَـالِـهِ ... بُشْـرَى الحمـى بوثيقـة استقـلالِـهِ

عيدَ الجلاءِ ، لأنْتَ يـومُ النحر فى ... إحـرامِهِ ، والفطـرِ فـى إحلالِـهِ (٢)

حقَّقْـتَ للـوادى أعـزَّ رجـائِهِ ... وأتيْـتَ بـالمنشـودِ مـن آمـالِـهِ

يـومٌ حَنَـى التـاريـخُ هـامَتَـهُ لـه ... واصطفَّـت الأحقـابُ لإستقبـالِـهِ

الثـورةُ البيضـاءُ شَعَّ بيـاضُهـا ... فى ظلمـة الوادى شُعاع هـلالِهِ (٣)

شبَّتْ ؛ فما احتـرقَتْ بها دارٌ ، ولا ... شِيبَـتْ بَطْيـف دم ، ولا بخيـالِـهِ

والعهْـدُ بـالثَّوْرَاتِ نـاضحـةً دمًـا ... يحمـرُّ وجـه الأرض مـن سيَّالِـهِ

العـاهـلُ الْجبَّـارُ ولَّـى طـائعًـا ... متعثِّـرَ القَـدَمَيْـن فـى أَوْحـالِـهِ (٤)

والغـاصـبُ المحتَـلُّ سلَّـم سيفَـهُ ... ومضـى لِطِيَّتِـه بـدون قتـالِـهِ (٥)

أقسمـتُ ، ما كـان الجـلاءُ تبرُّعًـا ... منـه ، ولا التسليـم مـن أفْضَـالِـهِ

---

(١) ألقيت هذه القطعة فى احتفال أقامه المعلمون بناديهم فى الجزيرة ، ابتهاجًا بعقد معاهدة الجلاء ونجاة الرئيس من الاعتداء على حياته الغالية .

(٢) المراد بالإحـرام : لبس ملابس الإحـرام للحج ، والمراد بالإحـلال : إحلال الفطر بعد الصيام .

(٣) ثورة بيضاء : أى لم يصبغها الدم بلونه الأحمر .

(٤) العاهل الجبار : يراد به الملك الراحل .

(٥) الغاصب المحتل : يراد به الجيش الإنجليزى ، مضى لطيته : مضى لشأنه .

ليس العرينُ إلى الدماءِ بحاجةٍ ... حسْبُ العرينِ الخوفُ من رئبالِهِ [1]

***

سَلِمَ الرئيسُ لمصرَ ! ماذا يبتغى ... مُغتالُهُ ؟ شلَّتْ يَدَا مُغْتالِهِ !

لُطْفُ الإلهِ ، وجيشُ مصرَ، وشعبُها ... مِن عن يمين رئيسِها ، وشِمالِهِ

أَفْنُوا الكنانَةَ ــ لا جمالاً وحدَهُ ــ ... إن شئتمو ؛ فالكلُّ من أمثالِهِ

قل للذى غَدَرَ الرئيسَ : غَدَرْتَ مَنْ ... ليس ارتكابُ الغدر بعضَ خصالِهِ

مَنْ صاوَلَ الجبَّارَ فوق سريره ... لا يغدِر الأحرارُ عندَ صيالِهِ [2]

هذا فتًى حرٌّ ، يواجهُ خَصْمَهُ ... لم يَرْمِ خَصْمًا من وراء قَذَالِهِ [3]

لم يدْعُ « آلَ محمدٍ » لوليمةٍ ... يومًا ، ويبرِىَ هامَهُمْ بنصالِهِ [4]

***

بطَلَ الجلاء ، رماك غرٌّ غافلٌ ... فتلَفَّتَتْ مصرٌ بقلبٍ والِهِ [5]

وحسبتُ ماء النيل كاد يكفُّ عَنْ ... جَرَيَانه ، ويثورُ عذْبُ زُلالِهِ

لما نجوتَ، نجا الحمى من نكسةٍ ... تبقى بقاءَ الدهرِ فى أجيالِهِ

أيقالُ : شعبٌ عضَّ كفًّا حرَّرَتْ ... بالأمس هذا الشَّعْبَ من أغلالِهِ؟

أيقالُ: أردى النيلُ مُنقذَهُ الذى ... بَعَثَ الحياةَ تدِبُّ فى أوصالِهِ؟

---

(١) حسب العرين : كافيه، والمعنى : أن مجرد الخوف من بأس الأسد يمنع التعرض له ، ويكفيه شر الصراع ، وكذلك حدث عندما استولى الجيش على مقاليد الأمور .

(٢) الجبار : المراد به الملك الراحل .

(٣) قذاله : قفاه .

(٤) يشير إلى : قصة غدر محمد على باشا بالمماليك، وإلى : أن الرئيس لم يصنع بأسرته هذا الصنيع .

٢(٥) واله : حزين حزناً شديداً .

أيقـالُ : غــالَ النيـلَ ليثًـا صــانـه — وحمى حمـاه ، وذادَ عن أشبـالِهِ؟
قالـوا : الرئيسُ نجا ؛ فهلَّـل معشرٌ — يَفْـديـه بـالمكتـوب مـن آجـالِـهِ
قالوا : الرئيسُ نجـا ؛ فكان لقولهمْ — وقْعُ الأذان ، وحُسْنُ صوت بلاَلِهِ (١)
أتعُـودُ مصرُ إلـى الـوراءِ بأهلِهـا ؟ — ويسـودُ عهـدُ الـذُّلِ بعـد زَوالِـهِ ؟
أيَّـامَ كـان الحُكْـمُ هَــمَّ عِصـابـةٍ — بالروح تسَمحُ فـى سبيل وصالِهِ (٢)
لا يحكمـون الشَّعبَ إلا بـالعَصَـا — والسَّوْط مُعْتَـزِّيـن بـاستِـذْلالِـهِ
والغـاصـبُ المحتَـلُّ شِبْــهُ مُـؤَلَّـه — فى مصرَ يرجُو الكـلُّ وصْلَ حبالِهِ (٣)
يتنـافسُـونَ علـى رضَــاهُ ، كـأنَّـه — رَشَــأٌ يتيـهُ عليهمــو بـدلالِــه (٤)
والعــرْشُ بيـــن خُمــارِهِ وقِمــارِهِ — لاهٍ ، تَحُـفُّ به ذواتُ حِجـالِـهِ (٥)
أتعُـودُ مصــرُ ومـا حَـوَتْــهُ طُعْمَـةً — للنـائب الحــرِّ الجـرىءِ وآلِـهِ ؟
لا وَزْنَ فيهـــا للنُّبــوغَ ؛ وإنَّمـــا — يَـرْقَـى السعيدُ بعمِّـهِ وبخـالِـهِ ؟!
كـم نائبٍ حـرٍّ سُقينـا الشَّهْدَ من — أقــوالِـهِ والسَّــمَّ مــن أفعـالِـهِ !
كـم هـاتـفٍ بحيـاة مصـرَ وإنمـا — هـــو تـاجــرٌ يَغْنيـهِ وفْــرَةُ مـالِـهِ
مـا كـان الاستقــلالُ مطلـبَ أمَّـةٍ — بـل مَتْجَرٌ عكَفُـوا علـى استغلالِـهِ

***

أمعلِّمـى الــوادى، إذا حـدَّثْتُمُــو — نَـشْءَ البـلاد الغَضَّ عـن أبطـالِـهِ
فلتـأخُـذُوا لهمــو جمـالاً قُــدْوَةً — ولْتَضـربـوا الأمثـالَ بـاستِبْسَـالِـهِ
رجُـلٌ تحـدَّى مـن رمـاه بِصَـدْرِهِ — مستهـــزئًا بسهـامِـــهِ ونبـالِـــهِ

---

(١) بلال : هو مؤذن الرسول ﷺ .

(٢) يشير فى هذا البيت ـــ وما بعده ـ إلى : تنافس الأحزاب فى العهـد البائد على تولى مقاليد الحكم .

(٣) كانت الوزارة تسقط أو تتولى بإشارة من السفير البريطانى .

(٤) الرشأ : الغزال .

(٥) الخمار : أثر الخمر فى رأس شاربها ، وذوات الحجال : كناية عن النساء .

رجـلٌ تنـاثـرَت القــذائفُ حـولَـهُ مطَرًا ، فلـم يقطَعْ سِيَـاقَ مقالِـهِ [١]
قـولـوا لنشْءِ النيـل : هـذا خـادمٌ لبـلادِهِ، فـانسِـجْ علـى مِنْـوالِـهِ

***

بَطَلَ الجلاء، لأنْتَ فـى هذا الحمى عيسـى الذى يقضـى علـى دَجَّالِـهِ [٢]
علَّمتَنَــا أنَّ الثبــاتَ تميمــةٌ فـى الرَّوْعُ تُنجـى المرْءَ مـن أغوالِـهِ [٣]
مـا كـان راميـكَ الأثيـمُ بطـائشٍ لكـنْ ثبـاتُـكَ كـان سرَّ خَبـالِـهِ
ما أنتَ فى الـوادى ؟ أبعضُ رجالِهِ أم أنـتَ بعـض تـلالِـهِ وجبـالِـهِ ؟

***

أمعلمـى الوادى ، عليكُـمْ واجـبٌ لـم يَضْطَلـعْ أسلافُكـم بمثـالـه [٤]
الجيشُ حرَّرَ مصـرَ أجمعَها ، فمن للعلـم فـى مصـرٍ بِحَـلِّ عِقَـالِـهِ؟
إنِّـى لألْمَـحُ الاحتـلال مقنَّعًـا يتقَمـصُ التعليـمَ فـى أشكـالِـهِ
فاستأصلوا من مصرَ ما غرسَتْ يَدَا « دَنْلُوبَ » . حانتْ ساعةُ استئصالِه [٥]
العلـمُ كـان بمصـرَ بـابـاً مقفَـلاً فلْتنـزِعُـوا الأختـامَ عـن أقفـالِـهِ [٦]

---

(١) حين اعتـدى على الـرئيس ، كان يخطـب فى ميدان المنشيـة ، فلم يقطـع حبل الكلام .

(٢) المراد بالدجل هنا : الدجل السياسى والاتجار باسم الوطنية ، والبيت يشير إلى : ما هو معـروف من أن المسيخ الدجـال يظهر فى آخر الـزمان ، ثم يهبط المسيـح عيسى ، فيقضى عليه .

(٣) التميمة : ما يعلق فى عنق الصبى من الرقى والتعاويذ لتحفظه ، والأغوال : جمع غول بمعنى الهلاك .

(٤) ينعى الشاعر ـ فـى الأبيات المقبلة ـ أسلوب التعليم فى مصر ، ومـا كان عليه فى عهد الاحتلال .

(٥) « دنلوب » : هو المستشار الإنجليزى، الذى وضـع أسس التعليم فى مصر على النحو الذى يتطلبه الاستعمار .

(٦) يشير الشاعر إلى : ضرر الحد من التعليم، وضرورة فتح بابه على مصراعيه .

العلـمُ أدركَـهُ الهُـزَالُ ، فنقِّبـوا ... عـن سـرِّ شكـواه ، وسـرِّ هُـزالِـهِ
حـوكـوا لـه ثـوبًـا قشيبًـا ضـافيًـا ... لا تـرفَئُـوا ما رثَّ مـن أَسْمَـالِـهِ [1]
يـا راسميـنَ بكـلِّ يـومٍ خُطَّـةً ... هـل آنَ للتعليـم حط رحـالِـهِ؟ [2]
فـي كـل يـومٍ منهَـجٌ متخـاذلٌ ... واهى الأساس يموتُ قبلَ فِصَالِهِ [3]
النـاشـئُ العـربـيُّ يجهـلُ دينَـهُ ... ويحـارُ بيـن حـرامِـهِ وحـلالِـهِ
النـاشـئُ العـربـيُّ يجهـلُ أَصلَـهُ ... بيـن الشعـوب ، فبصِّـروهُ بحـالِـهِ
لا يعـرفُ الشـرقَ الـذى يحيـا بـه ... ومضـاربَ الأمثـال من أقْيَـالِـهِ [4]
يشـدُو « بنا بُلْيـونَ » فـى زَهْـوٍ ومـا ... خَطَرَتْ حروبُ « ابنِ الـوليدِ » ببالِهِ
إنَّ الكنـانَـةَ يشتكـى أبنـاؤهـا ... إذ يطلبون العيش ضِيقَ مَجالِهِ [5]
صُوغُـوا لواديكم رجالاً ، واغـرِسُوا ... حـبَّ الكِفـاح الحـرِّ فـى أطفـالِـهِ
رَبُّوا علـى الخُلُق الشَّبيبَـةَ واصقُلُوا ... نَـزَعـاتِهـا ومُيـولَهـا بصِقـالِـهِ [6]
ليـس المثَّقـفُ مـن تثقَّـفَ ذهْنُـهُ ... وحجـاهُ دون طبـاعِـهِ وخـلالِـهِ
العالِـمُ الغاوى أشـدُّ على الحمـى ... خطـراً ــ لعمـرُ الله ـ مـن جُهَّـالِـهِ
يـا طابعيـن النشء ، هـذا يومُكـمْ ... عيـدُ الخـلاصِ أظلكـم بظـلالِـهِ

---

(١) لا ترفئوا : لا ترقعوا ، رث : بلى ، « أسمـال » : يراد بهـا ما بلـى من الثيـاب . والبيت يدعو إلى : التغيير الشامل بدل الترميم المستمر .

(٢) يعنى الشاعر كثرة وضع المناهج التى يتلو بعضها بعضاً دون أن تختمر .

(٣) الفصال : الرضاع .

(٤) الأقيال : جمع قيل وهو السيد العظيم .

(٥) يشير فى هذا البيت إلى : كساد سـوق المتعلمين ؛ لأن تعليمهم كان نظرياً أكثر منه عمليًا .

(٦) صقل السيف ونحوه : جلاه وأحسن إعداده .

أنتمْ رجاءُ النِّيل فى نَهَضاتِهِ | أنتم جوابُ النِّيل عند سؤالِهِ [1]
وشُعاعُهُ الفِضِّيُّ فى ظُلماتِهِ | وشعاعُهُ الذهبيُّ فى آصالِهِ [2]
أنتم بنوه الناهضون بكلِّ ما | يُعْيى الجبالَ الشُّمَّ من أحمالِهِ
حسبُ المعَلِّم: أنَّ كلَّ مظفَّرٍ | فى جيشِ مصرَ يُعَدُّ من أنجالِهِ

(١) المراد: أن المعلمين - حين يدعو الوطن - رجاله يكونون فى المقدمة .

(٢) فى البيت : تشبيه المعلمين بنور البدر تارة وبنور الشمس تارة أخرى ، والآصال : جمع أصيل وهو الوقت قبيل الغروب .

صدى الجمهورية

عندما أعلنت الجمهورية فحلت محل الملكية المتعفنة .

يا بيعةَ الحقِّ والرِّضوانِ، تلك يدى | الحُكْمُ للشَّعبِ بعدَ الواحد الصَّمدِ
قالوا: غدَتْ مصرُ جُمهوريَّةً ؛ فَسَرَى | مقالُهم سَرَيانَ البُرْءِ فى الجسدِ
وقلتُ: حقٌّ قديمٌ كان مُهْتَضَمًا | الثَّوْرَةُ انتزَعَتْه من فم الأسدِ[1]
لا أعرفُ الفردَ تَفْنَى فيه أمَّتُهُ | طُرًّا فإنْ يَهْوِ يَهْوِ الكُلُّ من صَعَدِ[2]
الفردُ ليس على شعبٍ بمؤتَمَنٍ | فليحكُمْ الفردُ لكنْ غيرَ منفرِدِ[3]
ما كلُّ والٍ تولَّى أمَّةً عُمَرٌ | فتَّشْتُ عن عمرٍ ثانٍ، فلم أجِدِ
لا يحسب العرشُ أنَّ الشعبَ خادمُهُ | العرشُ - لولا سَوادُ الشعب - لم يَسُدِ
ليس الولاةُ تماثيلاً يُطافُ بها | ولا القُنُوتُ لغير الواحِد الأحدِ
ولا الشعوبُ بآلاتٍ مُسخَّرةٍ | لما يريدُ مواليها ولم تُرِدِ
ولا العروشُ - عروشُ المُلْك - إن شَغَرَتْ | إرثًا يؤولُ إلى بنتٍ ولا ولدِ[4]
كم سَيْطَرَ الحُمْقُ والنَّوْكَى على بلدٍ | إذا تُوُورِثَ عرشُ الحُكْمُ فى البلدِ[5]

---

(١) ليس المراد تشبيه الملك الراحل فى ذاته بالأسد ، بل شبهه الشاعر به لما يحيط به من مظاهر القوة والجبروت .

(٢) من صعد : أى أعلى .

(٣) يريد : أن الفرد حين يحكم فى الحكومة الجمهورية ليس منفردًا بالحكم؛ بل يشاركه فيه كل من انتخبه .

(٤) شغرت : خلت .

(٥) النوكى : جمع أنوك ؛ وهو : الأخرق الغبى .

للـرِّق قومٌ تمشَّـى الـرقُّ فى دمهِـمْ	لا يصلُحُون لغير الطَّوْقِ والصَّفَدِ [1]
إنِّـى لأعجـبُ للأحـرار فـى وطـنٍ	حرٍّ يـذِلُّونَ ذُلَّ العَيْـر والوَتـدِ ! [2]
يَسْتـأجرون غـريبًـا عـن ديارهُمـو	ليُعمِـلَ السَّـوْطَ فيهـم غيـرَ متَّئِـدِ
الأمـرُ مـا شاءَ أو شـاءتْ بطـانَتُـهُ	وليـس للشَّعبِ غيـرُ الهَمِّ والكَمَـدِ
العيـبُ فـى ذاتـه كُفْـرٌ وكـل دَمٍ	أراقَـهُ فَهْـوَ مطلُـولٌ بـلا قَـوَدِ [3]
هيهـاتَ تَسْمَـعُ أُذْنٌ أو يَـرَى بَصَـرٌ	إيماءَ معتـرِضٍ أو همْسَ مُنْتَقِـدِ !
الكـلُّ يثنـى علـى آلائِهِ كـذِبًـا	ويُنشىءُ المدحَ فيـه غيرَ مُعتقِدِ [4]
كم كنتُ أضحَكُ مـن نفسى وأُضحِكُها	إذ ألبـسُ البُومَ ريـشَ الطائِرِ الغـرِدِ
كم قلـتُ للَّيل : أنتَ الصُّبحُ مـؤتلقًا	وقلتُ للـذِّئبِ : أنت اللَّيـثُ ذو اللِّبدِ
أستغفرُ اللهَ ! ليس المَيْنُ من شِيَمى	وليس شعرى سوى ما دار فى خَلَدِى [5]
لكنْ مـن المدح نُصْحٌ خـفَّ مَسمعُهُ	علـى الطُّغاةِ وتـوجيـهٌ إلـى الرَّشَـدِ
كم مِنْ شحيحٍ تساخَتْ أوسَخَتْ يَدُهُ	إن أنتَ شبَّهْتَـهُ بالبحـر ذى الزَّبَـدِ

***

(١) الصفد : القيد .

(٢) العير : الحمار ، والوتد معروف ، وبهما يضرب المثل فى الذل ؛ قال الشاعر :

ولا يقيـم علـى ضيـم يـراد بـه	إلا الأذلان : عيـر الحـى ، والـوتـد
هذا ـ على الخسف ـ مربوط برمته	وذا يشـج ، فـلا يـرثـى لـه أحـد !

(٣) الـدم المطول : هـو الذى لا ديـة له ، وقـولـه : بـلا قود بعـد ذلك تفسيـر لذلـك المعنى، والبيت ـ وما بعده ـ إشارة إلى : تقديس شخص الملك، ووضعـه فوق القـانون .

(٤) الآلاء : النعم .

(٥) يعتذر الشاعر ـ فى هذه الأبيات ـ عن إطرائه للملك الـراحل ، وملخص عذره : أنه لم يكن يصفه بما هو فيه ، بل يصفه بما ينبغى أن يتصف به ؛ أى : أنه ينصحه ويلفت نظره إلى الجادة عن طريق حب مستساغ .

قالوا : اختفى المُلْكُ من مصرٍ ، فقلتُ لهم :

بل اختفى الذُّلُّ من مصرٍ إلى الأبدِ

طال المَدَى ، وهْىَ فى الأغلال غَارِقَةٌ وعرشُها غارقٌ فى نَشْوةٍ وَدَدِ (١)

وقام فى مصرَ دُستورٌ ؛ فما نَشِطَتْ مصرٌ، ولا أصلَحَ الدستور من أَوَدِ (٢)

إنَّ الأسيرَ أسيرٌ ، حولَ أَخْمَصهِ حبلٌ من الخَزِّ، أو حبلٌ من المَسَدِ (٣)

أين الأُلَى بَشِموا والشَّعْبُ فى سَغَبٍ

وأَتْرَعُوا الكأسَ تِلْوَ الكأسِ وهْوَ صَدِ ؟ (٤)

ما للسماءِ وقد زالتْ عروشُهُمُو لم تبكِ حزنًا ؟ وما للأرضِ لم تَمِدِ ؟

العرشُ لو لاذ بالأفلاك تُسْنِدُهُ لم يَلْقَ مثلَ قلوب الشعبِ من سَنَدِ

***

قُلْ للبواسلِ من جيش الحمى : سَلِمَتْ أَيْدٍ أصبتُمْ بها الطُّغيانَ فى الكَبِدِ

مَنْ ينخُرُ السوسُ نخرًا فى نواجِذِه فلا دواءَ له أشْفَى من الدَّرَدِ (٥)

أصمَتْ سهامُكمو ، لكنها سَقَطَتْ على فؤاد الحِمى أَنْدَى من البَرَدِ (٦)

أثبتُّمو أنَّ فى الوادى أُسودَ شَرًى تقولُ فى جُرْأةٍ للمستبدِّ : قَدِ (٧)

خُطُّوا على العدل والإنصاف دولتَكُم وشيِّدُوها من الشورى على عَمَدِ

---

(١) الدد : اللهو والطرب .

(٢) الأود : العوج .

(٣) الأخمص : القدم ، الخز : الحرير ، المسد : الليف . والمعنى : أن الدستور كان اسمًا يستتر خلفه الاستبداد، فكأن الشعب كان قبله مقيداً بحبل خشن ، فأصبح بعده مقيداً بحبل ناعم الملمس .

(٤) بشموا : أتخموا من الشبع ، سغب : جوع ، أترعوا : ملئوا، صد : ظمآن .

(٥) النواجذ : الأسنان ، والدرد : تساقط الأسنان .

(٦) أصمى السهم الفريسة : أى اخترقها ، والبرد : ما يتساقط من السماء من المطر على شكل حبيبات صغيرة .

(٧) « قد » : اسم بمعنى كاف ، والمعنى: حسبك ما فعلت ؛ فقف عند هذا الحد .

وجنِّبوا مصرَ أخطاءً لها سَلَفَتْ فإنما خَطَأُ الماضى صَوَابُ غَدِ

***

جمالُ، حُمِّلتَ ما تعيا الجبالُ به فكنتَ أثبتَ من رضْوَى، ومن أُحُدِ[1]

نهضْتَ بالحكم فى عزم، وفى ثقةٍ حكم أَفاد الحمى منه، ولم تُفِدِ

لله دَرُّكَ من حرٍّ يزيِّنُه إيمانُ عبدٍ على الرحمن معتمِدِ !

هذا الذى صاول الجبَّار فى نَفَرٍ من صحْبِهِ، لم تَضِرْهُمْ قلَّةُ العَدَدِ

هو الجوادُ بما فى كفِّه، فإذا سألتَهُ درهمًا للشعب لم يَجُدِ[2]

قالوا: التقشُّفُ، والحرمان طَابَعُهُ فقلتُ : مَنْ يُرِد الإصلاحَ يقتصدِ

قالوا: تنكَّر للدُّستور، وانفردَتْ بالأمر شيعَتُهُ، قلنا : إلى أمَدِ

عذرًا ؛ فلا مبضَعٌ إلَّا لَهُ أَلَمٌ ولا دواءٌ حَلاَ فى حلْق مُزْدَرِدِ[3]

جمالُ، أدمى الطريقُ الحَزْنُ أرجلَنا فسرْ بنا فى الطريق اللاحِبِ الجدَدِ[4]

سُلَّ السخائمَ من بعض النفوس، فلا أضرَّ من خَصلتين: الحقدِ، والحسدِ[5]

وارفُقْ بجيلٍ قضى أيَّامه شَظَفًا فبات يحلم بعد الضيق بالرَّغَدِ

ووحِّدِ الرأىَ، كم أزرى الخلافُ بنا لا يدركُ المجدَ شعبٌ غيرُ متَّحدِ !

ودرِّع الشعبَ إن خطبٌ ألم به درعًا من الخُلْق، لا درعًا من الزَّرَدِ

الدِّينُ أقوَمُ ما سُسْتَ الأمورَ به والعلمُ أفضلُ ما أعدَدْتَ من عُدَدِ

---

(١) رضوى وأحد : اسما جبلين ببلاد الحجاز .

(٢) درهما للشعب : أى درهما مملوكاً للشعب .

(٣) المبضع : سلاح الطبيب ، وازدرد الشىء : ابتلعه . وهنا يلتمس الشاعر للثورة العذر فيما قد يبدو فى أعمالها من عنف، فيقول : إن العمليات الجراحية شاقة ولكنها محمودة العقبى .

(٤) الطريق الحزن : غير المعبد ، والطريق اللاحب الجدد : عكسه .

(٥) السخائم : جمع سخيمة وهى الضغينة .

اليومَ لا العِرضُ فى مصرٍ بمنتهَكٍ ... كلا ، ولا الحرُّ فى مصرٍ بمضطهَدِ

هذى حياضُ المنى ، يا مصرُ ، مترعةً[1] ... لا طَاب موردُها إن أنتِ لم تردى

هيا ؛ فقد أرهَفَ التاريخُ مِرقَمهُ[2] ... وراحَ يكتُبُ عن أيامِكِ الجُدُدِ

*****

(١) مترعة : ممتلئة .

(٢) المرقم : القلم .

عرش هوى

في ٢٣ من يولية سنة ١٩٥٢م أحاط الجيش بالقصر ، وأرغم الملك على الاستقالة ثم الرحيل ؛ فبدأ في مصر عهد جديد.

تكلَّمْ أيُّها القَدَرُ المُتَاحُ ... وللأقْدَارِ ألْسنَةٌ فِصاحُ

وحَدِّثْ عن نهايةِ كل باغٍ ... فإنَّ حديثَك الحقُّ الصُّراحُ

بربِّك، عظْ جبابرةً إذا ما ... تراءى الواعظون لهم أشاحُوا[1]

ففي أحداثك الجُلَّى عظاتٌ ... لو اعتبر الطغاةُ بها استراحوا !

أحقًّا بات « رأس التين » حِلاًّ ... تطوِّقه الكتائبُ والسلاحُ ؟[2]

ومِنْ دون الوصول إليه كانتْ ... رُءُوسٌ في الهواء بها يُطاحُ ؟

مغانِي المُلْكِ بات على ذُراها ... يَرِفُّ لكلِّ ناعبةٍ جناحُ[3]

وهامَ المالِكُونَ بكل أرضٍ ... وتلك قصورهم بقِيَتْ وراحوا

قصورٌ أوحَشَتْ من بعد أنسٍ ... فما لِسَنًا بساحتها لِيَاحُ[4]

وقد كانت يبارى النجمَ منها ... إذا جنَّ الدُّجى غُرَفٌ وسَاحُ

وكانت كعبةً يغدَى إليها ... بأفواجِ الرعيةِ ، أو يُراحُ[5]

---

(١) أشاحوا : أعرضوا .

(٢) حاصر الجيش أول ما حاصر قصر رأس التين ، وكان الملك الراحل يقيم به إذ ذاك .

(٣) مغاني : جمع مغنى بمعنى مسكن ، والطيور النواعب : نذر الخراب كالغراب والبوم .

(٤) السنا : الضوء ، ولياح : مصدر لاح .

(٥) في قوله : « يغدى ويراح » إشارة إلى : أن الوفود كانت تساق سوقاً .

وكان حجيجُها وفدًا ، فوفدًا تضيقُ بهم - على سَعةٍ - « صَلاحُ »[1]

على عَتَباتها الهاماتُ تُحنَى كما تُحنَى من الطَّعن الرماحُ

كأن ترابَها مسكٌ ذكيٌّ له في أنف لاثمه نُفَاحُ[2]

سَلوا طيرَ الغُصُون « بعابدين » : أطال به على القصر النُّواح ؟

أم الأعراس في الوادى شجَتْه فكان له مع الوادى صُداحُ؟

***

سريرُ المُلكِ قد أمسى خَلاءً وقد ذهَبتْ بعاهله الرياحُ

لئنْ جزع السريرُ ، فَربَّ شَعْبٍ بمصرَ قد استخفَّ به المِراحُ

سياجُ الْمُلك تدبيرٌ ، وعدلٌ لعمرك لا مُقامَرَةٌ ، وراحُ

وحاشيةٌ تحُفُّ به ثِقاتٌ لهم بالعلم والخُلُق اتِّشاحُ

لهم حزمٌ ، وتجربةٌ ، ونُصْحٌ وأعراضٌ نقيَّاتٌ صِحَاحُ

وليس العرشُ للحشراتِ ظلاًّ ولا مِنْ جندهِ الغيد المِلاحُ[3]

ولنْ يَبقَى على الأيام مُلْكٌ دمُ الأحْرارِ فيه يُستباحُ

ولا مَلكٌ تعبَّدَهُ هواهُ ولم يُكْبَحْ لشهوتِه جِماحُ[4]

تظَاهَرَ بالصلاح لناظريه ومن أخلاقه بَرِيءَ الصَّلاحُ

تُساقُ إليه أموالُ الرعايا وتُسْلَبُ باسمه الأرْضُ البراحُ[5]

---

(١) صلاح : اسم من أسماء مكة .

(٢) نفاح : أى رائحة ذكية .

(٣) يشير البيت إلى : الزعانف الذين كانوا يحفون بالعرش ، وإلى ما عرف عنه من نزوات طائشة .

(٤) تعبده : اتخذه عبداً .

(٥) البراح : الواسعة ، يشير إلى : ما اتجه إليه الملك الراحل من تنمية ثروته ؛ بالطرق المشروعة وغير المشروعة .

أَيَخْشَى الفقـرَ ذو عـرشٍ وتـاجٍ ... تَـدِيـنُ لـه الـروابـى والبطـاحُ ؟

وأقبحُ مـا ترى : عـرشٌ حـريـصٌ ... وتـاجٌ لا يـزيِّنـه السَّمـاحُ

ولـن يُـرجَى لشعـبٍ بـات فيـه ... ولاةُ الأمـر تُجّـارًا فـلاحُ[1]

إذا مـا فـاز بـالـدُّستور شَعـبٌ ... فَسَـل عنـه : أجـدٌّ أم مُـزاحُ؟

فمـا الـدستـور إلا عنـد قـومٍ ... إذا جـار الملوك عليـه صاحـوا[2]

مضى الـزَّمـنُ الذى مـا كـان فيـه ... علـى الأمـلاك إن ظلمـوا جُناحُ[3]

فـلا مِلـكٌ تنـاسـلَ مـن « أمـونٍ » ... ولا عـرشٌ يبـاركُـهُ « فِتـاحُ »[4]

***

حُمـاةَ النيـل ، أحـرزتُـم لمصـر ... نجـاحـاً لا يضـارعُـه نجـاحُ

قـد اجتحتـم بثـورتكـم شـروراً ... ومـا للشَّـرِّ إلا الاجتيـاحُ

تَهلَّلَـت العُـروبـةُ يـوم ثُـرتُـمْ ... كـأنَّ العُـرْبَ أدركهـمْ « صَـلاَحُ »[5]

ومـا كـالظُّلـمُ للثَّـوراتِ زادٌ ... ولا مثـلُ الفسـاد لهـا لِقـاحُ[6]

وكيـف يكـافـحُ الأعـداءَ شعـبٌ ... وبيـن الشعب والعـرش الكفـاحُ؟[7]

---

(١) « فلاح » : نائب فاعل « يرجى » .

(٢) يريد أن الدستور لا تقوم له قائمة ما لم يكن له سند من وعى الشعب .

(٣) جناح : أى إثم .

(٤) « أمون وفتـاح » : من آلهـة قدمـاء المصريين ، وكان الملـوك ينسبون أنفسهم إليهم ؛ لتتسم كل أفعالهم بالقدسية .

(٥) « صلاح » : هو صلاح الدين الأيوبى .

(٦) لقاح : أى إخصـاب وتوالـد كناية عـن الكثرة ، يريـد : أن الظلم يخلـق الثورة، ويمد نارها بالوقود .

(٧) يريد : أن الشعـب الذى يشتغل بحرب حكـامه لا يستطيـع أن يدفـع مغيراً على أرضـه .

معـارِكُ بـالثبات كسبتمـوهـا ... ولـم تُطْلَـقْ بسـاحتهـا قِـدَاحُ[1]
ولا ســالَـتْ علـى أرضٍ دِمـاءٌ ... ولا احمـرَّت مـن العَلَـقِ الصِّفـاحُ[2]
بـدأتـمْ أمـرَها همسًـا ؛ فـأمسَتْ ... علـى شَفَـةِ الـزمـان بهـا يُبـاحُ
شفْيتـمْ مصـرَ مـن قُـرح قـديـم ... يُعـافُ لأجلـهِ المـاءُ القَـراح[3]
ألاَ ، فـاليـومَ كـلُّ عسيـرِ أمـر ... يَهـونُ ، وكـلُّ إصـلاحٍ يُتـاحُ
إذا السـرطـانُ فـارقَ قلـب شـاكٍ ... فليـس يَضيـر نـاجـذَهُ القُـلاَحُ ؟[4]
حُمـاة النيـل ، مـن لِعثار شعـب ... إذا هـو قـام أقعـدهُ الكُسـاحُ ؟
بـه مُستـوزرون إذا وَلُـوه ... فمـا للشعـب بـل لهـم الـرَّبـاح[5]
تِجَـارُ سيـاسـةٍ ، وهُـواةُ حكـم ... بـأحشـاءِ الحمِـى منهـم جِـرَاحُ[6]
تَـولَّـوا أمـرَهُ حِـزبًـا فحـزبًـا ... فـأُطلِـقَ للفسـادِ بـهِ السـرَاحُ
إذا استلمـوا زمـام الأمـر ، عـاثـوا ... وإن حُـرِمُـوا زمامَ الأمـر ، نـاحـوا[7]
يفـرِّقهـمْ علـى الحُكـم اختصَـامٌ ... ويَجْمَعُهم على الحكـم اصطلاحُ[8]
دَعُـوا أمـرَ البـلاد يليـه قـومٌ ... لهـم ذمـمٌ مطهَّـرة ، وراحُ[9]

---

(١) القداح : جمع قدح وهو السهم ، يشير إلى : أن الثورة كانت بيضاء لم ترق فيها دماء .

(٢) العلق : الدم المتجمد ، والصفاح : السيوف .

(٣) الماء القراح : أى الصافى العذب .

(٤) القلاح : صدأ يعترى الأسنان ، يريد : أن الداء الأعظم قد انحسم ؛ فكل داء بعده هين .

(٥) مستوزرون : أى طلاب وزارة ، والرباح : الربح .

(٦) تجار : جمع تجر وتجر جمع تاجر .

(٧) عاثوا : أفسدوا .

(٨) يشير إلى : ما كانت تسلكه الأحزاب قديماً من التناحر على ولاية الحكم أحياناً ، وتقسيم المقاعد الوزارية بينهم أحياناً أخرى .

(٩) أى : راح مطهرة أيضاً ، والراح : جمع راحة وهى الكف .

جيادٌ إن دُعُوا للبذل، لكن ... بأموال البلاد همو شِحاحُ
إذا فاض الثراء بمصرَ، غابوا ... وإن نزل البلاءُ بمصرَ، لاحوا
خطَوْنا الخُطْوَةَ الأولى بمصر ... وتتلوها بمصر خُطًا فِسَاحُ
وأُلغيتِ الفروقُ ؛ فلا وِسامٌ ... تُزَانُ به الصدورُ، ولا وِشاحُ[1]
تعالى الله ! صار لمصرَ وعيٌ ... وآذنَ ليلُها، وبدا الصباحُ ![2]

(١) يشير إلى : ما شرعته الثورة - عقب القبض على نواصى الأمور - من إلغاء الألقاب .
(٢) آذن الليل : أى أوشك أن ينجلى .

إلى القائد المظفر

قامت الثورة ، فتحرك الوصوليون تحرك الأفاعى من أوكارها ؛ ليستغلوا العهد الجديد ، كما استغلوا العهد القديم .

أَقدِمْ ؛ فإنِّى أرى الإقدامَ قد وَجَبا ... لا يحسِبُ الليثُ حُسبانًا إذا وَثَبا

أَجهزْ على الداء ، أجهزْ غيرَ متَّئدٍ ... إنَّا صبرْنا على آلامه حِقَبا[1]

لا يُنْضِجُ الجمرُ إلا وهْوَ ملتهبٌ ... فإنْ صبرتَ على هذا اللهيبِ خَبا

ما كلَّ يوم نرى عَرْشًا يُطاحُ به ... أو ثورةً نشِبَتْ ، أو عهداً انقلَبَا

جمالُ ، سيفُكَ يُرضى الحقَّ جوهرُهُ ... فى الحقِّ ما قرَّ فى الأغْماد ، أو ضَرَبَا

جرِّدْه ، جرِّدْ ؛ فإنَّ المَشْرَفىَّ إذا ... طالَ الزمانُ عليه فى القراب ، نَبَا[2]

أغمدْتَ سيفَكَ حينًا ؛ فانبرى نَفَرٌ ... يدبِّرُ الفتَنَ الهوجاءَ والشَّغَبا

إنِّى أرى معشراً بالنار قد لعبوا ... فلْيحترقْ بلظاها مَنْ بها لعِبَا

قَلِّمْ أظافرَ أيدٍ غيرِ طاهرةٍ ... بعد انتصارك مُدَّتْ تَجْمعُ السَّلَبا

تفاقَمَ الشرُّ؛ فابحثْ عن منابِتهِ ... لا تبقيَنَّ له رأسًا ولا ذَنَبا[3]

مَنْ قام يُنشىءُ شعبًا ، لا يُصيخُ إلى ... كلِّ امرىءٍ قال ، أو كلِّ امرىءٍ كَتَبَا

ما أفْلَتَ الرُّسْلُ من نقدٍ ، ولا سلِموا ... من لائم لامَ ، أو من عاتبٍ عَتَبا

لا تَأخذنَّكَ فى الإصلاحِ تَنْشُدُهُ ... هَوَادةٌ ، رُبَّ ريْثٍ يُورثُ العَطَبا[4]

إذا حسبْتَ ، فلا تُرْخِ العِنان ؛ فقدْ ... يُضَيِّعُ الأمرَ من يُمناهُ من حَسِبَا[5]

---

(١) أجهز على الجريح ونحوه : عجل بموته ، والمتئد : المتأنى .

(٢) المشرفى : السيف .

(٣) تفاقم : تزايد واستفحل .

(٤) تنشده : تطلبه ، هوادة : أى تراخ ، والريث : التأنى .

(٥) إرخاء العنان : كناية عن التساهل .

واستَفْتِ قلبَكَ فيما أنتَ فاعلُهُ ما دُمتَ تَرْعَى الحمى، والحقَّ، والحَسَبَا

متى ضَمِنْتَ رضاءَ الله عنك، فلا تُبَالِ بعد رضاءِ الله مَن غَضِبا

لا تستشِرْ ساسةً فى بحثهم غرِقُوا وشاور السَّيفَ، أو قُوَّادَكَ النُّجُبا[1]

لو ناقَشَ القومُ ضوءَ الشمس، لاختلفوا حتى تشتَّت فيه الرأىُ وانشعبا

قل للذين أطالوا البحْثَ: حسبُكُمُو مساجلاتٍ، ضَعُو الأقْلامَ والكُتُبَا[2]

لاتُسْهبوا القولَ؛ إن الوقتَ من ذهبٍ كم استمعْنا بدار الندوة الخُطَبَا[3]

لا تبكِيَنَّ على الدُّستور شِرذِمَةٌ جرى على وجنتيها دمعُها كَذِبا[4]

لا باركَ اللهُ فى الدُّستور إن سُبكتْ بُنودُه فى جيوب المُرتَشِى ذَهَبَا[5]

فليبْكِ فى مأتمِ الدُّستور من سمحَتْ بالدمع عيناه، وليندُبْه مَن نَدَبَا!

يا طالما عَبَرُوا الفلاَّحَ قنطرةً وصيَّروه إلى أطماعهم سَبَبَا

كم أحْرَزُوا باسمه جاهًا، وليس له جاهٌ، وكم كَسَبُوا مالا، وما كسَبَا!

كم رصَّعَ الأرضَ ياقوتًا لمالِكِها فراحَ يأبَى عليه القوتَ إن طَلَبَا

يا حاملَ الفأسِ، إن الشمسَ قد طَلَعَتْ أَمَا ترى ضوءَها من كوخك اقتربا؟

ما عاد ليْلكَ يشكو السُّهْدَ دامسُهُ ولا نهارُك يشكو الكَدَّ والنَّصَبَا[6]

لقد دَعوْتَ؛ فما ضاعَ الدعاءُ سدًى لكنه اخترَقَ الأستارَ والحُجُبَا

---

(١) يشير هذا البيت ـ وما بعده ـ إلى ما ثار من جدل عقيم حول مشروعات الثورة، كقانون الإصلاح الزراعى وغيره.

(٢) المساجلات: المناقشات وما فيها من أخذ ورد.

(٣) يريد: ما كان يلقى تحت قبة البرلمان فى العهد البائد من خطب جوفاء.

(٤) شرذمة: طائفة. ليس الشاعر عدو الدستور، ولكنه ينعى على العهد البائد اتخاذه مقاعد الحكم مغنما ومتجراً، فهو يريد دستوراً سليما، ولو بعد حين.

(٥) يريد: أن الدستور اتخذ متجراً، فكأن مواده استحالت فى بعض الأيدى المنتفعة ذهباً.

(٦) الليل الدامس: هو الحالك الظلمة.

قـد حقَّـقَ الجيـشُ للفـلاَّح أُمْنيَـةً ... بـل ردَّ مـن حقِّـه مـا كـان مغْتَصَبَا

أيشـرَبُ الـراحَ أقـوامٌ مشَعْشعَـةً ... وغيرُهُم يشربُ المِكروبَ إن شَرِبَا؟[1]

لو أنصفَ الناسُ، ما مات امرؤٌ بشَمًا ... من الطعـام ، ولا مات امـرؤٌ سَغَبَا[2]

---

(١) مشعشعة : مخلـوطة بالماء ونحـوه ، والمراد بشرب « الميكروب » : شـرب الماء المحتوى عليه .

(٢) البشم : التخمة ، والسغب : الجوع .

صورة جمال

كتبها الشاعر على إحدى صور الرئيس .

جمالُ ، رسُمك فى لوح نقشْنَاهُ ... لكنَّ صاحبَه فى الصدر مأواهُ

للحقِّ نور تجلَّى حولَ جبهتِهِ ... وللذكاءِ شُعاعٌ فى مُحَيَّاهُ

إنْ لاح للنيل، حيَّتْهُ الشواطىءُ، أو ... للصخر من جانب الأهرامِ، حيَّاهُ

إنَّ العروبةَ تدرى أَنَّ صاحبَهُ ... يَرْعَى حِماها وعينُ اللهِ ترعاهُ

رسمٌ ترى الشَّرقَ طرًّا فى ملامحه : ... الشرقُ لفظٌ، وهذا الرسمُ معناهُ!

الملك الرضيع

نودى بالطفل أحمد فؤاد ملكاً ، ثم خلع الطفل أحمد فؤاد!

لنا مَلِكٌ سامى المقامِ رفيعُ ... تبوَّأَ دَسْتَ المُلْكِ وهْوَ رضِيعُ[1]

أُقيمَ له عرشٌ، وزُلزِلَ عرشُهُ ... ولم يمْضِ فى الدنيا عليه ربيعُ ![2]

فما طابَ بالسُّلطان نفسًا، ولا بكى ... عليه بدمع العين وهْوَ يضيعُ

ولم يدْرِ يومًا أنَّه صار عاهلاً ... ولا أنَّه قد بات وهْوَ خليعُ

عفا الله عن شَعْب وديعٍ مسالمٍ ... يلى أمرَه أطفالُه فيطيعُ ![3]

توارثَنا الأطفالُ، حتى كأننا ... ـ لعمرى ـ بسوق السائمات قطيعُ![4]

---

(١) الدست : العرش ، وسياق البيت يتضح منه التهكم .

(٢) يطلق الربيع ويراد به العام كله .

(٣) ينعى الشاعر ـ فى هذا البيت ـ على الشعوب التى تخضع لقوانين وراثة العرش .

(٤) السائمات : الماشية .

حرب القناة

بعد الانسحاب المزرى من مدينة بورسعيد الباسلة ، وفشل العدوان الثلاثى .

وَقَى اللهُ البسيطةَ من دمارِ ... وصانَ المشرقين من انفجارِ
وَقَى اللهُ الحضارةَ من زوالٍ ... وصان الآدمِّيةَ من بَوارِ
وقى الله الرواسىَ شرَّ حربٍ ... تُحَوِّلُها رُكامًا من غبار [1]
وقى اللهُ الزواخرَ شرّ حربٍ ... تُحولُها سحابًا من بُخار [2]
تطلَّعت النجومُ بعين ولْهَى ... إلى أختٍ وشيكةَ الانهيار [3]
تعالى الله ! كان العلُم نوراً ... فصار لظًى شديدةَ الاستعار [4]
وصار الناسُ فى الدنيا فَراشًا ... يُحوِّمُ سربُه حولَ الشَّرارِ

***

تناسى الناس « نيرونًا » ورُومَا ... بمن قَذَفَ الورى بشُواظِ نار [5]
بمَنْ أمسى يجدِّف وهو لاهٍ ... بنهر من دم الأحرارِ جارِ
وتُطربُهُ الدماءُ إذا أُريقَتْ ... كما طَرِبَ الندامى بالعُقَارِ [6]

---

(١) الرواسى : الجبال ، ركاما : طبقات بعضها فوق بعض .

(٢) الزواخر : البحار . لاحظ الشاعر فى الأبيات السابقة أن هذه الحرب كادت تكون عالمية تستخدم فيها القنابل الذرية والهيدروجينية .

(٣) ولهى : شديدة الحسرة ، والأخت المراد بها : الأرض على اعتبار أنها أحد الكواكب .

(٤) لاحظ الشاعر أن هذه المدمرات الحديثة الفتاكة من صنع العلماء .

(٥) يشير الشاعر إلى : أسطورة حرق نيرون لمدينة روما ، ويشبه « إيدن » مشعل هذه الحرب بنيرون .

(٦) العقار : الخمر .

لَهَا بالحرب « إيدنُ » ؛ فاستطارَتْ فصفَّقَ للَّهيب المُستَطارِ

وكادَ أُوارُها يمتدُّ حتى يُهدِّدَ قبَّةَ الفَلَكِ المُدارِ[1]

فلولا صيْحةٌ من غاب «موسكو » ولولا وقفَةٌ لبنى نزارِ[2]

ولولا نخْوةٌ من « بور سعيدٍ » لزيَّنَ رأسَ « إيدنَ » تاجُ غارِ[3]

ودكَّ الأرضَ إسرافيلُ دكًّا ومات الناس من غير احتضارِ[4]

***

ألم تَرَ « بور سعيد » غداةَ قامتْ تَصُدُّ هجومَ سيِّدة البحارِ؟[5]

وجيشُ « السين » يزحَفُ عن يمينٍ وإسرائيل تحجِلُ عن يسارِ؟[6]

وقال القومُ : يومٌ أو نهارٌ فكان الدهر فى هذا النَّهارِ[7]

وقالوا : نزهةٌ فى البحر ، قلنا : نعمْ ، لكنْ تقودُ إلى القرارِ

***

فكم جسدٍ غدا قوتًا لحوتٍ وكم رأسٍ تدحرَجَ فى مَطارِ

وما أغنى عن الثالوثِ جيشٌ كأنَّ جنودَهُ رملُ الصَّحارِى[8]

---

(١) الأوار : الشرار .

(٢) المراد بالصيحة : الإنذار الروسى الموجه إلى الدول المعتدية ، والمراد ببنى نزار: العرب .

(٣) المصراع الثانى : كناية عن انتصار « إيدن » .

(٤) فى البيت : إشارة إلى ما ورد فى الكتب السماوية من أن القيامة تقوم حين ينفخ إسرافيل فى الصور .

(٥) سيدة البحار : كناية عن إنجلترة .

(٦) جيش السين : كناية عن فرنسا ، والتعبير « بتحجل » : يتضمن تشبيهاً لإسرائيل بالغراب .

(٧) كان الغازون لا يشكّون فى النصر السريع ؛ لعدم تكافؤ القوتين .

(٨) المراد بالثالوث : الأعداء الثلاثة : إنجلترة ، وفرنسا ، وإسرائيل .

ولا أغناه أسطولٌ عريضٌ ... يصابُ البحرُ منه بالدُّوارِ

ولا أغناه سربٌ بعد سرب ... يصُكُّ أزيزُه سمْعَ الدرارى[1]

أَتَوْا كالأُسْد إقدامًا، وفرُّوا ... وهم مثلُ النَّعامة فى الفِرار

دَمُ الذُّؤْبان دنَّسَ أرضَ مصرٍ ... وعطَّرها دمُ الأُسْدِ الضَّوارى

تَلاَقى الأحمرانِ : دمٌ خبيثٌ ... وآخَرُ نفحُهُ نفحُ العَمَارِ[2]

فهذا سالَ ممزوجًا بمسكٍ ... وذلِكَ سال ممزوجًا بقارِ![3]

وذاكَ مِدادُ أمجادٍ، وهذا ... مدادُ صحيفَتَيْ : خزيٍ، وعارِ!

***

لعمرُكَ ، لم تَعُدْ مصرٌ تباهى ... بطيب الأصلِ، أو كرمِ النِّجارِ[4]

سَنكْسُو كلّ فرعونٍ قديم ... بحاضرنا ثيابًا من فخارِ

لقد صار السلاحُ بمصرَ لهواً ... وتسلية لأطفالٍ صغار

فلا يرْمى بها كُرَةً وليدٌ ... ولكنْ لعبُهُ رمىُ الجمارِ

وصار المدفَعُ الرَّشَّاشُ أشْهَى ... إلى أيدى الحِسَانِ من السّوارِ

وزانَ الخِنْجَرُ الماضى بنَانًا ... تزيَّنَ بالعقيق وبالنُّضَار[5]

فكم كفٍّ مخضَّبةٍ كساها ... دمُ الأعْداءِ صبغةَ الاحمرارِ

وكم قرويَّةٍ حملتْ سلاحًا ... وما اعتادَتْ سوى حملِ الجِرارِ

***

---

(١) الدرارى : النجوم . والمصراع الثانى كناية عن : كثرة الطائرات المغيرة ؛ أى : أنها بلغت من كثرتها أن أزيزها أزعج النجوم .

(٢) العمار : نبت طيب الرائحة .

(٣) القار : « الزفت » .

(٤) النجار : الأصل والحسب .

(٥) النضار : الذهب .

إذا مـا السلـمُ رَفَّ نـدًى وظـلاًّ — فليـس لنـا سِـواه مِـنْ شِعـارِ
فـإن جـارَتْ علينـا الشُّهْـبُ يـومًـا — فنحـنُ الـذَّائدون عن الـذِّمَـارِ[1]
أخا « التَّـاميزِ »، فيمَ قدِمْـتَ مصرًا ؟ — ومـا سـرُّ الخِـداع والائْتِمـارِ ؟[2]
وفيـمَ ذهبْـتَ تَسْتَعْـدِى عليهـا ؟ — أتلـك شهامـةُ الدُّوَل الكِبـارِ ؟[3]
أخفتُـمْ بـأسَ مصـرَ وقـد رميتُـمْ — « بنـابليون » فـى ذلِّ الإسَـارِ ؟[4]
أخفتُـمْ بـأْسَ مصرَ وقـد كسَـرْتُـم — « لهتلر » جيشَـهُ أىَّ انكسارِ ؟[5]
كـذبتـم ! مـا كسَبْتُـم أىَّ حـربٍ — ولا أحـرزتُمُـو طيـف انتصـارِ
ولكـنْ خَلْـفَ غيـركـم اسْتَتَـرْتُـمْ — وقـاتلتـم بجـاهٍ مُستعـارِ[6]
كشفنـا الدولـةَ العظمـى؛ فبانَـتْ — وبـانَ الضَّعْفُ مـن خلفِ الستـارِ
هجمـتَ كـأَنَّ أهلَـك مـن قـديـم — لهـم عنـد الكنـانـة ألـفُ ثـارِ
فمـا لبثـت حُشُـودُك أن تـولَّـتْ — مشيَّعَـةً بلعنـةِ الاحتقـارِ
فسبحـانَ الـذى أجـلاك عنهـا — وأنزلَـكَ الجزيـرة فى صَغـارِ ![7]
ولـم تـرحَـلْ لـلاستجمـام، لكـن — هو الممسـوسُ يوضعُ فـى حِصارِ[8]

---

(١) الذمار : ما يجب الدفاع عنه كالوطن والعرض وما إلى ذلك .

(٢) أخو التاميز : هو إيدن ، والمراد بالخداع والائتمار : تدبير هذه الحملة سراً مع الدولتين الأخريين .

(٣) استعدى فلان فلاناً على فلان أى استعان به عليه .

(٤) كانت هزيمة نابليون على يد إنجلترا فى موقعة «واترلو» .

(٥) كانت هزيمة الألمان فى الحرب العالمية الثانية على يد الحلفاء ومنهم إنجلترا .

(٦) المعروف عن الإنجليز أنهم لا يدخلون الحرب إلا فى اللحظة الأخيرة .

(٧) الجزيرة : هى جزيرة « جامايكا » وقد رحل إليها « إيدن » بحجة الاستجمام بعد أن استقال .

(٨) الممسوس : من أصابه مس من الجن .

أمِـنْ أجـل القنـاة تثـورُ طفْـلاً؟ لحـاك اللهُ مـن طفـلٍ مُثـارِ ![1]
عجبنـا : كيـف ثُرْتَ وأنـت تُنْمَـى إلـى شعـب لـه صبرُ الحمـارِ؟ ![2]
ومـا لـك والقنـاةَ تـذُودُ عنهـا ؟ متـى ذاد الغـرابُ عـن الثِّمـارِ؟
عـلامَ يلـومُ « هتْلـر » لائمـوه وأنـت أحـقُّ منـهُ بـالانتحـارِ؟[3]
بسيِّـدةِ البحـار نَـزلْـتَ تهـوِى إلـى أن أصبحـتْ إحـدى الجـوارى
بـلادٌ لا تغيـبُ الشمـسُ عنهـا تنـاثَـرَ عِقـدُهـا أيَّ انتشـارِ
ومـا الـدُّولاتُ غيـرَ نجـومِ أفْـقٍ تحلِّـق ثـم تـأخُـذُ فـى انحـدارِ
رشيـدٌ أسلَمتْـكَ «لبُـرْسَعِيـد » فسِرْتَ مـن انـدحـارٍ لانـدحـارِ[4]
حلفْـتُ ، لتُنْقِـذَنَّ الشـرقَ منكـم بـلاد أنْقَـذَتْـهُ مـن التَّتـارِ[5]

---

(١) كانت هذه الحرب كلها من جراء تأميم قناة السويس .

(٢) تنمى : تنسب . والبرود السكسونى مضرب المثل .

(٣) مات « هتلر » منتحراً عقب هزيمتـه ، فالشاعـر يقول له : لم لا يكـون مصيرك كمصيره والهزيمة واحدة ؟

(٤) يشير الشاعـر إلى : موقعة رشيد فى القـرن التاسع عشر التى انهـزم فيها الأسطول الإنجليزى أمام المصريين فى موقعة رشيد .

(٥) يريد بهـذه البلاد : مصر التى أنقذت الشرق كلـه من غارة التتار فى مـوقعة « عين جالوت » ، بعد أن اجتاحوا بغداد وأتوا على الدولة العباسية .

مصر تناجي المعلمين

طلبت وازارة التربية هذه القطعة ؛ لتغنيها إحدى المطربات ، فى مهرجان أقامه المعلمون ؛ احتفالا بعيد الجلاء

يا مُنبتين رياضَ العلم فى الوادى — وحاملين لواءَ الدِّين والضادِ
يا مُطلعينَ شُموسى من مَشَارِقِها — وباعثينَ القُوَى فى عَزْمِ آسادِى
اللهُ يعلُم هذا العيدُ عيدُكمو — من لحنِكم نَغمى فيه وإنشادى
اللهُ يعلُم كم كانت مبادئُكُم — مثْلَ المعاولِ فى تحطيم أصفادى! [1]
سبعونَ عامًا وأنتم تطبعون على — حبِّ الحمى وإباء الضَّيْم أولادى
إن قمتُ أشكُر أجنادى ، فإنكمو — فى كل حربٍ وسلمٍ بعضُ أجنادى
وإن هتفتُ لقوادى الإباةِ ، فلنْ — أنسى الألى نفخوا فى روح قوَّادى

***

ردُّوا علىّ ثقافاتى ، ومعرفتى — كما أَعادَ كُماةُ الجيش أمجادى [2]
هيهات ماعينُ شمسٍ ، ما معاهُدها؟ — ما عهدُ هرونَ وابنْيه ببغدادِ ؟ [3]
أريُدها ثورةً فى العلم ، جارفةً — يشِعُّ فى كل شرقٍ نورُها الهادى
تحمى السَّلامَ إذا سادَ السلامُ ، فإنْ — ريع الحمى ، زلزلَتْ أَركانَ أَطوادِ

***

---

(١) المعول : آلة الهدم ، والصفد : القيد .

(٢) الكماة : جمع كمى ، وهو الشجاع .

(٣) الاستفهام ـ هنا ـ للتقليل ؛ أى : لا أرضى بأن تعيدوا لى جامعة عين شمس ، وعصور : الرشيد ، والأمين ، والمأمون الذهبية . والبقية فى البيت التالى .

اليـومَ : يَفتَتـحَ التـاريـخ لـى ولكُـمْ ... سِفْـرًا جـديـدًا ؛ فهـذا يـومُ ميـلادى

اليـومَ : يـدركُ سحـرَ النيـل ســاكنُـهُ ... ويرتـوى من حُمَيّـا مائه الصَّـادى[1]

وهـل يُحـسُّ بـدار الخُلْـدِ مهتَضَـمٌ ... طعْمًـا لمـاءٍ بـدار الخُلْـدِ أو زادِ ؟

واللهِ، ما فى الحمى المغصوب من رَغَدٍ ... حتـى يـردَّ بنوه صـوْلَـةَ العـادى

جمال ، مازلـتَ تحدُو الركب خلفـك من ... نصر لآخر ، عاش الركبُ والحادى!

عيـدُ الجـلاءِ يحيِّـى فيــك فـارسَـهُ ... لله عيـدٌ بــه تــوَّجْــتَ أَعيـادِى!

من وحى السد

أنشأها الشاعر عندما بدأ العمل فى السد العالى ،
وقد منحها المجلس الأعلى لرعايـة الفنـون والآداب
« الميدالية » الذهبية !

على أسـاسين مـن : عزمٍ وإيمـانِ ... نَبْنيـهِ ، لا مـن : جَرانيـتٍ وصَـوَّانِ

مَا كـالْيقينِ ولا كـالعزْمِ إنْ صَـدَقَا ... مُخَطِّـطٌ فوقَ ظهـر الأرض أو بَـانِ

إن الأُلـى رفعـوا الأهــرامَ شـامخـةً ... هيهاتَ يُعجزُهـم إنشاءُ خَزَّانِ ! [2]

أَطَـلَّ مـن قبـره فــرعَـوْنُ مبتسمًـا ... وقال : إنَّ جمالاً تَوْءَمـى الثانى[3]

فقلـتُ : شتَّانَ يـومَ الفخْرِ بينهمـا ... فمـا هما فـى مجـال الفخرِ سِيَّـانِ

---

(١) الحميا : الخمر ، الصادى : الظامىء .

(٢) يشير هذا البيت ـ كما تشير أبيات أخرى فى القصيدة ـ إلى ضن أمريكا بالقرض المالى مساعدة على إنشائه .

(٣)يقال : هما توءمان ؛ أى مولودان معاً .

بنى الحياةَ جمالٌ والرخاءَ معًا — لكنَّ « خوفو » بنى قبرًا لجُثمانِ

مَنْ أَطلقَ النِّيلَ أَمْسى وهْوَ يحبِسهُ — جمالُ ، يثنى عليكَ المُطلَقُ العانى (١)

يا بانىَ السَّدِّ ، قد فنَّدتَ ما زعموا — بالأمس عن مصرَ من إفكٍ وبهْتانِ (٢)

أَقسمتُ ، لم تَبْتَنِ الخزَّانَ منفردًا — بل الكرامةَ والخزَّانَ فى آنِ (٣)

هيهاتَ يُعجزُكَ البنيانُ من حَجَرٍ — وأنت بنَّاءُ دَوْلَاتٍ وأَوطانِ!

أَسسْتَ سدًّا به كانت معلَّقةً — كرامةُ العُرْب من أَبناءِ عدنانِ

خلْنا جنادلَه الصَّمَّاءَ أَلْسنَةً — تَشْدُو بذكرك فى سِرٍّ وإعلانِ

لأنتَ فى كلِّ حرْب سيفُ معركةٍ — وأَنتَ فى كلِّ سِلمٍ كفُّ عُمْرانِ

فلْيسمع الغربُ إن كانت له أُذُنٌ — وليُبصر الغربُ . هل للغرب عينانِ ؟

أقسمتُ ، أَنَّ البراكينَ التى انفجَرَتْ — فى الصخر كانت لها رنَّاتُ أَلْحانِ (٤)

ما أَعْوَلَ الصخرُ ، لكنْ قد شدا طَرَبًا — كما شدا الطيرُ فوقَ الأيك والبانِ

***

قد كان يشكوك صادِينا وغارقُنا — يا نيلُ . حلاك فى واديك ضِدَّانِ ! (٥)

ما عدتَ ، يا نيلُ ، بعد اليوم تُظمئُنا — أو عدتَ تطْغَى علينا أىَّ طُغيانِ

إن صانَ ماءَكَ فى حرزٍ بنوك ، فكم — فدَّوْهُ من قبلِ هذا بالدم القانى (٦)

كأَنَّه من فُتَاتِ المسك سمرتُه — فلا نجود به إلَّا بميزانِ

---

(١) العانى : الأسير . يريد بإطلاق النيل الإطلاق من رق الاحتلال وبالحبس مائه فى الخزان وكلا العملين مشكور وإن تناقضا .

(٢) المراد ما زعموه من أن مصر لا تستطيع النهوض ماليًا بهذا المشروع الضخم .

(٣) كانت الناحية المعنوية فى بناء السد أجل من الناحية المادية ؛ لما سبقت الإشارة إليه .

(٤) يريد بالبراكين : نسف الأحجار « بالديناميت » عند بدء العمل .

(٥) يريد : أن الأرض تظمأ فى أيام التحاريق وتغرق فى أيام الفيضان .

(٦) المراد بالتفدية : ما أريق فى سبيل تحرير النيل من دماء .

يـأَيُّها السَّـدُّ ، بشِّرْ بـالـرخاء؛ فمـا حويـتَ ماءً، ولكـنْ ذوبَ عِقْيانِ[1]

مـا أنـتَ حـرزُ مياهٍ فـاضَ زاخـرُهـا بـل أنـت كنـزُ يـواقيـتٍ ومـرَجـانِ

قالـو:ا العجائب سبـعٌ، قلتُ : ويحكمـو

مـا هـذه السَّبـعُ إلاّسَـدُّ أُسْـوانِ![2]

---

(١) العقيان : الذهب .

(٢) يقول : إن العجائب السبع قد اندمجت فى هذا السد؛ فتنوسيت هى، وبقى ذكره هو وحده .

من وحى العروبة

رائد العروبة

فى ذكرى المرحوم: عبد الرحمن الكواكبى (١)

فى ديسمبر سنة ١٩٥٩ م أقام المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب بمدينة حلب مهرجاناً جامعاً لإحياء ذكرى الكواكبى ، وانتدب الشاعر لهذا الغرض ؛ فألقى هذه القصيدة .

حرَّكْتِ فى النفس، يا شهباءُ، أشجانَا ... يا وَكْرَ أحْمَدَ، يا غيلَ ابنِ حَمْدَانا!(٢)

ساءلتُ نفسى: أحقًّا هذه حلبٌ؟ ... ورُحتُ أَلْثَمُهَا أرضًا وجُدرانا

يا بلدةً كدَّتِ التاريخَ سيرتُها ... وقرَّحت من رُواة الشعر أجفانا(٣)

وأخلَقَتْ جِدَّةَ الأيام قلعتُها ... ولم تمَسَّ لها الأيامُ صَفْوانا(٤)

كم عنكِ من خبر أصغى الزمانُ له ... وأرهَفَ الفَلَكُ الدَّوَّارُ آذانا

حَسِبتُ تُرْبَكِ من مسكٍ، وغاليةٍ ... وخلتُ حصباءَهُ دراً، ومَرجانا(٥)

هذا أديمٌ على مِرآتِهِ انعكسَتْ ... مناظرُ المجدِ تحكى الطَّيفَ ألوانا(٦)

---

(١) عبد الرحمن الكواكبى : ولد بحلب وتوفى بمصر ، وطاف بمعظم بلاد العرب مبشراً بالقومية العربية . عاصر الإمامين : جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ، ويعتبر ثالثهما فى الإصلاح ، وبعث الأمة العربية من مرقدها .

(٢) الشهباء : اسم يطلق على حلب ، وأحمد: هو أحمد بن الحسين « المتنبى » ، وابن حمدان : هو سيف الدولة ، والتعبير بوكر وغيل فيه : تشبيه للأول بالبلبل، وللثانى: بالأسد .

(٣) أرهقت حلب المؤرخين بكثرة ما شنت على الروم من الحروب ، وأرهقت رواة الشعر بكثرة من أنبتت من الشعراء .

(٤) أخلقت : أذابت وأبلت ، والصفوان : الحجارة .

(٥) الغالية : نوع من الطيب .

(٦) يريد بالأديم : ظهر الأرض ، وبالطيف: ما يظهر فى السماء غب المطر ذا ألوان مختلفة « قوس قزح » .

فـي كـلِّ زاويـةٍ مـن أرضـه خبـرٌ ... عن بنتِ عَدنانَ، أو عن مجدِ عَدْنانا[1]

إن العـروبـة لـو خُطَّـتْ مفـاخرُهـا ... سِفْرًا، لكنـتِ لهـذا السفـرِ عُنـوانـا

هنا: بمـوكب سيـفِ الدولـةِ ائتلَقَتْ ... تلـك البقاعُ، وسـار الـركـبُ مزدانـا

كـم شـعَّ مـن أُفْقها علـمٌ، ومعـرفـةٌ ... وأنبتَـتْ أرضُهـا خيـلاً، وفُـرسـانـا

كـم قبَّلَـتْ تُـربَها مـن فـارسٍ شَفَـةٌ ... وسـار فيـه سَراةُ الـروم عُبـدَانـا[2]

يـا رُبَّ جـاريـةٍ مـن فـوقِـه خطَـرَتْ ... تُنْمَى إلـى عاهلٍ مـن آلِ سَاسَـانا[3]

أَبنـاءَ حَمدانَ ، لَسْنَـا فـى ضيافتكـم ... إنّـا نـزلْنـا علـى التـاريـخ ضِيفَـانـا

***

إنَّا ضُيـوفٌ على ذكـرَى تَفُـوحُ شـذًى ... يسْتافُها الدهرُ نَسرِينًا ، وريْحانا[4]

ذكرى ابنِ أحمدَ يَروِى الشرقُ سيرتَها ... أُنشـودةً؛ فيهُـزُّ العِطْـفَ نشـوانـا[5]

ذكـرى التقـىِّ الـذى يعنُـو لخـالقِـهِ ... ولا يقـدِّسُ غيـرَ الله إنســانـا

ذكـرى الكمـىِّ الذى قـد ثـار منفـردًا ... على الطَّـواغيتِ مـن أبناء عُثمـانَا[6]

ذكـرى الشهيدِ الـذى ضحَّـى براحتـه ... وقـدَّم الـروحَ لـلأوطـان قُـربـانـا

جئنـا نمجِّـدُ شمسًـا ضمَّهـا جَـدَثٌ ... قـد أيقظَـتْ كـلَّ طَـرْفٍ غيـرِ يقظانـا

وبـدَّدَتْ بخيــوطٍ مــن أشعتهــا ... غيماً علـى الأفُقِ الشـرقىِّ قـد رانا[7]

---

(١) بنت عدنان: كناية عن اللغة العربية .

(٢) سراة الروم : سادتهم .

(٣) آل ساسان : طائفة من ملوك الفرس القدماء .

(٤) يستافها : يتنسمها .

(٥) ابن أحمد : هو المحتفل به ، وأحمد اسم أبيه .

(٦) الطواغيت : جمع طاغوت، ويريد بـه هنا: الطاغية الجبار ، وعثمان : سلطان معروف من سلاطين تركيا وكان بين المحتفـل به وأولى الأمر فى الدولـة العثمانية نزاع مستمر .

(٧) ران عليه : غشاه .

شمسٌ ولكنَّها فى الشَّرق قد غَرَبَتْ كأنَّ موعدَ يوم الحشر قد حانا[1]
جئنا نمجِّد فى إبَّان وَحْدتِنا موحِّدًا بسوى التوحيد ما دانا[2]
أينَ اليراعُ الذى قد كان يَشْهَرُهُ كالسيف ، إن لان حدُّ السيف مالانا؟
يراعةٌ كعصا موسى إذا نَقَشَتْ رأيتَها فوقَ ظهر الطِّرس ثُعبانا[3]
كم من يراع إذا نارُ الوغى احتدَمَتْ صبَّ المِدادَ على القِرطاس نيرانا
وكم أديبٍ إذا ثارَتْ صحيفته يومًا ، أثارَتْ على المحتلِّ بركانا
والشِّعْرُ من زَهَرٍ تلقاهُ، أو شَرَرٍ لا تحسبوا الشعرَ تقطيعًا وأوزانا

***

أَخا الكواكِب فى وَمْضٍ ومنزلةٍ هل بتَّ فى العالم العُلوىِّ جذلانا؟
إن الذى كنتَ فى دنياك تغرسُهُ قد صار، روضًا ورَيفَ الظِّلِّ ، فيْنَانا[4]
فى مِهْرجانِكَ : يبدو صرحُ وَحْدتِنا أرسَى وأَرسخَ من أركان ثَهْلَانا[5]
أخا الكواكِب، قم وانُفضْ ثراك ؛ كان الثرى للنجوم الزُّهْر أَوطانا
قم من ثراك ، وغرِّدْ فى محافِلِنا فما وهات ما غاب عن قُسّ وسَحبانا
قم من ثراك ، وبارِكْ صرحَ وَحْدَتِنا إنَّا بنيناه كالأهرام بنيانا
صرحٌ تعانَقَ روحَانَا به شَغَفًا من قبل أن تتلاقى فيه كفَّانا
قد كنتَ فى مشرِق الدنيا ومغربها مثلَ الكواكب ؛ لا يأوينَ بُلْدَانا
ما كنتَ تعرفُ دارًا للإقامة ، بل كانت لسعيك كلُّ الأرضَ مِيْدانا

---

(١) يشير إلى ما هو مشاع من : أن من علامات الساعة أن تغرب الشمس فى المشرق .
(٢) كان الاحتفال عقب إعلان الوحدة بين مصر وسوريا ، وقد كان هذا مذهبه ـ كما سبق ـ .
(٣) يريد : أن قلمه يأتى بالسحر والمعجزات .
(٤) الظل الوريف : هو الظليل الكاسى ، والفينان : المشتبك الغصون .

حتى تـرحَّلتَ : لا جـاهٌ، ولا نَشَبٌ   بل كـان حظُّك مـن دنياك حِـرمانـا[١]
وآثرَتْ نفسُكَ الأخرى ، ولو خَضَعَتْ   يـومًـا ، لكـان لها دنيـا سُلَيْمـانـا[٢]
مَـا حـطَّ قـدرَكَ سجـنٌ أَنـزلـوك بـه   هيهات! بـل كنْتَ للسَّجَّان سجَّـانا[٣]
قد يـرفَعُ السجـنُ مَنْ يَغشـاه منزلـةً   ويعصِفُ السَّجـنُ بالسَّجَّـان أَحيانـا
صاولتَ فـى مصرَ لمَّا أن نزلـت بها   من عـرشها ومـن المحتلِّ ذؤبـانا[٤]
والله ، مـا نسيـتْ مسعاك فـى زمـنٍ   سهـرتَ فيـه ، وكـان الكـل وسنـانـا
حتى إذا غبـتَ عنها ، ودَّعَـتْ رجلاً   قـد كـان أَرفـعَ مـن أَهـرامهـا شـانـا
وغسَّلتـك بصَـوبٍ مـن مـدامعهـا   مصرُ البريئةُ ترجـو منك غُفْرانا ! ![٥]
يـا شـاربَ السُّـمِّ مـن كـفٍّ ملـوَّثـةٍ   هل تشـربُ الآنَ من إبريقِ رضْـوانا؟[٦]
لقد تحـدَّيْتَ فى القبر الفَنـاءَ ، فهل   خلـتَ الفناءَ على البُسْفور سُلطانـا؟[٧]
والحـرُّ يُنصفُـهُ تــاريخـهُ ، وكفـى   بالـذِّكْر خُلـدًا ، وبالتـاريخ مِيـزَانا !

***

أَبنـاءَ يَعْـرُبَ ، لا كـانـتْ عـرُوبتُنـا   إن لـم تُثِر عـزمَنـا ذكـرى ضحايـانـا

---

(١) النشب : المال ونحوه .

(٢) سليمان : هو سليمان بن داود ، صاحب الملك العريض .

(٣) حكم على الكواكبى بالسجن فى بعض الجرائم الصحفية ، والمراد : بأنه سجان للسجان ؛ أي : أنه وهو فـى سجنه كان آمن على حياته ممـن سجنوه وهم على عروشهم .

(٤) الذؤبان : جمع ذئب ، وفـى البيت إشارة إلى : أن الكواكبى كـان يحارب بقلمه خصمين لدودين من خصوم الحرية والنهوض ، وهما : العرش ، والاستعمار .

(٥) الصـوب : المطر ، وفـى البيـت إشـارة إلى : الاعتـداء الغـادر الـذى وقع علـى الكواكبى فى ـ مصر ـ على نحو ما سيرد فى البيت التالى .

(٦) الرأى السائد : أن القصر دس للكواكبى السم فى فنجان من القهوة .

(٧) يريـد بتحدى الفنـاء : أنه خلـد بعد المـوت ، فكأنـه تحداه كمـا كان يتحـدى سلاطين آل عثمان .

يا قوم، تاهتْ لنا فى النجم مملكَةٌ ... قومـوا نطالبْ بهـا الشِّعرَى وكيـوانا[1]

مُلْـكٌ بنَتْـهُ بحـدِّ السيـفِ مُنْصلتًـا ... أيـدى الأوائلِ مـن أبنـاءِ مَـرْوَانـا[2]

بَنَـى بنـوهُ بـأَيـدى العُـرب دولتَهـم ... فـاشتـدَّ بنيـانُهـا أُسًّـا وأَركـانـا

مـا هجَّنـوا بمـوالـى الـروم نسبتَهـا ... أو أَيَّـدُوها بجنُـد مـن خُـراسانـا[3]

لم يـرفعْ الصَّوتَ بُـومًا فى جـوانبها ... مستعجمٌ، أَو يَمُدَّ الكفَّ قُرصانا[4]

❊❊❊

أَبنـاءَ يعربَ، هـذا اليـومُ يومُكمـو ... هيـا بنـا نستعيدُ المـاضـىَ الآنـا[5]

نُقيمُهـا دولــةً شمَّـــاءَ بـاذخــةً ... يعنـو لها الـدهـرُ تسليمـاً وإذعانـا

تَبْنـى الحضارةَ بُنيـانًـا على أُسُـسٍ ... وتَـزْرَعُ السِّلْـمَ فـوق الأرض بستـانـا

وتَحفـظُ الشَّرقَ إنْ شـرٌّ أُريـدَ بـه ... ممَّـنْ يظنُّون أهـل الشـرقِ قُطْعانـا

تُـزلْـزِلُ البـرَّ فُـرسـانًـا وأَسلحـةً ... وتَزْحَمُ البحرَ - بعـد البر - حِيتانا[6]

وتمــلأ الجـوَّ أَسـرابًـا محلِّقــةً ... تبـثُّ فـى الأرض تـدميـرًا وعُمـرانـا

إذا صَحَا الجوُّ، طارت فـى جوانبِهِ ... وُرْقًا، وإنْ غامَ طارتْ فيـه عِقْبَانا[7]

إنِّى أَظـنُّ - وظنـى ليس يكـذِبُنى - ... أنّ الـزمـانَ الـذى نـرجـوه واتـانـا

---

(٥) ثهلان : اسم جبل معروف ببلاد العرب .

(١) الشعرى وكيوان : نجمان معروفان .

(٢) منصلتا : مصقولاً ماضياً ، وأبناء مروان : هم بنو أمية .

(٣) هجنوا : شوهوا : يريد أن دولة بنى أمية كانت عربية خالصة لم تستخدم الروم أو الفرس ، كما استخدمتهما الدولة العباسية .

(٤) البوم : طائر ؛ معروف بأنه نذير بالخراب ، والقرصان : اللص .

(٥) « نستعيد » : بالرفع ؛ لأن الأمر فى جواب الشرط يجوز رفعه وجزمه ، قال بشار :

أورق بخير ترجى للثمار : فما ... ترجى الثمار إذا لم يورق العود

(٦) المراد بالحيتان : الغواصات كما هو واضح .

(٧) الورق : جمع ورقاء وهى الحمامة التى تعتبر بشير سلام ، والعقبان : جمع عقاب وهو الطائر الجارح المعروف ، والمراد بالصحو والغيم : السلم والحرب .

اليـومَ ما عـاد يشكو النيـلُ من رَنَـقٍ ... أو يشتكـى بَـرَدَى المعسـولُ أَدْرانـا[1]

يـا طَالمـا جَـرَيـا شُهْدًا لمغتصِـبٍ ... وابـنُ الحمى بهمـا قد بـات غصّانـا[2]

لا يعـرفُ الضيـمُ شعبًا كـان مغفَـرُهُ ... وسيفُه فى الوغى: صبرًا، وإيمانا[3]

إن الأُلى غَصَبـوا سُورْيـا ومصرَ معًـا ... زاروا القناةَ، فكـانوا بعـضَ صرعـانا[4]

أَبنـاءَ يعـرُبَ، لا كنّـا إذا دَلِفَـتْ ... بنـا خُطانـا إلـى العليـاء وُحْدانـا[5]

بَغْدَادُ، كم لك فى قلب العروبة من ... قَدْرٍ، إذا هـانت الأقـدارُ ما هـانا[6]

إخوانَنا فى ظلال الكَرْخ، ويحكمو ... لقد أَصبتُم لنا فـى الكَرخ إخوانا![7]

يا أهـلَ بغدانَ، راعـوا الله فى رحِـمٍ ... مـوصولـةٍ قُطِعَتْ، يـا أَهـل بغدانـا

مـاذا نقـولُ؟ أَمَنْ صِحْنـا بـه مَلَكًـا ... بالأمـس ندعُـوهُ هذا اليـومَ شيطانـا؟[8]

هيهـاتَ تَقطعُ مـا الـرحمنُ واصلُـهُ ... يـدُ المفـرِّق! لا كـانـت ولا كـانـا!

إن العـروبـةَ قـد بـاتَـتْ مـوحَّـدَةً: ... حسًّـا، وعـاطفةً؛ أرضًـا، وسكّـانـا

---

(١) الرنق: الكدر: والأدران: الأوساخ، والمراد بكليهما: الاحتلال الأجنبى.

(٢) الغصان: من أصيب بالغصة فى حلقه.

(٣) المغفر: أداة تقى صاحبها الضرب فى الحرب.

(٤) غاصبو سوريا: يعنى بهم الفرنسيين، وغاصبو مصر: يعنى بهم الإنجليز، وكلاهما أصيب بالهزيمة فى حرب القنال سنة ١٩٥٦م، مضافاً إليهما إسرائيل.

(٥) دلف: مشى ببطء، والبيت ينعى على أمم العروبة أن تجاهد كل منها على انفراد.

(٦) كان العراق إذ ذاك بمعزل، وكانت فيه ثورة محلية لا تكاد تجف فيها الدماء.

(٧) الكرخ: حى ببغداد، وكانت الفتنة فيه بالغة أشدها.

(٨) يريد: أننا هتفنا بقائد الثورة عندما حرر العراق من رق الملكية، ولكنه أخلف الظن فيه.

ما عـاد يجرَحُ أُذْنَ الضـاد جارحـةٌ من ذكر لُبنانَ ، أو من ذكر عَمَّانا[1]
اللهُ أكبرُ ! ساد الوعىُ ، واندمَجَتْ تلـك الحدود وصـار الكلُّ عُـربانـا

***

قد سارت الفُلْكُ ، عين الله تكلَؤُها فهلَّـلَ البحـر أمـواجًـا وشُطـآنـا
سِرْ ، يا جمالُ ، إلـى شطِّ السلامِ قـد اصطفاك لهـا الرحمـنُ رُبّانـا !

أجاديـر

فى سـنة ١٩٥٩م أصيبت مدينة أجـادير
بـزالزال قوض البنيـان ، وروع السكـان
وبلغـت ضحـايـاه حـدًا يفـوق الحصر !

وقفـتُ أسـائلهـا : مـا لَهـا ؟ وأبكـى علـى البُعد أطـلالَهـا ![2]
سـألـتُ الـرُّسـومَ ، كـأن الـرُّسـومَ تجيـبُ علـى البعـد سُـؤَالَهَـا
ودونَ « أجـاديَـر » خطـبٌ يُصِـمُّ وَيشْغَـلُ طـارقُـهُ بـالَهـا
« أجاديرُ » ، هل حـان يومُ النُّشورِ وزُلْـزِلَـت الأَرضُ زِلـزالَهـا ؟[3]
وهـل بعـثَ اللهُ مَـنْ فـى القبـورِ وأخـرجـت الأَرضُ أثقـالَهـا ؟

---

(١) الضاد يراد بها : اللغة العربية ، والمراد : أن ذكر البلاد الناطقة بها بلدًا بلدًا يؤذى سمعها ، فهى لا تريد إلا دولة موحدة تضم شتات أبنائها .
(٢) أطلال : جمع طلل وهو ما تبقى من الديار .
(٣) يوم النشور : يوم القيامة .

عـروسُ المدائنِ مـاذا دهـاهـا … بليـلٍ فمـزَّق أوصـالهـا ؟

وأرَّق بـالهـمِّ أسْحـارهـا … وجلَّـلَ بـالغيـم آصـالَهـا (١)؟

تفـزَّعَت الشُّهْـبُ فـى الأفق حيـنَ … رأتْ فـى « أجـاديـر » مـا هـالَهـا

تهـاوَتْ منـازلُهـا مُعـولاتٍ … فـرَدَّدتْ البيـدُ إعـوالَهـا

ولـم يُفلـتِ المـوتُ شُبَّـانَهـا … ولـم يُعتـق المـوتُ كُهَّـالَهـا

ولـم يـرْهبُ المـوْتُ أسْدَ الشَّرَى … فغـال الأسـودَ وأشبـالَهـا

ولـم يـرحـم المـوتُ ذاتَ سُوارٍ … قضتْ وهْىَ تحضـنُ أطفـالَهـا

تَـوَدُّ لـوَ انَّ رسـولَ المنـايـا … تـرفَّـقَ بـالطفـل واغتـالَهـا

تبـاركـتَ ربِّـى ! بَـرأتَ النفوسَ … وقـدَّرتَ فـى الغيبَ آجـالَهـا

وكـم لك فـى الكـون من حكمـةٍ … عـن العقـل أحكمْـتَ أقفـالَهـا

حنـانيـكَ ربِّـى ! تفَشَّـى الـدَّمـارُ … علـى الأرض واجتـاحَ نُـزَّالَهـا !

تشقَّقَـتْ الأرضُ عـن جِنِّهـا … وسـاقَـتْ إلـى الإنـس أغـوالَهـا

وصبَّـتْ عليهـا السَّمـاءُ شـواظًـا … مـن النَّـار تطلُـبَ إشعـالَهـا

« أجـاديـرُ » راع الـوجـودَ أسـاهـا … ونـالَ العـروبـةَ مـا نـالَهـا ! (٢)

ألاَ فـى سبيـل العـروبـةِ بـانٍ … يُقـوِّمُ بـالفـنِّ ميَّـالَهـا ! (٣)

وكـفٌّ طبيـبٍ تكُـفُّ دمـاءَ … بنيهـا ، وتحقِـنُ سيَّـالَهـا !

ومـالٌ يجـودُ بـه أريَحـىٌّ … علـى أسـرة فقَـدَتْ مـالَهـا ! (٤)

فـآلُ « أجـاديـر » إخـوانُنـا … بـأرواحِنـا نفتـدِى آلهـا

---

(١) أسحار : جمـع سحر وهو منتصـف الليل ، وآصال : جمـع أصيل وهو الـوقت قبيـل المغـرب ، والمراد : أن الـزلزال أرق أهلها ليـلا ، وحجب الشمـس عنهم نهارًا .

(٢) الضمير فى نالها : يعود على أجادير ، لا على العروبة .

(٣) هنا يحث الشاعر على مساعدة منكوبى المدينة .

(٤) الأريحى : السمح الكريم .

يقيـنُ بنيهـا علـى حـالِـهِ ... وإنْ غيَّـر الـدهـرُ أحـوالهـا[1]

لنـا كـاهلٌ حيـنَ تُلقـى الخطـوبُ ... عليـه تـرَى فيـه حمَّـالَهـا

إذا الشـرقُ طـافَـتْ بـه محنـةٌ ... فكـم غـرَكَ الشـرقُ أمثـالَهـا

شعـوبٌ صحَت بعـد طول الكرى ... تُعبِّـىءُ للمجـد أبطـالهـا

وتَنـزِعُ عـن جيـدِهـا طـوقَهـا ... وتقـذِفُ فـى البحـرِ أغـلالَهـا

ومِـنْ مقْتِهـا للقيـود تكـاد الـ (م) ـفتاةُ تحطِّـمُ خَلخَـالَهـا[2]

لقـد أقسَمَـتْ أمَـمُ الشـرق ألاَّ ... تهـادِنَ مـن رام إذلالَهـا

فصـار السـلاحُ سـوارَ الفتـاةِ ... ولَهـوَ الصَّبـىِّ إذا مـا لَهـا

وكـم أمَّـةٍ ظَنَّـتْ الشرقَ مَـرْعًـى ... خصيبًـا فخيَّـبَ آمـالَهـا

حَـدتْهـا إليـه أمـانٍ عـراضٌ ... فعـادتْ تُلَمْلِـمُ أذيـالَهـا[3]

نشيد الكشاف العربى

بُـورِكْتِ يـا أرضَ العروبـةِ موطِنًـا ... اللهُ أكبـرُ ! إنَّ فجـرَكِ أذَّنـا

وأطَـلَّ فـى الآفـاق لمَّـاحَ السَّنَـا ... أمجـادُكِ الأولـى سـأحييهـا أنـا

أَنَا نَسْلُ مَنْ خَطَّ الحضارةَ وابتَنَى

***

---

(١) اليقين : الإيمان ، يقول : إن الزلزال لم يزلزل إيمان المنكوبين .

(٢) لما بين الخلخال والقيد من الشبه .

(٣) لملمة الأذيال : كناية عن التصميم على الرحيل .

أَنَا بَلْسَمُ الشاكى، ومِنهالُ الظَّمِى وأبُـو اليَتِيـم، وكنْـزُ مـالِ المُعْـدِمِ
تَجْرِى المُـروءَةُ من قديمٍ فـى دمى لِمَ لا ؟ أَلَسْتُ إلى العـروبة أنتَمِى ؟

مَـنْ مثـلُ أسـلافـى ومثلـى مَعْـدِنـا ؟

***

قلبـى كماءِ المُـزْنِ، أو هُوَ أطْهَـرُ مـاءُ الحَنـان يكـادُ مِنـهُ يَقْطُـرُ[1]
أهْـوَى السَّـلامَ ،وبالسـلامِ أبَشِّـرُ لكنَّنـى فـى الـرَّوْع لا أتَقَهْقَـرُ

لا يَنْثَنـى عَـزْمـى إذا السَّيـفُ انْثَنَـى

***

الضَّـادُ لـى أُمٌّ ، ويَعـرُبُ والـدُ يَفْنَى الزمان ، ومجدُ يعرُبَ خالدُ[2]
أبـدًا يظلِّلُنـا لـواءٌ واحـدُ ضُمُّوا الصُّفوفَ إلى الصفـوف وجاهـدُوا

تبًّـا لكـلِّ يـدٍ تُفَـرِّق بيننـا

***

لا كـان منَّـا مـن يَنِى عـن سُـؤْدُدِ أو يَنْثَنِـى عـن ردِّ كيـدِ المعْتـدِى[3]
أو لا يلبِّـى دعـوةَ المستَنْجِـدِ إنـا بنـو عَـرَبٍ كـرامِ المحْتِـدِ[4]

حفِظُـوا الجِـوارَ وأمَّنُـوا المستـأمِنـا

---

(١) المزن : المطر .
(٢) يعرب بن قحطان : جد قديم من أجداد العرب .
(٣) ينى : يتباطأ .
(٤) المحتد : الأصل .

تحيـة طرابـلس(١)

زار الشاعر مدينـة طرابلس الغرب فى مهمـة ثقافيـة ، فاحتفت به الأوساط الأدبية هناك ، فـأنشد هـذه القصيدة :

قالوا : الجمالُ هنا والمجدُ ، فاقْتَبِسِ ... فقلتُ : كلُّ المعالى فى « طَرَابُلُسِ »

لمَّـا نـزلْـتُ بهـا بـاتَـتْ تـذكِّـرُنـى ... أمجادَ مصرٍ ، وبغدادٍ ، وأندلُسِ(٢)

فحـرَّكَتْ شَجَنِـى رغْـمَ السرورِ بهـا ... فاعجَبْ لمبتهجٍ فى ثوبِ مُبْتَئِسِ !

يـا أمَّـةً ورثـتْ مجدَ العـرُوبـة ، لـو ... قسْتَ النُّجومَ بها فـى المجد لم تُقَسِ

لاَ ضَيفَ أكـرمُ من ضيفٍ يجـاوركُمْ ... بالدارِ ، والأهلِ ، والأحبابِ مؤتنِسِ

مـاذا لقِينَـا لـديكـم مـن مـؤانسةٍ ... دلَّتْ علـى كرم فى النفس منغرسِ ؟

فيكـم مــن البـدو أخــلاقٌ مبـرَّأةٌ ... من كـلِّ ما حوتِ الأمْصارُ مـن دَنَسِ

هـبَّ النسيمُ علـى أحيـائكم سحـرًا ... من جانب البحر رطْبًـا ، عاطرَ النَّفَسِ

---

(١) قد يكون من الخير : أن نثبت هنا نص الديباجة التى قدمت بها جريدة « طرابلس الغرب » هذه القصيدة فى أغسطس سنة ١٩٥٤م ؛ لما تنم عنه هذه الديباجة من مبلغ تتبع الأقطار العربية لحركة الأدب فى مصر ، وما يلقاه أدباؤنا هناك من التقدير .

قالت الصحيفـة : « الأستاذ محمود غنيم شخصية لامعـة ، ذات مركز مرمـوق ممتاز بين أعلام الأدب فـى العالم العـربى ، وشاعـر له شهرتـه ومكانته ، ولعـل قصيدته : (مـالى وللنجم يرعانى وأرعاه) أصبحت أعلق بأذهـان الناطقين بالضاد من قصيدة : (قفا نبك) التى ضرب بشهرتها المثل ، وقد تفضل ؛ فأنشأ هذه القصيدة العصماء التى ننشرها اليوم ، والتى سجل فيها الانطباعات والمشاعر التى جاشت بها نفسه عند زيارته لمدينة طرابلس الغرب ؛ فإلى الأستاذ الكبير أسمى آيات الشكر وأبلغ التحيات » .

(٢) لا ينكسر البيت إذا ضبطت مصر بالفتح ، أي : منعت من الصرف ؛ ولعل تنوين مصر مرده إلى : الترنـم الموسيقى العذب فيها وفى بغـداد ، أو التوافق الجميل فى حركـة الكسرة فى الكلمـات الثلاث ، وهى لفتة بفطن إليها من يدركون جمال الموسيقا في الشعر .

ماسَتْ غصونُكُمو من تِيهها بكمو ... بين الرياض ، ولولا التِّيهُ لم تَمِسِ

إنْ لم تكن جنَّةَ المأوى ديارُكُمُو ... فما ديـاركمو منها سوى قَبَسِ

أنتم بنو العَرَبِ الأمجادِ، زانكمو : ... حُسْنُ المحَيَّا، وسحرُ المنطق السَّلِسِ

المُتْرِعون كؤوسًا غير آثمة ... من كل نبعٍ من الصحراءِ منبجِسِ (1)

الثائرون على الطُّغيان من قِدَمٍ ... بكلِّ حرٍّ يبيع الروح بالبَخَسِ (2)

***

أشبالَ « لِيبْيا »، كأنِّى - إذ أنزلت بكم - ... نزلتُ بالقبلتين : الحجرِ، والقُدُسِ (3)

كأنَّ عاهلَكم فى عدله عمرٌ ... وقاكم اللهُ شرَّ الحاكم الشَّرِسِ

ساس « السنوسىُّ » أطراف البلادِ أبًا ... فى رفقه، وبغير الرفق لم يَسُسِ

يحمى البلاد من الباغِى، ويكلؤها ... بعين راعٍ، قليلِ النوم ، محترِسِ

كم كربةٍ بالحمى اشتدَّت ففرّجها ... وكم على يده الداءُ العضالُ أُسِى (4)

لله درُّك من والٍ ولايتُهُ ... كادت من الأمن تستغنى عن العسس! (5)

***

أبناءَ يعرُبَ، هبُّوا من سُباتكمو ... دوَّى الأذانُ ، ورنَّت صيحةُ الجَرسِ (6)

خُطُّوا على العلم والأخلاقِ دولتَكم ... وشيِّدوها من الشُّورى على أُسُسِ

وحصِّنُوا أرضَكم من كلِّ مغتصبٍ ... بكلِّ مدَّرعٍ فى الحرب متَّرِسِ (7)

---

(1) المترعون : المالئون .

(2) يشير إلى كفاح ليبيا من قديم ضد الطليان .

(3) المراد بالحجر : حجر إسماعيل، وكنى به عن الكعبة .

(4) « أسى » - بالبناء للمجهول -: بمعنى شفى .

(5) العسس : هم حرس الليل .

(6) السبات : النوم .

(7) المدرع : لابس الدرع ، والمترس : حامل الترس .

بـاتـتْ تنـازعُنـا أوطـانَنـا أمَـمٌ ... مَـدَّتْ إلينـا قـديمًـا كـفَّ مُلْتَمِـسِ

جاسَتْ خِلالَ مغانينا، ولـو لَمحَت ... طيـفَ الحديـد وطيـفَ النـار لم تَجُسِ

بـاسم الحضـارةِ والتعميـرِ قد دَخَلوا ... ومـا هُمـوَ غيـرُ سفَّـاكٍ ومُخْتَلِـسِ

طال السكـوتُ على شعبٍ يضـامُ بلا ... ذنـب، وحُـرٍّ رهيـن القيـد محتبِسِ (١)

والله، مـا نسيَـتْ مصـرٌ جـراحهمُـو ... وإن تكـنْ من جَـلاءِ الظلـم فى عُـرُسِ (٢)

أين الـذين علـى حقِّ الشُّعُـوب بكَـتْ ... عيُونُهُـم؟ هل أصيبَ القومُ بـالخَرَسِ؟ (٣)

قالـوا: السلامُ، وصـالوا فـى مُخاتَلَـةٍ ... صيـالَ وحْـشٍ حـديـدِ النـابِ مفتـرسِ (٤)

***

قـل لـلألى بسـلاح الـذَّرَّة افْتَخَـرُوا: ... العُـرْبُ سادُوا الـورى بـالسيف والفَـرَسِ (٥)

الفـاتحـون بجُنْـدٍ مـن مبادئِهِـم ... والعـاصفـونَ بمُلْـكِ الـروم والفُـرُسِ

جابـتْ مواخرُهـم ظهر العبـاب، ولم ... تتـرُكْ خيولُهُمُـو شبـرًا من اليَبَـسِ (٦)

أبنـاءَ يعـرُبَ، طال الليـل فـانتظـروا ... شعـاع فجـرٍ يُجَلِّـى ظلمـةَ الغَلَـسِ (٧)

إن العـروبَـة لا تفنَـى، ولـو فَنِيَـتْ ... شُـمّ الجبـال فنـاءَ الأربُـع الـدُّرُسِ (٨)

محـروسـةٌ بجنـود الله، ظـافـرةٌ ... أمـا كفـى بجنـود الله مـن حَـرَسِ؟

بنـى أميَّـة، قَـرُّوا فـى مضـاجِعِكُـم ... فَما نُسِيتُـمْ، ولا المجدُ القديمُ نُسِى! (٩)

---

(١) المراد: شعب الجزائر وغيره من الشعوب العربية المضيمة.

(٢) المراد بالعرس: قيام الثورة فى مصر وتخلصها من أدران الماضى.

(٣) يريد: مجلس الأمن، وهيئة الأمم المتحدة التى تحدث كل هذه المظالم تحت سمعها وبصرها.

(٤) المخاتلة: الغدر.

(٥) المراد: أنهم لم يحتاجوا إلى أسلحة شديدة الفتك؛ لأن لديهم أسلحة معنوية كما يشير إلى ذلك البيت التالى.

(٦) المواخر: السفن.

(٧) الغلس: الظلام.

(٨) الدرس: جمع دروس بمعنى بال.

(٩) إنما خص بنى أمية؛ لأنهم أول من فتح هذه الديار، وعربها.

جمال طرابلس

ألقاها الشاعر فى حفلة توديع ، أقيمت
بفندق المهارى بطرابلس الغرب سنة ١٩٥٦م

هذى « طرابُلُسٌ » أم هذه « نَبْلى »؟ — البرُّ مبتسمٌ، والبحر فى جَذَلِ [١]
والشمسُ ضاحكةٌ، تُرخِى أَشعَّتَها — شَعْرًا من التبْر لكنْ غيرَ مُنْجَدِلِ
هنا الحياةُ ، هنا سرُّ الجمالِ، هنا — موجُ الخلود على شطٍّ من الأزَلِ
مدينةٌ أَنتِ، يا « أُويَا » - فديْتُكِ - أَمْ — هيفاءُ ترفُلُ فى زاهٍ من الحُلَلِ ؟[٢]
تصحو وترقدُ ملءَ العين، آمنةً — فى يقْظة الحارسين : البحرِ، والجبلِ
حِصْنانِ : هذا يقيها كلَّ لافحةٍ — هبَّتْ ، وذلكَ يحميها من البَلَلِ [٣]
هبَّ النسيم عليها عاطرًا أَرِجًا — رِخْوَ العزيمة؛ يشكو كثْرَةَ العِلَلِ
القيظُ يخشى بفصل الصيفِ جَانبَها — فإنْ يزُرْها، علتْهُ حمرةُ الخَجَلِ
والماءُ يطغى، وتستَشْرِى عَجَاجَتُهُ — حتى إذا جاءها، يمشى على مَهَلِ
ما لاطم البحرُ شطًّا من شواطئِها — لكنَّهُ أَوسَعَ الشطْآنَ بالقُبَلِ
نهارُها من وجوه الغيد منتَزَعٌ — والليلُ ما بعيون الغيد من كَحَلِ [٤]
كم فى حدائقها الفيحاءِ من فَنَنٍ — كذيل ثوبٍ على الحسناء منسدلِ

---

(١) « نبلى » : مدينة إيطالية مشهورة بجمالها ، وفيها يقال : « انظر نبلى ومت » وخص نبلى ؛ بالذات لأن بين جمال طرابلس - وجمال المدن الطليانية على وجه العموم - شبهًا كبيرًا .

(٢) « أويا » اسم طرابلس القديم .

(٣) المراد : أن البحر يقيها الحر ، والجبل يقيها السيول .

(٤) الكحل : السواد الطبيعى بعين المرأة .

وكـم كـروم بهـا سـوداءَ فـاحمـةٍ ... سوادُها من سواد الأعين النُّجُل(١)

ما أنسَ ، لا أنس « إجَّاصًا » نعمتُ به ... كالقلب فى شكله ، أحلى من العسل(٢)

أما بنوها ؛ فَحَدِّث عن سماحتهم ... هم فى السماحة صاروا مضرب المثل

بين المكانِ ومَنْ حَلُّوا بـه شَبَهٌ ... خيرُ البلاد أقَلَّتْ خِيرَةَ الدُّوَلِ

سِرْ فى طَرَابُلْسَ أنَّى شئتَ تَمْشِ بها ... على طريقٍ من البِلَّوْرِ منصقلِ(٣)

إن عاش فيها ذبابٌ ، عاش مغتربًا ... فما يطيرُ بها إلا على وَجَلِ

قالوا حضارةُ « روما » : قلت : « قرطُبَةٌ » ... للغربِ أجمعَ كانت مفرِقَ السُّبُلِ(٤)

دَيْنٌ على الغرب للإسلام من قِدَمٍ ... قد رُدَّ ، والدَّيْنُ ممدودٌ إلى أجَلِ

بطل الريف

ألقيت فى حفل تكريم أقيم للبطل المجاهد الأمير : عبد الكريم ، وقد صادف إقامة الحفل زمن الحرب فى فلسطين سنة ١٩٤٨م

قسمًا بزمزمَ والحطيمِ ... وبمجدِ عدنانَ القديمِ

وببيتِ إبراهيمَ ، وهْـ (م) ـوَ من العروبة فى الصميم(٥)

ما ضيفُ إبراهيمَ حـ (م) ـينَ بدَا سوى مَلَكٍ كريم

---

(١) تشتهر طرابلس بعنبها الأسود اللون .

(٢) الأجاص : الكمثرى .

(٣) تشتهر مدينة طرابلس بنظافة شوارعها .

(٤) أى أن حضارة الأندلس هى المعين الذى استقت منه بلاد الغرب على اختلافها .

(٥) هو المرحوم : إبراهيم دسوقى أباظة ، وقد كان الحفل فى منزله .

هــذا زعيــمُ الــرِّيــفِ أكـــ (م) ـــرمْ بــالبلاد وبــالــزعيــم
هــذا هــو الخصــم الــذى يــدرى أســاليبَ الخُصُــومِ
لا يعــرفُ التعبيــرَ بالــــ (م) ــقوْلِ النثيــر أو النظيــم
لغــةُ التفــاهُــم عنــده قَصْفُ المـدافـع والـرجـومِ
يــأيُّهــا الضيــفُ الكريــ (م) ــمُ، نــزلتَ دار أخٍ حميــم
لمَّــا أقمــتَ بمصــر شــرَّ فَ قــدرَهــا شــرفٌ المُقيــم
مــا أنــتَ فــى مصرٍ ســوى رضــوانَ فــى دار النعيــم
لــو يستطيعُ النيــلُ، لاَعــــ (م) ــتَصَر الميــاه مــن الكــروم
وسقــاكَ أشهــى مــا يقــدِّ (م) مُهُ النــديمُ إلــى النــديم[1]
إن لــم يسعْكَ السِّيــنُ ، ضَمَّــ (م) ــكَ منه صدرُ أب رحيم[2]
وحنــا عليــك حنــوَّ مــرْ ضِعةِ الفطيم علــى الفطيم
مصــرٌ تَحُــوطُ نــزيلَهــا بــرعــايــة الأمِّ الــرَّءُومِ[3]
ورجــالهــا الأحــرارُ نعــــ (م) ــمَ الجارُ للحر المَضيم[4]
عشــرون عــامًــا حِيــلَ فيــ (م) ــها بيــن صدرك والنسيم[5]
فصبــرْتَهــا صبــر العظِـــ (م) ـيم أصيــبَ بالخطــب العظيم
بــالله مــا فعــل المحجَّــ (م) ــل بالسلاسِلِ والشكيم ؟[6]

---

(١) يريد أن النيل فى حفاوته بك يود لو اعتصر ماءه من العنب ليسقيك خمرًا .

(٢) كان الأمير أسيرًا فى فرنسا ، ثم هرب من سجنه إلى مصر .

(٣) الرءوم : الشفوق .

(٤) المضيم : من نزل به الضيم ، اسم مفعول من ضام .

(٥) يشير إلى المدة التى أقامها سجينًا فى فرنسا .

(٦) المحجل : هو الجواد الكريم الذى فى قوائمه بياض ، والشكيم : ما يوضع فى أفواه الخيل من الحديد .

دعنــــى أرى حـــزَّ القيـــو (م) دِ بـأخْمَـصِ الأَسَـدِ الشَّتِيـمِ[1]

مــاذَا جنيــتَ مــن الــذُّنُــو (م) بِ سِوى الـدِّفاع عن الحـريم ؟[2]

عبـدَ الكـريــم ، وإنَّ لاسْـــ (م) ــمِكَ رَنَّةَ الصـوتِ الـرخيـمِ

كــلا ، لعمــرىَ ، بــل لَــهُ   مـا للـرُّعـودِ مــن الهـزيـمِ[3]

دعنـــى أكـــرِّرُه مئـــا (م) تِ ؛ فهْـوَ عـافيـةُ السَّقيـمِ

ذكــرى جهـــادِك تبعـثُ الْــ (م) ــعَزَمَاتِ فـى العظـمِ الرميـمِ[4]

بشـــراك ! إنَّ القـــومَ صـــا (م) حـوا بعــدَ صَمتِهِـم العقيـمِ[5]

إنَّ العـــروبـــةَ قـــد صَحَـــتْ   مـن نــوم أصحـاب الـرقيـمِ[6]

مــن بعــد مــا نفِــدَ التَّجَلُّــ (م) ــدُ وانقضَـى حِلْـمُ الحليـمِ

لقَّنْـــتَ قـــادتَهـــا درو (م) س المنطِـقِ الحـقِّ السليـمِ

لا مجـــدَ للـــدُّولاتِ إلا (م) بـــالـــدفـــاعِ وبـــالهجـــومِ

واللهِ مـــا عـــادتْ تـــذو (م) قُ بـــأرضهـــا ذلَّ اليتيـــمِ

هــذِى خيــولُهُمـــو تهُــبُّ (م) كـــأنَّهـــا ريــحُ السَّمُــومِ[7]

وكـــأنَّ كـــلَّ مـــدرَّعٍ   مــن فـوقهــا عبـدُ الكـريـمِ

مـــا للكليـــم ومعشـــرًا   مسخُـوا تعـاليـم الكليـم ؟[8]

---

(1) الأخمص : القدم ، والشتيم : المخيف الكريه المنظر .

(2) الحريم : كل ما ينبغى الدفاع عنه من عرض ووطن وغيرهما .

(3) الهزيم : قصف الرعد .

(4) الرميم : البالى .

(5) العقيم : أى الذى لا نتيجة له .

(6) أصحاب الرقيم : هم أهل الكهف ، وبهم يضرب المثل فى طول النوم .

(7) ريح السموم : هى الريح اللافحة ، وواضح من البيت وما بعده أن الحرب كانت إذ ذاك قائمة بين العرب واليهود .

(8) يقصد : اليهود ، وأن موسى الكليم يبرأ من انتسابهم إليه .

لمَّـا نبَـثْ بهـم البـلا (م) دُ ومجَّهُـم ظهـرُ الأديـمِ[1]
لـم يطمَحُـوا فـى غيـر إر (م) ثِ بنـى كنانـةَ أو تميـم[2]
إنَّ الـذيـن قَضَـوْا لهـم أصلـوْهمـو نـار الجحيـمِ[3]
قـولـوا لهـم : دونَ المعـا (م) دِ وأرضِـهِ نيـلُ النجـوم[4]
هَيهـاتَ أن يُسْقَـوا بهـا إلا شـرابًـا مـن حميـم![5]
مـا بـالُ عصـرِ النُّـورِ يخبِـ (م) ـطُ فى دجـى ليلٍ بهيـم؟[6]
تَـرَكَ المُبَشِّـرُ بـالسـلا (م) مِ الأرْض داميـةَ الكُلُـومِ[7]
مـا للسـلام سـوى الـذ (م) يـن تعهَّـدُوهُ مـن غـريـم
فليَقـضِ قـاضيهـم، فلـن نَنْصَـاعَ للحُكـمِ الظلـومِ
لا قـدْسَ لـلأحكـام إلاَّ (م) حيـن تصـدُرُ عـن حكيـم

---

(١) المراد بالأديم : ظهر الأرض .

(٢) المراد بـإرث بنى كنانة أو تميـم : أرض العرب أيًا كـانوا ؛ وإنما كنى عـن العرب بأشهر بطونها .

(٣) يقصد بمن قضوا لهم : هيئة الأمم المتحدة التى أقرت هذا الوضع .

(٤) أرض المعاد : هى الـدولة العريضة التـى يمنى اليهـود أنفسهـم بهـا من عهـد مـوسى .

(٥) شراب الحميم : هو شراب أهل جهنم .

(٦) الليل البهيم : أى الحالك الظلمة .

(٧) الكلـوم : الجراح ، والمـراد : أن الذيـن أثاروا هـذه الحرب هـم رجال مجلـس الأمن، الذين رسالتهم تنحصر فى إقرار السلام .

فلسطين :

يا أخت عمورية ! (١)

عندما أعلن قيام دولة إسرائيل، فنشبت الحرب بين العرب وبينها، سنة ١٩٤٨ م

قُلْنَا ، وأصْغَى السامعون طويلا ... خلُّوا المنابر للسيوف قليلاَ
سُقْنَا الأدلَّةَ كالصباح لهم ؛ فما ... أَغنَتْ عن الحق الصُّراحِ فَتيلا (٢)
مَنْ يستدِلَّ على الحقوق ، فلن يَرَى ... مثلَ الحسامِ على الحقوق دليلا
إن صَمَّت الآذانُ ، لم تَسمعْ سوى ... قَصْفِ المدافع منطِقًا معقولا
لغةُ الخصوم من الرجوم حروفها ... فلْيَقْرَءُوا منها الغداةَ فصولا
لما أَبَوْا أنْ يفهمُوا إلاَّ بها ... رُحْنَا نرتِّلُها لهم ترتيلا
أَدَّتْ رسالتها المنابرُ ، وانبرى ... حدُّ السلاح بدوره ليقولا
ولقد بحثْتُ عن السلام ، فلم أجد ... كإراقةِ الدّمِ بالسلام كفيلا (٣)

***

---

(١) يشبه فلسطين المغصوبة بعمورية التى اغتصبتها الروم من العرب أيام الدولة العباسية ، وسيم أهلها الذل ، فصاحت إحدى نسائها : وامعتصماه !! فلما بلغ ذلك الخليفة المعتصم فتحها بغزوته التاريخية المشهورة ، التى قال فيها أبو تمام قصيدته التى مطلعها :

السيف أصدق أنباء من الكتب ... فى حده الحد بين الجد واللعب

(٢) الفتيل : ما يكون فى شق النواة ، ويكنى به عن القدر القليل .

(٣) يريد : أن السلام لا يسود حتى تسنده قوة ، وتراق الدماء فى سبيل إقراره « القتل أنفى للقتل » .

يـا آلَ إسـرائيلَ ، أيـن المُلْـكُ ؟ هـل مضَـت الـريـاحُ بمُلْـك إسـرائيـلا ؟
أَتحقَّقَـتْ آمـالُكـم فـي دولـةٍ تمتَـدُّ عَـرْضًـا فـى البـلاد وطـولا ؟
خَـدَعَتْكـم الأحلامُ فـى سِنَـة الكرى مـا أكـذبَ الأحـلامَ والتـأويـلا !
يـا بـانيًـا بـالـرمـل حـائطَ مُلكِـهِ فـوقَ العُبـابِ ، أرى البنـاء مهيـلا
هـى بِنْيَـةٌ قـامـتْ بغيـر دعـامـةٍ هـى دولـة قـد أنْشِئَـتْ لتـزولا
لمَّـا استهلَّـتْ راح يطلـب أهلُهـا مهـدًا فكـان النَّعْـشُ منـه بـديـلا
طلَبُـوا القـوابـل إذ دنـا ميـلادهـا فتلقَّفَتْهـا كـفُّ عِـزْرائيـلا[1]
قـل للأُلَـى نفخوا بهـا من روحِهِـم : هيهـاتَ قـد وُلدَ الجنينُ قتيـلا ![2]
لـو أنَّ عيسـى جـاء يُحيِيـه لمـا وَجَـدَ الجنينُ إلـى الحيـاةِ سبيـلا
ليس الثَّـرَى للشـاردين بمسكـنٍ رحْـبٍ ولا للمُتْعَبيـنَ مَقِيـلا[3]
ولقـد يَصِيـرُ لنـاب ليـثٍ طُعْمَـةً مَـنْ بـاتَ فـى غاب الليوثِ نـزيـلا

***

« حَيْفَا » ، فديتُك ! ما لجفنِك ساهدًا ولِلَحْنكِ الشـادى استحال عـويلا ؟[4]
مـا بـالُ أهلـك شُـرِّدُوا ، وشـرَاكِ قـد أمسـى بغيـر لُيُـوثِـهِ مـأهـولا ؟
أعـزِزْ علـى أبنـاءِ يعـرُبَ أن يَـرَوْا عَلَمًـا يـرفُّ علـى حمـاك دخيـلا !
الْجَـوُّ يـرقُـبُ خَفْقَـهُ مستنكـرًا والطيـرُ ينظـر نحـوه مـذهـولا
لاجـاده الغيـثُ الهتـونُ ، ولا هفـا ليـلاً بـرقعتـه النسيـمُ عليـلا[5]

---

(١) القوابل : جمع قابلة ، وهى التى تتولى عملية التوليد « الداية » .
(٢) يقصد بهؤلاء النافخين : الدول التى مهدت لقيام إسرائيل وآزرتها كإنجلترا وأمريكا .
(٣) المقبل : المكان الذى يقضى فيه المسافر وقت القيلولة . وفى البيت تشبيه اليهود بالهائمين لأنهم لا وطن لهم .
(٤) كانت مدينة « حيفا » إحدى المدن التى استولى عليها اليهود .
(٥) الهتون : المتدفق .

يـا أخـتَ « عمُوريَّـةٍ »، لبَّيـكِ ! قـد ... دقَّـتْ حُمـاتُـك للحـروبِ طبـولا

نـاديـتِ «مُعتصمًا » ؛ فكـان غيـاثُـهُ ... جيشًـا شَـرُوبًـا للـدمـاء ، أكـولا

مـا كـان بـالألفـاظ جرسُ جـوابـهِ ... بـل كـان قَعْقَعـةً ، وكـان صليـلا[(١)]

وأزيـزَ أسـرابٍ تَصبُّ شُـواظَهـا ... فوق الحصون ، فتستحيـلُ طلُولا[(٢)]

لـن يغفـرَ العـربُ الأُبـاةُ لغـادر ... هتـك الحـرائرَ والـدَّمَ المطلـولا[(٣)]

غَضِـبَ الأبـاةُ لعـرضهـم فتخضَّبى ... يـا أرضُ ، واجـرى يـا دمـاءُ سُيُـولا

إنَّـا لَقـوم ليسَ يُمْحَـى عـارهُـم ... حتـى يُـرَى بـدمـائهـم مغسـولا

إنَّـا جعلنـا أرضنـا للمعتـدى ... قبـرًا ،وظِـلاًّ للنـزيـل ظليـلا

فَلْتَطُلـب الأوطـانُ مـا شـاءتـه مـن ... دمنـا ، تجـدْهُ مُـرْخَصًـا مبـذولا

وليشهَـد التـاريـخُ « لليَـرْمُـوك »، أو ... « ذى قارَ » فى العصر الحديث مثيلا[(٤)]

وليعلَـمِ الثَّقـلانِ : أنَّـا لـم نـزَل ... نَحْمِى ، كما حَمَتِ الجدودُ الغِيلا[(٥)]

الصـارمُ العَضْـبُ الذى فتـحَ الـورى ... مـا زال فـى يـدِ أهلـه مسلـولا[(٦)]

---

(١) القعقعة والصليل : أصوات الأسلحة عند احتكاك بعضها ببعض .

(٢) أزيز الطائرة : صوتها ، والشواظ : النيران ، والطلول : بقايا المنازل بعد دثورها .

(٣) يشير إلى : ما ارتكبته إسرائيل فى فلسطين ، والدم المطلول : هو الذى لم تدفع ديته .

(٤) اليرموك : يراد بها موقعة اليرموك التى انتصر فيها العرب على الروم فى عهد الفتوحات الإسلامية ، « وذى قار » يراد بها موقعة ذى قار التى هزم العرب فيها الفرس قبل الإسلام .

(٥) الغيل : الغابات .

(٦) العضب : القاطع .

النيــل لا يـرضــى هَـوَانَ أخ ، ولــو | أجـرى الـدمـاءَ بكـلِّ قطـر نيـلا [1]
لمــا رأيـــتُ النيــل عبَّـــأَ جيشَــهُ | أَتْبَعْتُـــه التكبيـــرَ والتهليـــلا
وذكـرتُ « ركنَ الـدين » فـى حَمَلاَتِـه | إذْ كان يحـدو الجيش والأسطـولا [2]
فلطـــالمــا دكّ القـــلاع بعــزمـــه | ولطـــالمــا ردَّ الجيـــوش فُلــولا [3]
جيشُ الصـلاحيِّيـن سـار ، كـأننـى | أبصـرت بيـن صفـوفـه جبـريـلا [4]
وكأننـى « بابـن الوليـد » ، « وطارقٍ » | « وأبـى عبيـدة » يـركبـون خيـولا [5]
قلبت طـرفى فـى الجنود ؛ فلـم أجد | إلا فـــروعًـــا يتْبعـــون أصـــولا
يتســابقـون إلــى اللقــاء ، كـأنمــا | هُـوَ نـزهـةٌ بيــن الـريــاض أصيـلا
ويُسـارعـون إلـى الحِمـامِ ، كـأنهـم | يجــدون مُــرَّ مــذاقِــهِ معســولا
الطعنــة النجـلاءُ تحكــى عنـدهــم | طَـرْفًـا غضيضًــا جفنُـهُ مكحـولا [6]
ويكـادُ يحسبُهـا الجـريـحُ بجسمـه | ثَغـرًا ؛ فيـومـىءُ نحـوَهـا تقبيـلا [7]
يا مصرُ ، جيشُكِ جال فى ساح الوغى | لا واهنًـــا عـــزمًـــا ، ولا مخـــذولا
داوَى جـراحَ الشـرق حـدُّ سـلاحِـهِ | وحمـى الـذِّمـارَ ، وحقَّـقَ المـأمـولا
لا زلـتِ حصنًــا للعـروبـة شــامخًــا | يـرتـدُّ طـرْفُ الـدهـر عنـه كليـلاَ [8]

(١) أخ هنا يراد بها قطر الشقيق .

(٢) ركن الدين : يراد به ركن الدين بيبرس (الظاهر) ، صاحب الوقائع المشهورة مع الصليبيين والتتار .

(٣) فلول الجيش : ما تبقى منه بعد الهزائم .

(٤) جيش الصلاحيين : أى المنسوب إلى صلاح الدين الأيوبى .

(٥) المراد بالقواد الثلاثة ـ على التعاقب ـ : خالد بن الوليد ، وطارق بن زياد ، وأبو عبيدة ابن الجراح ، ولكل منهم بلاء مشهور فى الفتوح الإسلامية .

(٦) النجلاء : الواسعة ، والطرف الغضيض : المغضى .

(٧) يلاحظ ما بين الجرح والفم من الشبه .

(٨) كليلا : مجهدًا مكدودًا .

تحيّة لبنان

وفد ثقافى من لبنان حضر إلى مصر ، فأقامت جماعة دار العلوم له فى ناديها حفلة تكريم، ألقى الشاعر فيها هذه القصيدة سنة ١٩٤٩م

للخلد صِنوٌ ، وصنو الخلد لُبنَانُ
قم سائل القوم : مَنْ فى القوم رِضوانُ؟ (١)

الله صوَّرَ لبنانًا فأبدعه ... كما تأنَّقَ فى التمثال فنَّان
يا جيرةَ الأرز ، إنَّ الأرز يَبلغُ ما ... لا يبلغُ الطلحُ من نفسى ، ولا البان (٢)
هى العروبةُ أنتم فى ذُؤابتها ... مُذْ قام حول تُخوم الروم غسَّان (٣)
مُلْكٌ بناه أواليكم ، ودعَّمَهُ ... بالوحى أبناءُ مَرْوانٍ ، ومرْوان (٤)
يا جيرةَ الأرز ، ما أنتم لعمرىَ فى ... مصرٍ ، ولا نحنُ فى لُبنانَ ضيفان
فى شاطىء النيل : أهلوكم، وموطِنُكم ... وفى الشآم لنا : أهلٌ ، وأوطان
مَحَت تخومَ بنيها الضادُ فاتَّحَدَتْ ... أقطارُهم ؛ فهمو فى الضاد إخوان
إنْ تسألِ العربىَّ الحرَّ عن وطنٍ ... أو ملَّةٍ قال : إنَّ الجَدَّ عدنان (٥)
يا جيرةَ الأرز ، لن ننسى أيادِيَكم ... وليس للفضل عند الحر نسيان

---

(١) صنو الشىء : نده وشبيهه ، ورضوان : خازن الجنة .

(٢) يريد : أن لبنان الذى يعتبر شجر الأرز رمزًا له يحرك مشاعره ، أكثر مما تحركها البلاد العربية التى يعتبر شجر الطلح والبان رمزًا لها .

(٣) يشير إلى : إمارة الغساسنة القديمة التى قامت على تخوم الشام .

(٤) يشير إلى : الدولة الأموية ، ويرمز بالوحى إلى الإسلام .

(٥) يريد أن اختلاف البلاد والديانات لم يعد ذا أثر فى التفرقة بين الشعوب العربية .

إن الصحافَةَ أنتم أسُّ نَهضتها ... لولاكمو، لم تقم للصُّحْف عمدان[1]

لكم على النيل أَهرامٌ دِعامتُها ... سحرُ البلاغة ، لا صخرٌ وصَوَّان[2]

إن كان للضاد آدابٌ تتيه بها ... فإن فارسَها السبَّاقَ زِيدان[3]

للضاد شاد اليسوعيُّون مكتبةً ... لم تحوها زمن المأمون بغْدان؟[4]

هذى معاجمُهم . هل فى معاجمهم ... إلا عقيقٌ من الفصحى ومرَجانُ ؟

اليازجيُّون راض الشعرَ رائضهُم ... من بعد ما جمحَتْ للشعر أوزان[5]

بفضلهم عاد للشَّهباء أحمدُها ... بل أحمداها ، وزارَ الشام حَسانُ[6]

لولا غطارفُ فى الدنيا الجديدة ، ما ... أصْغت إلى لغة الأعراب آذان[7]

هم فاتحون وإن لم يشهَرُوا قُضُبًا ... أو تحترق بلهيب النار أبدان

لما تبَّلجَ عصرُ النور ، كان لكم ... سبقٌ إلى خدمة الفصحى وإمعان

جريتمو ، وجَرَتْ مصرُ ؛ كأنكما ... طِرفان ضمَّهُما للسبق ميدان[8]

وحسبُ مصرَ ـ إذا عُدَّتْ مفاخرُها ـ: ... روضٌ من العلم والآداب فَيْنان[9]

---

(١) بدأت الصحافة العربية ـ ولاسيما فى مصر ـ على أكتاف الأدباء الشآميين .

(٢) يشير إلى : صحيفة الأهرام .

(٣) يشير إلى : جورجى زيدان ، صاحب الفضل الأول فى تأريخ الأدب العربى .

(٤) يشير إلى : نهضة الآباء اليسوعيين فى إحياء التراث العربى القديم .

(٥) يشير إلى : الشيخ ناصيف اليازجى وابنيه ؛ وقد كانوا فى الطليعة من الشعراء المعاصرين .

(٦) الشهباء : حلب ، والشاعر لا يعترف بالفواصل السياسية التى تفصل لبنان عن سورية . الأحمدان هما : المتنبى والمعرى .

(٧) الدنيا الجديدة : أمريكا ، ويريد بهؤلاء الغطارف أدباء المهجر النازحين من بلاد الشام .

(٨) الطرف : الجواد .

(٩) فينان : كثير الأفنان .

دارُ العلوم ، وما دارُ العلوم سوى — عقدٍ تتيهُ به الفصحى وتزدان
للضاد فى مصرَ بل فى الشرق أجمعِهِ — حصْنٌ بَنُوها له : أسٌّ ، وأركان
إن أعقَبتْ وائلٌ سحبانَ ، كان لَها — من بينهم ألفُ سحبانٍ وسحبانُ[1]
تغلغلوا فى ربوع الشرق ، وانتشروا — كأنهم صَيِّبٌ فى الشرق هتَّان[2]
كأنما الضادُ دينٌ ينشرون له — دَعْوَى . وبعضُ اللُّغَى للناس أديان[3]

***

رُسْلَ الثقافة ، مرحَى . نحن فى زمنٍ — أمضى سلاحٍ به : علمٌ ، وعرفان
إن وحّدَتْ بين أقوام ثقافتُهُم — فلن تُفرِّقَ ذاتَ البَيْن بُلدان
ليس التكانُفُ بالأكتاف مظهرُهُ — لكنما هو إحساسٌ ووِجدان
إنى أحُسُّ - وحِسِّى ليس يكذِبُنى - — مستقبلاً ملؤُهُ عزٌّ وسلطان
ماضى العروبة يخطو نحوَ حاضرها — لى بالعروبةِ والرحمنِ إيمان
أبناءُ يعرُبَ إن سادوا الأنام ، فقد — عاد الأنامُ رعاياهم كما كانوا[4]
أطلَّ فى الأفْقِ نجمٌ كُنتُ أرقُبُهُ — كرَّتْ عليه الليالى وهْوَ وَسْنَان[5]
هذى خيولُ الصلاحيين قد زَحفَتْ — كأنها - وهْىَ تطوى الأرض - عِقْبان[6]
مهلاً فِلسطينُ ، قد ناديتِ معتصِمًا — جوابُهُ : مَشْرفيَّاتٌ وخُرصَان[7]

---

(١) يشير إلى سحبان وائل الذى يضرب بفصاحته المثل .

(٢) الصيب الهتان : الغيث المتدفق .

(٣) ترتبط اللغات بالديانات أحيانًا ، ومن أبرز ذلك : ما بين الإسلام واللغة العربية من وشائج .

(٤) يريد : أن سيادة الجنس العربى للبشر ليست بدعة ؛ فإن لها سندًا من التاريخ .

(٥) وسنان : نائم ، ويشير بهذا البيت إلى تكتل الدول العربية للدفاع عن فلسطين .

(٦) العقبان : جمع عقاب ، والصلاحيين : نسبة إلى صلاح الدين الأيوبى .

(٧) ينظر : ما كتبناه عن عنوان القطعة السابقة « يا أخت عمودية » . المشرفيات والخرصان : السيوف والرماح .

الله يعلم أنَّ السِّلمَ غايتُنا — ونحن ـ من دَوْحه ـ : ظلٌّ ، وأغْصان

ما أبعدَ البغيَ عنا ! إننا نفرٌ — إلى العلا ـ لا الدمِ الموَّارِ ـ ظمآن[1]

لكنه الحقُّ لم تنهض به حُجَجٌ — فما له غيرَ حدِّ السيف برهان

الحق لؤلؤةٌ غاصت ببحر دمٍ — لها شِراكان : أسطولٌ وفُرسان[2]

لا هُمَّ ، إن حماةَ الأمنِ قد جَحَدوا — مصرًا ، ولو أيَّدتْها قوةٌ دانوا[3]

ترنَّحَ النيلُ لما صاح من بَرَدَى — صوتٌ يعاونُه والحرُّ مِعوان[4]

صوتٌ من الخلد عُلويُّ الصَّدَى ، غرِدٌ — مستعذَبٌ ، كأذان الفجر رنَّان

مقالة سمعتها مصرُ خاشعةً — كأنما هى إنجيلٌ وقرآن

أَدْلَى بها « فارسٌ » بلقاءَ سافرةً — فاهتزَّ من حصْن الاستعمار بنيان[5]

إن الأُلَى بشَّروا بالسلم قد نُسِجَتْ — من صُنع أيديهمو للسِّلم أكفان[6]

عهدُ المحيط هَوَى بعد الحروب إلى — قاعِ المحيط ، وللأمواج طُغيان[7]

ليس الأنامُ ـ كما قالوا ـ سواسيَةً — بل فى الأنام سَراحينٌ : وقُطْعَان[8]

ليس السلامُ بخفَّاقٍ له عَلَمٌ — ما دام بين الورى شَاءٌ وذُؤْبَان !

---

(١) الموار : كالفوار لفظًا ومعنى .

(٢) يريد : أن الحق لا يحق نفسه ، بل تحققه القوة .

(٣) كان مجلس الأمن ـ فى ذلك الوقت ـ قد خذل مصر فى قضيتها .

(٤) يشير إلى كلمة فارس الخورى التى أيد بها قضية مصر إذ ذاك فى مجلس الأمن كما سيلى .

(٥) بلقاء : واضحة بيضاء .

(٦) يشير إلى مجلس الأمن الذى لم يؤيد قضية مصر فعرض الأمن للخطر .

(٧) يريد بعهد المحيط : ميثاق الإطلانطى المعروف ، ويريد بقاع المحيط : سطح قراره الذى يشبه القاع .

(٨) سراحين : جمع سرحان بمعنى الذئب .

رسل الثقافة

وفد عربى ثقافى آخر هبط مصر ؛ فكرمه المعلمون فى ناديهم بالجزيرة ، وألقى الشاعر هذه القصيدة، سنة ١٩٤٩م

نَسَبٌ أُدلُّ بـه علـى الأقمـار ... أَنَا مـن سُلالـة يعرُبٍ ونـزارِ[1]

وأولئـك الشُّـمُّ الأُبـاةُ أُخَـوتـى ... والمكرُمـاتُ شعارُهـم وشِعـارى[2]

أرضَ الجزيرةِ ، مَنْ حَوَيْتِ من الورى؟ ... أَشَرَى أسـودٍ أم سمـاء درارى ؟[3]

نـاديـكِ أم عـرفـاتُ مـاجَ حجيجهُ؟ ... أم فيـك قـام البيـتُ ذو الأستـار ؟

أم بيـن دَوحِكِ ــ ليت شعرى ـ دوحـةٌ ... أخـرى تشاهـدُ بيعـةَ الأنْصـار ؟[4]

حـىِّ الـوفـودَ تحيَّـةً ممـزوجـةً ... بعَبيـر غـاليـةٍ ، ونَفْـح عمَـار[5]

واخشَـعْ إذا حـدَّثْـتَ عـن أَسـلافهم ... أو زرتَ مـا تـركـوا مـن الآثـار

كـانـوا إذا رفعـوا قـواعـد دولـةٍ ... وضَعُـوا العلـومَ مـواضـع الأحجـار

كـانـوا إذا نشـروا السـلام علـى الـورى ... رُسُلاً ، وإن خاضوا الحروب ضوارى

حَـاطـوا ممـالكهـم بعـدْل ملـوكهـم ... كحيـاطـة البُستـان بـالأسـوار

---

(١) يعرب ونزار : من أجداد العرب القدامى ـ كما هو معروف ـ.

(٢) الشم : جمع أشم ، والأباة : جمع أبى ، وكلاهما بمعنى : من لا يقبل الضيم .

(٣) يريد : جزيرة الروضة وهى مقر نادى المعلمين الذى أقيم بـه الحفـل ، وقـولـه : «أشرى أسود ؟» خبر وأصله : « أأنت شرى أسود » ؟

(٤) يشيـر إلى : الشجـرة المبـاركة التـى بـايع الأنصـار تحتهـا رسول الله ﷺ، ومـن المعروف : أن هذا الوفد إنما قدم مصر لعقد اتفاقات ثقافية .

(٥)الغالية : نوع من الطيب ، والعمار : نبت ذكى الرائحة .

مِنْ جَنْدل الفلوات قَدُّوا عزمَهُم … أو سيلهنَّ الجارف التَّيار[1]

ومن الحيا المِدْرارِ صِيغَ سخاؤُهُم … فسخاؤُهم صِنْوُ الحيا المدرار[2]

وتنفَّسوا ريح البوادى حرَّةً … فتحرَّروا من رقِّ كلِّ إسار

المجدُ ينبُتُ فى الصحارى والعلا … بدلَ المروج الخُضْر والأشجار

إن كان للبارى شعوبٌ خصَّها … برعايةٍ ، فالعُرْبُ شعبُ البارى[3]

أو قيل : إنَّ العالمين عناصرٌ … فهمو همو حسبًا ، وطيبَ نِجار

خُلِقَ البرايا من ترابٍ خالصٍ … والعُربُ شِيبَ ترابُهم بنُضار

***

أُممُ العروبة وحَّدَتْ أهدافَها … توحيدَها للبارىء القهار

حِلْف نمَاء العلم؛ ما أَوحى به … نَزَقُ الهوى ، أو حبُّ الاستعمار[4]

قلْ للثقافة : أنتِ دينٌ آخرٌ … دينُ المساجد أنتِ ، والأديار[5]

بالضادِ نحن وبالدماءِ قبيلةٌ … وبوَحدةِ الأهدافِ والأفكار

لا تسأَل العربىَّ عن وطَن؛ فقد … محت الصلاتُ فواصلَ الأقطار

عدنانُ جَدِّى، والعروبةُ كلُّها … لى عترة ، والشرقُ أَجمعُ دارى

***

---

(١) فى هذا البيت : يربط الشاعر بين بيئة العرب وأخلاقهم .

(٢) الحيا المدرار : الغيث المتدفق .

(٣) يشير بذلك إلى : ما يعتقده بعض الشعوب ـ كاليهود والألمان والصينيين وغيرهم ـ من أنهم شعب الله المختار .

(٤) نماه : نسبه ، والنزق : الطيش . يشير إلى : الميثاق الثقافى التى حضرت الوفود العربية من أجله، مقارنا بينه وبين بعض المواثيق السياسية .

(٥) قد يطلق الدين على : ما يعتقده المرء من الآراء ؛ فيقال ـ مثلا ـ : فلان يدين بمبدأ التعاون .

رسلَ الثقافة ، مرحبًا بوفودكم ... مصرٌ تتيهُ بكم على الأمصار

ما زال نهرُ النيل يحسَبُ نفسَه ... فوق البسيطة عاهل الأنهار

حتى رأى علماءَكم فى شطِّه ... فإذا به يجرى أمام بحار

مصرٌ تدينُ بدينها ولسانها ... لكمو ، وما تَرْوِى من الأشعار (١)

هى أُمَّةٌ ترعى الجميلَ لأهله ... حفظُ الجميل سجيَّةُ الأحرار

دعَّمتمو صرْحَ الإخاء ، وليس ما ... تبنى يمينُ العلم بالمنهار (٢)

العلمُ لا تبنى الممالكُ نفسها ... إلاَّ به فى عهد الاستقرار

العلمُ ألزمُ للشعوب ــ إذا دعا ... داعى الحروب ـ من النمير الجارى

هو ساعدُ السبّاح فوق الماءِ إن ... خاض الوغى ، وقوادمُ الطيّار (٣)

العلم أمضَى فى الضريبة حدُّه ... من حدِّ كلِّ مهنَّدٍ بتَّار (٤)

قلْ للكماة الذائدِين عن الحمى ... والمرْخصين غواليَ الأعمار

من نَسْل كلِّ أَبٍ أَبىٍّ ، بالردى ... يَرْضَى ، ولا يَرْضَى هوانَ الجار :

عبثَ الثعالبُ بالحمى ، فأروهمُو ... يومًا تجلَّل وجهُهُ بالقار (٥)

يومًا كيوم الروم فى « اليرموك » ، أو ... يومًا كيوم الفُرْس فى « ذى قار » (٦)

---

(١) يشير إلى : ما لبلاد الشام والعراق والحجاز من فضل على الإسلام والفصحى .

(٢) دعم البناء :ـ بالتشديد كدعمه بالتخفيف ــ : اتخذ له الدعائم التى تشده وتسنده .

(٣) يشير إلى : فضل العلم على اختراع الأساطيل والطائرات .

(٤) الضريبة : الهدف المضروب ، والمهند البتار : السيف القاطع .

(٥) يريد بالثعالب : اليهود مغتصبى فلسطين .

(٦) « اليرموك » : يريد بها الموقعة المشهورة التى انتصر فيها العرب على الروم فى عهد عمر ، « ذى قار » يريد بها الموقعة اتلتى انتصر فيها العرب على الفرس قبل الإسلام .

لا تُبْتَنَى الدُّولاتُ حولَ موائدٍ   كموائد النَّدمانِ حولَ عُقَار[1]
الحقُّ عند قُضاتها يُقْضَى به   للدرهم المضروب والدينار[2]
إنَّ الحقوقَ توائمٌ يصطادُها   مَنْ شاء من بحر الدَّم الموَّار[3]
لم ألقَ أعدلَ من قذيفة مِدفعٍ   حُكمًا، وأخْطَبَ من لسان النارِ

نشيد
الشباب الآسيوى الأفريقى

أنشىء تلبية لطلب بعض الجهات ؛ ليتغنى به
شباب اتحاد آسيا وإفريقيا، سنة ١٩٦٠م

اسْلَمى يا أُمَمَ الشرقِ، وسُودِى   وابلُغى الأَوْجَ بتوحيد الجُهُودِ[4]
لا عداكِ النصرُ خفَّاقَ البُنودِ   أنتِ ظلُّ الله فى هذا الوجودِ[5]
وبشيرُ الأَمْنِ فيهِ والسلامْ
يا شباب الشرقِ ، سودوا مثلما ساد الجُدودُ   صُحُفُ الماضى شهودُ: أنَّنا سُدْنا الأنامْ

***

(١) العقار : الخمر ، ويريد بهذه الموائد : موائد هيئات الأمم على اختلاف ألوانها .
(٢) يشير إلى : ما يبذله اليهود من الرشا فى سبيل اكتساب تأييد الأمم .
(٣) التوائم : اللآلىء .
(٤) الأوج : الغاية .
(٥) لا عداك : لا تجاوزك ، البنود : الرايات .

هـا هُنَـا فجْـرٌ جـديـدٌ طَلَعَـا وشبـابٌ لـلأَذانِ استَمَعَـا[1]

بيـنَ إفـريقيـا وأسْيَـا جَمَعَـا أَلَّـفَ الأحْـرارَ فـى الشـرق مَعَـا

أُلفـةً بـين كـرامٍ وكـرامْ

يـا شبـاب الشـرق، سـودوا مثلمـا سـاد الجـدودُ

صحـف الماضـى شهود : أنَّـا سُـدْنَا الأنـامْ

***

نحـن شعـبٌ واحـدٌ يبغـى الخُلـودْ لـم تُفَـرِّقْ بيـن أَرضَيْنَـا الحـدودْ

ليـس فـى شِـرعتنـا بيضٌ وسـودْ كلُّنـا شـرقٌ، عـن الشـرق نـذودْ[2]

نَقبلُ الموتَ، ونأبى أن نُضامْ

يـا شبـاب الشـرق، سـودوا مثلمـا سـاد الجـدودُ

صحـف الماضـى شهودُ : أنَّـا سُـدْنَا الأنـامْ

***

أيُّها الشَّـرقُ، ارفـع الصـوتَ جِهـارا نـادِ بـالسِّلـم على الأرض شِعـارَا

كنـتَ بـالأمْـس لـرُسْـل الله دارا وستبقـى للهـدى فيهـا مَنَـارا[3]

تَنْشُـرُ الألفـةَ فيهـا والوئـامْ

يـا شبـاب الشـرق، سـودوا مثلمـا سـاد الجـدودُ

صحـف الماضـى شهودُ : أنَّـا سُـدْنَا الأنـامْ

---

(١) يريد بالأذان : صوت الرئيس الذى نادى بتوحيد الجهود فى القارتين .

(٢) يعرض بما فى بعض البلاد المتحضرة من التفرقة فى المعاملة بين السود والبيض .

(٣) كل أنبياء الله من الشرق ؛ ولم يختر الله رسولا واحداً من أوربا أو أمريكا ، هذه حقيقة تاريخية .

حى اللاجئين

القصيدة التى ألقاها الشاعر فى غزة ، حين سافر إليها فى وفد الأدباء لزيارة حى اللاجئين ، فى فبراير سنة ١٩٦١م

قُمْ حَىِّ حَىَّ اللاجئينْ ... وأذْرِفْ به الدمعَ السخينْ ! (١)

حَىٌّ به شبَحُ الرَّدَى ... فى كلِّ زاويةٍ كمينْ

يَتَصَارعُ الداءُ العُضَا (م) لُ به مع الطبِّ الحَنُون

لم أَلْقَ حيًّا مثلَهُ ... أحياؤه لا يُرْزَقُون

قرَّحْتِ منَّا ، يا فِلَسْ (م) طينُ الحَشَا قبلَ الجُفُون

قد كنتِ مبكًى لليهو (م) دِ فصرتِ مَبْكَى المسلمين (٢)

لْهفِى على الشُّمِّ الأبا (م) ةِ عن الديار مشرَّدين (٣)

سكنُوا العَرَاء ، ودورُهم ... منهم على مرأى العُيون (٤)

قد أوْشَكَتْ شُرُفاتُها ... تُومِى إليهم باليمين

يَرنُو إليهم صخرُها ... فيذوبُ من فَرْط الحنين !

ويظَلُّ يدعوهم بصو (م) تٍ فى القلوبِ له رنين

---

(١) « حى » الأولى : فعل أمر ، والثانية : بمعنى جهة أو مدينة .

(٢) مبكى اليهود فى فلسطين معروف .

(٣) يقصد : العرب الذين أجلوا عن ديارهم .

(٤) أخبرنى بعضهم أنه يجمع أولاده ، ويقف على الحدود ، ويشير لهم إلى منزل ابيهم .

الهـــائمـــون بكـــلِّ أفْـــ (م) ـــقٍ دنّسُوا البلـدَ الأميـن[1]

لا الطيـرُ يعـرِفُ ذلـك الـو (م) جْـهَ الغـريـبَ ، ولا الغُصـون

الأرضُ تنكــرُهـــم بهـــا والـريـحُ ، والغيـثُ الهَتـون[2]

لا جـادَهُـم غيــثٌ ، ولا ساغـوا بهـا العـذبَ المَعين ![3]

مَـنْ أسكَـن الـذِّئْبَ الشَّـرَى ؟ أيـن الـوِجَارُ مـن العريـن ؟[4]

مَـنْ صـادَ فـى الآجـامِ فهْـ (م) ـو لأسْـدهـا صَيـدٌ سميـن

***

قسمًـا بمـن أجْلَـى قُـرَيْـ (م) ـظَةَ والنَّضيـرَ عـن الحصـون[5]

وبمـنْ أتـاحَ لجُنْـدِهِ فـى خيبَـرَ النصـرَ المبيـن[6]

لنُـرَتِّلـنَّ لهـم غـدًا : « كـونـوا قـرُودًا خـاسئيـن »[7]

ولنَـدْخُلُـنَّ محلِّقـ (م) ـينَ رءوسَنـا ، ومُقصِّـريـن[8]

ولنُنْقِـذَنَّ تُـراثَنَـا مـن قبضـة الشَّعـب اللعيـن

ولـو استعـانَ علـى البقـا (م) ءِ بـألـفِ « تـاميـزٍ ، وسيـن »[9]

---

(١) يقصد : اليهود ، وهم مضرب المثل فى التشرد .

(٢) الهتون : المتدفق .

(٣) البيت دعاء عليهم .

(٤) الوجار : مسكن الذئب ، والعرين : بيت الأسد .

(٥) قريظة والنضير قبيلتان يهوديتان أجلاهما المسلمون عن المدينة فى بدء الإسلام .

(٦) خيبر : قبيلة يهودية أخرى أجليت عن حصونها أيضًا .

(٧) فى القرآن الكريم «كونوا قردة خاسئين » أى مطرودين .

(٨) التحليق والتقصير من مشاعر الحج : شبه الشاعر دخول فلسطين بدخول مكة .

(٩) يشير « بالتاميز والسين » إلى : إنجلترا وفرنسا .

أو حـــاربَــتْ معــه أبـــا (م) لِسَــةُ الجحيــم مــدجَّجيـــن

ولنخمِلَـــنَّ لكـــلِّ مـــن واســاهــم الحقــد الــدَّفيــن

حقــدٌ تعيــشُ بـــه ، فـــإن مِنّـَــا نُـــورِّثُـــه البنيـــن

أبنـــاءَ يعـــرُبَ ، لستمـــو نســـلَ الكُمـــاةِ الفـــاتحيـــن

لسْنَـــا إلـــى « المـــأمـــون » يـــو (م) مَ الفخـــر نُنْسَبُ ، « والأميـــن »[1]

إن لـــم نخضِّـــبْ أرضَ يَعْـــ (م) ـــرُبَ مـــن دمـــاءِ الغـــاصبيـــن

زُجُّـــوا بهـــم فـــى البحـــر زا (م) دًا ، منـــه يشبَـــعُ كـــلُّ نُـــون[2]

البحـــرُ يفْغَـــرُ ، فـــاه والـــ (م) ـــحيتانُ خـــاويـــةُ البطـــون

لا تُـــذهِـــبُ الأحـــزانَ آ (م) هـــاتُ التـــوجُّـــع والأنيـــن !

لكـــنَّ دركَ الثَّـــأر يَشْـــ (م) ـــفِى علَّـــةَ القلـــب الحـــزيـــن

العُـــرْبُ لا ينْسَـــوْن ثـــا (م) رهمـــو علـــى مـــرِّ السنيـــن

فلْتثْـــأروا يـــا قـــومُ للشَّـــ (م) ـــيخِ المحطَّـــم والجنيـــن[3]

ولمـــن طـــواهـــا المـــوتُ وهْـــ (م) ـــىَ تـــذودُ عـــن عـــرضٍ مَصُـــون[4]

فـــى ذمـــة الـــرحمـــن حُـــو (م) رٌ قـــاصـــراتُ الطـــرف عِيـــن ![5]

---

(١) الأمين والمأمون : هما الخليفتان العباسيان المعروفان ، وكان عهدهما من أزهى العهود الإسلامية .

(٢) النون : الحوت .

(٣) يشير إلى : عدوان اليهود على العرب وما ارتكبوا من الفظائع فى حرب فلسطين ، والعدوان الثلاثى وغيرهما .

(٤) سمع الشاعر بأذنيه أثناء الرحلة قصصًا متعددة تدور حول هذا الموضوع .

(٥) حور : جمع حوراء وهى شديدة بياض العين شديدة سوادها ، عين : جمع عيناء : وهى واسعة العين ، قاصرة الطرف : غضيضة الطرف من الخفر والحياء.

ذهبَــتْ ضحيَّـــةَ عـــرضِهـــا والعـــرضُ عنـــد الحـــرِّ ديـــن

***

لـــن يعـــرفَ العـــربـــيُّ بعـــ (م) ـــدَ اليـــوم إحنـــاءَ الجبيـــن

بطـــنُ الضـــريـــح أحـــبُّ مـــن عيـــشِ الـــذليـــلِ المستكيـــن

لا لاجئيـــــنَ اليـــــومَ بـــــل قـــولـــوا لهـــم : يـــا عـــائديـــن

واستبشـــروا بـــالنصـــرِ ؛ إنَّ (م) النصـــرَ أقـــربُ مـــا يكـــون

هـــذا صـــلاحُ الـــديـــن عـــا (م) د يقـــودُ ألـــفَ صـــلاح ديـــن[1]

معـــه جنـــودٌ مـــن مـــلا (م) ئكـــة السمـــاءِ مســـوَّميـــن[2]

قـــالـــوا : لـــدينـــا ذرَّةٌ فتَّـــاكـــةٌ مـــن « هـــدرجيـــن »[3]

قلنـــا : لـــدينـــا ذرَّتـــا (م) ن : الحـــقُّ أبْلـــجَ ، واليقيـــن

سـرْ ، يـــا جمـــالُ ، نَسِـرْ علـــى آثـــارِ خَطْـــوك مقتفيـــن

وخُـــضِ المحيـــطَ ـ إذا أرد (م) تَ بنـــا ـــ نخُضْـــهُ بـــلا سفيـــن

يـــدعـــو لـــك الأطهـــارُ مـــن أبنـــاءِ يعـــرُبَ أجمعيـــن

فتجيـــبُ دعـــوتَهـــم مـــلا (م) ئكـــةُ السَّمـــاءِ مـــؤمِّنيـــن !!

---

(١) يقصد : الرئيس جمال عبد الناصر وجنوده الذين لا يقل أحدهم عن السلطان صلاح الدين الأيوبي .

(٢) مسومين : معلمين .

(٣) يشير إلى ما أذاعه اليهود من : أنهم اخترعوا القنبلة الذرية .

إسلاميّات

تسبيح وابتهال !! (1)

سبحَانكَ اللَّهُمَّ ! مـا أعْـدَلَـكْ ! نحـنُ العبيـدُ نحـنُ ، والمُلْـكَ لَـكْ
تَغْنُـو لـك الحيتَـانُ فـى لُجِّهَـا وكـلُّ نجـمٍ سابـحٍ فـى الفَلَـكْ (2)

***

الـذئبُ إذْ يَعْـوى بصحـرائِهِ يُثْنـى علـى الله وآلائِهِ (3)
والطيـرُ إذْ يَشْـدُو علـى غُصْنِـهِ يُقـرُّ لله بنَعْمـائِهِ
والحَجَـرُ الجَلْمَـدُ فـى صَمْتِـهِ يهتـفُ بـاللهِ وأسمـائِهِ
فـى ألِـفِ اللهِ ، وفـى لامِـهِ قـد فَنِـىَ الكـلُّ ، وفـى هـائِهِ !

***

سبحـانـك اللهـم ! مـا أعـدلـك ! نحـن العبيـد نحـن ، والملـك لـك
تعنـو لـك الحيتـان فـى لجهـا وكـل نجـم سابـح فـى الفلـك

***

مَـنْ عَلَّـمَ النَّمْلَـةَ معنى العَمَـلْ ؟ مَـنْ أَلْهَـمَ النَّحْلَـةَ صُنْـعَ العَسَـل ؟
مَـنْ سيَّـرَ الأفـلاكَ فـى دقَّـةٍ ؟ مَنْ سخَّرَ البحرَ ، وأرسى الجبَلْ ؟ (4)

---

(1) الابتهال : التضرع .

(2) تعنو : تخضع .

(3) الآلاء : النعم .

(4) سخر : ذلل ، أرسى الجبل : ثبته .

مَنْ مَلأَ الدنيا بأسرارِهِ ؟ … من كوَّنَ الأكوانَ منذُ الأزلْ ؟

تباركَتْ أسماؤُهُ ! كلُّ ما … فى ذلك الكَوْنِ على اللهِ دَلّ

***

سبحانك اللهم! ما أعدلك ! … نحن العبيد نحن ، والملك لك

تعنو لك الحيتان فى لجها … وكل نجم سابح فى الفلك

***

النَّازِحُ الأهْلِ الشريدُ الغريبْ … أنتَ له الأهلُ ، وأنتَ الحبيبْ [1]

والساهرُ المُضْنَى الذى يشتكى … أنتَ لهُ الآسى، وأنتَ الطبيبْ [2]

والغارمُ الغارقُ فى دَيْنِهِ … أنتَ له فى الضِّيق كنزٌ رغيبْ [3]

والسائلُ المردودُ عن سُؤْلِهِ … أنتَ له ، يا ربِّ ، نعْمَ المجيبْ

***

سبحانك اللهم ! ما أعدلك ! … نحن العبيد نحن، والملك لك

تعنو لك الحيتان فى لجها … وكل نجم سابح فى الفلك

***

ربِّ إليكَ المُنتهَى والمآبْ … وقولُكَ الصِّدْقُ ، وفصلُ الخطابْ [4]

ودينُكَ الحقُّ المبينُ الذى … يَهدِى إلى نهْج الهدى والصَّوابْ [5]

---

(١) النازح : البعيد .

(٢) المضنى : من أصابه الضنى وهو المرض .

(٣) الغارم : المدين .

(٤) المآب : المرجع .

(٥) النهج : الطريق .

لاَ هُـمَّ ، ثبِّـتْ بِــكَ إيمـانَنَـا   واكتُـبْ لنـا عفْـوَكَ يـومَ الحسـابْ
وتَـوِّجِ اللَّهُـمَّ أعمـالَنـا   فـى الـديـن والدنيـا بحُسْـن الثَّـوابْ

***

سبحانـك اللهـم! مـا أعـدلـك !   نحـن العبيـد نحـن ، والملـك لـك
تعنـو لـك الحيتـان فـى لجهـا   وكـل نجـم سابـح فـى الفلـك

مولد الهادى الأمين

سـائل الكَوْنَ : هـل عـرفـتَ الوليـدَا   هَـزَّ فى مهـدِه الصغيـرِ الوجـودَا؟[1]
الـوليـدُ الـذى استهَـلَّ فـأمْسَـى   يـومُـهُ فى السمـاءِ والأرضِ عيـدا[2]
أىُّ بشْـرَى إلـى السَّمَـواتِ زُفَّـتْ   رَدَّدَتْهـا أمـلاكُهـا تَـرديـدا ؟
غَرِّدى فـى الجِنان، يا حُـورُ ، نشْوَى   واسر ، يـا نجمُ ، فى السَّمـاء سُعُودا
يـا لواءَ التـوحيـدِ فـى الأُفقِ ، رفـرِفْ   لَقِـىَ الشِّـرْكُ يـومَـه المـوعُـودا
وُلِـدَ المصطَفـى ! سَـلامٌ عليْـهِ   مَـا حَبَا، أو مَشَـى، أو اشتَدَّ عُـودَا !
هَتَفَـتْ بـاسمِـهِ حليمُـة طفـلاً   فغـدَا فـى فـمِ الـزمانِ نشيـدا[3]

---

(١) لم يرد : أن ذلك حدث بالفعل وإنما أراد : أن بوادره حدثت فكأنه وقع ، على حد قوله تعالى «أتى أمر الله فلا تستعجلوه» تنزيلا للمحتم وقوعه مستقبلا منزلة ما وقع فعلا .
(٢) استهل : ولد .
(٣) حليمة : مرضعة الرسول .

لــم تَلِــدْ أمُّــهُ ســواهُ غُــلامًــا ... قيمــةُ الــدرِّ أن يكــونَ فــريــدا

هــل دَرَتْ يــومَ وضْعــه بنتُ وهْــبٍ : ... أنهــا أطلعَــتْ صباحًــا جديــدا؟[1]

هـــل دَرَتْ : أيُّ دولــةٍ وســريــرٍ ... آذَنَــا يـــومَ وضعِــهِ أن يَمِيــدَا؟[2]

هـل درَتْ : أنهــا على هَامــةِ التَّا (م) ريـخ شـادَتْ للعُرْبِ مُلْكًـا وطيـدا؟

صاح فــى مهـده الـوليـدُ ! أكَـانـت ... نغمــاتٍ صيحــاتُــهُ أم رُعُــوْدا؟[3]

صَيحَــةٌ زلــزَلَ الضــلالَ صَــداهــا ... وَوَعَتْهـــا أُذْنُ الهـــدى تغــريـــدا

وُلــدَ الصــادقُ الأميــنُ ؛ فيــا شَمْـــ (م) ـــسُ أطِلّــى ، وبـاركــى المـولــودا

واقــرئى فـــى جَبينِــهِ سُــورة الخلـــ (م) ـــدِ ، إذا كنــتِ تبغيـن الخلــودا[4]

وخـذى عنــه : كيف تُحييــنَ فــى الأر (م) ضِ مَــواتًــا ، وتُــوقظيــن رُقُــودا[5]

واسلُكــى إنْ ضَللْت فــى الأُفْــق يومًــا ... نَهْجَــهُ تسلُكيــن نهجًــا رشيــدا[6]

اقِبســى النــورَ والهـــدايــةَ منــه ... إنَّ مَــن يهتــدى بــه لــن يَحِيــدا

نـــورُ طَــهَ مـــن وجْـــه ربِّ البـرايـا ... وحْـــدَهُ جـــلَّ وجهُـــهُ معبـــودا

الـــوليـــدُ الـــذى تـــربَّـى يتيمًـــا ... علَّـــمَ العُــرْبُ كلَّهـــا أن تســودا

---

(١) بنت وهب : هى آمنة بنت وهب أم الرسول .

(٢) آذنا أن يميدا : تهيأ كلاهما للانهدام .

(٣) يريد : أن هتاف الرسول طفلا كان مزيجًا من الشدو وهزيم الرعد ، والتفصيل فى البيت التالى .

(٤) إنما خص الخلد لأنه من صفات الشمس : تفنى الأحياء وهى هى فى مدارها .

(٥) يقول الشاعر للشمس ـ فى هذين البيتين ـ : إن خلودك دون خلود ذكر الرسول وشريعته ، وإنك دونه فى إحياء الموات وإيقاظ الرقود ، وهاتان الصفتان بالنسبة للشمس حقيقتان ، وبالنسبة للرسول مجازيتان .

(٦) يقول للشمس إذا كان شأنك الهداية فإن الرسول أهدى منك .

شـاحـذًا عـزمَهـم، وكـان كَهَـامًـا | جـامعًـا شمْلَهـم، وكـان بَـديـدا[1]
لابسًـا لـلأذى مـن الصبْـر درعًـا | ومـن الصبـر مـا يفُـلُّ الحـديـدا[2]
سـاحـرًا لا بحبلِـهِ وعصـاهُ | بـل بِخُلْـقٍ سَمْحٍ يَـروضُ الأسـودا[3]
وبيـانٍ مَـنْ ذاقَ حُلْـوَ جنَـاهُ | عـافَ بنـتَ العُنقـودِ والعنقـودا[4]
النبـىُّ الأمـىُّ جـاء بـآيٍ | تـركَـتْ سـادةَ البيـان جُمُـودا
أخرسَتْ كـلَّ نـاطق، تركَـتْ كـلَّ (م) لسـانٍ مـن عيِّـهِ معقـودا
حـرَّكَ الصُّمَّ إذ تـلاهـا عليهـم | وتَغـالـى فحـرَّكَ الجُلمـودا[5]
وألانَ القلـوبَ وهْـىَ غِـلاظٌ | يُشْبِـهُ الصخـرَ طبعُهـا والبيـدا
فـإذا عـابـدُو التمـاثيـلِ للـ (م) ـه يخِـرُّون ركَّعًـا وسجـودا
النبـىُّ الأمـىُّ لـم يـدركْ العِلـ (م) ـمُ قـرارًا لـدينـه أو حـدودا[6]
كـم تحـدَّتْ عقـلاً تعـاليمُـهُ السمـ (م) ـحَةُ فـارتَـدَّ حـائرًا مكـدودا[7]
شـرعـةٌ ظلَّلَـتْ بـأدواحهـا مَـنْ | حـلَّ بيدًا ، أو حـلَّ قصرًا مَشيـدا[8]

---

(١) شحذ عزمه : أرهفه وقواه ، الكهام : المنثلم .

(٢) فله : خدده وثلمه .

(٣) يفرق الشاعر - فى هذا البيت - بين معجزة موسى ومعجزة محمد .

(٤) جناه : ثمر ، بنت العنقود: كناية عن الخمر .

(٥) تحريك الجلمود من باب المبالغة : «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعًا متصدعًا» .

(٦) يشير فى هذا البيت - وما بعده - إلى أكبر معجزات الرسول وهى أنه - على أميته - جاء بشرعة دقيقة كفيلة بحاجات الناس فى الحياتين .

(٧) مكدودا : متعبًا .

(٨) يريد أنها - وهى بنت البادية - صلحت لحياة الحضر .

كلّما مـرّتْ العهـودُ عليهـا أثبتـتْ أنهـا تُجـارى العهـودا

الحضـاراتُ ـ منذُ قـامت علـى الأر (م) ض ـ تفيّـأْنَ ظـلهـا الممـدودا

كـان فى الشـرق روْضها يـانـعَ الزهـ (م) ـر وفـى الغرب حـوضُهـا مـورودا

سـائل الغـربَ عن كنـوزٍ مـن الفكـ (م) ـرِ بجيـدِ الـزمان كـانـت عقـودا[1]

قـدّمتْهـا غـرنـاطـةٌ وهْـىَ تبكـى بَـدَلَ الفحْـم للحـريـق وَقُـودا

شـرعـةٌ تكفُـلُ الحيـاتَيْـنِ فـى كـلّ (م) زمـانٍ جـديـدةٌ لـن تَبيـدا

بـاسمِهـا صـار قائدًا كـلُّ مَـنْ يَحْلُـ (م) ـبُ شـاةً ، وصـار كسـرى مقُـودا[2]

بـاسمهـا ثلّـتِ العـروشَ قـريـشٌ وغـدا أهلُهـا ملـوكًـا صِيـدا[3]

قَسَـمَ العالَـمَ الـرشيـدُ : فنصفٌ فـى يديـه ، والنصف يخشـى الرشيـدا[4]

ديـنُ طَـهَ كـانـت مبـادئهُ السّمْـ (م) ـحَةُ فـى الحـرب شِكّـةً وجنـودا[5]

إنّ مَـنْ يَفتـحِ القلـوبَ ابتـداءً لـم يُصـادفْ حـواجـزًا وسُـدودا

لن تَـرَى فى الحـروب كالمُثُـل العُليـ (م) ـا جيـوشًـا ، وعـدةً ، وبُنُـودا[6]

فتقلّـدْ إنْ رُمـتَ فـى الحـرب نصـرًا (م) مَبـدأً سـاميًـا ، ورأيًـا سَـديـدا

أيُّهـا الشـرقُ ، قـد ركـدْتَ طـويـلاً يـأسَـنُ المـاءُ إنْ أَطـال الـرُّكـودا[7]

---

(١) يريد ـ بهذا البيت وما بعده ـ : المكتبة العربية الأندلسية التى أحرقها الغازون عند سقوط الأندلس .

(٢) خلق الإسلام من رعاة الأغنام قوادًا فتحوا بلاد الفرس .

(٣) ثل العرش : أسقطه ، والصيد : جمع أصيد وهو من يشمخ بأنفه كبرًا .

(٤) يريد : أن الرشيد كان ملكًا على رقعة كبيرة من الأرض مرهوب الجانب فى بقيتها .

(٥) الشكة : آلة الحرب .

(٦) البنود : الرايات .

(٧) أسن الماء : تعفن من طول الركود .

لَــك عنــد النجــوم إرثٌ مُضــاعٌ لا تقـل : كيـف أستطيــعُ الصُّعُـودا ؟

لـك مَـاضٍ زاهٍ ، فمـا ضـرَّ لـو نلــ (م) ــتَ طـريفًـا مــن العـلا وتليـدا ؟[1]

يـا سليـلَ الصِّيـدِ البهاليـلِ مـن نَسْــ (م) ــل « نِزارٍ » ، هلا خَلَفْتَ الجدودا ؟[2]

لستَ بـالحرِّ إن تعـشْ خامـلَ الذكــ (م) ــــر ، وإن كنـتَ للملـوك حفيـدا

لـــك فــى سيـــرةِ النبـــىِّ عِظـاتٌ بـالغــاتٌ ؛ فهـل تــريـدُ مــزيـدا ؟

قـل لأبناءِ « يعـرُبٍ» : وحِّدوا الشَّمْــ (م) ـــلَ ، كمـا وحَّـدَ النبـىُّ الجُهـودا

إنَّ أولــى الــورى بتــوحيـد شمــلٍ أمــةٌ كــان دينهـــا التـــوحيـــدا

إنَّ شعبًـا مفـرَّقَ الشَّمــل لا يقْهَــ (م) ـــرُ خصمًـا ، ولا يكيـدُ حسـودا

أيُّهــا الشعــرُ ، ذكِّـر الشـرقَ ذكّــ (م) ــرهُ بمــاضيــه ، عَلَّــه أنْ يَعـودا

عَلَّ بغـدادَ - فى غـدٍ - تَبْعَـثُ المنصـ (م) ــورَ ، أو جِلَّقًـا تُعيـدُ الـوَليـدا[3]

---

(١) الطريف : الجديد ، والتليد : القديم .

(٢) البهاليل : جمع بهلول (بضم الباء) وهو السيد الجامع لكل خير ، ونزار : جد قديم من أجداد العرب إليه تنسب .

(٣) المنصور : هو أبو جعفر المنصور المؤسس الحقيقى للدولة العباسية ، والوليد : هو الوليد بن عبد الملك ، أحد خلفاء بنى أمية المشهورين .

قصة البعث

قطعة فى ميلاد الرسول أيضًا ، معدة للتحلين والغناء .

أىُّ نجم فى سماءِ العَرَبِ ... صار فى الأُفْق حديثَ الشُّهُبِ ؟

أيُّها التَّاريخُ ، بالنُّورِ اكْتُبِ ... قصَّةَ البعث لشَعْبٍ ونَبِى (١)

وُلِدَ المختارُ وضَّاءَ الجبينْ

يا لَهُ فجرًا جديدًا ظَهَرَا ... رَوَتِ التَّوْراةُ عنهُ خَبَرَا ! (٢)

سائل الإنجيل : ماذا سَطَّرَا ... عن نبيٍّ عربيِّ النَّسَبِ

يَغْمُرُ الأرضَ سناهُ بعد حينْ ؟

وَلَدَتْه مَولِدَ العافى الفقيرْ ... حرَّةٌ تبكى على فَقْد العَشيرْ (٣)

فتولَّتْهُ يَدُ المولى القديرْ ... واحتَفَى الرُّسْلُ به فى موكِبِ (٤)

بين حُور قاصراتِ الطَّرْفِ عِينْ (٥)

---

(١) يعتبر بعث النبى بعثًا للأمة العربية أجمع ، فقد خلقها خلقًا جديدًا .

(٢) بشرت التوراة - كما بشر الإنجيل - بمحمد ، وفى القرآن نصوص صريحة تثبت ذلك .

(٣) العافى : الفقير ، والعشير : الزوج . يشير إلى : أن السيدة آمنة ولدتة الرسول وهى فى حداد على زوجها عبد الله .

(٤) المراد باحتفاء الرسل به : أن النبى أحيا سننهم ، فكان جديرًا أن يحتفوا بميلاده .

(٥) الحور : جمع حوراء وهى شديدة سواد العين مع شدة البياض ، وقاصرات الطرف معناها : أنهن يقصرن العيون على النظر إليهن ، ويمنعنه النظر إلى سواهن ؛ لشدة جمالهن ، والعين : جمع عيناء ، وهى : الواسعة العين .

قُلَّدَتْهُ الأرضُ كالدُّرِّ الكريمْ وكريمُ الدُّرِّ أغلاهُ اليتيمْ[1]

يا لَطفلٍ فَقَدَ القلبَ الرحيمْ ما احتواهُ فى الصِّبا صدرُ أبٍ[2]

هزَّ فى المهدِ عروشَ المالكينْ !

ناشىءٌ لم يَقْضِ فى اللَّهْو صباهْ عَرَفَ اللهَ؛ ولم يعرْف سواهْ[3]

ما انحنى للاّتِ يومًا، أو مناهْ دانت الحكمةُ طرًّا لصبى[4]

من « قريش » لقَّبوهُ بالأمينْ[5]

هل رأت « مكّةُ » فى يوم الحجَرْ وعيونُ القوم ترمى بالشَّرَرْ[6]

كيف ثارَتْ فتنةٌ بين الأُسَرْ ثم سادَ الحِلمُ بعد الغَضَبِ

حين مَدَّ الثوب « طه » باليمينْ ؟

***

أَيُّها الناسكُ فى غار حِراءْ أرْهِفِ السمعَ رويْدًا للنداءْ[7]

---

(١) الدرة اليتيمة : هى التى لا نظير لها ؛ تشبيهًا لها باليتيم الذى مات أبوه فلن يعقب مثله .

(٢) لمراد : أن عروش الأكاسرة والقياصرة أصبحت منذ ميلاد الرسول مهددة بالزوال .
كان الرسول يتعبد - قبل البعثة - على مذهب الخليل إبراهيم .

(٣) اللات ومناة : صنمان كانا يعبدان فى الجاهلية .

(٤) « الأمين » : كان هذا لقب الرسول فى قريش قبل البعثة .

(٥) يشير إلى : حادثة الحجر الأسود، عندما اختصمت قبائل قريش بشأن من يضعه

(٦) فى مكانه ، وهم يجددون بناء الكعبة ، وكيف أن الرسول حسم النزاع ؛ فوضع الحجر فى ثوب، وأخذت كل قبيلة بطرف .

(٧) الناسك : العابد ، وغار حراء : معروف فى مكة .

هاتفٌ من عندِ ربِّ العرش جاءْ … يَالَصَوْتٍ من وراءِ السُّحُبِ[1]

هتَفَ: « اقرأ » باسم ربِّ العالمينْ !

حدِّث الفانينَ عن دارِ البقاءِ … وانشُر العطْفَ ، وبشِّرْ بالإخاءِ

واتلُ فوقَ الأرض آياتِ السَّماءِ … من كتابٍ ليس مثلَ الكُتُبِ

فيه نورٌ وهدًى للمتَّقينْ

ويْحَ أهلِ الشِّركِ عُبَّادِ الصَّنَمْ … إنْ دُعُوا للحقِّ ، لاذوا بالصَّمَمْ

ساوَمُوا المختار فى الله ؛ فلَمْ … يَرْضَ بالجاهِ ، ولا بالنَّشَبِ[2]

إنما الزُّهْدُ شِعارُ المصلحينْ

رُبَّ عبدٍ فى سبيل الله قَدْ … فَقَدَ المالَ ، وضحَّى بالولَدْ

كلما سِيمَ الأذى، قال: « أحدْ » … صَهَرُوا جُثْمانَهُ فى اللَّهَبِ[3]

فَوَقَى جُثمانَهُ بَرْدُ اليقينْ !

خابَ جمعٌ بالرسول ائْتَمَرا … ولِمَنْ أَرْسَلَهُ عينٌ تَرَى[4]

نَثَرَ التُّرْبَ عليهم ، وانبرَى … فإذا أبصارُهم فى حُجُبِ

ما الذى أعْشَى عُيون المشركين ؟[5]

---

(١) أول آية نزلت على الرسول : « اقرأ باسم ربك الذى خلق » .

(٢) عرضت قريش على الرسول أن يكف عن الدعوة ؛ وأن تملكه عليها، وتمنحه من المال ما شاء ؛ فأبى .

(٣) « أحد » : كان هذا هتاف بعض أتباع الرسول ، كلما كووه بالحجارة الملتهبة ، وسامه الأذى : ألحقه به .

(٤) يشير إلى : مؤامرة قريش على الرسول ، وكيف تسوروا داره ليلا، فحثا فى وجوههم التراب ، وخرج ؛ فلم يره أحد .

(٥) أعشاها : جعلها لا تبصر .

سائلِ « الصِّـدِّيقَ » : مـاذا روَّعَـهْ وإلـهُ العـرش فـى الغـار مَعَـهْ ؟[1]

فضْلُـهُ ـــ سبحـانـه ـ مـا أوسَعَـهْ ! حلَّ ركـبُ المصطفى فـى « يثربِ » [2]

فتلقَّـوْهُ لقـاءَ الفاتحيـنْ

لـحْ علْينَـا مـن ثَنِيَّـاتِ الـوَدَاعْ وادعُنَـا للحـقِّ ، يـا أكـرمَ داعْ[3]

أيهـا المبعـوثُ بـالأمـر المطـاعْ ثِـبْ بنـا فـوقَ الـرواسـى ، ثِـبِ

وخضِ البحرَ ، نخضْـهُ أجمعينْ

هتَـفَ « الخـزرجُ والأوسُ » معًـا وعلـى حـبِّ الرسـول اجتَمَعَـا[4]

مـا لهـم صفًّـا وكـانـوا شِيَعـا؟ أَذْهَـبَ الإسلامُ مـا لـم يُذْهِـبِ

قِدَمُ العهد من الحقد الدفينْ

والتَقَى الجمعـان فـى بـدرٍ ؛ فمـا ثبَّـتَ اللهُ لبـاغٍ قَـدَمَـا[5]

أرأَيـتَ الشِّـرْكَ كيـف انهـزَمَـا؟ مَـنْ بسيـفِ الله يَضـربْ ، يَغلِـبِ

ولمن ينصرُهُ النصرُ المبينْ

---

(١) يشير إلى : حادثة اختفاء الرسول وأبى بكر فى الغار ، التى نزل فيها قوله تعالى : «ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا » .

(٢) يثرب : اسم المدينة .

(٣) ضمن الشاعر هذه المقطوعة بعض نشيد الأنصار المشهور :

طلـع البـدر علينـا مـن ثنيـات الـوداع

(٤) الأوس والخزرج : قبيلتان بالمدينة استحكم العداء بينهما فى الجاهلية ، ولم يحسمه إلا دخولهما فى الإسلام .

(٥) إشارة إلى : غزوة بدر المشهورة .

حدثى، يا « بدر » ، عن صِيدٍ كُماةِ طلبوا الموتَ ؛ ففازوا بالحياةِ [1]

لم تزَلْ سيرتُهم بعد المماتِ قَصَصَ الدهر ، ونجوى الحِقَبِ

ولها فى مِسمَعِ الدنيا رنينْ

***

قَلَّم الإسلام أظفارَ الطغاهْ فابتَنَى للعُرْب جاهًا أىَّ جاهْ [2]

ومضى يبعثُ فى الأرض الحياهْ فأظَلَّ الأرضَ عصرٌ ذَهَبِى

سائل « المأمونَ » عنه ، و « الأمينْ »

مَنْ رَأَى شعبًا شتيتًا من رُعاهْ أصبحَتْ تَحنِى له الدنيا الجباهْ

أَمَّ فى المشرق « كسرى » فغزاهْ وتحدَّى « قيصرًا » فى المغربِ [3]

ناشرًا أعلامه فوق السفينْ

بَدَوِىٌّ علَّمَ الدنيا الحضارَهْ تَخِذَ الإنصاف والشُّورى شِعارَهْ

فإذا الدنيا : ابتسامٌ، ونضارهْ يَتَساوَى أهلُها فى الحَسَبِ

لِمَ لاَ ، والكلُّ من ماءٍ وطين ؟

فى سبيل اللهِ أسلافٌ كرامْ عَرَفُوا صَرْحَ العلا كيف يُقَامْ

شَيَّدُوا المجدَ بأشلاءٍ وهامْ وطَلَوْهُ بالدّم الحرِّ الأبِى [4]

لا ينَالُ المجدَ بالروح ضنينْ

---

(١) الكماة : جمع كمى ، وهو الشجاع .

(٢) تقليم الأظفار : كناية عن كسر الشوكة .

(٣) أم : قصد . وانتصار الإسلام على الدولتين معروف مفصل فى كتب السيرة والتاريخ .

(٤) الأشلاء : جمع شلو ؛ وهو : بقية الجسم ، والهام : جمع هامة ؛ وهى : الرأس .

يـا بنـى العُــرْب وأشبـالَ الأُلَـى فَسِّــروا معنــى التـآخــى للمَــلا

اِجعلــوا سيــرةَ « طــه » مَثــلاً تَـزْحَمُــوا نجمَ السَّمَـا بـالمنكِـبِ

إِنَّنَــا شعــبٌ لــه التــوحيــدُ ديــنْ

نحنُ بــالحبِّ وبــالخير نَـدِيـنْ لا نُثيـرُ الـرُّعْـبَ بيــن الآمنيــنْ

أرضُنَـا الفيحَــاءُ روضٌ وعــريــنْ مَـذْهَـبٌ أَكْـرِمْ بـه من مَـذْهَـبِ [1]

سَنَّــةُ طَــهَ إمــامُ المُرْسَــلينْ !

أغنيـة الإسراء [2]

أنشأها الشاعر ؛ تلبية لطلب بعض المغنين فى قطر شقيق .

رَكْبٌ سـرى نحو بيتِ القُـدْسِ مَسْرَاهُ شَـقَّ الفضاءَ ــ بلا ريـشٍ ــ جَنَاحَـاهُ

مِـنْ حـولِـهِ سـارتْ الأفـلاكُ هَـاتفـةً جبـريل يَحـدوهُ ، والـرحمـنُ يرعـاهُ

مَنْ صاحبُ الركب قد حَفَّ الجلال به ؟ هـذا هـو المصطفـى أسـرى بـه اللهُ

أطـاعـهُ مـن بساط الـريـح جـامِحُـهُ كمــا دعــاه سليمــانٌ فلبَّــاهُ [3]

سبــعٌ طبـاقٌ لــه الــرحمـن ذلَّلَهــا وكيف لا ، وهْـو طاويهـا بيمناه؟ [4]

---

(١) الفيحاء : الواسعة .

(٢) لم يقتصر الشاعر فى هذه القطعة على الإسراء ؛ بل تناول المعراج أيضًا ، والمراد بالإسراء : الـذهاب بالرسول ليلا إلـى بيت القدس ، وبالمعراج : الصعـود به إلى السموات العلا ، ومعظم ما ورد فى القصيدة يستند إلى ما ورد فى القرآن الكريم .

(٣) الجامح : النافر ، وفى القرآن ما يشير إلى أن الـريح كانت تأتمر بأمر سليمان بن داود .

(٤) ذللها : أخضعها ، طاويها : بانيها .

تبــارك اللهَ ! لا عقــلٌ بقـــدرتـــه　　يُحيط كنهًا ، ولا يدرى الورى ما هو؟[1]

***

القُـدْسُ رحّبَ بـالهـادى ، وهشَّ لـه　　إذ لامسَـتْ جبهــةَ الهـادى مُصَــلاَّهُ

جابَ السمـاءَ ؛ فراح النجم يَـرْصُدُهُ　　ويقبِـسُ النـورَ مــن زاهـى مُحَيّـاهُ

وودّتِ الشمــسُ لـو تبـدو أشعتُهـا　　ليـلاً ؛ لتنعَـمَ عــن قــربٍ بمــرآهُ

وَسِـدْرَةُ المنتهـى مـاسَـتْ لمقـدَمِـهِ　　أفنـانُهــا ، وانثَنَـتْ تِيهًـا بُلقيـاهُ[2]

مِنْ سدرةِ المنتهَى أصْغَى الحبيبُ إلى　　صوتٍ ـ يَجِلُّ عن التشبيه ـ ناداهُ[3]

فى مـوطن قُـدُسٍ ، تعشو العيـون بِهِ　　تكحّلــتْ بجمـــال الله عينـــاهُ[4]

***

يـا ساريًـا فى السمـوات العلا سَحَـرًا　　يُـزْجى إلـى المَلأ الأعلـى مطايـاهُ[5]

اللهُ أعطـاك مـا لـم يُعطِـهِ أحَـدًا　　طُوبَى لمن خصّـهُ بالقُرب مولاهُ ![6]

اللهُ أعطـاكَ دونَ الـرُّسْـلِ منـزلـةً　　والرُّسْـلُ ـ بعدك ـ فى الأقـدار أشباهُ

ناجيْتَـه تَحت ظـلِّ العرش عـن كَثَبٍ　　وصاحبُ الطُّور فـوق الطُّور ناجاهُ[7]

أنـتَ الحبيبُ الـذى تُرْجَـى شفاعتُـهُ　　لــك الــوسيلــةُ عنـد الله والجـاهُ

---

(١) كنه الشىء : حقيقته .

(٢) السدر : شجر النبق ، وسدرة المنتهى : ورد ذكرها فى القرآن الكريم .

(٣) تقول الروايات الدينية ـ التى تناولت هذا الموضوع ـ : إن الرسول رأى ربه ، وشافهه بالخطاب .

(٤) قدس : بالغ الطهر ، تعشو : يحتجب بصرها .

(٥) يزجى : يسوق .

(٦) طوبى : معناها الخير العظيم ، أو هى اسم من أسماء الجنة .

(٧) كثب : قرب . وصاحب الطور : هو النبى موسى .

أنت المشفَّعُ يومَ الحشر إن شَغَلَتْ ... كلَّ امرىءٍ عن ذوى القُرْبَى خطاياهُ

لا أبتغى غيرَ قربى منك منزلةً ... إن باتَ يبغى مُحبٌّ قُرْبَ ليلاهُ[1]

الكائناتُ كتابٌ أنتَ من قِدَمٍ ... عنوانُهُ ، وهْىَ لفظٌ أنت معناهُ

محمَّدٌ فى فم الدنيا اسمُهُ نَغَمٌ ... اللهُ فى لوحِهِ المحفوظِ سمَّاهُ

عمر الزاهد

راغبٌ فى الله ، عفٌّ عن سواهْ ... ما سَبَتْ عَيْنَيْهِ زيناتُ الحياهْ

لا ، ولا اعتزَّ بسلطانٍ وجاهْ ... عُمَرُ الفاروقُ ! حدِّثْ عن عُمَرْ

موئلِ العدل، إمامِ الزاهدينْ[2]

فاتحُ الأمصار ، ذُو المُلْك الكبيرْ ... لم يكنْ صاحبَ تاجٍ أو سريرْ

حَزَّ فى جَنْبَيْه فرشٌ من حصيرْ ... وكسا عِطْفَيْه ثوبٌ من وبَرْ[3]

وأواهُ الكوخُ من ماءٍ وطينْ

قيْصَرٌ ، لكنَّهُ بالى الثيابْ ... لم يكن يسكُنُ قصرًا ذا قِبابْ

ليس يدرى بابُهُ معنى الحجابْ ... وهْوَ ملءُ السمع قدرًا والبصَرْ

يَعْظُم الليثُ وإن هان العرينْ

عاهلٌ ؛ تعنو له فُرْسٌ ، وروُمْ ... يُطعمُ الناسَ ، ومن جوعٍ يَصُومْ[4]

---

(١) كنى باسم ليلى عن : الحبيبة أية كانت .

(٢) موئل : ملجأ .

(٣) عطفيه : جانبيه .

(٤) تعنو : تخضع ، واجتوى : أبغض .

وَجَدَ الدُّنيا متاعًا لا يدومْ   فاجتوى الدنيا فِرارًا من سَقَرْ

وابتغى الفردَوْسَ مأوى الخالدينْ

مِلكُ الشَّرْقِ بباب المسجدِ   مُطْبَقُ الجفنين ممدود اليدِ[1]

آمنٌ شرَّ اعتداءَ المعتدِى   نائمٌ تحرسُهُ عينُ القَدَرْ

وعليه يسهَرُ الرُّوحُ الأمينْ

خافَ مولاه ؛ فخافَتْهُ العُصَاهْ   وتمشَّى الزُّهْدُ فى روحِ الولاهْ[2]

فكفاهم من حُطامٍ ما كفاهْ   ما لها والٍ بكأسٍ أو وَتَرْ

لا ، ولا عاثَ بمال المسلمينْ

واصلُ العافِى ، رحيمٌ باليتيمْ   وبنوهُ حِلْفُ حِرمانٍ مقيمْ[3]

ربَّ عيدٍ أوردَ الناسَ النعيمْ   غيرَ طفلٍ بصداهُ ما شعَرْ

هُوَ مِن نَسْلِ أَمِيرِ المؤمنين

قاهِرُ الرومِ بأطرافِ الرماحْ   قَهَرَ النفسَ ، وللنفسِ جِماحْ[4]

سَامها الضيقَ ، وفى العيش براحْ   كم شُجاعٍ خاض حربًا فانتصرْ

وهْوَ للنفس ذليلٌ مستكينْ

وَلِىَ الأمرَ نزيهًا عن نزيهْ   وهْوَ لا يبغيه بل يزْهَدُ فيهْ[5]

---

(١) مما يؤثر عن عمر : أن أحد ولاة الفرس رآه نائمًا فى المسجد فقال له : «عدلت فأمنت فنمت» . المراد بالروح : لأمين جبريل .

(٢) المراد بالحطام : ما خشن وشظف من متاع الدنيا ، ولها : ماضى يلهو .

(٣) العافى : الفقير ، وهنا إشارة إلى حكاية مأثورة عن عمر وبعض أبنائه .

(٤) جماح : نفار ، سامها : كلفها .

(٥) النزيه الأول : عمر ، والثانى : أبو بكر .

ثـمَّ ولَّـى، لـم يُـوَرِّثْـهُ بنيـه إنَّمـا الحُكْـمُ عنـاءٌ وسَهَـرْ

لا متـاعٌ وغِنًـى للحـاكمـينْ !

راغـبٌ فـى اللهِ، عَـفٌّ عـن سـواهْ مـا سبَـتْ عينيـه زينـاتُ الحيـاهْ

لا ، ولا اعتَـزَّ بسلطـانٍ وجـاهْ عُمَـرُ الفـاروقُ ! حـدِّث عـن عُمَـرْ

مـوئلِ العـدلِ ، إمـام الزاهـديـنْ

القائد خالد

خالدٌ فى كلِّ عصرٍ خالدُ ذِكرُهُ لحنٌ على كلِّ لسانْ[1]
قائدٌ لم يَدْنُ منهُ قائدُ سابَقَ النجمَ اسمُهُ فى الدَّوَرَانْ
هُوَ سيفُ الله ، فخرُ العَرَبِ

قائِدٌ أرخَصَ فى الله الحياهْ وتحدَّى الموْتَ مرفوعَ الجبين
كلَّمَا سَارَ إلى غَزْوِ عداهْ حالفَتْ رايتَهُ النَّصرُ المبينْ
وَأتَى فى غزوِهِ بالعَجَبِ

سائلُوا كسرى بهِ والموبِذَانْ سائلوا التاريخَ ، يَصْدُقْ فى الخَبَرْ:[2]
أيُّ عرشٍ تحتَ سيفِ اللهِ لانْ كانَ كالطَّوْدِ ثباتًا فاندَثَرْ
وغَدَا أقْصُوصَةً فى الكُتُبِ ؟

عَرَفَ القيصرُ سيفَ ابنِ الوليدْ وهْوَ ربُّ التاجِ ربُّ الصَّولجانْ
سائلوا « اليَرْمُوك » : كم شابَ وليد مِن بنِى الرومِ وكم فرَّ جبانْ[3]
فزعًا مِنْ سَيْفِهِ المُخْتَضِبِ ؟

صاغَهُ اللهُ كما صاغ البشرْ خالدٌ كُوِّنَ من ماءٍ وطينْ

---

(١) خالدل الأولى : اسم ، والثانية : صفة . لم يدن : لم يقرب .
(٢) الموبذان : قائد جيوش الفرس ، اندثر : انمحى ، يشير الشاعر - بهذا - إلى : أن الفضل فى الانتصار على الفرس يرجع - أولا - إلى شجاعة خالد .
(٣) يشير إلى : موقعة اليرموك المشهورة ، وإلى بلاء خالد فيها .

لـم يكـنْ يحمِـلُ قلبًـا مـن حَجَـرْ　　بــل بـــإيمـانٍ تحلَّــى ويقيــنْ

قـــوةُ الإيمــــانِ ســــرُّ الغَلَــبِ

فــارسٌ لــم يــدْر معنــى الانهــزامْ　　معَـهُ سيفـان : هنـدىٌّ ، وديـنْ [1]

شــاهرٌ إحــدى يديــه بِـالحســامْ　　وكتــابٌ فــى اليـد الأخـرى مبيــنْ

وكِــلاَ السيفيــن مــاضــى المضْــرِبِ

نصَـــرَ اللهَ بعـــزم لا يليـــنْ　　وتحدَّى الشِّـركَ سيفُ ابنِ الـوليدْ [2]

إنْ يفُزْ فـى الحرب، فـالنصرُ المبيـنْ　　أو يُمـتْ ، فهْـو لـدى الله شهيـدْ

فـــاز فــى جنتـــه بـــــالأرَبِ

بطــلٌ مـــا رامَ أسبــابَ النجــاهْ　　فى وغًى، أو خافَ من وقْع حُسامْ [3]

طَلَـبَ المــوتَ، فَــوَاتَتْــهُ الحيــاهْ　　كلَّمـا خَـاض الوغـى يبغـى الحِمـامْ

فــر منــه ، ممعنًـــا فـى الهــربِ

مـات فـى مضْجَعه الليـثُ، فقـالْ :　　كيف أقضِى بسوى حدِّ السِّلاحْ؟ [4]

أخَطـأ المــوتُ بميـدان القتــالْ　　ذلـك الجسـمَ الـذى أعيـا الجـراحْ

بعـــد أن جـدَّ لـــه فـــى الطَّــلب

خـالـدٌ فــى كـلِّ عصـرٍ خـالـدُ　　ذكـره لحـــنٌ علـى كـــلِّ لســانْ

قــائد لـــم يَـــدْنُ منــه قــائدُ　　سـابَقَ النجـمَ اسمُـهُ فـى الـدَّوَرَانْ

---

(١) يشير إلى : أن الإسلام لم ينتصر بالسيف فقط ، بل بالسيف والمبادىء معًا .

(٢) يشير إلى : العقيدة التى انتصر بها المسلمـون فى الحرب ، وهى أن لهم عند القتال إحدى الحسنيين : إما النصر ، وإما الاستشهاد وجنة الخلد .

(٣) فاعل « فر » : ضمير الحمام ، وأمعن فى الشىء : بالغ فيه .

(٤) يشير إلى مقالة خالد عندما أدركه الموت : « ليس فى جسدى موضع لم تصبه ضربة سيف أو طعنـة رمح ، وهـأنذا أمـوت علـى فراشـى كمـا يمـوت العـير ، ألا لا نـامت أعـين الجبنـاء! » .

صحا الشرق

أوحى بهذه القصيدة صحوة بلاد الشرق، فى آسيا وإفريقيا .

سلِ الشَّرْقَ: هل صبحُهُ أسفَرَا ؟ وهل ذادَ عن مقلتيه الكَرَى ؟
وهل صار للشرق أُذْنٌ تعى ؟ وهل صار للشرق عينٌ ترى ؟
أرى فى سماءِ العُروبة برقًا إذا صحَّ ظنِّى به ، أمطَرا
فعمّ الحواضرَ طوفانُهُ وفاضَتْ شآبيبُه بالقرى[(١)]
ويا رُبَّ غيثٍ يَبُلُّ الصدى وغيثٍ، إذا ما هَمَى، دمَّرا[(٢)]
وكم نقمةٍ أعقبَتْ نعمةً وكم مِعْوَلٍ هادمٍ عَمَّرَا[(٣)]

***

تنبَّهَ بعد الرُّقَاد أُناسٌ تقلَّدَهم دهرُهم مدْبرَا[(٤)]
تقدّمَ كلُّ بطىءِ الخُطَا وهُمْ - وحدَهم - رَجَعُوا القهقرى
تعبَّدَهُم كلُّ شعبٍ ذليلٍ وكان لهم - أمسِ - مُلْكُ الثَّرى

***

---

(١) الشآبيب : جمع شؤبوب، وهو الدفقة من المطر .
(٢) يريد : أن النهضة التى يلمح برقها فى الشرق ليست رخاء محضًا ؛ بل هى فى الوقت نفسه نهضة عارمة ، تعصف بالمستعمرين .
(٣) يريد : أن ويلات الاستعمار علمت الشعوب الشرقية كيف تتحد وتقوى من شكيمتها .
(٤) يشير إلى معنى قول الشاعر :

تقلدتنى الليالى وهْى مدبرة   كأننى صارم فى كف منهزم

صحا الشرقُ بعد عميق السُّبَاتِ أهابَ الأذانُ به ، فانبرى

وجرّدَ للنصر إيمانَهُ وما خاب شعبٌ به استنصرا

ولم أرَ كالدِّين سيفًا لمنْ أراد النضالَ ، ولا مِغْفَرا

إذا سادَ فى الأرض ، جَبَّ الفسادَ من الأرض ، واستأصَلَ المُنكَرا[1]

وما خاب شعبٌ بهَذِي السماءِ قويُّ الصِّلاتِ، وثيقُ العُرَا

***

أوائلُكُم – أيُّها المسلمونَ – بشرعةِ أحمدَ ساسوا الورى

وباسم الحنيفةِ سادوا ؛ فكانَ سواهم سُفوحًا ، وكانوا الذُّرا[2]

رأى منهم الناسُ ما لم يَرَوْ هُ من عدلِ كسرى ، ولا قيصرا

***

كتابكُمو – أيُّها المسلمونَ – بمشكاتِهِ يهتدى مَنْ سَرى

به استمسك الأولون ؛ فكانوا أُسودًا ، وكان حماهُمْ شَرى

فسيروا على نهجه مؤمنينَ تَردُّوا من المجدِ ما أدبَرا

ومن تَمَّ بالله إيمانُهُ رأى الصخْرَ فى يده عِثْيَرا[3]

إذا ما مشى فوقَ شوكِ القَتَاد غدا تحته سندُسًا أخضرا

ولنْ ينفَعَ القومَ إيمانُهُم إذا كان إيمانُهُم أبْتَرا[4]

ومن خطَبَ المجدَ ، شدّ الرِّحال إليه ، وخاضَ الدّمَ الأحمرَا

---

(١) جب : قطع .

(٢) الحنيفة : الشريعة الإسلامية .

(٣) العثير : الغبار .

(٤) الأبتر : الناقص .

مهبط الوحي [1]

مهْدَ الهدى ، ومَثابةَ الأقمارِ — نورُ البصائرِ أنتَ والأبصارِ [2]

فيك الشرائعُ والشموسُ تلاقَتا — فتلاقَتِ الأنوارُ بالأنوار

لله سرٌّ فى اختيارك مِهبِطًا — للوحى ، يا مستودَعَ الأسرار ! [3]

لمُسوحِ عيسى فوقَ أرضِكَ خطرَةٌ — وعصا الكليم ، وبردةِ المختار

وضعَتْ شرائعَك السماءُ، وأينَ مِنْ — وَضْعِ السَّماءِ نتائجُ الأفكار؟ [4]

أبصرتُ غيرَكَ مستعارًا مجدُهُ — لكنّ مجدَكَ أنت غيرُ مُعَار

مجدٌ بأسبابِ السماءِ تعلَّقَتْ — أسبابُهُ ، صَنعَتْه كفُّ البارى !

قالوا : الحضارةُ . قلتُ : أزهَرَ نَبتُها — فى الشَّرْق قبل منابت الأشجارِ

أرضٌ ينابيعُ البيانِ تفجّرتْ — من جوفها قبلَ النمير الجارى

سحْرُ الطبيعة والبيانِ تسابَقَا — فيها سِباق الخيلِ فى المضْمَار

تَتَطَامَنُ الأيامُ إن مرّتْ بما — ضَمّتْ جوانبُها من الآثار [5]

هذا أديمُ الله خُصّ برسْلِهِ — وبيُوتِهِ القُدْسِيَّةِ الأحجار [6]

---

(١) المراد به : الشرق .

(٢) المهد والمثابة : الموطن ، ويريد : أنه من الشرق تشرق الشموس ؛ كما أنه منه نبعت الشرائع السماوية .

(٣) لم يرسل الله رسولا إلا من الشرق .

(٤) يريد : أن قوانين الشرق سماوية ، وقوانين غيره من وضع البشر.

(٥) تتطامن : تنحنى .

(٦) الأديم : يراد به الأرض، ويشير - هنا - إلى : أن الشرق موطن البقاع المقدسة .

فـى كـل عـامٍ للحجيـج تَمَسُّـحٌ — بـالقُـدْس ، أو بـالبيـتِ ذى الأستـار

الشرق مهْـوَى كـلِّ وجـهٍ سـاجـدٍ — لله ، لا للقـــوتِ والــــدينـــار

وإذا النفـوسُ عَـرينَ مـن دِيـنٍ ومـن — خُلُـــقٍ ، فليـس لهـــنّ أىُّ قَـــرار

ليـس السـلام بـرائجٍ فـى عــالَـم — بـــارت بـــه الأرواح أىَّ بـــوار

وتقطَّعَــتْ بيــن السمــاء وبينـــه — شتــى الصَّــلاتِ تقطُّـعَ الأوتـــار

الغـربُ سـار علـى هُـدَى أطمـاعِـهِ — فتعثَّـــرَتْ قَــدَمَــاهُ أىَّ عِثـــار[1]

أَمَـمٌ ســرَتْ فـى جُنْـح ليـلٍ مظلـمٍ — قـد ضَـلّ فيـه النجـم قبـلَ السـارى

تبكـى حضـارتَهـا بمـلءِ جُفـونهـا — وتئــنُّ تحــتَ جـدارهــا المنهــار

قـل لـلأُلَى ضلُّـوا ، وضلَّـتْ فُلْكُهـم — فــى اليَــمِّ : شـرعُ الله خيــرُ منـار

طلعة العيد[2]

فـــرحـــةُ المسلميـــن والإســلام — طلعــةُ العيــد إثْــرَ شهــر الصيــامِ

يُفطرُ الصـائمـون فيـه علـى أجـــ (م) ـــرِ مــن الله ، وهْــو خيــرُ طعـامِ

كلمـــا لاحَ فجـــرُه ، استَقْبَلَتْـــه — أنفـــسٌ طُهِّـــرَتْ مـــن الآثـــام

إنمـــا تطْهُـــرُ الســـرائرُ بـــالصـــو (م) م ، وتصفـــو صفـــاءَ مـــاءِ الغمـــام

لـــك يـــا ربِّ فـــى الصيـــام وفـــى الفطـــ (م) ـــر معـــانٍ دقَّـــتْ عـــن الأفهـــام

***

(١) أنشئت هذه القصيـدة إبان الحرب العالمية الثانية ، ومن هنا : يشير الشـاعر إلى سيول الدماء التى أريقت؛ بسبب النزاع على القوت، والتجرد من الروحانية .

(٢) أنشئت فى عيد الفطر .

أيهـا العيـدُ قـد تجهَّـم وجـهُ الأ (م) رض، فـاطلَـعْ بثغـرك البسَّـام[1]

قبـسٌ أنـت فـى ظـلام الليـالـى وظِـلالٌ فـى مهمَـهِ الأيـام[2]

كبّـر المسلمـون ـ حيـن تجلّيْـ (م) ـتَ عليهـم ـ تكبيـرةَ الإحـرام[3]

وأهَلّـوا كـأنمـا جَمْعَتُهـم مكّـةٌ بيـن زمـزم والمقَـام[4]

فسـرى لحْنُهـم إلـى كـلِّ نفـسٍ سـريـان الشفـاءِ فـى الأجسـام

مـا أحـبَّ التكبيـرَ فـى بُكـرةِ العيـ (م) ـد نشيـدًا مـرتَّـلَ الأنغـام !

***

أيهـا العيـدُ، لقِّـنِ النـاسَ درسَ الـ (م) ـحبِّ، واعـزِفْ لهـم نشيـدَ الـوِئام

أُسْكُبِ الأُنْس فى النفوس، وكَفْكِفْ مـن دمـوع العُفَـاةِ والأيتـام[5]

وامـلأ البَـرَّ ، واملأ البحـرَ ، يـا عيـ (م) ـد سـلامًـا ؛ فـأنـتَ رمـزُ السـلام

البـرايـا أودى الحُطـامُ بهـم . شـا (م) ه البـرايـا ، وشـاهَ وجـهُ الحُطـام !

كلمـا أخْلَـدُوا إلـى الأمْـن ، عـادُوا مـن جديـد إلـى امتشَاق الحسـام[6]

لكـأنّـى بـالنَّـاس قـد سَئِمُـوا العيـ (م) ـش، وراموا الحِمـامَ قبل الحِمـام !

---

(١) تجهم : اربد وكلح .

(٢) قبس : ضوء ، مهمه : بيداء .

(٣) يشير إلى : التكبير المأثور فى أيام الأعياد ، ويشبهه بتكبيرة الإحرام فى القداسة ؛ لأنها هى التى تدخل الإنسان فى الصلاة .

(٤) أهلوا : رفعوا أصواتهم بالتكبير ونحوه .

(٥) كفكف الدمع : منع سيله ، العفاة : الفقراء .

(٦) أخلد إلى الشىء : سكن إليه ، امتشق الحسام : انتضاه ؛ كناية عن الحرب ، والشاعر ـ هنا ـ يندد بكثرة الحروب .

آه لـو فـاءت الشعـوب إلـى مـا   شَـرَعَتْـه السَمـاءُ مـن أحكـام ![1]

كـان مـوسـى رمـز السَّـلام علـى الأَر (م) ض، وكان المسيـحُ خَصْمَ الخِصـام

ثـم جـاء المختـارُ بـالحب والعطـ (م) ـف ، وسـاوى القـرآن بيـن الأَنـام

أُنشـر الأمنَ ـ أيهـا العيـدُ ـ فـى كـلِّ (م) مكـانٍ مُـرَفْـرِفَ الأَعـلام

علِّـم النـاسَ أن يـومـكَ يـومٌ   يتصـافـى فيـه ذوو الأَرْحَـام

قـل لهـم : إنَّمـا الخـلائقُ ـ مهمـا   نَـزَحَـتْ دورهُـم ـ بنـو أعمـام

(١) فاءت : رجعت .

أذان الفجر

أنشـــــــودةُ الأذانِ تســـرى إلـــــى الآذانِ

قُـــدْسِيَّـــةَ الألحـــانِ مـــن هـــاتِـــفٍ ربـــانـــى

الصبـــــحُ أسفـــرْ والكـــــونُ كـــــرّر :

الله أكـــــــــبرْ ! الله أكـــــــــــبر !

***

صـــوتٌ مـــع الفجـــرِ حلـــوُ الصّـــدى، يســـرى[1]

ينســـابُ كـــالطُّهْـــرِ[2] أصفـــى مـــن القَطْـــر

يـــدعـــو إلـــى الـــذِّكْـــرِ والفَـــوْزِ والأجْـــرِ

***

أنشـــــــودة الأذانِ تســـرى إلـــــى الآذان

قُـــدْسِيَّـــة الألحـــانِ مـــن هـــاتـــفٍ ربَّـــانـــى

الصبـــــحُ أسفـــرْ والكـــــونُ كـــــرَّرْ :

الله أكـــــــــبر ! الله أكـــــــــــبر !

***

لحـــنٌ بـــلا أوتـــارْ أصغَـــتْ لـــه الأطيـــارْ

---

(١) الصدى : رجع الصوت .

(٢) ينساب : يسيل .

فى الروضة المعطارْ ... نَادَى مع الأسحارْ [١]

أن وحِّدى القَهَّارْ ... يا أمَّةَ المختارْ

***

أنشودة الأذان ... تسرى إلى الآذان

قُدْسِيَّة الألحان ... من هاتفٍ ربَّانى

الصبح أسفرْ ... والكون كرَّرْ :

الله أكبر ! ... الله أكبر !

***

يدعو إلى الصلاهْ ... ووحدةِ الإلٰهْ

يدعو إلى النَّجاهْ ... طوبَى لمَن لبَّاهْ [٢]

وقال: يا ربَّاهْ ... تعنو لك الجِبَاهْ [٣]

***

أنشودةُ الأذانِ ... تسرى إلى الآذان

قدسيَّةَ الألحانِ ... من هاتفٍ ربانى

الصبح أسفرْ ... والكون كرَّر :

الله أكبر ! ... الله أكبر !

***

يا نُوَّمًا، هُبُّوا ... ناداكُم الرَّبُّ

---

(١) الروضة المعطار : أى التى يفوح العطر من أزهارها .

(٢) طوبى : خير عظيم ، أو هى اسم من أسماء الجنة .

(٣) تعنو : تخضع .

لبُّـــوا النِّـــدا، لبُّـــوا مَـــنْ شــاقَـــهُ القُـــرْبُ
مِـــنْ ربِّــــهِ ، ينبُـــو عــن فــرشِــهِ الجنْــبُ[1]

***

أنشـــــودةُ الأذان تســـرى إلـــى الآذان
قُـــدسيَّـــةَ الألحـــانِ مـــن هـــاتـــفٍ ربـــانـــى
الصبـــــح أسفـــــرْ والكـــــون كـــــرَّرْ :
الله أكـــــــــبر ! الله أكـــــــــبر !

نشيد الأنصار
عند استقبال الرسول

طَلَـــعَ البـــدرُ علينـــا مـــن ثَنِيَّـــاتِ الـــوداعْ[2]
وجَـــبَ الشكـــرُ علينـــا مـــا دَعَـــا للهِ داعْ
أيُّهـــا المبعـــوثُ فينـــا جئـــتَ بـــالأمـــرِ المطـــاعْ

***

طلَـــع النـــورُ المبيـــنْ نـــورُ خيـــرِ المـــرسليـــنْ
نـــور أمْـــنٍ وســـلامٍ نـــور حـــقٍّ ويقيـــنْ
ســـاقَـــهُ الله ـ تعـــالى ـ رحمـــةً للعـــالميـــنْ

---

(١) ينبو : يتجافى .
(٢) الثنيات : منعطفات الطريق والجبل، ونحو ذلك .

فعلـــى البَـــرّ شعَـــاعٌ وعلــــى البحــــر شُعـــاعْ

طلـــع البـــدر علينـــا مـــن ثَنِيَّـــاتِ الَـــوداعْ

***

مـــرسَـــلٌ بـــالحـــقِّ جـــاءْ نطقُـــهُ وحْــــىُ السَّمَــــاءْ

قـــولُــــهُ قـــولٌ فصيـــحٌ يتحـــــدَّى البُلَغــــــاءْ

فيـــه للجســـم شفـــاءٌ فيـــــه للـــــرُّوح دَوَاءْ

أيهـــا الهـــادى ، ســـلامًـــا مـــا وعـــى القـــرآن واعْ

طلـــع البـــدر علينـــا مـــن ثنيـــات الـــوداعْ

***

جـــاءنـــا الهـــادى البشيـــرْ مُطلِـــقُ العـــانـــى الأسيـــرْ [1]

مـــرشِـــدُ الســـاعـــى إذا مـــا أخطَـــأَ الســـاعـــى المَسِيـــرْ

دينُـــــهُ حـــــقٌّ صُـــــراحٌ دينُـــــه مُلْـــــكٌ كبيـــــرْ

هـــو فـــى الـــدنيـــا نعيـــمٌ وهْـــو فـــى الأخـــرى متـــاعْ

طلـــع البـــدر علينـــا مـــن ثنيـــات الـــوداع

***

هـــات هَـــذِىَ الله ، هـــاتْ يـــا نبـــىَّ المُعْجِـــزاتْ

ليـــس لـــلاَّتِ مكـــانٌ ليـــس للعـــزَّى ثبـــاتْ [2]

وحِّـــدِ اللهَ، ووحِّـــدْ شملَنـــا بعـــد الشَّتـــاتْ

---

(١) العانى : يفسره الأسير بعده .

(٢) اللات والعزى : من آلهة العرب فى الجاهلية .

أَنــت أَلفَّــتَ قلـــوبًــا شفَّهَـــا طـــولُ الصِّـــراعْ[1]

طلـــع البـــدر علينــا مـــن ثنيـــات الـــوداعْ

***

نحـــن أَعطَيْنــا العهـــودْ نحـــنُ لله جنـــــودْ

خــضْ بنَـا البحـرَ ، نخضْـهُ واقتحــم غـــابَ الأســـودْ[2]

ولنــــا نصـــــرٌ مبيـــنٌ أو لنـــــا دارُ الخلــــودْ

أنفُـــسُ الأنصــــار طـــرًّا فـــى حمـــى الله تُبـــاعْ

طلـــع البـــدر علينــا مـــن ثنيـــات الـــوداعْ

---

(١) شفها : أضناها . وهنا : إشارة إلى ما كان بين الأوس والخزرج من صراع فى الجاهلية ، وكيف ألف الإسلام بين قلوب الحيين .

(٢) إشارة إلى قالة الأنصار فى بدر للرسول : «والله لو خضت بنا هذا البحر ، لخضناه معك» .

أسطول معاوية [1]

لِمَنِ السفينُ يَلُحْنَ كالأعلامِ ... فوق العُباب نواشِرَ الأعلامِ ؟[2]

يمخُرْنَ باسم الله موجَ خُضَارةٍ ... واسمِ الهدى ومبادىءِ الإسلام[3]

يهتِفْنَ بالتكبير لحنًا شاجيًا ... فتجيبُ أمواجُ الخِضَمِّ الطامى

ويثِبْنَ - آونَةً - أسودَ عَرينةٍ ... ويطِرْنَ - آونَةً - حَمامَ سلام

يُمطرْنَ بالجُزُرِ الدماءَ ، وربَّما ... كان الدَّمُ المَوَّار صَوْبَ غمام[4]

بعض الدَّمِ الموَّارِ ليس بمأثَم ... لكنَّهُ طُهْرٌ من الآثام[5]

***

هذى سفينُ اللهِ سارَتْ عيلمًا ... مترامِيًا فى عيلمٍ مُتَرامِ[6]

لم تدفَع الريحُ الهَبُوبُ قِلاعَها ... بل أقلَعَتْ بالوحى والإلهام[7]

---

(١) بنى معاوية أسطولا ضخما امتلك به جزر البحر الأبيض حتى صار بحيرة عربية ، وحاصر به أسوار القسطنطينية فترة من الزمان .

(٢) الأعلام الأولى : الجبال ، والثانية : الرايات .

(٣) مخر البحر : شقه ، وخضارة : علم على البحر .

(٤) الموار : المتحرك . يريد : أن الدم المسفوك قد يكون أخصب من الأمطار ؛ لحسن نتائجه .

(٥) يريد : أن دماء الشهداء التى يريقونها أو تراق من أجسادهم طهر من الذنوب .

(٦) العيلم : البحر .

(٧) يريد : أن الحمساس للنزعة الدينية ، كان أبلغ من الريح فى تسيير هذه السفن .

وحـرارةِ الإيمـان ـــ وهْـىَ حـرارةٌ ـ ... مـا زادهـا الآذىُّ غيـرَ ضـرام[1]

إنْ تسْـرِ ، فـالجُـزُرُ الحـرامُ مُبَـاحَـةٌ ... أو تُـرْسِ ، فـالشُّطْـآنُ فـى استسـلام

***

أزْجَـى معاويـةُ السفينَ ، تسير ، أو ... تَـرْسُـو بكـلِّ غضنفـرٍ ضِـرْغـامِ

فكـأنَّ بحـرَ الـروم أصبَـحَ منبِتًـا ... بعـد الفـلا للغـاب والآجـام[2]

بـدم الشَّهـادة خضَّبـوهُ ؛ فضـاع مـن ... أرجـائه أرَجُ العُبـاب الـدامـى

جَمـحَ العُبَابُ ؛ فـأسْلَسُـوه ، كأنمـا ... قَبَضـتْ عليـه أكُفُّهـم بـزمـام

جـالـت سنـابِـكُ خيلهـم فـى لُجِّـهِ ... جَـولانَهـا فـى مهمـهٍ ورجـام[3]

ولهـم نفـوسٌ صـافيـاتٌ صفْـوَ مـا ... بقـرارِه مـن لُـؤْلُـؤٍ وتُـؤَام[4]

لله بحـرُ الـروم وهْـوَ بحيـرَةٌ ... عـربيَّـةُ اللَّهَـوَاتِ وَالْأَرحـامِ ![5]

ومعـاقِـلُ اليـونـانِ وهْـىَ محـاربٌ ... مكتظَّـةٌ بـالصُّـوَّم القُـوَّام[6]

لله «رودِسُ» إذ تُصيخُ ، «وقُبْرُصٌ» ... لصَـدَى الأذانِ مُـرَتِّـلَ الأنغـام

خـاضَ الميـاهَ كـأنمـا هـو حُـوتُهـا ... مـن كـان يَطْـوِى البِيـدَ بـالأقـدامِ

وَرَعَـى البحارَ ، ومَـن يقيـم بهنَّ مـن ... أمَـمٍ رعـاةُ النُّـوق والأغنـام

---

(١) الآذى : الماء .

(٢) يريد : أن أسد العرب انتقلوا من البر إلى البحر .

(٣) السنابك : أطراف الحوافر ، المهمة والرجام : البوادى وما إليها .

(٤) التؤام : الدر .

(٥) عربية اللهوات : يريد بها ناطقة باللغة العربية ، واللهوات : جمع لهاة ، وهى عضلة تعترض الحلق .

(٦) يريد بمعاقل اليونان : ما خلف اليونان من آثار استولى عليها العرب .

حَكَـمَ البحارَ ؛ فمـا طغـى طُغْيانَهـا نَفَـرٌ يجيـدُ العـدلَ فـى الأحكـام

حَسَـرُوا ظـلالَ الـروم عـن أمـواجهـا فتحـرّرتْ مـن رِبْقَـةِ الأعجـام(١)

نَفَـذُوا إلـى أسوار « قُسْطَنْطِيـنَ » فـى عـزمٍ كحـدِّ السيـف غيـرِ كَهَـام(٢)

وَرَمَـوْا مَعـاقِلَـهُ وإنْ لـم تَسْتَجِـبْ لسهامهـم . سَلِمَتْ يميـن الرامـى !

أُطُـمٌ عَـزَزْنَ علـى الحنيفـةِ حقبَـةً ثـم استجَبْـنَ علـى مَـدَى الأيـام(٣)

---

(١) حسروا : كشفوا ، ربقة الأعجام : أسرهم .

(٢) السيف الكهام : النابى .

(٣) الأطم : الحصون ، والمراد : أن حصون القسطنطينيـة استعصت على الفتح فترة من الزمان ، ثم استجابت له على يد محمد الفاتح .

وطنيـــات

نشيد

حيُّوا العَلَم

ارفعوا الصوتَ، وحيُّوا العَلَمَا   هو رمزُ المجد، عنوانُ الحمى

مجِّدوه، كرِّموه كلما

رفَّ كالطير على متْن الهواءْ   وتحدَّى نجمُه نجمَ السماءْ

يا لواءَ العُرْبِ، يا نعمَ اللِّواءْ   نحن من حولكَ جُندٌ أوفياءْ

***

أيها الخافقُ منذ الأَزَلِ   أنت تاريخُ الجُدودِ الأُوَلِ

وبشيرُ الخير فى المستقبَلِ

قد قَبسنا من دَراريك الضياءْ   ونسجْنا من حواشيك الرجاءْ

يا لواءَ العُرْب، يا نعمَ اللواءْ   نحن من حولكَ جُندٌ أوفياءْ

***

أنتَ منَّا بين طيَّاتِ الجنوبْ   صاغَك الرحمنُ من نَبْض القلوبْ

خافقًا بين شَمالٍ وجَنوبْ

أنت يومَ السِّلْم يُمنٌ ورخاءْ   وشعارُ النصر فى يوم اللقاءْ

يا لواءَ العُرْب، يا نعم اللواءْ   نحن من حولك جند أوفياءْ

***

رايةَ العُرْبِ، اسلمى، ثم اسلمى   توِّجى بالفخر رأسَ الهَرَمِ

رفْرِفِى فوقَ بروج الأنْجُمِ

رفرفى فوقَ قبورِ الشُّهداءْ   بين أرواح الضحايا الأبرياءْ

يا لواءَ العُرْب، يا نعمَ اللواءْ   نحن من حولِكَ جندٌ أوفياءْ

على الأعراف [1]

ألقيت فى حفل أقامه الحزب الوطنى سنة ١٩٤٧ م لذكرى مصطفى كامل بدار الأوبرا ، فى وقت التجأت مصر فيه إلى مجلس الأمن، فلم تظفر لديه بالإنصاف .

مـا للكنـانـةِ بعـد طـول مَطـافِ ... وقفَتْ سفينتُها على الأعرافِ؟ [2]

ولقـد تكشَّفت الأمـورُ ، وأمرُها ... داجى الغياهبِ، حالكُ الأسْدافِ [3]

قالـوا : السلامُ ، فقلت: دونَ سلامِكم ... وقـعُ الصوارمِ والقَنا الرّعّـافِ [4]

والله مـا سـادَ السـلامُ بعـالَمٍ ... حُـرِمَ الضعيفُ بـه مـن الإنصافِ

إنَّ الـذيـن وَلُوا السلامَ، قَضَوْا بما ... يـدعُ السـلامَ مزعزَعَ الأكنَاف [5]

حَكَموا، ففاحت من بوادر حُكمهم ... ريـحُ الـدّم الفـوَّار للمسْتاف [6]

طَرَحُوا القضيّةَ فى السّلال ؛ فهل تُرى ... يـومَ القيـامـة يـومَ الاستئنـاف ؟

قـل لـلألى طالَ التداولُ بينهم: ... ليس الصباحُ على البصيرِ بخاف

فيـم التداولُ ؟ إن قُرْصَ الشمس لا ... يحتـاج نـاظِرُهُ إلـى كشّـاف

خُدعَتْ بمعسول الوعود ممالِكٌ ... لـم تجـن غيـرَ مـرارة الإخلاف

---

(١) يقصد بالأعراف : المكان الذى بين بين .

(٢) يشير إلى : إهمال قضية مصر ضد المستعمرين فى مجلس الأمن .

(٣) الغياهب : جمع غيهب ، والأسداف : جمع سدفة ، وكلاهما بمعنى الظلمة .

(٤) الرعاف : الذى يقطر دمًا .

(٥) الأكناف : الجوانب ، والمقصود بالبيت : أعضاء مجلس الأمن .

(٦) المستاف : المستنشق .

هـل كـان ميثاقُ المحيـط روايـةً ... وهميَّـةً محبـوكـةَ الأطـراف؟ (١)

كشفَـتْ قضيـةُ مصرَ ثـوبَ ريـائهـم ... يـا للـريـاء وثـوبِـهِ الشَّفَّـاف !

حلفـاؤنـا الأحـرارُ لمـا نكَّلُـوا ... بخصومهـم؛ مالوا على الأحْلاف (٢)

سبعـون عـامًا فـى احتـلالٍ دائمٍ ... يـا لَلْكنـانةِ من سنيـنَ عِجَـاف! (٣)

ضيفٌ ألـمَّ بهـا؛ فـأصبـح ربَّهـا ... ثـم استبـاحَ كـرامـةَ المِضْيـاف

قالـوا: استقلَّ النيـل، والمحتلُّ فـى ... واديـه محمـولٌ علـى الأكتـاف

إن الإسـارَ لـه مـذاقٌ واحـدٌ ... ولـوَ انَّـه متعـدِّدُ الأوصـاف (٤)

لسنـا بـأحـرارٍ ـ لعمـرى ـ مـا بـدا ... لـوجـوههـم طيـفٌ مـن الأطيـاف

***

أبنـى أبينـا فـى الجنـوبِ، تحيـةً ... كـالـزهـر كُلِّلَ بـالنـدى الـرفَّـاف (٥)

فـى مصرَ عتْـرتكُم، ومـا فـى غيرهـا ... مـن عتـرةٍ لكمـو، ولا أسـلاف

النيـل ألَّـفَ بيننـا بنميـره ... كتـألـف النُّـدَمَـاءِ حَـولَ سُـلاف

أَخَـوَا رَضَـاع؛ ليـس يفصـل بيننـا ... فـى الوضـع غيرُ شـريعة الإجحـاف

لا يخـدعنَّكـم الـدُّهـاةُ بـزائفِ ... من قولهم، عذبِ المذاق، زُعاف (٦)

الأجنبِّـى بـأرضنـا وبـأرضكـم ... كـالغيم فـى الجـوِّ الطليـقِ الصافـى

---

(١) يقصد: ميثاق الإطلنطى، الذى اتفقت فيه دول الغرب على إطلاق الحريات.

(٢) يريد: أن الإنجليز بعد انتصارهم على الألمان فى الحرب العالمية الثانية، مالوا على حلفائهم المصريين.

(٣) عجاف: مجدبة.

(٤) يريد: أن الاستعمار، والحماية، والاستقلال الزائف، كلها أسماء لمسمى واحد.

(٥) الخطاب: لسكان السودان، وقد كان بين الشقيقتين ـ إذ ذاك ـ شبه جفوة.

(٦) زعاف: سم.

إنَّ الـذى تبـع الـدخيـل منـوَّمٌ ... فى الصحو، مسلوبُ الإرادة، غافِ[1]

إنْ غـرَّهُ كـرمُ الـدخيـل، فطـالمـا ... ذُبـحَ الفصيـلُ بمـديـة العـلاَّف[2]

***

ضُمُّوا الصفوفَ إلى الصفوف، وأرهِفوا ... بيـضَ العـزائم أيَّمـا إرهـاف

إن الأمـانِـىَ كـالغـوانـى؛ دأبُهـا ... ألاَّ تليـنَ لخـامليـنَ ضِعـاف

لا ينفُـذُ الحـقُّ الصريـحُ بنفسـه ... كـلاَّ، ولا عـدلُ القُضـاة بكـاف

الحـقُّ يُعـوِزُهُ مُحـقٌّ سـاهـرٌ ... كـالسيف تُعْـوِزُهُ يـدُ السَّيَّـاف[3]

ولقد تـألبَت الخطـوبُ على الحمى ... وبنـوه رهـنُ تنـاحـرٍ وخِـلاف[4]

مـا ضـرَّ لـو نسىَ الجميعُ نفوسَهم ... فيعـودَ صفـوُ الـودِّ بعـدَ تجـاف!

شتَّـى فئـاتٍ يهـدفُـون لغـايـةٍ ... فكـأنهـم سِفْـرٌ بـألـفِ غِـلاف[5]

هتفـوا لـزيـد بـالحيـاة وخـالـدٍ ... لكـنْ وقفـتُ علـى الجـلاء هُتـافـى!

***

بطلَ الجلاء، سَقَتْ ضـريحَك ديمةٌ ... تسقـى الـرياض بهـاطـلٍ وكَّـاف![6]

---

(١) يشير إلى: بعض زعماء السودان، ممن كان هواهم مع المستعمر.

(٢) يريـد: أن المستعمر يغرّر بهـؤلاء الزعماء، ويغـدق عليهم؛ كما يسمـن الجزار الماشية ليذبحها.

(٣) يريد: أن الحـق يحتاج إلى سعى صاحبـه فى إحقاقه، كما أن السيـف الماضى يحتاج إلى اليد القوية.

(٤) يندد الشاعر ـ فى هذا البيت ـ بتناحر الأحزاب المصرية وقتئذ.

(٥) يقول: إن هدف الجميع واحد، ولكنهم يختلفون باختلاف الأشخاص، فكأنهم كتاب واحد متعدد الأغلفة.

(٦) بطل الجلاء: مصطفى كامل، ديمة: سحابة، هاطل وكاف: غزير متدفق.

درجتْ عليك الأربعونَ ، ولم تزلْ ... من كل قلب عالقًا بشَغاف[1]

لك سيرةٌ يتلو الشبابُ فصولَها ... كالآى من « ياسينَ »، و « الأحقاف » [2]

سُوَرٌ نُرَتِّلها فتشعلُ فى الدما ... ما تُشعل النيرانُ فى الألياف

قفْ بالفلاة ، وقل : هنا الكنز الذى ... دفنوه بين جنادلٍ وفياف[3]

قفْ بالفلاة، وقل : هنا فردٌ إذا ... قِيسَ الرجالُ ، يُقاسُ بالآلاف

حملَ الأمانةَ وحدَهُ ، فكأنه ... من نفسه فى فيْلقٍ زحَّاف

ما ضر أعظُمَهُ تواضعُ قبره ... فالدرُّ درٌّ ، وهْو فى الأصْداف

يا سيدَ الشهداءِ ، غرسُك لم نَزَلْ ... نَسقيه من دمنا ليوم قِطاف

وتُراثُك الوطنىُّ فى يد معشرٍ ... لا واهنٍ عزمًا ، ولا وقَّاف[4]

نفرٌ من الأشرافِ إن جدَّ الحمى ... فى البحث عن نفرٍ من الأشراف

رجَعُوا إلى أعراقهم ؛ فتجمعوا ... بعد الخلاف تجمُّعَ الأُلَّاف[5]

من كلِّ باذلِ نفسِه ، أو مالِه ... للنيل، مقتنعٍ بعيشٍ كَفَاف[6]

ما أنكروا حقًّا، ولا إن جادلوا ... فى باطل لجئوا إلى الإسفاف[7]

---

(١) يريد : أربعين عامًا مضت على وفاة مصطفى كامل ، شغاف القلب : غشاؤه .

(٢) ياسين ، والأحقاف : سورتان من سور القرآن الكريم .

(٣) الجنادل : الصخور ، الفيافى : الصحارى .

(٤) يقصد بهؤلاء المعشر : رجال الحزب الوطنى الذين توارثوا مبادىء الزعيم مصطفى كامل .

(٥) يشير إلى : انشقاق كان فى الحزب ، عمل المصلحون منهم على تلافيه .

(٦) العيش الكفاف : ما لا يفيض عن الحاجة .

(٧) الإسفاف : الهبوط ، والمراد به : المهاترة والسباب اللذين انحدرت إليهما الأحزاب فى ذلك الوقت .

لا الحكمُ طأْطَأَ من رءوسهمو ، ولا لانت قناتُهمو لغمز ثِقاف[1]

لا تستخفُّ الحادثاتُ حلومَهم ويقابلون الموتَ باستخفاف

قالوا : معاهدةُ الفَخارِ، وقلتمو : داءٌ عضالٌ ، لا دواءٌ شاف[2]

حتى إذا لاح الصباحُ لناظرٍ شَهدُوا لكم بإصابة الأَهداف

أدركتمو غيبَ الأمور ؛ كأنكم تتلونها من صفحة العَرّاف

وَوَفَيْتُمُو لبلادكم بالعهد في زمنٍ يقلُّ به الأمينُ الوافي

---

(١) الثقاف : آلة تعدل بها الرماح ، والمعنى : أن المستعمر لم يخدعهم بولاية المناصب ، وكان من مبادىء الحزب الوطنى : ألا يتولى الوزارة أحد من أعضائه .

(٢) يشير إلى : معارضة الحزب الوطنى للمعاهدة ، التى أطلق عليها بعض الأحزاب : «معاهدة الفخار» .

تكلمي يا كتائب

وجه الشاعر هذه القصيدة إلى كتائب الفدائيين، عندما قاموا بحرب العصابات ضد المستعمر سنة ١٩٥٤م

غَضَّ المفاوضُ صوتَه، فتكلَّمى ... بلسانِ نارٍ، يا كتائبُ، أو دمِ(١)

لم يفهم المحتلُّ من خُطَبائنا ... فلتُفْهموا المحتلَّ ما لم يَفْهَم

ما أيَّدَ الحقَّ المُضاعَ كمنطقٍ ... تُدلى به شَفَةُ السلاح الأبكم

تتحرَّرُ الأوطانُ بالدم وحدَهُ ... إن الخطابةَ رأسُ مال المُعْدم

اليومَ قد وضَحَ النهارُ لمُدلجٍ ... ومَشَى الدليلُ على السبيل الأقوم(٢)

قل للشبيبة: أنتِ مصباحُ الحِمى ... وصباحُهُ فى كلِّ داجٍ مظلِم

قد دقَّ ناقوسُ الجهاد، فأنصِتِى ... ودعا الحمى أبطالَه، فتقدَّمى

مَنْ قال: إنِّىَ أعزلٌ ـ وبكفه ... حَجَرٌ ـ فليس إلى الكنانة ينتمى(٣)

صِدْقُ العزيمة دِرعُ كلِّ مدرَّعٍ ... عند اللقاء، ولأْمةُ المستَلْئِم(٤)

وأحَدُّ من سيف الجبان ورمحِهِ ... يومَ الوغَى، سوطُ الشُّجاع المُعْلَمِ(٥)

سَيفُ الكمىِّ إذا تثلَّم أرهفتْ ... يمناه غاربَ سيفه المتثَلِّمِ(٦)

---

(١) غض: خفض، يعنى: أن المفاوضات فشلت، فالكلمة الآن للفدائيين.

(٢) المدلج: السارى ليلا.

(٣) يحث على حرب المستعمر بأى سلاح، ولو كان هذا السلاح حجرًا، ينتمى: ينتسب.

(٤) اللأمة: نوع من الدروع.

(٥) المعلم: الذى له علامة يعرف بها.

(٦) غارب السيف: حده، يريد: أن السيف المتثلم فى كف الشجاع خير من السيف الماضى فى يد الجبان.

مـن قـاوم الأُسْـدَ الغِضَـابَ مسلَّحًـا ... بيقينـه وبحقِّـه، لـم يُهْـزَم

مـا الضعـفُ إلاَّ مـا تـوهَّمَـهُ الفتـى ... ضعفًـا، وبئـس تـوهُّـمُ المتـوهِّـم !

ما أضعَـفَ « المكروبَ » فى تكـوينه ... لكنَّـه يفـرى أديـمَ الضَّيغَـم ![1]

لا يَنعَـمُ المحتـلُّ بيـن ظهوركـم ... بـالاً . وكيـف يقيـمُ إن لـم يَنْعَـم؟

بثُّـوا لـه الأشـواك إذ يمشـى، وإنْ ... يشـرَبْ، فشُـوبوا مـاءه بـالعلْقَـم[2]

ودعوه ــ إنْ يَيْقَظْ ـ يعشْ فَـزِعًا، وإنْ ... يـرقُـدْ بغـارات الكتـائب يَحْلُـم

حتـى يظـنَّ النـار حشْـوَ رغيفـه ... فـإذا تنـاولـه، تفجَّـرَ فـى الفـم

ماضرَّ مصـرَ ـ ومصرُ دارُ الخلد ــ لو ... صـارت علـى المحتـلِّ نـارَ جهنَّـم؟

المستبــدُّ بمصــرَ يَلقــى حتْفَــه ... والضيـفُ إنْ يَنـزلْ بِمِصِـرٍ يُكْـرم[3]

يا مصرُ، قد طـال الإسارُ، فحطِّمى ... بيمينـك الأغـلالَ، أو فتحطَّمـى

لا تحتمـى مـن غـاصبيك بهيئـةٍ ... دوليَّـةٍ، لكـنْ بنفسـكِ فـاحتمـى[4]

الـذئب ليس على القطيـع بحـارسٍ ... والفأْرُ ليـس علـى القِـرَى بمُحكَّم[5]

سبعـون عامًـا، كـان مـن أهوالهـا : ... أن يهـرَمَ الهَـرَمُ الـذى لـم يَهْـرَم[6]

قالـوا : القناةُ فقلـتُ : إنْ تَكُ حُجَّـةً ... لخلـودهـم فـى مصـرَ، فلتَتَهَـدَّم

هـم دنَّسـوا بشهِيقهِـم وزفيـرِهِـم ... جـوَّ الكنـانـة، وهْـو مثـلُ البَلْسَـم

---

(١) أديم : جلد، الضيغم : الأسد.

(٢) شوبوا : اخلطوا، العلقم : نبات مر المذاق.

(٣) الحتف : الهلاك.

(٤) يندد الشاعر بالمنظمات الدولية، التى تزعم الحفاظ على الأمن.

(٥) القرى : الزاد.

(٦) المعنـى : أن هذه المـدة ـ علـى قلتها ــ كادت أن تشيـب الهرم الـذى لم تشيبه القرون.

هم سمَّمُوا نيلَ الحمى بثغورهم — فمتى نذوقُ النيلَ غيرَ مسمَّم ؟

يا مصرُ ، وجُهك ـ أين كنَّا ـ قبلةٌ — فيها المسيحىُّ التقى بالمسلم

الكلُّ ـ بعد الله ـ حُبُّكِ دينُهُ — مَنْ كان حُبُّك دينَه ، لم يأثَم

لا تندُبى شهداءَكِ الأبرارَ ، بل — غنِّى على أجداثِهِم، وترنَّمى!

لا تعصِبى جُرحَ الجريح ؛ فإنه — فى جسمه مثلُ الفم المتبسم

ما صال فى المَيْدان منَّا صائلٌ — وأصيبَ ، إلا قال: يا مصرُ ، اسلمى!

فى مهرجان الشباب

ألقيت هذه القصيدة فى ندوة الشباب التى نظمها مكتب حماية الشباب، يوم ٩ من أغسطس سنة ١٩٥٨م بمدينة الإسكندرية ، برئاسة السيد : كمال الدين حسين .

عهدَ الشبابِ، أعِدْ إلىَّ مِراحى — واردُدْ علىَّ صَبابتى ، ومِلاحى(١)

فإذا أبيْتَ، فجُد علىَّ بنَسمةٍ — ممزوجةٍ بعَبيرِك الفوَّاح

كم فيك من أملٍ بعيد الغوْر ، أو — حُلم يداعبُ كلَّ جَفْنٍ صاح(٢)

ما شبَّ نارَ الحب غيرك . لا ، ولا — أوحى بعذب الشعر مثلَك واح

حسبى عزاءً : أنْ مضَيْتَ ولم تَشُب — بنقيصة صُحُفى ، ولا ألواحى

وأنِ انقضيْتَ، وما انقضَتْ لى عزمةٌ — كلا ، ولا فَلَّ المشيبُ سلاحى(٣)

---

(١) المراح : الطرب واللهو .

(٢) أمل بعيد الغور : أى أمل عريض واسع .

(٣) فله : ثلمه .

إنِّـي احتفظتُ لكـلِّ يـوم حفيظـةٍ ببقيـة مـن عـزمـك القـدَّاح[1]

فـإذا دعـا داعـي العـروبـة فـي غـدٍ حاربتُ جنديًّـا بجيش « صلاح »[2]

اللهُ يعلـمُ، مـا قضَيْتُـك عـابثًـا يهـوى المـلاح، أو احتسـاءِ الـراح

لـم أقـضِ فى التشبيـبِ شرخَ شبيبتـى لكـن وقَفتُ علـى الحمـى أمداحـى

أنـا باليـراع - ولا أمـنٌّ على الحمـى - كـافحـتُ الاستعمـارَ أىَّ كِفـاح

ولكـم مشيْت مـع اللِّـداتِ مناديًـا بحياة مصـر ، أو سقوطِ سجـاح[3]

مستقبليـن رصـاصَهـا، ورصـاصُهـا ينصـبُّ مثـل الـوابـل السّحَّـاح[4]

لا ننثنـى فـزعًـا أمـامَ أزيـزِهِ بـل نحمـل الأرواحَ فـوق الـراحِ[5]

***

قـل للشبـاب مقـالـةً مـن نـاصـحٍ - إنّ الشبـاب أحـقُّ بـالنُّصَّـاحِ -:

هـذا زمـانٌ ، لا مجـالَ لمنطِـقٍ فيـه ، ولا خُطَـبٍ تقـال فِصـاحِ

الحـقُّ فيـه للقـوىِّ بجيشـه ولمـن يطيـرُ إلـى السُّهـا بجَنـاحِ[6]

ويـدِبُّ فـى الصحـراء ليثًـا كـاسرًا ويغـوصُ تحـتَ المـاء كـالتمسـاحِ

الحـقُّ للصـاروخ يعصِـفُ بـالـورى عصْـفَ الـريـاحِ الهُـوج بـالأدواحِ[7]

***

---

(١) يوم الحفيظة : يوم المعركة ، القداح : المتوقد الذى ينقدح منه الشرر .

(٢) يعنى بصلاح : الرئيس جمالا .

(٣) اللدات : الأتراب الذين يتقاربون فى الأعمار ، سجاح : هى المتنبئة الكاذبة ، شبه بها الدولة الإنجليزية ؛ لكثرة ما تكذب فى الوعود .

(٤) السحاح : المتدفق .

(٥) الراح : جمع راحة ، بمعنى الكف .

(٦) السها : نجم فى السماء .

(٧) الأدواح : الأشجار الضخمة .

قـل للشباب : زمـامُكم قـد بات فـى ... يـدكـم ، ونيلكمـو طليـقُ سَـراحِ

قـد كــان سلسَلـهُ مبــاحًـا للــورى ... لكنــه لــلأهــل غيــرُ مُبــاحِ

فـاليــومَ : ليس يسوسُــهُ مستعمـرٌ ... بــاغٍ ، ولا مَلِــكٌ مــن الأشبــاحِ[1]

لــم يــأتـه استقــلالــهُ عفــوًا ، ولا ... جـادتْ بـه يـدُ محسـنٍ مِسْمـاحِ

لكننـا اصطـدنـاه صيدِ الـدُّرِّ مـن ... بحـرٍ تـلاطَـمَ بـالـدم السفـاحِ[2]

ضُمـوا علـى استقلالكـم أجفـانكـم ... وافــدُوه بــالمُهجَــات والأرواحِ

هوت العـروشُ الواهناتُ ، كمـا هَوى ... ورقُ الخـريـف أمـامَ عصـف ريـاحِ

النيــل طـوَّحَ فــى الهــواء بـواحـدٍ ... ومحـا أخــاه بشـطِّ دِجْلـةَ مـاحِ[3]

وانهــار فــى بغــدادَ حلــف زائف ... قالوا : ابنها . قلنا : بل ابنُ سفاحِ[4]

وتوحدت « سوريـا » ومصرُ ؛ فصَارتا ... كالمـاءِ ، والصهباءِ فـى الأقداحِ[5]

فـاسترجعـوا مجـدَ العـروبة بـالقـوَى ... والقَسْــر ، لا بتــوجُّــعٍ ، ونَــواحِ

ردُّوا علــى الإســلام عصــرَ أُميَّــةٍ ... ولَيــالـىَ المصنــور ، والسفَّــاحِ[6]

***

لا تبـذلــوا للعلـم كــل جهـودكـم ... العلــم نــاحيــةٌ ، وثَــمَّ نــواحِ

كــم نــاجـح متفــوِّقٌ فــى درســه ... دخــل الحيـاةَ ، فلـم يَفُـز بنجـاحِ

---

(١) يريد بالأشباح : من يحملون لحما وشحمًا دون تصرف وتفكير .

(٢) الدم السفاح : أى المسفوح ؛ وهو تعبير سائغ فى العربية .

(٣) يشير إلى : ثورة العراق وما حققته من إزالة العرش .

(٤) يشير إلى : حلف بغداد الذى كان موجهًا إلى خدمة الأعراض الاستعمارية .

(٥) الصهباء : الخمر .

(٦) المنصور ، والسفاح : هما مؤسسا الدولة العباسية .

شُـدُّوا الجوارحَ بـالـريـاضة ، وابتنُـوا ... لجسـومكـم عضَلاً مـن الصُّفَّـاحِ[١]

فبســاقَـيِ العَـدَّاء يفتخـرُ الحمـى ... كفَخَـاره بـذراعَـى السَّبَّـاحِ[٢]

كـونوا شِحـاحًـا بالكـرامـة ، وابذلـوا ... أقـواتكـم للضيـف غيـرَ شِحـاح

وتعلمـوا الأدبَ الـرفيـعَ ؛ فـإنـه ... لا خيـرَ فـى نُطـق بـلا إفصـاح

وإذا نـزلتُـمْ بـالقُـرى ، فعليكـم ... دَيـنٌ ثقيـلُ العـبء للفـلاَّح

صـدوا أعـاديَـه الثـلاثَـةَ ، تَضمنُـوا ... للـريـف كـلَّ تقـدُّمٍ وفـلاح[٣]

واستمسكـوا بـالـديـن ؛ فهْـو دريئَـةٌ ... للنـشء ، كَبـاحٌ لكـلِّ جِمـاح[٤]

والله ، مـا عـاقَ النهـوضَ بـأُمَّـةٍ ... تَبغـى النهوض كملحـدٍ وإباحـى[٥]

شُقُّـوا بمعتَـرَكِ الحيـاة طَـريَقكـم ... ليـس النجـاح لخـامـل بمتـاحِ

ودَعـوا دواويـن الحكـومـة ؛ إنهـا ... عنـد الحسـاب قليلـةُ الأربـاحِ

لا تفتننَّكـم المظـاهـر ؛ إنهـا ... مثـلُ السـراب الخـادع اللمَّـاحِ

كـم صـانـعٍ بـالقـارِ خُضِّـبَ ثـوبُـه ... فعـددتُ هـذا القـارَ خيـرَ وشـاحِ[٦]

سيَّانِ ـ يومَ الفخر فـى نظر الحمى ـ : ... فـأس الأجيـر ، ومبضَـعُ الجَـرَّاحِ

***

---

(١) الصفاح : الصخور الصلبة .

(٢) العداء : سريع العدو .

(٣) المراد بالأعادى الثلاثة : المرض ، والفقر ، والجهل .

(٤) دريئة : وقاية وحماية ، كبح جماحه : روضه .

(٥) الإباحى : الذى ديدنه إباحة المحرمات .

(٦) القار : القطران .

نشىءُ الكنانة خيرُ عهدٍ عهدكم | لا عهد « رمسيس » ، وعهدِ « فتاحِ »[1]

لا تُقلقوا فرعون فى تابوته | قد راح هذا الجيل أىّ رَواحِ

تيهوا بحاضركم، وشِيدوا مجدكم | بعزائم لا ينثنين صِحاحِ

وخذوا « جمالا » ، أو «كمالاً » قدوة | فى الجِدّ ، والتعمير ، والإصلاحِ

الطفل الموءود ![2]

منذ بضعة وعشرين عامًا قام الشباب بمشروع وطنى جليل. هو مشروع القرش ، ثم دب الخلاف بين أعضائه . فتعطل المشروع ، وهى أرجوزة قديمة ؛ لم نعثر عليها عند إصدار ديواننا الأول: « صرخة فى واد » .

قومى انظرى، يا مصرُ ، فى ابتسامِ

ونبِّهى ثلاثةَ الأهرامِ

وأيقظى « سعدًا » من المنامِ[3]

قومى؛ فتلك ساعةُ القيامِ

تراشَقَ الشبابُ بالسهامِ[4]

وأسرَفَ الشيوخُ فى الخصامِ

---

(١) رمسيس وفتاح : من ملوك المصريين القدماء .

(٢) الموءود : المقتول ، ويريد بالطفل الموءود : المشروع المعطل .

(٣) يريد سعد زغلول : باعث النهضة الحديثة .

(٤) تراشقوا : تقاذفوا .

واحتــدمــتْ معــركــةُ الكـــلامِ

وشُـــرعـــتْ أسنَّـــةُ الأقـــلامِ

ووُطــىءَ المشــروعُ بـــالأقــدامِ[1]

فخـــرَّ ميْتـــا ليلـــةَ الفطـــامِ

وعمـــرُهُ عـــامٌ ، وبعـــضُ عـــامِ

ضــاع ـــ لعمرى ـــ ضيْعةَ الأيتـامِ

إذا غَشُـــوا مـــوائدَ اللئـــامِ

هــم نَحَــرُوه عقــبَ الصيــامِ[2]

فــى العيــد نحــرَ الشــاءِ والأَغْنــامِ

وارحمتــــاهُ مـــن فـــؤادٍ دامِ !

للطفـــل بيـــن فكَّـــىِ الحِمـــامِ !

مُمـــزَّقَ الأوصـــالِ والعظـــامِ !

راح مُبَـــرَّأً مـــن الآثـــامِ

ضحيَّـــةَ الخُلـــفِ والانقســـامِ

فـــرحمـــةُ الله علـــى غـــلامِ !

مـــاتـــتْ بمـــوتـــه مُنَـــى أقـــوامِ !

لا تَـرْتَـدُوا « طـربـوشـه » أمـامـى[3]

---

(١) يريد بالمشروع : مشروع القرش .

(٢) كان ذلك الانقسام عقب عيد الفطر .

(٣) كان أقيم ـ بحصيلة ما تجمع من المشروع ـ مصنع طرابيش .

وإنْ يكــنْ كــالتــاج فــوقَ الهــامِ

قــد كــان رمــزَ الجــد والإقــدامِ

واليــومَ صــــار مَبْعــــث الآلامِ

قــوَّضــت الشهـــوة فــى أيــامِ[1]

مــا شــادت الهمَّــة فـــى أعــوامِ

الآن قــد صحــوتُ من أحــلامـى

أدركــتُ أنِّــى هــاهنــا . مُقَــامـى

بمصــرَ ، لا بــالهنــدِ ، أو بــالشــامِ

مصرُ لبــابُ العــالَــم الإســلامـى[2]

تقــدَّمــتْ فــى همَّــة الضِّــرْغــام[3]

وأحجمــتْ فـــى خفَّــة النَّعـــامِ

إليــكِ ، يــا شَبِيبَــةُ ، احتــرامــى[4]

أســرفــتِ فـــى السَّــبِّ والاتهــامِ

فــأخْلــدى حينًــا إلــى الســلامِ[5]

ألصقْــتِ أنــفَ مصــرَ بــالــرَّغــام[6]

إلــى الــوراءِ ، لا إلــى الأمــامِ ![7]

---

(١) قوضت : هدمت .

(٢) لباب كل شىء : خلاصته .

(٣) الضرغام : الأسد .

(٤) الكلام مسوق سياق التهكم .

(٥) أخلد إلى الشىء : جنح إليه .

(٦) الرغام : التراب .

(٧) يعنى : تقهقروا ولا تتقدموا !

تراشق القادة

عندما تفاقمت الخلافات الحزبية فى العهد البائد ،
وفاضت أنهار الجرائد بالسباب والمهاترات سنة ١٩٥٠ م

تراشَقَ القادةُ بالأحجارِ[١]
وأمْعَنوا فى الكيد والشِّجارِ
والفُلكُ تحت رحمة الأقْدارِ
بين الرياح الهُوج والتيَّارِ
اطوُوا ثيابكم على الأقْذارِ
لا تطلعوا الناسَ على الأسرارِ
بغسلها فى وَضَح النهار
يا ساسةَ أشبهَ بالتجَّارِ
النيلُ صار كعبةَ الأنظارِ
يرمقُهُ العالم باحتقارِ
أَلهاهمو هذا الحديثُ السارى
عن الوغى ونقعِها المُثَارِ[٢]
فتِّشْ عن المعصم ذى السُّوارِ[٣]

---

(١) تراشقوا : تراموا .

(٢) النقع : الغبار .

(٣) كان لبعض النساء ـ فى ذلك العصر ـ سيطرة ونفوذ .

فتِّشْ عن الأرحام والأصهارِ[1]

فتش عن الدرهم والدينارِ

في مصر ؛ تعرفْ علَّةَ الدَّمارِ

يا نيلُ ، جُدْ بدمعك المْدرارِ[2]

على بناءِ سعدٍ، المُنهارِ

أتى عليه عبَثُ الصِّغارِ

وكثرةُ الأعْراض والأَوطارِ

---

(١) الأرحام : الأقارب .

(٢) المدرار : الغزير .

حول الامتيازات

أنشئت عندما كانت الامتيازات الأجنبية قائمة ،
وفكر المصلحون فى إلغائها سنة ١٩٣٥م .

قد أرهَفَ التاريخُ من أسماعِهِ ... وتقَلَّدَتْ يمناه غَرْبَ يراعِهِ [1]
فلتُطلقوها كالقذيفة ؛ جملةً ... تَشْفى فؤاد النيل من أوجاعِهِ
من قالها منكم ، فنحنُ جنودُهُ ... والنيلُ والهرمان من أشيَاعِهِ
هى فرصةٌ سنحت ، وهذا وقتُها ... فتداركوه الآن قَبل ضياعِهِ
لن تقنعوا خصمًا بِطول جدالكم ... طول الجدال يَزيدُ فى أطماعِهِ
فخذوا عن « الغازى » إذا فاوضتمو ... أُسْلُوبَهُ الفعَّال فى إقناعِهِ [2]
ولتجمعوا عند الشدائد أمركم ... فالخيرُ كلُّ الخير فى إجماعِهِ
ولتُظْهروا وثبَاتِكم وثباتكم ... ليس الجبانُ القلب مثلَ شجاعِهِ [3]
قالوا : السماحة فى ابن مصر جِبِلَّةٌ ... فهل احتمال الضيم بعضُ طباعِهِ؟
النيل يسبحُ غيرنا فى خيرِهِ ... ونعيشُ نحن رواسبًا فى قاعِهِ

***

---

(٢) غرب اليراع : سن القلم .

(٢) يريد بالغازى : مصطفى كمال .

(٣) الواو فى : « وثباتكم » الأولى من بنية الكلمة ، والواو فى : « وثباتكم » الثانية واو العطف .

حرب الرذيلة

ليتَ الممالكَ بعد طولِ كفاحِ ... وقَفَتْ جحافَلها على الإصلاح[1]

وأسَتْ عميقَ جِراحِها . إنى أرى ... أكبادَها تشكو عميقَ جراح !

ورمَتْ مدافعها المُبيدةَ جانبًا ... وتسلَّحتْ من خُلقها بسلاح

ما بالُ عصر النور أمسى أهلُهُ ... يُسْرون فى ليلٍ بغير صباح ؟[2]

لو سادت الأخلاقُ ، ما انقلب الورى ... ذؤبانَ فتكٍ ، أو كِباشَ نطاح

أو غرَّرت بالعالمين مبادىءٌ ... تُزرى بإفكِ مُسَيلمٍ وسَجَاج[3]

من يَبْنِ مُلكًا شامخًا ، لم يبْنه ... بشُواظ نيرانٍ ، وَبيض صِفاح[4]

يا رُبَّ مُلْكٍ أسَسْته قوةٌ ... عَصَفَت به فى الجو هُوجُ رياح

المُلْكُ بالأخلاق يُبْنَى أسُّه ... لا بالمجازر والدَّمِ السفاح

قل للطبيب : دع الجسوم إذا شكت ... مَنْ للنُّفوسِ ودائها المِلْحاح ؟[5]

إنَّ الرذيلةَ شرُّ ما نعيا به ... وأشدُّه خطرًا على الأرواح

---

(١) الجحافل : الجيوش . وقد كان إنشاء هذه القصيدة عقب الحرب العالمية الثانية .

(٢) السرى : السير ليلا ، والمراد به : التخبط ، وكثرة الحروب ، وإراقة الدماء .

(٣) يشير إلى : مبادىء الإنطلنطى التى زعموها كفيلة بإطلاق الحريات ، ثم كانت مجرد خداع ، (مسيلمة وسجاح) : المتنبثان الكاذبان ؛ وقصتهما معروفة .

(٤) الصفاح : السيوف .

(٥) الملحاح : العضال .

قل للكماة ـ إذا محَوْا أعداءَهم ـ : هل للرذيلة بينكم من ماح ؟[1]

حُلُّوا الجيوشَ ؛ فما بنا من حاجةٍ إلا إلى جيشٍ من النُّصّاح

قل للذى يشكو تباريحَ الهوى فى الليل ، أو يبكى صُدودَ ملاح :[2]

نُحْ كيف شئتَ على الملاح صبابةً إنِّى على الأخلاق طال نُواحى !

---

(١) الكماة : جمع كمى وهو الشجاع .

(٢) الذى يشكو . . . إلخ : كناية عن العاشق الولهان .

صوت الشباب

نَشْءَ الكنانةِ ، أنتَ نعمَ الداعى ... فاقرَعْ بصوتك كلَّ سمعٍ واعِ

اجهَرْ بصوت الحقِّ . ضلَّ الحقُّ فى ... هذا الزمان منافذَ الأسماع

أطلْقهُ آونةً بآذان الحمى ... كهزيم رعدٍ ، أو زئير سباعِ[1]

واصدَحْ به حينًا على أدواحه ... لحنًا كلحن حمامه السَّجَّاع[2]

صوتُ الشباب مبرَّأ كضميره ... من كلِّ شائبةٍ وكلِّ خِداع[3]

نشءَ الكنانة ، أَنت أنت ذراعُها ... لا خيرَ فى جسد بغير ذراع

وعلى يديك إذا شكا شاكى الحمى ... برءُ السقيم به من الأوجاع

الريفُ ــ ويحَ الريف ـ يدعوكم إلى ... إنقاذِ مرضى جاهلين جِياع

إنّ الشبابَ تحضُّرٌ وتوثُّبٌ ... ليس الشبابُ بلذَّةٍ ومَتاع

إنْ لم يُعِدَّ المرءُ فيه نفسَه ... لغَدٍ، أضاع العُمْرَ أىَّ ضَياع

لا يخدعنكم الشبابُ ؛ فإنه ... ليَمُرُّ مثلَ البرق فى الإسراع

أنتم جنودٌ للحمى فتشجَّعوا ... فالنصر لم يُكتَبْ لغير شُجاع

أقسمتُ ، ما اعتدَّ الشبابُ بعُدَّةٍ ... كصحيفةٍ فى كفِّه ويراع

والعلم زادٌليس منه قناعةٌ ... بل فيه تُحمدُ كثرةُ الأطماع

---

(١) هزيم الرعد : صوته المزعج .

(٢) الدوح : الشجر العظيم .

(٣) الشائبة : ما يخالط الشىء فيعكر صفوه .

ابنُوا على أسُسِ الفضيلة مجدكم ... تبنون مجدًا ليس بالمتداعى[1]

ما خيرُ علم لم يُزَوِّدْ ربُّه ... بكريم أخلاقٍ، وحُسْنِ طِباع؟

أو ما رأيتَ العلمَ ينقُضُ ما بنى ... ويُهدِّدُ العُمران بالإشعاع؟[2]

إنى لأبرأُ من شباب عابثٍ ... رِخو إلى غير المكارم ساع

إن يدعُهُ داعى الهوى لبَّى، وإن ... نصح النصوح له فغيرُ مُطاع

الشعبُ بالأخلاق ينهض. إنَّها ... جَيْشا: هجومٍ ـ للحمى ـ ودِفاع

حرب الأعداء الثلاثة

ليست الحربُ فى امتشاق السلاحِ ... بين سُمْرِ القَنا وبيضِ الصِّفاحِ[3]

ونسورٍ فى الجوِّ تعصف بالنا (م) ... سِ وبالأرض عصفَ هُوجِ الرياح

إنما الحربُ: حربُ جهلٍ، وفقرٍ ... وسقامٍ. هذا مجالُ الكفاح

تلك حربٌ توطِّدُ السِّلمَ بين النا (م) ... سِ فيها صيانةُ الأرواح

يا جنود الحمى، لقد أزف الوقـ (م) ... ـت؛ فهيَّا بنا إلى الإصلاح

كافحوا الجهل فى ثبات وعزم ... قهرُ هذا العدوِّ نصفُ النجاح

واحملوا مِشعلَ الثقافة حتى ... يَشعُرَ الريف بانبلاج الصباح[4]

---

(١) المتداعى: المتهدم. ويلاحظ ـ هنا ـ: أن الفعل لم يجزم فى جواب الأمر؛ لأن الجزم جائز لا واجب.

(٢) ينقض: يهدم، والمراد بالإشعاع: الإشعاع الذرى.

(٣) امتشق السيف: تقلد به.

(٤) انبلاج: ظهور.

إن أمضى السلاح فى ساحة الحر (م) ب سلاحُ الأقْلام والألواح

يا رجال البلادِ، مصرُ تنادى : أين أهلُ الندَى وأهلُ السَّماح ؟

كافحوا الفقر فى الكنانة ؛ حتى تطردوه من منزل الفلاح

كافحوا الداءَ ؛ فهْو ضيفٌ ثقيلٌ حلَّ بالزاد والنميرِ القَرَاح[1]

وامنحوا الشَّعبَ صحةَ الجسم حتى يظفرَ الشعبُ بالعقولِ الصحاح

تلك أعداؤنا الثلاثةُ ـ لا كا (م) نت ـ غزَتْ مصرَ من جميع النواحى

فخُذوا حِذْرَكم، وشُنُّوا عليها (م)

الحرب؛ فى المدنِ ، فى القرى، فى الضواحى

فإذا ما جَلَتْ ، فقولوا: انتصرنا وأَقيموا معالمَ الأفراح

(١) النمير القراح : الماء العذب الصافى .

سُحقًا لها

عندما سقطت بعض وزارات العسف فى العهد البائد .

تــولَّــتْ دولَــةُ الحُمقَــى ألا سُحقًــا لهــا سُحْقــا ![1]

ألا خُلُّــوا عــن الــوادى قتلتــم أهلَــه خَنْقــا

لقــد دنَّسْتُمُــو مصــرًا بحكمكُمـو ، بـل الشَّـرْقـا

ومــا خلفتمــو بيــن الــزُّ (م) نُــوج وبيننــا فــرقــا

فكـم بــالطُّــور مــن شــاكٍ إلــى الــرحمن مــا يَلقــى[2]

وكــم بــالسجــن مظلــومٌ لــه سَجَّــانُــه رَقَّــا

غــدا استقـلالنــا المنشــو (م) دُ فــى أيــامكــم رِقّــا

عصَفْتــم بــالحمــى عصفًــا فــرفقًــا بــالحمــى رفقــا

فلــو ســابقتمــو نِيــرو (م) نَ نلتُــمْ دونــه السبقــا[3]

كــذبتــم إذْ تــوهَّمْتــم مظــالــمَ عهــدكــم تَبْقَــى

فمصــرُ كنَــانــةُ الــرحمــ (م) ــنِ؛ لا تشْقَـى، ولـن تشقى !

---

(١) تولت : زالت .

(٢) كان الطور منفى الأبرياء فى ذلك العهد .

(٣) نيرون : هو قيصر روما الذى تروى عنه الأساطير أنه أحرقها ، وظل يغنى على منظر النيران .

شرع الاستعمار

ضل جندي من جنود الاحتلال البريطاني في مصر ؛ فوجهت إنجلترا بسببه إنذاراً إلى الحكومة المصرية ، وذلك في أيام الاحتلال .

لصٌّ تسلَّلَ من وراءِ جِدارِ مُتنقِّلاً من شُرفةٍ لِجِدارِ
لكنَّ ديناراً هوَى من جيبه فبكَى، وصاح: هنا هَوَى ديناري !
ومضى إلى قاضى المدينةِ ، منذراً متهدِّدًا بالويل أهلَ الدار
هذا هو الذَّنبُ الذى أُخذَتْ به مصرٌ ، وذلك شرْعُ الاستعمار
يا جيرةَ المنشِ، الحياءُ فَضيلةٌ أنتم أحقُّ بذلك الإنذار
فيمَ الإقامةُ ؟ ليت تائهكُمْ هوَى فى لجَّةٍ ليست بذاتِ قرار ![1]

(١) وجه الشبه بين قصة اللص في القصيدة وقصة المستعمرين في مصر واضح ، فكلاهما دخل على رب الدار معتديًا ، فلما لحقه إيذاء لا دخل لرب الدار فيه حمله تبعته ، وهذا منتهى العسف والافتيات .

زمـــزم
طليعة الأسطول المصرى

أنشئت هذه القطعة منذ نيف وعشرين عامًا؛ تحية للباخرة زمـزم عند أول رحل قـامت بها ، ولم نعـثر عليها عند طبع ديواننا الأول: « صرخة فى واد» .

أرأيـتَ زمـزمَ وهْـىَ فـى البحـرِ ... تختـالُ مثـلَ الكـاعـب البِكـرِ؟[1]

وَصَفيـرُهـا يُشجـى الفـؤاد، كمـا ... يُشجِيـه نَـوْحُ حمـائم السِّـدْر[2]

أرأيــتَ إذْ حلَّـــتْ مــراسِيَهــا ... والثَّغـرُ ينظـرُ بـاسـمَ الثَّغـرِ؟[3]

وتحـرَّكــتْ ، فكـأنهــا عَلَــمٌ ... متحـرِّكٌ فـوق الثـرى يجـرى[4]

ســارت، وعيـــنُ الله تَتْبَعهـــا ... فــى البحـر مـن عِبَـرٍ إلـى عِبـر

لله رايـــةُ مصـــرَ عـــاطـــرةً ... بشـذا نسيـم البحـرِ إذ يسـرى !

إنْ داعبَتْهـــا ريُحـــه، خَفَقَـــتْ ... خفقـانَ قلـب الصَّـبِّ فـى الصَّدر

ظُلُمَـــاتُ بحـر القُلـزم انقشعَـتْ ... بضيـاءِ ذاتِ الأنجُـم الـزُّهـر[5]

---

(١) تختال : تتبختر .

(٢) يشير إلى قول الشاعر :

أشجاك نـوح حمائم السدر ... فأثار منك بلابل الصدر ؟

(٣) الثغر الأولى : البلد على الشاطىء ، والثانية : الفم .

(٤) العلم : الجبل .

(٥) بحر القلزم : هو البحر الأحمر .

مــا بيــنَ حُمْــرتِــه وخُضــرتِهــا | نَسَبٌ قـديـمُ العَهْـد لـو يـدرى (١)
مــا كــان مــن مجـدٍ ، فمقتَبسٌ | مــن مصــرَ ، مــردودٌ إلــى مصر
خضــع العُبَـابُ لأهـل مصـرَ كمــا | سَلُـسَ الهــواءُ سـلاسَــة المُهـر (٢)
يَهْنــى الكنـــانــةَ أنّهـــا ظَفِـرَتْ | بـالعــاهليـن : النُّــونِ ، والنَّسـر (٣)

***

يــا دُرَّةً فــى البحــر ، لــو وزِنَـتْ | رجحَـتْ علــى مــا فيــه مــن در
تمشــى الــريـــاحُ علــى مشيئتِهــا | مـــأمــورةً تنصـــاعُ لـــلأمـــر
تنســابُ فــوقَ المـــاء جـاريـــةً | مـدفـوعـةً بـالمـاءِ والجَمْـر (٤)
وكـــأنمـــا زفـــراتُ مــرْجلهـــا | زفـــراتُ قلــبٍ ذابَ مـــن هَجْــر
وهـــو البخــــارُ أرقُّ حـــاشيـــةً | فـــى مسِّــه مـــن نَسمــةِ الفجــر
جـــرَّ الحـــديـــدَ وراءَه ذَنَبًـــا | ومشـــى بـــه فـــى خفَّـــةِ الطيــر
سلـــب الخيـــولَ الغُـــرَّ دولتَهـــا | وأذالَ مُلـكَ العِيـس فـى القفـر (٥)
وغـــزا الشِّـــراعَ ؛ ففـرَّ منهمـــزمًــا | وكفـــاه شـــرَّ الطـــىِّ والنشـــر (٦)

***

فـــى مصـــرَ قـــومٌ صــامتــون إذا | كـــان الكــلام بـــأهلـه يـــزرى (٧)

---

(١) يشير إلى : أساطيل العرب والمصريين ، التى كانت تمخر عباب البحار .
(٢) يريد بسلاسة الهواء : نجاح مصر فى عالم الطيران .
(٣) النون : الحوت .
(٤) يريد بالماء والجمر : البخار .
(٥) العيس : الجمال .
(٦) يريد بالشراع : السفن الشراعية .
(٧) يريد بهؤلاء القوم : طلعت حرب ورفاقه .

فـى كـلِّ آونَـةٍ لهـم عَمَـلٌ ... لا يبتغـون عليـه مـن أجـر

تـركـوا المقـالَ لمـن يُنمِّقُـه ... ويصـوغُـهُ كـالـدُّرِّ فـى النَحْـر

صِنفـان تلقـى الفـرقَ بينهمـا ... كـالفـرق بيـن التُّـرب والتِّبـر[1]

أقسمـتُ، مـا «حـرب» وعِتـرتـهُ ... إلا النجـومُ أحَطْـنَ بـالبـدر

الـرافعـون لمصـرَ هـامتَهـا ... والملبسـوهـا حُلَّـةَ الفخـر[2]

والنـاشـرون بكـلِّ نـاحيـةٍ ... ذِكـرَ الكنـانـة طيِّـبَ النشـر

«حـرب» يَـدٌ فى مصـرَ عـامِلـةٌ ... والآخـرون قُـلامـةُ الظُّفـر[3]

فـى كـلِّ عصْـرٍ آيَـةٌ ظهـرَتْ ... وأراهُ آيَـةَ ذلـك العصـر

***

هـذى طـلائعُ نهضـةٍ بـدأتْ ... هـذى نَـوَى أسطـولِنـا المصـرى

إنِّـى أراه بمقلتَـىْ أمَلـى ... يمتَـدُّ فـوقَ المـاء كـالجِسْـر

والغـربُ ـ قبـلَ الشـرقِ ـ مُلتفـتٌ ... يـرنـو إلـى أعـلامـه الخُضْـر

إنْ سـار وقـتَ السِّلـم مُتَّجِـرًا ... ضَمِـنَ الـرَّخـاءَ وعـادَ بـاليُسـر

أو سـار وقـتَ الحرب، صـبَّ علـى ... أعـدائه سيـلاً مـن الـذُّعْـر

هـذى حقـائقُ كـذْبُ ألمِسُهـا ... لَيسَـتْ بـوحْـيِ خَيـالـى الشِّعـرى

***

قـل للحجيـجِ: إذا بلغـتَ منـىً ... ومسحْـتَ بـالأركـان والسِّتـر[4]

(١) التبر: الذهب.

(٢) الهامة: الرأس.

(٣) قلامة الظفر: ما يأخذه المقص منه.

(٤) الحجيج: الحجاج، وكانت أولى رحلات الباخرة زمزم إلى جدة؛ لنقل الحجاج.

فسَلُوا إلٰهَ العرش فى وطنٍ أخنَت عليه حوادثُ الدهر

مصرٌ ـ وقاها الله ـ قد مُنِيت بمصيبتين : الفقرِ ، والأسر[1]

مصرٌ تفرّقَ أهلها شِيَعًا وتخاذلوا فى ساعة النصر

أحرى الورى بالهم والدةٌ تلقى العقوقَ من ابنها البَر !

لمَّا رأى العادى تفرُّقها قَلَبَ المِجَنَّ لها على الظهر[2]

أو ما رأيتَ القوم قد نظروا بمحاجرٍ كوجوههم حُمرٍ ؟[3]

نشيد
شباب الجامعة

هلُمُّوا ، يا شبابَ الجامعاتِ نشقُّ طريقَ يعرُبَ فى الحياةِ[4]

ونُحيى مجدَ آباءٍ أُباةِ لنا سنُّوا طريقَ المكرُماتِ[5]

هلمو ، يا شباب الجامعات

***

---

(١) تصادف ـ إذ ذاك ـ استحكام الضائقة المالية فى مصر .

(٢) تصادف ـ إذ ذاك ـ أن تفرق المصريون شيعا . فاستغل المحتل هذا الظرف ؛ ووجه إلى مصر إنذارًا .

(٣) يريد بالقوم : الإنجليز .

(٤) هلموا : اسم فعل بمعنى أقبلوا ، ويعرب : جد قديم من أجداد العرب .

(٥) أباة : جمع أبى بمعنى شديد الإباء للضيم .

نعيشُ بهـذه الـدنيـا كـرامًـا ونَنْشـر فـى جـوانبهـا السَّـلامـا
فـآونـةً نطيـر بهـا حَمَـامًـا وآونـة نسـورًا جـارحـاتِ[1]
هلمـو ، يـا شبـاب الجـامعـات

***

لنـا فـى العلـم مـاضٍ لا يُبـارى تَخِـذنـا العلـمَ - أمسِ - لنـا شعـارًا
ونحـن - اليـومَ - نـرفُعـهُ منـارًا بـه نهـدى النفـوسَ الحـائراتِ
هلمـو ، يـا شبـاب الجـامعـات

***

لنـا كَـرمُ الشَّمـائلِ مـن قـديـمِ ورثنـاه كـريمًـا عـن كـريـمِ[2]
نصـونُ العلـمَ بـالخُلـقِ القـويـمِ ونسمـو بـالخـلال الصـالحـاتِ
هلمـو ، يـا شبـاب الجـامعـات

***

بنـو عـدنـانَ أُمَّـةُ ذى الجـلالِ فِـداهـا : كـلُّ مـرتخـصٍ ، وغـالِ
تسيـرُ وراء قـائدهـا جمـالِ ونجعـل أرضهـا قبـرَ الغـزاةِ
هلمـو ، يـا شبـاب الجـامعـات

***

هلمـوا ، يـا شبـاب الجـامعـاتِ نشقُّ طـريـق يعـربَ فـى الحيـاةِ
ونحيـى مجـدًا آبـاء أُبـاةِ لنـا سَنُّـوا طـريـقَ المكـرمـاتِ
هلمـو ، يـا شبـاب الجـامعـات

---

(١) الحمام رمز السلم ، والنسور رمز الحرب .

(٢) الشمائل : الخصال .

نشيد الدعاية الصحية

يـا شبـاب العلم فـى الـوادى الأمينْ　　　أشـرَقَ الصبحُ ، فهـزوا النـائمـيـن

إنَّ هــذا العهــدَ عهـــدُ الثـائريــن　　　ليـس فيــه مقعــدٌ للعــاجـزيــن

***

مصـرُ تــرجـو منكمـو جيلاً فتيًّـا　　　سـالــم البنيـةِ، مقــدامًـا ، قــويًّـا

لا ضيعفًــا ، خــائر العـزم ، عييًّـا　　　كتــب الـذلُّ علــى المستضعفيــن

***

أرهفُــوا العـــزم وهُبُّـــوا للعمـــلْ　　　واملئـــوا أرجـــاءَ مصـــرٍ بـــالأمـــل

حـاربــوا الأمـراض فيهـــا ، والعِلـل　　　كـم شكـا الشـاكـون مـن داءٍ دفيـن

***

أعلنـوا الحـربَ علـى جيـشِ السّقـام　　　وانحتـوا من معـدن العلم السِّهـام(١)

إنمــا العلــم بــأيــديكـم حســام　　　مـرهـفٌ ، فى حـده النصـر المبيـن

***

إنمـــا الصحَـــةُ عُنــوان الحيـــاه　　　فـــانشـــروهـا نُضــرَةً فــوقَ الجبــاه

وارســـومهـــا بسمـــةً فـــوقَ الشِّفـــاه　　　وابعثـــوهـــا رحمـــةً للعـــالميـــن

***

---

(١) يريد : حاربوا الخرافات الشائعة ـــ فى العلاج ـ بطرق العلاج السليمة المبنية على علوم الطب .

نحـــن أقسمنـــا بمصـــرٍ ، والعلـــم وبمـــاءِ النيـل . أعظـم بـالقَسـم !
أَننـــا نمحـــو مـــن الشعـــبِ الألـــم نُشهـــدُ الله علـــى هـــذا اليميـــن

***

يـا شبـاب العلم فـى الـوادى الأميـن أشرقَ الصبـحُ ، فهـزوا النـائميـن
إنّ هـــذا العهـــد عهـــد الثـــائريـــن ليـــس فيـــه مقعـــدٌ للعـــاجـــزيـــن

نشيد الطيران

اسلمـــى للشـــرق ، يـــا أُمّ النُّســـور أنـتِ للعقبـانِ ــ يـــا مصـرُ ــ وكـــور
أنبِتِـى الـــرِّيـــشَ بـــأجســـام الصُّقـــور وأعـــــدِّى للحمـــــى أجنحــــــةً
تَخلف النَّسرَ على عرش الطيور

***

أنـتِ ــ يـا مصرُ ــ لنـا برجٌ ، وغـاب تُنبتين الشهـب ، والأُسد الغضاب[1]
نحـــنُ أبنـاؤك ، ركـــابُ السحَـــاب كـم قهـرنـا البحـــرَ فيـاضَ العُبـاب
واقتحمنـــا للمعـــالـــى كـــلَّ بـــاب وإذا السِّلـــمُ دعـــا كنَّـــا الجـــواب
نحن فى السِّلم غصون
نحن فى السِّلم زهور

***

اســــــلمى . . . .

---

(١) يحمل البرج معنى تشبيههم بالنجوم ، ويحمل الغاب معنى تشبيههم بالأسود .

أنــا فــى الآفــاق خفّــاقُ الجنــاح　　كــلُّ مــا فــى الجــوِّ لــى مِلــكٌ مبــاح

تخضَعُ السُّحب لحكمى، والـرياح　　وإذا نــادى المنــادى للكفــاح

كنتُ فــى كفِّ الحمى أمضــى سلاح　　بعــتُ روحــى للحمــى بيــعَ السَّمــاح

كــم سقــانى كــم غــذانى

مــاؤه العــذبُ الطَّهــور

***

اسلمــى . . . .

حلِّقــوا فــوقَ سمــاءِ الهــرَمِ　　وارفعــو بيــن بــروج الأنجــمِ

قــدرَ مصــرٍ، ومكــانُ العلــم　　نحــن شعــبٌ للمعــالــى ينتمــى

نشــر الأضــواءَ بيــن الأمــم　　وغَــزَا الأجــواءَ منــذُ القِــدَمِ[1]

كانت الدنيــا ظلامــا

وهــو نورٌ فــوق نــور

***

اسلمــى . . . .

---

(١) يريد بغزو الجو قديمًا: قصة فرعون وهامان: «يا هامان ابن لى صرحًا لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى».

إلى الغزاة الهادمين

فى عهد الاحتلال : أحاطت القوات الإنجليزية بكفر أحمد عبد، ونسفوه ؛ بحجة أن الفدائيين يختبئون فيه .

يا أُمة المنش، يهنى جيشك الظفر
أبطال « دَنكِركَ » فى مصرٍ قد انتصروا(١)

أبطال « دَنكِركَ » خاضوا الحرب طاحنةً
فى « كفر أحمدَ » : لا جُبنٌ، ولا خَورُ

سَلُّوا السلاحَ على مَن لا سلاح له
وحاصروا بلدًا لم يَأوِهِ بَشرُ(٢)

ودمَّروه فخرَّت ــ وهى مُعْوِلَةٌ ــ
عروشُهُ ، وتداعتْ خلفها الجُدرُ(٣)

كادَتْ تَضِجُّ بأيديهم معاولُهم
وكَاد يلعنُهُم ــ إذْ يسقُطُ ــ الحجر

فيمَ المدافع كالأبراج جاثيةً
يطيرُ كالبرق من أفواهها الشرر؟(٤)

فيم القذائفُ فوق الحيِّ هاميةً
من حالِق الجّو ؛ لا تُبقى ، ولا تَذَر؟

فيم الحديدُ ؟وفيمَ النارُ حاميةً
كأنما فَتَحَتْ أبوابَها سَقَر؟

ما جرَّدَ الخَصْمُ غيرَ الحقِّ فى يده
والحقُّ يمضى، وينبو الصارم الذَّكر(٥)

لم تحجُبُوا الشمسَ بالأسرابِ طائرةً
لكنْ من الخزى وجهُ الشمس مُسْتَتِر

---

(١) دنكرك : اسم موقعة نكل فيها الألمان بالإنجليز ، فى الحرب العالمية الثانية .
(٢) كانت البلدة قد أخليت من السكان .
(٣) معولة : صائحة ، العروش : السقوف .
(٤) جائية : منحنية .
(٥) الصارم الذكر : السيف القاطع .

مـا كلَّلَ النـاسُ يوم النصـر هامَكُمـو بالغـارِ، لكنّهم مـن نصركـم سَخِروا

***

لهفِـى علـى بلـدٍ ضـاعـت معـالُمـهُ أطفاله كـالدبى فى البيـد تَنتَشر ![1]

بـاتــت حيـارى بـلا مــأوىً حـرائرهُ لاسقـفَ إلاَّ الريـاحُ الهوجُ، والمطَـر

من كـلِّ هيفاءَ كـان الخدرُ يحجبهـا إن أسفـرَ النجمُ فـى الظلماءِ والقمـر

ربـعٌ تسـاوى بسطح الأرض شـاهقـه قد صوَّح النبتُ فيه، واختفى الشجر[2]

كـأنمــا القـومُ لـم يَغشـوا مغـانيـه يـومًا، ولا حَـرَثُـوا، فيه، ولا بـذروا

كــأنـه مــا رأى وجـه الصبــاح، ولا أحيــا ليــاليَــهُ أنــسٌ، ولا سمــر

ولا أوت دوره أهـــلاً، ولا عمـــرت يــومًــا مسـاجـدَه الآيـاتُ والسُّــور

***

إن الأُلى فـى حروب «الرَّيخ» مـا كسبوا حربًا، بمصرَ استردُّوا بعض ما خسروا[3]

شعـبٌ يسـوق شعوبَ الأرض قـاطبـةً إلى الوغى، وهْـو خلف الباب ينتظر

تخفى عسـاكره فى الحـرب إن نشبت حتـى إذا قُسِّمـت أسـلابهـا، ظهـروا

أقسمتُ، ما كسبوا فى «كفر أحمدَ» من نصر، ولا العزل من سكَّـانه اندحَروا

لكنهــم حَفَــروا قبـرًا لـــدولتهــم فى مصرَ، فليسكنوا القبرَ الذى حفروا

لـم يهدمـوا قريـةً عزلاء؛ بـل هدمـوا ركنَ السـلام بأيـديهم، ومـا شعروا !

***

سل الحماةَ حُمَاةَ الأمن: هل سمعوا بمصر، أو عندهم عـن أهلها خبر ؟

---

(١) الدبى: صغار الجراد.

(٢) صوح: ذوى وجف.

(٣) «الريخ»: كناية عن الألمان.

الأمـنُ : شـاكٍ ، جريـحٌ ، سـائلٌ دُمـه ... ومجلس الأمن : لا سمـعٌ ، ولا بصر

يا قومُ، طال « بلِك سِكسِيسَ » نومكمو ... وفـى الكنانـة نـارُ الحرب تستعـر[1]

صـونـوا الحضـارة مـن أيـدٍ تعيـثُ بهـا ... وأدركـوا الأمـن ، إن الأمـن يحتضَـر

لا تلـزَمـوا الصَّمـتَ، والذؤبـانُ عـابثـةٌ ... بالشاء ؛ فالصّمت فيه يكمُن الخطر

عـاش ابـن آدمَ عيشَ الغـاب؛ تحكمُـه ... شـريعةٌ قـاضِياهـا : الناب، والظُّفُـر

---

(١) « لك سكسيس » : البلد الذى كان يجتمع فيه مجلس الأمن ـ إذ ذاك ـ.

زفـــرات وأشجـــان !!

صاحب آويته

اعتل على الشاعر ضرس ، فنزعه ، وقال يرثيه سنة ١٩٦٠م

صاحبٌ آويتُهُ خمسين عامًا ... ما لَهُ فى كَنَفى ملَّ المُقاما؟[١]

بين فكِّى ولسانى صُنتُه ... لم يَلُك إثمًا ، ولم يَمضغُ حراما[٢]

كم وكم ذُقت وإيَّاهُ الطَّوَى ... حين لم نلق سوى الغثِّ طعاما ![٣]

كم نوينا الصومَ ، لا عن حِسبَةٍ ... أتُرى ، يا صاحِ ، قد عِفتَ الصياما؟[٤]

قسمًا بالمجد ، لم أُلحِق به ... مذ تعاهدنا على الصحبة ذامَا[٥]

لا ، ولا جاوَرَ إلا طاهرًا ... ينظمُ الياقوتَ والدرَّ كلاما

منه يجنى الشَّهدَ من يَشتارُهُ ... وإن انسلَّ على الباغى حساما[٦]

***

أيها الخِلُّ الذى خاصمنى ... غيرَ مُبقٍ ، لستُ آلوكَ خصاما[٧]

لم تكن أولَ خلٍّ عقَّنى ... بعد ما ساقيتُهُ الوُدَّ مُداما

---

(١) الكنف : الجانب .

(٢) لم يلك : لم يمضغ .

(٣) الطوى : الجوع ، الغث : الردىء .

(٤) حسبة : تطوعًا وقربة .

(٥) الذام : العيب .

(٦) اشتار الشهد : استخرجه .

(٧) ألا يألو : قصر يقصر .

أنـا لا تـذهـبُ نفسـى حسـرةً		إثـرَ مـن لـم يَـرعَ للـود الـذِّمـامـا
غيـرَ بُقيَـا لـم تـزَل تعتـادُنـى		مـن حنيـنٍ نحـو إخوانـى القـدامـى

***

أَيُّهـا الضـرس الـذى أرّقنـى		بعـد مـا اعتـادت جفـونـى أن تنـامـا
إنْ تكـن أرّقتنـى اليـومَ، فكـم		بـتُّ أرعـى النجـمَ بـالأمـس غـرامـا
سهـدتنـى ـ فـى مشيبـى ـ عللـى		ليتَ سُهـدى فى شباب العُمـر داما !
ليس مـن يجفـو الكـرى مـن علـةٍ		مثـلَ مـن يجفـوه صبًّـا مُستهـامـا

***

أيهـا المُنبَـتُّ عـن أقـرانـه		كـلُّ أقـرانـك يُقـريـك السـلامـا[1]
ربَّ سِـنٍ أعـولـت أو نـاجـذٍ		بـات مـن بعـدك فـى ذُلِّ اليتـامـى
لاح فـى المـرآة لـى نـاصعـهُ		حـالِكَ اللـون مـن الحـزن ظلامـا[2]
كنـتُ أبـدو ضـاحـكَ السنِّ ، فمـا		بـالُ سنِّـى اليـومَ تـأبـى الابتسـامـا؟
أوهمتنـى فجـوةٌ واحـدةٌ		أنَّ فـى فـيَّ تضـاريـسَ عِظـامـا

***

بضعـةٌ غـاليـةٌ مـن جسـدى		بيدى وسَّـدتُها ـ أمسِ ـ الرَّغـاما[3]
دُفِنَـت دون احتفـالٍ ، ومضـت		لم يُـرَق فى إثرِهـا الدمعُ سِجـاما[4]

---

(١) المنبت : المنقطع .
(٢) يقال : أبيض ناصع ؛ أى : شديد البياض .
(٣) وسده الرغام أى جعل التراب وسادًا له : كناية عن الدفن .
(٤) دمع سجام : أى متسلسل يسيل بعضه فى إثر بعض .

لستُ أدرى : أنا فى مأتمها ثاكلٌ أم أنا مَن ذاق الحِماما؟[1]

قُل لمن يندُبُ عضوًا راحلاً : عن قريبٍ يبلُغُ الموتُ التماما

والمنايا منهلٌ من مائه دفعةً نَشربُ ، أو جامًا فجاما[2]

***

يا غريبًا أنكرتهُ لِثتى لم يصاحبنى رضيعًا وغلاما[3]

علم اللهُ ، لقد جاورتَنى كارهًا ، لكنَّ جارى لن يُضاما

إن تكن غيرَ كريمٍ ، فلقد زُرتَ مضيافًا ، وعاشرت كراما[4]

لم أكن أَرضى بسنِّى بدلاً لا ، ولو صاغوه تِبرًا أو تُؤاما[5]

غيرَ أنِّى بشرٌ ؛ لا حولَ لى إنَّ فى كَفِّ المقادير الزِّماما

أينَ صُنعُ الطِّبِّ من صنع الذى بَرأَ الأنفس : لحمًا ، وعظاما ؟[6]

---

(١) يريد : أنه دفن بعض جسمه ؛ فهو دافن مدفون معًا .

(٢) المنهل : المستقى ، يريد : أن الموت يأتى دفعة ، أو شيئًا فشيئًا .

(٣) الخطاب موجه إلى الضرس الصناعى ، الذى حل محل الضرس الطبيعى .

(٤) يقصد : أن عنصره غير كريم ، بخلاف ما يجاوره من الأسنان .

(٥) التؤام : اللؤلؤ .

(٦) يريد : أنه لا مجال للموازنة بين ما صنعه الله وما صنعه الطبيب .

آهة طفلة !

أنشأها الشاعر ، عندما مرضت طفلته البالغة من العمر ثلاثة أعوام سنة ١٩٤٩ م .

أُصيبت ، ولم تَدر كيف تُبين ... إذا سُئِلَت ، فالجواب الأنين !!

وحينَ يُلحُّ عليها السُّعالُ ... تشيرُ إلى صدرها باليمين

تُسامُ الدواءَ ؛ فتطبقُ فاهًا ... ـ على ضعفها ـ فهْو حصنٌ حصين[١]

وتنفذ آهاتها في الفؤادِ ... فتفعلُ فعلَ المُدى بالوتين[٢]

تكادُ الحرارةُ تصهرُ قلبى ... إذا ناهزت عندها أربعين[٣]

نجا من سهام الكِعاب فؤادى ... وأصمَته بنتُ ثلاثِ سنين[٤]

وأُقسِمُ ، لو أصبحَت مثلَ « جندر (م) لَكَ » تحمى بعزم اللَّباة العرين[٥]

وبذَّت سُكَينَةَ بنتَ الحسينِ ... وعائشةً فى بيانٍ ودين[٦]

لما كان هذا كِفاءَ الذى ... أُعانيه من سُقمها كلَّ حين

***

---

(١) تسام الدواء : تكلف شربه كرهًا .

(٢) الوتين : عرق فى العنق .

(٣) ناهزت : قاربت .

(٤) الكعاب : جمع كاعب ؛ وهى الفتاة التى برز ثديها ، أصماه السهم : اخترقه ، يقول : نجوت من غرام الفتيات الحسان ، فلم يجرح فؤادى ، ولكن جرحته ابنتى الطفلة بسبب مرضها .

(٥) « جادندارك » : الزعيمة الفرنسية المعروفة فى التاريخ .

(٦) سكينة بنت الحسين : الأديبة المعروفة ، وعائشة : زوجة الرسول التى قال فيها : «خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء » .

مُحَيَّــا كســاهُ الشُّحـــوبُ جمـــالاً   وبعـضُ الشُّحـوب جمالٌ يَــزيـن
فمـــا أذبَـــلَ الــداءُ وردَ الخـــدودِ   ولا أطفــأَ السُّقـم نـــورَ الجبيـــن
ســـوى أنَّ ذاك جمـــالٌ طـــروبٌ   وهــذا الجمـــالُ جمـــالٌ حــزيــن
أُســـائلُهـــا : أيــنَ راحَ المِـــرَاحُ ؟   ومـن أينَ هـذا المُحيَّـا الرزيـن ؟[1]
ومـــا زال صـــوتُـكِ مــلءَ الفضـــاءِ   وفـــى أُذن الجـــار منـــه رنيـــن[2]

***

لئـن صـدَّت اليـومَ عنـى ، فكـم قـا   بلَتنـــى مقـــابلـــةَ الفـــاتحيـــن !
وكـم هلَّلـــت إذ رأتنـى ، وكـــانـت   لبُشـرى قُـدومِى الـرسُـولَ الأميـن[3]
ومـــا بـــالُهـــا اليـومَ عنـى تُشيـحُ   وفـى مقلتيهـا عتـــابٌ كميـن؟[4]
كـــأنَّ بكفـــى زمـــامَ الشفـــاءِ   ولكنَّنـــى بـــالشفـــاءِ ضنيـــن
لهـــا اللهُ ! هــل حسبَــت أننـــى   بكـــلِّ الـــذى تشتهيــه ضميـــن ؟
بُنيَّـــــةُ ، ليـــس الشفـــــاءُ رداءً   كهـــذا الـــرداءِ الـــذى تَلبَسيـــن[5]
ولا هُـــو للجيـــد عقـــدٌ فـــريـــدٌ   ولا هـــو لـــلأُذْن قُـــرطٌ ثميـــن
ولا هـــو فـى الســوق حلـوى تُبـاعُ   ولا دُميـــةٌ تُشتَـــرَى بـــالمئيـــن
ولكنَّـــه مـــن شُئـــونِ السمـــاءِ   وربِّ السمـــاءِ . فهـل تعـذريـن؟

***

(١) المراح : الخفة والطرب .

(٢) يقصد : أنها كانت تملأ البيت صياحًا ، وتزعج الجيران .

(٣) الأطفال ـ عادة ـ أول من يبشر بقدوم الآباء إلى المنازل .

(٤) تشيح : تعرض .

(٥) يريد : أن ثوب العافية لا يباع عند البزازين ، كما تباع الثياب الحريرية وغيرها .

بنيَّـــةُ ، رفقًـــا بقلـــبِ أبيـــكِ　　　فمـا أنا ــ كـالنـاس ـ مـاءٌ وطيـن [١]

يسيـلُ مـع المـاءِ قلبـى حنـانًـا　　　ويلهـــم عـــودَ المغنِّـــى الحنيـــن

تُخـــدِّدُه عَبَـــراتُ الـــرضيـــعِ　　　ويحنـو علـى الطِّفل وهْـوَ جنيـن [٢]

يكــادُ يــذوبُ لشكـوى الغـريـبِ　　　فكيــف بـه عنــد شكـوى البنيـن؟

***

لقـد حـارَبت شخصِـى الحـادثـاتُ　　　فصـــادفـنَ ذا مِـــرَّةٍ لا يليـــن [٣]

وحـــاربننـى فـــى بنيـن صغـارٍ　　　فـــأدرَكـــنَ منِّـــىَ مـــا يشتهيـــن

عصـــافيـر زغـــبٌ تَـــوَزَّعـنَ ريشـى　　　وخلفننـــى مثـــلَ طيـــرٍ سجيـــن [٤]

حيـــاتهمـــو شُغُـــلٌ شـــاغـــلٌ　　　وفقـــدهمـــو لـــوعـــةٌ لا تبيـــن [٥]

ومـــا أرخصـــت قـــدرهـــم كثـرةٌ　　　ولا هـــان غـــثٌّ ، وعـــزَّ سَميـــن [٦]

أفكِّـــر فـــى غـــدهـــم فـــأُحـــسُّ　　　بـــداءٍ يخـــامـرُ صـــدرى دفيـــن [٧]

إذا أنَـــــا مـــــتُّ وخلفتهـــــم　　　فلـــن يـــرثـــوا غيـــر شعـــرٍ رصيـــن

بنِّـــى مـــدينـــون لـــى بـــالشقـــاءِ　　　وإنـــى لهـــم بـــالشقـــاءِ مـــديـــن !! [٨]

---

(١) يكنى ـ بالمصراع الثانى ـ عن رقة شعوره .

(٢) تخدده : تشققه .

(٣) ذو مرة : ذو قوة . يريد : أنه تحمل ما يصيب شخصه من كوارث الدهر ، وعجز عن تحمل ما يصيب أبناءه .

(٤) زغب : جمع أزغب؛ وهو الطائر الصغير ، الرخو الجناح .

(٥) لا تبين : لا تنقطع .

(٦) الغث والسمين متقابلان ، ومعناهما : الردىء والطيب .

(٧) يخامر : يخالط .

(٨) يريد أنه ــ على مذهب أبى العلاء ــ جنى على أولاده بما سببه لهم من شقاء فى الحياة ، فجازوه مثلا بمثل ؛ بما سببوه له من متاعب .

فلسفة الآلام

أوحت بهذه القصيدة ثورة نفسية ، على إثر ما عاناه الشاعر من بعض الأزمات .

وقائلٍ : كيف أنتَ فى المحَنِ؟ فقلتُ : إلفان نحن من زمن
قد خُلقتَ لى، وقد خُلقتُ لها من قبلِ أن لم تكن ولم أكن
إذا بدت بسمةٌ على شَفَتى تشكو إلى الله غُربَةَ الوطن (١)
تألَّبى يا خطوبُ ، واحتَدِمى عُودى ــ كما تعهدينَ ــ لم يَلِن (٢)
ما عاد فى الأرض حادثٌ جَلَلٌ يحولُ بين الجفونِ والوسن (٣)
من طولِ إلفِ الأسى؛ أنِستُ به فإن أطالَ الجفاءَ ، أوحشنى
أكادُ ألاَّ أعُدَّ من عُمُرى يومى ، إذا ما خلا من الحزن
مَن كانَ حرُّ الهمومِ يَصهَرُهُ فإن حرَّ الهموم يصقلنى (٤)
كم عَمَرتْ باليقين نفسى إن زادت همومى، وفاضَ بى شَجَنى
والهمُّ يجلو النفوسَ إن صَدئت والهمُّ فيه رياضة البدن
واللهِ ، ما نَقمةٌ بلا عوَضٍ كلاَّ ، ولا نَعمةٌ بلا ثمن
كم مِنَّةٍ أعقبت أذى ، وأذى فى طيِّه مِنَّةٌ من المِنَنِ

---

(١) يريد : أن الابتسامة متكلفة فهى أشبه بمن ينزل فى غير وطنه .

(٢) تألبى : تجمعى ، احتدمى : اشتدى .

(٣) الوسن : النوم : يريد : أنه ما عادت تؤرقه الحوادث لكثرة ما ألفها .

(٤) النار تصهر الحديد أى تذيبه ، وهى فى الوقت نفسه تصقل السيف بمعنى تكسبه ملاسة ولمعانًا .

فَلْيُمْعِنِ الـدهـرُ فـى مكـايـده ... إن أنـا لـم أَضطلـع بهـا ، فمَـن؟[1]

لا يـرنـى النـاس شـاكيًـا أبـدًا ... فـإنمـا يشتكـى أخـو الـوهـن[2]

أعـددتُ للحـادثـاتِ إن نـزلـت ... صبـر كـريـمٍ ، بحَملهـا قمـن[3]

لا تـذهـب الحـادثـاتُ فِطنتـهُ ... إن هـى طـاشـت بفطنَـةِ الفَطِـنِ

يسيـرُ وسـطَ الـرُّعـودِ متَّئِـدًا ... كـأنـه سـائرٌ بـلا أُذُنِ[4]

تـزينـه عـزَّةُ الملـوك ، علـى ... جَفَـافِ زادٍ ، وملبَـسٍ خَشِـنِ

يشكـو البِلى ثـوبـه العتيـق ، ولا ... تشـوبُـهُ ذرَّةٌ مـن الـدَّرن[5]

مـا أهـون النفـسَ والنفيـس إذا ... مـا بقـى العرضُ غيـرَ ممتهـن !

كفكف دموعك

دعـونـى أُقضِّـى الحيـاةَ مُـزاحـا ... ووأقطعُهـا بهجـةً وانشـراحًـا

لقـد قـرَّحـت جفنـى العَبَـراتُ ... وأثخـن قلبـى الأنيـنُ جـراحـا[6]

أأقطـع عُمـرى أنينًـا وشكـوى ... وألبسُ فيـه الحـداد وشَـاحـا؟[7]

---

(١) أمعن : توغل ، وفى البيت حذف ؛ أى : فمن يضطلع بها ؟

(٢) الوهن : الضعف .

(٣) قمن : جدير .

(٤) كناية عن : عدم المبالاة بالضجيج ، حتى لكأن به صممًا .

(٥) الدرن : الوسخ : كنى بالبلى عن الفقر ، وبالنظافة عن النزاهة .

(٦) أثخنه جراحًا : ملأه جراحًا .

(٧) الوشاح : لباس خاص من ملابس الزينة .

وما أنا والهمَّ ما دمتُ ألقى ... بدنيايَ خُبزًا، وماءً قراحا ؟[1]

ومن ضاق ذرعًا بدنياهُ ، ضاقت ... عليه، وإن هى كانت براحا

إذا ضَنَّ دهرى بما أبتغيه ... وباتَت علىَّ الليالى شِحاحا

فإنى أرى فى جمالِ السَّماءِ ... وطيب الهواء نعيمًا مُباحا

إذا شرب الناسُ مرَّ الحياةِ ... عصرتُ من المرِّ شهدًا وراحا[2]

وإن حاربتنى صروفُ الزمان ... شَهَرتُ عليها احتقارى سلاحا

فما عاشَ حىٌّ أطالَ الهمومَ ... ولا ماتَ حىٌّ أطالَ المِراحا[3]

لقد جهلَ الغِرُّ فنَّ الحياةِ ... وأدركتُهُ ؛ فابتسمتُ ، وناحا

---

(١) الماء القراح : الصافى .

(٢) الراح : الخمر .

(٣) المراح : الخفة والطرب .

مأتم الخلق !

أنشئت على إثر تبدل بعض الوزارات واختلاف نظرات الناس إلى الحكام؛ تبعًا لتبوئهم كراسى الحكم، أو إقصائهم عنها سنة ١٩٥٠ م .

مَنْ كـان بالأمس يحكى بسمَـةَ الفَلَقِ ... ما بالُه اليومَ يحكى ظُلمة الغَسَقِ ؟[١]

راقَ العيـونَ علـى الكـرسىِّ منظرُهُ ... حتـى إذا خانـه الكـرسُّـى، لم يَـرُقِ

ومـا تغيَّـرت الأشكـالُ مـذ خُلِقَـت ... إنّ التغَيُّـر فـى الآمـاقِ والحَـدَق[٢]

دَورٌ علـى مسـرح الأخـلاق يلعبـه ... قـومـى، وأَرنُـو إليـه بـادىَ القَلَـق

وربَّمـا بـات صدرى ضَيِّقًـا حَـرِجًـا ... ممـا أرى، ولسـانـى غيـرَ مُنطَلِـق

لا درَّ درُّ أنـــاسٍ لا وفـــاءَ لهـــم ... يَلقَونَ كـلَّ جديـدٍ جاء بـالمَلَق ![٣]

سُـوقُ النفاق قـد اصطفَّـت موائدهُـا ... وراحَ يسعـى إليهـا كـلُّ مُـرتـزِق

كَفكِف دمـوعًا على الأمواتِ تَـذرِفُها ... يا صاح، وابكِ معى فى مأتم الخلق[٤]

---

(١) الفلق : النور ، والغسق : الليل .

(٢) الآمـاق جمع مـوق ، والحـدق جمع حـدقة ، ويـريـد بهما : العيـون . أى : أن الأشخاص لم تتغير : لكن النظرات هى التى تغيرت .

(٣) لادر دره : جملة دعائية ، در : فاض ، والدر : اللبن .

(٤) كفكف الدمع : حبسه وكف عن البكاء .

سفينة الموت !

لم تبرح الأذهان بعد فجيعة الباخرة دندرة ، التى ابتلعها نهر النيل بمن أقلته من الركاب ، الذين يمموا القناطر الخيرية ؛ للاحتفال بعيد شم النسم .

فَغَرَ اليمُّ فاه للرُّكبانِ ... وطغى الماءُ ، واختفى الشاطئان[1]

وبدا الموتُ سافرًا كالحَ الوجـ ... ـهِ ، ولم تُجدِ حيلةُ الرُّبان (م)

وتهاوى السفينُ تحتَ جبالٍ ... شاهقات الذُّرا غِلاظِ الرِّعَان[2]

الجبالُ التى على الفُلك ماءٌ ... ربَّ ماء أقسى من الصَّفوان[3]

رُبَّ زيتٍ يفرى البُطون ، وماءٍ ... عبَّ منه مَن ليس بالظمآن[4]

دَخَلَ الموتُ ، يسرقُ الخطوَ ؛ لصًّا ... بين رقص الدُّمى ، وعزفِ الكَمان[5]

سائل الرَّكبَ : كيف صارت أغانيـ ... ـهِ أنينًا يصُكُّ سمع الزمان ؟[6] (م)

واستحالتْ ألحانهُ حشرجاتٍ ... من حلوق النساء والولدان ؟

لهْفَ نفسى على صبى غريرٍ ... غافلٍ عن طوارق الحِدثان

مات فى حِضن أمِّه ! يا لأمٍ ... أدركتها فى لحظة موتتان ![7]

---

(١) فغر فاه : فتح فمه .

(٢) الرعن : أنف الجبل .

(٣) الصفوان : الصخر .

(٤) يريد : الزيت الذى طفا من خزان السفينة على سطح الماء .

(٥) الدمى : التماثيل الجميلة ، يقصد : الغوانى الحسان .

(٦) الصك : الضرب .

(٧) يريد : أن موت ابنها أمامها وموتها هى ، كلاهما موت لها .

لهف نفسى على فتًى أطبقَ المو (م) جُ عليه فخانه الساعدان !

وفتاةٍ زفت إلى النيل بكرًا ومضى عرسُها بلا مهرجان ![1]

ربَّ ناج أصابَ عمرًا جديدًا فقضاهُ فريسةَ الأحزان !

صرخاتُ الغرقى يصُكُّ صداها أُذنيه صكًّا بكلِّ مكان[2]

أيُّها النيلُ، كم عمرت يبابًا وبعثتَ الحياة فى الأبدان[3]

فعلام استحلتَ موتًا زُؤامًا وأشعتَ الخراب فى العمران؟[4]

أعصيرَ الكروم يا نيلُ تحوى أم لعاب الحياتِ والأُفعوان؟[5]

نلتَ ما لم تنلهُ - يا نيلُ - منا ضاريات الأُسود والذُّؤبان[6]

ليتَ شعرى أبتَّ تستكثرُ المنَّـ (م) ـة ؟ ليس الكريمُ بالمنَّان

أم تُراكَ ادَّكَرتَ مالك من ما ضٍ قديمٍ مع الغوانى الحِسَان؟[7]

كنتَ تغتالُ جؤذرًا كلَّ عامٍ فلم اغتلتَ ربربًا فى ثوان؟[8]

صف لنا الحرب: كيف دارت رحاها بين جيش الأطفال والطُّوفان؟

كيف كانت تغالبُ الموتَ غيدٌ بأكفٍ مخضَّبات البَنَان؟[9]

---

(١) يشير إلى: أن النيل حينما كانت تزف إليه الأبكار - فى غابر الأزمان - كان يقترن الزفاف بمهرجان حافل، بخلاف ما حدث فى حادث الباخرة.

(٢) يريد: أن شبح الحادث سيلاحق الناجى منه مدى الحياة.

(٣) اليباب: الخراب.

(٤) الموت الزؤام: الموت السريع.

(٥) عصير الكروم: الخمر، والأفعوان: الحية الخبيثة الذكر.

(٦) الضارى من الأسود والذئاب: هو المتعود الفتك.

(٧) يشير - مرة أخرى - إلى عروس النيل، فى عهد قدماء المصريين.

(٨) الجؤذر: ولد البقرة المتوحشة، والربرب: القطيع.

(٩) الغيد: جمع غيداء، وهى الناعمة البدن.

ربَّ عبْلِ الذراعِ أنحت عليه ... لُجَجٌ ما له بهنَّ يدان[1]

حدِّث الناس ـ أيها النيل ـ عن فطـ (م) ـرةِ حبِّ البقاء في الإنسان[2]

صف لنا: كيف يخطفىء الماءُ نورَ الْـ (م) ـعَين بعدَ البريق واللمعان؟

كيف كان الآذيُّ في القتل أمضى ... من شبا صارم، وحدِّ سنان؟[3]

صف لنا: كيف صعّدت آخر الأنفا (م) سِ فيه، وزمَّت الشَّفتان؟[4]

يا عدوّ النيران إن هي شبَّت ... كيف أصبحت مشعل النيران؟[5]

كم فؤادٍ تركتهُ يتلَظَّى ... في جحيمٍ، وأنتَ نبعُ الجنان؟[6]

***

ذهب القوم يستجمُّون حينًا ... فاستجَمُّوا لكن مدى الأزمان[7]

أزمعوا رحلةً؛ فكانت من الدنـ (م) ـيا إلى العالم البعيد الثاني

مادروا إذ تأنقوا في كساهم ... أنهم يكتسون بالأكفان

كان للموت ما تحلت به الغيـ (م) ـدُ، وما خضَّبته بالألوان

لكأني بالماء سال نُضارًا ... أصفرَ اللونِ من شعور الغواني

---

(١) عبل الذراع: غليظ الذراع، قوى العضلات، و: «ما له بالأمر يدان»؛ أى: هو فوق طاقته.

(٢) يريد: أن ماء النيل شاهد فنونًا من صراع الغرقى فى سبيل النجاة.

(٣) الآذى: الماء، شبا صارم: حد سيف.

(٤) زمت الشفة: أطبقت، وأصله من زمام البعير ونحوه.

(٥) يريد بالنيران الأولى: النيران الحقيقية، وبالنيران الثانية: المجازية؛ أى: نيران الأحزان.

(٦) يشير إلى: الخرافة القديمة القائلة: بأن النيل كان أحد أنهار أربعة تنبع من الجنة.

(٧) الاستجمام: هو الراحة حينًا؛ لاستعادة القوة، واستئناف العمل.

وكأنى بالماءِ سال على الغر (م) قى دموعًا من أعين الخزَّان[1]

***

ربِّ لا أظلمُ المقاديرَ ؛ إنِّى إن بدا الشَّكُّ ، لذتُ بالإيمان

إن نقل : أذنب الكبارُ فماذا قد جناه طفلٌ رضيعُ لبان؟

عبرٌ كلما تأملت فيها عُدتُ منها مُشَتَّتَ الوجدان

أيَّها الهاربون من تعب الأر (م) ضِ ، استريحوا بجنَّة الرَّضوان

إنَّ فى الكوثر الأمانَ لمن عزَّ (م) عليه فى النيل شَطُّ الأمان[2]

شُهداء السَّلامِ أنتم، ويارُبَّ (م) شهيدٍ مَن مات فى الميدان ![3]

(١) يريد بالخزان : خزان القناطر الخيرية ، الذى وقع الحادث على مقربة منه .

(٢) يشير إلى : أن هؤلاء كانوا يودون ـ بجدع الأنف ـ بلوغ شط النيل عند الغرق ، فعز عليهم ذلك .

(٣) يشير إلى : أن من مات غريقًا مات شهيدًا .

من عبث المشيب :

مضيفة الطائرة

عاد الشاعر من رحلة طويلة بطريق الجو ؛
فأوحت إليه مضيفة الطائرة بهذه الأبيات :

سائلوا الرّكب ركب أخت العقاب ... يقطعُ الجوَّ فوقَ متن السَّحاب :[1]

ما شعورى وقد أضاءت شعورى ... بدَبيب الهوى، وطيشِ الشَّباب؟[2]

سحرتْنى مُضيفةٌ ذاتُ وجهٍ ... باسمِ الثغر ، حالمٍ ، جَذاب

لم يدقَّ الفؤاد فى الجو خَوفًا ... أو سرورًا بقرب يوم الإياب

لا ، ولكنْ دقَّ الفؤاد التياعًا ... عند مرأى تلك الثنايا العذاب[3]

غادةٌ تبعثُ السَّلامَ إلى النفـ(م)ـس، وتُنسى الغريبَ طولَ الغياب

ليت شعرى مُضيفةٌ هذه أم ... بسناها كشَّافةٌ للضباب؟[4]

قال جارى : أتلك فى الجوِّ تقضى ... عمرها بين جَيئةٍ وذهاب؟

قلتُ : هل تحسب العصافير يومًا ... لركوب الهواءِ أىَّ حساب؟

---

(١) يكنى ـ بأخت العقاب ـ عن الطائرة .

(٢) شعورى الأولى بمعنى إحساس ، وشعورى الثانية جمع شعر ، ويريد بإضاءة الشعور الشيب .

(٣) الالتياع : اللوعة ، والثنايا العذاب : الأسنان العذبة الرضاب .

(٤) يزعم الشاعر أن هذا الجبين الوضاء يستخدم ككشاف عندما يتكاثف الضباب ؛ حتى ينير للطائرة السبيل .

قـد بلغنا عـدنًا، وتلـك ـ لَعَمْرى ـ هـى إحـدى الكـواعـبِ الأتـراب[1]

قَـدْ بلَغْنـا السمـاءَ حقًـا، وهـذا كـوكـبٌ جـاءَ حـامـلَ الأكـواب

أقبلـت تحمـلُ الشـرابَ بكـفٍ رَخصةٍ ،ضاعفت جمالَ الشراب[2]

قهـوةٌ أَغـدقـت عليهـا قليـلاً مـن سـواد العُيـون والأهـداب

وشـرابٌ معصفـر اللـون ، يحكـى خـدَّهـا أو بنـانَهـا العُنَّـابـى

يـا فتـاتـى، مـا للشَّـراب ومـالـى؟ أنـا أشتـاق رَشفـةً مـن رضـاب !

خيال فى يقظة

من شعر الصبا ، أنشدها الشاعر عندما
أهديت إليه صورة حبيبة إلى نفسه .

ثَغـر الحبيب مـن الإطـار تَبَسَّمـا فحسبتـه أومـا إلـىَّ ، وسلَّمـا

نـاجيتُ صـورتـه ، فعىَّ لسانهـا وأشـار نحـوى لحظهـا متكلمـا

ولـربَّ عيـنٍ فـوق خـدٍّ نـاعـمٍ خطبت ؛ فأسمعت الأصمَّ الأعجما

حمـل البـريـدُ إلـىَّ طيفًـا طـارقًـا قـد زار فـى وضـح النهـار متيَّمـا[3]

مَـن صـادهُ ضـوءُ النَّهـار ، فمـا لَـهُ يغشـى إذا حـالَ النهـارُ وأظلمـا؟[4]

---

(١) يريـد بعدن : جنـة الخلد ، والكواعـب الأتراب : الفتيات النـواهد المتقـاربات السن، وهن بعض ما وعد الله عباده به فى الجنة .

(٢) الكف الرخصة : الناعمة اللينة .

(٣) يريد : أن طيف الحبيب لا يزور إلا ليلا ، ولكن هذا الطيف زار نهارًا .

(٤) يريد : أن التصوير يكون عادة فى ضوء النهار فكيف تطرق الصورة ليلا كما يطرق الطيف ؟

نقشٌ على القرطاس غير مُجَسَّمٍ   برز الجمالُ ؛ فكان فيه مجسَّما
أَفديك، يا رسم الحبيب ؛ فإننى   طالعت معنى الحُسن فيك مُترجما
أَفديك من رسم إذا شاهدتِه   أوحى إلىّ بأن أضُمّ وأَلْثَما
عجبى عليه خمسةً فى مثلها !   وأراه ملء الأرض عندىَ والسَّما[1]
أودعته قلبى بجانب ربِّه   وخشيتُ من حرِّ الغرام عليهما
وحفظته فى العين ، إلا أننى   أشفقتُ من دمعى عليه إذا همى
وخدعت نفسى؛ فاشتكيت له الجـ   ـوى وكأنَّنى مترقِّبٌ أن يَفهما
أوحشتنَى يا رسمُ أم آنستنى؟   وأقمتَ عُرسًا فى الحشا أم مأتما؟
آلمتَ قلبى بادِّكار أَحبَّتى   لكنَّنى أشتاقُ أن يتألَّما

***

قدَّست صورته ــ ولستُ بصابىءٍ ـ   تقديس عبَّاد الهياكل ، والدُّمى[2]
وعرفتُ أنّ الحسنَ معنى مدرَكٌ   بالحسِّ ، لا لحمًا يكونُ ، ولا دما
ورَدَ القلوب حقيقةً ملموسةً   وأتى العقولَ ؛ فكان سرًّا مُبهما

***

يا جُوْذُرًا أدمى فؤادى لحظه   هب لى بربِّك من شفاهِك بلسما[3]
أسلمتَ جسمى للشحوب وللضَّنا   حتى أراهُ غدا لرسمك تَوْءَما[4]
حَسبى خيالُكَ ، إن غضبتَ، يهشُّ لى   وإذا ضَننْتَ بوجنتيك، تكرَّما

---

(١) يريد : خمسة سنتيمترات .

(٢) الصابىء : الراجع عن دينه ، والهياكل، والدمى يريد بهما : التماثيل .

(٣) الخطاب للحبيب ، لا ا لصورته .

(٤) التوءم : من ولد مع آخر فى بطن واحد .

خلَّفتنى أبكى الرُّسوم، وإن يَكن ... عصرُ البكاءِ على الرُّسوم تصرّما[1]

ومصوِّرٍ فوق الطُّروس تخاله ... فى الفنِّ وقّادَ القريحةِ مُلهما[2]

لم يتخذ إلا الطبيعةَ مُرشدًا ... وعلى مسائلها الدِّقاق تعلَّما[3]

قد بات ينقشُ فى الزُّجاج، وما لهُ ... كفٌّ تحرِّكُ ريشةً أو مِرقَما[4]

عَجبى عليها آلةً سحريةً ... تصفُ الوجوهَ طلاقةً وتجهُّما ![5]

لا تَقتَضيك سوى تحرُّكِ إصبعٍ ... حتى تصورَ ما تشاءُ وترسُما

صُورٌ إذا وضعت بجانب أَصلها ... لم تعرف الأصلَ المحاكى منهما

لم يَبقَ من شىءٍ سوى أن يخلقوا ... لحمًا لهاتيك الرُّسوم وأعظما !

---

(١) واضح أن الرسوم الأولى يراد بها : الصور ، وأن الرسوم الثانية يراد بها : الأطلال .

(٢) يصف آلة التصوير .

(٣) يريد : أن هذه الآلة تعتمد على الطبيعة ، والطبيعة هى الموحية باختراعها .

(٤) المرقم : القلم .

(٥) التجهم : ضد الطلاقة .

زعانف إبراهيم

كان المرحـوم دسوقى إباظة أديبًا يقرب الأدباء ، وكان يتسمح به باسـم الأدب بعض الوصوليين ؛ فيكدرون صفو مجالسه الأدبية الممتعة .

زعـانـفُ إبـراهيـمَ كـدَّرنَ صفـوهُ ... ومَـن مثلُ إبـراهيم لـولا زعانفُـه؟(١)

هـو الـروضـةُ الغنَّـاءُ ، طـنَّ ذبـابُهـا ... ففـارقَ مغنـاهـا مـن الطيـر هـاتفُـه

إذا اكتنَـفَ الـزهـر الذبـاب، فـإننـى ... ــ وإن أنبتَـهُ جنَّـةُ الخلـد ــ عـائِفُـه

عـذرنـا أنـاسًـا ينفـق الـزيـفُ عنـدهـم

فكيف ارتَضَـت زيفَ القريض صَيَـارفُه؟(٢)

---

(١) يريد بالزعانف : هؤلاء الوصوليين ، الذين يتمسحون به باسم الأدب .

(٢) ينفق : يروج ، يقول : يعـذر غيرك إذا اشتبه عليه الشاعر بالمتشـاعر ، أما أنت ؛ فإنك تنقد الكلام كما ينقد الصيرفى الدراهم ، فلا عذر لك .

عود إلى مصر

أرجوزة قديمة العهد، استقبل بها الشاعر القاهرة يوم نقل إليها، بعد أن طال مكثه فى الريف، وذلك سنة ١٩٣٨م.

حطَّم قيدَ الأسد السَّجينِ
مُحَطِّمُ الفولاذِ باليمين [(١)]
فليَعُد الليثُ إلى العرينِ
أهلاً بمصرَ البلدِ الأمينِ
من بعدِ تسعةٍ خلت تؤوينى [(٢)]
لانت عروسُ الشرق بعد حينِ
أيةُ عذراءَ بغير لينِ؟
يا فتنةَ الدنيا، وركنَ الدينِ
ومهبطَ الحكمةِ، والفنون
كونى مقرِّى، أو فلا تكونى
سيَّان ـ إن هم عنك أبعدونى:

---

(١) يقصد به: المرحوم أنطون الجميل (باشا)، وقد كان صاحب فضل فى هذا النقل، على إثر مقالة كتبها بعض أدباء المهجر فى مجلة العصبة البرازيلية، يحلل فيها بعض شعر الشاعر، وينعى على وزارة المعارف ـ إذ ذاك ـ تركه بعيدًا عن القاهرة؛ مقر الحركات الأدبية.

(٢) يقصد: تسعة أعوام قضاها ببلدة كوم حمادة، مدرسًا بمدرستها الابتدائية.

بـالهنـد قـد نـزلـتُ ، أو بـالصيـنَ

كـم حـزَّ مثـلَ النَّصـلِ فـي وتينـي

أن تشـدُوَ الطيـورُ فيـك دونـي

الطيـرُ للـريـاض، والغُصـونِ

لا لليبـابِ القفـرِ ، والسجـونِ

***

إليـك شـدوى مطـربَ الـرنيـنَ

مـا أبعـدَ الشـدوَ مـن الأنيـنِ !

لبيـكِ ، يـا مهـدَ الظبـاءِ العيـنِ [1]

ويـا مثـار الشَّجـو والشُّجـونِ

كـم فيـكِ ذاتُ حـاجـب مقـرون

أطلعـت البـدرَ مـن الجبيـنَ

وانتضَـت السيـفَ مـن الجفـونِ

تـوحـى إلـى الجمـاد بـالفُتـونِ

يبحـثُ حسنُهـا عـن العيـونِ

لا بمُخَـدَّر ، ولا مصُـونِ [2]

يسمـو علـى الـريبـةِ والظُّنـونِ

تحيـةَ الـوداع والحنيـنِ [3]

---

(١) العين : جمع عيناء وهى الواسعة العين .

(٢) يقصد : مجرد السفور والتكشف .

(٣) الكلام موجه إلى البلد الذى غادره .

يـا جـارة الصحـراءِ مــن ظعيـنِ[1]

فيــه التقـى المســرورُ بــالحـزيــنَ

كـم فيـك مـن هُـدءٍ ، ومـن سكـونِ

ومـــن نخيـــلٍ وارفِ الغصـــونِ

وخضـــرةٍ ، وسلســـلٍ مَعيـــنِ

ومعشـرٍ بـــالفضـلِ طـوقـونـى

مَحَّضتُهُـمْ ودِّى ، ومحَّضـونـى[2]

لسـتُ علـــى العهـود بـــالأميـنِ

إن أنسَهـــا تسعًـــا مـــن السنيـنِ

***

شكـرى أزفُّـه إلـى « أنطـونِ »[3]

ربِّ البيـانِ المحكَـم الـرصيـنِ

والقلـم المـؤدَّبِ الـرَّزيـنِ

بعـضُ الـورى مـن جـوهـرٍ مكنـونِ

وبعضهُـم مـن حمـأٍ مسنـونِ[4]

---

(١) الظعين : الراحل .

(٢) محضه الود : منحه إياه خالصًا .

(٣) هو المرحوم : أنطون الجميل ـ كما سبقت الإشارة ـ.

(٤) الحمأ المسنون : الطين .

عبرات!

طوى الموت إبراهيم !

ألقيت فى حفل رثاء المرحوم : إبراهيم دسوقى أباظة ، بقاعة يورت التذكارية سنة ١٩٥٣م .

ألا ، ما لهذا الروض صوَّحَ زاهرهُ ... وذابت أغانيه وأجفَلَ طائره ؟(١)

ألا ، ما لهذا البحر غِيضَ عبابهُ ... وعُطِّلَ مُرساه وأُسكت هادره ؟(٢)

ألا ، ما لهذا الطودِ خرَّ أساسُهُ ؟ ... ألا ، ما لهذا الغيثِ أخلف ماطره؟

ألا أيُّها الوفَّادُ، حُلُّوا رِحالكم ... طوى الموتُ إبراهيمَ وانفضَّ سامره !

***

سلوا القصرَ : ما للقصر غشَّى سماءَهُ ... قَتامٌ ، وقُدَّت من حِدادٍ ستائره ؟(٣)

وماذا به من وحشةٍ وتجهُّمٍ ... وكان به فيضٌ من البشر غامره؟

سلام على القصر الذى رِيعَ أهلُه ... فريعت له من كل قصرٍ حرائره

أطوفُ به فى صمته ، وكأنه ... مُصَلى عتيقٌ لا تُقام شعائره

وكنتُ أغنيه ، فيطرَبُ ربُّه ... فما بالُهُ قد أعوَلَ اليومَ شاعره ؟

***

سلام على وجهٍ أغرَّ ، كأنه ... سراجٌ وضىءٌ ، ساطعُ الضوء، باهره

---

(١) صوح : جف ، أجفل : نفر .

(٢) غيض عبابه : نضب ماؤه ، الهادر : الصاخب .

(٣) القتام : الغبار .

سلام علـى ثـاوٍ ثـوت معـه العـلا وضمَّـت عتـاق المكـرمـات مقـابـره

على مـن تداعى حائط المجـد بعدهُ وأقفـر مـن ريـع المـروءة عـامـره

على من لوَ ان الأرض عـدت همومها وعـدّ حصـاهـا ، لا تُعـدُّ مـآثـره

سلام على مـن كنتُ أسطو ببأسـه على الـدهـر إن دارت علـيّ دوائره

ولم أَنـس عهدًا، عهـدُ (نيرون) دونـه إذا أحصيت يـوم الحساب كبـائره[١]

أوى السجـن فيـه كـلُّ شيـخٍ مهـدَّمٍ وكـلُّ صبـيٍّ نـاعمـاتٌ أظـافـره

قضـى حقبـةً فـى أسره لـىَ نـاشـىءٌ غـريـرُ الصِّبـا ، لـم يتَّـق اللهَ آسـره

ولـم يقترف ذنبًـا ، ولـم يجـن مأثمًـا سوى أنـه بالـدين شُـدّت أواصره[٢]

فنـاديـتُ إبـراهيـم ، والأمـرُ حـازبٌ وصـدرىَ بـالآلام يـزخـرُ زاخـره[٣]

فـردَّ علـى يعقـوبَ يـوسـفَ بعـدمـا تيقَّـنَ أنَّ الـذئبَ فى الغـاب عـاقـره

***

رمـاك زمـانٌ كنـتَ تـدفـع شـرَّهُ كـأنـك بالإحسـان للنـاس واتـره[٤]

تـوخَّـاك لمـا كـان مثُلـك نـادرًا بهـذا الـورى ، والـدُّرُّ أغـلاه نـادره

أتبعـد والآمـالُ دانٍ قطـوفهـا ولا تحصُد الحبّ الـذى أنت باذره؟[٥]

رويدك ؛ فـالأوطان يعصـف جيشها بـأغلالهـا ، والنصـرُ تبدو بـوادره[٦]

---

(١) يشير إلى : بعض العهود الغابرة ، وإلى اعتقال أحد أنجاله ظلمًا فى ذلك العهد .

(٢) الأواصر : الروابط ، جمع آصرة .

(٣) حزبه الأمر : أهمه وأكربه .

(٤) وتره : اتخذ عنده ثأرًا .

(٥) يريد : أنـه قضى حياته فى السعـى إلى الاستقلال ، ثم ودع بعـد أن لاحت بوادر النجاح .

(٦) كانت وفاته فى مستهل قيام الثورة المباركة .

عهدناك سبّاقًا إلى نُصرة الحمى | إذا قلّ فى وقت الشدائد ناصره
وتحمـلُ ألوان الأذى فى سبيله | فما كان من ذنبٍ ، فحلمك غافره
إذا ذرفت عيناه ، كَفكَفت دمعه | وإن مسّهُ كسرٌ ، فعطفك جابره
وإن آده عبءٌ ، نهضتَ بحمَله | وإن نالهُ خصمٌ ، فعزمك قاهره[1]
لقد كنت تحبوه بمالكَ حسبةً | إذا راح يجبى باسمه المال تاجره[2]
لك الله حرًا ما ابتغى الحُكم متجرًا | ولا جرَّ نفعًا أهله ومعاشره !
ولا جار فى عهد المظالم حينما | تولّى زمام الحكم فى مصرَ جائره[3]
أميرٌ مُطاع ؛ غير أن ضميره | أميرٌ عليه ، نافذاتٌ أوامره
عيوفٌ ، عفيفٌ يجرحُ الفحشُ سمعه | وفىٌّ ، أمينٌ ، يأمنُ الغدرَ غادره
صريحٌ إذا صافى ، صريح إذا قلى | على وجهه الوضّاحِ تبدو سرائره[4]
إذا ودّ إنسانًا فليس لوده | حدودٌ ، وإن عاداه فهْو مجاهره
طليق المحيا ؛ ما تجهم مرّةً | ولا ثار إلاّ للكرامة ثائره
قريب الرضا ؛ يبقى على الدهر ودُّه | ولا يلبث الهجر الذى هو هاجره
كريمٌ ؛ إذا ما الضَّيف حلّ بداره | تَهشُّ له أرجاؤُها وتسامره[5]
شجاعٌ إذا ضنّ الشُّجاع بنفسه | ولم يبقَ فى الميدان فردٌ يؤازره

---

(١) آده : أثقله .

(٢) حسبة : ابتغاء وجه الله والوطن .

(٣) يعنى : أنه كان وزيرًا صالحًا فى عهد فاسد ، على حد قول المتنبى : « كأنك مستقيم فى محال» .

(٤) قلى : كره وأبغض .

(٥) تهش : تتهلل ، أرجاؤها : أنحاؤها .

فتـى صــاول الجبّـار فـوق ســريـره وإيمـانــه : قـوّاده ، وعســاكـره[١]

***

ولما نعى الناعى الدُّسوقىَّ ؛ أمسكت سماءُ الحمى حزنًا ، وسالت محاجره

وقلت لقلبى : جلّ خطبـك، فانفطر فهذا الذى - يا قلب - كنت تحاذره !

بقلبــى جــراحٌ غــائرات، ومثلهــا بقلب الحمى، والجُرح أرداه غائره[٢]

وكيـف يعـزَّى فـى خسـائره الحمـى إذا هـو كانـت فى الـرجال خسـائره؟

هـمُ الثـروةُ الكبـرى إذا ســادَ أَرضـهُ ســلامٌ ، وهــمْ يـومَ اللقــاءِ ذخــائره

***

ولمـا أُقيـم المهـرجـان ؛ تَهـامَسَـت بنعيـكَ أفـواهٌ ، فـأَعـولَ زامـره[٣]

مشى الركبُ يحدوه الأسى ، فتعثرت ميـامنــهُ فـى سيـرهـا وميــاسـره[٤]

فـلا عيـنَ فيـه لـم تُقَرَّح جفـونُهـا ولا صــدرَ إلا والهمـومُ تخــامـره[٥]

كـأَن صدورَ النـاس حيـن توهَّجـت أَضــاءت بهـــا أنـوارُه ومنــائره[٦]

***

---

(١) يشير إلى : حادث العريضة التاريخية ، التى تقدم بها الفقيد العظيم مع رهط من رجالات مصر ، طـالبين فيها إلى الملك السـابق تنحية غير المسئولين، والكف عن بعض ما كان يأتيه من التصرفات .

(٢) أرداه : أشده فتكًا ، والغائر : العميق .

(٣) أعول زامره : انقلب مغنيه نائحًا ، ويريد بـالمهرجان : احتفالاً قوميًا أقيم بمصر لبعض المناسبات الوطنية ، وكانت وفاة الفقيد إبان قيام ذلك المهرجان .

(٤) يريد : أن المهرجان من شدة أسفه على الفقيد، كأنما كان الحزن حاديًا له .

(٥) تخامره : تخالطه .

(٦) يقول : إن هذه الأضواء التـى تبدو فوق المنائر وفى الميادين نتيجة التسعر الذى أججه الحزن .

سلوا عن عُكاظٍ : هل تعطَّل سوقه ؟ وهل حُطِّمت أعوادهُ ومزاهره؟[1]

سلوا الأدبَ الفياضَ : هل غاض نبعه ؟ وهل طُويت أقلامُه ومحابره؟

أَمِن بعد إبراهيمَ للشعب موكبٌ يُقام بمصرٍ أو تُدقُّ بشائره ؟

وهل بعد إبراهيمَ من مُتكلمٍ يُحاضرنا ، أو من سميعٍ نحاضره ؟

لقد كان حصنًا للأديب ؛ فإن يمت فكلُّ أديبٍ تاعسُ الجدِّ عاثره[2]

مضى ناظمُ الشعر الرصين قلائدًا وناقدُه نقدَ البصير ، وناشره !

وما الشعرُ إلا الروحُ ، لو أنها سرت إلى هيكلٍ بالٍ ، تحرّكَ ناخره[3]

به يقدم الهيَّابُ فى ساحة الوغى ويأنسُ من وحش المفاوزِ نافره[4]

وما عالَمٌ لم يصقل الشعر ذوقه ؟ وما أُمَّةٌ لم تعلُ فيها منابره ؟

إذا لم تَقُم للشعر فى الشعب دولةٌ تيقنت أنّ الشعبَ ماتَتْ مشاعره

***

وقفتُ على قبر الدسوقيِّ وقفةً يُساورنى فيها الأسى وأُساوره[5]

عرفتُ بها الأفلاكَ كيف وقوفُها وأدركت هذا الخلقَ كيف مصايره

وآمنتُ أنّ المجدَ ، والجاهَ ، والعلا سرابٌ كذوبٌ ، يخدعُ الناسَ ظاهره

---

(١) عكاظ : موضع معروف فى بلاد العرب ، كانت تقام فيه سوق أدبية فى موسم معين كل عام، وقد أحيا الفقيد فى مصر ـ فى العصر الحديث ـ هذه السوق بتوفره على خدمة الأدب وتشجيع الأدباء .

(٢) الجد : الحظ .

(٣) الناخر : البالى المتآكل .

(٤) المفاوز : جمع مفازة ؛ وهى المغارة .

(٥) ساوره : هاجمه .

كــأنَّــىَ مــا أبصــرت جــامَ منيَّــةٍ يــدور ، ولا أيقنــت أنِّــى معــاقــره[١]

فيـا لَكَ قبـرًا يخطـب الناس صخـره ويُــدركُ أســرارَ العــوالـــم زائره !

ويا لـك قبرًا خُـطَّ فى الأرض معهـدًا وبزَّ ابن سينا فى الحقائق حافره ![٢]

***

ألا أيهــا البيـتُ الكريـم نِجَـارُهُ مصابك يـؤتى الأجر ضعفين صابره[٣]

تشـاطرك الأحـزان مصـر ، ولم يهـن حزيـنٌ ، غداةَ الحـزن مصرُ تشـاطره

ومـا مــات إبـراهيـمُ ، لكنَّــه علـى ممرِّ الليـالى خـالدُ الـذكر ، عـاطره

سـلامٌ عليــه كلمــا ذُكـر اسمُــه فعطَّــرَ أرجـــاءَ الكنـانـــة ذاكــره

ســلام عليـــه راحَ وهْــو مُبــرَّأٌ تقىٌّ ، نقـىٌّ ، أبيض الثوب ، طـاهره

مضـى ، وبيمنـاه سجـلُّ حيـاتـه : يشـرِّفُ مـاضيه ، ويُشـرق حـاضـره

إذا كــان لــلأطهـار سفـرٌ يضمُّهـم فـأوَّلُ هــذا السِّفـرِ أنــتَ وآخـره[٤]

***

---

(١) الجام : الكأس الكبيرة ، وعاقر الكأس : شرب ما فيها من العقار أى الخمر . .
يقول : لقد أبرز مـوتك عظات الموت إبرازًا ، أوهمنى أننـى أرى الموت لأول مرة
على كثرة ما رأيت من الأموات .

(٢) ابن سينا : هو الفيلسوف المعروف ، يقول : إن حافر قبرك قدم للناس من فلسفة
الحياة وحقائق الأشياء ، ما لم يقدمه هذا الفيلسوف العظيم .

(٣) النجار : الأصل ، والمراد : أن أجر الصبر يزيد بفداحة الخطب .

(٤) السفر : الكتاب .

أبـو الشعـراء ![1]

أبيات ارتجلها الشاعر ، وهو سائر خلف نعش الفقيـد إبـراهيم دسوقى أبـاظة ، ونشـرت مع نعيه .

يا مصرُ ، شُقِّى ثياب العرسُ ، وانتحبى !! مَن فى الحمى بعـد إبراهيم للأدب ؟[2]

يـــا رائدَ الأدب العـــالـــى وراعيَـــهُ فى الشرق ، رُزْؤُك رُزءُ الضـاد والعرب

إن يـذرفِ الشعـراءُ الـدمـعَ فيـك دمًـا مـلء العيـون ، فما يَبكـون غيـرَ أب

أقسمـت ، مـا فقـدوا إلا أبًـا حَـدبًـا بل كنتَ أحنى عليهم من أبٍ حَدب[3]

يـا طـاهـرَ الثـوب لـم يعلَـقْ بـه وضـرٌ مذ كان لو شِيب مـاءُ المُزن لم يُشب[4]

يـا مُسدىَ اليـد ، لا يـرمـى إلى غـرضٍ وكاشـفَ الضُّرِّ ، لا يسعـى إلى أرَب

كنـتَ البقيَّـةَ مـن قـوم عـرفتُهُمـو عونًـا على الدهـر ، دفَّاعيـن للكُرَب

اصعَـد إلـى المـلأ الأعلـى ؛ فـإنَّ بـه مثـواكَ ، وانعـم بُلقيـا اللهِ ، واقتـرب

قـد عشتَ فـى العالـم الأرضـىّ مغتربًـا فـانـزل بجنَّـاتِ عــدنٍ غَيـرَ مُغتَـرب

ما أنصفـوكَ ـ لعمرى ـ فى الوفـاة ، ولو خَطُّوا ضـريَحكُ بين السبعـة الشُّهُب

---

(١) كان هذا هو لقب الفقيد العظيم .

(٢) يعنى بالعرس : المهرجان القومى الذى توفى الفقيد إبان قيامه .

(٣) الحدب : العطوف .

(٤) الوضر : الدنس ، ماء المزن : ماء السحاب ، وبه يضرب المثل فى الصفاء .

الطبيب الشاعر!

في ذكرى الأربعين لوفاة الدكتور : إبراهيم ناجي .

فيمَ البقاءُ وهؤلاء رفاقي — يتساقطون تساقط الأوراق ؟[1]

سبق الرفاقُ ، وسوف ألحقُ راضيًا — أو كارهًا . مرحى بيوم لحاقي! [2]

سبق الرفاقُ وخلّفوني، بعدما — سَلَبوا صَباحي بهجةَ الإشراق

سلبوا سَوادَ العين، ثم طَلَوا به — وجْهَ النهار ؛ فصار ليلَ مَحاق[3]

لم يُبق إبراهيمُ لي سَلوى، سوى — جلدى، وراح سَميُّه بالباقي[4]

كم راحلٍ أَبْكي عليه ، وإنَّني — لأَحَقُّ منه بدمْعيَ المُهْراق !

إن الذين كَوَى حشايَ فراقُهم — لم يَشْعُروا تحتَ الثرى بفراقي

***

ناجي ، ببطن الأرض نَاجِ أحبّتي — وانقُلْ إليهم - في الثرى - أشواقي[5]

صفْ للأحبَّة ما لقينا بعدَهُم — واذكُر لهم أنّا على الميثاق

ولقد فقدتُك ؛ فافتقدتُ مدامعي — فوجدتُها نَزَحتْ من الآماق

أنفقتُ دمعي في وداع أحبّتي — يفني كثيرُ المال بالإنفاق

فلْتَبْكِ أحداقي بذَوبْ حبوبها — إن لم تَجُدْ بدموعها أحداقي

---

(١) تصادف فى عام وفاة الفقيد أن فجع الشاعر بعدة أصدقاء أعزاء .

(٢) مرحى : كلمة يقصد بها الترحيب .

(٣) ليلة المحاق : الليلة التى يختفى فيها القمر .

(٤) يقصد : المرحوم إبراهيم دسوقى أباظة ، وسميه : إبراهيم ناجى .

(٥) « ناجى » الأولى منادى ، و « ناج » الثانى فعل أمر من ناجى يناجى .

يا راقىَ المرضى، وكاشفَ ضُرّهم هل للحِمام وسهمِه من راق ؟[1]

مَن كان ترياقَ العليل قضى، ولم يُعثَر لعلّته على ترياق

ماذا أصابَ الطَّبَّ فى أُسطونه ؟ ماذا كبا بجواده السبَّاق ؟[2]

مات الذى يأسو الجراح بطِّبه وبِبشره . والبشرُ طبٌّ واق

يستقبل المَرضَى بوجه باسمٍ صافٍ صفاءَ مدامع العشاق

ودعابةٍ تقضى على الأشجان ؛ ما جرحت ، ولا ندَّت عن الأذواق[3]

رفَّاءُ أجسامٍ يرمُّ قديمَها بأناملٍ مثلِ الخيوط دقاق

يا حاملاً كأسَ الشفاء بكفّه أتموتُ من ظمأٍ وأنت الساقى ؟

قد كنتَ – إن أَرقٌ عرانى – مفزعى فغدوت أنت السِّرَّ فى إيراقى[4]

الهمُّ بعدك فوق صدرى جاثمٌ والغمُّ بعدك آخذٌ بخناقى

والقلبُ بعدك لجَّ فى خفقانه فمن الطَّبيبُ لقلبىَ الخفَّاق ؟

يا واصلَ الآجال – بعد اللهِ – فى دنيا الفناء ، وواصل الأرزاق

كم بائسٍ يبكيك كنتَ طبيبه من علتين : السُّقم ، والإملاق[5]

ويتيمةٍ خلَّفتَها وكأنها « ليلى » تُردِّد : « ليت للبرَّاق » ![6]

---

(١) رقاه : عالجه بالرقى ، والمراد ـ هنا ـ : مطلق العلاج .

(٢) الأسطون : العمود ونحوه .

(٣) ندت عن الذوق : خرجت عنه .

(٤) إيراق : مصدر آرق مزيد أرق الثلاثى .

(٥) الإملاق : الفقر .

(٦) يشير إلى : ليلى العفيفة ، وقصتها مع البراق ، وقصيدتها التى مطلعها :

ليت للبراق عينا ، فترى ما أقاسى من شقاء وعنا !

قتلتـك نفـسٌ حـرَّةٌ عمـلاقـةٌ ... حلَّت بجسـمٍ ليس بـالعمـلاق[1]

مـاذا خُلقـتَ ؟ أكتلـةً مـن أكبـدٍ ... أم مـن عـواطـفَ كـالنسيـمِ رقـاق؟

مـاذا خُلقـت ؟ دمًـا ولحمًـا أم سنًـا ... وأشعـةً ؟ آمنـتُ بـالخَـلاق

لـم تَعـرُ قلبَـكَ سكتـةٌ ، لكنـه ... قـد ذاب من عطـفٍ ومن إشفـاق[2]

للطِّبِّ كنـتَ ، وللقريـض، وللنَّدى ... يـا كـوكبًـا متعـدد الآفــاق

قالوا : شفى الأبـدان . قلت : وشعره ... طـبُّ النفـوس ، وصحَّـةُ الأخـلاق

يـا كـاسِـيَ الأدبِ الـرفيـعِ مطـارفًـا ... يبلـى الـزمـانُ بلًـى ، وهـنَّ بـواق[3]

ومقلـدَ الشعـر الحـديـث قـوافيًـا ... تسـرى مـن الأعمـاق لـلأعمـاق[4]

خفَّت ، وخفَّ على المسامع وقعُها ... فشـدا شـآمـيٌّ بهـا ، وعـراقـى

أبقـى مـن الهـرمَيْـن ، إلا أنَّهـا ... منحـوتـةٌ مـن سـائلٍ رقـراق[5]

***

نَـم آمنًـا ! يكفيـكَ مـا عـانيـتَ فـى ... دنيـاك مـن عَنَـتٍ ومـن إرهـاق !

لا تـرهبَـنَّ مـن المقـابـر وحشـةً ... يـا صـاح ؛ فهـى كثيـرةُ الطُّـرَّاق[6]

لا تحسَبـنَّ المـوتَ بينًـا ، إنَّـهُ ... بيـنَ الأحبـةِ مـوعـدٌ وتـلاقـى[7]

---

(١) كان الفقيد ضئيـل الجسم كبير النفس ، وكبـر النفس يحمل الجسم ـ ولا سيما الضئيل ـ ما لا يحتمل .

(٢) مات الفقيد بالسكتة القلبية .

(٣) المطارف : جمع مطرف ، وهو نوع خاص من الثياب .

(٤) يقصد : أنها تخرج من أعماق قلبه ، وتنفذ إلى أعماق قلب سامعه .

(٥) يقصد بالسائل الرقراق : الماء ونحوه .

(٦) يقصد بكثرة الطراق : أن من يفـد على المقابر من أحبائنا أكثر ممـن لنا منهم فى الدنيا .

(٧) بينا : فراقًا وانقطاعًا .

لا تـأسَفَــنَّ علـى الحيـاة ؛ فــإنهـا ... كـانـتْ ــ وما زالـتْ ــ مجـالَ نفـاق

بيــن الحيــاة وبيــن كــلِّ فضيلــةٍ ... حــربٌ علــى قـــدمٍ تقــومُ وســاق

يهنيــكَ أنـت حللــتَ دارَ مثـوبــةٍ ... وحللـــتُ دارَ تنــاحــرٍ وشقــاق

إنَّ الحيـاةَ ـ كمـا علمتَ ــ سلاسـلٌ ... مــن فضـــةٍ دارت علــى الأعنـــاق

حلِّــق بـروحــكَ فــى سمــاءٍ حُــرةٍ ... لــم تُخلَــقِ الأطيــارُ لــلأطــواق

مــا أنـتَ إلا صــادحٌ قــد فرَّ مــن ... قفــص الحيـاة ، وفــاز بـالإطــلاق

فقيد القناة

ألقيت فى حفل تأبين المرحوم : حلمى بهجت بدوى ، رئيس هيئة القناة بعد تأميمها سنة ١٩٥٧م .

أطالَ الرُّقادَ حليفُ السَّهر — وألقى العصا بعدَ طول السَّفر (١)

وكَفَّ عن النَّبض قلبٌ كبيرٌ — بأضلاعهِ ليلةً ما استقَر

تُردِّدُ دقَّاتُهُ اسمَ الحمى — كما ردَّدَ النَّغماتِ الوتر

ويخفُقُ خفقًا بحبِّ السلام — كما يخفقُ الطيرُ فوقَ الشَّجرَ

عرَتْهُ على غرةٍ سكتةٌ — فلا قلبَ إلا عليه انفطر (٢)

قضى فجأةً ! ما شكا علَّةً — ولا عزمُهُ بفُتور شعر

ولا عادهُ عائدٌ فى الفراشِ — ولا ناله فى الفراش الضَّجر

ولا جُرِّعَ المرَّ مرَّ الدواءِ — ولا وخَزَتْ مَنكبيهِ الإبر (٣)

ولكن شكت بعده مصرُ داءً — عُضالاً وجُرحًا عميقَ الأثر (٤)

كذلك كانَ لطيفًا به — وكان عنيفًا علينا القدر (٥)

مضت بعدَكَ الأربعون، فأينَ — جمالُ الأصيلِ وسحرُ السّحر ؟

---

(١) كان الفقيد فى منصبه الأخير ـ رئيس هيئة القناة ـ كثير الإجهاد ، كثير الأسفار .

(٢) كان موت الفقيد بالسكتة القلبية .

(٣) يريد : ما يعطاه المريض عادة من مختلف الأمصال .

(٤) يقول : لم تشك أنت داء ، ولكن الذى شكا هو الوطن ؛ شكا فقدك .

(٥) يقول : إن القدر رحمك من آلام العلل ومقدمات الموت ، وقسا علينا ؛ إذ نعيت لنا فجأة دون سابقة إنذار .

وحـلَّ الـربيـعُ وأنـتَ بعيـدٌ فهـل للـربيـع بهـاءٌ بَهَـر ؟

يـذكِّـرنـا بـك نفـحُ الـرِّيـاضِ ومـرُّ النّسِيـمِ ، وضـوءُ القَمَـر

كـأنـك صُـوِّرتَ مـن كـلِّ هـذا أو انتُـزعَـتْ منـك تلـك الصُّـور

لعمـرُك ، مـا نسِيتُـك بـلادٌ وهبـتَ لهـا النفسَ منـذُ الصِّغـر

تـرى مصرُ روحَـك فـى كـلِّ نجمٍ يغيـبُ، وفـى كـلِّ نجـمٍ ظهـر

إذا حـدَّثَـتْ ، كنت أنـتَ الحـديـثَ وإن سَمَـرت، كنـتَ أنـت السَّمَـر

وقـد تُفصِـحُ العَبَـرَاتُ الغِـزارُ إذا أدركَ النـاطقيـن الحَصَـر[1]

وليـتَ بمصـرَ زمـامَ القضـاءِ فمـا كنـت فـى العـدل إلا عُمـر[2]

ومـا كنـتَ إلا كيـوسُـفَ حيـنَ أصيبـت بسبـعٍ عجـافٍ أُخَـر[3]

وهـل نسيـتَ مصـرُ يـومَ القنـاةِ ومـا يـومُهـا غيـرُ يـومٍ أغَـرّ ؟[4]

دعـاكَ جمـالٌ لإنقـاذِهـا فكنـتَ لهـا المُنقـذَ المنتَظَـر

رويـدك ! لـم تُلْـق مصـرُ السـلاحَ ولا انجـاب عنهـا ضبـابُ الخطـر[5]

فقَـدنـاك فقـدَ الغـريـب الـدليـلَ فقَـدنـاك فقـد الفـلاةِ المطـر

ومـن ذا يجيـبُ القنـاةَ إذا مـا أهـابـت بفـارسهـا المـدَّخَـر ؟

ليهنِـكَ: أنَّـك مـامـتَّ إلا وغـرسُ يمينِـكَ دانـى الثَّمـر

---

(١) الحصر : العى عن النطق .

(٢) كان من بين المناصب التى ويليها الفقيد: مناصب القضاء .

(٣) كان الفقيد وزيرًا للتموين قبل منصبـه الأخير ، ويقصد بالسبع العجاف: سنوات الأزمة ، ويقصد بيوسف : يوسف الصديـق الذى ولاه العزيز خزائن مصر فى أيام الجدب .

(٤) يقصد بيوم القناة : يوم إعلان تأميمها .

(٥) يقـول : تمهـل قليـلا ، ولا تعتقـد أن رسـالتك قـد انتهت ، فـإن الخطر ما زال مخيما .

بفضلِـكَ صينَـتْ حقـوقُ البـلاد — ورُدَّ (القنـالُ) إلـى مـن حفـر

أدرتَ الأمـورَ بعـزمـة ليـثٍ — ومُقلـةِ صقْـرٍ شـديـد الحـذر

إلـى أن أقـرَّ لمصـرَ العـدوُّ — وآمـنَ كـرهًـا بهـا مـن كَفَـر[1]

عصَفـتَ (بإيـدنَ) عصـفَ الريـاحِ — وقالـوا : استقالَ ، فقلنـا : انتحر[2]

غِنَـى الشَّرق أنـت إذا الشـرق يـومًـا — إلـى السـاعِـد الأجنبـىِّ افتَقَـر

ومثلُـكَ يمـلأُ كـلَّ فـراغٍ — ويقطـعُ حجَّـةَ « أَيْـزِنْهَـوَر »[3]

وليـس الفـراغُ بشـرقٍ وغـربٍ — ولكنَّـه فـى رءوس البشـر[4]

لعمـرىَ ، مـا كنـتَ إلا شهيـدًا — على الخصم ـ قبلَ المماتِ ـ انتصر[5]

قـد اقتَـرَنَ اسمُـك بـاسم القنـاةِ — وخلَّـدَ ذكـرَكَ هـذا المَمَـرّ

وصُـوِّرَ شخصُـك فـوقَ الضفـافِ — هنـالـك ، لا هيكـلاً مـن حَجَـر

ولكنهـا صـورةٌ مـن شُعـاعٍ — وروحٍ يَـراهـا الحِجـا ، لا البصـر

إذا كـانَ رمـزَ الخَنـا « دِيلِسِبْسُ » — فـإنـك رمـزُ العُـلا والظَّفَـر[6]

فيـا آلَ حلمـى ، ومـا آلُ حلمـى — سـوى أسـرةٍ مـن كِـرام الأُسَـر

---

(١) كانت الدول المعادية ـ بسبب تأميم القناة ـ تعتقد أن مصر ستفشل فى إدارتها ، وقد بذلت كل ما استطاعت فى سبيل تحقيق هذه الغاية ، ولكن خاب فألهم .

(٢) يريد أن الفقيد صفع « إيدن » بحنكته فى إدارة القناة ، فكان هذا من أسباب استقالته ، التى تعتبر موتًا أدبيًا .

(٣) تصادف فى ذلك الوقت : أن طلع علينا رئيس الولايات المتحدة (أيزنهاور) بنظرية ملء الفراغ الذى حدث فى الشرق .

(٤) يقصد : أن الفراغ إنما هو فى رءوس أصحاب هذه النظرية .

(٥) يقصد بالانتصار : نجاح مصر فى تأميم القناة وإدارتها .

(٦) « ديليسبس » : هو المهندس الفرنسى الذى صمم القناة ، ولعب دورًا لا ينساه التاريخ فى تمليكها للأجانب .

عــزاءً ! فــإنَّ الكــريـم إذا مــا ... أصيــبَ بفَقــدِ عــزيــزٍ صبـر !

مصــابٌ كبيــرٌ ! ولكــنْ لكُــم ... قلــوبٌ تضــارعُــهُ فــى الكِبــر

كفى أنَّــه : مــات عفًّــا ، نـزيهًـا ... لــه سيــرةٌ كَـأَريــج الــزَّهــر (١)

لـــه سيــرةٌ يتَحَـدَّى الـــورودَ ... شــذاهــا ، ومــا النــاسُ إلا سِيــرَ

تشــاطــرُكُــم رزءَهُ مصــرُ طــرًّا ... بـل النيــلُ أجمعه ، بــل مُضـر (٢)

مشـى خلفـهُ الشَّعب سيـلاً ، وسيـلٌ ... سـواه علــى الـوَجَنَـات انحـدر (٣)

إلــى ستــره تشـرئبّ العيــونُ ... فيحجُـبُ دمعُ العيـون النظـر (٤)

وقــد خيَّـم الحـزنُ فـوقَ الجميـعِ ... وأجَّــجَ بيــن الضلــوع الشَّــرَر

يُسَــائل كــلٌّ أخــاه : متــى ؟ ... وكيـف ؟ وعنـد القضــاء الخبـر (٥)

وكــم ســائرٍ سـارهــا خُطــوةً ... فلمَّــا تخطَّــى ســواهــا عثــر

فِـروا وعظكــم ، أيهـا الــواعظــونَ ... فكـم فـى المنـايـا لنـا مـن عِبَـر (٦)

أَلاعيــبُ نحــن بكــفِّ القضـــاءِ ... هــو الصـولجــانُ ، ونحـنُ الأُكــر

---

(١) الأريج : العبير .

(٢) يقصد بمصر : العرب أجمع ، ومضر : جد قديم تنسب إليه العرب .

(٣) يقصد بالسيل الأول : جموع الناس ، وبالسيل الثانى : الدموع المتدفقة .

(٤) تشرئب : تتطاول .

(٥) أى متى مات ؟ وكيف مات ؟ .

(٦) فروا فعل أمـر من وفر يفر ؛ أى : وفـروا وعظكم على أنفسكم ، فكفـى بمثل هذا الحادث واعظًا !

شيخ القضاة

ألقيت فى حفل تأبين المرحوم : عبد العزيز (باشا) فهمى

نِضْوُ السُّهاد أطال من إغفائه ... وشفاه شافى المَوْتِ من بُرحائِهِ[1]

ألقى عصاهُ ، واستراح بمرفأٍ ... يلقَى المجاهد فيه حسن جزائه[2]

مات الذى لم ينس مصرًا ، والرَّدى ... يمشى بطىءَ الخطو فى أعضائه

ما زال فى الميدان يحملُ سيفهُ ... ويصولُ حتى خرَّ من إعيائِهِ[3]

كان الهُتافُ لمصرَ كلَّ أنينه ... فوق الفراش ، وكان بعضَ دوائه

***

عبدُ العزيز خلا بمصرَ مكانهُ ... فى طول ساحته ، وعرض فضائه

كَونٌ برَمَّته خلا من أهله ... يا من لهذا الكون بعد خلائه ؟

هبةُ الهباتِ سخا الزمان بها على ... هذا الوجودِ ، وضنَّ بعد سخائه

لهفى عليه وألفُ لهفىَ ما خبتْ ... شمسُ الضحى ، وخبا شعاعُ ذكائه !!

الموتُ أطفأ ذلك الذهن الذى ... عجز الضنا والشَّيبُ عن إطفائه

جسمٌ نحيلٌ ، غيرَ أنَّ وراءَهُ ... أفُقًا يتيه الظنُّ فى أرجائه[4]

---

(١) النضو : المتعب المكدود ، وشافى الموت : من إضافة الصفة إلى الموصوف ، والبرحاء : العلة .

(٢) المرفأ : المرسى .

(٣) ظل الفقيد ـ على الرغم من شيخوخته وطول علته ـ يعمل حتى لفظ النفس الأخير .

(٤) الأرجاء : الأنحاء .

وقـريحــةً نفَّـاذةً ، لـــو وكِّلـت بالغيب ، ما عيَّت بكشف غطائه[1]

قالوا : السياسةُ ، قلتُ : كان إمامَها أمـا القضـاءُ ؛ فكـان بـدرَ سمـائه

كـم جولـةٍ فـى مجمـع الفصحى لـه بيـن النجـوم الـزُّهـرِ مـن علمـائه[2]

والعبقـريّـةُ أينمـا وجَّهتهـا تسمـو بصـاحبهـا علـى نظـرائه

***

لمَّـا نعـى شيخَ القُضـاةِ نعـاتُـه قلنـا : قضـاءُ الله فـوقَ قضـائه[3]

حُكْـمٌ مضى كـالسَّهـم فيمن حكمـهُ قـد كـان مثـلَ السهـم عنـد مَضَـائه

بكـتِ العـدالـة يـومَ مـات ، كـأنـهُ صخـرٌ بكتـه مُقلَتَـا خنسـائه[4]

عـرفتـهُ يفنـى فـى سبيـل حيـاتهـا ويقيـمُ حـائطهـا علـى أشـلائه[5]

دُستُـورهـا مـا خَـطَّ مـن أحكـامـه وتنـاقـلَ الفُقهـاءُ مـن آرائه[6]

***

مـات الـذى اشترك الأحبـةُ والعـدا بقلـوبهـم فـى نَعْيـه وبُكـائه

لا تَنثُـروا الأزهـارَ حـولَ ضـريحـه فخـلالـه ينفَحْـنَ فـى أنحـائه

---

(١) يصفه بصدق الفراسة ، وإصابة النظر .

(٢) عمـل الفقيـد فـى أخريات أيامـه ، عضوًا بـالمجمع اللغـوى فكان لـه فيه نشاط ملحوظ .

(٣) الضمير فى : « قضائه » يعود على شيخ القضاة .

(٤) ذهبت الخنساء الشاعـر الجاهلية مثلا ، يضرب فى شدة الحـزن ؛ لكثرة ما بكت أخاها صخرًا .

(٥) الأشلاء : بقايا جسم الإنسان .

(٦) كانت أحكـام الفقيد تعتبر مبادىء يسيـر عليها القضاة ، وتفسيرًا لمـا غمض من مواد القوانين .

هَتفَتْ شمائلُهُ بملءِ لَهاتِها ... تَرثيه قبل هُتافنا برثائه[1]

والله ما نظمَ الرثاءَ لراحلٍ ... كَلِسانِ ما أسداه من آلائه[2]

ومن الثناءِ: مُمحّضٌ، ومموَّهٌ ... لكنّ صدقَ القول غيرُ ريائه

هذا الذى ولّى نقىَّ الثوب؛ ما ... من شبهةٍ علقت بذيل ردائه

قد كان أرفعَ قيمةً من دهره ... وأجلَّ من حِرمانهِ وعطائه

النّفىُ لم يقدر على إخضاعهِ ... والحُكمُ لم يقدر على إغرائه[3]

من أجل مصرٍ ما يجيشُ بصدره ... من حُبِّه للناس أو بغضائه

وإذا أحبَّ، فلن تراهُ محابيًا ... شتَّان بين: حبيبه، وحبائه

يهوى ويَقلِى، وهْو فى كلتيهما ... بالعقل مغلوبٌ على أهوائه[4]

وينالُ بالإسفاف منه غريمُهُ ... وبغير ذاكَ ينالُ من غُرمائه[5]

خصمٌ شريفٌ إذ يصول، وربما ... أغضى؛ فكان القتلُ فى إغضائه

حُرٌّ، حمىُّ الأنف، إن سيمَ الأذى ... فالموتُ - كلُّ الموت - دون رضائه[6]

أنفٌ، لو أن الخُلدَ شيبَ هواؤهُ ... بغبار ضَيمٍ، عاف شَمَّ هوائه

وصراحةٌ فى الرأى يبديه وإن ... لم يَرضَ ذو الجبروتِ عن إبدائه

---

(١) الشمائل: الخصال، اللهاة: عضلة تعترض الحلق، والهتاف بملء اللهاة: كناية عن الجهر.

(٢) الآلاء: النعم.

(٣) نفى الفقيد فى حركة سنة ١٩١٩، ثم ولى الوزارة، فلم يغير ذلك من مبادئه شيئًا

(٤) يقلى: يكره ويبغض.

(٥) الإسفاف: الانحطاط، والمراد به - هنا - : لغو القول ونابيه.

(٦) سيم الأذى: كلف احتماله.

عجَبى له ؛ كيف استطاعَ الصدقَ فى ... لغة السياسة وهْى من أعدائه ؟![1]

قد كانَ فى هذا الزمان وأهلِه ... معنى جميلا فى كتابِ شائه[2]

لو كان صادفَ مثلَه (دوجينُ) ، لم ... يبحث عن الرجل الشريف التائه[3]

***

هذا الرُّفاتُ سجلُّ أكبرِ ثورةٍ ... بالله ، لا تطووهُ عن قرّائه[4]

خُطُّوا على مرأى العيون ضريحهُ ... ثم اكتُبوا التاريخَ من إملائه

وخذوا الحقائق عنه بعدَ مماته ... والميْتُ مؤتَمَنٌ على أنبائه

هذا بقيَّةُ معشرٍ قد خطَّ فى ... صُحُف الجهاد كتابَه بدمائه

اليومَ نفقدُ صاحبيه بفقده ... فَنِىَ الثلاثةُ جملةً بفنائه[5]

لما أهابَ النيلُ ـ فى الجُلَّى ـ بهم ... لبَّوْه أطهرَ أنفسًا من مائه[6]

فتَحوا على المحتلِّ بابَ عرينِه ... ولَقُوهُ وهْو يتيهُ فى غُلوائه[7]

---

(١) الضمير « هى » : يعود على « لغة السياسة » ، وضمير « أعدائه » : يعود على الصدق . وقد قرأت أن تشرشل مر على قبر كتب عليه : « هنا يرقد السياسى الصريح فلان » فقال : « عجبًا ! كيف يرقد اثنان فى تابوت واحد ؟! » .

(٢) شائه : اسم فاعل من شاه بمعنى قبح .

(٣) يشير إلى قصة « ديوجين » المشهورة ، وكيف كان يسير بالمصباح نهارًا ، وهو يقول : « إننى أفتش عن الرجل » .

(٤) يشير ـ فى هذا البيت ـ وما بعده إلى : دفن الفقيد فى مكان بارز حتى يذكر بتاريخ حافل بالجهاد .

(٥) يقصد بصاحبيه : سعد زغلول ، وعلى شعراوى .

(٦) يشير إلى : أن هؤلاء النفر الثلاثة كانوا أول من دق ناقوس الحركة الوطنية فى سنة ١٩١٩ ، عقب أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها ؛ بذهابهم إلى دار المندوب السامى الإنجليزى ، مطالبين بالجلاء .

(٧) الغلواء : العجب والاختيال ، والمراد : أنهم طالبوه بالجلاء وهو فى نشوة النصر .

وسـلاحـهُ بـدم العـدوّ مخضَّـبٌ	والنصـرُ معقـودٌ بظـلِّ لـوائه
كـى يَنْـزِعـوا مـن بيـن فكَّيـهِ لهـم	حقًّـا صُـراحًـا حـان يـوم قضـائه
مـا كـافَئُـوه قـوَّة ، لكنهـم	بـالحـق والإيمـان مـن أكفـائه
رُحمـاكَ يا عبـدَ العـزيـز ! أفَلتَ فـى	ليـل يضـلُّ النجـمُ فـى ظلمـائه[١]
رحماك! مـازال الدخيـلُ يجوسُ فـى	أرض الحمـى ، ويطيـرُ فـى أجـوائه
ليـتَ المنيَّـةَ أمهلتْـكَ هُنيهـةً	حتـى تَـرى عينـاك يـومَ جـلائه !
هيهـاتَ ! لا طاحـت به حـربٌ ، ولا	نَجَحَت عُهُـودُ السلم فـى إقصائه[٢]
فـى كـلِّ يـوم : علَّـةٌ لبقـائهـم	تبـدو بـوجـهٍ غـاضَ مـاءُ حيـائه[٣]
أدّيـتَ لـلأوطـان كـامـلَ حقِّهـا	لكـنّ حقَّـك لـم تَقُـم بـأدائه
لو كـان أنصفَك الحمـى حيًّا ، لمَـا	قـاسيـتَ مـا قـاسيـت مـن إيـذائه[٤]
أو كـان أنصفك الحمـى ميْتًا ، غَـدَا	مثـواك فيـه يُطـافُ حـول بنـائه
لكنَّـه وطـنٌ يحُـطُّ الشـوك فـى	طُـرقـات مـن يسعـى إلـى إعـلائه
يـا رُبَّ دستـورٍ نظمـتَ بنـودَه	نظمَ الجمان ، وكنتَ كبشَ فدائه[٥]
يـا كابـرَ الأحرار ، حـزُبـك رِيعَ فـى	حـرٍّ أبـىِّ النفـس مـن خلفـائه
جـدَّدتَ أحـزانَ الحمـى فـى معشـر	إن يَشْـكُ داءً ، كـان بلسـمَ دائه

---

(١) كانت الحالة السياسية ـ إذ ذاك ـ على أسوأ ما يكون .

(٢) يريد أن يقول : لم نستطع التخلص من المحتل بحرب ولا سلم .

(٣) المصراع الثانى : وصف بالقحة للعلل التى يتعلل بها المحتل لبقائه .

(٤) تعرض الفقيد فى حياته لألوان من الإيذاء ، بعد انشقاقه على سعد زغلول .

(٥) كان الفقيد على رأس اللجنة التى وضعت دستور سنة ١٩٢٣ م ، ثم وصفها سعد ـ بعد ذلك ـ بلجنة الأشقياء .

« عدلى » ، ومَن عدلى ، « وثروتُ » ، وهْو مَن هو فى أصالة رأيه ودهائه[1]

ومحمدٌ ولّى ، ومن كمحمدٍ ؟ مَن مثلُه فى نُبلِه وإبائه ؟[2]

نفر إذا الدستور فى مصرَ انتمى فَهُم الكرام الصِّيدُ من آبائه[3]

حَكَمُوا ، فما عبثوا بأموال الحمى وشَرَوا سعادتهم بطول شقائه

أو خاصموا المحتلَّ خارجَ حكمهم فإذا تولَّوا بادروا بوَلائه[4]

***

يا وافيًا بعهوده لبلادِهِ ولكلِّ مَن عرفوه من خُلَطَائه

ولوردةٍ عاشت حياةَ الورد ، ما راعَ ابنها ، أو راعَها ببنائه[5]

لله درُّك ؛ تُنصفُ الأمواتَ فى زمن تفشَّى الجَورُ فى أحيائه !

أقسمتُ ، أنك فى وفائك منَّةٌ لرجال عصرك فى رقابِ نسائه

---

(١) يشير إلى : عدلى يكن ، وعبد الخالق ثروت ، وكلاهما كان رئيسًا لحزب الأحرار الدستوريين .

(٢) يشير إلى : محمد محمود رئيس حزب الأحرار أيضًا .

(٣) الصيد : جمع أصيد ، وهو الذى يرفع أنفه كبرًا .

(٤) يعرض ببعض الأحزاب السياسية التى كان ديدنها ذلك .

(٥) ببنائه : بزواجه . وهو يشير فى هذا البيت إلى أن الفقيد بعد وفاة زوجته أضرب عن الزواج ، وكتب على قبرها الأبيات التالية :

يا وردة عاشت حياة الورد
عمرًا قصيرًا وهَوت فى لحد
لولا برىء غافل فى المهد
يرضيك أن أحيا ليحيا بعدى
لبرَّحت بى زفرات الوجد !

قالوا: « السّموءَل »، قلتُ: لو أدركته لم يضربوا أمثالهم بوفائه[1]

عبدَ العزيز، ولا أزيدُكَ خبرةً بالموت، كلٌّ شاربٌ بإنائه

قد كنتَ تبقى لو تكفَّلت العلا والمكرماتُ لربِّها ببقائه

لكنَّ عدْوىَ الموت عدوى لم تزل من آدمٍ تسرى إلى أبنائه

يَهنى سماءَ الله أَنَّكَ جارها والخُلدَ أنك نازلٌ بفنائه

أقسمتُ، لو جَزِعَ الصباحُ على امرِئٍ ما لاحَ بعدك مُشرقًا بضيائه!

عرشٌ ينوح!

ألقيت فى حفل تأبين المرحوم: على الجارم (بك) سنة ١٩٥٠ م.

عرشٌ ينوح أسًى على سلطانه قد غاب كِسرى الشعر عن إيوانِهِ![2]

طَوَتِ المنُونُ من الفصاحة دولةً ما شادها هارونُ فى بغدانه[3]

فى ذمةِ الفنِّ المقدّسِ عازفٌ لقِىَ الحِمام على صدى ألحانه[4]

---

(١) السموءل بن عادياء: من يهود العرب فى الجاهلية، وبه يضرب المثل فى الوفاء، وتنسب إليه - فى ذلك - حوادث خارقة.

(٢) كسرى: لقب ملك الفرس قديمًا كما هو مشهور.

(٣) هارون: هو هارون الرشيد، وقد كان عصره عصرًا ذهبيًا فى العلوم والآداب.

(٤) لبيان معنى هذا البيت - وأبيات أخرى تالية -: ينبغى ذكر الظرف الذى أحاط بوفاة الفقيد، وذلك أنه مات فجأة فى حفل تأبين أقيم للمرحوم محمود فهمى النقراشى، إذ كانت قصيدته فى رثاء النقراشى تلقى على المنبر، وكان الذى يتولى إلقاءها نجله بدر الدين الجارم. ومن هنا شبهه الشاعر بعازف مات على صدى ألحانه.

لمـا تهـامسـت الصفـوف بنعيـه — كـاد الفـؤاد يكـفُّ عـن خفقـانـه

ساءلتُ ــ حين قضى عليٌّ فجأةً ــ: — هـل حـلّ يـومُ الحشـر قبـل أوانـه ؟

***

سقـط المـؤبِّنُ وهْـو يَسمـعُ شعـرَه — مـن ذا يـؤبِّنُـهُ بمثـل بيـانـه ؟

وصـف الـزمـانَ لنـا ، وجـادَ بنفسـه — لتكـونَ بُـرهـانًـا علـى حـدثـانـه[1]

قـال: احـذروا غدر الحِمـام، معـزِّزًا — بحيـاتـه مـا قـالـه بلسـانـه

لا تعجبـوا مـن مـوتـه فـى حفلـه — إنّ الشجـاعَ يمـوتُ فـى ميـدانـه

بطـلُ المنـابـر مـالـه مـن فـوقهـا — يهوى ، وكـم عَرفـتْ ثباتَ جنـانه ؟

إن خانـه ضعفُ المشيـبِ ، فطالمـا — قهـرَ المنـابـرَ وهْـوَ فـى ريعـانـه

كـلا لعمـرى، لـم يخُنـه مشيبـه — لكـنّ حِـسَّ المَـرْءِ مـن خـوّانـه[2]

لـم يجنهـا إلا رقيـقُ شعـوره — والمـرهـف الحسّـاس مـن وجـدانـه

حـرٌّ قضـى متـأثِّـرًا ببيـانـه — ولكـم جنـى فـنٌّ علـى فنَّـانـه !

***

يـا شـاعـرًا طـار اسمـه بقـوادِم — مـن عبقـريَّتـه ، ومـن إتقـانـه[3]

مـا دانَ يـومًـا للصّغـار بصِيتـهِ — أو دان للـزُّلفـى بـرفعـةِ شَـانـه[4]

والمجـدُ منـه : زائفٌ ، وممحَّـضٌ — لا تَخْلطـوا بِلَّـورَه بجُمـانـهِ[5]

---

(١) كانت قصيدة التأبين ـ بطبيعة الحال ـ تشتمل على ذكر حوادث الدهر وغيره ، ثم كان موته فجأة دليلا على تلك الحوادث والغير .

(٢) يقول : إنه لم يمت إلا متأثرًا بما يقول من دقة إحساسه وإرهاف شعوره .

(٣) القوادم : ما ظهر من ريش الطائر .

(٤) يريد : أنه لم يشتهر بسبب انضوائه تحت لواء ملك ، أو أمير يأخذ بساعده .

(٥) الممحض : الخالص ، الجمان : الدر .

مـــا كـــلُّ لمَّـــاعٍ ببـــرقٍ ممطـــرٍ البـــرقُ غيـــرُ الآل فـى لَمَعـــانـــه[1]

عـرشُ القوافـى بعـد مـوتك شـاغـرٌ يـا طـولَ مـا يلقـاه مـن أشجـانـه !

قـل للـــذى يـومـى إليــه بلحظـهِ : هـذا مجـالٌ لسـتَ مـن فُـرسـانـه

لا هُمَّ ، حكمك فى الورى جارٍ ، وما من حيلـة للعبـد فـى جـريـانـه[2]

الطيـر مـلءُ الـروض أشكـالاً ، فمـا للسَّهـم لا يُصْمِـى سوى كـروانـه ؟

يمضى العظيـمُ من الرجـال، فينبرى لمكـانـــه خُلفـاءُ مـــن أقـــرانـــه

والشـاعـرُ المـوهـوبُ فلتـةُ دهـره إن مـات، أعيَـا الـدهَر سـدُّ مكـانـه

***

قـلْ للرِّيـاض: قضـى علىٌّ نحبـهُ ولطيـرهـا الشـادى علـى أفنـانـه

الشـاعـرُ الغَـردُ المحلِّـقُ فـى السُّهـا بجنـاحـه ، قـد كـفَّ عـن طيـرانـه

بكـــت الـــلآلـىءُ بعـــد لآلَهـــا وتسـاءَل اليـاقـوتُ عـن دهقـانـه[3]

وتســاءل التـاريــخ عمَّــن شعــرُه كـان السجــلَّ لحـادثــات زمـانـــه

بكـت الكنـانـة فى « علّـيٍ » شـاعـرًا جعـل اسمهـا كـالنجـم فـى دورانـه

عـفَّ اللسان ، مـؤدَّبَ الأوزان ؛ لـم يتلـقّ وحـى الشعر مـن شيطـانـه[4]

بـل كـان نفـح الخلـد أمتعنـا بـه حينًـا ، وعــاد بـه إلـى رِضـوانـه

للنيـل شـادَ بشعـره مـا لـم يَشِـد فـرعـونُ والهـرمـان مــن بُنيـانـه

مـن كـلِّ بيتٍ فـى السُّهـا شُـرفـاتـه تَتَـــلألأُ الأضـواءُ فـــى أركـانـــه

---

(١) الآل : برق كاذب ؛ لا يعقبه مطر .

(٢) لاهم : اختزال كلمة اللهم .

(٣) اللآل : تاجر اللؤلؤ : وكذلك الدهقان .

(٤) يشير إلى : خرافة العرب القائلة بأن لكل شاعر شيطانًا يلهم الشعر .

يُعيى الفـراعنـةَ الشَّـدادَ أساسُـه ويحارُ ذو القرنين فى جُدرانه[1]

شعرٌ إذا غنَّـى بـه، لـم يبق مَـن لـم يَـروِهِ كـالبرق فـى سريـانه

غنَّـى الطـروبُ بـه علـى قِيثـارِهِ وتـرنَّـم المحـزونُ فـى أحـزانه

بهر العـذارى حسنُـه ؛ فـوددن لـو صِيغَت قـلائدُهُـنَّ من عِقيانـه[2]

ويكـادُ سـامعـه يفسِّرُ لفظـه مـن قبـلِ أن يَسـرى إلـى آذانـه

تُغرى سـلاستُهُ الغـريـرَ فيَقْتفـى آثـارهُ سيـرًا علـى قُضبـانـه

حتـى إذا هَـدَّ المسيـرُ كيـانَـه حَصَب الورى بالصّلدِ من صَوّانه[3]

يـا رُبَّ ديـوانٍ تـأنَّـقَ ربُّـهُ فـى طَبعـه وافتـنَّ فـى عُنـوانـه

لا يسمَـعُ اليقظـانُ وقـعَ قـريضـه حتـى يـدِبَّ النومُ فـى أجفـانـه

والشعـر : إمـا خـالـدٌ ، أو مـدرَجٌ مـن ليلـةِ الميـلادِ فـى أكفـانـه

***

قالـوا : علىٌّ شـاعرٌ ، فـأجبت : بـل ساقٍ ؛عصيرُ الكـرم مـلءُ دِنانـه[4]

قم ، سائل الفقهاءَ : هل فى شرعهم حَـرَجٌ علـى ثمِـلٍ بخمـرةِ حـانـه ؟

كـم خـطَّ مـن صـور الحياة مـدادُه مـا لـم يخُـطَّ مصـوِّرٌ بـدهـانـه

ببـراعـةٍ لـو أدركـت مـوسى ، رأى من سحـرها مـا غاب عـن ثعبانـه[5]

(١) خص الفراعنة وذا القرنين بالذكر ، لشهرتهما بالبناء : فالأولون بنو الأهرام ، والثانى بنى السد المشار إليه فى القرآن الكريم .

(٢) العقيان : الذهب .

(٣) حصب : قذف بالحصباء .

(٤) كنى بعصير الكرم عن : الخمر .

(٥) يشبه يراعة الفقيد بعصا موسى ؛ كلتاهما ساحرة .

أيـن القصـائد كـالخرائد ، كلُّهـا ... بكـرٌ ؟ وبكرُ الشعـر غيـرُ عَوانـه[1]

أحيـا لنـا ابـنَ ربيعــةٍ تَشبيبُهـا ... وأعـادَ لـلأذهـان عهـدَ حِسَانـه[2]

شيـخٌ يُحسُّ الشيـخُ عند نسيبـه ... بـدم الشبـاب يَسيـلُ فـى شِريـانـه

وإذا تحَّمس، قلـت: حيدرة انبرى ... تحتَ العجاجة فوق ظهر حصانه[3]

وإذا تبـدَّى ، قلـتَ : لابس بُـردةٍ ... قـد جاء مـن وادى العقيـق وبانـه[4]

وإذا تحضَّـر ، قلتَ : نسمـةُ روضـةٍ ... مـن فـرط رقَّتـهِ ، وفـرط حنـانـه

يـا طـالمـا حمـل الأثيـر نشيـده ... وكـأنمـا هـو عـازفٌ بكمـانـه[5]

بغـدادُ مُصْغِيَـةٌ إلـى أنغـامـه ... ودمشـق راقصـةٌ علـى عيـدانـه

وكـأنمـا الحَـرَمـان عنـد هُتـافـه ... سمعـا بـلالاً هـاتفًـا بـأذانـه

والشعـر مـرآةُ النفـوس، يُـذيـع مـا ... طُـوِيَـت قـرارتُهـا علـى كتمـانـه

مـن أحـرفٍ سـوداءَ ، إلاَّ أنـهُ ... نقشٌ يـريـك الطَّيـفَ فـى ألـوانـه

والشـاعـرُ الموهـوبُ تقـرأُ شعـرهُ ... فتَـرى جمـالَ الله فـى أكـوانـه

يـا ويحَ قـومـى! كـم أشاهـدُ بينهـم ... مـن شـاعـرٍ هـو شـاعـرٌ بهـوانـه !

يـا راثـىَ المـوتـى ومُخلـدَ ذكـرهـم ... بـالخـالـد السيَّـار مـن أوزانـه

أرثيـكَ حفظًـا للجميـل، وإنـهُ ... ديـنٌ أعيـذُ النَّفـسَ مـن نُكـرانـه[6]

---

(١) العوان : الثيب من النساء ، ومن الشعر ما سبق الشاعر إلى معانيه .

(٢) التشبيب : الغزل وما إليه ، وكان عمر بن أبى ربيعة فارس هذا الميدان .

(٣) حيدرة : اسم للأسد ، وهو لقب على بن أبى طالب .

(٤) وادى العقيـق : مشهور فـى بـلاد العرب وفـى الشعر العـربـى ، والبان : شجـر معروف .

(٥) يشير إلى : إذاعات الفقيد .

(٦) كان الفقيد أستاذًا للشاعر فى دار العلوم .

ماذا يـؤمِّلُ شـاعـرٌ مـن راحـلٍ ؟ | أتـراهُ يطمـعُ منه فـى إحسـانـه ؟
وأنـا الـذى مـا سمتُ شعـرى ذِلَّـةً | أو بعتـهُ بـالبَخس مـن أثمـانـه[1]
يـا رُبَّ بيتٍ قـد ضَنَنْتُ ببذلـه | ضنًّا علـى مـن ليـس مـن سُكَّانـه
أقسمتُ ، مـا جاوزت فيك عقيدتى | قسـم الأميـن البَرِّ فـى أيمـانـه[2]
دارُ العلـوم بَنَتْـكَ حصنًـا شـامخًـا | للضاد ، تلقـى الأمنَ فى أحضـانه[3]
رُزِئت ـ لعمرى ـ فيـك رُزءَ الدَّوح فى | كَـرَوانِـه ، والفُلـكِ فـى رُبَّـانـه
دارٌ قـد انتظمـت أيـادِيهـا الحمـى | أشيـاخَـهُ ، والنَّشءَ مـن ولـدانـه
دارُ العلـوم ونيـلُ مصـرَ كـلاهمـا | بنميـره يـروى صـدى ظمـآنـه
فاضـا على الوادى ؛ فكان العلـمُ من | فَيَضـانهـا ، والمـاءُ مـن فَيَضَـانـه
يـا خادم الفصحى ، وكـم من خـادمٍ | تعتَـزُّ سـاداتٌ بلَثـم بَنـانِـه
أفنَيـتَ عُمـرَك ، ذائدًا عـن حـوضهـا | ذودَ الكـريـم الحـرِّ عـن أوطـانـه
أنصفتَهـا مـن معشـرٍ مُستعجـمٍ | الغـربُ أصبـح آخـذًا بعنـانـه[4]
والضـادُ ، حسـبُ الضادِ فخـرًا أنهـا | كـانـت لسـانَ الله فـى فُـرقـانـه !
هـى سـؤدُدُ العـرَبِّـى يـومَ فخـارِه | وقِـوامُ نهضتـه ، وسـرُّ كِيـانـه
مـن ذاد عنهـا ، ذاد عـن أحسـابـه | بـل عـن عقيدتـه ، وعـن إيمـانـه
نـم ، يـا علىُّ ، جـوارَ ربِّـك آمنًـا | لـك عنـده مـا شئـتَ مـن غفـرانـه

---

(١) سامه الذل : عرضه له وحمله عليه .

(٢) الأيمان : جمع يمين بمعنى قسم .

(٣) كانت كلية دار العلوم هى التى أقامت حفل الرثاء .

(٣) يقصد بهؤلاء : معشرًا يدين بالغرب ويزدرى كل ما هو عربى ، ومعظمهم ممن لم يحصلوا ثقافة غربية أو ثقافة عربية .

لـك عنـد ربِّ العرش أجرُ مجاهـدٍ ... فـانعـم بـرحمتـه ، وعـدن جنـانـه

كـم مـن شهيـدٍ مـاتَ فـوقَ فـراشـه ... جمـد الـدَّمُ السَّيال فـى جُثمـانـه[1]

إنَّ المجـاهـد مـن أغـارَ بفكـره ... لا مَـن أغـارَ بسيفـه وسنـانـه

سيظـلُّ شعـرك ـ يـا علـىُّ ـ مـردَّدًا ... مـا غـرَّدَ القُمـرىُّ فـى بستـانـه

أقسمـتُ ، ما نـال البِلى مـن شاعـرٍ ... يحيـا حيـاةَ الخُلـد فـى ديـوانـه

---

(١) يقصد : أن من الشهـداء من لم يمت فى ميـدان القتال ، وإنما مات فـى ميادين جهاد أخرى .

في ربا الخلد[1]

ألقيت في حفلة تأبين المرحوم: كمال اللبان، التي أقامتها جمعية الشبان المسلمين، في ٣/ ٥/ ١٩٤٧ م.

في رُبا الخُلد، يـا ابنَ عبدِ المجيدِ ... يـا شهيـدَ العـلا، وأيَّ شهيـدِ[2]

يـا شبابًـا لـو يُفتدى، لافتـداهُ ... كـلُّ طيـرٍ بغصنـه الأُملـودِ[3]

يـا غريبًـا، لاقـى الحمـام ولم يَنقَـ (م) ـعِ صَداهُ من نيـلِ مصرَ البَـرود[4]

أنـتَ فـى عُمـر مصطفـى قـد توليـ (م) ـتَ - لعمرى - وفي اغتراب فريد[5]

صوَّح الزَّهرُ في الـربيع؛ فصاح الطـ (م) ـيرُ فيـهِ بـالنـوح لا التغـريـد[6]

وطـوَى المـوتُ رايـةً مـن نبـوغٍ ... وسِجـلاً مـن الخَـلاق الحميـد

أيهـا المـوتُ، مـا فعلـتَ بـوجْـهٍ ... كـان مثـلَ الصبـاحِ فـى يـوم عيـد؟

أيهـا البـرقُ، ما حملـتَ إلـى مصـ (م) ـرَ سـلامًـا مـن الحبيـبِ البعيـد

بل حملـتَ النَّعيَ الـذى يَفطرُ القلـ (م) ـب، ويَرمى بـالشيب رأسَ الـوليد

---

(١) كان المرحوم كمال اللبـان موظفًا فى سفارة مصر بأمريكـا، وقد احتضر فى ميعة الشباب، بعيدًا عن أرض الوطن الحبيب.

(٢) والده: الشيـخ عبـد المجيـد اللبان، أحـد أساطيـن علماء الأزهـر فى العصـر الحديث.

(٣) الأملود: الناعم.

(٤) يشير إلى موته فى أمريكا، لم ينقع صداه: لم يرو ظمأه.

(٥) يشبه الفقيد بمصطفى كامل فى موته شابًا، وبمحمد فريد فى موته غريبًا.

(٦) كان موت الفقيد فى بدء الربيع. صوح الزهر: جف وذبل.

يـا نزيـل الـدُّنيا الجـديـدةِ ، هل عـا (م) تَ البلى فـى بُردِ الزّفاف الجـديد ؟ [١]

أيهـا البحـرُ ، قـد حمَلـتَ رفـاتًـا هُـو أغلَـى مـن دُرِّكَ المنضـود [٢]

تـركَ المـوجَ فـى حَشـاكَ لمـوجٍ مـن دمـوعٍ تسيـلُ فـوق خـدود

حَمَلتــهُ الأعنــاقُ ، بـل لبسَتْـه جـوهـرًا ليس مثلُـه فـى العقـود

نَثـرُوا فَـوْقَـهُ الـوُرُودَ ، فغطَّـى مـن شـذاهُ علـى أريـج الـورود

راحــلٌ شيَّعتــه سيـرتُــه قبــ (م) ــلَ وفـودٍ تسيـرُ إثْـرَ وفـود

ولَـوَ انـا لـم نَـرثِـهِ ، لـرثـاه طِيـبُ أخـلاقـهِ بـألـفِ قصيـد

***

فُجعـت مصـرُ يـوم مـاتَ كمـالٌ بفتًـى مـاجـدٍ ؛ كـريـمِ الجـدود

بكَّرت نحوه الـرجـولـةُ ، فـى مَيـ (م) ـعة عُمـرٍ، وفـى طـراوَةِ عـود

شـاخِصٌ طـرفـه إلـى المُثل العليـ (م) ـا ، عـزوفٌ عن المَتَـاع الـزهيـد [٣]

وثبـاتُ الشبـابِ فـى حكمـة الشَّيـ (م) ـب ، ورأيِ المجـرِّبيـن السـديـد

حُسـنُ سمـت يزينـه حسـنُ صمـتٍ ليـس عنـدَ الشبـابِ بـالمعهـود

فى هـوى مصرَ آثـر البعد عـن مصـ (م) ـرَ ، وَلَبَّـى نـداءَهـا حيـن نـودى

مـا أذلَّ الطيـرَ الغـريـبَ عـن الـدَّو (م) ح وإن عاش فـى جنان الخلـود! [٤]

***

---

(١) عاث : أفسد . وكان الفقيد حديث عهد بالزواج .

(٢) يشير : إلى مجيء رفات الفقيد بطريق البحر .

(٣) عزف : نفر وأعرض .

(٤) من أمثـال العرب : «أربعـة عزهن ذل : الغـربة ولـو يومًا ، والـدين ولـو درهمًا ، والبنت ولو مريم ، والسؤال ولو أين الطريق ؟» .

يــا طِـرازًا مــن الشبــاب فــريــدًا ... فــى طــراز مــن الشعــوب مجيــد
يَبْتَنـــى للبـــلاد مثْلــك مـــالاً ... تبتنيــه فيــالــقٌ مــن جنــود
قــد بعثنــاك للكنــانــةِ بنــدًا ... فــى سمــاءٍ مملــوءةٍ بــالبنــود[1]
ومثـالاً مــن نهضـة الشــرق ؛ حتـى ... يُـؤمـنَ الغـرب بعـد طـول الجحـود
ويــرى كــلُّ منصــفٍ أنَّ مصــرًا ... وطـــنٌ لـــلأحـــرار لا للعبيـــد
يـا تقيًـا ، لـم يُنسِـه الغـربُ ذكـر الله (م) يـــومًـــا ، ولا انحنـــاءَ السُّجـــود
عـــاش فيــه فمـــا تَنكّـــرَ أو أســـ (م) ـــرفَ ، كــالبَبّغــاء فــى التقليــد[2]
حــافظًـا عهــدَ قــومــه بيــن قــومٍ ... لا يــراعــون حُــرمــةً للعهــود[3]
كنــتَ فــى الغـرب للحنيفــةِ ركنًــا ... يــا لــرُكــن الحنيفــةِ المهــدود !
ربَّ غـــازٍ فـــى الله مـــاســـلَّ سيفًـــا ... وهْو أَمضــى من صــارم ابنِ الــوليد[4]

***

إنْ قضـــى نحبَـــهُ كمـــالٌ وحيـــدًا ... فكمــالٌ فـــى مصــر غيــرُ وحيــد[5]
إنْ فـــى غـــابــه المنيـــع أسـودًا ... لــو يــرُدُّ الحِمــامَ عــزمُ الأســود
قــل لسعــدٍ ، وقــل لإخــوة سعــدٍ : ... لا يعيــدُ الأســى حيــاةَ فقيــد[6]

---

(١) البند : الراية . يريد : أننا بعثناك رمزًا لمصر فى بلاد يكثر ممثلو الدول فيها ، حتى تحفظ مكانة مصر فى هذا الزحام .

(٢) ينعى على من يذهب فى بعثة علمية أو نحوها إلى الغرب ، ثم يعود متنكرًا لوطنه .

(٣) يعرض بأمريكا وما أخلفته من وعود قطعتها على نفسها فى ميثاق الإطلانطى .

(٤) ابن الوليد : هو خالد الفاتح العربى المشهور .

(٥) يقول : إنه مات فى أمريكا وحيدًا ، وله فى مصر عترة ذات عزة وجاه .

(٦) يقصد الأستاذ الكبير : سعد اللبان ، الذى كان وزيرًا للمعارف وللأوقاف ، فى بعض العهود .

ولعمرى، لو يبعثُ الدمعُ ميْتًا … لبكينا بدمع بنتِ الشريد[1]

ليتَ شعرى! ماذا نقولُ وأنتم … أهلُ بيتٍ على العلوم مَشِيد ؟

إنما يَقهرُ الخطوبَ حكيمٌ … ذو فؤادٍ على الخطوب جليد

إنَّ فى العيشِ والمماتِ لسرًّا … ضلَّهُ النَّاسُ منذُ بدء الوجود

قلِّب الطرف : هل ترى فى البرايا … غيرَ حيٍّ أودى، وآخرَ يودى ؟

اهزلى؛ فالحياةُ ، يا نفسُ ، هزلٌ … إنَّ من جدَّ عاش غيرَ سعيد

يسبحُ المرءُ فى محيطِ الأمانى … والمنايا منه كحبل الوريد[2]

ضلَّ من يكفيه قليلٌ من الزا … دِ ، ولا يكتفى بمُلكِ الرشيد

كلُّ وجهٍ له الترابُ نقابٌ … غيرَ وجه المهيمِنِ المعبود

---

(١) يقصد : الخنساء ، وبحزنها على أخيها صخر يضرب المثل ، وهى الخنساء بنت الشريد (بضم الشين مشددة وفتح الراء) وإنما جعلها الشاعر على وزن (جريح) ؛ لإقامة القافية .

(٢) الوريد : عرق فى العنق .

فقيدُ الإسلام !

ألقيت في حفل تأبين المرحوم الشيخ : مصطفى عبد الرازق ، شيخ الجامع الأزهر ، الذى أقيم له فى قاعة الاحتفالات بالجامعة .

طَوى موتُكَ اثنين : المروءةَ ، والنَّدى ... وأبكى فريقين : الأحبَّةَ ، والعِدَا ! !

وعَطَّلَ للفصحى يراعا ، ومنبرًا ... وقوَّضَ للإسلام صرحًا مُمرَّدَا[1]

تباركت ربِّى ! من لدين محمدٍ ؟ ... أيصبحُ فى الدنيا غريبًا كما بدا ؟

سرى فى حواشِى الليل نعيُك جمرةً ... فأوشَكَ فحمُ الليل أن يَتَوقَّدا[2]

تساقط همسًا من شفاه رُواته ... فأبرَقَ ما بين الضلوع وأرعَدا

وهزَّ ربُوعَ الشَّرق ، حتى تساءلَت ... مِن الهول : هل يومُ الإمام تجدَّدَا ؟[3]

لقد كنتَ من هدى الإمام بقيَّةً ... فلما فقدناها ، فقدنا محمدا

***

هل الأزهرُ المعمورُ يعرفُ من نعى ... وأىَّ سيوفِ اللهِ فى التُّربِ أَغمَدا ؟

لقد كنتَ سيفًا لا يُفَلُّ بكفِّه ... وقد تظلِمُ الكَفُّ الحسامَ المَهنَّدا[4]

وكنتَ حريًّا أن تشُقَّ لأهله ... سبيلَ العُلاَ ، لو كان أَمهلَكَ الردى

---

(١) صرح ممرد : بناء عال .

(٢) كان موت الفقيد ليلا .

(٣) هو الإمام : محمد عبده .

(٤) يشير المصراع الثانى ـ من طرف خفى ـ إلى تمرد بعض الأزهريين على الفقيد .

أتيــتَ طبيبًــا آسيًــا لجــراحــه	فوالله ، مـا قصَّرتَ ، بل قَصُـرَ المَدى
تَــولَّيْتَهُ حينًــا ، فلــم تجـن مغنمًــا	ـ معاذَ العُلاَ ـ بل كنت تَشقَى ليَسعدا
رأَى عهـدك الميمــون رؤيـا سعيــدةً	ولكنها فى الصَّحْوِ ما ذهبت سُدى [1]
لئِـن كان فــى الحُسبـان عهدُكَ لمحـةً	لقد كـان فى الإصلاح عهدُك سـرمدا [2]
تــركــت مكــانًـا لا يُســدُّ فــراغُــه	وخلَّفتَ مَن يَسعـى وراءَكُ مُجهَدا [3]
طَهُرتَ فـأعرى طهرُكَ المحـضُ معشرًا	ولَّـدَ فـى بعض النفـوس التمـرُّدَا [4]
وكنـتَ مثالَ الـزُّهـد لا عـن خصاصةٍ	إذا خرَّ بعضُ الناس للمال سُجَّدا [5]
إذا عَصَــم اللــؤمُ اللئيــمَ مــن الأذى	فقد كنـتَ من هذا السـلاح مجردًا [6]
رفعتَ لواءَ الشَّرقِ فى الغرب ، واكتسى	بك المظهـرُ الشَّرقِّـى عزًا وسُـؤددا [7]
وزَانَــكَ ثـوبٌ زانــهُ النُّبـلُ ، والتُّقــى	فلُحمَتــهُ هــذا ، وذاكَ لـه ســدى [8]

---

(١) يقول : كان عهدك كالحلم فى قصر الوقت ، ولكنه لم يكن من أضغـاث الأحـلام ، بل كان له أثره فى رفع شأن الأزهر .

(٢) سرمدًا : ممتدًا إلى ما لا نهاية .

(٣) نظر الشاعر فى هذا البيت إلى قول عمـر حين ولى الخلافة : « لقد أتعب أبو بكر من بعده» يعنى أنه حتم على من بعده السهر والعمل المتواصل حتى يسد فراغه .

(٤) فى هذا البيت يصرح الشاعر بانتقاض بعض الأزهريين على الفقيد .

(٥) الخصاصة : الفقر .

(٦) نظر الشاعر ـ فى هذا البيت ـ إلى قول العقاد :

هـو اللــؤم حـرز للئيــم وجنــة	*من النـاس والدنيا مجـال كفاح*
قواها لنفسى فى المجال مجردا	*أضعـت مجنى بينهـم ورماحـى*

(٧) تلقن الفقيد بعض علومه فى أوربا .

(٨) سدى الثوب : خيوطه الطولية ، ولحمته : خيوطه العرضية .

لقد غَّض من شأن العمامةِ معشرٌ | فَشِدتَ لها بين السماكين مقعدا[١]
بكى النيلُ نيلاً كان فى مثل طهره | ولكنه أصفى وأنقعَ للصَّدى[٢]
خضمٌ من العرفان غاض مَعينُهُ | وكنزٌ بأيدى المُعوزين تبدَّدَا[٣]
لئن أسرَ الأحرارَ حُسنُ صنيعه | فكم أطلقَ الرأىَ الأسيرَ المَقَّيدا[٤]
فتًى حرَّرَ الإسلامَ من رِقِّ معشرٍ | يَرون الجرىءَ الحرَّ ليس مُوحِّدا[٥]
قضى واجب الأوطان والدين كاملاً | وأصدر فى كلِّ الأمور وأورَدَا[٦]
ولم يقض فى ظلِّ الصوامع عيشهُ | قعيدًا ، وليس المسلمُ الحقُّ قُعددا[٧]
رأى العلمُ فيه فيلسوفًا ، وما رأى | به الدينُ إلا قانتًا مُتعبِّدا
فقُل للتُّقاةِ الجامدين : رويدَكم | متى كانت التَّقوى صلاةً ومسجدا ؟
وما كلُّ من يغشى المعابد مؤمنًا | ولا كلُّ من يستَخدمُ العقلَ مُلحدا

***

حملنَا على الأعناق بالأمس نعشهُ | وقد كاد يُزجيه زفيرٌ تصعَّدا ![٨]
فكم ثَمَّ عينٌ سال كالعين ماؤها | وكم ثَمَّ خد بالدموع تَخدَّدا ![٩]

---

(١) غض من شأنه : خفض منه ، والسماكان : نجمان معروفان .
(٢) أنقع للصدى : أذهب للظمأ .
(٣) الخضم : البحر المتلاطم الأمواج ، غاض : نضب ، المعوزون : المحتاجون .
(٤) يشير إلى آرائه التحررية فى مسائل الدين وغيرها .
(٥) ينعى على طائفة من رجال الدين ما هم عليه من الجمود ، ورميهم المجددين بالإحاد .
(٦) أصدر وأورد فى كل الأمور : تدخل فى كل شىء ؛ ولم يقتصر على بعض النواحى .
(٧) القعدد : الكثير القعود .
(٨) يزجيه : يسوقه .
(٩) ثم : هناك ، العين الأولى : الباصرة ، والعين الثانية : الجارية ، تخدد : تشقق .

وسار بـه ركـبُ الفنـاءِ ، ومـن يسـر | به الـرَّكبُ فى تلـك المجاهـل أبعدا
وحَطُّـوا علـى جسـر المنيَّـة رَحلـهُ | ومـالـوا بـه بُـرجًـا منيعًـا مُشيَّـدا
فخلـتُ فـؤادى كـفَّ عـن خفقـانـه | وخلـتُ دمـى بيـن العُـروق تجمَّـدا
هنـالِك أحسَسْـتُ الفـراقَ وهـولَـه | وقـدَّسـتُ ربَّـا بـالبقـاء تفـرَّدا
فيا ضيعـةَ الآمالِ من بعـدِ مصطفى ! | لقـد كـان لـلآمال فـى مصـرَ معقـدا
فتـى ما أوتـه ـ بل أواهـا ـ مناصبٌ | تقلَّـدَ مـن عليـائهـا مـا تقلَّـدا
إذا اتَّخـذ النـاس المنـاصـبَ متجـرًا | فما اقتـات منها قوتَ يـومٍ ولا ارتَدَى
سلوا سَاسةَ الوادى : أما كان مصطفى | أعفَّهُمـو نفسًـا ، وأنـزهَهُـم يـدا ؟
هو الجبـل الراسـى ؛ حجًا ، ورزانـةً | إذا الحـادثُ الطـاغـى أقـام وأقعـدا
تَـزلُّ ميـاهُ البحـر عـن جَنَبـاتـهِ | إذا البحر فـى الأنواء أرغَـى وأزبدا[1]
صموتٌ ، إذا ما الصمتُ كـان بلاغةً | فإن قال ، راشَ القولَ سهمًا مسدَّدا[2]
وينفـذ مثـلَ النَّصـل فيمـا يُـريـده | وإن كان غُصنًـا فى الوداعـةِ أملَدا[3]
طليـقٌ محيَّـاهُ يـزيـدُ بشـاشـةً | إذا الأفْـقُ بـالغيـم الكثيـف تَلَبَّـدا
تحَـدَّى العصاميِّيـن ؛ عـزمًا ، وهمَّـةً | وبذَّ العظاميِّين ؛ أصلاً ، ومَحتِدا[4]
نمتـهُ أصولٌ لـو نمـى النجمَ بعضُهـا | لحـرَّكَ عِطفَيـه مـن التِّيـهِ إن بـدا[5]
وربَّـاهُ بيـتٌ يخـدمُ النـاسَ شيخـهُ | وإن كـان فيـه الطِّفـلُ يـولـدُ سيِّـدا

---

(١) تزل : تنحسر ، الأنواء : البروق المصحوبة بأمطار وعواصف .
(٢) راش السهم : وضع له الريش ؛ كناية عن إطلاقه .
(٣) أملد : ناعم .
(٤) يريد : أنه جمع بين المجدين : الطريف ، والتليد ، والعصامى : من نبى مجده بيده ، والعظامى : من يفخر بعظام أجداده ، المحتد : العنصر .
(٥) نمته : نسبته ، حرك عطفيه : حرك جانبيه .

على البرِّ والتقوى تأسَّسَ ركنُهُ ... ومن لبنات العلمِ والدين شُيِّدا

نما زهَرُ الآداب حولَ سياجه ... وصاحَ به طيرُ البيان مُغرِّدا

وطابت ثمارُ الفكرِ فى ظلِّ روضه ... وأُنشدَ فيه الشعرُ درًّا منضَّدا(١)

تُشاهدُ فيه الشافعىَّ ، ومالكًا ... وتلقى ابنَ عبَّادٍ به ، والمُبَرِّدا(٢)

فَلِلعلم فيه سامرٌ أىُّ سامرٍ ... ولِلأدبِ العالى هنالك مُنتدى

ولما دعت مصرُ ، اشرأبَّت قبابُهُ ... وكادَت مغانيه تصيخُ إلى الندا(٣)

ودقَّت بيمناها القضيَّةُ بابَهُ ... فقدَّم من حرِّ الدماء لها الفدا(٤)

بنت مصرُ بيتَ الرازقيِّين قلعةً ... وربَّت بنيه للكتائبِ قُوَّدا

يُلقِّنُ فتيان الحمى خدمةَ الحمى ... ويغشاه طلَّابُ المبادىء معهدا

***

إمامَ الهدى ، أدَّيتَ لله حقَّهُ ... وخلَّفت للسارى طريقًا مُعبَّدا(٥)

صحائفُ مجدٍ تيَّم الزَّهر نفحها ... وسار على مِشكاتها النجمُ؛ فاهتدى(٦)

لعمرى ، لوَ ان الموتَ أبقى على ... لبيضِ أياديه ، لعشتَ مُخلَّدا

---

(١) الدر المنضد : الدر المفصل .

(٢) الشافعى ومالك : الإمامان المعروفان فى مذاهب الفقه ، وابن عباد والمبرد : الإمامان المعروفان فى عالم الأدب ، ويريد أن بيت الفقيد كان منتدى رجال الدين والأدب البارزين .

(٣) اشرأبت : تطاولت متسمعة للنداء ، والمغانى : جمع مغنى : الحجرة وما إليها من محال الإقامة .

(٤) يريد بالقضية : قضية مصر فى المطالبة بالاستقلال ، ويشير - فى المصراع الثانى - إلى مقتل المرحوم حسن عبد الرازق شقيق الفقيد مستشهدًا فى سبيل الوطن .

(٥) معبدًا : ممهدًا .

(٦) المشكاة : الطاقة التى ينفذ منها النور .

عهـدتُـكَ تهفـو للقريـض؛ فهـاكَـهُ وهل يسمع النَّائى المحجَّبُ مُنشدا ؟[1]

عليـك سـلامُ الله مـن مُتَـرَحِّـل قضـى ما شكـا داءً ، ولا راعَ عُـوَّدا[2]

مشى، ورسولُ الموت يحسبُ خطوهُ وأومَـا ، يُحيِّـى أهلَـهُ ؛ فتشهَّـدا

ومـا بـارح الأسمـاءَ وقـعُ حـديثـه فكيـف بـه أمسـى حـديثـا مـردَّدا ؟

كـذلـك يقضـى الـرازقيُّـون نحبهـم نجـومٌ تهـاوى؛ فـرقـدًا، ثـم فـرقـدا

لحـا الله دنيـا يصبـحُ المـرءُ آمنًـا أذاها ، ويُمسى فى الضريح مُوسَّدا

ومـا الحمـقُ إلا أن تفكِّـر فـى غـدٍ وأنتَ رهينُ الموتِ ؛ لا تَضمنُ الغدا!

---

(۱) هاك : اسم فعل أمر بمعنى « خذ » .

(۲) كان موت الفقيد بالسكتة القلبية .

خطيب هوى !

أنشئت هذه الأبيات على إثر موت المرحوم : عبد الحميد أباظة ، وهو يخطب فى مجلس النواب .

أَخطيبٌ هوى عن الأعوادِ … أم كميٌّ رماهُ ظهرُ الجوادِ ؟[1]

ماتَ عبدُ الحميدِ أشرفَ موتٍ … فى مكانٍ ، فيه حياةُ البلاد[2]

وتلقَّاهُ خصمُهُ إذ تَرَدَّى … فوقَ صدرٍ خِلوٍ من الأحقاد[3]

أيها الراحلُ الكريمُ ، تَخيَّر (م) تَ لعمرى مكانَ الاستشهاد

المكانُ الذى سقطت عليه … حرمٌ آمنٌ ، وساحُ جهاد[4]

---

(١) يريد : أعواد المنبر الذى كان الفقيد يخطب من فوقه .

(٢) يعنى بهذا المكان : دار النيابة .

(٣) يشير إلى حادث معين ، يتلخص فى أن خصمه الذى كان يلاحيه تلقاه على صدره عندما سقط .

(٤) يبرر الشاعر موت الفقيد شهيدًا بقوله : إن كانت دار النيابة حرمًا آمنًا ، فإنها فى الوقت نفسه ساحة جهاد .

عاهل الصحافة

أنشئت فى رثاء المرحوم : جبرائيل تكلا رئيس تحرير الأهرام

يـا صاحبَ الأهـرام ، ذكرُك خالـدٌ كخُلـود ذكـر مُشيَّـدِ الأهـرامِ[1]
خـوفـو ، وجبـرائيـلُ بينهمـا ــ وإن بعـدَ المـدى ـ رَحِـمٌ مـن الأرحـام[2]
بَنَيـا فكـان بنـاءُ كـلٍّ منهمـا عظـةَ الحيـاةِ ، وعِبـرةَ الأيـام
ومـن المواعـظِ : كـامـنٌ فى صخـرةٍ ومفصَّـل بـأسنَّـةِ الأقـلام
مُلـكُ الصحـافةِ أيـنَ غـابَ أميـره ؟ أرمَـاهُ عـن دَسـتِ الإمـارة رام ؟[3]
قد كنـتَ ، يا تكـلا ، دِعامـةَ مُلكها فتـركتـهُ مُلكًـا بغيـر دِعـام
طوت المنـونُ بمصرَ نـاشرَ صُحفهـا بِيضًـا مُبـرَّأةً مـن الآثـام
لـو أدرَجُـوهُ بصُحفـهِ أغنتهمـو ببيـاضهـا عـن خُضـرَةِ الأعـلام[4]

---

(١) الأهرام الأولى : الصحيفة ، والثانية : الأهرام الصخرية .

(٢) الرحم : القرابة .

(٣) دست الإمارة : كرسيها .

(٤) يشير إلى : ما ألف من إدراج العظماء فى الأعلام عند موتهم .

رفيــق الصبــا

من شعر التلمذة ، أنشئت فى رثاء زميل الشاعر الطالب : عبـد اللطيف عبـد الخالـق . ولـم نعثر عليها عند نشـر الديوان الأول : « صرخة فى واد » .

اللهَ فـــى هـــول المُصـــابْ جَـزعَ الشبابُ علـى الشَّبـابْ !!
نجـــمٌ تـــألَّــقَ بـــرهَـــةً وخبـــا كمـــا ذابَ الحَبـــاب[1]
ومهنَّـــدٌ ، قـــد كـــان فيــــ (م) ـــــه لقـومـه أمـلٌ ؛ فخـاب
مـــا كـــاد يشحـــذُ غَـــربـــهُ حتـــى تضمَّنـــهُ القِـــراب[2]
حـــرٌّ ، كـــريـــمٌ، عـــاش فـــى الـــدّ (م) نيـــا غـــريبًـــا ، ثـــمَّ آب[3]
قـــد بـــاتَ يحســـبُ فـــى حســـا (م) بِ ، والمنيَّـــةُ فـــى حســـاب
سَكَـــن التّـــرابَ ، وإنَّـــهُ هـــو معـدِن الـذَّهـب اللُّبـــاب[4]
ربَّـــاهُ معـــــذرةً ، ألا مـــا للمنُـــون وللشبـــاب ؟[5]
أكـــذا يـــودِّعُنـــا ، ولـــم يبلُـــغ مـــن العُمـــر النِّصـــاب ؟
لكنَّـــــهُ سبحـــــانــــه (قســـم الحظـوظَ فـلا عتـاب) !
عبـــدَ اللطيـــفِ ، رَحلـــتَ عـــن جـــوٍّ تشبَّـــع بـــالضبـــاب

---

(١) الحباب : فقاقيع الماء الطافية على سطح الإناء ونحوه .

(٢) شحذت غرب السيف : أرهفت حده .

(٣) نظر الشاعر - فى هـذا البيت - إلـى قول أبى العـلاء : « أولو الفضل فى أوطـانهم غرباء » .

(٤) معدن : موطن ، اللباب : الخالص .

(٥) المنون : الموت .

وتــركـــتَ دارًا ، حلــوُهـــا مـــرٌّ ، وصيِّبُهــا ســـراب[1]

سيَّـــان : مـــن سكـــن اليبـــا (م) بَ بهـا ، ومــن سكـن القِبـاب[2]

الكـــلُّ منهـــا فـــى عـــذا (م) بٍ ، والمنيَّـــةُ منــه قـــاب[3]

والنـاسُ فــى الـدنيـا كـركْـــ (م) ـــب سفينـــة وســـط العُبـــاب

أن تَنــجُ مـــن غـــرقٍ بهـــم لـــم يَسلمـــوا مِـــن الاضطـــراب

المـــوتُ ضيـــف منكـــرٌ أبـــدًا يطـــوفُ بكـــلِّ بـــاب

لمـــا دعـــا عبـــدَ اللطيـــ (م) ـــفِ إلـى وفـــادَتـه أهـــاب[4]

بـــذل الحيـــاةَ لـــه قِـــرى وسقـــاهُ مـــن دمـــه الشـــراب

لهفـى عليـه شـاخـص العيـــ (م) ـــنين مصَفـــرَّ الإهـــاب![5]

متخضبًـــا بـــدم الشَّبـــا (م) بِ يـروعُ مـن أَثـر الخِضــابِ[6]

فـــى حجـــرةٍ مشئـــومـــةٍ سكـــنٌ يجـــرُّ إلـــى خـــراب[7]

يـــا ليتهـــا بَهمـــاءُ ينعـــ (م) ـــبُ فـى مفـاوزهـا الغـراب[8]

خـــبرٌ صبيحـــةَ الامتحـــا (م) ن أتـــى ، فـأفقـدنـى الصـواب !

فظَلِلـــتُ أكتـــبُ ، والـــدمـــو (م) ع مـعَ المـدادِ لهـا انســـكاب !

---

(١) الصيب : السحاب ، السراب : البرق الخادع الذى يوهم المطر ولا يمطر .

(٢) اليباب : الخراب .

(٣) يقصد : قاب قوسين ، أى : والمنية منه قريبة .

(٤) ضمير وفادته : يعود على الموت ، والإضافة من إضافة المصدر إلى فاعله .

(٥) الإهاب : الجلد .

(٦) مات الفقيد قتيلا بيد مجرم يجاوره فى السكن .

(٧) كان بين القتيل والقاتل نزاع على المسكن .

(٨) بهماء : صحراء ، المفاوز : المغارات .

وبداىَ ترتجفان فى القـ (م) طاسِ من هول المصاب
وكأنما شبحُ الجريـ (م) ـمةِ فى السؤال وفى الجواب
أَودَى على يد مجرمٍ كالزَّهر يُتلفه الذباب
عجبى عليه: كيف طا (م) رَ من التراب إلى السحاب؟![1]
حتى رأى يده قد امـ (م) ـتَدَّت إلى هذا الجناب
ورمى الشهاب فكيف لم يُحرقهُ ـ حين هوىَ ـ الشهاب؟
وبأىِّ قلبٍ غالَهُ؟ لو قُدَّ من صخرٍ لذاب
تعسَ الأنامُ؛ فمنهم تتعلَّمُ الفتكَ الذئاب

***

يا أَيُّها الجانى، متى صالتْ على الأُسد الكلاب؟
هلا رعيت الله فى تلك الأفانينِ الرِّطاب؟[2]
اللهَ فى هذا المُسا (م) لِمَ! ليتَ كفَّكَ فى تَباب![3]
أيذودُ مدينَتكَ الصقيـ (م) ـلةَ باليراع أم الكتاب؟
أذوَيتَ غصنًا ناضرًا وسلبتَ كنزًا من رغاب
وفجعتَنى، والدَّهرُ لا ينفَكُّ ذا ظِفرٍ وناب
فى صاحبٍ كم رقَّ لى عيشٌ بجانبه وطاب
أيامَ تجمعُنى به دارٌ مباركةُ الرِّحاب

---

(١) ضمير عليه يعود على القاتل.
(٢) الأفانين: جمع أفنان، وأفنان: جمع فنن بمعنى غصن.
(٣) تبت يده: شلت.

(دارُ القضـــاء) وأيـــنَ منـــــ (م) ـــكَ الدارُ أم أيـن الصِّحـاب ؟[1]

***

قـــل للقتيـــل : ألســـتَ مـــن عَـرَبٍ هـم الأسـدُ الغِضَـاب ؟

مَـــن مـــات حتـــفَ الأنـــف لا بـالسيـف عنـدهُـمُ يُعـاب[2]

غـــال الحِمـــامُ ابـــنَ الوليــــ (م) ـدِ على الفـراش ، فما استطاب[3]

كـــم كـــان يطلـــبُ قتلـــةً بيـــدٍ فـــأعيـــاهُ الطِّـــلاب

فـــاذهـب لـــربِّـــك قـــانـى ـــ الـــ (م) ـــدَّمِ أُرجُـــوانـــيَّ الثيـــاب[4]

جـــارت خليقُتـــهُ عليــــ (م) ـــك ، وعنـده حسـنُ الثـواب

فـــلأنـــت ربُّ شهادتـــــ (م) ـــين : شهيـدُ علـمٍ ، واغتـراب !

***

---

(١) كان الفقيد زميلا للشاعر فى مدرسة القضاء الشرعى ، ثم فى دار العلوم بعد أن ألغيت المدرسة الأولى ، وفى البيت تحسر على عهدها .

(٢) مات حتف أنفه : أى ميتة ربه دون فعل فاعل .

(٣) يشير إلى : ما قاله خالد بن الوليد ـ حين أدركه الموت على فراشه ـ : « هـأنذا أموت على فراشى كما يموت العير » .

(٤) الأرجوان : صبغ أحمر .

ذكرى شوقى

أنشئت تلبية لدار الإذاعة ، فى بعض احتفالاتها بذكرى شوقى .

طَواهُ الردى ؛ فتحدَّى العدم ... بشعرٍ يدورُ على كلِّ فَم

لعمرك ، ما ماتَ مَن شعرُهُ ... على صفحاتِ الصُّدُور ارتسم

وفى كلِّ بيتٍ له صورةٌ ... تُطلُّ عليك بلحمٍ ودم[1]

تمرُّ الليالى بشعر « ابن هانى » ... فتُظهرُ من عتقهِ والكرم[2]

قوافٍ لها فعلُ بنتِ الدِّنانِ ... وكم زانَ بنتَ الدِّنان القدم ![3]

لقد منحتهُ الطبيعةُ مُلكًا ... عريضًا من الشِّعر فيه احتكم

وعرشًا كعرش « ابن داودَ » ، فيهِ ... يقومُ الطيورُ مقامَ الخدم[4]

سلوا الشّرق : هل كان شعرُ ابن هانى ... سناه إذا ما الظلامُ ادلهم ؟[5]

وبَلسمه من جراحِ الزمانِ ... وسلواه فى كلِّ خَطبٍ ألَم ؟[6]

تَغنَّى به فى السرورِ الطروبُ ... فكان الكمانَ ، وكان النَّغَم

---

(١) يريد : أنك حين تقرأ شعره يبعث إلى مخيلتك صورته .

(٢) ابن هانى : هو اللقب الذى اختاره شوقى لنفسه ، وهو - فى الأصل - لأبى نواس .

(٣) كنى ببنت الدنان عن الخمر ، وشبه شعره بالخمر : فى أن العتق يرفع قيمة كليهما .

(٤) جعل شوقى أمير الطيور ؛ لأنه أشجاها تغريدًا ، ومن هنا شبهه بسليمان فقد كانت الطيور تحت حكمه .

(٥) ادلهم : احتدم ظلامه .

(٦) « ألم » هنا فعل ماض : ألم إلمامًا .

وَناح بـه فـى الخطوب الحـزيـنُ ... فـلامَـسَ منـه مكـانَ الألـم

قـوافٍ سـرت سـريـان البُـروقِ ... تَجـوبُ الـوهـاد ، وتطـوى الأكـم

شَـواردُ طبّقـت الخـافقيـن ... بها الشَّـرقُ - بعـد الشَّتَاتِ - التَأَم[1]

أعـزُّ علـى الضّادِ مـن كـلِّ مـا ... حـوتـه صحـائفهـا مـن حكـم

وأروى مـن النيـل للظـامئيـنَ ... وأخلـدُ مـن لَبنـاتِ الهـرم

سلـوا الضَّادَ : هـل كـان أحمد كنـزًا ... حـوتـهُ يـداهـا ؟ تجبكُـم : نعـم !

يقـولـون : شـادٍ بِقِيثـاره ... شَجى العُـرب ، قلتُ : وهـزَّ العجم

أجـادَ القـريـضَ بعهـد الشَّبـابِ ... وأعجـز حيـن اعتـراهُ الهـرم

وكـم شـاعـرٍ لـم يَمَسّ الشُّعـورَ ... فمـا قـال شعـرًا ، ولكـن نظـم !

لعمـرُك مـا النـاس دون الشُّعـور ... ودونَ الأحـاسيـس إلا نَعَـم

إذا الشّعـب لـم يُعـر الشُّعـراءَ ... مسـامعـهُ ، فهْـو شعـبٌ أصمّ

ومـا قيمـةُ الـروض دونَ طيـورٍ ... تُغنّـى ودونَ زُهـورٍ تُشـم ؟[2]

ومـا الكـون إن أَصبح الكـون سُـوقًا ... لبَيـع القرى بـالجياع ازدحـم ؟[3]

لقـد عبـد المحـدثـون الحُطـامَ ... كمـا عبـد الأقـدمـون الصّنَـم

أرى عـالمًـا كسـدَت رُوحُـهُ ... علـى فضـلاتِ الحُطـام اختصـم[4]

---

(١) الخافقان : المشرق والمغرب . يشير إلى : أن شعر شوقى كان أحد العوامل التى جمعت شمل الشعوب العربية ، كما قالوا : إن شعر الشاعر « جوته » الألمانى كان من أكبر العوامل فى توحيد شمل الشعوب الجرمانية .

(٢) شبه الشعر بالطير والزهر ، وجعل الأرض بلا شعر كالروض بدون هذين .

(٣) القرى : الزاد .

(٤) ينعى على العالم إهماله للناحية الروحية ، وإكبابه على المادة .

أرادَ الحيــــاةَ بحـــدِّ الحُســـــامِ وشــاد بــه رُكنهـــا ؛ فــانهــدم[1]

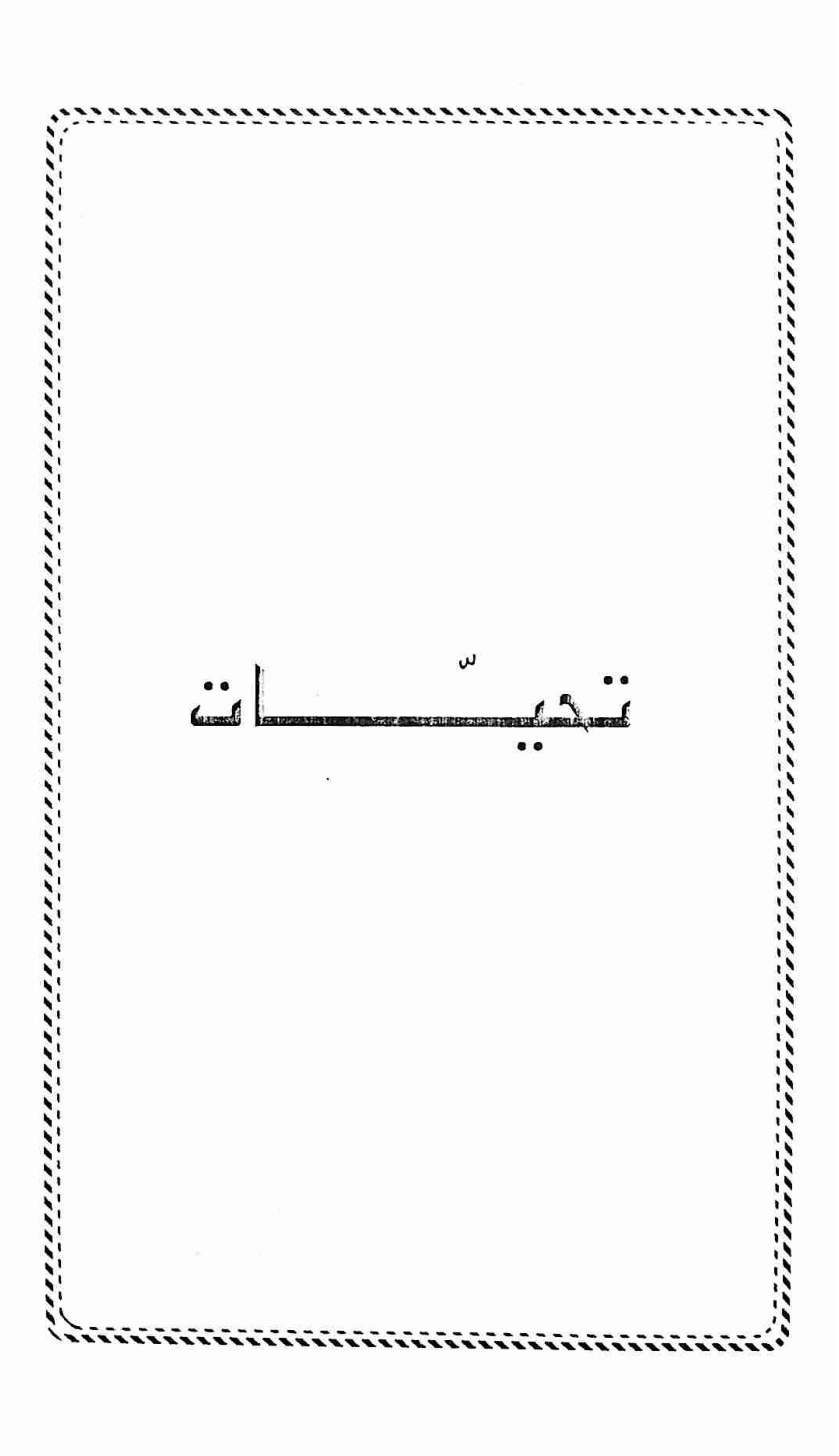
فيـا عـابـدى الــزادِ، خَلُّوا الحسـامَ وسُــوسُــوا الأمــور بســـنِّ القلــم

ومــا الشعـــرُ إلا حيــاةُ الشُّعـــوبِ ورمــزُ النُّهــوضِ ، وحفــزُ الهِمَــم

إذا ســاد فـــى الأرضِ ، قـلّ الفســادُ بهـــا ، وأظـــلّ السّـــلامُ الأمَـــم

*****

(١) ينعى ــ على العـالم ـ كثـرة الحروب ؛ فـى سبيل تنازع السيـادة ، وامتلاك منـابع الثروات .



تحيّات

تحيـة العميـد

في الحفـل الذى أقامه المعلمـون بناديهم ؛ تكـريمًا للدكتور : طه حسين وزير المعارف سنة ١٩٥٠ م .

أعـد ، يا شعرُ أحمدَ ، من جديـدٍ ... يَصـوغُ ثنـاءهُ فـى ابـنِ العميـدِ [١]

وأقسـمُ ، مـا رفعـتُ بـذاك طـه ... فـأين ابـنُ العميـدِ من العميـد ؟

وزيـرَ الـدولتيـن ، إليـك أُزجـى ... نشيدى ، ما عسى يُجدى نشيدى ؟ [٢]

أميـرُ القـول أنـتَ ، فكيـف أسعى ... إلـى الـلألِ بـالـدُّرِّ الفـريـد ؟ [٣]

ومـا أنـأى سمـاءَك عـن جنـاحـى ... ومـا أغنـى ريـاضـك عـن ورودى !

لئـن تَـك عاهـلَ الفُصحـى المفَـدَّى ... فحَسبـى : أنَّنـى بعـضُ الجنـود

ومثلُـكَ مـن مَحـا الطبقـاتِ محـوًا ... ومـن سـاوى المُسـوَّدُ بـالمَسُـود [٤]

نُشيـدُ بـذكـر أقـوامٍ فيعلـو ... وتُعلـى أنـتَ مـن قـدر المُشيـد

همـا حـرفـان ضَمَّهمـا اسـم طـه ... قـرأنـا فيهمـا معنـى الخلـود

---

(١) يقصد : أحمد أبا الطيب المتنبى ، وله مدائح معروفة فى ابن العميد الكـاتب المشهور ، والشبه قوى ؛ فهنا شاعر يثنى على كاتب ، وهناك كذلك .

(٢) يقصد دولتى : العلم والأدب .

(٣) اللآل : صانع اللآلىء .

(٤) المسود : « بتشديد الواو » هو السيد ، والمسود : « بضم السين » خلاف السيد ، ويقصد بمحو الطبقات : أنه أول من نادى بديموقراطية التعليم ، وألغى مـا كان يجبى عليه من الرسوم التى ينوء بها كاهل الفقير .

تَغَنَّت باسمك الفصحى، فقالت ذواتُ الطَّوق للفصحى : أعيدى[1]

إذا أدباؤُها انتظموا قصيدًا فإنك بينهم بيتُ القصيد

وقالوا : ضاق بالحفلاتِ ذَرعًا فقلتُ : وكيف نُرمى بالجحود ؟

تواضع كيف شئتَ ؛ فنحن نَجزى على الإحسان بالشكر المَزيد

فإن لم يُرضِك التكريمُ ، فاكفُفْ ـ فديتُك ـ عن مواصلة الجُهُود

وكَفكِف من أياديك اللواتى أنارَ بياضُها وجهَ الوجود

ولستَ بُمستطيعٍ قبضَ كفٍّ براها اللهُ من كرمٍ وَجُود

ولما أن وليتَ الأمرَ ، قرَّت عيونٌ لم تذُق طعمَ الهُجُود[2]

وهنَّأ بعضُنا بعضًا ؛ كأنَّا تبادلنا التَّهانىءَ يومَ عيد

وقلنا : جاء حلَّالُ القضايا ومقتحمُ الحواجزِ والسُّدود[3]

ومن يلقى الحقوقَ مقيَّداتٍ فيعصفُ بالسلاسلِ والقيود

هما عزمان : عومٌ من زُجاجٍ لدى الجُلَّى، وعزمٌ من حديد[4]

---

(١) كنى بذوات الطوق عن : الطيور ؛ أى: أن اسمه أطرب الطيور التى هى مبعث الطرب بما ترسله من تغريد .

(٢) الهجود : النوم ، وقرت العيون : كناية عن السرور ، فهم يقولون : إن للسرور دمعة باردة « قارة » وللحزن دمعة حارة .

(٣) هذا البيت دخول على بسط قضية المعلمين والمطالبة بإنصافهم ، والمراد باقتحام الحواجز : أنه لا يعبأ « بالروتين » الحكومى ، ولا يحفل بالعقبات المالية .

(٤) الجلى : الشدة . الضمير «هما» : يعود على « عزمان » بعده ، وهو استعمال جائز فى مثل هذا الموضع ؛ ومثله قول تأبط شرا :

هما خطتان : اما إسار ومنة وإما دم ، والقتل بالحر أجدر

ومـــن أمســـى لـــه طـــه ظَهيـــرًا فقـد آوَى إلـى رُكـن شـديـد[1]

إذا حـال الـــوُلاة ، فـأنــت طَـهَ وطَـهَ أنـت فـى كـل العهـود[2]

صـريـحُ القـول ؛ تُطلقهـا وعـودًا مُـدوِّيــةً وتُـوفــى بــالــوعــود

أيحيـا النـاسُ فـى بـذخٍ وعـزٍّ ونحيـا مثـلَ زُهـاد الهنـود ؟[3]

ومـــا شـــطَّ المعلـــم أو تجنَّـــى ولا هـو هـام بـالعيش الـرغيـد

بـل التَمسَ الكرامـةَ فـى زمـانٍ بـه الأقـدارُ تُـوزَنُ بـالنقـود

إذا مـا الشعـبُ ضَنَّ على مُـرَبِّى بنيـه ، فليسَ بـالشعب المجيـد

ويَنطَبـع الـوليـدُ علـى هـوانٍ إذا مـا هـان أستـاذُ الـوليـد

طبعـتَ علـى الإبـاء ، فكـن وليًّـا علـى شـمٍّ أُبـاة الضيـم صِيـد[4]

تلقَّينـا الكـرامـةَ عنـك درسًـا ومـا أقسـاه مـن درس مفيـد[5]

لقـد عـرفتـك مصـرُ أعـزَّ نفسًـا إذا هـان الـورى هَـونَ العبيـد

وأرفـع أهلِهـا هـامًـا إذا مـا تقـوّسـت الظهـورُ مـن السجـود

وأشمـخَ أهلهـا أنفًـا إذا مـا تمـرَّغـت الأنـوفُ علـى الصعيـد

وأغـلاهـم يـراعًـا حيـن يُشـرَى يـراعُ الحرِّ بـالثمَـنِ الـزهيـد[6]

---

(١) ظهيرًا : سندًا ومعينًا .

(٢) اعتاد الحكام أن يدلوا ـ وهم خارج المناصب ـ بما لا يعترفون به ، أو ينفذونه وهم على كراسيها .

(٣) زهاد الهنود : مضرب الأمثال فى التقشف وخشونة العيش .

(٤) شم : جمع أشم ، أباة : جمع أبى ، ومعنياهما متقاربان ، صيد ، جمع أصيد : وهو من يشمخ بأنفه كبرًا .

(٥) يريد بقسوة هذا الدرس : أن الاحتفاظ بالكرامة يكلف صاحبه الكثير .

(٦) كانت الأقلام تشترى فى هذا العصر ، وكنى بغلو اليراع عن : تعذر شرائه ؛ على حد قول الشاعر : « ولكن دمعى فى الحوادث غال » .

لـك القلـمُ الـذى إن مسَّ طِـرسًـا ... حسبنـا الـوحى يهبِـطُ من جديـد

إذا ليـلُ الخطُـوب دَجَـا دُجـاهُ ... أضـاءَ بـأحـرفٍ كـالليـل سـود

قصيـرٌ حيـن تشبـره ، ويَـرمـى ... فيـدرك غـايـةَ الشَّـأو البعيـد[1]

كـأنَّ مـداده شهـدٌ مصَفَّـى ... كـأنَّ سطـوره بَسَمَـاتُ غيـد

يمـرُّ صـريـرهُ بـالأُذْن طـورًا ... كـأنمُل كـاعـبٍ عَـزَفت بعـود

وطـورًا يَقـرَعُ الأسمـاع قـرعًـا ... أحـدَّ مـن العـواصـف والـرعـود

إذا هـو ثـار فـوق الطـرس يـومًـا ... فقل : يا أرضُ - ويحـك - لا تميدى

لـه - من غيـر فحشٍ - قـارصـاتٌ ... كـأطـراف الأسنَّـة فـى الجلـود[2]

يصيـب مقـاتـلا ، ويُحـزُّ هـامًـا ... ولا يُجـرِى الـدمـاءَ مـن الـوريـد[3]

أحـدُّ مـن الظبـا وقعًـا ، وأنـدَى ... علـى الأكبـاد مـن مـاء بَـرود[4]

ومِبضـعُ كـلِّ مكلـوم ، وسـوطٌ ... يـؤدِّبُ كـلَّ جبَّـارٍ عنيـد

بـك افتخـرت علـى الـدُّولاتِ مصرٌ ... فخـارَ الأُمِّ بـالـولـد الـرشيـد

تثَّنـت يـوم أن بعثـك عِطفًـا ... ومـالـت يـوم عُـدتَ لهـا بجيـد[5]

لقـد أدلـت بـك الفصحى دليـلاً ... لتُفْحِـمَ مـن رمـوهـا بـالجمـود

---

(١) تشبره : تقيسه بالشبر .

(٢) اشتهر المحتفل به بالأسلوب المؤدب ، التهكمى ، اللاذع .

(٣) الوريد : عرق فى العنق ، والمراد : أنه يقتل قتلا أدبيًا .

(٤) الظبا : شفار السيوف .

(٥) العطف : الجانب ، وفى هذا البيت : يشير الشاعر إلى إيفاد المحتفل بـه إلى فرنسا ؛ فى بعض المهام الثقافية .

رأت « باريس » فيك نبوغ « هيجو » وشامت عبقريّة « ألفريد »[1]

فبات الغربُ يعرفُ أن مصرًا مدارُ كواكبٍ ، وشَرَى أسود

وأنَّ الشرقَ ذو مجدٍ طريفٍ كما عرفُوه ذا مجدٍ تليد

لقد أحرزتَ للنيل انتصارًا وعدتَ إليه خفَّاق البُنود

إذا ما كنتَ عن بلدٍ سفيرًا سهرتَ ، وباتَ يَنعَمُ بالرقود[2]

يراعك للعروبة شادَ ما لم يشدْهُ لها حسام ابنِ الوليد[3]

جزاك اللهُ عن أدبٍ وعلمٍ أعدتَ إليهما زمنَ الرشيد

***

---

(١) شام البرق : راقبة ليعرف أين يمطر ؟ و « هيجو وألفريد » : هما الأديبان الفرنسيان المعروفان : فيكتور هيجو ، وألفريد ديمسويه .

(٢) نظر الشاعر فى هذا البيت إلى قول الشاعر :

وإن أرقتك حروب العدا فنبه لها عمرا ثم نم

(٣) يقصد القائد العربى : خالد بن الوليد .

أسماؤهم رتب [1]

بعث بها إلى الدكتور : طه حسين أيضًا .

بين الورى فتيةٌ فى رفعة الشُّهبِ أَسماؤهم رُتبٌ علياءُ للرُّتبِ

طَهَ . ولاسمِكَ من حرفَيْه أُغنيةٌ تُوحى بكلِّ معانى المجد والحَسَب

من كان مثلَك ، لم ينهض به لقبٌ لكنَّ محضَ اسمه يطغى على اللقب

حرفانِ خفًّا على الأسماع ، وانطبعا على القلوب ، وهزَّا الشرقَ من طرب

من كان يسعى إلى الغايات يطلُبها

فقد سعت خلفك الغاياتُ فى الطلب [2]

يا مُنهض الأدب المهضوم فى زمنٍ تعيشُ فيه القوافى عيش مُغترب [3]

وباعثَ الروح فى أجساد صابِئَةٍ لا يؤمنون بغير القوت والذهب [4]

اليومَ كلُّ أديب عن صناعته راضٍ ، وما كان أشقى حرفةَ الأدب !

الضاد تعتزُّ ـ يا طه ـ إذا ذَكرت ما ضَمَّ بينكما من لُحمة النسب

إن الشعوب إذا أدلت بحجَّتها فأبلغَتْ ، كان طهَ حُجَّةَ العرب

*****

---

(١) لهذه الأبيات مناسبة خاصة ؛ هى : أنه قد أخطأته رتبة « الباشوية » فى العصر الماضى ، وكان متوقعًا له أن يمنحها .

(٢) يقول : إنك لم تتعود السعى إلى غاية ما ؛ حتى تسعى إلى لقب أجوف كهذا .

(٣) يشير إلى : ما يعانيه الأدب عامة والشعر خاصة : فى هذا العصر من الكساد .

(٤) أصل الصابىء : الراجع عن دينه ، ويراد به ـ هنا ـ : الملحدون إلحادًا أدبيًا .

تقدير أديب

عندما منح السيد الرئيس : جمال عبد الناصر ، توفيق الحكيم وسامًا ، تقديرًا لأدبه .

بالأمسِ وحَّدَ حادى الثَّورة العَربا ... واليوم أَدَّى لأهل الفكر ما وَجبا[١]

أقسمتُ ، ما خصّ « توفيقًا » بتكرمةٍ ... بل كرّمَ الفنَّ فى بُردَيه ، والأدبا

أَكرم به نبأ هزَّ المشاعرَ لم ... يسمع أديبٌ به إلا انثنى طربا !

هذا الوسامُ لعمرى حِليةٌ لمعت ... فى صدرِ كلِّ أديب قال أو كتبا

لكلِّ ذى قلمٍ من جَرسِ أحرفه ... لحنٌ ، ولوْ أنّ « توفيق الحكيم » أَبى

قل للذى عاب « توفيقًا » وجرَّحَهُ :

هل تَزحمُ البحرَ ؟ أو هل تطمِسُ الشُّهُبا ؟[٢]

جزاك ربُّك خيرًا . رحتَ ترجُمهُ ... بالنقد ، فانقلبَت أحجارُه ذهبا[٣]

فى الناس من ينقُدُ المُهر الأصيل ، فإن ... حثَّ الخُطا نحو مَيدان السباق حبا[٤]

ومَنْ يعيب خطيبًا مِصقعًا لَسنًا ... ويَبلغُ الريق وسط الحفل إن خطبا[٥]

وينقُدُ الشعرَ مثلَ الزَّهر مُتَّسِقًا ... فإن يَصُغهُ ، أَتَت أبياتُهُ حطبا

---

(١) يريد بحادى الثورة : السيد الرئيس جمال عبد الناصر .

(٢) هنا : ينبغى ذكر السبب المباشر فى هذا التقدير ، وهو أن بعض النقاد هاجم المحتفل به فى صحيفة رسمية تعتبر لسان حال الحكومة هجومًا عنيفًا ، فقدم المحتفل به استقالته ، فكان الرد عليها هو هذا التقدير الكريم .

(٣) يريد : أن النفد شر أعقب خيرًا كثيرًا

(٤) حث الخطا : أسرع .

(٥) الخطيب المصقع : هو الجهورى الصوت ، وابتلاع الريق : يكنى به عن العى والحصر .

مـن كـلِّ بيـتٍ يشُـجُّ الـرأسَ مُنشـدُه ... كـأن مُنشـدَه بـالبيـت قـد حصبـا

لـيـس البيـانُ بـروضٍ مُهمـلٍ فنـرى ... فـى كـلِّ يـوم غـرابًـا فـوقـه نعبـا[1]

ولا اليـراعُ جـوادًا يشتكـى عـرجًـا ... فيمتَطِيـه ذلـولاً كـلُّ مَـن ركبـا

الفنُّ ـ مذ كان ـ صعبُ المُرتقى عَسِرٌ ... إدراكُـهُ لا يُلَبِّـى كـلَّ مـن طلبـا

لا ينهـض المُلـكُ إلا بالفنـون ، فـإن ... لـم تُتخَـذ حجـرًا فى أسِّـه اضطـربـا

مَن « ابنُ حمدانَ »؟ ما أطرافُ دولته ؟ ... هل كان أكثرَ من والٍ على « حلبا » ؟[2]

لكـنّ « أحمـدَ » سـوَّاهُ لنـا مَلِكًـا ... كالدَّهر إن صال ، أو كالبحر إن وهبا[3]

لا يعمـلُ السَّيـفُ فى الهيجـاءِ مُنفـردًا ... كم مـن أديبٍ بحدِّ اللفـظ قد ضَـرَبا

وكـم مقـالٍ علـى الأعـداءِ تُطلُقـهُ ... فيستحيـلُ بميـدان الـوغـى لهبـا

وكـم رأيـتُ يـراعًـا خـاض معـركـةً ... ثـم انثنـى بـدم الأعـداء مُختَضَبـا

أهـلُ البيان إذا نـارُ الـوغـى احتدمـت ... جندٌ ، وإن فقدوا الألقـاب والرُّتبا[4]

ومـا انتفـاعُـكَ بـالأجسـام فـارعـةً ... تكـادُ من طـولهـا أن تَنطَحَ الشُّهُبـا ؟

لـيـس الجمـالُ وليس الـذَّوقُ فـى بلـدٍ ... يبغـى التقـدُّم إلاَّ الـروحَ والعصبـا[5]

مَن قـال : إنَّهما فى الشَّعب مـن تَرَفٍ ... فقـد تجنَّى عليـه ، وافتـرى كَذبـا[6]

---

(١) يشير إلى : شراذم تدس أنفها بين الأدباء ، وليست من الأدب فى شىء .

(٢) ابن حمدان : هو سيف الدولة بن حمدان ممدوح المتنبى المعروف .

(٣) أحمد : هو أبو الطيب المتنبى .

(٤) يريد أنهم ضباط بلا ألقاب : لواء ، وعميد ، وعقيد . . . . إلخ .

(٥) يشير إلى أن الأدب يربى الذوق العام وينمى ملكة الإحساس بالجمال .

(٦) يريـد : أن تربية الـذوق والشعور بالجمال مـن الأمور الأساسيـة التى تؤهـل الأمم للنهوض والمجد .

فمــا الشعــوب بـــلا فـــنّ ولا أَدبٍ | إلا دُمـى تُشبــهُ الأحجـارَ والخشبـا
« توفيقُ »، يهنيك تقديرُ الرئيس، وإن | تكن قضيت حقـوق الفنِّ محتسبًا[1]
أتقنـتَ فنَّـكَ لـم تطلـب بـه عـرضًـا | ولم تُتـاجر بـه فى السُّـوق مُكتسبا[2]
حتـى سعـى نحـوَكَ التَّقـديـرُ متَّئِـدًا | ولـم تكـن أنـتَ للتقـديـر مُـرتقيـا
إن المـواهبَ مثـلُ الطِّيـبِ لو حُبسـت | فـى قُمقُـم لـرأينـا ريحهـا غلبـا[3]
أنـتَ الأديـبُ ولـم أَعثُـر علـى لقـبٍ | فى معجم المجد يحكـى ذلك اللَّقَبا[4]

*****

(١) محتسبًا : متطوعًا به ، لا تبغى عليه أجرًا .

(٢) العرض : الكسب المادى .

(٣) الريح : يذكر ويؤنث .

(٤) يقصد بذلك اللقب : لقب « أديب » .

ليالى القاهرة

في حفل تكريم الدكتور : إبراهيم ناجى ـ بمنزل (معالى) : دسوقى (باشا) أباظة ـ بمناسبة ظهور ديوانه : «ليالى القاهرة»

يـا لليّـالـى الـوضـاء	ذاتِ السَّنـا والـرُّواءَ ! [1]
تبقـى ومـا لليـالـى	وأهلِهـا مـن بَقَـاء [2]
مـن كـلِّ ليلـةِ صَفـوٍ	ليسـت بـذاتِ مسـاء [3]
بـدا علـى كـل صُبـحٍ	منهـا احمـرارُ الحَيَـاء [4]
نـاجـى . ليـاليـك راقـت	بحُسنهـا كـلَّ رَاء
نـالـت رضَـائِى . وطُـوبـى	لمـن ينـالُ رضـائى [5]
إنِّـى أجـزتُـكَ فـادخـل	فـى زمـرة الأدبـاء
أنـت المجـدِّدُ حقًّـا	لكـن بغيـر التـواء [6]
قـد حـاد بـالشعـر قـومٌ	عـن الطـريـقِ السَّـوَاء

---

(١) يقصد بـالليـالـى : قصائد الديـوان ، التى جعـل لفظ : « ليـالـى القـاهـرة » علمًا عليها، السنا : الضوء ، الرواء : الجمال .

(٢) هنا : يقـارن الشاعر بين : الليـالـى المجازيـة والليالى الحقيقية ، فيقـول : تلك خالدة وهذه إلى انتهاء .

(٣) تمتاز الليالى المجازية بأن لا ظلام فيها .

(٤) يحمر وجه الصبح خجلا حين يراها ؛ لأنها أكثر منه إشراقًا .

(٥) طوبى : الخير الكثير .

(٦) يشير إلى : تعثر زاعمى التجديد، وما ينظمونه من لغو أجوف .

سيَّان : شعرٌ مُعمَّى وصيحَةٌ فى الفضاء

إنَّ الغُموضَ غطاءٌ والضعف تحتَ الغطاء[1]

لا ينجلى القبح ليلاً بل ينجلى فى الضياء

ما كلُّ شعرٍ جديدٍ بيعرُبىٍّ البناء

كم من جديدٍ سقيمٍ فى جسمه ألفُ داء

لو كنتَ فى طبِّ عيسى لم تأْته بالشفاء

ناجى ، قريضُكَ سمح فيه جمالُ الأداء

جَزلٌ كشعر حبيبٍ سَهلٌ كشعر البهاء[2]

وكلُّ لفظٍ ومعنى فيه كخمرٍ وماء

أحببتُ شعركَ حتى ما قُلتَه فى هجائى[3]

بَناتُ فكرِكَ حُورٌ حرائرٌ فى النِّساء[4]

ليست بسوق القوافى تُسامُ سومَ الإماء

لم ألقَ غيركَ طيرًا محلِّقًا فى سمائى[5]

كأنَّ شعرك شعرى فى رقَّةٍ وصفاء

---

(١) يريد : أن الإبهام أكبر ستار يسدل على ضعف الشعر ، كما أن قبح الوجوه لا يظهر ليلا ، وإنما يتضح فى وضح النهار .

(٢) حبيب : هو أبو تمام ، والبهاء : هو بهاء الدين زهير .

(٣) كان بين الشاعر وبين المرحوم ناجى دعابات، تجد بعضها فى : « ليالى القاهرة »، لناجى، وفى : « صرخة فى واد »، للشاعر .

(٤) كنى ببنات الفكر عن : القصائد .

(٥) هذا البيت ـ والأبيات التى تليه ـ : قصد الشاعر بها مداعبة صديقه .

أنــت الخليفــةُ بعــدى   فــى دولــة الشُّعــراء

فلتحــذُ فــى الشعــر حــذوى   ولتغتــرف مــن إنــائى

حتــى تكــونَ جــديــرًا   غــدًا بحمــل اللــواء

وصُــن مــديحــك إلا   عــن سيِّــدٍ ذى إبــاء[1]

مثــلِ الــدُّســوقِّــى حــرٍّ   ذى فطنــةٍ وذكــاء

إنّ الــدُّســوقِّــى يُــزرى   بحــاتــمٍ فــى السخــاء

هــو الأديــبُ المــرجَّــى   عنــد انقطــاع الــرَّجــاء

يحــبُّ كــلَّ أديــبٍ   حبًّــا سـرى فــى الــدمــاء

أُثْنــى عليــه ؛ فيعلــو   قَــدرى، وقَــدرُ ثنــائى !

*****

---

(١) هذا البيت : انتقال إلى تكريم المرحوم دسوقى (باشا)، الذى كان حفل التكريم فى منزله .

تحية وتقدير

ألقاها فى حفل أقيم لتكريم الأستاذ: محمد عبد المنعم خفاجة ، أستاذ الأدب العربى فى كلية اللغة العربية .

هتفوا بذكر أغرَّ نابه   عَمرُو بنُ بحرٍ فى ثيابه[1]
إنْ لم يَكُنهُ فى حقيـ (م) ـقتِهِ فبينهما مَشابه[2]
لا فى ملامحِ وجههِ   بل فى توَفُّرِهِ ودَابهِ[3]

***

حيَّيتُ فيه طالبًا   للعلم أمعنَ فى طِلابه[4]
بل كاتبًا فى الأُفق حلَّـ (م) ـق غيرَ وانٍ عن شهابه
إنْ ينتَسِب سِفرٌ إليـ (م) ـه ، تاه فخرًا بانتسابه
متدفِّقَ الأُسلوب ، تَحسـ (م) ـبُهُ نميرًا فى انسيابه
فى كفِّهِ قلمٌ ، لُعا (م) بُ النَّحلِ قَصَّرَ عن لُعابه

***

أسفارهُ منهلَّةٌ   كالغيث يهطلُ من سحابه[5]

---

(١) عمرو بن بحر : هو الجاحظ . والمحتفل به أشبه من يكون بالجاحظ ، فله ما ينيف على مائة كتاب من تأليفه .

(٢) اسم يكن يعود على المحتفل به ، والهاء من يكنه : ضمير الجاحظ .

(٣) عرف الجاحظ بدمامة الوجه .

(٤) أمعن : أوغل وتعمق .

(٥) أسفاره : كتبه .

قــــد أعجـــزَت قـــرَّاءَهُ		عـــن أن يسيـــروا فـــى ركـــابــه

رفقًـــا بقـــارئك الـــدَّءو (م) بِ ، فقـد شكـا من فـرطِ مـا بـه

***

لله دَرُّك كـــــاتبًـــــا		لـــم يَبـغِ ربحًـا مـــن كتـابـه

ولـــربَّمــا كـــان امتـــدا (م) حُ كتـابـه أقصـى ثـوابـه[1]

ولـــرُبَّمـــا امتـــلأت جُيـــو (م) بُ النـاشـريـن علـى حسـابـه

***

للعلـــم كـــرَّس مـــا تَصَـــرَّ (م) مَ أو تبقَّـــى مـــن شبـــابـه

يـــا رُبَّ بحـــثٍ مغلـــقٍ		بيـديـهِ عـالـج فتحَ بـابـه

أو مُشكـــلٍ قـــد راض جـــا (م) محَـــهُ ، وذلَّـــلَ مـــن صِعـــابـه

تـــرك الشبـــاب يهيـــم فـــى		وادى هـــواهُ أو شَـــرَابـــه

وصبـــا إلـــى الأدب الرفيـــ (م) ـع ؛ فـراحَ يـرشُـفُ من رُضـابـه

كتُـــبُ الثّقـــاتِ كِعـــابُـــهُ		أرأيـت أفتَـنَ مـن كِعـابـه ؟[2]

***

متـــواضـــعٌ مـــا قـــام يُعلـــ (م) ـــنُ ذاتَ يـومٍ عـن جَنَـابـه

آثـــارُهُ نَّمـــت عليـــ (م) ـــه ، وجـرَّدَتـه مـن نقـابـه

كـالطِّيـب فـى الأحقـاقِ ؛ يَنفَـ (م) ـــحُ رِيُحـه رغـمَ احتجـابـه

---

(١) نظر الشاعر ـ فى هذا البيت ـ إلى قول محمود الوراق :

*ولئن قصدت كريمهم بقصيدة		يومًا فمدح المدح منه عطاء*

(٢) الكعاب : جمع كاعب ؛ وهى الفتاة الناهد .

السيـــفُ سيـــفٌ مصلتًـــا أو مستكِنًّـــا فـــى قـــرابـــه[1]

***

اللهُ يعلـــمُ لـــم أُجـــا (م) ملـــهُ بمـــدحـــى أو أُحَـــابـــه

فخصـــومـــهُ اعتـــرفـــوا لـــه بـــالفضـــل أكثـــرَ مـــن صحـــابـــه

سِـــرْ ، يـــا خفـــاجَـــةُ ، لا عدِمتُـــ (م) ـــك فـــى طـــريقـــك غيـــرَ آبـــه[2]

العلـــمُ بحـــرٌ زاخـــرٌ فـــاضـــرب بـــزَنـــدِك فـــى عُبـــابـــه

لـــم يَجـــنِ شهـــدَ العلـــمِ إلا مَـــن تجـــرّعَ كـــأس صـــابـــه[3]

أرضـــت ســـواك قشـــورهُ ونفَـــذتَ أنـــت إلـــى لُبـــابـــه[4]

لله شعرك ![5]

تحية لديوان الأستاذ : فرحات عبد الخالق .

فـــرحـــاتُ يـــا خِـــدنَ الصِّبـــا وأخـــا الـــدِّراسة مـــن قَـــديـــمِ[6]

وخليـــلَ أيّـــامٍ مـــرَرْ (م) ن بنـــا أرقَّ مـــن النسيـــم

فـــى ظـــلِّ « مـــدرســـة القـــ (م) ـضاء» ، وفى حمى « دار العلوم »[7]

---

(١) صلت : برز .

(٢) آبه : اسم فاعل من أبه بمعنى حفل .

(٣) الصاب : شجر مر .

(٤) لباب الشيء : خلاصته .

(٥) هذه الأبيات صدر بها ديوان الشاعر فرحات المشار إليه .

(٦) الخدن : الصديق .

(٧) زامل الشاعر من يقرظه بهذه القصيدة فى مدرستى : القضاء الشرعى ، ودار العلوم.

غـــالَبــتُ فيـــك ، وقـــد يُغَـــا (م) لــى الخــلُّ فــى الخــلِّ الحميــم

وحسبـــتُ شعـــرَك بعـــضَ مـــا تـــركَ الأوائلُ مـــن تَميـــم[1]

لله شعـــــــرُك ! إنـــــــه لَمِــنَ العُــروبــةِ فــى الصميــم

لا بـــالمُهَلهَـــل نَسجُـــه عنــد السَّمـــاعِ ، ولا السَّقيـــم

لله دُرُّك راصفًـــــــا لبقًـــا ! ودرُّك مـــن حكيـــم

علَّمـــت بـــالشعـــر الشبـــا (م) بَ مبـــادئَ الخُلُـــقِ القـــويـــم

وطبعـــتَ أنفُسهـــم بـــه طبعًـــا علـــى الـــذَّوق السليـــم

أَقسمـــتُ ، مـــا حَـــبُّ الجُمـــا (م) نِ يُصـــاغُ فـــى العقـــدِ النظيـــم

كـــلا ، ولا الكـــأسُ المشَعـــ (م) ـــشَعَةُ الطِّـــلا بيـــد النـــديـــم[2]

بـــأحـــبّ مـــن معنـــى كـــريـــ (م) ـــمٍ صِيـــغ فـــى لفـــظٍ كـــريـــمِ

---

(١) يريد بذلك : أنه عربى أصيل .

(٢) الطلا : الخمر ، المشعشة : الممزوجة بالماء ونحوه .

يا راعي الفصحى

في حفل تكريم الأستاذ : حامد عبد القادر ، عندما عين مديرًا عامًا لإدارة اللغة العربية سنة ١٩٥٣ م .

لَمْ مأَلقَ إلا شاكرًا ، أو حامدا ... مذ قيل : قَيَّضَت العنايةُ حامدا[١]

هشَّت له الفصحى ، وأطربها اسُمهُ ... فكأنَّ أحرُفه انتظمن قصائدا[٢]

ضلَّت قوافلها ؛ فكان دليلها ... ووهت جحافلُها ؛ فكان القائدا

من عاش يحمى حَوزَةَ الإسلام ، أو ... يحمى ذِمار الضَّادِ ، عاش مجاهدا

قالوا : تكرِّمُهُ ، فقلتُ : لمحتُ فى ... هذا الجبين على النجاحِ شواهدا

أقسمتُ ، ما كرَّمتُ غيرَ مكرَّمٍ ... كلا ، ولا مجَّدتُ إلا ماجدا

كَرَّمتُ فيه فتى ، فسيحًا أفقهُ ... لا حائدًا فى رأيه ، أو جامدا

متحرِّرًا من كل قيدٍ عقلُهُ ... لا يُصلحُ العقلُ المُقيَّدُ فاسدا

كم سائرٍ قُدمًا ولكن عينُه ... من خلفه تَبكى الزمانَ البائدا ![٣]

كَرَّمتُ فيه فتى أبيًّا ، لا يُرى ... لسوى المهَيمِن راكَعًا أو ساجدا

خُلُقٌ كزهر الروضِ حين تَشَمُّه ... وتَشِيمُهُ ؛ فيسيلُ عذبًا باردا[٤]

---

(١) حامد : الأولى صفة ، والثانية : علم ، كما هو واضح .

(٢) هش له : تهلل وجهه إذ رآه .

(٣) سار قدمًا : سار إلى أمام .

(٤) شام البرق يشيمه : راقبه ليعرف موضع سقوط المطر .

ما شئتَ من : عزم يُذيب الصَّخر ، أو حلـمٍ يَـردُّ المـرهفـاتِ مبـاردا[1]

يا راعى الفصحى ، علـى اسم الله سِرْ بسفينهـا وسط العـواصـف ، صامـدا

ووراء ظهـرك معشــرٌ مــن أهلهــا متــوثِّبــون ، مشَمِّــرون ســواعــدا

والله لا يشقــــى معلِّمهـــا بهـــا فـى عيشــه مـا دمـت أنــت الـرائدا

لــو شــدَّ مثلـك مــن قـديـمٍ أَزرَهُ لتنـاولــت يـدُهُ الثـريَّـا قــاعـدا[2]

***

دارَ العلــوم ، أعيــذُ أهلــك أن أَرى فيهـم علينا حـاقـدًا ، أوْ حاسـدا[3]

مــا ضــرَّ أنجُمَـك الــزواهــرَ أنَّنــا منهــا استَعـرنَــا للمعــارف واحــدا

دارَ العلـوم ، وأنـتِ مشكــاةُ الحمـى لـــولاكِ ظــلَّ الجهــلُ فيــه ســائدا

مــا كنــتِ ــ وايــمُ اللهِ ــ إلا معهــدًا فــردًا تقسَّــم فـى البــلاد معـاهـدا[4]

---

(١) نظر الشاعر فى هذا البيت إلى قول القائل :

تـوقد عـزمى يتـرك الماء جمـرة وحيلة حلمى تترك السيف مبردا

(٢) الأزر : الظهر ، وشد الأزر : كناية عن المساعدة .

(٣) كان المحتفل به أستاذًا بدار العلوم ، وفيها أقيم الاحتفال .

(٤) يريد : أن أبناءها منتشرون فى كل معاهد التعليم .

الطبيب يس

قـل لمـن أنَّ فـى الصبـاح أنينَـا وشكـا فـى المَسـاء داءً دفينَـا :

إن ضللـت الشفـاءَ فـى كـلِّ وادٍ كـانَ « يـاسيـنُ » بـالشفـاء ضمينـا

الطبيـبُ الـذى تَمثَّـلَ « جاليـ (م) ـنوسُ » حَيًّا فى شخصه ، « وابن سينا »[1]

يفَـرَقُ الـداءُ إذ يـرى طيـفَ « ياسـ (م) ـينَ » فيُلقِـى سـلاحـهُ مُستكينـا[2]

ويصيبُ « المِكْروبَ » مبضعُ « ياسـ (م) ـينَ » ولـو كـان فـى الفـؤاد كمينـا

ويَـرمُّ الجـراحَ ، وهـى عصيَّـا (م) تٌ ، إذا مـدَّ للجـراح يمينـا[3]

كـم شكـونـا ، فزارنـا ؛ فـاسترحنـا فكـأنَّـا قبـلَ العـلاج شُفينـا

كـم شـربنـا الـدَّواءَ وهْـو أُجـاجٌ مـن يـديـه فكـان عـذبًا معينـا[4]

يتـولَّـى مـرضـاهُ بـالعطـف حتى ليخـالـون عطفـه « بنسلينـا »[5]

قسمًـا ، لـو تمثَّـل النُّبـلُ شخصًـا يحملُ اسمًـا ، كان اسمهُ : « يـاسينا »

*****

---

(١) جالينوس وابن سينا : هما الطبيبان القديمان المشهوران ، وبهما تضرب الأمثال .

(٢) يفرق : يخاف .

(٣) يرم الجرح : يلمه ويأسوه .

(٤) أجاج : غاية فى المرارة .

(٥) البنسلين : الدواء المعروف : شبه به عطف الطبيب على مرضاه .

تغريدات الصباح

قرظ بها الشاعر ديوان صديقه : محمد الأسمر .

ما بالُ شعرِ الشاعر الأسمرِ ... أبيضَ مثل الفَلَقِ المُسفِرِ ؟[1]

فتَّشت ما فتَّشت عن لفظةٍ ... نابيةٍ فيه فلم أَعثُر

فيه على ما فيه من قُوَّةٍ ... رقَّقه ماء النيل ، والكوثر

كالزَّهرِ ، إلا أنّه خالدٌ ... مثلَ خُلودِ الهرم الأكبر

قد بعث الأسمرُ في شعره ... عهد أبي الطيِّب ، والبُحتري[2]

وشاد للنيل بأبياته ... ما لم تُشَيِّده يدا جَوهر[3]

شُعرك ، يا أسمرُ ، في قُربه ... أنأى من الزهرةِ ، والمشترى[4]

عجبتُ ، يا صاحِ ، لصاحٍ تلا ... أشعارَك النَّشوَى ، ولم يَسكَر ![5]

---

(١) فلق الصبح : نوره .

(٢) أبو الطيب المتنبى ، وأبو عبادة البحترى : شاعران معروفان .

(٣) يريد : جوهر الصقلى مؤسس القاهرة .

(٤) الزهرة والمشترى : نجمان معروفان يشبه بهما شعر الشاعر فى بعده عن يد المتناول ، على قرب مأخذه .

(٥) « صاح » الأولى : مرخم صاحب ، والثانية : اسم فاعل من صحا .

شبل بشبل

حل الأستاذ : سعد اللبان محل الأستاذ : نجيب حتاتة فى رياسة جماعة دار العلوم ، ثم أقيم لكليهما حفل تكريم عقب الانتخاب فى مبنى كلية دار العلوم .

قال قومٌ، فأرجفُوا فى المقالِ: عَقِمت دارهم من الأنجالِ (1)

جمع الأمرَ كلَّه فى يديه بطلٌ واحدٌ من الأبطال (2)

قلتُ: يا قومُ ، ويحكم؛ إن فينا من حُماةِ الشَّرى عِدادَ الرِّمال

واستَعضنا عن شبلِ غابٍ بشبلٍ ليرى النَّاسُ كثرةَ الأشبال

قد شهرنا فى الرَّوع عَضبًا صقيلاً وادَّخرنا سواه ؛ لا عن كلال (3)

علم اللهُ ، لم نُعطِّله ، لكن لا غنَى عن كليهما فى النِّزال

أين حظُّ الجوادِ من قصب السَّبـ (م) ـق إذا كان وحدَهُ فى المَجَال ؟ (4)

لا تلوموها إذ تَجُولُ خطاها بين برج عالٍ ، وآخرَ عال (5)

كثر الزَّهر فى الرياض، فأغرت كثرةُ الزهر طيرها بانتقال

ليس فى الدار قادةٌ وجنودٌ كلُّ أبنائها من العمَّال

---

(1) أرجف فى المقال : شط وكذب ، والمراد بالدار : دار العلوم .

(2) يقصد : الرئيس المتنحى ، وهو الأستاذ : نجيب حتاتة ، وواضح أن الأبيات مسوقة مساق حسن التعليل .

(3) العضب الصقيل : القاطع الأملس ، والكلال : التثلم .

(4) يعتبر هذا البيت حسن تعليل آخر .

(5) الضمير : يعود على دار العلوم .

دارةٌ تحمــلُ اللـــواءَ يــداهـــا   وهْـو عــبءٌ يَئُـودُ ظهـر الليـالـى[1]
فهْـــى طـــورًا تُقلُّـــهِ بيميـــنٍ   وهْـــى طـــورًا تُقِلُّـــه بشمـــال

***

صـدق الظـنُّ فـى نجيـبٍ ، وسعـدٍ   والمـواضـى تَبيــنُ عنـدَ الصِّقـال[2]
قـد أخـذنـا عـن الـرئيسيـن درسًـا   فـى سُمـوِّ الأخلاق عنـد النضـال[3]
أخمـدَا جـذوةَ الخــلاف بخُلْــقٍ   يُطفــىء النــارَ كــالنَّميــر الــزُّلال
فكُفِينـــا شـــرَّ انفصـــامٍ وبيـــلٍ   أىُّ داءٍ كـــالانقســـام عُضـــال ؟

***

قـل لمـن كـرَّمـوا نجيبًـا : نجيـبٌ   ـ مـذ عـرفنـاه ـــ مـوضـعُ الإجـلال
قسمًـا ، مــا تـزعـزعَـتْ ثقــةٌ فيـــ (م) ـــه ، ولـو زُعزِعـت رواسـى الجبـال
رجــلٌ أَنفُــهُ يــزيــدُ ارتفــاعًـــا   إذْ تَشَــمُّ الثَّـرى أنــوفُ الـرجـال
جـدَّ فـى خـدمـة الجمـاعـة حتـى   شغلتـــهُ عــــن نفســـه والآل
ســاهـرًا فـى سبيلهـا ، مستهينًـا   بـــالنفيسيـــن : وقتـــه ، والمـــال
إنْ جحـدنـا جهوده ، شهـدت بضـ (م) ـعٌ وعشـرٌ مـن السنيـن الخـوالـى
إنَّ هـــذا البنــاءَ ـــــ وهـــو جمــادٌ ـ   شــارك النـاطقيــن فـى الاحتفـال[4]
فنجيـــبٌ أطَـــلَّ منـــه هـــلالاً   ثـــم آوى إليـــه بعـــد الكمـــال[5]

***

---

(١) يؤد : يثقل . والبيت وما بعده حسن تعليل أيضًا .

(٢) يراد بالمصراع الثانى : أن الرجال تعرف عند الشدائد .

(٣) واضح من سياق الكلام أن هذا الحفل كان يراد به حسم خلاف مستحكم .

(٤) يريد : بناء كلية دار العلوم الذى أقيم الاحتفال فيه .

(٥) يشير إلى : أن نجيبًا تخرج فى هذا المعهد طالبًا ، ثم عاد إليه عميدًا .

قـد عــرفنـاك ، يـا نجيــبُ ، دوامًـا ... ذا مضَـــاءٍ فـى الــرأى ، واستقــلال

فلتجـاهـد ــ بعـد الرِّيـاسـة ــ حـرًّا ... إنهـا فــى الـرقــاب كـالأغــلال[1]

بطَل « المَنش » فَازَفـى الحرب ، لكن ... خـذَلُـوه فـى السِّـلم أى انخـذال[2]

مـا ونــى بعـدَ ذاك بـل كــان شيخًـا ... عــزمــهُ مثـلُ رأسـه فــى اشتعــال

ولنـــا أســـوةٌ بشعـــبٍ عـــريــقٍ ... هــو فـى الخلــق مضـرب الأمثــال

***

إيه ، يـا سعدُ ، أحرفُ اسمِـكَ فيهنَّ (م) لـــدار العلـــوم أطيَـــب فـــال[3]

أنـت ، يـا سعـدُ ، نلتَ تـأييـدَ قـومٍ ... يــزنـــون الكـــلامَ بـــالمِثقــال[4]

فـاقبـلُ العُـذرَ حيــن أختصـرُ القـو (م) لَ ، ودعنـى أحكُـمْ علـى الأعمـال

ثقــةُ الــدار فيــك تطلـــبُ مهـرًا ... إنَّ مهـــرَ الحـــرائر الغِيـــد غـــال

إنمـــا أنـــتَ مِـــدرهٌ عـــن أُنـــاسٍ ... حمَلُـوا الظُّلـمَ مـن سنيـنَ طِـوال[5]

وإذا حـــلَّ بـــالمعلـــم ضيـــمٌ ... رُمــى الشَّعــبُ كلُّـــهُ بـــانحـلال

مـــا طلبنـــا نـواطـــحَ السُّحــبِ دُورًا ... لا ، ولا الـرَّوضَ وارفـات الظِّـلال[6]

إنَّنـــا نَطلـــبُ الكـــرامـــةَ والعيـــ (م) ـــشَ ولسنَـــا بغيــر ذاك نُبـــالــى

قُـل لمصرٍ : لـن تبلـغُ المجدَ مصرٌ ... والمُـــرَبُّـــون مـــوضـــعُ الإهمـــال

فئَـــةٌ بثَّـــتِ الكـــرامـــةَ فـــى النَّـــ (م) ـــشْءِ وكــادَت تـذوقُ ذُلَّ السُّــؤَال

---

(١) إنها : أى الرياسة .

(٢) يقصد : تشرشل ، وكيف سقطت وزارته ، بعد انتصاره فى الحرب العالمية الثانية .

(٣) « إيه » : اسم فعل بمعنى « زدنا » .

(٤) يريد : أن الذين انتخبوك رجال اللغة العربية الذين صناعتهم الكلام .

(٥) مدره : محام .

يا ملاذ الموظفين

اعتزمت نقابة الموظفين إقامة حفل تكريم للمرحوم : عبد الرحمن البيلى وزير المالية إذ ذاك ، وكلفت الشاعر إعداد قصيدة يعرض فيها قضية الموظفين .

حَرَسَ المالَ سيِّدُ الأمناءِ ... ورَعَاهُ . رَعَتْهُ عينُ السَّماءِ !

أمَلٌ لم يطش ، وحُلمٌ جميلٌ ... حقَّقَتْه لنا صُروف القضاء[1]

سنواتٌ مرَّت بمصرَ عِجافًا ... جرَّعت أهلها كُئُوس الشَّقاء[2]

قيلَ : عبد الرحمن صارَ وزيرًا ... قلتُ : قد جاءَ يوسفٌ بالرخاء[3]

طاهرٌ ، لم يَحُم حواليه شَكٌّ ... أىُّ شكٍّ يرقى إلى الجَوزاء ؟

ذو سجَايا منابعُ النِّيل ودَّت ... لو حكَتها فى رقَّةٍ وصفاء

هو فى حلبْةِ الجهاد لواءٌ ... وهْو فى الاقتصاد ربُّ اللواء[4]

مستقلٌّ برأيه فى بلادٍ ... خُطَّ سفر استقلالها بالدماء[5]

***

---

(١) فى البيت إشارة إلى : أن الموظفين كانوا يتمنونه وزيرًا للمالية .

(٢) السنوات العجاف : سنوات الأزمة ، ويقصد بها : أيام الحرب العالمية الثانية .

(٣) يشير إلى : قصة يوسف مع عزيز مصر ، وتصرفه فى خزائن الأرض أيام سنى الجدب .

(٤) الحلبة : الميدان .

(٥) كان المحتفل به مستقلا ؛ غير منتم إلى حزب من الأحزاب .

يـا قـريبًا مـن القلـوب، بعيـدًا — عـن ريـاح الحزبيّـة الهَـوجـاء

صـرتَ رُبّـانهـا ، فسـدِّد خُطـاهـا — بيـن هُـوج الـرِّيـاح والأنـواء[1]

كثُرَت سـاسـةُ البـلاد، فمـن لـى — بـرجـال الحسـابِ والإحصـاء ؟[2]

لا تَسُـودُ البـلادُ بـالجَـدَل الأجـ (م) ـوَفِ أو بـالـوثـائق الجـوفـاء

إن أردتُـم أن تَبتَنُـوا مجـدَ مصـرٍ — فـاجعلـوا الاقتصـاد أسَّ البنـاء

يـا مـلاذَ المـوظفيـن جميعًـا — يـا وزيـرًا أحنَـى مـن الآبـاء

إنمـا أنـت للمـوظَّـف ظـلٌّ — بعـد مـا ذاق لفحَـةَ الصحـراء

كـان يـرجـوكَ مستشـارًا ، فلمّـا — جاءك الحكمُ ؛ طال حبلُ الرجاء[3]

فتلقّـاك مثلمـا يتلقّـى — أهـلُ بيـتِ العليـل بُشـرى الشفـاء

إنمـا أنـتَ خيـرُ مـن يـرفـعُ الحَيـ (م) ـفَ ويَقضِـى بيـن الـورى بـالسَّواء

فـازَ بـالمـال كـلُّ هتّـافِ حـزبٍ — فـاحمِـهِ مـن لصُـوصـه الشُّـرفـاء[4]

المحـاسيـبُ أوصَـدُوا كـلَّ بـابٍ — فـى وجـوه النـوابـغ الأكفـاء

فـانشـر العـدلَ والمسـاواة فينـا — لا رَعَـى اللهُ عهـدَ الاستثنـاء[5]

***

وإذا مـا ارتقـى المـوظَّـفُ شـأنًـا — أصبـحَ الشَّعـبُ كلُّـه فـى ارتقـاء

---

(١) الأنواء : العواصف الراعدة الممطرة .

(٢) ينعى على كثرة الزعماء والأحزاب فى ذلك العهد .

(٣) كان المحتفل به مستشارًا لنقابة الموظفين قبل أن يلى وزارة المالية .

(٤) يقصد بالشرفاء : أنهم لا يقعون تحت طائلة القانون .

(٥) لم يبرح الأذهان عهد الاستثناء ، وما جره على البلد عامة والموظفين خاصة من ويلات .

وإذا هـانَ أمـرُهُ عنـد شعـبٍ ... فعَفـاءٌ عليـه أيُّ عفَـاء[١]

خـادمٌ ؛ يخـدم البـلاد بعـزمٍ ... ليس للسيـف مـا لـه من مضـاء

الكـراسـيُّ والمكـاتـب أحنَـت ... ظهـرَه فـي الشبـاب أيَّ انحنـاء

والأضَـابيـر بيـن طـيٍّ ونشـرٍ ... سلَبَـت مـا بعينهِ مـن ضيـاء[٢]

وتحـارُ النقـودُ بيـن يـديـه ... حيرَةَ الـريش فـي مهبِّ الهـواء

هـو بيـن الأنـام فـي جسـم عمـلا (م) ... قٍ ولكنَّـهُ قصيـر الـرداء[٣]

إنمـا راتـبُ المـوظَّـف دَيـنٌ ... هـو للغيـر مُستحـقُّ الأداء

كـم شهـورٍ مضت عليـه طـوالاً ... طـولَ ليـل العشَّـاقِ عند الجفـاء

كـلُّ شهـرٍ أطـلّ يـدعـو عليـه ... وهْـو طفـلٌ فـي مهده بـالفنـاء[٤]

هـو يستعجـلُ الـرحيـلَ دوامًـا ... وسـواء يـودُّ طـول البقـاء

يَبتَنـي شـاهـقَ القصـورِ سـواهُ ... وهـو ــ ما عـاشَ ــ سـاكنٌ بـالكِراء

فـإذا مـات ، لـم يُـوَرِّث بنيـهِ ... غيـرَ حـرِّ الأسـى ، ومُـرِّ البكـاء

***

كـم صبرنـا علـى الخطُوب كـرامًـا ... واعتصمنـا عنـد الطَّوى بـالإبـاء[٥]

وخَـدعنـا الـورى بـزيّ جميـلٍ ... وهـو قُبـحٌ مُمَـوَّهٌ بطـلاء

---

(١) عفاء عليه : دمار له وهلاك .

(٢) الأضابير : جمع إضبارة وهى الملف .

(٣) يقصد : أنه يخدع بحسن مظهره وإن كان على أسوأ حال .

(٤) يعنى بذلك : ترقب الموظفين لأول كل شهر مقبل ، وتمنيهم زوال كل شهر هم فيه .

(٥) الطوى : الجوع .

فـإذا الحـربُ ، لا عفـا الله عنهـا ... تكشـفُ السِّترَ بعـد طول الخفـاء[1]

مـرّت الحـرب بـالأنـام سـلامًـا ... وبلَـونـا فـى الحرب أىَّ بـلاء[2]

قـد أنـاخَـت علـى الموظَّـف حتـى ... عُـدَّ فيهـا مـن جملـة الشُّهـداء

إنّ مـن يكتـوى بنـار الشظَـايَـا ... مثـلُ مَـنْ يكتـوى بنـار الغـلاء

حَـدِّثـونـا بـربّكـم عـن متـاعٍ ... بيعَ بـالبخس فـى سبيـل الغـذاء

حَـدِّثـونـا عـن الكسـاء ؛ فـإنـا ... قـد نَسِينـا يـا قـومُ طيـفَ الكِسـاء

كـم رداءٍ سـألـتُ عنـه ، فقـالـوا : ... ذاب كـالملـح فـى يـد الكَـوَّاء

وسـواهُ إذا هُمُـو غَسَلـوهُ ... بـتُّ أَخشـى عليـه مَـسَّ المـاء

كـم لبِسنـا فى الصيـف جِمـلاً ثقيـلاً ... وخفيفًـا مُهفَهَفًـا فـى الشتـاء

كـم مشينـا بيـن الـورى بثيـابٍ ... نسجَـت نصفَهـا يـدُ الـرّفـاء

***

يـا غيـاث المـوظفيـن جميعًـا ... وهُـداهُـم فـى حـالِـكِ الظَّلمـاء

لا تليـقُ الشَّكـاةُ بـالـرجُـل الحـ (م) ـرِّ ، ولكـنّ قد فاضَ مـاءُ الإناء ![3]

إن قسـا الـدهـرُ ، يـا وزيـرُ ، علينـا ... فلنـا فيـك أنـت خيـرُ عَـزاء

---

(١) يقصد : الحرب العالمية الثانية .

(٢) يشير إلى : أن كل متجر رفع قيمة كسبه بنسبة ارتفاع الغلاء ، ما عدا الموظف .

(٣) فاض الإناء : تعبير يقصد به أن الأمر جاوز المدى .

إلى الوزير الأديب

بعث بها إلى المرحوم : عبد الهادى الجندى وزير الأوقاف ، عقب تقدير أظهره الوزير للشاعر .

ليتَ الزمانَ المستبدَّ العادى ... يرعى الأديبَ بعين « عبد الهادى »

رجلٌ لمستُ على الأديب حنانهُ ... فإذا حنانُ أبٍ على أولاد

يتعشَّقُ الأدبَ الرفيعَ ، كأنما ... هو من بنى العباس فى « بغداد »

لله درُّك من وزير زانهُ : ... ذوقُ الأديب ، ونظرةُ النَّقاد !

يا ناصرَ الآداب فى زمنٍ طغَت ... كالسيل فيه عبادةُ الأجساد

لا وزنَ للأرواح فيه ، وإنما ... صلَّى بنوه ، وسبَّحُوا للزاد

طوَّقتَ جيدى بالجميل ، وطالما ... طوَّقتَ آلافاً من الأجياد[1]

وبعثتَ - بعد اليأس - فى نفسى المنى ... حتى سمعتُ دبيبَها بفُؤادى

كلماتُ عطفك لا يزال رنينُها ... يحكى بأُذنى رنَّةَ الأعواد

نزلت بقلبى مثلما نزل الحَيا ... بخمائلِ الواحاتِ وهْىَ صواد[2]

فى مصر « جُنديٌّ » لمصرٍ مخلصٌ ... نفذت أوامرُه على القُوَّاد

قالوا : فتى القانون أنتَ ، وموئِلٌ ... للعدل . قلتُ : ومعقلٌ للضاد[3]

---

(١) حضر سيادته فى بعض المسارح رواية تمثيلية للشاعر ، فطلبه ، وأفاض عليه من ألوان الثناء ، ثم فاوضه فى شأن الانتفاع به فى وزارته .

(٢) الحيا : الغيث ، صواد : ظوامىء .

(٣) كان سيادته من رجال القضاء .

كرموه

ألقيت فى حفل تكريم الأستاذ: محمد سعيد العريان ، بنادى الصحافة .

كرِّموه تُكرِّموا عُريانا ... أسبلَ الفضلُ فوقهُ طيلسانا[1]

قد كسَتهُ الطروسُ ثوبَ فَخَارٍ ... وكساها من فنِّه ألوانا[2]

كرِّموه تُكرِّموا نفسَ حرٍّ ... ما رآها النُّقَّاد إلا جُمانا

صهرت نفسَه الخطوبُ ؛ فزادَت ... نفسهُ فى تَنُّورها لمعانا[3]

ذو إباءٍ ، كأنما كلُّ عضوٍ ... فيه أنفٌ أَشَمُّ ، يأبَى الهوانا

لم يلن عودُهُ ، وكم كبيرٍ ... عجمت عودَهُ الخطوبُ فلانا[4]

ويردُّ العدوانَ كيلاً بكيلٍ ... لو رماه الزمانُ ، يرمى الزمانا

شارعًا للطِّعان أمضى قناتيـ (م) ... ـن : يراعًا مُسدَّدًا ، وبنانا

شاربًا بالكأسين : شُهدٍ ، وصابٍ ... يتولَّى آنًا ، ويُصرفُ آنا[5]

وسعيدٌ فى كلِّ حال سعيدٌ ... يكرمُ الفنُّ ربَّه حيث كانا[6]

يَعجزُ الناسُ كلُّهم أن ينالوا ... بالأذى ـ وهو طَبعُهُم ـ فنَّانا

---

(١) الطيلسان : نوع من الثياب .

(٢) يشير إلى : أنه كاتب بارع .

(٣) يشير إلى : ما لقيه المحتفل به من ظلم واضطهاد وتشريد .

(٤) عجم العود : قرعه بأسنانه ؛ ليعرف مقدار صلابته .

(٥) يشير إلى تنقله فى الوظائف تبعًا لتغير العهود فى ذلك الوقت .

(٦) سعيد الأولى : علم ، والثانية : صفة .

إنَّ للفـنِّ أنفسًـا خـالصـاتٍ لا تبـالـى العطـاءَ ، والحـرمـانـا

إنْ تضِـق بـالأنـام كلِّهـم الأر (م) ضُ ، فلـن يعـدم الأديبُ مكـانـا

دولـةُ الطِّـرس لا يُحَـدُّ مـداهـا دونهـا كـلُّ دولـةٍ سُلطـانـا

ويـراعُ الأديـبِ ليـس يـراعًـا فـى يمين الأديـب بـل صَـولَجانـا[1]

قـل لمـن سيـمَ فـى الحياة هـوانًـا : كُـن عـزيزًا ، أو لا تكـن إنسـانـا[2]

ولَخيـرٌ لصـاغـر لبـسَ الـذُّلَّ رداءً : أن يَلبَـسَ الأكفـانـا

مكتبة كاملة[3]

حيا بها الشاعر مكتبة المرحوم : كامل كيلانى .

مكتبـــةٌ كـــاملـــةٌ مـــن مُنشـــآتِ كـــامـــلِ

حـــافلـــةٌ رفـــوفُهـــا بكـــلِّ سِفـــرٍ حـــافـــل

رَوضـــةُ أطفـــالٍ مبـــا (م) حـــةٌ لكـــلِّ داخـــل[4]

لـم يبـقَ ـ بعـد اليـومِ ـ عُـذ (م) رٌ لصبـــىٍّ جـــاهـــل

***

(١) الصولجان : عصا الملك .

(٢) سيم الهوان : حمل عليه .

(٣) للمرحوم : كامل كيلانى مكتبة حافلة ، كل ما يباع فيها من تأليفه .

(٤) معظم كتب المرحوم كيلانى يتعلق بأدب الطفل .

يــــا أيُّهـــا القصيـــرُ ، فـــا خِـــر السُّهـــا ، وطـــاولِ [1]
لـــم أرَ عمـــلاقـًــا لـــه قـــدرُكَ فـــى المحـــافـــل
مـا الطُّـول فـى الهيكـلِ ، بـل فـى الفضـلِ ، والشمـائل

***

لله أنــــتَ مـــن أبٍ جـــمِّ البنيـــن عـــائل !
أبٌ لكـــلِّ نـــاشـــئٍ أبٌ لجيـــلٍ كـــامـــل
كُتُبُـــك تَهمِـــى فـــوق رأ (م) س النَّـشءِ مثـلَ الـوابـل
وتَحتَــــه تفيــضُ بحـــ (م) ـــرًا مـا لـه مـن سـاحـل
مـــا عُـــدتَ تلقـــى دُميَـــةً فـــى يـــد طفـــلٍ عـــاطـــل
أو عَجَـــــلاً يـــــدورُ ، أو حلـــوى بكـــفِّ آكـــل
سَـل الصِّغـارَ : هـل لهـم غيـرَ (جُحَـا) من شـاغـل ؟[2]

***

« كـامـلُ » ، أنـتَ مـن بقـا (م) يـــا العـــرَب الأوائل
لـــم نـــدر مـــن أىِّ قبيـــ (م) ـــلَةٍ مـــن القبـــائل ؟
« قُـــسُّ إيـــادٍ » أنـــت ، أم أنـــت خطيـــبُ « وائل » ؟[3]
القلـــمُ الـــذى بـــه تكتُـــبُ صنـــعُ « بـــابـــل »[4]

---

(١) كان معروفًا بقصر القامة ، والسها : نجم معروف .
(٢) للكيلانى فى جحا عدة قصص خالدة ، ويعنى بهذا البيت ـ وما قبله ـ : أن كتب الكيلانى شغلت الأطفال عما اعتادوا أن يلعبوا به .
(٣) خطيب إياد : هو سحبان .
(٤) بابل : مدينة معروفة من قديم بالسحر .

رأسُـــك أم مـــدينـــةٌ دائبـــةُ المعـــامـــل ؟

وأنـــتَ أم ركـــبٌ يســـ (م) ـــيرُ حـــامـــلَ المشـــاعـــل ؟

إنَّ الـــذى تُبـــدعُـــهُ يُعيـــى لســـانَ القـــائل

إنَّ الـــذى تُنشئُـــهُ يُعجِـــزُ طـــوقَ النـــاقـــل

أرهقـــتَ بـــالتـــأليـــف عقـــ (م) ـــلَ القـــارىء المُـــواصـــل

مَـــنْ يَـــعِ مـــا تكتُـــبُ ، لـــم يَعـــىَ أمـــامَ ســـائل

قـــل للـــذى يلهَـــثُ فـــى إثـــركَ : « لا تُحَـــاول »(١)

إن الـــذى حـــاولَهـــا عـــاد بغيـــر طـــائل

شتَّـــان بيـــن : فـــارسٍ مُـــدرَّبٍ ، وراجـــل

ربَّ أنـــاسٍ يمتَـــو (م) ن فضـــلَ كـــلِّ فـــاضـــل

صـــدورُهـــم ـــ مـــن وَجدِهـــا علـيـــك ـــ كـــالمـــراجـــل(٢)

مـــن رام هَـــدمَ شـــامـــخٍ فـــالهـــدمُ للمعـــاول(٣)

خَـــلِّ الـــذئابَ إن عَـــوَت فـــى طُـــرُق القـــوافـــل

وانهـــض بهـــا رســـالـــةً مـــن أقـــدَسِ الـــرســـائل

***

إن قلـــتُ : « للطِّفـــل كتبـــ (م) ـــتَ » ، كنـــتُ غيـــرَ عـــادل

أنـــت مُـــرَبٍّ للجميـــ (م) ـــعِ ، ربُّ فضـــلٍ شـــامـــل

---

(١) يلهث فى إثرك : يحاول جاهدًا اللحاق بك .

(٢) الوجد : الحقد والضغينة .

(٣) نظر ـ فى هذا البيت ـ إلى قول الشاعر :

كناطح صخرة يومًا ليوهنا فلم يضرها ، وأعيا قرنه الوعل !

ظل الحكم

فى حفل أقيم لتكريم المرحوم : دسوقى أباظة ، عقب سقوط وزارة هو أحد وزرائها .

حُكْمٌ تقلَّصَ عنه ظلُّـ (م) ـكَ ؛ ما تقلَّصَ عنك ظلُّه [1]

أنت امرؤٌ دَستُ الـوَزا (م) رة لا يُجلُّك بل تُجلُّه [2]

بالحكم لا يعلو محلُّـ (م) ـك أنت ؛ بل يعلو محلُّه

مارستَهُ حتى ملِـ (م) ـلتَ ، ومَنْ يمارسُهُ يملُّه

لم تتَّخذُ لمطمعٍ   شَرَكًا ، ولا سيفًا تَسُلُّه

ماذا يضيرُكَ تركُهُ   ولك العلا والمجدُ كله ؟

يأْسَى على حُكمٍ تقَلْـ (م) ـص ظلُّهُ من يستَغِلُّه

مَنْ يبتغى من خَلفِهِ   جاهًا ومالاً يستحلُّه

كم فى الكنانةِ دست حُكـ (م) ـمٍ كاد يلفظُ من يُقلُّه [3]

ويحَ الكنانةِ ، إنَّها   جسمٌ ، وحبُّ الحكم سُلُّه [4]

يكفيك مُلكُ الشعر ؛ إنَّ (م) لمُلكه عرشًا تَحُلُّه

عرشُ القوافى أنت ربُّ (م) الحكم فيه ، مستقلُّه

---

(١) تقلص الظل : انحسر وزال .

(٢) دست الوزارة : كرسيها .

(٣) يلفظه : يقذف به .

(٤) يشير إلى : تهافت الأحزاب على الحكم فى ذلك العهد .

إنَّـــا جنـــودُكَ إن نَقُـــل شعـرًا ، فبـاسمـك نستَهلُّـه[1]

الشعــــرُ نُـــوَّارٌ ، وإبـــ (م) ـــراهيمُ وابلـــهُ ، وطلُّـــه[2]

عـــذرًا إذا أقللـــتُ ؛ إنَّ (م) الشعــــرَ أسيَـــرُهُ أقلُّـــه

بحـــر ، و بحـــر

استقبـل بها المرحوم : دسوقى (باشا) أباظة عند عودته مـن بعض رحلاته إلى أوربا بطريق البحر .

أدَرى البحـــرُ مَـــن حَمَـــل ؟ أدرى الفُلْـــكُ مـــن أَقَـــلّ ؟[3]

لـــو درى البحـــرُ ، لاحتَفَـــى بـــالـدُّسـوقـــىِّ ، واحتفـــل

عَـــلَّ أمـــواجـــهُ بـــدت راقصـــاتٍ مـــن الجـــذَل[4]

حَمَـــلَ البحـــرُ دولـــةً أكبـــرت شـــأنَهـــا الـــدُّول

وفـــــؤادًا كمـــــائه صـــافيًـــا مـــا بـــه دَخَـــل[5]

وخِــــلالاً كجـــــوِّه شـــافيـــاتٍ مـــن العِلَـــل

وجنـــابًـــا كشطِّـــهِ فيـــه أمـــنٌ لمـــن نَـــزل

حمـــــل البحـــــرُ درَّةً زانـــتِ البحـــر مـــن عَطـــل

---

(١) نستهله : نفتتحه .

(٢) الوابل : المطر الغزير ، الطل : المطر الخفيف .

(٣) أقل « بتشديد اللام » : حمل .

(٤) هنا حسن تعليل : يعلل الشاعر رقص الموج بأنه من فرحه بمن يحمله .

(٥) الدخل : الغل ونحوه .

تــــركَـــــتْ كـــــلَّ دُرَّةٍ فيـه غـاصَــت مـن الخجـل[1]

حمــــلَ البحــــرُ مُنجـــزًا يَشفــعُ القــولَ بـــالعمـــل

وهمــــــامًـــا أغـــرَّ ، لا يقطَــعُ الــدهــرُ مــا وصــل

لـــو حـــوى مثـلَ عـــزمـــه مـــاؤه الغَمـــرُ ، لاشتعـــل

حمــــل البحـــرُ مِسمحًـــا يُشبــــهُ البحـــرَ إن بَـــذَل

بـــك ، يـا بحـرُ ، فـى النـدى وبـــه يُضـــرَبُ المَثَـــل

لا لعمــــرى ؛ فـــإنَّ مـــن بـــك ســاواه مـــا عَـدَل

لســتَ تُـروِى مـــن الصَّـدَى وهْـــو رىٌّ لمـــن نَهَـــل

أنـــتَ ، يـــا بحـــرُ ، مـــالحٌ وهْـــو أحلـى مـــن العســـل

أَتلَعَـــت مصـــرُ جيـــدَهـــا إذ رأتْ بـــدرهـــا أَهَـــل[2]

وانحنـــى الثغـــرُ مُـــومئًـــا نحـــو يُمنـــاه بـــالقُبَـــل

الـــدُّســوقـــىُّ بـــالحشـــا حـــلَّ مـــن مصـــرَ والمُقَـــل

صـــانـــه اللهُ ربُّـــهُ كلَّمـــا حـــلَّ أو رحـــل !

***

(١) حسن تعليل آخر : يعلل غوص الدر فى قرار البحر بأنه اختفاء من الخجل ، حين رأى أعلى منه قيمة .

(٢) أتلعت جيدها : رفعت عنقها .

لا تتصاهروا

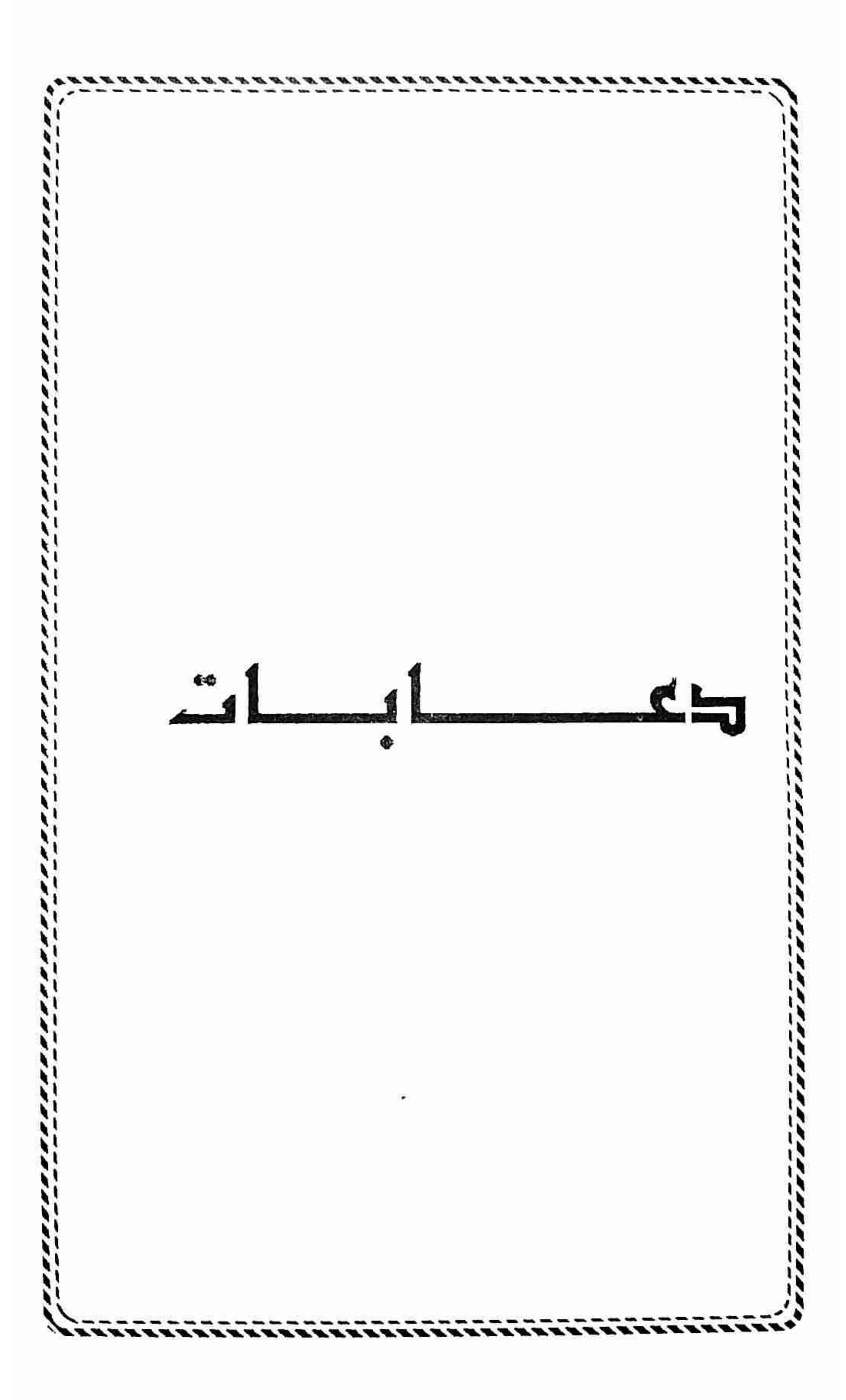
هنأ بهذين البيتين : دسوقي « باشا » ، عند ما بنى نجله : ثروت ، بكريمة الأستاذ : عزيز أباظة « باشا » .

قُل للأباظيِّين : لا تَتَصاهَرُوا ... بل صاهِرُوا شتَّى العَشَائر والأُسَر [1]

اللهُ بالمجد المؤثَّلِ خصَّكُم ... ما ضرَّ لو وزَّعتُمُوه على البشَر ؟

---

(١) لا تتصاهروا : لا يتزوج بعضكم من بعض .



دعابات

ديك غير وديك

ديك هزيل، أقام به للشاعر أحد أصدقائه مأدبة فى سفح الهرم

يــا صــاحِ مـا لــك والكَــرَم ؟ — البخــلُ طبْعُــك مــن قِــدَم

شهــدَت ببخلـــك ليلـــةٌ — قمــراءُ فـــى سفـــح الهــرم

تبًّــا لـــديكـــك يـــا أخـــى — هُضِمَ الحـديدُ ومـا انهضم ![1]

ديــكٌ هــزيــلُ الجسـم تـر (م) — كُلُــه الجـرادةُ بــالقَــدم[2]

فـــى دولـــة الأديـــاك كـــا (م) — ن مـــن السُّعـــاةِ ، أو الخـــدم

خِلنـاه فـــى الأطبـاق رســـ (م) — ـمًا بـالمــداد ، وبـالقلـم

جلـــدٌ يُحيــط بـــأعظـــمٍ — لا لحـــمَ فيـــه ، ولا دَسَـــم

خـــافـت يـــدى مـــن لمســه — فكـــأنـــه طيـــرُ الحـــرم[3]

زعمـــوه روميًّـــا ، ومنـــ (م) — ـه العُــربُ تبــرَّأُ والعجـم

لمـــا بـــدا قـــدَّسـت مـــن — خَلـقَ الخــلائق مــن عــدم

مـــن يـــأكـلُ الخُبــزَ القَفـا — رَ به ، لعمرى ، مـا ائتَـدم[4]

إنْ قلـــتَ : إنَّ حســـاءَه المـــ (م) — ـاءُ القَـراحُ ، فــلا جـرم[5]

---

(١) تبا : هلاكًا .

(٢) تركله : ترفسه .

(٣) طير الحرم : محرم صيده ؛ لقوله تعالى : ﴿ ومن دخله كان آمنًا ﴾ .

(٤) الخبز القفار : الذى لا أدم معه .

(٥) القراح : الصافى ، لا جرم : لا ملام .

عدس الوزير

ألقيت فى مأدبة من مآدب العدس الأباظى .

عَدسُ الوزيرِ ألذُّ عند المأكلِ ... من ألف ديكٍ بالبَهار متبَّلِ

لا يُذكر الرومىُّ وهْو محمَّرٌ ... بجواره ، أين ابنُ هندٍ من على ؟[1]

عدسٌ تحدَّاه الكبابُ ؛ فبذَّه ... ورمى الحمامَ ؛ فصابهُ فى المقتل

قد صمتُ أسبوعًا مضى من أجلهِ ... ولوَ انَّ صومى باطلٌ لم يُقبل[2]

حبٌّ كحبِّ الكهرمان مفصَّلٌ ... صاغَ الغوانى من فرائده الحُلى

وضَعوه فى طبقٍ ، فقلتُ لصاحبى : ... ما ضرَّ لو جاءوا به فى مِرجَل ؟

سقطت على بردىً منه بقعةٌ ... فشمِمتُ من بُرْدَىَّ ريح قرنفل

قالوا لنا : عدسٌ ، فأفزعنى اسمه ... لمَ لا ، ومنه قد تكوَّن هيكلى ؟

حتى ظفرت لدى الوزير بأكله ... فلعَقتُ من بعد الملاعق أنملُى

عدس الأباظِّين صنفٌ آخرٌ ... غيرُ الذى عُودِّته فى منزلى

ساءلتُ « ناجى » وهْو يحشو فكَّهُ ... عن صُنعه ، فأجابنى : لا علمَ لى[3]

هو من كبار العالمين بأكله ... وبغير ذلك من كبار الجُهَّل

لا تَدعُ « ناجى » إن أُصبتَ بعلَّةٍ ... وبطبِّه ودوائه لا تَحفِل

---

(١) ابن هند : معاوية بن أبى سفيان ، وعلى : هو على بن أبى طالب .

(٢) يقصد : أنه صوم لم تقصد به القربة بل قصدت به البطنة .

(٣) يقصد المرحوم الدكتور : إبراهيم ناجى الشاعر المعروف ، وكان صديق الشاعر وجاره فى المأدبة .

زاد الدُّسوقيِّ المفدَّى وحده … طبٌّ يداوى كلَّ داءٍ مُعضِل

سمحٌ يُباحُ طعامُه وشرابه … لكن حماهُ فى السِّماك الأعزل[1]

يأيها الداعى الكريمُ تحيَّةً … لله درُّك من جوادٍ مُفضِل

أقسمتُ ما عدسُ الصعيد بأسره … أشهى لنا من وجهك المتهلِّل

إنْ يشتَكِ الشعراءُ يومًا جُوعهم … كنتَ الدواءَ لهم وكنتَ الصيدلى

أَغدق على الشعراء ، واصنع دائمًا … لهم الولائمَ ، وادعُنى فى الأول

إن كنتُ أظهرتُ العفافَ ، فإنما … أنا شاعرٌ قد قلتُ ما لم أفعل[2]

لا زلت مغمورًا بفضلِكَ دائمًا … فى كلِّ مأدبِةٍ تقول تَفَضَّل

---

(١) السماك الأعزل : نجم معين .

(٢) يشير إلى حادثة معينة كانت بين الشاعر والمرحوم دسوقى (باشا)، مدح فيها الثانى الأول بهذين البيتين :

يا رعى الله غنيما … فهو خير الحاكمين

قد عرفناه عفيفا … مخلصا فى كل حين

من وحى الكأس

على (بك) شخصية مرحة لا تكاد تفارق الكأس شفتيه ، كان موظفًا كبيرًا ثم أحيل إلى التقاعد من سنوات ، وقد أقام له الشيخ المحترم : سعد (بك) اللبان - بقصد الدعابة - حفلة تكريم ، ألقى فيها الشاعر هذه القصيدة .

صاغوا لك الشعرَ من زهر ونُوارِ ... وصغتُه لك من من حانوت خَمَّار

ما « الروم » - إن قلتُ شعرًا - يا عليُّ ، وما ... زبيب « ذوتس » ، أو « كونياك أُوتار » ؟

حطِّم كئوسَك ، واشرب يا أبا حسنٍ ... سلافةً عُصِرت من كَرم أشعارى[1]

لله درُّك شيخًا ليس يُشبعُه ... نهرٌ من الخمر فى أحشائه جار !

حمراءُ سحنتُه ، بيضاءُ لحيتُه ... لكنَّ صفحته سوداءُ كالقار

إنَّ الشيوخ تقومُ الليلَ فى حرمٍ ... لكن علىٌّ يقوم الليل فى « بار »

***

يمشى علىٌّ ، فلا يدرى : إلى سَقرٍ ... تقودُهُ قدماه أم إلى الدار ؟[2]

يضلُّ عن بيته ، والشمس طالعةٌ ... وليس يبعدُ عنه قِيدَ أشبار[3]

وربَّما دق باب الجار من خبلٍ ... وربَّما ضربته زوجةُ الجار

يَعُدُّ « ينّى » عليه الكأس أربعةً ... أو خمسةً وهْو لا واعٍ ولا دار

---

(١) حسن : نجل على « بك » .

(٢) سقر : جهنم .

(٣) قيد : قدر .

ويحسبُ الفأرَ - إذ يبدو له - جملاً يَعدو عليه ، فيجرى خشيةَ الفار

ويطلبُ اللحم من دكّان فاكهةٍ ويشترى الموز من حانوت جزار

وربما خدعتهُ العينُ فى رجلٍ يمشى ، فقال : صباحَ الفُلِّ يا « مارى »

وربما قابلَ « المترو » فقبّله فى وجنتيه ، وحيّاهُ « بسيجار »

وربّما أطلقَ المسكينُ « قُنبُلةً » وراح يحسبُها رنّات أوتار !

***

علىُّ ، عذرًا إذا أَسرفتُ فى هذرى فأنت ذو منزلٍ عندى ومقدار[1]

حيَّيتُ ، يا صاح ، فيك النُّبلَ أَجمعه حيّيتُ فيك لسانًا غيرَ مِعثار

حيَّيتُ فيك حديثًا خفَّ مسمُعه وكم حديثٍ يحاكى رجمَ أحجار

ظلٌّ خفيفٌ ، وأخلاقٌ معطرةٌ لو نُسِّقت أَصبحت باقات أزهار

يكفيك نجلان يزداد الحمى بهما كلاهما لامعٌ كالكوكب السارى[2]

وندوةُ الشيخ « سعدٍ » أنت بهجتُها لله درُّكَ بدرًا بين أَقمار ![3]

***

لا عيب فيك ، سوى كأس تضاجعُها فى النوم ، تغنيك عن زوجٍ وأصهار

وكلِّ ما أنجبت مصرٌ ، وما ولدت « باريس » من خرّدٍ عونٍ وأبكار[4]

الدهرُ أفسد شيئًا أنت تعرفُه ما عاد ينفعهُ إصلاحُ عطار

بالأقدميَّة عش فى البيت منزويًا وأَخْفِ نفسك فيه خلف أَستار

---

(١) الهذر : الكلام الأجوف .

(٢) لعلى « بك » نجلان من كبار الموظفين .

(٣) يقصد سعد « بك » اللبان وكان إذ ذاك عضوًا بمجلس الشيوخ .

(٤) العون : ضد الأبكار ؛ أى : من سبق لهن زواج .

لا تغضبنَّ على فول ، ولا عدسٍ ولو أتوك بسمٍ ناقعٍ هار

عش، يا عليُّ ، مليًا، واقض عمرك في كاسٍ ، وطاسٍ ، وفي لهوٍ، وأسمار(١)

وخلِّ من شاء يبكي الحظَّ منتحبًا ويقطع العُمر في همٍ وأفكار

أترع كئوسك، واشرب كيف شئتَ، وقل: يا نفسُ ، لا تقنطي من رحمة الباري(٢)

ما العارُ إلاَّ الأذى بالناس تُلحقهُ ما في المُدام ، ولا في الكأس من عار

قد يغفرُ اللهُ للسِّكِّير من كرمٍ ويخلدُ الراهبُ الذِّكِّيرُ في النار

***

عليُّ ، هذا قريضٌ كنتَ تطلبُهُ فأَدِّ في كلِّ بيتٍ ألفَ دينار

الشعر غالٍ ، ولكنِّي أجودُ به عليك، إنَّك ـ مثلي ـ جائع عار

مؤامرة على شاعر

صديقان تآمرا على الشاعر ، واحتالا عليه حتى دعاهما لمأدبة في محل مشهور ، فلما أحس كيدهما له في المغالاة فيما يطلبان ، غافلهما ، وانصرف ، ثم قال :

رَامَا الغَداءَ على حسابي فتقاسما ثمن الكبابِ

وخلت جيوبُهما فلم يجدا سوى رهن الثياب

عضَّا الأناملَ بعدما عضَّا الحمامَ بكلِّ ناب

مَن قال : إنَّ عليَّ إطعـ (م) ـامَ المساكين السِّغَاب ؟(٣)

---

(١) مليًا : طويلا .

(٢) اترع : املأ .

(٣) السغاب : الجياع .

أَنــا لا أغُــذِّى البطــن يــو (م) مًــا بــالطعــام أو الشــراب
لكــن أغــذِّى العقــل إن هــوجــاع بــالأدب اللُّبــاب[1]

أنف كبير

لــى صــاحــبٌ ظلــه خفيــفُ لأنفـــه دانـــت الأنـــوف[2]
أنــف لــه قمَّــةٌ ، وسفــحٌ فيـــه المغــارات ، والكهــوف
إن قــامــت الحــرب غــاب فيــه مــن خــوف غــارتهــا ألــوف
ســأَلتُــه : أَهْــو صُنعُ ربِّــى ؟ فقــال : لا . بـل بناهُ خـوفـو[3]

بخل غريزى

شرب الشاعر قهوة لم تعجبه ـ عند صديقه العزيز « عزيز » ـ فقال :

عَـزيــزٌ ليس بــالـرجــل العـزيــزِ بخيــلٌ ، بُخْلُــه بخــلٌ غــريــزى
لــديــه قهــوةٌ مــن غيــر بــنٍ يُحلِّيهـــا بمِلــــحٍ إنجليــــزى

ولكن « عزيزا » برهن على كرمه ؛ فذبح للشاعر ديكًا وديكًا ، فقال :

أقسمتُ لـم تكُ ، يا عزيـزُ ، مقصِّرًا بـل كنـتَ مثلى فـى السخـاءِ وأكثـرا
لكــنَّ بُخلــك لا يــزول بــدعــوةٍ يــا صــاح ، بــل لابــدَّ أن تتكــرَّرا

---

(١) اللباب : الخالص .
(٢) دانت : خضعت .
(٣) يريد تشبيه أنفه بالهرم .

لـى صـديـق

داعب بها الشاعر صديقه : عباسًا ، على إثر إخلاف موعد .

لـــى صـــديـــق لا أراه قبَّـــحَ اللهُ لقـــــاه !
مخلـــفُ الميعـــادِ لا يَعـــ (م) ـــرفُ قـــولُ الحـــقِّ فـــاه
إن يعـــدْنـــى ، فكمـــا وا (م) عـــد عُـــرقـــوبٌ أخـــاه[1]
آه لـــو كنـــتُ أرى وجـــ (م) ـــهك ، يـــا عبَّـــاس ، آه !
طـــالَ بـــالشَّمـــس انتظـــارى لـــك حتـــى قلـــت : تـــاه ![2]
أيـــن سيـــارتُـــك العـــر (م) جَـــاءُ ، يـــا شيـــخَ النحـــاه ؟[3]
كيـــف لـــم تَلحَـــق بهـــا مـــن حملتـــهُ قـــدمـــاه ؟

فـى غـابـة

بعث بها إلى صديقه : على « باشا » عبد الرازق ، وزير الأوقاف .

يـــا سيِّدًا قـــد حلَّ فـــى الـــذؤابـــه
مـــن دوحـــةِ الســـؤدُدِ والنجـــابـــه
إذا شكـــا الأديـــبُ مـــا أصـــابـــه

---

(١) عرقوب : هو مضرب المثل فى خلف المواعيد .

وعدت وكان الخلف منك سجية مـواعيـد عـرقوب أخـاه بيثـربـا

(٢) يقصد : قهوة الشمس ، وكانت مكان اللقاء المحدد .

(٣) عباس هذا نحوى يشار إليه بالبنان .

لا يطـرقُ الأديـبُ إلاّ بـابـه

شـاعـرك استغـاث مـن « أنبـابـه »

وحطّـمَ القِيثـار والـرَّبـابـه

منهـا استعـار الأُفعوانُ نـابـه[1]

مـن لـدغتـه ، ضيّعـت صوابـه

جـد لـى بمسكـن ولو فـى غـابـه[2]

قالوا نكرمه

اداعب بها صديقه : عبد الفتاح الشناوى - مدير مكتب دسوقى « باشا » - فى حفل تكريمه .

قـالوا : نُكـرمه ، فقلـتُ : علامـا ؟ ... بِـمَ يستحقُّ جنـابـهُ الإكـرامـا ؟

ورأيـت إبـراهيـم أكبـر شـأنـه ... فعلمـتُ أنّـى أُخطىءُ الأحكـامـا[3]

قلّـدت إبـراهيـم فـى تكـريمـه ... أألامُ إن قلّـدت فيـه إمـامـا ؟

أنـا إن أَطلـتُ القـول فـى أَمثـالـه ... مـا خفـتُ مـن طول المقـال مـلامـا

لا بطشـهُ أخشـى ، ولا أنـا مُبتَـغٍ ... مـن كـفّ هـذا البـائس الإنعـامـا

***

(١) الأفعوان : ذكر الأفعى ، وكلاهما بمعنى الحية الخبيثة .

(٢) كان الشاعر يريد استئجار شقة فى إحدى عمارات الأوقاف ، أيام استحكام أزمة المساكن .

(٣) كان المرحوم : دسوقى (باشا) حاضرًا هذا الحفل .

حسن ترقى

داعب بها صديقه : « حسنًا » حينما ترقى
في عهد الاستثناءات البائد .

قالوا لنا : حسنٌ ترقَّى ... فأجبتُ : فاز بما استحقَّا
لِمَ لا ، ولم أرَ بينه ... أبدًا وبينَ الجحش فرقا ؟
هذا زمانُ الجهلِ ، فيه ... تَحرزُ العَرجاءُ سبقا
لا همَّ ، هب لى الجهلَ إنّ ... الجهلَ خيرٌ لى وأَبقى (١)

جهلويه

داعب صديقًا من أصحاب النحو الميسر

قم انظر ما جرى ، يا سيبويهِ ... ذهبتَ وجاء بعدكَ « جهلويه » !(٢)
فأصبحَ فى قضايا الضاد يُفتِى ... ويُرجعُ فى مشاكلها إليه
وقيل : مجدِّدٌ فى النحو ، قلنا : ... قواعدُ نحوه فى مقلتيه

---

(١) لا هم : أصلها اللهم .
(٢) سيبويه هو الإمام النحوى المشهور ، وجهلويه : اسم اشتقه الشاعر من الجهل على غرار سيبويه .

قرار الذبائح

داعب بها صديقه الشاعر : العوضى الوكيل ، حينما شكا فى أبيات أنشأها من قرار حظر ذبح المواشى بضعة أيام

قرار الذبائحِ لما صَدَر
بكى ابنُ الوكيل بدمع المطر

وأُقسم ، ما شمَّ ريحَ اللحوم
ولا ذاقها مرَّةً فى العُمُر

وهل يأكلُ الكبشُ لحم الشياهِ ؟
وهل يأكل الثَّور لحم البقر ؟

وما أنتَ واللحمَ ، يا ابنَ الوكيلِ
بحسبك أكلُ لحوم البشر (١)

ليس أهلا للجميل

بعث بها إلى : دسوقى (باشا) حينما رقى الشاعر العوضى الوكيل

عطفتَ وأنتَ ذو الحسب النبيل
على الشُّعراء فى شخص الوكيل

لقد كرَّمت أصغرهم مقامًا
لتُظهر للورى قدر الفحول

جميلٌ ما أتيت به ، ولكن
جميلُك ليس فى شخصٍ جميل

***

---

(١) يشير إلى ما اشتهر به الشاعر العوضى الوكيل من كثرة الهجاء .

حبسوك فى قفص

اشتبك صديقه العوضى فى شجار مع الجيران ، بسبب كلب ؛ فأقاموا عليه قضية وضع من أجلها فى قفص .

حبسُوكَ فـى قفصٍ ، ولسـت بضيغمٍ ... لكـن نـزلـتَ بـه نُـزُول المجـرمِ(١)

اليـومَ فـى قفصٍ حللـت ، وفـى غـدٍ ... تُلقـى الـرحـال بقعـر سجـنٍ مُظلـم

عجبـى عليـكَ : يكرَّمُ الكلـب الـذى ... خـاصمتـهُ ، وتبيـت غيـرَ مكـرَّم ! !

فيـمَ اشتبـاكُـكَ بـالكـلاب ؟ وإنمـا ... يحنو القـريبُ على القريـب المحرم(٢)

سر العمامة

داعب الشاعر بهذه الأبيات صديقه الشيخ : عبد الحق .

الشيـخُ عبـدُ الحق يلبـسُ عمّـةً ... الطُّهـرُ كـلُّ الطُّهـر فـى طيَّـانهـا

وردُ الـرُّبـا متـألِّـقٌ فـى سطحهـا ... والفـلُّ منتشـرٌ علـى جنبـاتهـا(٣)

تلـك العمـامـةُ سـرُّهـا فـى زرِّهـا ... من شـده ، يحصل علـى بركـاتها !

---

(١) الضيغم : الأسـد ، وهو الذى يحبـس عادة خشية بـأسه ، كمـا نرى فى حـديقة الحيوان .

(٢) القريـب المحرم : هـو الذى لـو كان أنثى ما حـل زواجها ؛ كـالأخ ، والخال ، والعم، وما إلى ذلك .

(٣) يشبه مـا يبدو من حمـرة « طربوش » العمـامة بالـورد ، ويشبه الأهداب الجـانبية البيضاء بالفل .

أى الخفيفين ؟

داعب الشاعر بهذين البيتين صديقه : محمود الخفيف .

صاح قد جعتُ ، فهيِّىء ... لى كبابًا ورغيفَا

واسقنى شايًا ثقيلاً ... قبَّحَ اللهُ الخفيفا !

ملك الجان

منذ فترة من الزمن احتال محتال باسم ملك الجان على امرأة ثرية وتزوجها ، وكان للحادث إذ ذاك ضجة فى الصحف . وهى قطعة قديمة .

إيه ، يا قومُ ، ما جرى ؟ ... أىُّ خطب دَهى الورى ؟

ملكُ الجنّ ما لهُ ... حرم الأعْينَ الكرى ؟

جاءنا فاتحًا ، فهل ... أجدبت أرضُ عبقرا ؟[1]

حطَّ فى مصرَ رحلهُ ... وعلى النيل عسكرا[2]

فرأى مصرَ جنَّةً ... ورأى النيل كوثرا

فتح المُدْن بعدما ... وطَّدَ المُلكَ فى القرى[3]

---

(١) وادى عبقر : هو الأرض التى كانت العرب تزعم أنها مأوى الجن .

(٢) كان المحتال الجن يزعم أنه وافد على مصر من بلاد سحيقة .

(٣) كانت الحادثة فى مدينة القاهرة ، ومعروف : أن مجال هؤلاء المحتالين إنما هو الريف ؛ لما يمتاز أهله من سذاجة .

سينـــــادي بنفســـــه ـــ إن تـــركنـــاه ـــ قيصـــرا

***

ملـــكَ الجـــنِّ ، إن أُسِـــيءُ كنـــتَ بـــالعفـــو أجـــدرا

رجمـــةً منـــك بـــامـــرئٍ شـــكَّ فـى الجـــنِّ وامتـــرى(١)

مـــا جـــزائى لـــديـــك إن لَـــم أُبـــايعـــك يـــا تُـــرى ؟

ويـــح عقلـــى ! أكلَّمـــا آمـــن النـــاسُ أنكـــرا ؟

مـــا لمـــولاى لـــم يـــزل كـــالعـــذارى مخـــدَّرا ؟(٢)

أسفـــر الغيـــدُ ، ليتـــهُ كـــان كـــالغيـــد أسفـــرا

أهْـــو فـــى الجـــوِّ سابـــح ؟ أهْـــو فـــى بـــاطـــن الثـــرى ؟

أهْـــو كـــالـــريـــح إن جـــرت ؟ أهْـــو كـــالبـــرق إن ســـرى ؟

أم يـــد الـــوهـــم وحـــدهـــا رسمتـــــه مكبَّـــــرا ؟

اِرتقينـــا إلـــى السُّهـــا وأغـــرنـــا علـــى الشـــرى(٣)

قيســـت الأرضُ بـــالـــذِّرا (م) ع محيطًـــا ومحـــورا

رقعـــةُ الأرض قـــد تَجَلَّـــ (م) ـــت كتـــابًـــا مُفسـّــرًا

هـــل رأَتْ مُقلـــةُ امـــرئٍ فيـــه للجـــنِّ منظـــرا ؟

***

---

(١) امترى : لم يصدق .

(٢) ينكر على الجن أنهم لا يظهرون .

(٣) السها : نجم فى السماء ، والشرى : مسكن الأسود ، يقول الشاعر فى هذا البيت وما بعـده : إننا طـرنا فى الجـو ، واصطدنا الأسـود من آجامهـا ، وقسنـا الأرض بالذراع ، حتى لم يعد فيها مكان مخبوء ، فأين يسكن هؤلاء الجان ؟

ملكُ الجنِّ قد بنى ... وإلى الإنس أصهرا[1]

وانتقاها ثريَّةً ... ذاتَ مالٍ ، فبعثرا[2]

لم يعقه شبابها ... إذ تولَّى وأدبرا[3]

من يكن ذا فنًّى ، يكُن ... أحمرَ الخدِّ أحورا

قُتلَ المالُ ؛ إنَّه ... يجعل القرد جُؤذرا[4]

هل الجنُّ مثلنا ... إذ رآه وكبَّرا

أهْو كالناس يشترى ... منه بُنًّا وسكَّرا ؟

ويحهُ ! يسلُك الزَّوا ... ج سبيلاً إلى الثَّرا[5]

إنَّ من كان مثلَه ... يجعلُ الفحم جوهرا[6]

يسلُبُ اللِّصَّ ماله ... جهرةً وهْو لا يرى

ظَلَم الجنَّ معشرٌ ... تخذ الجنّ متجرا[7]

لستَ تلقى سوى ابن آ (م) ... دم جنًّا مُصورا

أيُّها العلمُ ، قم أغث ... فى حمى الرِّيف معشرا

خيَّمَ الجهلُ فوقه ... وجرى فيه أنهرا

---

(١) بنى : تزوج ، وأصهر إلى الأنس : تزوج منهم .

(٢) كانت الزوجة المحتال عليها ثرية ، فجعل المحتال يبعثر فى مالها .

(٣) وكانت عجوزاً شمطاء .

(٤) الجوذر : ولد البقرة الوحشية ، تشبه به الفتاة الحسناء فى سعة العين .

(٥) ينكر عليه الشاعر أن يبحث عن المال عن طريق الزواج كما يفعل الآدميون .

(٦) وكيف ذلك وهو يستطيع أن يحول الفحم إلى جواهر ؟

(٧) يقصد بهذا المعشر المحتالين باسم الجان .

ربّ شيـــــخٍ مُشعـــــوذٍ   عـــاثَ فيـــه ودَمَّـــرا[1]
فـــرأى رزقـــهُ هنـــا   ك ذلـــولاً ميسَّـــرا
كلمـــا جـــاءَه عليـــ (م)   ـــلٌ ، رقـــاهُ ، وبخَّـــرا
فهْـــو مثـــلُ المسيـــح لـــو   مـــسَّ أعمـــى ، لأبصـــرا
وإذا مـــا تـــلا الـــرُّقـــى   زعـــم الجـــنَّ حُضَّـــرا
سلَّمـــت أمـــرهـــا إليـــ (م)   ـــهِ ؛ لينهَـــى ويـــأمُـــرا[2]
وهْـــو شـــاكٍ مـــن الطَّـــوى   يـــرتـــدى الفقـــر مئـــزرا[3]
كـــلُّ مـــا فيـــه هـــاتـــفٌ :   كـــذب الشيـــخُ وافتـــرى

***

أيهـــا الجِـــنُّ ، حسبنـــا   مـــا نـــراه مـــن الـــورى
ربَّ جـــنٍّ مُعـــربـــدٍ   مـــن بنـــى الإنـــس أُمِّـــرا[4]
لـــم يـــدع يـــابسًـــا ، ولـــم   يُبـــق فـــى مصـــرَ أخضـــرا

***

---

(١) مشعوذ : دجال : محتال .

(٢) ضمير سلمت يعود على الجن .

(٣) الطوى : الجوع ، يقول عن هذا المحتال : إنه يزعم أن الجن فى خدمته على حين أنه يشكو الجوع ، فلم لا يسخرها فى تدبير المال بدل هذا الاحتيال ؛ كما يسخرها فى شفاء الأمراض المستعصية ؟

(٢) أمر : صار أميرًا ، والبيت صريح فى نقد سياسة الأمير الذى كان يحكم فى ذلك العهد .

ملحوظة : نشرت هذه القصيدة فى صحيفة الأهرام منذ نحو عشرين عامًا أو أكثر .

متفرّقات

النيـــل والســودان

سافر الشاعر إلى الخرطوم فى مهمة ثقافية سنة ١٩٤٨ م ، فأقيمت له حفلة تكريم ، فى نادى الخريجين ، بأم درمان ألقى فيها هذه القصيدة .

سـائلاهُ : أأنـتَ نبـعُ الجنـان ... أم جنى النَّحل ، أم رضابُ الغوانى ؟[1]

أم رحيـقٌ طالـت عليـه الليالـى ... لـم يعتَّق أمثالـهُ فـى الدِّنـان ؟

يـا نـديمـىَّ ، إنَّمـا أنـا صـبٌّ ... بـابنـةِ النِّيـلِ لا ببنـت الحـان[2]

أتـرعـا مـن منابـعِ النِّيل كـأسى ... واهتفـا بـاسمهـنَّ ثـم اسقيـانى[3]

يـا نـديمـىَّ ، تلـك سـاعـةُ صَفـوٍ ... سنحـت ، فـاختلستهـا مـن زمـانـى

اسقيـانـى سُلافـةً عُصـرت مـن ... قبـل خلـق الكُروم فـى البُستـان

خمـرةً لـم تَطـش بلُـبِّ لبيـبٍ ... حُبُّهـا شُعبـةٌ مـن الإيمـان[4]

عصـر النَّـاسُ كـلَّ خمـرٍ . وخمـرى ... عصـرت كـرمهـا يـدُ الـرحمـن

***

سـائلاهُ : أبيـنَ عبـريـه مـاءٌ ... أم لُجَيـنٌ ، وعنبـرٌ سـائلان[5]

---

(١) ضمير الغائب فى « سائلاه » يعود على النيل كما يفهم من السياق .

(٢) كنى بابنة النيل عن : الماء ، وكنى ببنت الحان عن : الخمر .

(٣) يدل قوله : « واهتفا باسمهن » على أن التقديس ليس للماء فى ذاته وإنما هو للماء من أجل منابعه ، والنهرى الذى يجرى فيه ، والوطن الذى يشقه هذا النهر .

(٤) يشير إلى الحديث النبوى « حب الوطن من الإيمان » .

(٥) اللجين : الفضة ، ويريد بالعنبر الغرين الأسمر اللون .

شِيبَ آذيُّهُ ؛ فكان عقيقًا ... وصفا ؛ فهْو ذوبُ حبِّ الجُمان[1]

وَأطافت به الرياحُ رُخاءً ... فهْو حلم فى خاطر الوسنان[2]

وأطافت به الأعاصير هوجًا ... فهْو طيشُ الشَّباب فى عُنفوان[3]

وسخا ؛ فهْو حاتميُّ العطايا ... وطغا ؛ فهْو عارمُ الطغيان[4]

واستوى ؛ فهْو كالقُدود اعتدالاً ... وثنى العطف؛ فهْو من خيزُران[5]

وتلوَّى فى سيره أفعونًا ... لا يمُجُّ السُّموم كالأفعوان[6]

مثلُ صدر الحليم فى الرُّحب . أوْفِى ... ضيقِ صدر المُدلَّل الغضبان[7]

يردُ الناسُ حوضه أبد الدهـ (م) ـرِ ، ولا يشتكى من الغضبان

هو طبُّ الجسوم من كل داءٍ ... وهْو طهرٌ لها من الأُدران[8]

كاد أن يغسل القلوب من الحقـ (م) ـد ، وَيمحو كوامن الأَضغان

شقَّ مجراه ، وابتنى شاطئيه ... بيديه مُهندس الأكوان

أنا أهواهُ ؛ ما سقى يانع الرَّوْ (م) ض، وما بلَّ غُلَّةَ الظمآن

أنا أهواه ما حَيتُ ، فإن مِتُّ (م) فَحُوكوا من عُشبه أكفانى

***

---

(١) شيب الأذيه : خلط ماؤه بالطمى .

(٢) الرياح الرخاء : اللينة .

(٣) الأعاصير الهوج : الرياح العنيفة .

(٤) حاتمى : نسبة إلى حاتم الطائى مضرب المثل فى السخاء .

(٥) العطف : الجانب .

(٦) الأفعوان : ذكر الأفعى : وهى الحية الخبيثة .

(٧) يضيق مجرى النيل ويتسع ، حتى لترى الفرق بين بعض أجزائه وبعض فسيح المدى .

(٨) الأدران : الأقذار .

أيها النيلُ، كم لبثتَ ؟ ومن أيـ (م) ـنَ تفجَّرت ؟ ما درى الثقلان !

سابق أنتَ للمجَرَّةِ ، أم أحـ (م) ـدثُ عهدًا ، أم أنتما توءَمان ؟[1]

يا سجلَّ التَّاريخ ، حدِّث بما عا (م) يَنتَ . ليس السَّماعُ مثلَ العيان

كيفَ حاد المؤرِّخون عن القَصـ (م) ـدِ ، وجاءوا بالإفكِ والبُهتان ؟[2]

قد شهدت الإنسان يأوى كُهوفًا ... ويؤاخى فصائلَ الحيوان

وشهدت الإنسان ينتطحُ السُّحـ (م) ـبَ ، ويَأوى رُفاته الهرمان

حدِّث الناس عن فراعين مصرٍ : ... كيف بذُّوا الشُّعوب فى البنيان ؟

كيف دانت لدولةِ الفرس مصرٌ ؟ ... كيف دانت لعاهل اليونان ؟[3]

هات ، يا نيلُ ، ليلةً من ليالى ... « كِيلبُطرا » وقيصر الرُّومان[4]

حدِّث الناسِ عن بسالة عمرٍو ... وجنود الفاروقِ فى المَيدان[5]

أَنت، يا نيلُ ، معرضٌ للحضارا (م) تِ ، وشتَّى الشعوبِ والأديان

أفأبصرت كالحنيفةِ دينًا ... أو رسولاً يحكى فتَى عدنان ؟[6]

***

يا رقيقَ البَنان ، كيف حفرت الصَّـ (م) ـخر بالظُّفر ؟ يا رقيقَ البنان[7]

---

(١) المجرة : ما يرى فى السماء شبيهًا بالنهر .

(٢) الإفك والبهتان : الكذب والزور . يرمى الشاعر التاريخ بالزيف فى كثير مما يرويه .

(٣) عاهل اليونان : الإسكندر المقدونى .

(٤) قيصر الرومان : أنطنيوس صاحب كليوباترة .

(٥) يقصد : عمر بن العاص وعمر بن الخطاب .

(٦) الحنيفة : الشريعة الإسلامية ، وفتى عدنان : النبى محمد ﷺ .

(٧) يقول العلماء : إن النيل شق مجراه فى الصحراء شقًا بمائه ، فكون الأراضى الزراعية التى على جانبيه : « مصر هبة النيل » ، وفى البيت تشبيه للماء بالبنان الرقيق .

كيف دانت لك الهضابُ العواتى ؟ كيف لانت صلابةُ الصَّوان ؟

كيف جُبت الفلا بغير دليلٍ وملأتَ الصَّحراءَ بالعُمران ؟

حوَّلت كِيمَياؤك التُّرب تبرًا ونفَختَ الحياة فى الصَّفوان[1]

ليت شعرى : أساحرٌ بعصاهُ أنت ، أم أنت عالمٌ رُوحانى ؟

كم نسجتَ الثيابَ من غير نولٍ ثم وشَّيتها بألف دهان[2]

رُبَّ حقلٍ كسوته بعد عُريٍ فإذا الحقلُ أخضرُ الطَّيلسان[3]

ما بكَت أو غنَّت سواقيك ، لكن لك رتَّلن آية الشُّكران[4]

أنت ، يا نيلُ ، فاتحٌ فتحَ المُدْ (م) نَ بغير الحديد والنيران[5]

سائرٌ لا تَحيدُ فوق صراطٍ كقطارٍ يمشى على قُضبان

دائرٌ بين لجَّةٍ وبخارٍ كنجوم السماءِ فى الدَّوران

لك فى الأرض والهواءِ مدارٌ حار فيه مقوِّمُ البُلدان[6]

قرَّبوا الشَّاءَ للسماءِ ، وزُفَّت كلُّ خَودٍ إليك فى مهرجان[7]

---

(١) التبر : الذهب ، الصفوان : الصخر .

(٢) وشيتها : نقشتها .

(٣) الطيلسان : نوع من الثياب .

(٤) حسن تعليل لما يسمع من صوت السواقى على جانبى النيل .

(٥) يقصد الشاعر موازنة بين : فتح النيل للمدائن ، وفتح الغازين لها بالحرب .

(٦) مقوم البلدان : عالم الجغرافيا . وفى هذا البيت وما قبله وصف للدورة المائية التى يدورها النيل : ماء من البحر يستحيل سحابًا ، ثم سحاب يسقط مطرًا فيكون ماء النهر ، ثم يصب النهر فى البحر ، وهلم جرا .

(٧) الشاء : الغنم ، الخود : الفتاة الحسناء ، يقول : إن القرابين تقدم للآلهة من لحوم الأغنام ، ولكنها تقدم إليك من الغوانى الحسان . والبيت يشير إلى : عروس النيل التى كانت تقذف فيه كل عام .

ليت شعرى : أأحسنوا لك صُنعًا أم أساءوا بذلك القُربان ؟

أقلوبُ الأَربابِ مثلُ قلوبِ الـ (م) ـنَّاسِ تعوى فواترَ الأجفان ؟[1]

***

فيك حيَّتْ كلَّ ذاتِ شراعِ تتهادى تهادىَ النَّشوان[2]

وبناتِ البُخار إذْ هى تعدو عدوَ خيلِ الطِّراد يوم الرِّهان[3]

الجوارى روائحٌ ، وغوادٍ فيك يرقُصن كالجوارى الحسَان[4]

أَرسلَ الفُلكُ فى الفضاء صفيرًا رنَّ فى مسمعى رنينَ الأذان[5]

ومشى يَمخرُ العباب ويُلقى الـ (م) ـموجَ سُكانهُ على الشُّطآن[6]

فإذا الموجُ فوقها يترامى كترامى الولدان فى الأحضان

رقصت موجةٌ وغنَّتْ سواها بخريرٍ منغَّم الألحان

قلتُ ــ والموجُ راقصٌ ومُغنٍّ ــ: ليت شعرى أذاكَ حفلُ قران ؟

وتهادى النسيمُ أَلين مسًّا من رفيف النَّدى على غُصنِ بان

وتوالت على العُيون المرائى مُرهفاتٍ للحسِّ والوجدان

صُورٌ تبعثُ التأمُّلَ والشِّعـ (م) ـرَ ، وتُوحى برائعاتِ المعانى

---

(١) كنى بفواتر الأجفان عن : الغوانى الحسان .

(٢) كنى بذات الشراع عن : السفن الشراعية .

(٣) كنى ببنات البخار عن السفن البخارية ، الطراد : السباق .

(٤) الجوارى الأولى : السفن ، الجوارى الثانية : الفتيات . كما هو واضح من سياق البيت .

(٥) كان سفر الشاعر ذهابا من الشلال إلى حلفا بالباخرة .

(٦) يمخر : يشق ، سكان السفينة : دفتها .

وشُخـوصٌ تلـوحُ إثـر شخـوصٍ كـرسُـومٍ فـى لـوحـةِ الفنَّـان

وكـأنَّ الهضـاب تـومـى إلينـا بتحـايـا الإخـوانِ لـلإخـوان

وتكـادُ الأشـواقُ تـدفـعُ بالفُلـ (م) ـكِ وتَحتـلُّ مـوضـع الـرُّبَّـان[1]

أيهـا الفُلـك، إن بلغتَ بنـا السُّو (م) دَانَ، فاهـدأْ، فقد بلغنـا الأمانـى[2]

***

بلـدٌ قـاتـه وقـاتَنِـىَ النِّيـ (م) ـل، ورَوَّاهُ مثلمـا روَّانـى

جمعتنـى بـه شـريعـةُ طـه وهـداهُ منهـاجُهـا، وهـدانـى

بلـدٌ ردَّدت ليَـاليـه شعـرى وشجـاها مـن لحنـه مـا شجانـى[3]

نحـنُ خـلاَّنِ. رُبَّ روحٍ وروحٍ فـى سمـاءِ القـريـضِ يَلتَقيـان

رشفـةٌ مـن منـابـع النيـل تُـربِـى حسنـاتـى فـى كِفَّـةِ الميـزان[4]

ووقـوفـى بهـنَّ يمحُـو الخطـايـا ويجـبُّ الـذنـوب بـالغفـران[5]

أتُـرانـى فـى مـوسـم الحـجِّ يَمَّمـ (م) ـتُ حماكـم أطُـوفُ بالأركـان؟[6]

أم تـرانـى حسِبـتُ زمـزم يجـرى ماؤهـا، حيثُ يلتقـى الرَّفـدان؟[7]

---

(١) يريد: أن حر الشوق كاد يكفى لتوليد البخار الذى تسير به السفينة.

(٢) نظر الشاعر فى هذا البيت إلى قول الشاعر:

وإذا المطى بنا بلغـن محمدًا فظهورهن على الرجال حرام

(٣) وجد الشاعر شعره محفوظًا مرددًا، يتغنى به فى أرجاء السودان.

(٤) تربى: تنمى وتزيد.

(٥) يجب: يمحو ويقطع.

(٦) صادف موعد الرحلة موسم الحج.

(٧) الرافدان: هما النيل الأزرق والنيل الأبيض، وهما يلتقيان فى مدينة الخرطوم.

رُبَّ مغنًى من بين تلك المغانى ... جلَّ ، حتى أجلَّهُ الحرمان[1]

جيرةَ النيل ، أرضكم فوق ظهر (م) الأرض نفحٌ من جنَّةِ الرِّضوان

سُحبٌ دَمعها يسيلُ سجاما ... يَالدمع يجرى بلا أحزان !

أمَّةٌ أمُّها الطبيعةُ ، والنِّيـ (م) ـل أبوها ، الأبُ الأبرُّ الحانى

وشُعاعٌ تزجيه شمسٌ ضحوكٌ ... ذاتُ دلٍّ ومبسمٍ فتَّان

وكنوزٌ لم يُكشف الستر عنها ... وأراضٍ عذراءُ غيرُ عوان[2]

أيها النيل ، إنَّ شطك رمز الخُلـ (م) ـد فى ذلك الوجودِ الفانى

أيها النِّيل ، حول شطك شعبٌ ... يتحلَّى بسمرة الأبدان

ذو خصالٍ مثلِ القواضيب بيضٍ ... ووجوهٍ فى سمرة المُرَّان[3]

سمرةُ اللون فى محيَّاه تُزرى ... باخضرار الرياض فى « نيسان »[4]

ولوَ انَّ القلوب صارت وجوهًا ... كنتمو كالبدور فى الألوان

علَّم السُّحبَ جودُكم كيف تهمى ... وأمدَّ النيلين بالفيضان[5]

من أياديك ـ يا زمانُ ، وما أنـ (م) ـدَرَها ! ـ رحلتى إلى السودان

أنا فيه فى منزلى وعشيرى ... آنسٌ بالمكانِ والقُطَّان[6]

شرُّ ما تُبتلى به نفسُ حرٍّ ... غربةُ الحرِّ ، وهْو فى الأوطان[7]

---

(١) المغنى : المقام .

(٢) العوان من النساء : ضد العذراء .

(٣) القواضب : السيوف ، المران : الرماح .

(٤) نيسان : من أشهر الربيع .

(٥) النيلين : الأزرق والأبيض .

(٦) القطان : السكان .

(٧) كانت الزيارة فى عهد الاحتلال لمصر والسودان كليهما .

إنَّ مصــرًا وإنَّ ســودانَ مصــرٍ　　فــى رضــاعٍ وفــى دمٍ أخــوان[1]

وهمــا ــ منذُ كَّون اللهُ هــذا الكــ (م) ــونَ ــ شعــبٌ ولا أقــول اثنــان

ربــط الله بيننــا بــربــا طَيْــ　　نِ وثيقيــن : الضّــادِ ، والقُــرآن

لــن يَحُــلَّ الإنسانُ مــا عقــدتــه　　قــدرةُ اللهِ خــالــقِ الإنســان

غــرام يــزيــد

١

أهــدى الشــاعر نسخــة مــن روايتـه : « غـرام يزيـد » إلى المرحوم : دسوقى (باشا) ، فبعث إليه بالأبيات التالية :

« غــرام يــزيــد » تــزيــدُ الغــرام　　بمَن صاغَ تلك القـوافى الحِسَان[2]

ومــا هــى نظــمٌ ، ولكنَّهــا　　خــرائدُ بــذَّت عقــودَ الجُمــان[3]

ملكتَ ــ بحقٍّ ــ عنان القــريضِ　　وأعجــزتَ صفــوة أهــل البيــان

ومــن ذا يطــاولُ منهــم فتــى　　بليــغَ اليراعــةِ ، عذبَ اللســان ؟

لــك اللهُ مــن شــاعــرٍ مُبــدعٍ　　إذا قــال أصغــى إليــه الــزمــان !

تعــالَ نفــاخرْ بــك النّــاظميــنَ　　ويُــزْهِ بــأشعــارك المَشــرقــان

إبـراهيم دسـوقـى أباظـة

---

(١) يقصد بـأخوة الرضــاع : الاشتراك فى مـاء النيل ، وبـأخوة الدم : اتحـاد العنصر الذى انحدر منه الشعبان .

(٢) جملة : « تزيد الغرام » : خبر « غرام يزيد » ، على معنى رواية .

(٣) خرائد : جمع خريدة وهى اللؤلؤة لم تثقب .

غرام يزيد

٢

وهذا هو رد الشاعر ، وكلاهما نشر بالصحف - إذ ذاك -

قريضُك يرفعُ شأن القريض ويُنزلُهُ فى أعزِّ مكان

لقد كسب الشُّعراءُ زميلاً يُشارُ إلى مجده بالبنان

فما عاد يشكو الأسى شاعرٌ ولا عاد يندب جور الزَّمان

« دسوقىُّ » ، لو لم تسد بأبيك وجدِّكَ ، سُدت بسحر البيان

تفرد كلُّ فتى ماجدٍ بحُسنى ، وتمَّت لك الحُسنيان

توالت علىَّ أَياديك ، تترى ومالى - بتلك الأيادى - يدان ! (1)

---

(1) تترى : متتالية ؛ أصلها وترى ، وهى اسم لا فعل كما يتوهم ، ما لى بالأمر يدان : لا أقدر عليه .

مثـــل التـــلال

أبيات تمثل غير قليل من كبار الموظفين

مثـــلَ التّـلال تـَـراهمو أو أضخمـــا ... لكنهـم فـوق الأرائِكِ كـــالــدُّمـى[1]

كُبـــراءُ ، لكــن لا يُجيـــد كبيـرهـــم ... مـــن أمـره شيئًـــا سـوى أن يَبصُمـــا

حـــاكٍ يُجيــدُ النَّقـــلَ ، إن أسكتَّــه ... يسكُت ، وإن فُتِحَ الصِّمامُ تكلما[2]

يفنـــى فنـــاءً شخصُـــه فـــى غيــره ... حتـــى لتحسبــهُ يسيـــرُ مُنـــوَّمـــا

سبحـــان ربِّــى ! كـم حمـــارٍ يُمتَطى ... ويقـولُ : إنـى مـن سـلالـةِ آدمـا !

---

(١) الأرائك : يراد بها الكراسى التى يجلس عليها هؤلاء الموظفون .

(٢) يشبهه بالحاكى الذى يتكلم حين يملأ ، ويسكت إن فرغ ، فى أنه إن حفظ شيئًا من بعض مرءوسيه كان عنده ما يقوله ، وإلا فلا .

نشيد

المعهد العالى للتربية الرياضية

طُلب هذا النشيد من الشاعر ، فنظمه .

إلى الأمام ، سر إلى الأمامِ … أسودُ بالتدريب والنظامِ

لى عزمَةٌ قُدَّت من الأهرامِ … سِرُّ الحياةِ : صحَّةُ الأجسامِ

إلى الأمامِ سر إلى الأمامِ

***

نحن الرجالُ ، نُنبتُ الرِّجالاَ … نحن الذين نُنشىءُ الأجيالا[1]

على يدينا نصنعُ الأبطالاَ … إنَّا نُربى للحمى أشبالاَ

كيما يصُونوا حُرمةَ الآجام

إلى الأمامِ سِر إلى الأمامِ

***

نَبنى العقولَ للحمى بناءَ … وبالنَّشاطِ نُرهِفُ الذَّكاءَ[2]

ونغرسُ العزَّةَ والإباءَ … بالوثبِ والتَّمرين نغزو الدَّاءَ

ونُعلنُ الحربَ على السِّقامِ

إلى الأمامِ سر إلى الأمامِ

***

---

(١) يخرج المعهد معلمين للرياضة البدنية .

(٢) نرهف الذكاء : نجعله حادًا ؛ سريع الفهم .

سـلاحُنـا ريـاضَـةُ الأبـدانِ دُروعُنـا مـن قُـوَّةِ الإيمـان
أخـلاقُنـا متينـةُ البنيـانِ بـاهِـى بنـا ، يـا أمَّـةَ العُـربـان

فنحـن جُنـدُ الحـرب والسَّـلامِ
إلـى الأمـامِ ، سِـر إلى الأمـامِ

***

للعلـم نحـن والعـلا جنـودُ بعـزمِنـا أوطـانُنـا تَسُـودُ
بـالـروح فـى سبيلهـا نَجُـودُ يـا أمَّـةَ العُـربِ ، لـك الخلـودُ

لجُنـدِكِ النصـرُ علـى الـدوامِ
إلـى الأمـامِ ، سِـر إلـى الأمـامِ

***

أغنية عيد العلم

أنشئت ، بناء على طلب من وزارة التربية ، وقد لحنت وغنيت .

يـا شبـابَ النِّيـلِ ، حيُّـوا موكِبـا لاح نـورُ العلـم فيـه كـوكبـا
نَشـأ العلـمُ بمصـرٍ ، وحبـا وهْـو طفـلٌ فـى ظـلال الهـرم

***

يـا بُنـاةَ النَّـشء ، يـا نعـمَ البُنـاه مصـرُ تُحنـى للمـربيـنَ الجبـاه
إنَّ نـورَ العلـمِ مـن نـورِ الإلـه جـلَّ مـن عظَّـمَ شـأنَ القلـم(١)

***

(١) عظم الله شأن القلم إذ أقسم به : « ن والقلم وما يسطرون » .

حلَّ عيدُ العلم ، والوادى الأمين شامخُ العزَّةِ ، مرفوعُ الجبين
رافلٌ فى حُلَلِ النصرِ المبين عاش جيشُ النيل حامى الأجمِ (1)

***

أيها العلمُ ، أنر كلَّ سماءِ وانطلق فى كلِّ أرضٍ بالرَّخاءِ
كن بهذا الكونِ عُنوانَ الإخاءِ ورسولَ السِّلم بين الأمَمِ

***

اسلمى ، يا مصرُ ، يا سرَّ الوجود ما بناكِ اللهُ إلاَّ للخُلود
ما برا شعبك إلا ليَسود أنتِ مهدُ الفنِّ مُنذُ القدمِ

***

قسمًا بالنيلِ فى وقتِ السَّحر وعلى أمواجه لاحَ القمر
والنَّسيمِ الرَّطبِ يهفُو بالشَّجَر لا فديتُ النيلَ إلا بدمى

***

يا شبابَ النِّيل ، حيُّوا موكبا لاح نُور العلم فيه كوكبا
نشأ العلمُ بمصرٍ وحبا وهْو طفلٌ فى ظلالِ الهرم

***

(1) كان ذلك عقب الانتصار فى موقعة بور سعيد .

نشيد عيد العلم

أنشىء هذا النشيد ـ أيضًا ـ بناء على طلب
من وزارة التربية ، وقد لحن ورتل .

في مهرجان العلم ، يا مصرُ ، اطربى يا معقل العلم ، وحصن الأدب
يا مصرُ ، يا كنز علوم العرب بشراكِ بالعهد الجديد الذَّهبى (١)

***

بالعلمِ قد شَيَّدتِ ركنَ الهرم وأنتِ مهدُ العلم منذُ القدم
أنت نشرت الفن بين الأمم فى كلِّ مشرقٍ وكلِّ مغربِ

***

شبابَ مصرَ ، يا مناط الأملِ تزودوا بالعلم للمستقبلِ (٢)
العلمُ فى الحرب سلاحُ الأعزلِ والعلمُ فى السلم أعزُّ مطلبِ

***

يا مصرُ ، فى عيد العلوم قدِّمى إكليلَ غارِ النَّصرِ للمُعلِّمِ
قولى له : يا مُنشِئَ الجيل ، اسلم يا خير قائدٍ ، ويا أحنى أبَ

***

عيدَ العلومِ ، بالسَّنا تألَّقِ على سناك الشرقُ طرًّا يلتقى
يا مصرُ ، لوحى فى سماءِ المَشرق كوكبَ علمٍ فوق كلِّ كوكب

***

---

(١) يقصد بالعهد الذهبى : عهد الثورة الذى أحدث انقلابًا تقدميًا فى نظم التعليم .

(٢) مناط : معقد .

فى مهرجان العلم

ألقيت فى أحد الاحتفالات بعيد العلم .

عيدٌ تألَّقَ : لا شمسٌ ، ولا شهب — لكن كواكبهُ : الأقلامُ والكتُبُ
والعلم روحٌ من الرحمن مُقتبسٌ — ونورهُ من ضياء الله مكتسبُ
النشءُ فى مهرجان العلم مبتهجٌ — كأنه طيرُ روضٍ هزَّه الطَّرب
همو طيورُ الحمى فى يومهم ، وغدًا — همو ليوثٌ ؛ إذا ريعَ الحمى ، وثبُوا
يا باركَ اللهُ فى دورٍ تُظلُّهمو — كالروض ينبتُ فيها العلمُ والأدب
تنمو الكرامةُ فيها والإباءُ ، كما — ينمو على الشَّجر التُّفاحُ والعنب
كتائبُ النَّشءِ جيش للحمى لَجِبٌ — وكلُّ معهد علمٍ معقلٌ أَشبُ [1]
يا باركَ اللهُ فى مصرٍ جهابذةً — يُعطون من دمهم للنَّشء ما طلبوا [2]
تبنى لمصرَ ــ بلا منٍ ـ سواعدُهم — جيلاً إلى الشرق والإسلام ينتَسب
للعلم والوطن الغالى مواهبهم — تُهدى . ولو سُئلوا أرواحهم ، وهبوا
جُندٌ ، إذا ما دعا داعى الوغى برزوا — لكن إذا قُسِمت أسلابها احتجبوا [3]
قل للمعلِّم : قد أدَّيت ما يجبُ — حسبُ المعلِّم ـ فخرًا ـ : ذلك اللَّقَب

---

(١) الجيش اللجب : الكثير الجلبة ؛ كناية عن كثرة عدده ، المعقل الأشب : الملتف الكثير الثنايا ؛ كناية عن حصانته .

(٢) جهابذة : علماء أعلام ، ويقصد بهم : المعلمين .

(٣) نظر فى هذا البيت إلى الحديث الشريف : « إنكم لتقلون عند الطمع ، وتكثرون عند الفزع » .

يهنى الكنانةَ : أنَّ النصرَ حالفاها كما تحالف فيها : المجدُ والحسب[1]

حَلَّ الغُزاةُ بواديها ؛ فما كَسبُوا غيرَ الدَّمار وغيرَ العار ، فانسحبوا

فى كلِّ مُعتركٍ خاضته كان لها يومَ اللقاءِ على أعدائها الغلب

تكشَّفتْ فى الوغى عن صدق معدنها لا يَصدأُ المعدنان : الماسُ ، والذَّهب

عهدٌ من العلم والعرفان ظلَّلَها مِن عالَم الغيب ترنو نحوهُ الحِقب[2]

فى كل شرقٍ شعاعٌ من ثقافتها الشرقُ دائرةٌ ، مصرٌ لها قُطُب

الشرق صرحٌ ، سَمَا مصرٌ دعامتُهُ الشّرق جسمٌ ، نما مصرٌ له عصب

كنانةُ اللهِ صانَ اللهُ رايتَها خفَّاقَةً يلتقى فى ظلِّها العرب !

---

(١) كان ذلك عقب العدوان الثلاثى .

(٢) يقصد : عهد الثورة ، وما أحدثه من حركات تقدمية ، فى عالم الثقافة .

موظف بلا مأوى

بعث بها إلى صديقه الأستاذ : طه النمر ، وكيل وزارة التربية ، حينما رقى مفتشًا أول بالتعليم الثانوى ، وذهب إلى الديوان ، فلم يجد له مكتبًا .

طه ، فديتك من أغرَّ ، همام ... طلْقِ المحيا ، مشرقٍ ، بسَّامِ !

إنَّ النمورَ تَتيهُ باسم سميِّها ... طَهَ على الآسادِ فى الآجام

يا راعىَ الفُصحى ، ومُكرمَ أهلها ... وهمو أحقُّ الناس بالإكرام

الضّادُ فى الديوان ضاعَ رجالها ... بين المكاتب ضَيعةَ الأيتام

وتكدَّسُوا فى غرفتين تكدُّسًا ... فكأنهم عقدٌ بغيرِ نظام(1)

ولقد نُقِلتُ ، فلم أجد لى مكتبًا ... يا ضيعةَ الأوراق والأقلام !

طالت بأبواب المكاتبِ وقفتى ... فتورَّمت من وقفتى أقدامى

كم مكتبٍ خالٍ جلستُ وراءهُ ... فإذا بصاحبه يلوحُ أمامى !

فأقوم أسترقُ الخطا ، وكأننى ... لصٌّ تسلَّلِ تحت جُنح ظلام

أنا ضيفُ طهَ . هل يبيتُ مشرَّدًا ... ضيفٌ ألمَّ بمحسنينَ كرام ؟

أُمنن علىَّ بغُرفةٍ ، وبمكتبٍ ... يتناسبان مع ارتفاعِ مقامى

فإذا أبيتَ ، فسوف أصبحُ عاطلاً ... وأعيشُ طولَ العُمر فى استجمام !

وإذا فعلتَ ، أصبتَ أجرَ مجاهدٍ ... وثواب ألفَىْ : حَجَّةٍ ، وصيام

---

(1) كان ذلك فى الوضع القديم قبل أن ينقلوا إلى مكانهم الحالى .

أيها النشء

تعلَّمُوا فـى ربيع العُمرِ ، واقتنصُـوا	مـن كـل سفـرٍ مفيـد خيـرَ مـا فيـه
وحصَّلوا ، إنمـا التحصيلُ فـى صِغرٍ	نقش علـى الصخر لا يمحوه مـاحيه
الشَّعـبُ إن ينتصرْ بـالعلـم ينصـرُهُ	والشعبُ إن يـدَّرع بالعلـم يحميه[1]
قـل للفَتاة : لقـد أصبحـتِ فى زمـنٍ	للسِّتـر والخـدر لـم تُخلـق غـوانيـه
سيـرى جـوار الفتى فـى كـل معتـركٍ	وفـى مجـالِ العلا والعلـمِ بـاريـه[2]
إنَّ الحمـــى بفتـــاه والفتـــاةِ معًـــا	كُـــلٌّ عليـــه لـــه ديـــنٌ يـــؤديـــه
الطفـلُ يرضـعُ مـن أخـلاقِ مُرضعـهِ	قبـل اللِّبانِ التـى تنصـبُّ فى فيـه[3]
مـا أنتجـت أُمَّـة مـن أهلهـا بطـلاً	إلا ومـــن خلفـــه أنثـــى تـــربيَّـــه

---

(١) ينصره ، ويحميه خبران ، لا جوابا شرط .

(٢) باريه : نافسيه .

(٣) المرضع (بلا تاء) : وصف للأنثى .

من الشعر الرمزى :

قيادة الدب

شاهدتُ فى الغاب قطعانًا من البقرِ ... عيونها كعيون الغيد فى الحوَرِ (1)

يقودها الدُّبُّ ، لا كانت قيادتهُ ... إلى المخاطر باسم الماءِ والثمر

فضلَّت السُّبْلَ . ما من حفرةٍ نهضت ... إلا لتسقطَ فى أخرى من الحُفر

حتى انثنى الرَّكبُ : لارِيٌّ ولا شبعٌ ... وكيف يهدى بصيرًا زائغُ البصر ؟(2)

آمنتُ بالله ! كم بين الورى نفر ... أمسى يقُودُهُموُ دبٌّ من البشر !

فى فنجان

ارتجلهما فى مكتب السيد وزير التربية :
احمد نجيب هاشم ، فى إحدى زياراته له .

قد زرتُ مكتبَ أحمدٍ ، فسقانى ... سمراءَ ، تحكى أعيُنَ الغِزلانِ

أنا ما ظفرت بقهوةٍ من أحمدٍ ... لكن شربتُ العلمَ فى فنجانِ

---

(1) فى هذا البيت : قلب الشاعر التشبيه ، فالعادة : أن تشبه عيون الغيد بعيون البقر .

(2) زائغ البصر : حائد البصر : كناية عن العمى .

ترقية شاعرين

١

إلى صديقى الشاعر المبدع الأستاذ : محمود غنيم .

فيمَ تقضى الحياة كدحًا وتشقى   يا صديقى ، والجهلُ خيرٌ وأبقَى ؟[١]

طلِّق الكُتْب واليراعَ ؛ لنطوى   فى نعيمٍ من عُمرنا ما تبَقَّى

واهجُر النَّثر والقريضَ جميعًا   فلقد كان كلُّ ذلك حُمقا

إنها خدعة ؛ بها كم خُدعنا   وسراب كنّا حسبناه صدقا[٢]

كم نظمنا قلائدًا لبنى الضَّا (م) د ، فسارت فى الأرض غربًا وشرقا

وهززنا اليراعَ ، نعصفُ بالظلـ (م) ـم ونأْبَى لمصرَ أن تُستَرقَّا

وبعثنا الغناءَ فى فرح الشر (م) قِ ، فراق الغِناء حسنًا ورقَّا

عبثًا يطلبُ الغريبُ قراراً   أو يرجِّى الأديبُ فى الشَّرق حقا

يا زميلى فى الأقدميةِ والجهـ (م) ـل ، هنيئًا بالجهل، أحرزتَ سبقا !

محمود الخفيف

---

(١) الكدح : الإجهاد .

(٢) السراب : ما يتراءى فى الصحراء كالسحاب ، ثم لا يمطر .

ترقية شاعرين بالأقدمية

٢

رد على الشاعر المبدع الأستاذ: محمود الخفيف .

يا زميلى ، فى الأقدميَّةِ ، سُحقًا لاختيارٍ لا يمنحُ الكفء حقًّا

نحنُ ما عقَّنا التَّخطِّى اختيارًا لا ، بل العدلَ والكفاية عَقَّا !

نحن بالعِتق ، يا صديقى ، ترقّينـ (م) ـنا ، وأغلى المدَام أو غلُ عِتقا[1]

أَسِوانا بزُبدة الكأسِ يحظَى وكلانا من فضلة الكأس يُسقى ؟

علمَ الله ، أنَّ هذا اختيارٌ سرُّهُ غاب عن ذكائى ودقّا

أيها السابقُ المجلِّى ، عزاءً إنْ رأيتَ العرجاء تُحرزُ سبقا[2]

حسبكُ العلم والقوافى إذا الرز (م) قُ تخلَّى . أليس ذلك رزقا ؟

أنت لا تَلثَمُ الأكفَّ نهارًا أو تدقُّ الأبوابَ فى الليل دقّا

إنّ باب الرقىِّ فيه انخفاضٌ ينحنى فيه رأسُ من يَترقَّى

---

(١) أوغل : أبعد وأعمق .

(٢) المجلى : هو الجواد الأول فى السباق .

حتام تنحسني ؟

ثم رشح كلاهما للدرجة الأولى ، فوقفت الحركة ، فقال :

يا ابن الخفيف خَفَفتَ عقلاً ، لا دمًا ... حتام تنحسُنى ، فأحيا مُعدما ؟

منذُ اندرجتَ معى بكشفٍ واحدٍ ... لم يلقَ فى الدنيا غنيمٌ مغنما

لو أنَّ صاروخًا أقلَّك مرَّةً ... فنزلتَ بالقمرِ المنيرِ لأعتما

سلوا الدرجات

ثم طال وقوف الدرجات ، فقال :

سلوا الدَّرجاتِ عن سرِّ الوُقوفِ : ... أعَاقَ صدورَها نحسُ الخفيف ؟

حلفتُ لوَ أنّ شمسَ الأفق يومًا ... به ابْتُليَت لباءت بالكسوف

ألا مَن يَبلغُ الوكلاءَ عنى : ... أزيلوا اسم الخفيف من الكُشُوف ؟[1]

(١) يقصد : وكلاء الوزارة ، أعضاء لجنة شئون الموظفين .

ماذا سنخسر ؟

ثم وزعت الدرجات ، فأخطأتهما الترقية ؛ فأنشد الأستاذ : محمود الخفيف المصراع الأول ، فبنى الشاعر عليه .

مِنَ الدَّرجات، يا محمودُ ، فاسخَر | فماذا ـ إنْ فقدناها ـ سنخسَر ؟
إذَا كنَّا نعانى اليومَ فقرًا | فإنَّا بعدها ، يا صاحِ ، أفقر
أتأسفُ ، يا خفيفُ ، على قروشٍ | تجودُ على السعاة بها وأكثر ؟
ولستَ بدونها ستموتُ جوعًا | ولست بها ستلبسُ تاجَ قيصر
وما رفعت لنا الدرجاتُ شأنًا | كلانا من شُعاع الشمس أشهرَ
أرى النَّكِراتِ بالدَّرجاتِ أولى | فَرَقُّوا كلَّ مغمورٍ ؛ ليَظهَر [1]
دع الدَّرجاتِ ، يَا محمودُ ، يحظَى | بها الجُهَلاءُ من قُرَّاءِ « شَرشَر » [2]

---

(١) المغمور : ضد النابه المشهور .

(٢) شرشر : كتاب موضوع للمبتدئين فى تعلم الهجاء .

ما تعطى غدًا ؟

ثم منحا الدرجة الأولى معًا ، فارتجلا هذه الأبيات ، يشكران بها السيد الوزير .

قُلْ للوزير أحمدا : طَهُرتَ قلبًا ويدا

وكنتَ رمزًا يا نجيـ (م) ـبُ للوفاءِ والنَّدَى

رفعتَ قدرَ شعرنا حتى بلَغنا الفَرقدا[1]

أعطيتنا معًا ولم تُعطِ غنيمًا مفردا

إنَّ غنيمًا ، والخفيـ (م) ـفَ : خَبَرٌ ، ومُبتدا

شكرًا ، ولا نقولُ قد أبطأتَ أو طال المدى

اليومَ قد أعطيتَنَا الـ (م) أُولى ، فما تُعطى غدا ؟

---

(١) الفرقد : نجم معروف .

موكب الربيع

فازت هذه القصيدة بالجائزة الأولى ، فى إحدى مسابقات الإذاعة .

حمـل النسيـمُ رسـالـةَ الأزهـارِ ... وأذاعَ سَـرَّ الـروضـة المُعطـارِ [1]

وسرى يُـداعبُ صفحـةَ الأمـواجِ فـى ... سَـربـانِـه ، وذوائبَ الأشجـار

ويطـوفُ بـالـوجنـاتِ قُبلـةَ عـاشـقٍ ... ويدُّب فـى الأوصال كـأس عقار [2]

حـىِّ الـربيـع ، وحـىِّ عِطـرَ نسيمـهِ ... والثُم جبيـن الصبـح فـى « آذار » [3]

❊❊❊

صحت الطبيعـةُ بعد طُـول هُجوعِهـا ... صحْو العُروسِ علـى صَدى « قِيثَار » [4]

ونَضَـتْ ستائرَ مخـدعيها ، تشتكـى ... مـن طولِ ليـلٍ ، واحتجاب نهـار [5]

وجـلا مفـاتنَهـا الـربيـعُ كـأنمـا ... هـى دميـة عـرضـت علـى الأنظـار

حتـى إذا اتَّقَـت العُيـونَ ، تلفَّعَـت ... مـنِ دوحهـا ومُروجهـا بـإزار [6]

❊❊❊

---

(١) رسالة الأزهار : شذاها وعبيرها ، وسر الروضة كذلك .

(٢) العقار : الخمر .

(٣) آذار : من شهور الربيع .

(٤) الهجوع : النوم .

(٥) نضت الستائر : كشفتها . شبه الطبيعة بغانية كانت نائمة فى فصل الشتاء ، فلما جاء الربيع أيقظها ، ففتحت منافذ مخدعها لاستقبال النور شاكية من طول ليل الشتاء ، واحتجاب نهاره بالغيوم .

(٦) فى البيت : حسن تعليل ؛ لا خضرار المروج فى الربيع ، واكتساء الأشجار بالورق .

عيدُ الطبيعةِ يَحتفى وحشُ الفلا
بحلوله ، والطيرُ فى الأوكار

الحُسنُ فيه بكلِّ شىءٍ ماثلٌ
حتى الصُّخورِ الصُّمِّ ، والأحجار

لقط الربيعُ الطَّيفَ ثم طلى به
أزهارهُ فأَخذنَ بالأبصار[(١)]

واصطادَ درَّ البحر ثم أذابَه
طَلاًّ يسيلُ على فَمِ النُّوار

الطيرُ يهتفُ فيه فوقَ غُصونه
فتُجيبُ وسوسةُ النَّمير الجارى

والغُصنُ مالَ على أخيه هامسًا
همس الأحبَّةِ فيه بالأسرار

هو ناصبُ الأسلاكِ إن وصل الهوى
بين القلوب ومرسل التيار[(٢)]

هو للصبابةِ كلَّ عامٍ موسمٌ
هو معرضٌ للخُرَّدِ الأبكار[(٣)]

أوما رأيتَ البحرَ فيه كأنَّما
لاحت تَوائمُه بغير محار ؟[(٤)]

الغيدُ تسبحُ أو تميسُ بشطِّه
أسراب آرامٍ بغير نفار[(٥)]

والرمل يكتنف المياه ، كأنما
هى فضَّةٌ محفوفة بنُضار

***

رَكبُ الربيع بدت طلائعه لنا
قم ، نَسرِ فى ركبِ الربيع السارى

قُم ، نسر فيه فراشتين بربوةٍ
يتلمَّسان مشارق الأنوار[(٦)]

---

(١) الطيف : هو ما يرى فى السماء عند المطر والبرق عادة على هيئة شريط مختلف الألوان « قوس قزح » .

(٢) شبه صلة الهوى بين القلوب بالكهرباء ، وجعل الربيع هو ناصب أسلاك هذه الكهرباء ومولد التيار .

(٣) الخرد : جمع خريدة وهى الفتاة العذراء .

(٤) التوائم : اللآلى× : شبه الفتيات المستحمات .

(٥) آرام : ظباء ، من عادة الغزال النفار ، ولكن هؤلاء لا ينفرن .

(٦) يبحث الفراش عادة عن الضوء .

قــم ، نَســرِ فيــهِ بُلبُليــن بــأيكــةٍ ... يتطــارحــان السَّجــعَ فــى الأســحــار

دنيــا الهــواءِ تشــوقنــى أرجــاؤهــا ... إن لاح لــى سِــربٌ مــن الأطيــار

فــأُحسُّ نفسى أفلتـت مـن قيـدهـا ... ومضــت محَلِّقَــةً بــريــش هــزار

ما أنــتَ ، يا طيرَ الغُصون ، مطـوَّقٌ ... بـل أنـت عـاهــلُ دولـةِ الأحـرار[1]

إنـى لـترهـفُ فى الـربيـع مشـاعـرى ... ويَــدِقُّ حسِّــى دِقَّــةَ الأوتــار[2]

ويُمــدُّ وجــدانـى تــألُّــقَ شمســه ... بحــرارةٍ تَنسَــاب فــى أشعــارى

ويــزيـدُ فيــهِ بـالجمـال تَـدَلُّهـى ... إنِّى امرؤٌ ، حبُّ الجمال : شعارى[3]

ويطيـب لـى معنى الحيـاة بـه ، وإن ... تكُــن الحيــاةُ كثيــرةَ الأوزار[4]

***

قم ، يا خليلى، نسرِ فى جُنح الدُّجى ... الـروضُ كـاسٍ ، والنجــومُ عَـوار[5]

السُّحْـبُ تحتَ النِّجم مثـلُ غـلائلٍ ... شفَّــافَــةٍ فــوقَ المــلاحِ قِصــار

بـدت الكواكـبُ من خِـلالِ بياضهـا ... تحكــى وجــوه رواهــبِ الأديــار

***

قم ، نَسـرِ حَولَ الرِّيف يطفـحُ وجههُ ... حُسنًـا ، وحسـنُ الرِّيـفِ غيـرُ مُعـار

فنـرى حقـولَ القمـح تَنفَحُهـا الصَّبـا ... فتمُـوجُ مـوجَ المـاءِ فـى الأنهـار[6]

---

(١) يطلق على الحمام ونحوه لفظ : (مطوق) وهذا اللقب يطلق على الأسير .

(٢) ترهف : تشحذ .

(٣) التدله : زيادة الوجد .

(٤) الأوزار : الأثقال .

(٥) يقول : الرياض مورقة ، والسماء صاحية .

(٦) الصبا : ريح لينة .

والنخلَ يحملُ فى يديه مِظَلَّةً | للزَّهو ، لا للقيظ والأمطار[1]
والبَطَّ يسبَحُ شارعًا أعناقه | كزوارقٍ خضراءَ ذاتِ سَوار[2]
والحانياتِ على الغدير حواسرًا | عن كل ذيلٍ طاهرٍ معثار[3]
يا رُبَّ تبرٍ فى التراب وجرةٍ | وُضعت على رأسٍ مكان الغار[4]

***

متّع فؤادَك بالربيع ؛ فإنه | لحنُ الزمانِ ، وبسمةُ الأقدار
إنَّ الرَّبيعَ هو الحياةُ ، وسرُّها | لولاه لم نحرص على الأعمار

---

(١) للزهو : للعجب ، لأن الزمن ليس زمن حر أو مطر .

(٢) شارعًا : مادًّا ، سوار : جمع سارية .

(٣) معثار : طويل يسبّب للابسته العثار عند السير .

(٤) يريد أن يقول : كم حاملة جرة فى الريف كان ينبغى أن تكون ملكة جمال .

تمثال فينوس

وقف الشاعر أمام تمثال فينوس ربة الجمال ،
فأوحى إليه بالقصيدة التالية :

حــيِّ الجمــال وأَطــرِهِ إن زرُت بــابــلَ سحــرِهِ[1]
عــرج علــى تمثــالــه والثَم جــوانــب صخــره
واحــنِ الجبيـنَ بقُـدسِ محــ (م) ــراب الفنــون وطهــره
مــا بــالُ هــذا الحسـنِ أفــ (م) ــتَى الجامــدون بستــره ؟[2]
مَــن قــال: إنَّ الفــنَّ يخــ (م) ــضَعُ للجمــود وأَســره ؟
مــا الكــونُ إن لــم يَنطلــق فيــه انطــلاقــةَ طيــره ؟[3]
الفــنُّ بــدريٌّ لــه مــا لا يحــلُّ لغيــره[4]
إنْ شُــوِّه استعمــالُــهُ فــالــوِزرُ ليــس بــوِزره[5]
دع عصبــةً نَقَمــت عليــ (م) ــه ؛ لأنهــا لــم تَــدرِه
يقفــون والفَلَــكُ المحــرِّ (م) كُ دائبٌ فــى سيــره
اطبَــع علــى الفــنِّ الشَّبــا (م) ب، وبــالتَّــذَوُّق أغــره

---

(١) أطره : امدحه ، بابل ، مدينة معروفة بالسحر من قديم .

(٢) واضح ـ من هذا البيت ـ: أن التمثال كان عاريًا .

(٣) فاعل « ينطلق » : ضمير الفن .

(٤) بدرى : شبيه بأهل بدر ، وأهل بدر مغفور لهم ، كما ورد فى الحديث الشريف .

(٥) الوزر : الذنب .

إنْ تصقُلـــوا ذوقَ الشبـــا (م) ب، أَمنتمــو مــن شــره

***

فِينــوسُ يــا رمــزَ الجمـــا (م) لِ العبقـــرىِّ وســـرِّه

مـــا أَنـــتِ إلاَّ متعـــةُ الــرَّ (م) ائى ومســرحُ فكــره

يـــا ربَّـــةَ الشَّعـــر الـــذى مـــا حـــال أَصفـــرُ تبــره

كــرَّ الــزمـــانُ علـــى الحسـا (م) ن، ومـــا حفَلـــتِ بكــرِّه

أبـــدًا شبـــابُــك نـــاضـــرٌ فـــى مـــأمـــنٍ مـــن دهـــره

أَشَغَفتِـــهِ حبًّـــا فلـــم تعبـــث يـــداه بنَضـــره ؟[1]

لــم يُبـلِ منــك ســوى الثيـا (م) ب بنـــابـــه وبظفِـــره[2]

لـــوحـــى لنـــا مثـــل الجُمـــا (م) ن مجـــرَّدًا مـــن قشـــره

الحســـنُ وهْـــو مقنَّـــعٌ كـــالبـــدر آخـــرَ شهـــره

مـــا حســـنُ أُفـــقٍ سُحبُـــهُ يحُجبـــنَ صفحـــة بـــدره ؟

مـــا حُســنُ روضٍ تَحبِسُ الْـــ (م) ـــقُضْبَانُ يـــانـــعَ زهـــره ؟

الطِّيـــب فـــى أحقـــاقـــه متجـــرِّدٌ مـــن عطـــره

والطيـــرُ فـــوقَ الغُصـــن غيـــ (م) ـــرُ الطيـــرِ داخـــلَ وكـــره

والـــرِّيـــمُ يَظهـــر حسنـــهُ فـــى القـــاع لا فـــى خِـــدره[3]

يـــا حـــاجبيـــنَ الحســـنَ، قـــد واريتُمُـــــوه بقبـــــره

---

(١) ضمير الغائب فى « شغفته »: يعود على الزمان، وفى « نضره »: يعود على الشباب.

(٢) فى البيت: حسن تعليل لعرى التمثال.

(٣) الريم: الغزال، الخدر: مسكن الغزال ونحوه.

كم للمُهيمن آيةٌ منقوشةٌ في سفره[1]

إنِّي أرى الرحمن في نَبتِ الحقول ونوره

في الرَّملِ أصفرَ ناعمًا متموِّجًا في قفره

في الماءِ كالبلَّور ، يَر (م) قُصُ موجُه في بحره

في النُّور لمَّاح السَّنا متألِّقًا في فجره

اللهُ في الوجهِ الجمي (م) لِ ، وفي ابتسامةِ ثغره

في الخدِّ كالتفاح لا يَخبو توقُّدُ جمره

في صُدغ كلِّ مهفهفٍ كالليل فاحمُ شعره[2]

في كلِّ أغيدَ ناهدٍ نَمت الثمارُ بصدره[3]

في كلِّ أهيفَ جاء يخ (م) طرُ كاشفًا عن نحره[4]

يَسبِي العيُونَ بلدنِ قا (م) مته ودقَّةِ خَصره[5]

***

الحسنُ خمرُ الرُّوح فام (م) لأْ ، واسقني من خمره

بالله لا تبخل به أضَمِنتَ طيلةَ عمُره ؟[6]

أنا شاعرٌ متحرِّرٌ لا راهبٌ في ديره

يهوى الجمال ، وفي الجما (م) لِ يصوغُ رائعَ شعره

---

(١) السفر : الكتاب ، والهاء من « سفره » : ضمير الحسن .

(٢) مهفهف : ضامر البطن .

(٣) أغيد : ناعم ، كنى بثمار الصدر عن : النهود .

(٤) أهيف : رشيق القوام .

(٥) قامة لدنة : لينة متأودة .

(٦) يقول : إن عمر الجمال قصير .

أنـا مـن أُنـاسٍ يعـرفـو (م) ن لـه جـلالـة قـدره

الـزَّهـر لا يَـرعَـونَـهُ   بـل يَقنعُـونَ بنشـره[1]

حُـبُّ الجمـال تبتُّـل   يحظـى المحـبُّ بـأجـره[2]

هـذا هـو الـرأى الـذى   لا أَرعَـوِى عـن نشـره[3]

مَـنْ شـكَّ فيـه ، فـإنـه   متخلِّـفٌ عـن عصـره

***

---

(١) النشر : العبير ، وقد نظر فى هذا البيت إلى قول الشاعر الأندلسى :

ولسـت مـن الـوائم مهمـلات   فـأتخذ الـريـاض مـن المراعـى

(٢) تبتل : عبادة .

(٣) أرعوى : أحيد وأكف .

عــدل السماء

عندما صدرت القوانين الاشتراكية ، التى تحد من الإقطاع والرأسمالية .

تجلَّى على الأرضِ عـدلُ السَّماء ... يـرفُّ بـأجنحـةٍ مـن ضيـاء

مـلاكٌ يمـسُّ بكـف الحنـانِ ... جبيـنَ الشقىّ ؛ فيمحـو الشقـاء

ويخفـضُ للضعفـاء الجنـاحَ ... ويعصفُ كـالريـح بـالأقـويـاء

***

ألا إنمـا النـاسُ مـن آدمٍ ... وآدمُ كـلُّ بنيـه سـواء

أصيـغ امـرؤٌ مـن نُضـارٍ وطيـبٍ ... وصيـغ امرؤ مـن تـراب ومـاء ؟[1]

تبـاركـتَ ربى ! أأنـت قسمـت ... عبـادك بيـن ذئابٍ وشـاء ؟[2]

أمِن بعض خلقـك أنت صنعتَ ... عبيـدًا ، ومـن بعضهـم أمراء ؟

تَسَيطر بـاسمـك قـومٌ ، وقـالـوا : ... علـى الأرض نحـن لـه خُلفـاء

ودينُـك ديـنُ المسـاواة وهْـوَ ... مـن الطبقـات ـ لعمـرى ـ بـراء

سننـت الشـرائعَ مـن أجلهـا ... وأرسلـت مـن أجلهـا الأنبيـاء

أيبشَـمُ بـالـزاد جـوفٌ ، وجـوفٌ ... يعُـزُّ عليـه فتـاتُ الغـذاء ؟[3]

ويكـرُع قـوم عتيـق المُـدامِ ... وقـومٌ إلـى كـأس مـاءٍ ظِمـاء ؟

---

(١) النضار : الذهب .

(٢) الشاء : الشياه : جمع شاة .

(٣) بشم : أتخم بالزاد .

ويفتـرشُ الخَزَّ جنـبٌ ، وجنـبٌ إذا نـام لـم يلـق إلا العـراء ؟[1]

إذا الفقـرُ كـان جـزاءَ الفقيـر فمـا بـال أطفـالـه الأبـريـاء ؟[2]

ومـا ذنـبُ طفـلٍ تَخُـطُّ الحيـاةُ لـه صفحـةَ البـؤس قبـل اللقـاء ؟

ومـا فضـل طفـلٍ إذا مـا استهـلّ تلقتـهُ فـى المهـد أيـدى الإمـاء ؟

ومـا شـاد هـذا صـروح السـلامِ ولا اعتـاد ذلـك سفـكَ الـدمـاء

ولـو سـاد فـى الأرض عـدلُ السمـاءِ لعـاش الأنـام بهـا سعـداء

لقـد جلـب الفقـر حـبُّ الغنـى وعجَّـل بـالمـوتِ حـبُّ البقـاء[3]

ومـا ضـنَّ بـالـدَّر ضـرعُ السحـاب ولا شـحَّ بطـنُ الثـرى بـالنَّمـاء[4]

ولا شكَـت الأرض مـن حملهـا ولا ضـاق بـالنـاس رحـبُ الفضـاء

ولكـن تفشّـى السُّعـارُ ، فكـان ضحيَّـةَ هـذا السُّعـار الـرخـاء

***

تبـاركـتَ يـا بـارىء الكـائنـاتِ ! لـكَ الأرضُ تـورثُهـا مـن تشـاء

تحكَّـم فـى أرضـك المـالكـون وشنُّـوا الحـروب علـى الأُجـراء

فلمـا قضيـتَ بـردِّ الحقـوق إلـى أهلهـا ، أجهَشُـوا بـالبُكـاء

لحُكمـك هـم أعلَنـوا كـارهيـن ولـو قـدرُوا نـاصَبُـوك العـداء

ألا أيُّهـا المـالكـون ، كـأنّـى بكـم تتحـدَّون حُكـم القضـاء

---

(١) الخز : الحرير .

(٢) يعنى الشاعر ـ فى هذا البيت ـ وما بعده على أيلولة الغنى والفقر عن طريق الوراثة من الآباء إلى الأبناء .

(٣) يريد أن الحرص على الغنى كثيرًا ما يجلب الفقر كما نرى الآن من إنفاق الأموال الطائلة فى التسليح استعدادًا للحروب التى لا سبب لها إلا حب الاستيلاء على مصادر الثروة .

(٤) الدر : اللبن : ويريد به الغيث .

وللهِ فــى العـــدل ســرٌ خفــيٌ ... دعــونى أُزِلْ عنــه بعـضَ الخفــاء
رضــاءُ المكــافـح عنكــم ثــراءٌ ... إذا فــاتكــم فــأنــتٌ مـــن ثــراء
ولــن تــأمنُــوا شــرَّةَ الجــائعيــنَ ... إذا السُّخـطُ حـلَّ محـلَّ الـرضـاء[1]
وكــم أهلــك المــالُ مــن حَـازهُ ... إذا المــالُ لــم يقتـرن بــالسخــاء
دعُــوا الأرض يملكُهـا الكــادحــون ... فمــا خُلقــت لســوى هــؤلاء
هــم استخــرجوا التِّبـر مــن بطنهـا ... وعــاشــوا علــى ظهــرهــا أُســراء
همــو قطـعٌ مــن ثــراهــا تَــدبُّ ... عليهــا ، وهُــم صحبُهــا الأوفيــاء
مســاكنُــم هــى طــول الحيــاةِ ... وأجــداثُهــم هـــى بعــد الفنــاء
وشــاطئهُــم إذْ يحــلُّ المصيــفُ ... ومــدفـؤهــم إذ يحــلُّ الشتــاء
وديــوانهــم هــى عنــد الصبـاحِ ... ومضجعهــم هــى عنــد المســاء
إذا مــا غفــوا فهْىَ نعــم الــوســادُ ... ونعــم الــوِطــاءُ ، ونعــم الغطاء[2]
ومــن تُــربهــا يُنضجــون الطعــامَ ... ومــن عشبهــا يَنسجــون الــرداء
يعيشــون ، ليس لهـم فــى سـواهــا ... ولا فــى سـوى من دحــاهـا رجـاء[3]
وإن أجهـــدت زارعًـــا أرضــهُ ... فــأعيــا ، شفتــه بطيـب الهــواء[4]
ولــم يلتمــس مـن ســواهــا عــلاجًا ... فكــانــت هــى الــداءَ وهْــى الـدواء
لأنعـــامهـــا ودُّهُ صـــافيًـــا ... ويـــا رُبَّ ودٍ بغيـــر صفـــاء
وتهفـــو السَّـــوامُ إليـــه ، كمـــا ... هفـا الأصـدقـاءُ إلـى الأصـدقـاء[5]

---

(١) شرة الجائعين : فتكهم .
(٢) الوطاء : المهاد .
(٣) دحاها : بسطها ، ويريد : الله جل جلاله .
(٤) أعيا : أصابه الإعياء : يستعمل الفعل لازمًا ومتعديًا .
(٥) هفا إليه : مال إليه ، والسوام : الماشية .

ويقنعُ من عيشه بالكفاف ويجزى عليه بحسن الثَّناء
ويدعو السماءَ لمن حرَّروهُ فتفتحُ أبوابها للدعاء

***

أيا حارثَ الأرض ، ما نُؤتَ يومًا بما لو تحمَّله الطَّودُ ناء[1]
صبرتَ على عنت الدهر دهرًا طويلاً ، فجُوزيتَ حُسن الجزاء !
دعوتَ جمالاً ، فلبَّى جمالٌ ومن كجمالٍ يلبِّى النداء ؟
إذا الضُّعفاء أهابوا به يَهبُّ إلى نجدة الضعفاء[2]
وتمضى به عزمةٌ من حديدٍ تُفسِّرُ للسهم معنى المضاء
إذا ما مشى قُدمًا فى الطريق فلن يتلفَّتَ نحو الوراء[3]

---

(١) ناء بالحمل : أثقله ، فلم يستطع النهوض به .
(٢) أهاب به : ناداه .
(٣) مشى قدمًا : أى إلى الأمام .

في مهرجان الوليد[1]

في سبتمبر سنة ١٩٦١ م ، أقام المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب - بمدينة دمشق - مهرجاناً لإحياء ذكرى الشاعر : البحتري ، وانتدب الشاعر للمساهمة في هذا المهرجان ، فألقى القصيدة التالية :

حين غنَّت دمشقُ شعرَ الوليدِ ... قالت الطيرُ : يا دمشق ، أعيدى[2]

ردّدى ، يا دمشق ، لحنًا وعته ... أذُنُ الدهر منذ عهدٍ عهيد[3]

شاعرٌ أعجز الفحولَ بشعرٍ ... سلسٍ ، طيِّعٍ ، عصيٍ ، عنيد[4]

كانَ شيطانه مريدًا ، ولكن ... يتراءى للعين غير مريد[5]

شاعرٌ ، بل مصورٌ ، بل مغنٍ ... ما قوافيه غيرُ أوتار عود

فاعلٌ بالكلامِ ما يفعل الصا (م) ... ئغُ في حبِّ لؤلؤٍ منضود

ينسجُ الشعر من زهور الروابى ... ويُنَدِّيه بابنة العنقود[6]

ألفُ عامٍ مضت ، وتمضى ألوفٌ ... بعدها وهْو ملءُ سمع الوجود

إن يصفْ للعيون إيوان كسرى ... لمحَتْ صخر ركنه المهدود[7]

---

(١) الوليد : اسم البحترى .

(٢) إنما خص الطير لأن من شأنه الإطراب ، فإذا طرب المطرب كان فى ذلك من المبالغة ما فيه .

(٣) عهد عهيد : عهد بعيد .

(٤) يشير إلى : ما وصف به شعر البحترى من أنه : سهل ممتنع .

(٥) كانت العرب تازعم أن لكل شاعر شيطانًا .

(٦) ابنة العنقود : كناية عن الخمر .

(٧) يشير إلى : قصيدة البحترى السينية المشهورة فى إيوان كسرى .

أو شدا بالربيع، يومًا شممنا ... من قوافيه ريحَ عطر الورود[1]

وحسبنا فيها طيورًا تُغنِّى ... وغُصونًا تميس مثل القدود

ورأينا الشقيق بين القوافى ... أخضرَ العود فى احمرارِ الخدود[2]

***

هل درى البُحترى أن القوافى ... سُوقها اليوم أصبحت فى ركود ؟

ما لنا كلما نظمنا قصيدًا ... نعتونا بمُفلقٍ ومُجيد ؟[3]

نحن لا نشترى « بأحسنتَ » زادًا ... إنما الزاد يُشترى بالنقود

أين عهدُ الرشيد يحشو فم الشا (م) عر بالدرِّ ؟ أين عهدُ الرشيد ؟

***

هل درى البحترىُّ أن أناسًا ... بعده شوَّهوا جمال القصيد ؟[4]

قد جزينا على ارتكاب الخطايا ... بأناسٍ جاءوا بشعرٍ جديد

زعموه حرًّا . ورقُّ الجوارى ... بعضُ أوصافه ، وذلُّ العبيد

عصبةٌ تحسبُ القوافىَ غُلاًّ ... وتعدُّ الأوزانَ بعضَ القيود

لهم الله . كلُّ عيٍّ لديهم ... مظهرٌ من مظاهر التجديد !

ما أُراهم يُلقون شعرًا ، ولكن ... يحصبون الأسماع بالجُلمود

---

(١) يشير إلى : قصيدته المشهورة فى وصف الربيع : « أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكًا » .

(٢) الشقيق : زهر أحمر اللون معروف عند العرب .

(٣) « مفلق ومجيد » : من صفات الشعراء ، و « مفلق » : من فلق الصبح ؛ يقصد بهذا الوصف الإبانة والإفصاح .

(٤) فى هذا البيت وما بعده : ينعى الشاعر على دعاة التجديد من الشعراء ما يسمونه : الشعر الحر ، الذى لا يجرى على قافية أو وزن .

قلــدوا كــل نـــاعــقٍ أجْنَبِــىٍّ ورمـــونــا بـــوصمـــة التقليــد

إن يكـن طـابـع الأصـالـةِ فـى الشعـ (م) ـر جُمـودًا ، فمرحبًا بـالجمـود

روضــة البحتـــرىِّ منبـتُ ريشـــى وبهـا قـد نَشـأْتُ ، واشتـدَّ عـودى

وأُحـبُّ القـريـضَ سمـح المعـانـى مُشـرق اللفـظ ، شـاجى التـرديـد

يشبــهُ الـراح ، كلمـا عــبَّ منهـا مُحتَسيها ، يقـولُ : هل من مـزيد ؟

ربَّ شعـــرٍ معقـــدٍ هـــو مـــرآ (م) ةٌ لمـا فـى النفـوس مـن تعقيـد

ومــن الشعـر مـا ينـد عـن الـذو (م) ق ، ويُغْـرى بـالنوم عنـد النشيـد[1]

أنت ، يا شعرُ ، سلوتى إن قسا الدهـ (م) ـرُ ، وكـادت بـى الشـدائد تـودى

لسـتُ أَشكُو الـزمـان مـا دمتُ أَلقَـى فيـه ديـوانَ جـرولٍ ، ولبيــد[2]

خيـرُ مـا فـى الحيـاة بيضُ معـانٍ فـى سطـورٍ علـى الصحـائف سـود

لــذة الــرُّوح لــلأديــب ، وللنَّـا (م) س ســواهـا مــن المتــاع الـزهيـد

أيهـا الشـاعـرُ ، انطلـق فـى السَّمْوا (م) تِ ، وخـلِّ الأنـام فـوق الصَّعيـد

طبقـاتُ الفضـاء عَـزَّت علـى « الـرُّو (م) سِ » ، ودانـت للشـاعر الغِـرِّيـد[3]

حلَّقـــت بـــى قـــوادمٌ وخـــوافٍ مـن خيـالـى فـى كـلِّ أفْـقٍ بعيـد[4]

يـا غُـزاة الفضـاء ، هــذا خيـالــى فـــاستعيـــروه سُلَّمًـــا للصعـــود

---

(١) يند : ينبو .

(٢) جرول : هو الحطيئة الشاعر المعروف .

(٢) يشير إلى : محـاولات الروس التى لم تكلل بـالنجاح التام بعد فـى كشف الأجرام السماوية .

(٤) القوادم : ما ظهر من ريش الطائر ، والخوافى : ما بطن منها .

كـم أميرٍ دانـت لـه أُممٌ ، وهْـ (م) ـوَ مـدينٌ لشـاعـرٍ بـالخلـود[1]

إنَّ شَعبًـا لا شـأْنَ للشعـر فيـه ... ليـس بيـن الأحيـاء بـالمعـدود

هـو ظـلُّ الحيـاة ، نـأوى إليـهِ ... واحـةٌ فـى صحـرائهـا الصَّهيـود[2]

لـو أفـاء الـورى إليـه ، أقـامـوا ... مـا أقامـوا فـى ظـل عيشٍ سعيـد[3]

المعـانـى بـدونـه شـارداتٌ ... شـاكيـاتٌ مـرارةَ التشـريـد[4]

يُنقَشُ الشعـر فى الصـدور ، ويُنسَى ... نثـرُ عبـد الحميد ، وابـنِ العميـد[5]

كـم قواف عنـد الحـروب استحالـت ... قـاذفـات للنـار ذات الـوقـود

وسـلاحٍ مـن ذرَّةٍ وسـلاحٍ ... مـن تفـاعيـلِ وافـرٍ ومـديـد[6]

نحـن جنـدُ الحمـى ، وإن أخطـأتنـا ... فيـه ألقـابُ رائدٍ ، وعقيـد[7]

***

أيهـا الشعـرُ ، مـا عهـدنـاك إلا ... سـاحـرًا تبعـثُ اللَّظـى فـى الجليـد

قـل لقـومـى : دوَّى الأذانُ ، فهبُّـوا ... مـن سُبـاتٍ ، واستيقظـوا مـن رقـود

أيـن مُلـكٌ بنتـه أيـدى الأوالـى ... كـان كـالشـامخ الأشمِّ الـوطيـد ؟

---

(١) يشير إلى : الملوك الذين خلدهم الشعراء بمديحهم من أمثال : سيف الدولة بن حمدان .

(٢) الصهيود : اللافحة الحر .

(٣) أفاء : رجع .

(٤) يشير إلى معنى قولهم : لا تزال الحكمة شاردة حتى تقيد فى بيت من الشعر .

(٥) عبد الحميد الكاتب ، وأبو الفضل بن العميد : هما الكاتبان المشهوران ، ومن مأثورهم قولهم : بدئت الكتابة بعبد الحميد ، وانتهت بابن العميد .

(٦) الوافر والمديد : بحران من بحور الشعر ، والعطف يقتضى المماثلة .

(٧) « رائد وعقيد » : من ألقاب الجيش كما هو معروف .

لـم تـزل فـى « مـدراسَ » منـه بقـايـا ... وبقـايا مـازلـن فـى « مدريـد » ؟[1]

جيـرةَ المسجـد العتيـق ، دعـونـى ... أقبسُ المسكَ مـن رفـات الوليـد[2]

حـدِّثـونـى عـن ابـن هنـدٍ ، ومـروا ... نَ ، وسبـطِ الفـاروقِ بين الـوفـود[3]

إنَّ فـى كـل بقعـةٍ مـن ثـراكـم ... صفحـاتٍ تـروى حـديـث الجـدود

هـاهنـا مجـدٌ ضـائعٌ . لا تقـولـوا : ... إنَّ مـا ضـاع ليـس بـالمـردود

ابعثـوهـا مـن رقـدة بجهـادٍ ... وجهـودٍ يُبـذَلـنَ إثـرَ جهـود

دولـةٌ تنشـر السـلام ظِـلالاً ... مـاؤهـا للجميـع عـذبُ الـوُرود

راحـةٌ تحمـلُ السـلاحَ ، وأخـرى ... خُلقـت للبنـاء ، والتَّشييـد

ينضـوى تحـت ظلِّهـا العُـرب طـرًّا ... ليـس فيهـا مـن سيِّـدٍ ومسُـود

أُتخِمَـت بـالتُّخـوم أرضُ الأعـاريـ (م) ـب ، وغَصَّت سمـاؤهـا بالبُنـود[4]

وحِّـدوهـا قيـادةً ، ولـواءً ... وأزيلـوا مـا بينهـا مـن حـدود

ومـن العـار : فـرقـةٌ بيـن قـومٍ ... دينُهـم قـائمٌ علـى التـوحيـد

هـل تـريـدون أن تُعيـدوا عهـودًا ... لا رعـى الله طيفهـا مـن عهـود

« يـوم كُنَّـا ، ولا تسل : كيـف كنَّـا » ... كـلُّ جيـشٍ بقـائد وجنـود[5]

---

(١) « مدراس » : مدينة معروفة فى الهند ، و « مدريد » : عاصمة إسبانيا .

(٢) المسجد المقصود : هو المسجد الأموى ، والوليـد : هو الوليد بن عبد الملك ، وكان معروفًا بالتعمير ، وهو المؤسس الحقيقى للمسجد الأموى .

(٣) ابن هند : هو معاوية ؛ وسبط الفاروق : هو عمر بن عبد العزيز ، وكان عمر بن الخطاب جده لأمه .

(٤) أتخمت : أثقلت ، والتخوم : الحدود ، والبنود : الرايات .

(٥) يشير إلى : تفرق الجيوش العربية فى حرب فلسطين ، والمصراع الأول مقتبس من شعر شوقى ، كما هو مشهور .

فـإذا بـالـذئابِ ـــ وهْـى ذئابٌ ـــ   تنزعُ الصيدَ مـن حُلـوق الأسـود[1]
ولـوَ أنَّـا خُضنـا المعـاركَ صفًّـا   لمسخنـا اليهـود مسـخ القـرود

***

هـل حسبتـم حسـاب يـوم عصيـبٍ   يُشعـلُ الشيبُ فيـه رأسَ الوليـد ؟[2]
خلـف أعـدائكـم مـن الغـرب قـومٌ   هـمْ أُولُـوا مـرَّةٍ ، وبـأسٍ شـديـد[3]
فـاتقـوا بـأسَ هـؤلاء ببـأسٍ   « لا يَفـلُّ الحـديـدَ غيـرُ الحـديـد »
إنَّ حـولَ الأُردُنِّ أرضًـا تنـادى :   أنـا إرثٌ للعُـرب ، لا لليهـود
لا تجُـودى بقطـرةٍ ، يـا فلَسطيـ (م)   ـنُ ، عليهم ، أو نَسمـةٍ لا تجـودى
إن سعـى منهُـمْ فـوق أرضـك سـاعٍ   فالفُظيـه لفظَ النـوى ، أو فَمِيدى[4]
بـرىء المُـرسَلـون منهـم ؛ فليسـوا   مـن بنـى مـوسـى ، أو بنـى داودِ[5]
هـم عبيـدُ النقـود فـى كـلِّ عصـر   طـالمـا أومئُـوا لهـا بـالسُّجـود
جـلّ وجـهُ الـدينـار ليـس لصِهيَـوْ (م)   نَ سـواه مـن خـالـقٍ معبـود
اِغـرسُـوا الحقد فـى القلـوب عليهـم   فلقـد يُستَحـبُّ حقـد الحقـود
لقنـوا النـشء وعـد « بلفـور » درسًـا   وأروهـم خيـام كـلِّ طـريـد[6]

---

(١) يقصد بالذئاب : اليهود ، وبالصيد : فلسطين .
(٢) تكررت كلمة الوليد فى القصيدة قافية ، وهى فى كل مرة بمعنى ، والمراد بها هنا : الطفل .
(٣) مرة : قوة .
(٤) « ميدى » : أمر من ماد بمعنى انهار وانهدم .
(٥) موسى وداود : من أجداد اليهود فيما يزعمون .
(٦) « بلفور » : هو الوزير البريطانى ، الذى كان أول من منى اليهود بإقامة وطن قومى لهم فى فلسطين .

لا تُـزيـروهُـمُ قبـرَ كـلِّ ولـىّ وأزيـروهـم قبـرَ كـلِّ شهيـد

ربَّ بُـرجٍ قـد صـار منـزلَ بـومٍ وعـريـنٍ قـد بـات مسكـن سيـد[1]

وعيـالٍ مـن الطَّـوى فـى هُـزالٍ يلبسـون الحـداد فـى يـوم عيـد[2]

وكَعـابٍ يتيمـةٍ مـا درت لِلْـ (م) ـيُـتم معنى فـى غيـر درِّ العقـود[3]

وذليـلٍ محطـم هـو مـن نسـ (م) ـل أباةٍ شُـمِّ المعـاطيس صيـد[4]

لا جـىءٌ كـان ملجـأ . وشـريـدٌ كـان يـأوى إليـه كـلُّ شـريـد

وهـوانُ الأحـرارِ أهـونُ وقعًـا منـه حزُّ المـدى بحبـل الوريـد ![5]

يـا فلسطيـنُ ، إنَّ ردَّكِ دَيـنٌ مستحـقُّ الأداءِ فـى كـلِّ جيـد

إن عيينـا عنـه ، وعـىَّ بنـونـا فهْـو ديـن فـى جيـد كـلِّ حفيـد

فـدعـى القـوم يمـرحـون قليـلا ربَّ يـوم لسَحقهـم مـوعـود

ربَّ يـوم يـرى ابـنُ « غـريُـون » فيـه ذَا نُـواسٍ ، والنـارَ فـى الأُخـدود[6]

قسمًـا بـالعـرض المَصـون ، وطفـلٍ بيـن أحضـان أمِّـه مـوءود[7]

---

(١) البرج : منزل النجم ، والسيد : الذئب ، والشاعر يشير إلى : منازل العرب التى احتلها اليهود بعد إجلائهم عنها .

(٢) الطوى : الجوع ، والمراد أطفال اللاجئين .

(٣) الكعاب : الفتاة نهد ثدياها ، والدرة اليتيمة : هى التى لا نظير لها .

(٤) صيد : جمع أصيد ، وهو الذى يشمخ بأنفه كبرًا .

(٥) حبل الوريد : عرق فى العنق .

(٦) ذو نواس : كان ملكًا فى نجران ، حفر لمن خرج عن دينه أخاديد فى الأرض وأحرقهم فيها .

(٧) موءود : مذبوح ، وفى البيت : تعريض بما ارتكبه اليهود فى فلسطين من : انتهاك الأعراض ، وذبح الأطفال البرآء .

لنَخُطَّـن فـوق أرضـك سفـرًا بمـدادين : مـن دمٍ ، وصـديـد

ذاك عهـدٌ قـد عـاهـدتْـكِ عليـه أمَّـةٌ حُـرَّةٌ ، تفـى بـالعُهُـود

وجمـالٌ مـن خَلفهـاظلَّـل اللـ (م) ـهُ جمـالا بظلِّـه المَمـدود !

***

آراء
فى صاحب هذا الديوان

١ ـ كتبت مجلة « العصبة » التى يصدرها أدباء المهجر ـ فى البرازيل ـ فى عددها الممتاز ، الصادر فى سنة ١٩٤٠ م مقالا عن الشاعر ؛ عنوانه : «خليفة حافظ » بقلم الكاتب الكبير توفيق ضعون ، نقتطف منه ما يلى :

« هذا هو محمود غنيم ، الذى أقدمه الآن لقراء العصبة ؛ فخورًا بأننى أقدم شاعرًا مجيدًا ؛ إذا لم يضارع حافظًا فى أصيله فإنه يجاريه فى ضحاه ، وهذا حاضره يبشر بمستقبل ربما كان أخصب منه وأجدى ، ومما يرجح كفته ـ فى نظرى ـ: عقم[1] محيطه بالنسبة إلى محيط حافظ أيام كان يطلق صيحاته وأغاريده فى القاهرة ؛ حيث المجال الرحب ، والموحيات والمستثيرات على أنواعها ، وكلها مما يفجر الشاعرية ، ويبعث الكوامن ، ويعين على الإجادة ، أضف إلى ذلك : أنه منذ البداية حافظىّ فى تأنقه ، وتدقيقه ، وبراعته فى تخير الألفاظ ،

---

(١) كان الشاعر عند كتابة هذا المقال لا يزال يعمل مدرسًا بمدرسة ابتدائية ببلدة نائية « كوم حمادة بحيرة » ، وهو الآن يشغل منصب المفتش الأول للغة العربية بالتعليم الثانوى .

والبحور والقوافى ، التى تماشى روح القصيدة ، وتكسبها خاصة الإعراب عن مرامى ناظمها ، وتوائم بين حركات وسكنات الحدث الذى تدور عليه أو المناسبة التى اقتضتها . . .

شعر تصويرى : سداه الدقة ، ولحمته الأمانة فى الأداء ، ونزعة حرة ، وفكر طليق من سيطرة الأوهام ، وخيال واسع يتغلغل فى الأعماق ، ويكشف الخبايا ، ونفس طموح لا يكبح جماحها إلا الإباء المستحب » .

٢ ـ تقدم الشاعر بديوانه : « صرخة فى واد » ، سنة ١٩٤٧م ، إلى أول مسابقة عقدها المجمع اللغوى للشعراء المعاصرين فى مختلف الأقطار العربية ، ففاز بالجائزة الأولى ، ويجد القارىء حديث هذه المسابقة مفصلا فى : العدد السابع من مجلة المجمع ، صفحة ٥٨ .

٣ ـ لعل من أوفى التراجم التى ترجم بها لصاحب هذا الديوان ما كتبه عنه العالم المحقق : محمد عبد المنعم خفاجى ، فى كتابه : «من تاريخنا المعاصر » ؛ فقد كتب عنه زهاء ٥٠ صفحة ، تبدأ من صفحة ١٧٥ ، استهلها بقوله :

« محمود غنيم شاعر مصر الكبير ، شاعر عربى موهوب ، عرف بالطلاقة الفنية ، والصدق فى التصوير والتعبير ، والجمال البيانى الأخاذ المشرق بالوضوح والإبداع والإلهام ، تناول شعره الكثير من شئون الحياة ، والاجتماع ، والسياسة ، والفن فى خيال خصب ، وموهبة عميقة الإدراك ، وأداء جميل ممتع ، وتوفيق بارع فى رسم الصور والمشاعر والألوان ، ونسج عذب حبيب إلى القلب والروح

الأُذن . ولا نجد شاعرًا معاصرًا يوفق التوفيق كله فى رسم صورته وأدائها فى براعة ، وخفة روح ، ومصرية تعبير ، وعذوبة أسلوب كشاعرنا غنيم» .

٤ ـ كتبت مجلة « الحج » التى تصدر فى الحجاز ـ فى عدد ربيع الأول سنة ١٣٦٨ هـ ـ بقلم رئيس تحريرها الأديب الحجازى الكبير: محمد سعيد العامودى، مقالا عن الشاعر نقتطف منه ما يلى :

« الشاعر الذى أريد أن أتحدث عنه فى هذا المقال، هو شاعر مرموق من شعراء مصر ، حاملة لواء النهضة الفكرية فى عالم العروبة والإسلام .

وحقيقة قد يمكن أن يقال : إن محمود غنيم ليس أشهر شعراء مصر اليوم ، ولكن الذى لا خلاف فيه هو أنه شاعر مصر الاجتماعى الأول فى هذا الأوان .

ولست أبعد إذا قلت : إن شهرة محمود غنيم كشاعر ، وعلى الخصوص فيما هو خارج حدود مصر من الأقطار العربية ، هذه الشهرة قد بذت غيرها ، ولعل مرد ذلك إلى انفراد الشاعر بمزيتين :

أولاهما : ميله إلى الوضوح مع قوة الأداء ، وارتفاع الأسلوب ، وحسن انتقاء الألفاظ ، إلى جانب صدق العاطفة والإحساس ، وعدم إهمال الفكرة ، أو الإغضاء عن وحدة الموضوع .

أما **ثانية** هاتين المزيتين للشاعر محمود غنيم ؛ فهى : شعره الاجتماعى والقومى ؛ إذ الواقع أن هذا الشاعر يكاد ينفرد بين شعراء

وإلى الموضوعـات القومية ، فإذا كان مـا يحدثه شعر الشاعـر من أثر قوى فى النفس دليلا على صدق الشاعر فى تعبيره الشعرى، كان لنا أن نقول عن شعر محمود غنيم الاجتماعـى والقومى : إنه شعر صادر عن إحساس عميق ، وعـاطفة جياشة ، وإيمان بما يقـول ؛ فلا تعمّل ولا افتعال » .

٥ ـ كتبت مجلة « المـوظفين » التى يصدرها ديوان المـوظفين ـ فى العد الثـالث « سبتمبـر سنة ١٩٥٦ م » ـ عن الشـاعر مقـالا بعنوان : «شعراء موظفون » بقلـم الشاعر المعروف : أحمد عبد المجيـد الغزالى ورد فيه ما يلى :

« أما الشاعـر الذى اختير ليكون الحلقة الأولى فـى هذه السلسلة، فقد قيـل عنه ذات يوم : « إنـه خليفة حـافظ » وعندى أن غنيمًـا أرسخ قدمًا من حافظ ، وأرفع منه قدرًا ؛ فالمواهب التى تتفاوت عندها أقدار الشعراء ، وتتباين منازلهم يكبر حظ غنيم فيها ، ويقل نصيب حافظ .

والذى يعبـر ديوان غنيم يـواجه حقيقة لامـراء فيها ، تلك هـى : أنه شاعـر المجتمع الـذى يعيش فيه : يصـور أفراحه وأتـراحه ، ويـرسم شئونه وشجونه فى إطارات موشاة مـن صفاء خياله ، وسماحة عبارته ، ورقة ديباجته ، ودقة سبكه . كـل ذلك فى انسياب وإشراق، يستشف القارىء فيهما صفحة الغدير المصقول .

وغنيم الشاعـر الموظف فى مصـر لا يعيش لمصر وحدهـا ، وإنما يسبح فـى أجواء المجتمعـات العربيـة لشقيقات مصـر ، ويحلق فـى سماواتها ، فيعجب ويطرب ، ويخلف هنـاك أكرم الأصداء التى ترف فى هذا الآفاق العربية الصحيحة بشعره العربى الصميم » .

٦ ـ فـى سنة ١٩٥٦م : انتدب الشـاعر لمهمة ثقـافية فى طـرابلس الغرب ، فأحدث وجوده هناك هزة فـى الأوساط الأدبية ، وقد كتبت عنه صحيفة « طرابلـس الغرب » وحدها ما ينيـف على عشرين مقالـة ـ فى أعداد شهر سبتمبر سنة ١٩٥٤ م ـ، وقد ورد فـى أولى هـذه المقـالات ما يلى ـ بقلم الكاتب الكبير : على المصراطى ـ:

« ومحمود غنيم مـن أبناء المدرسة المحـافظة التى تغار علـى القيم الشعرية ، والموازين اللغوية غيرتها على القيم الأخلاقية ، وهى مدرسة محافظة على الطابع والطبع ، ولكن ليس معنى هذا جمودًا فى الأداء ، أو قلقًا فى التعبيـر ، أو حشوًا فى التصويـر ، بل هو من هـذه المدسة المتوسطـة ، أو قل الحلقـة المفقودة بيـن : تزمـت القديـم ، واستهتار الجديد ، فهو من ناحية التعابيـر والأفكار جديد مجدد عصرى حديث ، ولكنـه لا يحطـم ولا يهـدم ، بـل ينظـم والميـزان أمـامـه ، ويقـول والمقياس فى يده ، ومن وراء الميزان والمقياس شعور و إحساس » .

ولما نزل الشاعر مدينة طرابلس حياها بقصيـدة [١]نشرتهـا جـريـدة « طرابلس الغرب اليومية » وقدمت لها بما يلى :

« الأستاذ محمود غنيـم شخصية لامعة ذات مركز مرمـوق ممتاز بين أعلام الأدب فـى العالم العـربى ، وشاعـر له شهـرته ومكانتـه ، ولعل قصيدته : « مـالى وللنجم يرعـانى وأرعاه » [٢]أصبحت أعلق بـأذهان

(١) ارجع إلى هذه القصيدة فى هذا الديوان باب : « من وحى العروبة » .

(٢) ارجع إلى هذه القصيدة فى الديوان الأول : « صرخة فى واد » .

الناطقين بالضاد: من « قفا نبك » التى ضرب بشهرتها المثل ، ومن محاسن الصدف أن تحظى طرابلس بزيارته ليشرف مع رفيقيه على امتحان الثقافة والتوجيهية » .

وقد نشرت مجلة « هنا طرابلس الغرب الأسبوعية » ـ العدد السادس ١٦ من سبتمبر سنة ١٩٥١م » ـ القصيدة نفسها ، وقدمت لها بما يلى :

الأستاذ محمود غنيم شاعر من شعراء الطليعة ، وشعره من النوع الرائع الرائق الذى أعجب به الكثيرون ، ورردده عديدون ، وتتلمذ له فى الشرق العربى شعراء مجددون ، وكم كانت فرصة طيبة عندما زار طرابلس ؛ ليشرف على امتحانات الدور من شاعر نكن له الإعجاب والتقدير .

٧ ـ وفى سنة ١٩٤٨ م : انتدب الشاعر إلى مدينة الخرطوم فى مهمة ثقافية ، فكان لوجوده رنة ترددت أصداؤها فى الصحف والإذاعة والأندية الأدبية ، وقد دعاه نادى الخريجين بأم درمان إلى ليلة شعرية يحييها بمناسبة قدومه .

ومما كتبته صحيفة « الأشقاء » ـ عدد ١٣٥ فى ٦ من سبتمبر سنة ١٩٤٨م ـ بمناسبة هذه الليلة ما يلى :

« دعا نادى الخريجين بأم درمان الأستاذ: محمود غنيم ، أديب مصر وشاعرها الفذ ، بل أديب وادى النيل وشاعره ــ الذى يلاقى المعجبين بأدبه وشعره أينما حلّ فى ربوع الشرق قاطبة ـ إلى ليلة شعرية يحييها نادى الخريجين بأم درمان ، فى مساء الأربعاء بعد غد » .

ومما كتبته صحيفة « صوت السودان » - عدد ٢٤٠٣ فى ٩ من سبتمبر سنة ١٩٤٨م - تعليقًا على هذه الندوة بعد أن عددت شعراءها وخطباءها ما يلى :

« وبين عاصفة من التصفيق تقدم الشاعر الكبير الأستاذ: **محمود غنيم**، فألقى قصيدته « النيل والسودان» [1] ؛ فحلق بالحاضرين فى أجواء الفن الرفيع بوصفه البارع الدقيق للنيل ، ولئن سحر الجارم الألباب بوصفه للصحراء عند زيارته للسودان، لقد بهر غنيم العقول بوصفه للنيل ، فكان المصور المبدع والشاعر المطرب الذى اهتزت له أوتار القلوب » .

٨ - وكتب الأديب : **عبد المنعم عواد** بحثًا عن الشاعر - فى العددين : ١٩٣ ، ١٩٤ ، الصادرين فى شهرى مايو ويونيو سنة ١٩٦١م من مجلة : « العالم العربى » - بعنوان : « **من شعرائنا الثائرين** » ، ورد فيه ما يلى :

« والشعراء الثائرون الذين عبر شعرهم عن الفساد قبل قيام الثورة والذين آزروها وواكبوا خطاها بعد قيامها كثيرون ، وأبدأ هذه السلسلة بالشاعر الكبير : « **محمود غنيم** » الشاعر الصدق الذى يحس بمشاكل قومه ، وينفعل بها ، ويعبر عنها فى شعره تعبيرًا صادقًا نابعًا من الأعماق ، فالذى يقرأ شعره قبل قيام الثورة يجده تعبيرًا أمينًا عن هذه المشاعر الوطنية المخلصة التى كانت تجيش بها نفوس المواطنين الأحرار ، فالاستعمار مثلاً مشكلتنا الأولى تناوله الشاعر الكبير فى شعره بالرمز تارة ، وبالإفصاح تارة أخرى . . . إلخ » .

---

(١) ارجع إلى هذه القصيدة فى هذا الديوان (باب متفرقات) .

ثم ختم هـذا البحث بقوله : « وبعـد ، فهذا أحد الشعراء الثـائرين بـدأت بــه لأنه أميزهــم جميعًـا فـى هـذا المضمـار ، وهكـذا كان محمود غنيـم شاعرًا ثـائــرًا عبر عن الثـورة وهـى لـم تزل بعد فكـرة فى ضمـائر الأحرار ، وباركها وواكبها وآزرها بعد أن أصبحت شجرة ظليلة تفىء على الشعب العربى بظلال من الأمن ، والعدالة ، والسلام » .

٩ ـ فـى العـدد ١٥ الصـدار فـى ٧من أكتوبـر سنـة ١٩٥٤م ، من مجـلة : « **الثورة** » ، عدة إجابـات عن سؤال طريف كانـت ألقته على القـراء مضمـونه : « لـو فـرض أن رسـالـة وردت إلـى مصلحة البـريـد المصريـة ، معنونة باسـم السيد المحترم أميـر شعراء مصر ، فإلـى من تسلم من شعرائنا ؟ » ووما ورد فى الإجـابة عن هـذا السؤال ممـا يتعـلق بالشاعر ما يلى :

«ومـن الذيـن يرشحـون الشـاعر : محمـود غنيـم لتسلم الـرسالـة الأستاذ : الكبيـر م . خ وقد طلـب أن يرمـز إلى اسمـه ، حتى لا يثيـر غضب أصدقائه مـن الشعراء ، ويرى هذا الرأى أيضًا الشـاعر : خليل جرجس خليل ، والأستاذ : عبد الكريم الغرباوى » .

١٠ ـ للمرحوم إبراهيم دسوقى أبـاظة ، رأى خاص فى شعر الشاعر محمود غنيـم وفى الموازنة بينـه وبين حافظ إبـراهيم ، وفى موقفـه من حركة التجديد ، فارجع إليه فى المقدمة التى قدم بها المرحوم : دسوقى (باشا) ديوان الشاعر الأول : « صرخة فى واد » .

تلك هى مقتطفات قليلـة موجزة من دراسات ومقالات كثيـرة ترجم فيها كتّـابها للشاعـر الكبير محمود غنيم، وأشادوا بشـاعريته ومكـانته الممتازة فى دولة الشعر العربى .

الديــوان الثالث

رجع الصدى

صدرت الطبعة الأولى سنه ١٩٧٩م
عن دار الشعب بالقاهرة



تقديم

فى أَحضان الطبيعة الريفية الساحرة ، وبين حقول الريف المصرى الخضِر وحول غدرانها المتلألئة وأشجارها الباسقة ، نشأ الأستاذ الشاعر المرحوم : « محمود غنيم » .

نشأ متأثرًا بهذه الطبيعة البهيجة ، وبهذا الجمال غير المجلوب ، وقد أمده الله بموهبة فطرة غنية ، ثم حفظ القرآن الكريم ، وتزود بالعلوم العربية والدينية ؛ حيث : دراسته فى المعهد الأحمدى بطنطا ، ومدرسة القضاء الشرعى ، ودار العلوم .

وظل وفيًا لتلك المعاهد التى أمدته بالأَصالة العربية ، والجزالة والسلاسة الشعرية ، فقال ـ قبيل وفاته ـ يعبر عن وفائه لتلك المعاهد والمغانى :

تكاد لذكراها تذوب حُشاشتى ... ويَطْفر من بين الضلوع فؤاديا

سلام عليها فى « مليج » مثابةً ... حفظتُ بها السبعَ القِصَار المثانيَا

سلام على « طنطا » ، ومعهدها الذى ... نظمت به ـ قبل البلوغ ـ القوافيا

سلام على دار القضاء ، وأهلها ... ورَبْع من العِرفان أصبح خاويًا

لقد وأدوها منذ خمسين حِجَّةً ... وما زال قلبى غائرَ الجرح داميًا !

سلام على « دار العلوم » ، وعهدها ... وهيهات هذا العهدُ يرجع ثانيًا !

مغانٍ غرفت العلم من غُرُفاتها ... وأودعت فيها بضعةً من شبابيا

وقد طلع الشاعر « محمود غنيم » على الحياة الأدبية بأغاريده الشعرية منذ صباه ، ولازم معاناة تجاربه الشعرية ، وانفعاله بالحياة والأحياء ، طَوال نصف قرن من الزمان ، وتسابقت الصحف والمجلات تنشر شعره ، وتذيع فنه ؛ ومنها : السياسة الأسبوعية ، والبلاغ الأسبوعى ، والرسالة ، والثقافة ،

والأهرام ، والمصرى ، وأَبولُو ، ودار العلوم ، وبعض المجلات فى البلاد العربية كمجلة الحج السعودية ، والعصبة الأندلسية فى البرازيل .

وقد عنى الشاعر بشعره ، فجمع ديوانه الأول : « صرخة فى واد » سنة ١٩٤٧م ، ودخل به أول مسابقة شعرية يعقدها مجمع اللغة العربية ، ففاز بالجائزة الأولى ، وفاز الشاعر « محمد الأسمر » بالجائزة الثانية ، وفى هذا الديوان ـ « صرخة فى واد » ـ ما يزيد على العشرين بعد المائة من القصائد والمقطوعات ، واشتمل على تسعة أبواب هى :

فى الحرب ، فى الاجتماع ، فى الوصف ، فى المرأة ، عبرات ، تحيات ، زفرات ، دعابات ، أَشتات .

وقدم له الوزير الأديب الناقدالمرحوم : « إبراهيم الدسوقى أباظة باشا » بمقدمة نقدية ، أَشاد فيها بشاعرنا ، وقرر أن أُسلوبه عنى بالفكرة والصياغة معًا ، وأَن الشاعر استوعب كل معانى الحياة والأحياء ، فى إحاطة نادرة ، ويقظة فاحصة لكل ما يضطرب فى الكون من : صور الجمال والطبيعة ، وعواطف الخير والشر.

ثم جمع ديوانه الثانى : « فى ظلال الثورة » من بطون المجلات والصحف ، وما أنشأه فى المناسبات المتعددة ، ونال به جائزة الدولة التشجيعية سنة ١٩٦٣ م ، واحتفلت به الأوساط الأدبية ومنها : رابطة الأدب الحديث ، التى كرمته فى حفل شعرى لائق . وقد حيا الشاعرُ الرابطةَ بقصيدة رائعة ، يقول فيها :

حَىِّ البيانَ ، وَقِفْ بسُدَّة بابه ... واخشع أمام الصِّيدِ من حجّابه
ياعصبةَ الأَدبِ الحديث، أَنا امرؤ ... أَهوى البيانَ ، ولستُ من أربابه
آلَتْ سَدَانته إليكم، فاسمحوا ... لى بالوقوف ولو على أعتابه

وحوى ديوان « فى ظلال الثورة » تسعة أبواب أيضًا ؛ هى :

فى ظلال الثـورة ، من وحى العروبة ، إسلاميـات ، وطنيات ، زفرات ، أشجان ، عبرات ، تحيات ، دعابات ، متفرقات .

وقدم له الشاعر الأديب المسرحى الكبير المـرحوم : «عزيز أَباظة باشا » ومن تعبيره فى ذلك قوله :

« إنك تحس ـ وأَنت تطالع هذا الديوان ـ أَنك فى متحف رائع للطبيعة ، تعرض فيه كل ما يخلب اللب ويأسـر المشاعر من صور ؛ فكل قصيدة من قصائده أشبـه بلوحـة رائعة أَبـدعتها يـد صناع ، وهيهـات أن تجد فى بيـانه المحكم السبك ما يتجافى عنه الـذوق السليم ، وتنبو عنه النفس الشاعرة ! وَمَرَدُّ ذلك إِلى مكونـات الشاعر ، من ثقافـة واسعة متنوعة ، وموهبـة فطرية تفاعلت معها أسرار الحياة ؛ فلا عجب ـ وقـد تكاملت له عناصر الشاعرية المبـدعة ـ أن يَهِيمَ فى كل واد من أوديـة الشعـر ، وأَن يصبح بحقٍّ دعامـةً راسخةً من الدعائم التى ارتفع عليها صرح النهضة الأدبية المعاصرة » .

هذا الديوان

برزت فكرة جمع هذا الديوان الذى بين أيدينا ، عندما علم الشاعر بتسجيل رسالة دكتوراه عنه بعنوان « محمود غنيم وشعره » وقد التقيت به ، فى داره بمصر الجديدة ، وأبدى - رحمه الله - فى حديثه معى رغبته فى جمع ديوانه هذا بقوله :

« إن لى عددًا من القصائد يزيد على الأربعين ، يمكن أن تجمع مع غيرها من شعرى الذى لم ينشر فى ديوان » .

وجدّ - قبيل وفاته - فى جمعه وتبويبه شأن ديوانيه السابقين ، لكن القدر لم يمهله حتى يراه مطبوعًا منشورًا كشعره فى الديوانين : « صرخة فى واد » ، و « فى ظلال الثورة » .

وكان تقسيمه للديوان مشتملاً على الأبواب الآتية :

« مع الإسلام والعروبة ، مع الطبيعة ، وجدانيات ، وطنيات ، عبرات ، تحيات ، دعابات ، متفرقات » .

وقد أضيف إلى ما جمعه : بعض القصائد التى لم ترد فيما جمعه ، ولم تنشر فى ديوانيه السابقين ، كقصيدته فى العيد الخمسينى لدار العلوم ، وقصيدته فى « المعلم » (١) ، التى كانت تردد فى جنبات قاعة اللجنة المركزية فى الاحتفال بعيد المعلم بعد وفاته بأسبوع واحد ، وغيرهما من القصائد

وقد حوى الديوان تقريباً مائة من القصائد والمقطوعات التى صاغها فى أواخر حياته ، أو ندّت عنه حين نشر شعره السابق .

ومن القسمات الوضيئة فى هذا الديوان : تمجيد المبادىء الإسلامية ، والمثل الإيمانية العليا التى قبسها الشاعر من تاريخ الإسلام ، واستلهمها من بطولاته ؛ فهو يقول فى قصيدة « الركب المقدس » :

---

(١) لم تضف قصيدة « المعلم » إلى الديوان ، كما أضيفت « دار العلوم » وستكون - بإذن الله - قصيدة المعلم فى التذييل بآخر هذا المجلد .

قـــوة الإيمــــان تغنـى ربَّهــــا   عن غِــرَار السيف أوسِنِّ القنـــاة
ومـن الإيمــــــــان أَمـنٌ وارفٌ   ومن التقـــوى حصـونٌ للتُّقـــاة

وحين يذكر بغداد ، يتذكر قوتها ، ويراها عاصمة للكون تقوده حيث شاءت ، ويتذكر قوة العرب والأجداد الصناديد ، ويجعلهم عظة للعرب وقوة لحاضر العروبة ومستقبلها؛ فيقول :

لنـــا أوائلُ سنَّـــوا كلَّ مكـــرُمــــة   شُمُّ الأُنــوف، أُبـــاةُ الضَّيم، أمجــادُ
إن يُسْـأَلـوا مالهم فى السلم مـا نَجِلُـوا   أَو يُسْـأَلـوا فى الـوغى أرواحَـهم جـادُوا

ويرى الوحدة العربية دينًا يجب أن يصان ، ولا يجوز أن يبدد فيقول :

إنى لأوشـك أَن أعتـــد وحـــدتَنــا   دينًــا ، وأن افتــراق الشمل إلحــادُ

ويجد فى الملك « فيصل » ـ قبل أن يقضِى نحبه ـ الملجأَ للعروبة، والمنقذ لها فى ظلمات المحن، وضلال الشك؛ فيقول :

تــدرى العـــروبــة أن سُــدَّةَ فيصل   درع لهـــا عنـــد الحـــروب ، ومَعْقِلُ
عـــرش يمـــد على العـــروبـــة ظلَّـــه   وعليـــه أَجنحـــةُ السمـــاء تظلِّلُ

* * *

أَملُ العـــروبــــة فيك ليس يَحُـــدّهُ   حــد، إذا استعصى عليهـــا مشكل

ولا ينسى ما تعانيهِ العروبة من جراح دامية، وهو يرثى الزعماء ؛ فيقول فى رثاء عبد الناصر :

وإن تك مصرُ قد فقدت جمالا فما عَقِمَتْ ، ولا قلَّ الرجالُ
جمالٌ غاب ، والعدوانُ باقٍ وجرحُ القدس دام لا يزالُ
وتندملُ الجراح مع الليالى وجرح القدس ليس له اندمالُ

والشاعر غنيم إنسانى النزعة يحرص على كل ما فيه أَمن البشرية وسلامها ويشيد بكل ما فيه رخاؤها واستقرارها ، فنراه فى قصيدته : « على سطح القمر » يقرر أن ما يبذل فى سفن الفضاء والوصول إلى القمر من أَموال ، يمكن أن يُوَجَّه فى خدمة الإنسان وتحقيق الرخاء ، وإشاعة السلام ، فيقول :

تعالوْا نبتكرْ عهدًا جديدًا يعمُّ الخيرُ فيه واليسار
تسودُ به : مساواةٌ ، وأَمنٌ فما فى الأَرض : سِنَّوْرٌ ، وفار
تعالوا نبتكر للحرب حلاً وإلا ، حاق بالأَرض الدمار

وكان ـ رحمه الله ـ وفيًا للأدباء ، راثيًا للشعراء ؛ فقد رثى الأديب الكبير والشاعر الفذ ، والفيلسوف ذا الثقافة العميقة والفكر المتأجج ، المرحوم «عباس العقاد » قائلاً :

كفِّنوا العقادَ فى أسفاره وادفنوا المِرْقَمَ والطِّرسَ معهْ
لست أَدرى : أَشِهَابًا كان ، أَم عَيْلَمًا ، أَم راهباً فى صَوْمَعَهْ ؟
عالِمٌ ، بل عالَمَ فى رجل ليت شِعْرِى : أىُّ قبرٍ وسعهْ ؟
عبقرى العبقرياتِ قضى فَهْىَ من حزنٍ عليه جَزِعَهْ !

وجانب الفكاهة واضح فى هذا الديوان ، كما كان واضحًا فى ديوانيه السابقين ، وربما انفرد هذا الديوان بفكاهة ملحمية طويلة كما تصور فكاهة « بط الماحى » ، وهى تدل على نَفَسٍ طويل وإِلحاح على الفكاهة ، ومن مداعباته لصديقه « العوضى الوكيل » قوله :

أنـــا إن أَردت تخلصًـــــا فـى البيـت مـن ضيـف ثقيـل
أنشـــدت هـــذا الضيـف بَيْـــ ـــتًا واحـــدًا لابـن الـــوكيل
ولـــوَ انَّنـى ثنَّيـت، أَقْـــ ـــعده الصـداعُ عن الــرحيل

ومما هو جدير بالذكر : أَن الشاعر الراحل « محمود غنيم » - وربما غاب عن كثير من النقاد والأدباء - له خمس مسرحيات ، تجعله فى عداد الشعراء المسرحيين ، و تسلكه مع شوقى وعزيز أباظة ، وقد سألته - فى لقائى معه - : لماذا لم تمثَّل مسرحياتك كمسرحيات شوقى وعزيز أباظة ؟ وكان رده : أما شوقى ؛ فقد مثل له بحكم نفوذه ، وأما عزيز أباظة ؛ فقد مثل له بحكم نفوذ أُسرته ، أما أنا ؛ فلا قريب ولا حم !

وفى هـذا الرد الموجز مـا يعبر عن شكـوى الشـاعر؛ فى أَنـه لـم يأخـذ نصيبـه ، ولم ينل ما يريده ، ويؤكد هذه الشكوى قوله :

إلى مـن أشتكى يـــارب ضيمى ؟ أرى نفسى غـــريبًـــا بين قـــومى
لقــد هتفــوا لمحمـــود شكـــوكـــو ومـــا شَعَـــروا بمحمـــود غنيم !

وهذه المسرحيات هى :

١ ــ « **المروءة المقنعة** » : وقد استلهم أحداثها من التاريخ الإسلامى والأموى

٢ـ «**غرام يزيد**» : وهى مقتبسة من التاريخ الأموى .

٣ ـ « **يومان للنعمان** » : مأخوذة من التاريخ الجاهلى ، وتبين بعض تقاليد الملوك .

٤ ـ « **النصر لمصر** » : وهى من التاريخ الأيوبى ، وتصور كفاح مصر ضد الغزاة .

٥ ــ « **الجاه المستعار** » : وهى مسرحية اجتماعية ، مؤلفة من واقع المجتمع المصرى الحديث . وبهذه المسرحيات يعد غنيم شاعرًا

مسرحيًّا ممتازًا ، وكان يرضيه ويسعده أن يجد بعض هذه المسرحيات تمثل بعض فصولها فى المدارس التى يتولى الإشراف عليها .

والشاعر غنيم يعد من النقاد البارزين بآرائه التى بثها فى شعره ، أو كتبها فى مقالات ضواف فى المجلات ؛ فقد كتب فى مجلة مجمع اللغة العربية مقالاً بعنوان : « نقد النقد » وأثار فيه مجموعة من الأمثلة التى كان له فيها رأى واضح وحكم نقدى جرىء ، وكتب مقالاً فى مجلة الهلال بعنوان : « الشعر المنحل لا الشعر الحر » أَبان فيه معنى الحرية فى شىء ما ؛ فحر المال هو الذى أَتى من عرق وتعب ، وحر الدم يبذل فى الوطن ، أَما حر الشعر فليس فيه إِلا الضعف والهزال .

وتتلخص آراؤه فى النقد فيما يأتى :

١ ـ أن النقد لابد أن ينأى عن الميول والأهواء .

٢ ـ ويمجد الشعر الذى يلتزم بالعمود الشعرى ، الذى عرف عن العرب أصالة وصياغة .

٣ ـ ويوضح أن للشعر والأدب مواقف ينفعل بها الأديب ، وينكر رأى الذين يعيبون شعر المناسبات ؛ لأن كلام الله تعالى وهو القرآن الكريم نزل فى مناسبات متعددة .

٤ ـ ويرى أن الوضوح لازم فى الشعر شأن العرب المطبوعين ، وينسج على منوال البحترى ، والشعر المعقد ليس إلا صدى لنفوس أصحابه المعقدة .

٥ ـ ويستنكر ما يقال : إن هذا الغرض قديم ، ولا بأس عنده بشعر المدح والرثاء .

٦ ـ ويميل إلى : أَن أَعذب الشعر أصدقه ، ويقصد ـ طبعًا ـ : الصدق الفنى .

٧ ـ ويَعُدُّ الشعر الحر ميتا ، ويصفه بأنه يوأد يوم يولد ، فلا بقاء له ولا خلود .

٨ـ ويهجم على أدعياء الشعر الحر ويفند آراءهم فى قوله :

وقالوا : شعركُم عبدٌ	دعونا نأتِ بالحر
فخلَّيْنَا المجال لهم	فدسُّوا الشعرَ فى القبر
هى الأذواقُ قد فَسَدت	فصار التُّربُ كالتِّبر
وصار المرُّ كالحلوِ	وصار الحلو كالمر

ولماذا لا يحررون إلا الشعر ؟ وعليهم أن يحرروا النثر أيضاً ، كما يقول :

حَرِّروه من نحو زيد وعمرو	وخلاف بين النُّحَاةِ طويل
أيها العابثون بالضَّادِ ، رِفْقًا	ما تَبَقَّى للعُرْب غيرُ قليل
آفةُ الضاد مَارِقٌ من بنيها	هو شَرٌّ من ألف ألف دخيل

وقد صاغ ـ رحمه الله ـ تجاربه الشعرية على النمط العربى الأصيل ، ونأى عن الدخيل ، وَوَفَّى جانب الفكرة والصياغة معًا ، ولم يهمل جانبًا على حساب الآخر ؛ فهو بحترى النزعة ، يقول فى ذلك :

روضةُ البحترى مَنْبِتُ ريشى	وبها قد نشأت، واشتدّ عودى
وأَحبُّ القريض سمحَ المعانى	مشرق اللفظ ، شاجِىَ الترديد
يشبه الراحَ ، كلما عبَّ منها	محتسيها يقول : هل من مزيد ؟

وقد تمت حول الشاعر دراسات أَدبية قاصرة ، كانت تهتم ببعض الجوانب، وتهمل بعضها الآخر ، ولا يمكن أن نتعرف منها على جوانبه

المتعـددة وآفاقـه الـواسعة ، لكن الـدراسـة الموسعـة عنـه تمت فى رسالـة الدكتوراه « محمود غنيم وشعره » التى قام بهـا كاتب هذه السطور ، وتناولت غنيمًـا من جميع جوانبـه الأدبيـة واتجاهـاته الشعـريـة ، وأشرف على هـذه الرسـالة : الأستاذ الـدكتور عبد السلام سـرحان ، أُستاذ الأدب والنقـد بكلية اللغة العـربية جامعـة الأزهر ، وناقشها : الأستـاذ الدكتور أحمـد الحوفى ، رئيس الـدراسـات الأدبيـة بـدار العلوم ، وعضـو مجمع اللغـة العـربيـة ، والأستاذ الـدكتور : محمد عبـد المنعم خفاجى ، عميـد كلية اللغة العـربية بأَسيوط ، وحازت مرتبة الشرف الأولى ، وكـانت مناقشتها فى الرابع من مارس سنة ١٩٧٥ م بقاعة محمد عبده جـامعة الأزهر ، وحضر مناقشتها لفيف من الشعراء والنقاد وآلاف من طـلاب البحوث الأدبية والنقديـة ، وعشاق الشعر الأصيل . ولا أَدعى أنها أنهت كل مـا يتعلق بالشاعر ، ودرست كل مـا قاله الشـاعر ممـا يغلق الباب ، وحين تطبع هـذه الرسـالة ستضيف إلى الحيـاة الأدبيـة والنقديـة كثيرًا ، وهى مفتـاح لأدب هـذا الشاعـر الكبير ، ومصبـاح يضىء لدراسات أُخرى وبحوث جديدة إن شاء الله .

وبعد أن سقط القلم ، وسكت النغم ، وتحطمت قيثـارة الشعر الأصيل ، الذى عزف أَلحان الأمة العربية وكفاحها ، وبعد أن توقف الطائر المحلق عَن تحليقه فى سماوات الفن الـرفيع فى سبتمبر ١٩٧٢ م ، أَقام له عـارفو فضله ومحبو أَدبـه ، ومقدرو فنه حفلى رثاء : أَحـدهمـا ـ : فى دار جمعيـة الأدباء بشارع قصر العينى بالقاهرة ، وثانيهما ـ : بدار الرابطة الإسلامية بباب اللوق بالقاهرة ، أفـاض فيهما الأدباء والشعراء والنقاد معبرين عن تقـديرهم لشعره واحتفائهم بأصالته ، ووفائهم لمـروءته ، باعتباره ركنًا للتعبير الأدبى البليغ ، ودعامة من دعائم الشعر العـربى الفصيح . وقد جمعت القصائد والكلمات

التى قيلت فى هـذين الحفلين بخلاف بعض مـا نشر فى الهـلال ، والأديب اللبنانية ، وغير ذلك من المجلات ؛ جمع كل ذلك فى كتاب :

« دموع على الشاعر محمود غنيم »

وقدم له وحقق كلماته وعلق حواشيـه كاتب هذه السطور ، وقد وزع على الأوساط الأدبيـة والشعراء والأدبـاء والنقاد على نفقـة ورثته الـذين يستحقون الشكر كل الشكر على عنايتهم بنشره ، كمـا يستحقون التقدير كلَّ التقدير ، والثناء كل الثناء لاهتمامهم بنشر هذا الديوان أيضًا .

ولا يفوتنى أن أذكـر بالتقديـر والتكريم هيئـة دار الشعب الموقرة لعنـايتها بنشر مـا يمجد الإسلام ؛ وينهض بـالعروبة ، ونشر هـذا الديوان ، وبخـاصة رئيس مجلس إدارتهـا الأستاذ الـدكتور : طـه أحمد ربيع ، والمحقق الكبيـر الأستـاذ : إبراهيم الإبيـارى ، والمشرف علـى المطبوعـات : الأستاذ ثـروت شعراوى ، وكل من أسهم فى إخراج هذا الديوان إلى المكتبة العربية ومهد له بين الدواوين الشعرية له جزيل الشكر وعميق التقدير .

القاهرة : شوال ١٣٩٨ هـ

سبتمبر ١٩٧٨ م

دكتـور :

محمد أحمد سلامة

أستاذ الأدب والنقد بجامعة الأزهر

الإهداء

أبـدا - وحقِّك المقَّـدس علينا يـا أبى - لن تـذهب صرختك فى الـوادى أدراجَ الريـاح ؛ فلقد ترددت أصـداؤها فى الأوديـة الأخرى ، التى أَحسست بهـا ، وعبرت عنهـا ، شاهـدًا أَمينًا على عصـرك ، وحاديًـا نزيهًـا للقافلـة ، وضميرًا نقيًّا لها . ويومًا ما ، تبلغ آذانًا تلقى السمع وهى شهيدة ... وأرواحًا تهفو إلى بر الأمان .

فلتهنأ روحك الطـاهـرة ، وتـرضى نفسك الكـريمة ؛ فلقـد بلغت : أنـا شاهدون .

عاطف محمود غنيم

مع الإسلام والعروبة

فى أرض النبوة

من وحى زيارة الشاعر للأراضى المقدسة حين حج فى عام ٦٨ م ،
أنشد هذه القصيدة المعبرة عن عاطفته الدينية الأصيلة :

صوت من العالم العلوىِّ ناداني ... لبَّيكَ لبَّيكَ ! لا آنٍ ، ولا واني (١)

ما أعذبَ الصَّوتَ ! ما أَشجاه من نَغَمٍ ... سمعتُهُ بِجَناني لا بآذاني (٢) !

وكيف تسمعُهُ أُذْنٌ ، ويحملُهُ ... مَوْجُ الأثيرِ حروفاً وهْوَ رُوحاني ؟

لبَّيْتُهُ بفؤادٍ ملؤه وَجَلٌ ... وصيِّبٍ من دموعِ العين هتَّان (٣)

كيف الوقوفُ على باب الرسولِ ، وفى ... يدى صحائِفُ زلَّاتى وعِصياني ؟

دارَ النُّبوَّةِ ، ذنبى عنك أبْعَدَني ... وحُسْنُ ظَنِّى بربِّى منكِ أدناني

لم يَدْرِ قَدْرَكِ مَنْ فى ذاتِ أجنحة ... أتى يزورُكِ ، أو فى ذاتِ سُكَّان (٤)

هلَّا أَتيتُكِ سيَّارا على قدمى ... أَوْطَارَ من حَرِّ شوقى بى جَناحان ؟

ما غبتِ عنى ، وإن لم يمتلئْ بصرى ... من أَهلكِ الصِّيدِ أَو من رَبْعِكِ الغاني (٥)

قد كنتُ ألقاكِ فى لَوْحى ، وفى كُتُبى ... وفى سطور أَحاديثى ، وقرآني

ما زلتِ رسمًا جميلاً فى مُخَيِّلتى ... حتى كأَنَّا التقينا منذ أزمان

---

(١) أنى أنْيًا كجثى جُثِيًا ، ورَضِى رِضًى : تأخر وأبطأ ، وآن : متأخر ، ووان : ضعيف متكاسل

(٢) الجنان ـ بفتح الجيم ـ : القلب والرُّوح .

(٣) الصيب : المطر ، والهتان : الغزير.

(٤) ذات أجنحة : كناية عن الطائرة ، وذات سكان : كناية عن السفينة ، والسكان : الدفة .

(٥) الصيد : جمع أصيد ، وهو الشريف العظيم .

كأننى لستُ ضيفاً عند أَهلك ، بل ... هم فى ربوعِهمُ الفيحاءِ ضيفانى

وما طَرِبْتُ لِلَحْنٍ ليس يذكُرُ لى ... ما فيكِ من علَمٍ ، أو فيكِ من بان

الله يعلم كم حركتِ فى خلَدى ... من ذكريات ، وكم هيَّجتِ أشجانى !

كم فى دُرُوبك من درب أَصَخْتُ له ... كأنه بِحديث الأَمس ناجانى

لِي من صعيدك أَفواهٌ ، وأَلسنةٌ ... بقدر ما فيه من رَمْل ، وكُثْبان

يا جيرةَ الحرَمَيْن الآمِنينَ ، لكُم ... أُهدى التحيَّة من رَوْح ورَيْحان

الله أَورثكم مجدا يُقِرُّ به ... قبل الحبيب لسانُ الحاسد الشانى (١)

والله شرَّف مغناكم ، وشرَّفكم ... خيرُ البقاعِ أَقلَّت خيرَ سُكَّان

ما للشرابِ وردنا ماءَ زمزمكم ... بل للطهارة من رجس وأَدران

بالله ، لا تُتْرعوا من مائها قدحى ... بل فاغمُروا جسدى منها بطوفان (٢)

هنا رحيق ، عتيقٌ ، حلّ مشربه ... فيه طهارةُ أرواح وأَبدان

هنا مفاتيحُ أَغلاقِ السماء ، هنا ... باب الوصول إلى جنَّات رضوان

هنا بنى المصلحُ الأُمىُّ جامعةً ... على أَساسَيْنِ من : علم ، وعرفان

على قواعدَ من هدْى النُّبوَّة ، لا ... على قواعدَ من صَخْر وصَفْوان

وكيف لا ورسولُ الله منشؤها ؟ ... جلّ البناءُ ، وجلَّ المنشىءُ البانى !

ما كان طلابُها إلا شراذمَ من ... رعاة إِبْلٍ ، ومن عباد أَوثان

ربَّى العتيقَ أَبا بكر بها ، وأَبا ... حفص ، وربّى عليّا ، وابْنَ عفَّان

طلاَّبُها فى ربوع العالم انتشروا ... مبشّرين بإِصلاح وعمران

وسمحة من سماء الله مُنْزَلة ... ومُحْكم من كلام الله ربّانى

فيها تخرّج سُوَّاسُ البريّة من ... أدنى المحيطِ إلى أَقصى خُراسان

ساسوا الشعوب بأَحكام الكتاب ؛ فما ... أَحسّ شعبٌ بجَوْر ، أو بطغيان

---

(١) الشانى ـ أصلها الشانىء ـ : المبغض الكاره .

(٢) لا تترعوا : لا تملئوا ، والقدح : الآنية .

سماحـةٌ عُـرفَ الـدّيـنُ الحنيفُ بهـا ... مـا فـرَّقَتْ بيـن ألـوان وأديـان
من كلّ مِسْعَـرِ حـرب يـوم معركـةٍ ... وكلّ نـابغـة فـذٍّ وفنَّـان (١)
أَجلَّهـم كـلُّ ذى علـم وفلسفـة ... وهَـابَهم كلُّ ذى جـاه وسلطـان
« الله أكبـر » كـانت سـرَّ قـوّتهم ... على الجبابـرِ من فُـرْس ورومـان
شـاد البُـداةُ حضـاراتٍ بهـا ، وبهـا ... ثَلُّوا عـروشا ، وسَلُّوا دُرَّ تيجـان (٢)
لاحصنُ قيصـر أَغنى عنـه زحفهمـو ... ولا احتمى منهمـو كسـرى بإيـوان
والأَمـر لله ، دارَ الـدهـر دورتـهُ ... فأصبح القـومُ شـاءً بيـن ذؤبـان !
قد جال فى أَمْسِهم فكرى ؛ فأضحكَنى ... وجال فى يومِهم فكـرى ؛ فأبْكانى !!
يا ويـحَ قومى ! نَسُوا الله الكبيـرَ ؛ فلم ... يـذكـرْهُم اللهُ ، نسيـانٌ بنسيـان !
يـاربِّ ، شعبُك يشكـو مـا أحـاط بـه ... من الخطوب ، فأدركْ شعبَك العانى (٣)
أدْركْ بلطفك شعبـاً غـطَّ فى وَسَـن ... على تُخـوم عـدوٍّ غيـرِ وَسْنـان (٤)
يـا سيِّد الـرُّسْل ، لم أَنْشِـدْك ممتدحـاً ... فأنت فـوق مـزاميـرى وألحـانى
ومـا علىَّ ــ إذا أَنشَـدْتُ ــ من حَـرَجٍ ... كمْ كنتَ تُصْغِى إلـى إنشـاد حسَّـان
لمَّـا رأَيتُ القـرابينَ التـى قـدِمَتْ ... بهـا الوفـودُ ؛ جَعلتُ الشعـر قُرْبـانى
لو استطعتُ ، نظمتُ الشعر من بصرى ... ونـور قلبى ، وبعضُ الشعـر نـورانى
يهـونُ عنـدىَ إن أكسِبْ رضـاك بـه ... مـا نـال أحمـدُ مـن كفِّ ابن حَمْـدان
بل دونِ نظـرةِ عطفٍ منك واحـدةٍ ... ملكُ السمـاء وملـك الأرض فى آن
إنى لأَطْـرُقُ بـابَ المصطفى بيـدٍ ... بيضـاءَ لم تتعـوَّدْ طـرقَ ببيـان
وأبسطُ الكفَّ أستجـدى رضـاه ، ومـا ... بسطتُ كفـى لـذى مَنٍّ وإحسـان

---

(١) مسعر حرب : موقد نارها .

(٢) البداة : جمع البادى ؛ وهو من يسكن البادية .

(٣) العانى : الأسير ، أو المرهق الذى أصابه العناء .

(٤) التخوم : جمع تخم ، وهو الحد بين البلاد والدول .

وأسفحُ الدمعَ سهلاً فى حِماه ، وكم ... كفَّتْ عن الدمع يوم الروع أجفانى (١)

لا أَكتم اللهَ ما أَسلفتُ من زَلَلٍ ... وهل يغطِّى عليه طولُ كتمانى ؟

إذا جوارِحىَ اللاَّتى جنَتْ شهدتْ ... بما جنت ، كان إقرارى كنكرانى

جاهدتُ ، يارَبِّ ، أعدائى فما وهَنت ... قواى ، لكن جهادُ النفس أعيانى

إن عدتُ من حربها الشَّعْواءِ منتصرًا ... حينا ، فكم عدتُ أحيانًا بخذْلان !

والنفسُ أفتكُ بالإنسان من سَبُعٍ ... ضارٍ ، وأرْدَى له من نابِ ثعبان

ماذا أقولُ ؟ أقول الله : قدَّر لى ... إن شاء أسْعدنى ، أو شاء أشقانى

أو أدَّعى أنَّ لى أمَّارةً أَمَرتْ ... أو أن شيطانِىَ الشِّرِّيرَ أغوانى (٢)

أستغفرُ الله ! ذنبى لستُ أجحدُهُ ... لكنْ على الغير يُلقى التهمةَ الجانى

يارَبِّ ، إن لم تُقِلْ ذا عثرةٍ ، فلِمَنْ ... ما فى جِنَانِكَ من حُور وولدان ؟

لمن بنيْتَ جنانَ الخُلْد دانيةً ... قطوفُها ، ذاتَ أشجار وأفنان ؟

لِذاتِكَ العصمةُ الكبرى بها انفردت ... وعصمةُ الناس من زور وبهتان

وأنت أحْنَى على العاصين أنفِسهم ... من كل أمٍّ رءوم ، أو أب حان !

ما زاد فى ملكك الأَوَّابُ خردلةً ... أو ناله المذنبُ العاصى بنُقصان (٣)

يجنى على نفسه الجانى ، ومن زَرَعَتْ ... يمينُه الخيرَ فى الدنيا هو الجانى !

ومن أكون بِكَوْن أنت مُبْدِعُه ... أقطرة بين أمواج وشُطْآن ؟

أم ذرَّةٌ فى فضاءٍ لا يُحِسُّ بها ... لم أدر ما كُنْهُهَا فى العالم الفانى ؟

سبحان من يعلم الأَسرار أجمعها ... وسرُّه هو أعيا كلَّ إنسان !

وما أُبرىءُ نفسى من جَهَالتِها ... جَهلى ، وعلْمى بجهلى كم أراحانى

---

(١) أسفح الدمع : أرسله منهمرا ، وسفح الدمع سفحا وسفوحًا : انصب ، والروع : الفزع .

(٢) النفس الأمارة : التى تأمر صاحبها بالسوء ، وتزينه له ، وأغواه الشيطان : استهواه ، وأضله

(٣) الأواب : العابد ، والذى يرجع إلى ربه من قريب ، ولا يتمادى فى الذنوب .

يـاربِّ ، إن كنتُ قد قصَّـرتُ فى نُسُكى فمـا تسـرَّبَ شَكٌّ نحـو إيمـانى[1]

مـا جـاءنى فيك شيطـانى يشكِّكُنى إلا وعـاد بثـوب الخـزيِ شيطـانى

وكيـف لا ، ورســـولُ الله بَيِّنَتى وحجَّتى أنت ، والقــرآن بـرهـانى ؟

يـارُبَّ يـوم نهـانى فيـه خـوفُك عن لهـو ، وغيـرىَ يلهو بـابنـة الحـان[2]

ورُبَّ يـــومٍ كبحْتُ النفس عـن عبث فيـــه ، وكنتُ شبَـابًـــا بين شُبَّـــان

ورُبَّ معصيَـــة لم آتِهـــا وَرَعًـــا والنفسُ تـأْمـرُنى ، والـدينُ ينهـانى[3]

ولا أَمُـنُّ على ربِّـى بطـــاعتـــه إنى أعـــوذ بـــه من كل مَنَّـــان

عصيـــانُ ربِّكَ ذنـب واحـــد ، فإذا يئستَ من عفـوِه ، فـالـذنب ذنبـان

لبَّيْكَ ، يـــارب ، لا آلُــوك تلبيـــة حتـى تمنَّ علـى ذنبى بغُفـــران[4]

سِيَّـان : إن أقضِ ، أو أرجعْ إلى وطنى مـا دمتَ تشملُنى بـالعفـو ، سِيَّـان

فإن أعُدْ عـدتُ مغفورَ الـذنوب ، وإن أمُتْ فصحـبُ رســولِ الله جيــرانى

ليس التَّشبُّـثُ بـــالأوطـــان مـن أربى كُلُّ البـلادِ ـ بـلاد العـرب ـ أوطـانى

كَهْـفٌ بأرض رســـول الله أرْوَحُ لـى من قُبَّـــةضُـــرِبَتْ فى ظـلِّ بستـــان

فيم القبـاب على الأمـوات نَنْصبهـا ؟ يكفى الدفينَ بجوف الأرض شبران ![5]

الخـاملـون من الأحيـاء كم طلبـوا على حسـاب دفينٍ رِفْعَـةَ الشـان

لا تبتغـــوا المجـدَ من تشييـع مَيِّتكم أو المغـــالاةَ فى قبـــرٍ وأكفـــان

---

(١) النسك : العبادة .

(٢) ابنة الحان : كناية عن الخمر ، والحانة : موضع بيعها .

(٣) رب فى هذا البيت والبيتين قبله ـ للتكثير ، أى أنه كان كثير الخوف ، وكثير كبح النفس ، وكثير الطاعة .

(٤) لا آلوك تلبية : لا أقصر فى الإقبال عليك والاستجابة إليك .

(٥) ينكر الشاعر أن تُنصَب القباب على الأموات أسوة بأهل السنة ، وذلك مخافة أن يصاب مقدسو هذه القباب بلوثة من الوثنية .

يا ربِّ ، قد عشتُ فى دُنياى مغترباً ... ويلاه إنْ أغْترِبْ فى العالم الثانى !

حاشاك ، ياربِّ ، فى أُخراى تَحْرِمُنى ... ياربِّ ، حَسْبىَ فى دنياى حرمانى

أستغفر الله من كُفران نعمتِهِ ! ... بل فوق ما أَسْتحقُّ اللهُ أعطانى

ألم يجدْنى أخا غىٍّ فأرْشدَنى ؟ ... وهائماً غير ذى مأوىً فآوانى ؟

ألم يجدنى أخا جهلٍ فعلَّمَنى ؟ ... وعائلاً غير ذى وجْدٍ فأغنانى ؟ (١)

وما البكاء على الدنيا وزخرفها ؟ ... شاهت ولو أنها دنيا سليمان !

وما أُبالى بما فى الكون أجمعِه ... إنْ صحَّ منه الرضا عنى وأرضانى

لبيك مِلْءَ فمى ، لبَّيْك مِلْءَ دَمِى ... لبَّيْك يارب من قلبى ووِجدانى

إليك شفَّعْتُ من تُرْجَى شفاعته ... يارب، إن خَفَّ يوم الحشر ميزانى

---

(١) فى هذا البيت وما قبله تأثر الشاعر بمعانى القرآن الكريم فى سورة « والضحى » « ووجدك ضالا فهدىٰ ووجدك عائلا فأغنىٰ » .

الركب المقدس

بمناسبة عيد الهجرة

نشرت فى الرسالة بتاريخ ١٤ / ٥ / ١٩٦٤ م (العدد ١٠٦١)

أىُّ ركب دبَّ فى جوْف الفلاهْ ... يقْتَفى التاريخُ فى شوق خطاهْ ؟ (١)

تحتَ جُنْحَ الليل يسرى خُفْيةً ... فى سبيل الله والحقِّ سُراه(٢)

يقطع الليلَ مَسيرًا ، فإذا ... وشَت الشمسُ به ، ألقى عصاه

وقريشٌ خلفَه لاهثةٌ ... تسأل الركبانَ عنه والمشاه (٣)

فكأنَّ البرقَ فى خَطْفَتِهِ ... أعْيُنٌ شزراءُ ، وَدَّتْ لو تراه

وكأن الطودَ فى إطراقِهِ ... سامعٌ تُنْصِتُ منه أُذُناه (٤)

وكأن الرملَ يُحْصِى خطوَه ... وكأن النجمَ من بعض الوُشاه

غير أن الركبَ يمضى ثابتا ... وشعاراه : اتْئادٌ، وأناه

ويقينٌ بالذى يحرسُه ... من يَلُذْ بالله لم يَخْشَ سواه

فى سبيل الله يمشى آمنا ... كيف يخشى وَهْو يمشى فى حِماه ؟

قِلَّةٌ لكنها فى عزمةٍ ... لا قليلٌ ذَرْعُها أو مُتَنَاه (٥)

ما نجومُ الليل إن قيست بها ؟ ... ما رمالُ البيد ؟ ما قَطْرُ المياه ؟

لا دُروعٌ سابغات ، لاقنا ... مشرعاتٌ ، لاسيوفٌ منتضاه

قوة الإيمانِ تُغْنى ربَّها ... عن غِرار السيف أو سنِّ القناه

---

(١) الفلاة : الصحراء : ، يقتفى : يتتبع .

(٢) سرى سرى ، وأسرى إسراء : سار ليلا .

(٣) لاهثة : من لهث لهثًا ـ ولهاثًا بالضم ـ : أخرج لسانه عطشاً ، أو تعباً ، أو إعياء .

(٤) الطود : الجبل .

(٥) الذرع : الطاقة والقوة . أى : أن قوة هذه القلة كثيرة ، غير متناهية .

ومن الإيمان: أَمنٌ وارف ... ومن التقوى: حصونٌ للتقاه

ركبُ طه وأبي بكر سَرى ... في حواشي الليلِ؛ فانجابَ دجاه [1]

ما اهتدى بالنجم في جنح الدُّجى ... بل سرى النجمُ لعَمْرى في سَناهْ

آه لو تعرِف أطباقُ الثرى ... من أقلَّت أرضُها الصمَّاءُ آه!

لو دَرَتْ من حملتْهُ، لثمت ... قدميه حين تخطو قدماه

واستحالت جنةً وارفةً ... من نخيل يانعٍ، دان جَناه

لو دَرَى المُزنُ به ظلَّلَهُ ... من هجيرٍ يشتكي الضبُّ لظاه

وهَمَى مَاءً عليه باردًا ... وحميمًا فوق من يبغي أذاه [2]

لو دَرَى القفرُ بمن يجتازُه ... ضجَّ بالتسبيح والذكر حَصاه

لو درى الدَّوْحُ بمن مَرَّ بهِ ... لحنى الدوحُ له شمَّ الجبِاه

لو درى الوحش به، ما نفرت ... ظبيةٌ منه، ولا فَرَّت مهاه [3]

لو درى الطير به، ما أجفلت ... منه ورقاءُ، ولا ريعَتْ قطاه [4]

* * *

من هو الركبُ؟ نبيٌّ مرسَل ... وحواريٌّ تهدى بهداه [5]

رَجُلاه بهما الدارُ نَبَتْ ... فغزا العالمَ طُرًّا رجلاه

ومشى التاريخُ من خلفهما ... مرهفَ الآذانِ تَرْنو مُقلتاه

في يديه لَوْحُه، ما همَسَا ... همسةً إلا وخطتها يداه

إن يكن هاجر منها كارِهًا ... فَغَدًا يأتي على رأسِ الغزاه

---

(١) انجاب دجاه: انكشفت ظلمته.

(٢) همى ماء: صبه، والضمير للمزن.

(٣) نفرت الظبية: شردت ولم تستقر.

(٤) أجفلت: أسرعت، ريعت: فزعت وخافت.

(٥) الحوارى: الناصر، أو ناصر الأنبياء خاصة.

وغـــــدًا يُشْعلهـــا بيضـــاءَ فى | بلـــدٍ جَـــارَ عليـــهِ ونفـــاه (١)
وغــدًا يعفُــو ، ولــو شــاءَ غَــدَا | كُلُّ مكـىٍّ غـــريقـــاً فى دمـــاه
وغـــدًا يجنى رءُوســـاً أينعـت | فى القصـاص العـدل للنـاس حيـاه
ومن العفـــو : ضـــرارٌ ، وأذًى | ومن العفـــو : عقـــابٌ للجُنـــاه

❊ ❊ ❊

حلَّ ركـبُ المصطفى فـى يثـربِ | كيف لا، واللهُ يَـرْعَـى من رعـاه ؟
رحَّبَتْ يثـــربُ، بـل ألقت علـى | أُذُن الـدهـــرِ هُتـافًـا ؛ فَـوَعـاه
« طلع البــدر » : نشيـدٌ خـالـد | كلمــا ردَّدَه الـــدَّهــرُ شجـــاه
بشَّـــرَ الشِّــرْكَ بمـــوت عـــاجِل | أيهـا الشـركُ ، دَنَـا يـومُ الـوفـاه
أيهـــا الأنصـــارُ ، هـــذا يـومُكم | يـــا سيـوف اللهِ فى حـربِ الطغـاه
اذكـرى ، يـابـدرُ ، مـا شـاهـدتـهِ | من جنـــود الله فى حـربِ عـــداه
واحكِ ، يـا إيـوان كسرى ، للـوَرَى | ذلك البـرج المُعَلَّـى : من محـاه ؟
وارو ، يـا يـرمـوكُ ، مـاذا صَنعَتْ | بـرءوس الـرومِ أسيـافُ الكمـاه ؟
يـا طَرِيـدًا ، ملأ الـدنيـا اسمُـه | وغَـــدَا لحنـــاً على كـل الشفـــاه
وغـــدت سِيـــرتُـــه أُنشـــودةً | يتلقَّـــــاهـــــا رُواةٌ عـن رواه
ليت شعـرى : هل درى من طـاردوا | عـــابـدو الـلات ، وأتبـاع منـاه ؟
هل دَرَتْ مـن طـــاردتْـــه أُمـــةٌ | هُبَلٌ معبـودُهـا ؟ شـاهَـتْ وشـاه !
طـــاردَت فى الغـارِ مَنْ بـوَّأَهـــا | مَقْصِـــدًا لا يبلغ النجمُ مـــداه
طـاردَتْ فى البيـد مَنْ شَـادَ لهـا | دينُـه فى الأرضِ جـاهًـا أىَّ جـاه
سـؤدد عـــالى الـذُّرَا مـــا شـادهُ | قيصــرٌ يـومــاً ، ولا كسـرى بنـاه
ورأى التـــاريخُ مـــا أذهلـــهُ | فــانثنى مِنْ دَهْشتِـهِ يَفْغـرُ فـاه

---

(١) يشعلها بيضاء : إشارة إلى أفواج الناس التى أقبلت على الدين من غير إراقة دماء .

هـــالـــهُ فتحٌ تــرامى أفْقُــه وأذانٌ ردَّدَ الكـــونُ صـــداه
ومحـــاريبٌ بشــرق الأرض ، أو غـــربِهـا تَشْــدُو بتكبيـرِ الإلــه
يُهْـــرَع النـــاسُ إليهـــا زُمَـــرًا كلمـا نـادى المنادى للصـلاه [1]
أىُّ دينٍ ذلك الـــدينُ الـــذى حَــوَّل الأفكـــارَ عن كلِّ اتجـــاه ؟
صَهَـــرَ الأنفُسَ حتى لم تعُـــدْ تــدركُ الأنفسُ شيئــاً مـا عــداه
كم أب خـــاصم فى الله ابنَـــهُ وأخٍ حـــارب فى الله أخـــاه
بـاسمـه أمْسَى يسُـوسُ الأرض مَنْ يحلبُ النـوقَ ، ومَنْ يـرعى الشِّيَـاه
ويجـــوبُ البحـــرَ مـن لم يَـــرَهُ غيــرَ طَيْف من خَيـــالٍ فى كـــراه
نـــاشِـــرًا مـن فــوقــه أعــلامَــه تفــزَعُ العِقْبــانُ منهـــا والبُــزَاه

❊ ❊ ❊

لم يكـن طــه لعَمْــرى ســاحــرًا يخــرِقُ العــادات أو يَتْلــو رُقَــاه
كلُّ مـــا جـــاءَ بـــه من معجــزٍ سحَــر الألبـــابَ : قــرآنٌ تــلاه
مُـــرسَلٌ نـــال بـــآى الـــذكـــرِ مـــا لم ينـلْ من قبلُ مـــوسى بعصـــاه
وحَّـــد العُـــرْبَ ، وكـــانــوا بَـــدَدًا كهشيم النبت من شـــاءَ رعـــاه
قـــوَّةٌ كـــامنـــةٌ أخـــرجهـــا مثلمـــا يخـــرجُ طَلْـعٌ منْ نـــواه
فـإذا التيجـــانُ تهـــوِى، وإذا بِـــرُعـــاةِ الإبْلِ للـــدنيـــا رُعـــاه

---

(١) يهـرع ـ علـى صورة المبنى للمجهـول ــ بمعنى : يسـرع ، والزمـر : جمع زمـرة ، وهى الجماعة .

بغداد

قيلت هذه القصيدة فى مهرجان الشعر ، الذى أُقيم ببغداد عام ١٩٦٥ م

بغـــدادُ قـــرةُ عينِ الشـــرق ، بغـــدادُ ... لحنٌ تغنَّـى بـــه الإســـلامُ والضـــادُ

الـدهــرُ يعـرفهــا للكـون عــاصمـةً ... تقــودُه كيفمــا شــاءتْ ؛ فينقــاد

إن تبتسمْ تُشرقِ الـدنيا ، وإن غَضبَتْ ... ففى السمـــواتِ إبـــراقٌ وإرعـــاد

تُزْهى الحـواضرُ مـا شاءَت بحاضـرها ... وكلُّهـــا لـكِ ، يـــا بغـــدادُ ، أولاد

الغــربُ يعــرف مـــا أدّى بنــوك لــهُ ... الكُتْبُ تنطـق ، والأقـــلامُ شُهَّـــاد

بنى عمــومة طــهَ ، مـا أقـول لكم ... وأنتمـــو لبنى العبـــاسِ أحفـــاد ؟

تـدرى العـروبـةُ يـومَ الـروع أنكمو ... لهـا ســواعـدُ فى الجُلَّـى ، وأعضـاد

ثُـرتُم على البغـى والبـاغى ، ولاعجبٌ ... فـالشعـب للحـاكم الجـلادِ جـلاد

مـا فـى العـراق افتـراقٌ بعـد ثـورتـه ... أكـــرادُه عَـــرَبٌ ، والعُـــرْبُ أكـــراد

مـــا كَـاسْم بغـــدادَ فى الأفـواه أُغنيــةٌ ... ولا كأمجـــادكم ، يـاقـــومُ ، أمجـاد

قل للألـى طاف حول النجم طـائفُهم ... وارتــاد منهم طِباقَ الجـوِّ مُرتـاد : (١)

إن تفعلـوا ، فبنـــو العبـاس مـن قـدمٍ ... تنـــاولـوا بـــالأكفِّ النجمَ أو كـــادوا

أيـــامَ ملـكُ بنى العبـــاسِ مـــزدهــرٌ ... لــه من الشمـس والأفــلاك حُسَّـــاد

عـروشُهُم فـــوق ظهـر الأرض راسخـةٌ ... كأنهـــا فـــوق ظهـــر الأرضِ أو تـــاد

لم أدر : كـانـوا ملـوكاً أم فـلاسفـة ؟ ... عليهمـــو مـن نسيج العلـم أبْـــراد

العلم حليتهـم ؛ مـــا منهمـــو ملِكٌ ... إلا فقيـــهٌ ، ونحـــويٌّ ، ونقَّـــاد (٢)

---

(١) يشير إلـى : الدول التى أطلقت أقمـار الفضاء ، وتجـاوزوا بها مـدار الجاذبيـة الأرضية ؛ كأمريكا ، وروسيا .

(٢) التعبير « ملك » غير منـاسب للخلفاء الذين يهمهم معنى الإسلام ، والشاعـر متأثر بتعبير عصره .

فـاض الفراتُ حضـاراتٍ ؛ فكان لـه ... بهـا مع المـاء إرغـاء وإزبـاد

وسـال دِجْلَـةُ قبل المـاء معـرفـةً ... منهـا ارتـوت مُهَـجٌ ظمأى وأكبـاد

مـا كـان للشعـر فى بـدوٍ وحـاضـرةٍ ... لـولا رواتُك ، يـا بغـدادُ ، إنشـاد

الشعـرُ ، أنت التى علَّمْتِ وازنَـهُ ... أن القـوافىَ أسبـابٌ وأوتـاد [1]

دوَّنتِ مـا نظَم الأسـلاف من دُرَرٍ ... لـولاك بـادَتْ غـواليهـا كمـا بـادوا

كم من معـارفَ قـد أَحيَيْتِ داثـرَهـا ... وكم لعلمٍ جـديـدٍ فيك ميـلاد [2]

لـولاك مـا كـان للفصحى مـذاهبُهـا ... وللحـديث روايـاتٌ وإسْنـاد [3]

بغـداد ، حسبُك من دنيـاك أربعـةٌ ... هم فى الشـريعـة لـلأجيـال روّاد [4]

مـدينـةٌ ، للنُّـواسيين ركنهمـو ... فيهـا ، وللعلـم والآداب قُصَّـاد

العيشُ فيها كمـوج البحر مصطخبٌ ... فيـه تـلاقت من الألـوان أضـداد

لِلَّهْـو فيهـا حـوانيتٌ وأنـديـةٌ ... وللصـلاة محـاريبٌ وعُبَّـاد

وللثقـافـة تأليف وتـرجمـةٌ ... وللغنـاءِ مـزاميـرٌ وأَعـواد

يـارُبَّ كنـز حـوتـه دارُ حكمتهـا ... تُحْصَى النجـومُ ولا يحصيه تعـداد

كنـز من الفكـر فيـه كلُّ مبتكـرٍ ... أمـلاه ذهنٌ كـومض البـرق وقَّـاد

يـارُبَّ شعـرٍ عـراقىٍّ هتفت بـه ... كأنـه لِىَ فى الأسحـار أوراد

مـازلت أتلـوه حتَّى لم يعُـدْ أبـدا ... بينى وبيـن الألى قـالـوه أبعـاد

الـوهم مثَّلهم لـى فى الكتـاب ؛ فهمْ ... فـوق الصحـائفِ أرواحٌ وأجسـاد

---

(١) السبب : حرف متحرك وحرف ساكن . والوتد : ما كان فى العروض على ثلاثة أحرف .

(٢) الداثـر : الهالك والهامد ، ويشيـر إلى : حركة العلـوم والترجمة من علوم القـدماء ، فى عصر العباسيين .

(٣) الإسناد : جمع سند ، والحديث المسند : هو ما أسند إلى قائله .

(٤) العدد أربعة : يشير إلى المعارف ، والعِلم الجديد ، واللغة الفصحى ، ورواية الحديث .

هذا ابن هـانى على يُمْنَاىَ يُنْشِدنى — وعن يسـارِىَ بَشَّـارٌ وحمـــَّاد (١)
وأين منك عهـــودٌ رُحتُ أنشـــرهـــا — مـــرّت بهــاعقب الآمــاد آمــاد ؟
دعنى أُسَـرِّحُ فـى آثــارهــا نظـرى — آثـــارُهـــاعظَـــةٌ كبـرى و إرشـــاد
دعنى أعيشُ مـع المـاضيـن فى حُلُمٍ — إن الهمـــومَ على اليقظـــان تـــزداد
علَّ الـــرشيـدَ إذا أنشـــدت يسمعُنى — إن الـــرشيـــدَ كـــريـــمُ الكفِّ جـــوّاد
ومـــا الـــرشيدُ سـوى لحنٍ يـــردده — فمُ الـــزمـــان ، ولـــلألحـــانِ تـــرداد
حصَّـادُ هـامِ العِـدا فـى كل معـركـةٍ — وللسنـــابـل يـــومَ السلـم حصَّـــاد
ينهى ، ويأمـر فى الـدنيـا ، وفى يـده — بعـــد المقـــاديـــر إشقـــاءٌ وإسعـــاد
تُـزْجَى إليـه هـدايـا الـرومِ لا كـرمًـا — إن الضعيـف لمن يخشـــــــاه وَدّاد
أهاب بالسحب : أنَّى شِئت فانسكبى — فكل نبتِك لى ، يـــا سُحْبُ ، إيـــراد
ربُّ القصورِ ــ قصور العزِّ ـ بـاذخةً — كأنهـــا فـــى نطـــاحِ السُّحْب أطـــواد
ربُّ الجـوارِى اللّواتى مـا لهن سـوى — عـــواهل الفـرس والـــرومـان أجـــداد
من كل جـــاريـــةٍ للشعـــرِ راويـــةٍ — كأنهـــا غُصُنٌ فى الـــرَّوْض مَيَّـــاد(٢)

❊ ❊ ❊ ❊

لنـــا أوائلُ سنُّـــوا كـــلَّ مَكْـــرُمـــة — شمُّ الأنـــوف أبـــاةُ الضَّيْم أمجـــاد
شـادوا المعـاقلَ ، والآطامُ شـامخـةٌ — لله والمجدِ والعمرانِ مـا شادوا ! (٣)

---

(١) ابن هانئ : هـو الحسن بن هانئ وكنيته : أبو نـواس ، وبشار : شاعر عباسـى شعوبى ، وحماد : الراوية ، وهناك حمادان آخران ؛ هما : حماد عجرد ، وحماد الزبرقان ، وكلهم من شعراء المجون .

(٢) فى هذه الأبيات الثمانية : من قوله : عل الرشيد ... إلخ . يبين الشاعـر أزهـى عصـور بنى العباس فى زمن الرشيد ؛ فقد حارب أعداءه وانتصر عليهم ، وفتح باب العلـوم والترجمة ، وكان عصره يزخر بالقوة فى الحياة الاجتماعية والسياسية والحربية ، وقد كان يغزو عامًا ويحج عاماً آخر .

(٣) الآطام : الحصون (كذا ـ برفع الآطام وشامخة ـ ضبطت فى الطبقة الأولى من هذا الديوان وعلى هذا الضبط : تكون « والآطـام شامخة » جملة حـالية وقد ضبطه الشـاعـر ـ رحمـه الله ـ شامخة بـالنصب حالاً من المعاقل والآطام ، وهما ـ على هذا لطبط ـ منصوبتان ، ورؤية الشاعر سديدة) .

إن يُسْألوا مالَهم، فـى السلم ، ما بخلوا أو يُسْألـوا ، فى الوغى، أرواحَهم جـادوا

لهمْ سيــــوف على الأغمــــاد ثــائِرةٌ لكنْ لهــا قُلَلُ الأبطــالِ أغمــاد [1]

همْ فـى رءوسِ أعـــــاديهـم ذوو طمع وفى الغنـائِم ــ بعـدَ النصر ــ زُهَّاد

ينقضُّ كـالصقر فـوق المدْنِ جيشهمـو كأنمـــا هى صَيْــدٌ وَهْــوَ صيَّــاد

فى السلم إن عاهدوا ، والحرب إن ظفروا عن شِرْعـة العدلِ والإسلامِ مـا حادوا

لا تلمِـسُ الأرضُ منهم بيـضَ أوجههـم إلا وَهُـمْ لجَنَـــاب اللهِ سُجَّــــاد

❊ ❊ ❊

أبنـاءَ يعـرُبَ ، لسنـا من سـلالتهم إن نحن لم نَسُـد الـدنيا كمـا سـادوا

تكتَّلَت أُمـمُ الـــدنيــا بأجمعهـــا وأنتِ ، يـا أُمـةَ التـوحيـد ، آحـاد

إنى لأُوشِـك أن أعتَــدَّ وحـــدَتَنــا دِينًـا ، وأنَّ افتـراقَ الشملِ إلحـاد [2]

بـالأمس : كُنَّـا ، وكـان الشـرق أجمعُـهُ إن قـام تُقْعِـدْه أغـلالٌ وأصفــاد

فى كل واد لــلاستعمـار قــاعـدةٌ لهـا أسـاسـان : تخـريب وإفسـاد

واليـــوم : لاعيشَ للمحتلِّ فـى بلــد حـرٍّ ، ولن تلبَس الأطـواقَ أجيـاد

قـد بـات مـارد الاستعمــار محتضَرًا يبكيـه من عُصْبـة السكسون عُـوَّاد

مــا عـــذرنــا إن بقينـا أُمــة شيعًــا لكل جيش بهــا جنــدٌ وقُــوَّاد ؟

كـادَ الأعـادى لنـا يـومَ اللقـاءِ ، ولـو أنَّـا وقفنا لهم صفًّـا ، لمـا كـادوا

لا يحـرز النصــرَ جيشٌ غيــرُ متَّسِقٍ تبـــاينت فيــه أجْنَـادٌ وأبنــاد [3]

عجـائب الدهـر لا تُحْصَى ، وأعْجَبُهـا أن يُخْلِيَ الغـابَ للـذؤبـان آسـاد !

---

(١) قلل : جمع قلة ، وهى كالذروة والقمة ؛ والمراد : هام الأبطال ورءوسهم .

(٢) أعتد : أعد . والشاعر ـ هنا ـ يجعل وحدة العروبة عقيدة تصل إلى قوة الدين فى النفوس .

(٣) الأبناد : جمع بند وهو العلم الكبير ، وغير متسق : غير منظم من وسق .

البَغْىُ أَوْجدَ إسرائيل من عدمٍ ... ولن يدومَ لإسرائيل إيجاد

وإنما القدر المحتوم لاحِقُهم ... يومًا ، وللقدر المحتوم ميعاد

فلْيعلم الغَرْبُ أن الشرق لافظُهم ... وإن أتتهمْ من الشيطانِ أمداد(١)

إنى أُسِىءُ إلى الأوغاد قاطبةً ... إن قلت عن عصبة الصِّهْيوْن : أو غاد (٢)

هم أحرزوا النصر ؛ حتى ما لغيرهمو ... فى النقص : نونٌ ، ولا قاف ، ولا صاد

* * *

أبناءَ يَعْرُبَ ، ذودوا عن محارمكم ... إن الكريمَ عن الأعراض ذوَّاد

اللاجئون جِراحٌ فى جوانحِنا ... تَدْمَى ، فهل لجراح العُرْب ضَمَّاد ؟

اللاجئون سَقام فى مفاصلنا ... ولا شِفاءَ له إلا إذا عادوا

أَلْقُوا بصهيون فى عُرْض الفَلاةِ ؛ فهم ... من عهد فرعون أَفَّاقون ، شُرَّاد (٣)

تعوَّدُوا النفىَ والتشريد من قدمٍ ... وكلُّ ما عُوِّدَ الإنسانُ يعتاد

سلْ « سُرَّ من را » : أباق فى مرابضها ... من جيشها الباسِلِ المغْوَار أفراد ؟ (٤)

هل ثَمَّ معتصم ثانٍ نُهِيبُ بهِ ؟ ... نادُوه ، يا أهل يافَا ، جَهْرةً ، نادوا

---

(١) لافظهم : مخرجهم ، والأمداد : جمع مدد ؛ وهو : ما يتقوى به من سلاح ، أو طعام .

(٢) الأوغاد : جمع وغد ، وهو الأحمق الدنىء .

(٣) أفاقون : جمع أفاق – كشداد – : من يضرب فى الأرض بحثًا عن الرزق ، وتطلق على اليهود ؛ لأنهم لم يستقروا فى وطن .

(٤) سر من رأى – بضم السين والراء – أى : سرور ، وبفتحهما ، وبفتح الأول وضم الثانى ، وسامرا ، وكان اسم هذا البلد ساء من رأى . ولما شرع فى بنائه المعتصم (الخليفة العباسى) ؛ ثقل ذلك على عسكره ، فلما انتقل بهم إليها ؛ سر كل منهم برؤيتها ، فلزمها هذا الاسم .

قـولـوا لمنقـذِ عَمّـوريّـةَ : اغْتُصِبَتْ   منَّـا الديـار ؛ فلا مـاءُ ، ولا زاد! [١]

❊ ❊ ❊

يـا يـومَ رَدَّ فِلَسطينَ الشهيـدةِ ، مـا   للعُـرْب غيـرُكَ فى الأيـام أعيـاد

لا يحسَب القـوم أن العُرْبَ قـد عَقِموا   شعبُ العُـروبـة لـلأبطـال ولّادَ

مـا زال فينـا لعَمْـرٍو ، وابن حـارثـةٍ   وخـالدٍ ، وصـلاح الدين أنـداد [٢]

---

(١) شاع أن عمورية هى التى استغاثت ؛ والصحيح أن القرية التى استغاثت هى « زبطرة » ، حين هجمها الروم ، وهتكوا أعراض نسائها ؛ بدليل قول أبى تمام .

لبيت صـوتـًا زبطـريـا هـرقت لـه

كـأس الكـرى ورضـاب الخـرد العـرب

وكان الصوت المستغيث لسيدة مسلمة ، سباها الروم بعد أن فتحوا « زبطرة » ؛ فاستغاثت : « وامعتصماه ! » ، ويروى أن هذا الصوت كان فى بيت من الشعر هو :

يـا ابن الخـلائف مـن ذؤابـة هـاشم

ذهبت « زبطـرة » منـك إن لـم تـأتهـا

أما عمورية ؛ فكانت مدينة حصينة ، ولد فيها « تاوفلس » ملك الروم الذى حاربه المعتصم ، حين اعتدى على « زبطرة » ، وبعد أن خلصها من أيدى الروم اتجه إلى عمورية . قال أبو تمام :

يـا يـوم وقعـة عمـوريـة ، انصـرفت

عنـك المنى حفـلا معسـولـة الحَلَبِ

أبقيت جـد بنى الإسـلام فى صعـد

والمشـركين ودار الشـرك فى صبب

راجع : رشفات من رحيق الأدب ، ص ٢٩٤ ، للدكتور عبد السلام سرحان ، ورسالة الدكتوراه عن : محمود غنيم وشعره ، د . محمد أحمد سلامة ، ص ٣١٤ .

(٢) عمرو : هو عمرو بن معد يكرب الزبيدى ، ويضرب به المثل فى الشجاعة والإقدام . وابن حارثة : هو زيد ؛ أبو أسامة بن زيد .

انتصار الجزائر

قالها الشاعر بمناسبة انتصار ثورة الجزائر على فرنسا ، ونيل الجزائريين استقلالهم .

قمْ ، نـادِ : حيَّ على الفـلاحْ   الفجـرُ ـ فجـرُ السلم ـ لاحْ

ولكـلِّ غـاشيـةٍ مـدًى   ولكـلِّ داجيـةٍ صبـاح(١)

كفَّ المجـاهـدُ فى الجـزا (م)   ئر عن مـواصلـةِ الكفـاح

ألقـى السـلاحَ ، ولـم تـزل   يَـدُهُ تشـدُّ على السـلاح

وإلـى الـدمـاء بكفِّـهِ   تتعطـش البيـضُ الصِّفـاح(٢)

جنـدُ الصليبيِّـن فـى   أوراس هـادنَهم صـلاح(٣)

إن يصـدقـوا فـالسّلم، أَو   فـالسَّيـف إن كـذَبَتْ سجـاح(٤)

❊ ❊ ❊ ❊

حـقٌّ إلـى أربـابـهِ   ردَّتْـه أطـرافُ الـرِّمـاح

مـا سلَّـم العـادِى بـهِ   عـن طيـبِ نفـسٍ أو سَمَـاح

كفلَـتْ لهم عَـزَمـاتُهم   لا مجلسُ الأمـنِ النجـاح

دقُّـوا عليـه بـابـهُ   وبـوجهـهِ عنهم أشـاح(٥)

---

(١) الغاشية : القيامة ، والنار ، والمراد : المصيبة .

(٢) الصفاح : جمع صفح ، وهو من الوجه والسيف عرضه ، فالصفاح : السيوف العراض .

(٣) أوراس : منطقة جبلية ، تحصن فيها المجاهدون الجزائريون ، وفيها كانت المفاوضات .

(٤) سجاح : أميرة تغلبية اشتهرت بالكذب وتدبير المؤامرات مع مسيلمة ضد المسلمين ، وكانت من بنى تميم وتزوجت فى تغلب ، وكانت دسيسة الفرس ضد الإسلام .

(٥) أشاح : أعرض وتكبر .

لم يُجْدِهِمْ عَرْض اقترا (م) ح ، أو مناقشةُ اقتراح

ما للحقوقِ بغيرِ نا (م) رِ الحرب نورٌ واتّضاح

لما رأوْا صممَ الدُّعا (م) ةِ إلى السلام عن الصياح

هبُّوا يصدُّون الدَّخيـ (م) ـلَ عن العرين المُسْتَباحَ

بعزائمٍ يَقْدَحْن نيـ (م) رانًا إذا نَبَتَ القداح

من كل أعزلَ؛ نارُهُ وحديدُه : الحقُّ الصُّرَاح

إيمانُهُ نفّاثةٌ تطوي الفضاءِ بلا جناح

وثباتُهُ جيشٌ تمو (م) ج به الرَّوابي والبِطاح

إن خاض نارَ الحرب فهْـ (م) وَ أهَبُّ من هُوجِ الرياح

العار يخشاه ولا يخشى على الرُّوح الرَّوَاح

عربٌ يَزينهمُ السما (م) حُ ، وبالكرامة هم شِحَاح

يردون حوض الموت، أو يحيوا بأعراض صحاح

وكأن طعم الموت في أفواههم شهد وراح

كم من غزالٍ في الجزا (م) ئرعلّم الكبشَ النطاح

بيضٌ، لها بالبيضِ والسُّمْـ (م) رِ : انتطاقٌ ، واتّشاح(١)

تستقبل الموتَ الزُّؤا (م) مَ بأوجهٍ غُرٍّ صِباح(٢)

لكِ ،يا جميلةُ ،سِيرةٌ مثلُ الزهورِ لها نُفَاح(٣)

أنا لستُ أدري: من زئيـ (م) ـرِ كان صوتُكِ أم صُداح ؟

---

(١) بيض ـ الأولى ـ : جمع بيضاء صفة المكافحة الجزائرية ، وبيض الثانية ـ جمع أبيض ـ : السيف . وانتطقت المرأة النطاق : لبسته على وسطها ، واتشحت بالوشاح : شدته ولبسته .

(٢) الزؤام : الكريه .

(٣) النفاح ـ بالضم ـ : الرائحة الطيبة .

حَسْبُ الفــــــــــرنسيِّين أن يَخْشَـــوْا مُسَــاوَرةَ المِــلاح[1]

ألبَسْتِهم عـــــارا ، وبعــــ (م) ــضُ العــارِ لا يَمْحُــوه مــاح

قـــابلتِ حكمهمـــو عليـــ (م) ــكِ بكـلِّ بشـــرٍ وارتيـــاح

السِنُّ تضحـك ، والمحيّـــ (م) ــا مشـرقٌ ، والـوجـه ضـاح

حتـى إذا الجـــلَّادُ نـــا (م) دى : يــا جميلــةُ ، لا بــراح[2]

أشْعلتِهـــا نـــارا عليـــ (م) ــهِ ؛ فـاسترحْتِ ، ومـا استراح !

مــا كــان حكمهمــو عليــ (م) ــكِ ســوى وســام أو وُشــاح

ومن المحــاكم مــا يشــا (م) بُ الجــدُّ فيــهِ بــالمُــزاح

بــالعـــدل تهتف وهْـــوَ من أحكـــامهـــا دامى الجــراح

❊ ❊ ❊

أيْـن الـــذيـن على العَـــدا (م) لــةِ يُكثِـــرون من النّـــواح ؟

هل لـــلألى نصحـــوا بتحـــ (م) ــقيق المســاواة انتصـــاح ؟

مــا بــالُهم لـم يـــوحِ غيـــ (م) رهمـــو بــالاستبـــداد وَاح ؟

قـــوم دَعَـــاوَاهمُ عِـــرَا (م) ضٌ حين تَـــذْرَعُهـــا فِســـاح

فَضَحتْ معـــاملـــةُ الجـــزا (م) ئر دَجلَهـم أيَّ افتضـــــاح[3]

قـــالـــوا : العـــدالـــة بنتُ مـــا (م) ءِ السِّينِ ، قلنـــا : من سفـــاح[4]

---

(١) المساورة ـ من ساوره ـ : أخذ برأسه ، ووثب إليه .

(٢) لابراح : لا ريب من تعذيبك .

(٣) الدجل : فى البيت ـ : الكذب والتمويه .

(٤) يشير الشاعر إلى : أن فرنسا التى ادعت أنها صاحبة حقوق الإنسان ـ ومنها العدالة ـ هى التى انتهكت حرمة العدالة ، وهى تطلبها لنفسها فقط وتحرمها على غيرها ، وقد قال شوقى :

إنى رأيت يـــد الحضـــارة أولعت بـــالحق هـــدمًـــا تـــارة وبنـــاء

شـــرعت حقـوق النـــاس فى أوطـــانهم إلا أبـــــاة الضيم والضعفـــــاء

أئذا غـــزا النـــازى فـــرنــــــ (م) سَـــا لا تكفُّ عـن النّبـــاح ؟ !
لكـنَّ مَـنْ يغـــزو الجـــزا (م) ئرَ مـــا عليـــه مـن جُنـــاح

* * *

حـيِّ ابـنَ بِـــــلاَّ ، وَاتْـلُ فـى أُذْنَيْــــهِ ســـورةَ الانشـــراح
وقـل الســـلامَ على جـــوا (م) دٍ لايلـينُ لـــــه جمـــاح
لـك من قَـــريضى بـــاقـــةٌ لا مـن عَمـــارٍ، أو أقـــاح[1]
أنـــــا لا أخَصُّك دون قـــو (م) مكَ ، يـــاابْنَ بِـــلاَّ ، بـــامتـــداح
سِفْـــرُ الجهـــاد همـــو ، وإن شـــابَتْـــه صفْحـــة الافتتـــاح
إن قيَّـــدوكَ فقـــد أُصِيـــــ (م) ـــبوا بعـــد قيـدكَ بـــالكُســـاح
مـــا كـــان سجنُـك ــ إذْ نزلْــــ (م) ــتَ بـه ــ سوى غُـرَف وَســاح[2]
فكـــأنَّ ســـاجنَكَ السجيــــ (م) ـــنُ ، وأنتَ منطلقُ السَّـــراح
ثمـن العـــلا والمجـــد مـــا قـــدَّمتمـــوه من أضَـــاح
مـــاســـال مـن دمكم لـــهُ عَـــرْفٌ كعَـــرفِ المسْكِ فـــاح
مـن كـل جُـــرحِ ســـائلٍ تمتـــدُ ألسِنـــةٌ فصـــاح
اِجْتَحْتُـم المتهجميـــــــ (م) ـــن على الحِمَى أيَّ اجتيـــاح
وسقَيْتُمـــــوهم دمْعَهـم بـــدلا من المـــاء القَـــراح[3]
للعُـــرْب أجمعَ قـــد تحقَّـــ (م) ـــق ذلك النصـــرُ المتـــاح
وطن العـــروبـــة ليس للـــ (م) ــراعين بـــالكـــلإ المبـــاح

---

(١) القريض : الشعر . والعمار ـ بفتح العين ـ : الريحان يزين به المجلس . وأقاح : جمع الأقحوان .

(٢) ساح : جمع ساحة .

(٣) القراح : الماء الصافى .

صونوا مكاسبكم وما حققتموه من الرباح
السلم ناحِيَةٌ ، وقد بقيتْ أمامكمو نواح
لايستخفَّكم المِرَا (م) ح ؛ فربما قتل المِرَاح[1]
إنى أعيذُ صفوفكم من كلِّ خُلْفٍ أو تلاح[2]
والحقد فاطَّرِحوه ، ما للحِقْد إلا الاطِّراح
والله، ما يُرْجَى لقو (م) مٍ بينهم إِحَنٌ صلاح[3]
الشرق أغفى حِقْبَةً واليوم جَفْنُ الشرق صاح
صوت الشعوب مدوِّيا بكِيان الاستعمار طاح
ما عاد هذا المسخُ يُزْ (م) عجُنا بطلْعَتِهِ الوَقَاح[4]
بعدالة ألقى عصا (م) ه فوق عاتقه وراح[5]

---

(١) المراح : الزهو والاختيال .

(٢) التلاحى : التجادل الذى يؤدى إلى التشاتم .

(٣) الإحنة : الحقد والغضب ، وجمعها : إِحَنٌ كعنب .

(٤) طلعة وقاح : وجه لا حياء فيه .

(٥) ألقى عصاه : كناية عن الإقامة ، والشاعر لا يقصد ذلك ؛ بدليل قوله : فوق عاتقه . وكان عليه أن يأتى بكلمة فى معنى : حمل أو رفع ويستقيم بها الوزن .

فى مهرجان الجزائر

زار البقيــــــعَ ، وحـــــجَّ زائرْ   شـدَّ الـرحـالَ إلـى الجـزائرْ [1]

لبَّيْـتُ حيـن نـــزلتُهـــا   وأقمـتُ للحـجِّ الشعـــائر

ونضَـــوْتُ أثـــوابى بهـــا   واعتضتُ عنهـا بـالمـآزر [2]

وخلعتُ نعلى فــوق تـــر (م) بِ مثلِ تُـرب الطُّـور طـاهـر

شــدُّ الــرِّحــالِ إليكمـــو   للـــذنبِ عنـد الله غـافــر

* * *

جبلُ الجـــزائر أنـت ، يـــا   أُوراسُ ، أم جبلُ المجـــازر ؟

هـل فيك شبــرٌ لـم يخضَّــ (م) ــبْهُ دَمٌ من جُـرح ثــائر ؟

مَثَلٌ لِعَمْـــرى ، أنـت ، للـــ (م) ــحُرِّيَّة الحمـراءِ سـائر

يــا أُمــةَ الشهــداء ، يـــا (م) عِــرِّيســةَ الأُسْــد الــزوائر [3]

الحـــاملين على العـــدا   مثلَ السيـــول أو الأعـاصـر

الصـــاعـــدين على الهضـا (م) ب ، الهـــابطين إلى المغـــاور

المـــؤثـــريـن لطعنـــةٍ   من قـــاتـلٍ عن قيـــد آسـر

المنكـــــــريـن ذواتِهـم   حتى تــراهم بــالمجـــاهـر

مـــا مَـنْ يجـــاهـــد خُفيـــةً   خلف الستـــار كمن يجـــاهـر

لـم يطمعـــوا ـــــ إذ دافعـــوا   عن أرضهـم ـــ فى أجـر آجـر

---

(1) البقيع : مدافن الصحابة والسلف الصالح بالمدينة .

(2) نضوت أثوابى : خلعتها .

(3) العريس والعريسة : مأوى الأسد .

من ذاد عن أوطانه ... لينال أجرًا، فهو تاجر

عُزْلٌ أمام مدجَّجيـ (م) ـن بكل ماضى الحدِّ باتر

إن غاب حدُّ سلاحهم ... فيقينُهم بالله حاضر

أغناهمو إيمانُهم ... عن كلِّ طائرةٍ وطائر

هدُّوا المدافع بالفئو (م) س، وبالعصىّ، وبالخناجر

ما كان أعزلُهم بوا (م) هى العزمِ فى الهيجاء خائر

لو لم يجد فأساً ولا ... حجرًا، لحارب بالأظافر

شبَحُ المنيَّةِ إن أغا (م) روا، لا يدور لهم بخاطر

لو مات منهم تِسعَةٌ ... لم يرهب الإقدامَ عاشر

إن يركبوا كانوا قَسَا ... وِرَ، تَحتها خيلٌ ضوامر (1)

وإذا مشَوْا نَقَبُوا الثرى ... نقبا كأنَّ لهم حوافر

من كل رامٍ حاذق ... فى الرمى والتَّسديد ماهر

بالرُّوحِ تَسمح نفسه ... وبِعِرْضه فى بُخْل مَادر (2)

ما مات منهم واحدٌ ... برصاصةٍ من كفِّ غادر

إلا انبرى للثأر منـ (م) ـهُ ألفُ ثائرةٍ وثائر

كم زان سيفٌ مِعْصَما ... كانت تزيِّنُه الأساور

كم غادةٍ هيفاءَ يشـ (م) ـكُو جيدُها حملَ الجواهر

ما آدها حملُ السلا (م) ح ولاشَكَتْ ثِقْلَ الذخائر (3)

---

(1) قساور وقساورة : جمع قسور وقسورة ؛ أى : الأسد .

(2) مادر : لئيم من بنى هلال ضرب به المثل فى البخل ؛ إذ كان يسقى إبله ، فبقى فى الحوض قليل ، فأفسده .

(3) آدها - من آد يأود أودا - : أعياها وأثقلها .

بـــالسهـــدِ ،لا بـــالكُحْل، يـــو (م) مَ الـــزحفِ كحّلَتِ النـــواظـــر

نسجَـتْ حَمـــائلَ سيفهـــا   في الحـــرب من سُـــورِ الغـــدائر

كـم ذاتِ جفـنٍ فـــاتـــرٍ   صـــالت بعـــزمٍ غيـــرِ فـــاتـــر

كـم للجـــزائر قصـــة   تُتْلى كمـــا تتلى المـــزامِـــر[١]

قـــام الـــرُّواةُ بنقلهـــا   فَصَغَـــا إليهـــا كلُّ ســـامـــر

أهـلَ الجـــزائرِ ، أنتمـــو   ملءُ الخـــواطـــرِ ، والمشـــاعـــر

لـــو صُغْـتُ كُلَّ مشـــاعـــرى   شَكَت المحـــابِـــرُ ، والـــدفـــاتـــر

أنـــا لست أسْلُـــو حُبّكم   « غيـــرى على السُّلـــوان قـــادر »

أنتـم لطُـــلاّب الحقـــو (م) قِــ إذا همـو ضَلُّـوا ــ منـائر

أنتـم لتـــاريـخ الشعـــو (م) بِــ إذا هـى انتَفضَـتْ ــ مصـادر

أنتـم أســـاتـــذةُ الـــورى   فى حـــربِ تقـريـرِ المصـــايـــر

❊ ❊ ❊

جُـــرْحُ العـــروبـــةِ فى احتـــلا (م) لِ القـــدسِ عـــزَّ على الجبـــائر

عجبى علـى الـــذؤبـــانِ : كيـــ (م) ـف عَـدَتْ على الأُسْدِ الكـواسر ؟ !

فسـدَ القيـــاسُ ؛ ومـــا أصـــا (م) بَتْ فـى حَـزِيـرانَ المعـايـــر[٢]

خَسِـــرَ القضيـــةَ صـــاحبُ الـــ (م) ـــفوزِ ، المبينِ وفـــاز خـــاســـر

لـــو تنطقُ الأفـــلاكُ ، قـــا (م) لـتْ : تلك نـــادِرَةُ النـــوادر

أنـــا لا أُصـــدِّق مـــا أرى   عَقْلِى عن الإدراكِ قـــاصـــر

أنـــا حـــائرٌ فى سِـــرِّذَا (م) لكَ الانـــدحـــار ، وألفُ حـــائر

---

(١) المزامر : هى مزامير داود « عليه السلام » وهو : ما كان يتغنى به من الزبور .

(٢) يشير إلى : حرب حزيران « يونية » سنة ١٩٦٧م بين العرب وإسرائيل ، حين انتصر المعتدى ، وخسر صاحب الحق .

أمـــرٌ تطيشُ لـــه العقـــو (م) لُ ، ومنـــه تنْفَطِـــرُ المـــرائر[1]

قـــالـــوا : تُظَـــاهِـــرُهُم قـــوى الـــ (م) ـــعدوانِ ، قلنـــا : فَلْتُظَـــاهـــر

فـــى شعـــب « فِتْنَـــــام » الأَبِـيِّ (م) المُسْتَمِيتِ لنـــا بصـــائر

هـــل بين مَـــنْ قهـــروا الصليـــ (م) ـــبيين للصِّهْيَـــوْنِ قـــاهـــر ؟

شُـــــــذَّاذُ أهـــلِ الأرضِ فـــى « حَيْفَـــا » أذلُّـــوا كلَّ كـــابـــر

وَعَنَـــا لهم عَـــــرَبٌ عَنَتْ لهُمُ القَيَـــاصِـــرُ ، والأكـــاسـر[2]

قـــالـــوا : اليهـــودُ ، فقلت : شعـــ (م) ـــبٌ من قـــديم العهـــدِ فـــاجـــر

مـن يـــــومِ أجْـــلاه النبىُّ (م) عن المـــدينـــةِ وهْـــوَ صـــاغـر[3]

إن ينسَ مـــاضيَـــه مع الـــ (م) إســـلامِ ، فـــالتـــاريخُ ذاكـــر

بَـــــرِىءَ الخليلُ وسبْطُـــــه يعقـــوبُ من تلك العنـــاصـــر

❊ ❊ ❊

حَتَّـــام ، يـــاقـــومى ، نُفَـــا (م) خِـــرُ بـــالأوائل إذْ نفـــاخـــر ؟

أنعيش عـــــالاتٍ على زمنٍ بعيـــدِ العَهْـــدِ غـــابـــر ؟

خَلُّـــوا صـــلاحَ الـــدين خَلْـــ (م) ـــوا خـــالـــدًا رهْنَ المقـــابـــر

كـــلٌّ علينـــا ســـاخِطٌ فى قَبْـــرِهِ ، والكلُّ ســـاخـــر

لا تـــذكـــروا مجـــدِ الأوا (م) ئلِ ، واذكـــروا عمَـلَ الأواخـــر

الصبـــرُ طـــال علـى الهـــوا (م) نِ ، فهل يُثَـابُ عليـه صـابـر ؟

---

(١) تنفطر : تتشقق ، والمرائر : جمع مرارة و ؛هى : هنة لازقة بالكبد لكل ذى روح ، ما عدا النعام والإبل .

(٢) عنا : ذل وخضع .

(٣) يشير الشاعر إلى يهود بنى النضير فى الآية : « ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب النار . » ، سورة الحشر ، الآية : ٣ .

صَبْـرُ الكـريم على المـذلَّـ (م) ـةِ والأذى إحـدى الكبـائر
طـال الـوقـوفُ على القنـا (م) ة ، أَمَـا لهـذا المـاء عـابـر ؟
مـاذا يفيـدُ ـ بغيـرِ ضَـرْ (م) ب ـ صـارمٌ فى كـفِّ شـاهـر ؟
شُـدُّوا على أعـدائكم (م) أو سَـرِّحُـوا تلك العسـاكـر
مـا العـارُ فى الخـذلانِ ، لٰـ (م) ـكِنْ فى الـرضـاءِ بـه المعـايِـرْ
لا تحـذَروا خطـرَ الهجـو (م) م ؛ فليس يظفـرُ مَنْ يحـاذرَ
بـل قَـامِـرُوا بمصيـركم فلَـرُبَّمَـا فـاز المُقَـامـر[1]
فِتيـانُ فَتْح وحـدهـم فى الحظ ليس لهم مـؤازر
وكمِيُّهُـمْ بين العِـدَا ومكـايـدِ العمـلاء حـائر
لله دَرُّ فتـى العـرو (م) وبة : يـاسـر ؛ ورجـال يـاسـر !
لاتطلبـوا الإنصـافَ مِنْ قـاضٍ بـواشنْطـونَ جـائر
حُكَّـام وَاشُنْطُـون ـ عنـ (م) ـد الحكمِ ـ ليس لهم ضمـائر
لاتَبْسُطـوا الأعـذارَ ؛ مـا فى النـاسِ للمغلـوبِ عـاذر
النـاسُ أنصـارُ القَـوِىِّ (م) وليس للضعفـاء نـاصـر
لا تُـوسِعُـوا الأقـدارَ لَـوْ (م) مًـا ، أو تقـولـوا : الجَدُّ عَـاثِـر[2]
شـرٌّ صنعْنَـاهُ بـأَيـ (م) ـدينا ، فمـا ذنْبُ المقـادر ؟
حتَّـام يَحْتَـدمُ الخـلا (م) فُ ، وفيـمَ تفتـرقُ العشـائر ؟
الجـوُّ لا يصفـو لنـا إلاإذا صَفَـتِ السـرائر
والنصـرُ طـوعُ العُـزْبِ ، مـا عَقَـدوا على النصـر الخنـاصـر

(١) المقامرة : المراهنة ، ويقصد : المغامرة .

(٢) الجد : الحظ والنصيب ، العاثر : التعس المصاحب للشر .

أحسبتُمُ النصـرَ المبيـ (م) ـنَ يجيئكُم معَ صُبْحِ بـاكـر ؟
فـى سَلَّـة خضـراءَ حُفَّـ (م) ـت بـالـورود ، وبـالأَزاهـر ؟
وجنـودكـم رهـنُ الكَـرى بين المخـادع، والمقـاصـر ؟
النصـر دون سبيلـه قبضُ الأكُفِّ على المجـامـر
النصـرُ دون بلـوغـه عَـرَقٌ كمـوج البحـرِ زاخـر
ودمٌ يمـورُ علـى الثَّـرى متأججُ القطـرات فـائر[1]
هيهـات !لا تَـأْسُـو جـرا (م) حـاتِ الحمى خُطَبُ المنـابـر
الحقُّ يـؤخـذ بـالخنـا (م) جـرِ ، لا هتـافـاتِ الحنـاجـر
لغـةُ المـدافع وحـدهـا أسلـوبُهـا فـى الحـرب سـاحـر
وقـذائفُ البـارود أبـ (م) ـلغُ من قصـائد ألـفِ شـاعـر
وزئيـرُهـا عنـد الـوغى من بعضِ رنَّـات المـزاهـر[2]
وشـواظُهـا قَبَسٌ يُضِـ (م) ـيءُ لنا المسالِكَ فى الدَّيَاجر[3]
لَهْفِـى علـى الأَحـرار مـن أَهْـلِ العـروبـةِ والحـرائر
سكـن العـراءَ رجـالُهـم ونسـاؤُهم بعـدَ العمـائر
يـا لاجئيـن، وجـرحُكـم مُتَغَلْغِلٌ فـى القلـبِ غـائر
لاتيئسـوا يـا قـوم ؛ سـو (م) ف تـدقُّ للنصـرِ البشـائر
هـى هجـرةٌ قمتـم بهـا والنصـرُ يُكْتَبُ للمهـاجـر
لكـأنَّنِى بِغَـدِ وقـدْ دارَتْ عَلـى البـاغِـى الـدوائر
كـم ضـاحكٍ فـى يـومـه يبكى غـدًا ملءَ المحـاجـر

---

(١) دم يمور : يجرى كالسيل . فائر : يغلى .

(٢) المزاهر - جمع مزهر - : آلة موسيقية ، أو عود يضرب به .

(٣) الدياجر : جمع ديجور ، وهو الظلام .

بـــــارُبَّ شـــــاك منكمـــــو قــد عـــادَ يــومًـــا وهْـــوَ شـــاكــر

العُـــــرْبُ نحـن وليـس يُفْـــــ (م) ـــلتُ مـن يــد العَـــرَبِيِّ واتـــر

أنتـم على سفـــــرٍ ، وســـــو (م) ف يعُـــودُ للـــوطـنِ المســـافــر

أملَ العــــروبـــةِ ، يـــا ابْنَ مــد (م) ينَ ، من يَلُـــذْ بك فَهْــوَ ظــافـر[1]

تـــدرى العـــروبـــةُ كـم لنَجْـــ (م) ـــدَتِها ركبتَ من المخـــاطــر

ولـــرُبَّمَـــا عقَـــدَتْ علـى النَّـــ (م) ـــوَم الجُفــونَ وأنـت ســاهــر

للهِ قلبُــك ! إنـــــــــــهُ بـــالحبِّ والإســـلامِ عـــامــر

مُسْتَـــرْشِـــدٌ بهـــدى الحنيـــ (م) ـــفةِ ، بـــاسمهـــا نـــاءٍ ، وآمــر

فـى عـــــــالـمٍ مُتَحَلِّـلٍ بـــالـــدين والـــديَّـــانِ كـــافــر

أقسمتُ ، مـــا زجـــرَ الـــورى عن غَيِّهـم كـــالـــدين زاجــر

وهـى الحضـــارةُ ؛ كـم عليـــ (م) ـــها للحنيفـــة من مـــآثــر

كم بـــاسمهـــا نشـــر العلـــو (م) مَ ، وأَسَّسَ العَـــرَبُ الحـــواضـر

ولقـــد تشيبُ الشمسُ ، والـــ (م) إســـلامُ غضُّ العُـــودِ ، نـــاضـر

تـــدرى العـــروبـــةُ ، يـــا ابْـنَ مــد (م) ين ، أنـكَ الـــرجلُ المغـــامــر

لـك فى جميع ربـــوعِهـــا ذكـــرٌ كنفحِ المسْك عـــاطــر

كَـــذَبَ الـــذى زعم العـــرو (م) بـــةَ لـم تعُـــدْ تَلِـــدُ العبـــاقــر

فـــلأنتَ أكبـــر شـــاهـــد مـــا أُمَّـــةٌ ولـــدتْـك عـــاقــر

للعُـــــرْب أنـت ، وأنـــــورٌ ومعمَّـــرٌ ، إن غـــابَ نـــاصـر

---

(١) فى هذه الأبيات : نجد الشاعر يشم رائحة المستقبل ، وكأننا به وهو يرى ويسمع ما يقوم به الرئيس الجزائرى « بو مدين » ؛ من مؤازرة للعرب ، فى معركتهم ضد اليهود الباغين قبل العاشر من رمضان وفى أثنائه ، وبعده ! وقد توفى الشاعر قبل هذه المعركة بعام وبعض أيام (٢٣ / ٩ / ١٩٧٢ م) .

في مكة المكرمة :

تحية وقضية

قال الشاعر ، من وحى زيارته مكة والمدينة ، مؤديا فريضة الحج عام ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .

بـــابُ النَّبىِّ ، وبـــابُـــه لا يُقْفَل ... أبـدًا ، هـو الملكُ المعظَّم فيصل

إنـــا لنُحْـرِمُ فـى حمـاه ، وإنــهُ ... بـــدمـــائِنـــا ومَتَـــاعِنَـــا يتكفَّل

شهـــدَ الحَجيجُ بأنَّ دولـــةَ فيصلٍ ... تَـــرْعَـى الحجيجَ بـأعينٍ لا تَغْفَـل

فى ظلِّـــه لبَّى الجميعُ ، وكبَّـــروا ... وشَـدَوْا بـآيـاتِ الـدعــاء ، ورتَّلـوا

تـدرى العـروبـــةُ أن سُـدَّةَ فيصلٍ ... دِرْعٌ لهـا عند الخطـوب ، ومَعْقِل[1]

عـــرشٌ يَمُـدُّ على العـروبـة ظلَّـه ... وعليـــه أجنحـــةُ السمـــاء تُظَلِّل

❊ ❊ ❊ ❊

المـــؤمنـــون بكل أرض إخـــوةٌ ... وبنصـرهم نَطـقَ الكتـابُ المنْـزَل

إن كـــان حـــاضرُهم تجهَّم حقبَـةً ... فلهم بفضل الـوحـدةِ المُسْتقبَل[2]

سيَسُـــودُ آخـرُنـــا بفضـلِ وقـوفِنـا ... صفًّـا ، كمـا سـار الـرَّعِيلُ الأوَّل

ويقينُنَـــا فى الله خيـــرُ عَتَـادِنـــا ... وعليـــه فى قهـر العِـدَا نتـوَكَّل

وسلاحُنـا المـاضـى وسيلـةُ نصرِنـا ... لَسْنـــا بغيـرِ ســلاحنـا نَتَـوَسَّلُ

لا تَبْسُطـوا للغَـرْب ، يا قـومى ، يَـدًا ... للغَـرْب طرفٌ فى السيـاسة أحْـوَل[3]

لا تستمـدوا النصـرَ من قبـر ، ولـو ... أنَّ الـــدَّفيـنَ بـــه نبىٌّ مُـــرسَل

---

(١) السدة - بضم السين - : باب الدار ؛ أى : أن دار الملك فيصل حمى للعرب من الشرور .

(٢) تجهم : عبس وكشر .

(٣) طرف أحول : يكنى به عن النظر غير المستقيم ؛ لخداع الشعوب .

مـا قـال ربك : بـالقبـور تَمَسَّحُـوا — بل قال ـ جلَّ جلالهُ ـ : « وقل اعملوا »
إنـى أقبل رأسَ كـلِّ مجـاهـد — إن قبَّلَ الصخـرَ الأصَمَّ مُقَبِّل[1]

* * *

إنـا لنُشْهـدُ أهلَ بَـدْرٍ أننـا — فى النصـر أو نيـل الشهـادة نَـأْمُل
ويقـول قـائلُنـا لـدى استشهـادِه : — يـا ليتنى فى كـلِّ يـوم أُقْتَل !
جَسَـدُ الشهيـدِ إلى جـوارِ اللهِ فى — عَـدْن ، على أيـدى المـلائك يُحمَل
رجلُ العـروبـةِ من قـديم فى الـوغى — أسَـدٌ ، وأنثـاهـا لبَـاةٌ مُشْبِل[2]
أسـلافُنـا فـى كل مَلْحَمَـةٍ لهم — تـاريخُ مجـد بـالـدمـاء مُسَجَّل
لسْنَـا بـأمجـادِ الأوائل نكتفـى — لكنْ كمـا فعـل الأوائلُ نفعل[3]
عن ثـالث الحَـرَمين نـدفعُ عُصْبـة — دخلَتْـهُ كـالمكـروبِ إذْ يتسلَّل
وعـروقُنَـا تَغْلى بهنَّ دمـاؤنـا — فكـأنمـا فى كـلِّ عـرق مِـرْجَل
هُمْ أشعلوا فى المسجد الأقْصَى اللَّظَى — فَلْيَحْتَـرِقْ بشُـوَاظِهـا مَنْ أشعلـوا
شعبٌ تحـامتْـهُ الشعوبُ ، يكـاد إن — حملتْـه أرضٌ تحتـهُ تتـزلـزل
مُتَفَـوِّقٌ فى النحـزيَـات ، معـوِّق — رَكْبَ الحضـارة ، للفسـاد مُسَبِّل
حَصَّـادُ مـالِ العـالمين بكلِّ مـا — يُنْـدى الجبينَ ، كأنما هـو مِنْجَل
سلْ أرض يَثْـرِبَ عن يهـودِ قـريظة — وبنى النضيـر ، يُجِبْك كيف استُؤْصِلوا

---

(١) فى هذا البيت ـ والبيتين قبله ـ : يدعو الشاعر إلى العمل الجاد وحمل السلاح ، وينفر من التمسح بقبور الأنبياء والصالحين ، وهو على حق فى هذا .

(٢) اللباة : لغة فى اللبـوة بسكون الباء وبفتح اللام وكسرها ، وقد تهمـز ، وتضم الباء أيضًا ، وفيها اللبة واللب : الأسدة .

(٣) تأثر غنيم فى هذا البيت بقول أحد القدماء :

لسنـا وان أحسـابُنَـا كـرمت — يـومـاً على الأحسـاب نتَّكِلُ
نبلى كمـا كـانت أوائلنـا — تبنـى ، ونفعل مثلمـا فعلـوا

عـرف اليهـودَ محمـدٌ ؛ فأبـادهم ... مـا ضَـرَّ لـو بمحمَّـد نتمثَّل ؟
ولسـوف نُسْألُ عن تـراثِ مُحمـد ... مـاذا يكـون جَـوابُنَـا إذْ نُسْـأَل ؟

❊ ❊ ❊

يـا مَنْ ببيت الله طـافـوا سبعـةً ... وتنسَّكـوا فيـه ، وفيـه تبتَّلـوا
أعلمتموا ــ وقد استُبيحتْ أرضُكم ــ ... أن الجهـادَ من التَهَجُّـد أفضل ؟
قـولـوا لقـومى : إنَّ ذؤبـانَ الفـلا ... عبثت بهم فَعـلامَ قـومِىَ عجّلـوا ؟
اليـوم قـد دخـل العـدوُّ بـلادَنـا ... وغـدًا علينـا فى المخـادِعِ يـدخل
إنى لأطلقُهـا بمكـة صَـرْخَـةً ... مشبـوبـةً ، فى المشـرقين تُجَلْجِلُ
حمْلُ السلاح اليوم صـارَ فـريضةً ... والـزحـفُ للـدين الحنيـفِ مُكمِّل
من راح يبـذُل نفسَـه أو مـالَـه ... فلـدينـه ولعـرضـه مـا يَبْـذُل
لا كـان منـا مَن على أو طـانـه ... بأعـزِّ مـا ملَكَتْ يـداه يبخَل
لا كـان منـا حين يُنتَهكُ الحِمَى ... مَنْ يكتفى بـدمـوعـه ويُحَـوْقِل
لا كـان منـا مُحْـرِمٌ لا يـرتـدى ... بمـلابس الميـدان إذ يتحلَّـل
لا كـان منـا مَنْ بـأمٍّ أو أبٍ ... أو طفلـةٍ فى مهـدهـا يتعلَّل
لاكـان مـن أبنـاء يعـرُبَ من يَنى ... ويقـول إنِّى عـاجـزٌ أو أعْـزَل
مَنْ لا يُغِيـرُ بمـدْفع ، وذخيـرةٍ ... تكفيـه فأسٌ إذْ يُغيـرُ ومِعْـوَل
لا يعـرف العـربىُّ معنى اليـأْس فى ... خطب ولا هـو فى الشـدائد يُعْـول
إن كـان يَجْمُلُ فى الحروب صمودُه ... فصمـودُه بعـد الهـزيمـة أجْمَل
إن مـرَّ بـالعـربىِّ يـومٌ عـابِسٌ ... فأمـامَـه : يـومٌ، أغـرُّ، محجَّل

الوحدة الكبرى

أيهــا العُــرْبُ أرْهِفــوا الآذانــا هل سمعتم ـ كما سمعتُ ـ الأذانا ؟

هـاتفٌ عُلويٌّ الـدعـاء إلى الـوحـ (م) ـدةِ من عـالَمِ الخلـود دعـانـا

أيهـــا الهـــاتفُ السَّمـــاويُّ أذِّن في البهـاليل من بنـى عـدنـانـا [1]

قـد لمستَ الشَّغـافَ مـن كلِّ قلبى وأثَـرْت الشعـورَ والـوِجْـدانـا [2]

رجَّعَتْ صـوتَك الحنـاجرُ فى مصـ (م) ـر وفى جِلَّقٍ وفى بغـــدانـــا

نبـــأً حين زار قبـــرَ صـــلاحٍ هـزَّ عِطفيـه فـى الثـرى نشـوانـا

رددتـــه الجنـــود فـى كل ميـــدا (م) نٍ نشيـدًا فـزلـزل الميـدانـا

ووعـــاه رهـطُ ابن مـــريـمَ إنجيـــ (م) ـلاً ورهطُ ابنِ هـــاشمٍ قـرآنـا

وتغنَّتْ بـــه شفـــاهُ العـــذارَى مـــا أحبَّ الشفـــاهَ والألحـــانـا

وحـــدةٌ لـم تشنَّ فيهـــا حـــروب لا ولا ســالـت الـدمـا غـدرانـا

قـد أقمنـا فى كل صدرٍ لهـا حفـ (م) ـلاً ، وفى كلِّ مهجة مِهْـرجـانـا

حقَّقَتْنَـــا إرادةً حـــرةً فـى أُممٍ حـرةٍ تعـافُ الهـوانـا

مـا بنـاهـا إلا أشـاوِسُ صيـدٌ عِتْـرَةُ السِّبْط أو بنـو مـروانـا [3]

* * * *

يـا وفـودَ الأحـرار من كلّ قطـرٍ عـزَّ كـالنجم فى السمـاء مكـانـا

يمقت الضيم ؛ كلمـا سِيمَ ضيمـاً هبَّ فـى وجـه ربِّـه بـركـانـا

---

(١) البهاليل ، جمع بهلول بضم الباء ؛ وهو السيد الجامع لكل خير .

(٢) الشغاف كسحاب غلاف القلب أو حبته .

(٣) أشاوس : جمع أشوس وهو العظيم .

قــد رسمتم خطــوطَ وحـدَتنــا الــ (م) ــكبْرى، وكنتم لِسِفْـرِهــا عنـوانــا
ووضعتم أســاس بنيــانهــا الــ (م) ــعالى ؛ فمن شــاءَ تمَّم البنيــانــا
لكأنِّـى بغيثهـــا صـــار سَيْـــلاً طــاغِيَ المــاء يَجـرفُ الطغيــانــا
وكأنِّـى بظلهـــا صـــار لفْحًـــا كلمـــا هب يَصْهَـــرُ الأبـــدانــا
وكأنـى بسلمهــا صــار حــربًــا واستحـــالت أنــوارُهـــا نيــرانــا
واستحـــالت أنغـــامُهـــا زمجـراتٍ تتحـــدَّى العـــروشَ والتيجـــانــا
وأحـــاطت بـــالمـــارقيـن وإن لم تشهـــرِ السيف، أو تَسُلَّ السنـــانــا
قــوَّةُ الشعب من قــوى خــالقِ الشَّعْــ (م) ــبِ إذا مــا تحـــدَّتِ السلطــانــا
وإذا الشعبُ ثــار يــومــاً على الغــا (م) شم ، كـــانت شيــاهُــه ذؤبـــانــا
وغَــدَتْ كلُّ ذاتِ طَـــوْقٍ عُقــابًــا وغـــدا كل أرنـب أُفْعُـــوَانـــا
يغفــرِ الشعبُ كـلَّ ذنب ، ولا يمـــ (م) ــنحُ عــرشــاً أذلَّـــهُ غُفــرانــا
عَصفَ الـدهـرُ بـالعـروش، وولى عهـدُ ، كسـرى وقيصـرٍ لا كـــانــا
ليس فى كـفِّ عـــاهلٍ صــوْلجـانٌ حَمَل الشعبُ وحـدَه الصولجـانــا

❊ ❊ ❊ ❊

يــا حمـاةَ الــذِّمــار فى سفح « أورا (م) س » ، وأُسْدَ العـرينِ فى نَجْـرَانا [1]
يـــا بنـى العمِّ فى العقيـق، ونجـــد وبنى الخـــالِ فـى ربـــا عَمَّـــانــا[2]
أزِفَتْ ســـاعـــةُ النهـوض فهيَّـــا ليس بـــاليَعْـــرُبِيِّ مـن يَتَـــوانى
فُتِحَـتْ دارةُ الخلـــــود ؛ فـإن زُرْ (م) تم وجـدتم ببــابِهــا رِضْـوانــا[3]
بَـــاسِمَ الثغـــر قبل أن يفتح البـــا (م) ب ، لمن زار يفتح الأحضـــانـــا

---

(١) نجران : موضع بالبحرين ، وآخر قرب دمشق ، وثالث بين الكوفة وواسط ، ولعله المراد هنا .

(٢) العقيق : موضع بالمدينة ، وباليمامة وبالطائف ، وبتهامة ، وبنجد . ولعله يقصد هنا الأول .

(٣) دارة الخلود : يقصد بها مصر ، التى تتلقى وفود العرب بالترحاب من أجل الوحدة العربية .

رجلٌ هـامَ بـالعـروبـةَ حتى صـار رمْـزًا لهـا ، وصـار كيـانـا

هى فى جسمـه مع الـدم تسرى لا وَريـدًا أبْقَتْ ، ولا شـريـانـا

كلمـا حـاق بـالعـروبـةِ خَطْبٌ كـان شطًّـا تُلْقِى عليـه الأمـانـا

واقفٌ عمـرَه على الـذَّوْدِ عنهـا لـو رمـاهـا الـزمـان أضحى الـزمـانـا

أُمَّـةٌ فى هُـدَى جمـالٍ تَفَـانَتْ وجمـالٌ فـى حُبِّهـا يتفـانـى

مـا جمـالٌ فى الأرض إلا أمـانٍ لبنى العُـرْب صُـوِّرَتْ إنسـانـا

* * * *

شَمِلَتْنَـا عنـايـةُ الله حتـى جعلتْنَـا بفضلـه إخـوانـا

قـد مَحَـوْنـا من الـوجـود حـدودًا وتُخُـومـا تفـرق الأوطـانـا

واتَّخـذْنـا حبَّ العـروبـةِ دينًـا يجمع المـرسلين والأديـانـا

وحَفَـرْنـا فى بـاطن الأرض جُبًّـا ودفنَّـا الأحقـادَ والشَّنـآنـا

وصـلاتُ القُـرْبى علـى التُّـرْبِ ستر مُسْبَلٌ ، جـلَّ قـدرُه أو هـانـا

وكـرامُ النفـوس تَنْسى إسـاءا (م) تِ المـوالى ، وتَـذْكُـرُ الإحسـانـا

إنَّ مـن خَصَّ كـل قـوم بِلِسْـنٍ جعل الضـادَ للكـرام لِسَـانـا

* * * *

مـا جَنَيْنـا مـن الخـلافِ ورودا بل جنينـا القَتَـادِ والسَّعْـدَانـا (١)

حَسْبُنَـا أن عصبـةً لَفَظَتْهـا كـرةُ الأرض تستَبِيحُ حِمـانـا

ولـوَ انَّـا لـدى الـزحفِ صفًّـا مـا دَهَـانـا من الأسى مـا دهـانـا

بل قـذفنـا العـدوَّ فى مَـوَجِ البحـ (م) ر ، وقُتْنَـا من لحمـه العِقْبـانـا

ولـوَ ان العـدوَّ بـالجنِّ من جنـ (م) ـدِ سليمـانَ والـريـاحِ استعـانـا

---

(١) الأولى أن تكون « ورودا » : « ثمارا » ، أو « زهورا » ، لأن هذا الجمع غير مسموح به .

إن حـــول الأردُنِّ حقًّــا سليبـــا إن نسينـــاه ، فهْـوَ لاينســـانـــا

الشطـــوطُ التى على جـــانبيـــه كلَّ يـــوم تَستصْـــرِخُ الجيـــرانـــا

والنجـــــومُ التى تُطِـلُّ عليـــــه فى دجـى الليل تُنْكِـــرُ السُّكَّـــانـــا

لهفَ نفسى على عَـــرينـــةِ أُسْـــد أبـدلـوهـا بـأُسْـدهـا قُطْعَـانـا [1]

وطيـــور عن الخمـــائل ذِيـــدت وجـــراد تسلَّـقَ الأغصـــانـــا

ومَغَـــانٍ حَنَّـتْ إلى الأهـل أرضـــا وسمـــاءً ، واستشـرفَـت جـدرانـا

أيهـا الـدهـر ، إننـا عـربٌ ، لســـ (م) ـسنا على الذَّحل نَغْمِضُ الأجفانا [2]

❊ ❊ ❊ ❊

ليس يـرضى الكـريمُ أن يلبسَ العـا (م) ر ، ويـرضـى أن يلبسَ الأكفـانـا

نَبِّىءِ القـــومَ : أن للقـــوم يـــومـــا قُـدَّ من فحمـة الـدجى طيلسـانـا

❊ ❊ ❊ ❊

جمع العُـــرْبُ أمـرهَـم مـن شتـــات إن للعُـــرْب بعـــد ذلـك شـــانـــا

ســـوف نحيى تـــراثَنـــا من جـديـــد ونـــزيـــد التـرَاث آنـــا فـــآنـــا

أو لسنـا الشعبَ الـذى قهـر الفـرس قـــديمـــا ، ودوَّخ الـرومـــانـــا ؟

ولـــه كـــانـت الملـــوكُ عبيـــدا وبنـــاتُ الملـوكِ كـانت قِيَـانـا ؟

ســائلـوا مـوكبَ الحضـارة عَنَّـا : مَنْ حَمـاهـا من المغول سـوانـا ؟

أين عهـدُ الـرشيـــد حين تحـدَّى فى السمـوات عـارِضًا هتـانـا ؟ [3]

كـــان هـــذا تـــاريخنَـا يـــوم كنـا وحـــدةً فى الحـــروب لا وحـــدانـــا

إن للعـــرب مـــاضيـــا ؛ فـــاطلبـــوه فى منـــاطِ الجـــوْزاء أو كيـــوانـــا

---

(١) عرينة كالعرين : مأوى الأسد.

(٢) الذحل : الثأر ، والعداوة ، والحقد .

(٣) العارض الهتان : السحاب الكثير المطر وفى البيت إشارة إلى موقف الرشيد ؛ حيث قال للسحابة : شرقى أو غربى ، أو أمطرى حيث شئت ، فلو أمطرت بأقصى البلاد فسيأتينى خراجك .

انــزعــوه من فكّى الــدهــر قَسْرًا كلُّ صعب يــراض بــالقسـرِ لأنــا

املئــوا البــر زاحفــاتٍ ثقــالا واملئــوا الجــوَّ كلَّــه عِقبــانــا

واملئــوا غــارِب العُبَــاب سفِينًــا ثم غُــوصــوا فى جــوفــهِ حيتــانــا

نحن فى عــالــمِ الصواريخ ، والــذَّر (م) فــلا عــاش مَنْ يعيشُ جبــانــا !

من مشاعر الوحدة العربية :

شعب واحد ورب واحد

الله أكبر ! شعبٌ قام شاعرُه ... يَشْدُو ، فأنْصَت فوق الأيكِ طائرُ

شعبُ العروبة صان الله وحدتَه ! ... تُحصَى النجومُ ، ولا تُحصَى مفاخرُه

إن خطَّ أو سوَّد التاريخُ سيرته ... تهتزُّ من روعة الذكرى مشاعره

إن كان ماضيه بالأمجاد محتشدًا ... فما تخلَّى عَنِ الأمجاد حاضره (١)

كالكرم طاب جنىً فى كف قاطعه ... وزاد من طيبه فى الدَّن عاصره

مجدُ العروبة مرهونٌ بوحدتها ... والخُلْف أوله ضعفٌ ، وآخره

هيهات ينهض شعب بعد كَبْوته ... إلا إذا اتَّحَدَتْ قلباً عناصره !

والشعبُ وحدتهُ أقوى ذخائره ... يوم الحقيقة إن عُدَّت ذخائره

هى السلاحُ بيمناه إذا خَمَدَتْ ... نيران مِدْفعه ، أو فُلَّ باتره

يارُبَّ شعب شتيتِ الشمل منقسم ... من ضعفه قُلِّمَتْ منه أظافرُه

ما عاش يوماً وإن طال الزمان بهِ ... بل دُورُه حين تأويه مقابره

له من الوطن المحتلِّ مغفرة ... إذا أقام ، وللمحتلِّ عامره

يعيش فى داره عبدا لآسره ... الطفل زاجرُه ، والعبدُ آمرُه

من يرضَ بالعيش فى ظل الهوان ، فلا ... آوتْه أرضٌ ، ولا قرَّتْ نواظره

والمرء تُشقيه يمناه ، وتُسْعدُه ... وإن تكنْ بيد المولى مصايره

للعُرْب دين على التوحيد مرتكزٌ ... إليه باطنُه يدعو ، وظاهره

---

(١) الأولى أن يكون البيت هكذا :

قد كان ماضيه بالأمجاد محتشدا ... وما تخلَّى عن الأمجاد حاضره

لأن التعبير بإن يفهم منه القلة أو الشك ، وأيضًا لا يناسب قوله : محتشدا .

مـــاســـرُّ قــوتـــه فــى غيـر وحـــدتــــهِ ... على مبـــادئهـــا قـــامَتْ شعـــائره
حَسْبُ ابن آمنـــةَ الـزهـــراءِ معجـزةً : ... شعبٌ على يـــده انضمَّتْ عشـــائره
مـــا زال يَخْبِطُ فــى دَيْجُــور فُــرْقتــهِ ... حتى تـــألَّفَ بـــالإسلام نـــافــــره
تمَّت علــى نَغم القـــرآن وحــــدتـــــهُ ... كأنمـــا سحَـــرَ الألبـــاب ســـاحـــره
وطبَّق الكـــونَ طيْفٌ مــن مهـــابتــــهِ ... وأوْغَلَتْ فى نـــواحيـــه عســـاكـــره
إن يـذكـرِ العَـرَبَ ارتـــاعَتْ قيـاصِـرُه ... وبـــات يخفُق مــن رُعْبٍ أكـــاســـره
شعب من البيـد ظهْـرُ العِيسِ مَـرْكَبُـه ... أطاعه الكونُ : بــاديه ، وحاضره (١)
البَـــرُّ من خيلـــهِ يَـــرْتَـجُّ يــابسُــــهُ ... والبحـــر مـــن سُفْنِــه يهتَـــزُّ زاخـــره
قم سـائل البحرَ ـ بحرَ الرومِ ـ : هلِ عَجبتْ ... أمـواجُـــه وفتى الصحـراء عـــابـره ؟
مَنْ علَّـم البـدويَّ المـــاء يـــركبُـــهُ ... فــراح يَمْخُـــرُ لُجَّ البحـر مـــا خـره ؟
مـــا كـــان يعـــرف إلا المـاء منسكبـــا ... من الغمـــامِ إذا مـا جـاءَ مـــا طـره ؟
حتى إذا اشتَـدَّ بـالتـــوحيـدِ ساعِـدُهُ ... مَشَىٰ على المـاء تَعْلُوه دسـاكره (٢)
لـولا معـاقِلُ قسطنطينَ ، لا نطَمَستْ ... آثـــارُ دولتـــهِ ، وانْقَضَّ ســـامــــرهْ

❊ ❊ ❊ ❊

سَلِ العـــروبـــةَ فى شَتَّى مـــرابعهـــا ... عن مَجْـد أوَّلهـــا : هــل عـاد داثـره ؟
إنِّى لألمـحُ فى آفـــــاقهـــــا ألقـــــاً ... مِنْ فجـــرِ نهضتهـــا لاحَتْ بشـــائره
إنْ صحَّ ظنِّى، فــإن النصــرَ عن كثَب ... من شعبها . لِمَ لا ، والله ناصره ؟ (٣)
شعبٌ تخلَّص من أغـــلالـه ، ومَضَى ... يجـــرُّ ذيـلَ رداء الـــذُّلِّ آســــره
ففى الكنـانــة : شعبٌ صان حَـوْزتهـا ... يـوم القنـاةِ من الـذُّؤْبَـانِ كـــاسـره
وفى الجـــزائر : شعبٌ شنَّ معـركــةً ... على المظـــالمِ خـــاضَتْهـــا حـــرائره

---

(١) العيس : جمع عيساء وأعيس ؛ وهى : الإبل التى يخالط بياضها شقرة .

(٢) الدساكر : جمع دسكرة ؛ وهى : بناء كالقصر حوله بيوت ، وربما قصد بها الحصن .

(٣) كثب : قريب

وفى الشــآم : وئامٌ لا يــزال ــــ على رغم الحوادثِ ـ ما انْبَتَّتْ أو اصره [1]

وعبـرَ دِجلـة : شعبٌ قـامَ قَـوْمتِـهُ الـ (م) ـكُبْرى، وثـار علـى الطُّغْيـان ثـائره

وحَـوْلَ صنعــاء : جيشٌ ثَلَّ قــائدُهُ عـرشـا يُتـاجر بِـاسْمِ الـدين تـاجـره

هى العــروبــةُ ، عينُ الله تَكْلَــؤُهــا مــا دَارَ فى الفلـك الـــدوّارِ دائره

* * * *

أبنـاءَ يَعْـرُبَ ، هـذا اليــومُ يـومُكمـو يـومٌ أغـرُّ ،صَبيحُ الـوجـهِ ، نـاضـره

عَهْـدُ السلاسل والأغـلالِ قـد ذهبت أيامُـه السُّودُ، وانجـابتْ دَيَـاجِره [2]

بـالله ، لا تُنْسِكم أعْـرَاسُ نصـر كمـو خصمًــا عنيـدًا ، وأقــوامـا تــؤازره

على تُخـومِكُمُو ، يا قـوم ،عن كثب خَصْمٌ أَلَــدُّ خَئُــونُ العهـد، غــادره

لا تأمنــوه ، ولا تَغْشَـوْا مضــاجعَكم إلا وأعينكـم يَقْظـى، تحـــــاذِرُه

وكيف نـأمَنُـــه والسُّمُّ فـى فمــــه وليس يــزحفُ إلا وَهْـوَ فــاغــره ؟

وكيف نأمـن قــومــا لا أمـــان لهم ؟ إنى أرى كيــدَهم تبْــدُو بــوادره

نــارُ العـداوة يَصْــلاهــا مُـؤَجِّجُهــا والجُبُّ يسقط فى مَهْـواه حافـره [3]

صَفُّــوا ســرائرَكم مـن كلِّ شــائبــة تصفُـو الحيـاةُ لمـن تَصْفُـو سـرائره

لاتـذكُــرُوا خَطَـأَ المـاضى وحَــوْبتَـهُ مــا كــان من خطـإ فــاللهغــافــره

تُنسَى الذنوبُ مع القُرْبى وإن عَظُمت إن الشَّفيـقَ صغيـــراتٌ كبـــائره

إن الإخــاء ـــ إذا ما الإخـوةُ اختصمـوا على الخصـومـة ــــ مُـرْخَـاةٌ ستـائره

إن يلتئمْ شملُكُم ، لأنَ الحـديـدُ لكم كمـا يُلينُ الحـديدَ الصلبَ صـاهـرُه

إن تطلبوا المجـدَ ؛ فالصـاروخُ مُنْطَلِقًا ووَحـدة الصَّفِّ ، والشورى مصــادره

---

(١) ما انبتت : ما انقطعت .

(٢) الدياجر : جمع ديجور ؛ وهو : الظلمة .

(٣) استلهم المعنى من المثل الشائع : « من حفر حفرة لأخيه وقع فيها » .

(٤) الحوبة : الهم والإثم .

كأننى أَلْمَحُ التـــاريـخَ ، مُنْتَضِيًــا   يــراعَــهُ ، وبيمنـــاه دفـــاتـــره[1]
كمـا اطَّلعتُم على تـاريـخ غـابـرِكم   تاريخُكـم فى غدٍ تُتْلَى محـاضره [2]

❊ ❊ ❊ ❊

جمـالُ ، تَمِّمْ لشعب الضـادِ وحدتَـهُ   فإنمـــــا هى حَبٌّ ، أنـت بـــاذره
لاخصمَ للعُــرْب مهمـا عَـزَّ جــانِبُـه   إلا وأنت بعـــونِ اللهِ قـــاهــــره
ينـــام شعبُك فى أمْـن ، وفى دعــةٍ   وأنت ـ وَحْدَكَ ـ طولَ الليلِ ، ساهره
أقسمتُ ، مـا عـادت الأهرامُ مفخـرةً   للنيل ، بل إن فَخْـرَ النيل نـــاصــره
سَيْفُ العروبة ، سيفُ اللهِ أنْتَ ، ولن   يُفَلَّ سيفٌ إلـٰهُ العـرشِ شـاهـره !

---

(١) اليراع : القصب ، والمراد : القلم . وانتضى التاريخ يراعه : أعده ؛ ليسجل المفاخر .
(٢) الغابر : تطلق على الماضى ، والمستقبل ، والمراد بها هنا : الماضى .

تحية الكويت

من وحى زيارة الشاعر للكويت .

قُمْ ، حَيِّ فــاتنــةَ الجمــالِ　　بــالشِّعْـر كــالسِّحْـر الحــلالِ
حَيِّ الكُــوَيْتَ ، وقـل لهــا :　　يَــا دُرَّةً بين الــرِّمــال
يــا وَاحــةً قـد خطَّهــا الــ　(م)　رَّحمٰنُ فـى وَسَطِ التِّــلال
جنــاتُ خُلْـد فى لظَى الــ　(م)　ـصَّحراء وارفــةُ الظِّــلال
لم تَـدْرِ ــ منْ تَـرَف ــ حُـدَا　(م)　ءَ النُّـوقِ ، أو وَخْـدَ الجمــال[1]
قــد كـدتُّ أخلَعُ ــ إذ نَـزَلْــ　(م)　ــتُ بِقُـدْسِ واديهـا ــ نِعَـالى

❊ ❊ ❊

بينى وبينَـك ، يــا كُــوَيْــ　(م)　ــتُ عُـرًى وثيقــةُ الاتصــال
إن لـم أكـن قـــد زُرْت أر　(م)　ضكِ فـى سِنِى عُمْـرى الخـوالى
فلكـم ذهبتُ إليك طيْــا　(م)　رًا بِـأجنحــة الخيــال
لـى فـى رُبُــوعـك وَقْفَــةٌ　　أشْهَـى إلى مـن الــوِصَــال
وألــذُّ طعْمًــا من رُضَــا　(م)　ب الغِيــد ، ربَّــاتِ الحجــال
وأحبُّ من شـرب الطِّــلا　　لا ، بل عصيـر البـرتقــال (٢)
لا أذكــرُ الصَّهْبــاء حيــ　(م)　ــن تُشَــابُ بـالمــاء الــزُّلال
فـى بلــدة قـد حُـرِّمت　　بهـا ، لا : وحـرمـة ذى الجـلال (٣)
لا ، والنبىِّ محمــــد　　خيـــرِ الأواخــر والأوالـى
لم يحــوِ دينٌ مــا حــوى الــ　(م)　إســلامُ من شــرَفِ الخــلال

---

(١) الحداء : زجر الإبل وسوقها ، والوخد : سرعة الجمل واتساع خطوه .

(٢) الطلا : الخمر . وكذا الصهباء .

(٣) البيت ـ فى شطره الثانى ـ مختل موسيقيا ، إلا إذا تُكُلِّف نطق الضمير : « ها » من « بها » بلا مد ، ولم أتمكن من العثور على الأصل بخط الشاعر ؛ للتأكد من صحة البيت .

ولقـــد دخلتُك فـى الــدُّجى فـأرَيْتِنِـى بيـضَ الليـــــالـى
يــا بلـــدةً ، يَحْمَـــرُ ـــ من خَجَلٍ بهـــا ـــ وَجْــهُ الهــلال
لِمَ لا ، وأعمــــدةُ الضيـــا (م) ء بهـــا بُــدُورٌ فـى الكمـــال ؟
وأتـمُّ مـن أنـــــوارهـــا نُـــورٌ يَشِعُّ مـن الأهـــالـى ؟
من كـل وجـــهٍ يَعْــربىٍّ (م) نـمَّ عـن كَــرَم الخصــــال
يتـــوارث الأمجـــاد عـن أصلين :عـن عـمٍّ ، وخــــال
قـالــوا : بـلاد الـزيـت ، قلـ (م) ـــت : بـلادُ أبطـال الـرجـال
الــذائدين عن الــذمـــا (م) رِ ، الصَّـادِقيـن لـدى النضـال
التـــابعين مقـــالهم قبـل التكلم بـــالفعـــال
ولكـم جنى العـــربىُّ ، مُــرَّ (م) الفِعْـل من حُلْـــو المقـــال
يـأيهـــا العَـــرَبُى قُـلْ للـــدهـــر : دمعُ الحُـــرِّ غـــال
منِّـى تعلَّمـتِ الثبــــــا (م) تَ الــرَّاسِيَــاتُ من الجبـــال ؟
قُـلْ للـــزمـــان : تَحَـــدَّنـى فلســـوف يُعْييك احتمـــالـى !
إنـى لأشجَـعُ مـن لُيُــــو (م) ثِ الغــابِ إن دُعيتْ : نَــزَال (١)
هَيْهَـــاتَ مـــا فى معجم الــ (م) ـــعَرَبىِّ لَفظـــةُ الانْخـــذال !
هـى مِحْنـــةٌ كسَحـــابـــةٍ فى الصَّيْـفِ تُـــؤْذِنُ بـــالـــزوال
كنَّـــا ـــ ومـــا زلْنَـــا ـــ بُنَـــا (م) ةَ المجـــدِ ، صُنَّـــاعَ المعـــالـى

---

(١) نزال : اسم فعل ؛ أمر بمعنى انزلى .

كأس من الخروب

قلْ لِلكُوَيْتِ ـ إذا نـزَلْتَ بأرضها ـ : طُـوبَى لـواديـك المقـدس طـوبى
للهِ دَرُّكِ يـا كـويتُ مـدينـةً ليس النبيـذُ بـأرضهـا مشـروبـا !
لم ألق فى غيـر الكويت « خـواجة » يَـدَعُ الخمـورَ ، ويشـربُ الخرّوبـا
قل « للخـواجـةِ » : ذاك دينُ نبيِّنـا أتُـراك مـن دين النبىِّ غضـوبـا ؟
فإذا غضبـت ، ففى الخليج ومـائهِ سَعَةٌ ؛ فَقُمْ ؛ واشربْهُ : كُوبًا ، كوبا

فى البصرة

قـالوا لنـا : شاعـرٌ فى البصرةِ انقلَبـا فقلتُ : مـالَ مِن استقبـالها طـرَبـا !
مـا مَـال مِنْ كـأسِ رَاحٍ رَاحَ يشـربُهـا لكنَّـهُ من سجـايـا أهلِهـا شَـرِبـا
إنَّـا إذا عثَـرتْ فى السَّـاحِ أرْجُلِنـا فليس منـا جَـوَادٌ فـى الحـروب كبـا
ومـا تَعَثَّـر مِنَّـا قَـائِلٌ أبَـدًا إن أشْعَرَ الشِّعْر وَسْط الحَفْل ، أو خطبا

مع الطبيعة

على سطح القمر

لَيهْنك ، يـا أبـولُّـو ، الانتصـارُ — بربك : كيف طرْت بهم وطَاروا ؟ [1]

وكيف حملت ركبَكِ فى سـلام — فقـرَّبِهم على القمـر القـرار ؟

وكنـا نحسَبُ الأفـلاكَ خلقـاً — غـريبـاً لا يَـزُور ولا يـزَار

فكيف استـأنَسَتْ بك ، يـا أبـولُّـو — وكَمْ جَمَحَتْ ؛ ولجَّ بهـا النِّفـار ؟

على هـامات أهلك من قصيـدى — ومن شِعْـرِ الحسَـانِ الغيـدِ غـار

فمَنْ « كولومبُ » إن قيل : اكتشافٌ ؟ — ومَنْ « أدِسُـونُ » إن قيـل : ابتكـار ؟

بـربك : كيف سـرت على طـريق — عقيمٍ ؛ لـم يعبِّـده السَّفَـار ؟

ولـم يمـرُرْ بـه الإحطـامُ — يطيـر من النَّيـازك أو نثَـار ؟

فـلا ريحٌ لهـا فيـه هُبـوبٌ — ولا سُحُب لهـا فيـه انهمَـار

ولاَ كُتبَتْ عليـهِ لافتـاتٌ — ولا يَهـدى السُّـراةَ بـه مَنـار

ولا صَفَنتْ بـه خيل عِـرَابٌ — ولا وخَـدت بـه نـوقٌ عشـار [2]

ولا خطَّ الأعـاجم فيـه يـومًـا — ولا خَطَـرت بـه يـومـاً نِـزَار

ولا مَـنْ أصلـهُ فـى الخلق طينٌ — ولا مَنْ أصلـهُ فى الخلـق نـار

❊ ❊ ❊ ❊

مضى عهدُ البخـار ؛ فبـاتَ يبكى — على أطـلالِ دولتـه البخـار

❊ تكلم الشاعر عن أقمار السماء ، وأقمار الفضاء ؛ ولعله كان أكثر شعراء العصر الحديث فى هذا الجانب ، وقد نشرت القصيدة فى مجلة الحج السعودية ، وعلق عليها الأستاذ ، عبد القدوس الأنصارى ، فى مجلة التضامن الإسلامى السعودية ، عدد يونيو ، سنة ١٩٧٢ ، ص ٥٤٥ . وقرر جزء منها على الشهادة الإعدادية فى مصر . انظر : رسالة الدكتوراه للمؤلف ، ص: ١٦٣ .

(١) ليهنك : هنيئاً لك .

(٢) صفن الفرس يصفن صفونًا : قام على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة . وقد وخدت الإبل: أسرعت ، أو وسعت خطوها .

ومَـرْحَى بـالصـواريخ اللَّـواتى ... يـدين لنـا بهـا الفَلَك المـدار
نجـوم الأُفْق مـا عـادت وُجـوهًـا ... عن الأنظـار يحجبهـا خِمَـار
وفيهـا بـات يطمع مَنْ إذَا مَـا ... رأى الأهـرامَ أدركـه دُوَار !
سيحملنـا الأثيـرُ إلى الـدَّرارِى ... كمـا حَمَلَتْ أوَالينـا المِهَـار[1]
وتُتَّخَـذُ المصـايفُ فـى ذُرَاهـا ... وتُفْجَعُ فـى شـواطئهـا البحـار
إلى المـرِّيخ ينقُلنـا قطـارٌ ... غـدا ، ويعـودُ منْـه بنـا قطـار
ويـربط بيننـا نَسَب ، وصِهْـرٌ ... ويجمع بيننـا فِيـه اتِّجـار
تعـالى اللهُ ! إن العلمَ نـورٌ ... سنَـاه مـن سَنـاهُ مستعـار
أفَوْقَ الأرض يُضْمَنُ ـ ليت شعرى !ـ ... بهـذا الكشف للعلم انتشـار ؟
ويُـرْسَى للسَّـلام بـه أسـاسٌ ... ويُكتَبُ للحضـارة الازدهـار ؟
أمـانٍ تلـك ؛ إن هِىَ أخطأتنـا ... فـلا نصـرٌ هنـاك، بل انـدحـار
بـربِّكِ ، يـا أبـولُّـو ، حـدِّثينا : ... أمـا فى رُقْعـة القمـر اخضـرار ؟ [2]
أمـا فى سطحـه قـد شُقَّ نهـرٌ ... ولا فـى أيْكـه غنَّـى هَـزَار ؟
ألا غنـمٌ هنـاك لهـا ثُغَـاءُ ... ولا بقـرٌ هنـاكَ لـه خُـوَار ؟
أجئنـا نَـذْرَعُ الآفـاقَ ذرعًـا ... لتحـوينـا بـه الأرضُ القفـار ؟
سليلَ الأرض ، مَالَكَ ظلْت طفـلا ... وقـد شَبَّت عن الطَّـوْق الصِّغـار ؟
ومـالَكَ لا تفُـوهُ لنـا بحـرف ... أعِـىٌّ ذاك منك أم احتقـار ؟
تُـرَاكَ خَجِلْـتَ من سـوء التـلاقى ... فهـذا الصمتُ منك لنـا اعتـذار ؟
أخـا الأقمـار ، مـالـكَ ــ حين زُرْنَـا ... حِمَـاكَ ــ عَـرَاكَ صَـدٌّ وازْوِرَار ؟

(١) المهارى والمهرية : إبل تنسب لحى من العرب ؛ يسمى مهرة بن حيدان .

(٢) هذا البيت وما بعده يعبر عن أمل الشاعر فى حل مشكلات البشرية عن طريق العلم ، وعلى العلماء أصحاب الفضاء أن يحققوا الرخاء للإنسانية بالذرة .

ولم يَفْــرِشْ لنـا الطُّــرُقـاتِ وَرْدًا ... بنـــوك ، ولا بتسليم أشــــاروا ؟

ومــالك لا تَهَشُّ وقــد قَــدِمْنَــا ... عليك ؟ أبيننـــا إحَــنٌ وثَـــار ؟

فــلا رَحمًـا رعَيْت ، ولا حقــوقًـا ... مقــدَّسَـــةً بِهَـا يَقْضِـىَ الجِــوَارُ !

ولَــوْ كُنَّـا نــزور أخًـا كــريمًـا ... تلقتْنـــا التَّحــايــا والعَمَــار (١)

حملنـــا زادَنـــا معنـــا ؛ فهَـــلاَّ ... غَضِبْتَ، وقلتَ : حملُ الـزاد عـار ؟

أحتَّى المـــاءُ ليس لــديك مــاءٌ ... فلَيس لمن يَغَصُّ بك اعتصـار ؟ (٢)

وحتى الجـــوُّ جـوُّك ليس فيــه ... لنـــــــا إلاَّ صقيــعٌ ، أو أُوَار ؟ (٣)

ظننـــا فيك تَعْــزِيَـــةً وسلــوى ... لمن أنضـــاه فقـــر واعتِـــرار (٤)

وقلنـــا : فيك للطَّـــاوين زاد ... وللشـــاكين مـن عُــرْيٍ دِثـــارُ

وقلنـــا : فيك عيشٌ ليس فيـــه ... خصَـــامٌ بين أهلِك أو شِجَـــار

حَسِبنـــا فيك مــاسًـا أو نُضَــارا ... ولا مـــاسٌ لـــديك ولا نضـــار

فمـا عُــدْنا نَــذُوبُ إليك شـوقًـا ... ولا بسَنَـــاك يـأخــذُنَـــا انْبهـــار

فكن مـا شئتَ : بــدْرًا ، أو محـاقـاً ... فسيـان : اكتمـالُك ، والسِّـرارُ (٥)

خُمــارٌ إذْ جَهِلْنَـــاك اعْتَــرانـــا ... وفــارَقَنَـا بــرؤيتك الخُمــارُ (٦)

وفى المجهـــول يسْبَحُ كـلُّ فكــر ... كمـا سَبَحتْ بشـارِبهـا العُقَـار (٧)

لقـد زُرْنَـا حِمـــاك ونحن نَـدْرى ... لعمـــرُك أنْ زَوْرتَـك انتحــــار

أتعلم فى صخـــورك كم بَـذَلْنَـا ؟ ... سَلِ « الـدولارَ » ، ينبئْك « الـدلار » !

---

(١) العمار : الريحان ؛ يزين مجلس الفرح والسرور.

(٢) الاعتصار : شرب الماء قليلا ، قليلا ؛ لإزالة الغصة .

(٣) الأوار : حر النار والشمس ، والعطش ، واللهب .

(٤) المعتر : الفقير ، والمتعرض للمعروف من غير سؤال .

(٥) المحاق : ثلاث ليال فى آخر الشهر تكون مظلمة ، والسرار : الهلال أول الشهر .

(٦) الخمار : السكر وأثر الشرب .   (٧) العقار : الخمر .

ومـــا أدرى : أُربحٌ مُشْتَـــرانـــا ... تُــرابَك بـالجـواهـرِ ، أمْ خَسَـــار ؟

أيكفى الأرضَ ومـضٌ منك يَبْـــدُو ... إذا مـا الأَرضُ فَـارَقَهـــا النهـــار ؟

وأنك عـــابـثٌ بـــالمـــوج فيهـــا ... وللمـــوج امتـــدادٌ وانحســـار ؟

وأنك للشُّهـــورِ بهـــا حسَـــابٌ ... وإن ضلَّـــوا أوائلَهـــا وحَـــارُوا ؟

وأنـك تُلْهِمُ الشعـــــراءَ فيهـــا ... وإن يَكُ أدركَ الشِّعْـــرَ البَـوَار ؟ (١)

وكيف لَقِيتَ « نيل وألـــدرينـــا » ... أرانَ على مُحَيَّـــاك اصْفـــرَار ؟

أتخشى أن نُغيـــرَ عليك يـــومًـــا ... كمـــا فى الأرض غـارات تُثَـار ؟

عَـــلاَمَ ، وأنت أوديـــة يَبَـــابٌ ... يُصَـالِ على ربـوعك أو يُغَـار ؟

أتعلم أنهـم هَمَسُـــوا وقـــالـــوا ... - بلا خَجَلٍ - : لمن هذا العَقَار ؟ (٢)

وأُمُّكَ هِـــــرَّةٌ تَلْقَى بنيهـــــا ... بفيهـا حين يـدركهـا السُّعَـار !! (٣)

* * * *

يقـول الناسُ - فى شرق وغرب - : ... فَخَـــارٌ لا يعـــادلـــهُ فَخَـــار

ومجـــدٌ لا يفـوز بـــه ســوَى مَنْ ... لـــه دَأْبٌ عليـــه واصْطبـــار

ولا يحظَى بِنَيْـل المجـــدِ قَـــوْمٌ ... إذا لاقتهـم العَقَبَـــاتُ خـــارَوا

ومهـرُ المجـد - إن تَخْطُبْـه - غَـال ... وبَعْضُ المَهْـرِ مَـوْتٌ واحتضـار

فإن يُخْلِـفْ لنـــا قَمَـرٌ ظُنُـونًـــا ... ففى الملكـــوت أقمـــارٌ غـــزَار

وقبـل النُّجح إخْفَـــاقٌ وثَـــان ... وأول مِشْيَـــة الطِّفل العثَـــار

---

(١) لا يفوت الشاعر أن يبكى حظه - بوصفه شاعرا - كلما واتت فرصة .

(٢) العقار : الضيعة ، والمتاع والنفيس .

(٣) تأثر الشاعر - هنا - بقول شوقى عن الشمس :

فيـــــالـك هـــــرة أكلـت بنيهـــا ... ومـــا ولـــدوا وتنتظـــر الجنينـــا

وَيَهْمِسُ آخرون : لقد شَططْنا — متى ضاقتْ بأهليها الدِّيار ؟

علامَ الخَبْطُ فى جرداءَ ، فيها — يَعِزُّ الماءُ والخُبْزُ القفَار ؟ (١)

كنوز الأرض خافيةٌ علينا — ولا يَبْدُو لنا إلا الإطَار

وما زالت بها : فَحْمٌ ، وزَيْتٌ — وما زالت بها : عَسَلٌ يُشَار (٢)

ظننَّا أن فى القمر انطلاقًا — أفى القمر انطلاقٌ أم إسَار ؟

كأن النَّازليه نُزُولُ سجنٍ — وأين مَضَوا فَحَوْلَهُمُو حِصَار !

تَنَفُّسُهم به داءٌ عَيَاءٌ — وحَبْو الطفلِ إن هُمْ فيه سَارُوا

خَطَوْا خَطْوَ المقيَّد ؛ لا يمينٌ — يُتَاحُ لها المسيرُ ، ولا يَسَار

وقالوا : كلُّ مجهود بَذَلْتُمُ — هناك ، وكلُّ « دُولارٍ » جُبَار (٣)

زرعتمْ سَرْحَةً سمَقَتْ وطالت — ولكن لا ظِلالَ ولا ثمار !

كَشَفْتُمْ إن تكونوا قد كشفتم — لَقًى فى الجوِّ ، ليس له اعتبار (٤)

كشفتم ذرَّةً سبحت بأُفْق — فسيحِ السَّاحِ ليس له انحصار

لمستم شاطىءَ المجهول لَمْسًا — وجَدَّ بكم إلى الأرض الفِرَار

ومن سَبَرَ المحيطَ فليس يَشْفى — قليلَ طموحِه إلا القرار

سلو الأفلاك - إذ طِرْتُم إلَيْها - : — أكان لها من الضحك انفجار ؟

وقَبْلَكُمُو بنى هامانُ صرحًا — فكادَالنجمُ يدركُهُ انهيار (٥)

أضعتُمْ فى الهواء كنوزَ مالٍ — وملءَ الأرض بُؤْسٌ وافتقار (٦)

---

(١) الخبز القفر والقفار : غير المأدوم ؛ أى : أكله بدون ما يسيغه .

(٢) يشار : يستخرج .

(٣) جبار : هدر وباطل ؛ لا عائد له .

(٤) اللقى : ما طرح وأهمل ، والجمع : ألقاء .

(٥) هامان : وزير فرعون ، وفى القرآن الكريم : « وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى » .

(٦) يدعو الشاعر - فى هذا البيت وما بعده - الدول الكبرى إلى : رعاية الدول الصغرى ، وأن تقدم للبشرية ما تحتاج إليه ؛ من طعام ، وملابس ، ودواء .

وحـول القـدسِ مـن جُـوع وعُـرْيٍ ... أُلُـوفٌ تستجيـرُ ؛ فـلا تجـار
وقـد فتَكَـتْ بنـا الأمـراضُ فتكًـا ... وأبـدى الطبِّ عـاجـزةٌ قصَـار
وأكبَـرُ مَنْ تـرى يَغْـرُوه داءٌ ... فتلحقُـه المَـذَلَّـةُ والصَّغَـار
وسِـرُّ حيـاتِكم مـا زال لُغْـزًا ... عـويصـا لـم يُـزَحْ عنـه السِّتـار
ومـا تلك الحيـاةُ ؟ وكيف جئنـا ؟ ... خيـارٌ ذا المجىءُ أم اضطـرار ؟
أُمـورٌ قبلنـا ، اختلفـوا عليهـا ... وطـال البحثُ ، واتصـل الحـوار
فلـم نعـرف لهـم إلا فَطِيـرا ... من الآراء ليس لـه اختمـار (١)

❊ ❊ ❊ ❊

تعـالـوْا نبتكـرْ عهـدًا جـديـدًا ... يَعُمُّ الخيـر فيـه واليَسَـار
تسـودُ بـه : مسـاواةٌ ، وأمن ... فمـا فى الأرض : سنَّـوْرٌ ، وفـار
ولا مَنْ أصلُـه : ذهَـبٌ ، ومِسْكٌ ... وأصلُ سـواه : مخْشَلَبٌ ، وقـار (٢)
ولا من زان سَحْنَتَـه أبيضـاضٌ ... وآخـرُ شَـانَ سحنتـه اسمـرَار (٣)
تعـالـوْا نبتكـرْ مصـلاً جـديـدًا ... بـه فـى الشيب يَسْـوَدُّ العـذَار
فكم هـدم المشيبُ حيـاةَ شيخٍ ... ومـا أغنـاه حَـزْمٌ أو وقَـار !
تعـالَـوْا نبتكـرْ للحـرب حـلاًّ ... وإلاَّ حَـاقَ بـالأرض الـدَّمَـار
ولغـزُ المـوت مـا استعصى عليكم ... فَفَخْـرُكمـوُ بعلمكمُ اغتـرار
شهـدتُ بأن لله اقتـدارا ... وغيـرُ الله ليس لـه اقتـدار
وأن الجهلَ لـلإنسـانِ ـــ مهمـا ... يَـزِدْ علمـا ، ومعرفـةً ـــ شعَـار
وأن وراءَ هـذا الكـونِ ربًّـا ... لـه فى الكـونِ أسْـرَارٌ كِبَـار !

---

(١) الرأى الفطير : الساذج الذى لم ينضج .
(٢) المخشلب : الزجاج ، والقار : الزفت .
(٣) السحنة : الوجه ، والهيئة ، واللون .

غزو الفضاء

غُزَاةَ السمـواتِ ، حُثُّوا الـرِّكـابـا　　إلى النجم ؛ قـد أصبح النجم قَـابـا

لكم طـائرٌ شقَّ جـوفَ الفضـاءِ　　رأتـه العُقَـابُ ؛ فـراع العقـابـا

تخطى الهـواءَ ، وجـاز الأثيـرَ　　ومـرَّ ؛ شِهَـابـا يَـؤُمُّ شهـابـا

هـو العلـمُ ؛ صـوَّر مِنْقَـارَهُ　　وراشَ الجناحَ ، وسوَّى الذُّنـابى [1]

وأرسلـه رائدا فى الفضـاء　　إلى النَّجم يكشـفُ عنـه الحِجَـابـا

ألا ليت شِعْـرِىَ ـ والعلمُ سِـرٌّ　　يَـرُوضُ به المعْضـلات الصعـابا ـ :

أَتَبْـدُو لنـا مُغْلَقَـاتُ السمـاء　　ويفتحهـا العلمُ بـابـا فبـابـا ؟

ويُخْضِعُهـا بعـد طـولِ الجِمـاح　　ويقطعهـا جِيْئَـةً وذَهَـابـا ؟

فَمُنْتَجِعٌ حل بـالمشتَـرِى　　ومُغْتَـرِب من عُطَـاردَ آبـا ؟ [2]

وآخـر راح يشُـدُّ الـرحَـالَ　　إلى زُحَلٍ ويُعـد العَيَـابـا ؟ [3]

وكنـا نعُـدُّ النسـورَ ملـوكـا　　لعـرشِ الهـواء ، فصـارت ذُبَـابـا !

صـواريخُ تطـوى السمـوات طيـاً　　كمـا راح يطـوى السجـلُّ الكتـابـا

إذا صح ظنى ، فسـوف تَهُـزُّ الـ (م) وجـود ، وتُحْـدثُ فيـه انقـلابـا

كَأنِّىَ بـالنجـم يـرْنُـو إليهـا　　ويسألهـا لـو تَـرُدُّ الجـوابـا

ويهتف ـ فى وجل ـ قـائلا :　　حمـامـةَ سلم أرى أم عِقَـابـا ؟

أتشعـر أبـراجُـهُ أَنَّنَـا　　نُعِـدُّ لهـا حَطَبَـاً وثِقَـابـا ؟

أعنـد الكـواكب أن الأنـامَ　　هنـا انقلبـوا جِنَّـةً وذِئابـا ؟

---

(١) راش الجناح : قواه . والذنابى : الذنب .

(٢) انتجع المكان : أقام فيه .

(٣) العياب : جمع عيبة ؛ وهى : الحقيبة .

وأن ابـنَ آدمَ فى الأرض عــــــاثَ ... وكــان لــه العقـلُ ظفـرًا ونَــابـا ؟

فصـــاغ من الـــذَّرَّة المـرهفـــاتِ ... وقَـدَّ الــرِّمـاح ، وسـوى الحـرابا ؟

وأصبـح يُسْـــــرِجُ نفَـــــائَـــــةً ... وغـوَّاصــةً ، لا خُيُـولاً عـرَابا ؟ (١)

وكم ســـــار فى الأرض مستعمـــرًا ... فمصَّ دمـــاً واستَــرَقَّ رقـــابـــا ؟

فمـــاذا من النَّيِّـــرات يـــريـــدُ : ... أخيْـــرًا أراد بهـــا أم خـــرابـــا ؟

* * *

ومـــا بـــالُ أهلِ الكـــواكب عـــزُّوا ... علينـــا ، وهُنَّـا عليهـم جنابـا ؟ (٢)

أمـــا فكَّـــروا فـى الهبـــوط إلينـــا ... ونحن إليهـم ركبنـا السحـــابـــا ؟

ألاَ يُـــرْسلـــون إلينـــا رَسُـــولا ؟ ... ألا يَبْعَثُـــون إلينـــا خطـــابـــا ؟

أليســـوا بأوسَـع منـــا عقـــولا ؟ ... وأكثـرَ فـى الكـون منَّـا اضطـرابا ؟

تُـــرَى : هل أرادوا إلينـا الــوصـولَ ... فعـــزَّ عليهـم ، وضَلــوا الصوابـا ؟

ألا أيهــــــا القَمَــــــرُ المتَجنِّـى ... علينـــا ، كفى جفـــوة واجتنـــابـــا

عـــلامَ تـــزيـــدُ عن الأرض بُعْـــدًا ... إذا زادت الأرضُ منك اقتـــرابـــا ؟

أرى الأرضَ تهفُـــو إليك اشْتِيَـــاقًـــا ... وتطلب منـك الـــدُّنُـــوَّ ، فتَـــأبَى

وَمَــــالَـكَ بَيْنَ الكَــــواكِـبِ أُمٌّ ... سِـــوَاهـــا إذا مـــا أردت انتســـابـــا

* * *

عشِقْنَـــاك حتى حسِبْنَـــا الليـــالى ... ومقـــدارَ نـــورك فيهـــا حســـابـــا

ليـــالٍ كســـاهـــا شعـــاعُك سحـــرًا ... فطـــابت لمن يَجْتَلِيهـــا ، وطـــابـــا

وأخشى ـــ إذا مـــا نـــزلنـــاك ـــ ألاَّ ... يكـــونَ جمـــالُك إلا ســـرابـــا

أتكتســب النـــورَ مـن أرضنـــــا ... كمـــا تأْخـذ النـورَ منك اكتسابـا ؟

---

(١) يسرج نفاثة : يضع فوقها ما يساعد على الرحلة ؛ كما يوضع السرج على الفرس .

(٢) الجناب : الفناء ، والناحية ، والمراد ـ هنا ـ : القدر ، والقيمة .

ألـــلأَرضِ فيك ليـــالٍ وضَـــاءٌ تـــرقَّبهـــا ســـاكنـــوك ارتقـــابـــا ؟
أَبِـــالأَرض شُبِّهت الحـــورُ فيك وإن كـــان هـــذا لـــدينـــا سبـــابـــا ؟
أتتخـــذ الليـــل حُـــوُرك شعْـــرًا لهُنَّ ، وضـــوءَ الصبـــاح إهـــابـــا ؟
وهل جعـل الله خمـــرَ الجِنَـــانِ وشُهْـــدَ الجنـــان لهـــنَّ رضـــابـــا ؟
ومـــاذا يطـأنْ بأرضـك ؟ مسكـــا وغـــالِيَـــةً ، أم يَطَـــأْنَ التـــرابـــا (١)

❊ ❊ ❊

أَيَأكُـلُ فيك أنـــاس طعـــامـــا ؟ ويلبس فيـك أنـــاس ثيـــابـــا ؟
وهل فيـك يفـــرى الشتـــاءُ الأديمَ ويلتهبُ الصَّيْف فيك التهـابـا ؟ (٢)
وهل يجـــد العيشَ فيـك بنـــوك كما نجـد العيشَ شوكاً وصـاباً ؟ (٣)
وهـل كـــان آدمُ أيضـــاً لهـم أبًـا وَرِثـوا عنه هـذا العـذابـا ؟
وهل بينهـم من يـــدين بـــدين ويرجـو الثوابَ ، ويخشى العقـابا ؟
أيحتـــربـــون بأرضـك ، أم هُمْ يعيشـون أهـلاً بهـا وصِحـابـا ؟
ومـــاذا نـــرى حين نَهْبطُ فيكَ ؟ أزرعـا وضَـرْعـا نـرى ، أم يبـابـا ؟
تكهَّنَ قـــومٌ ؛ فقـــالـــوا : حـــويتَ مـرابعَ خُضْـرًا ، ورَوْضا ، وغـابـا (٤)
وأرْجَفَ قـــومٌ ، فقـــالـــوا : وحـــولٌ ومستنقعـــاتٌ تفيض عُبـــابـــا
وقـــال أنـــاس : صحـــارى تضمُّ رَوَاسِيَ شـــامخـــةً وهضـــابـــا
كـــذلك كنتَ ، ومـــازِلتَ ، لغـزًا إذا مـــا بحثنـــاه زِدْنـــا ارْتيـــابـــا
ولم تـــر أوضحَ منك العيـــونُ ولم تـــر أكثفَ منك نِقَـــابَـــا

❊ ❊ ❊

(١) الغالية : الطيب .

(٢) يفرى الشتاء الأديم : يشق الجلد ويقطعه .

(٣) الصاب : شجر مر .

(٤) تكهن تكهنا ، وكهن له كهانة : قضى له بالغيب . والحرفة منها : الكهانة بكسر الكاف .

أتعلمُ كم فيك أنشدت شعرا ... كضوئك يحكى لُجَيْناً مُذَابا ؟

وكم كان نورُك مصدر وحْيى ... وكم بك شبهتُ خُودًا كِعابا ؟ (١)

وكم قمر ذى سناً كسَنَاكَ ... سقانىَ مِن شفتيه الشرابا ؟

وكم قمرٍ ساطع صدَّ عنيِ ... كصدِّك لما فقدتُ الشبابا ؟

زَوَتْ عنىَ الأرضُ أقمارَها ... غداةَ رأَتْ شعرَ فَوْدِىَ شابا (٢)

فما عاد لى قمرٌ واحدٌ ... يبادِلُنى بالعتابِ عتابا !

وكيف التصابى ، ولى لِمَّةٌ ... أبى لونُها لِىَ أنْ أتصابى ؟

* * * *

سلاماً ، بنى النيرات ، إلى أن ... نزورَ حِماكم ، ونَغْشى الرِّحابا

مع العلم نحن على موعد ... وآمل ألا نُطِيلَ الغيابا

فقد يكشف العلمُ هذى الرموزَ ... وقد يتسلقُ تلك القبابا

وقد يصبح الكون دارًا ؛ فلا ... نَعُدُّ نزول السماء اغترابا

له الله حلماً لذيذًا نراه ... ويارُبَّ حلم لذيذ أصابا

ولن يقف العلم إن هو صحَّ ... ولن ييأسَ العلم إن هو خابا

وليس يَعِزُّ على العلم شىءٌ ... وكيفَ ، ومنه رأينا العجابا ؟

---

(١) الخود ـ بفتح الخاء ـ : المرأة الجميلة ، وجمعها : خود ، بضم الخاء ، والكعاب ـ بالفتح ـ الجميلة الصدر ، والجمع بكسر الكاف .

(٢) زوت أقمارها : أبعدت وأخفت الحسان .

فى الربيع :

نيسان

نيسانُ ، أنتَ لعين الدهر إنسانُ ... ياليت كلَّ ليالى الدهر نيسانُ !

ما الطيرُ ؟ ما الزهرُ ؟ إنى لا أخصُّهما ... بفتنةٍ ؛ كلُّ شىء فيك فتَّان

الصخرُ يبدو لعينى فيك منتشِياً ... أُحسُّ فيه حياةً وهْوَ صفْوان

ينساب دفْؤُك فى الأبدان عافيةً ... لا تشتكى السُّقْمَ فى نيسانَ أبدان

وللربيع خمورٌ ؛ لا كرومَ لها ... ولا كئوسٌ ، ولا دَنٌّ ، ولاحان

قالوا : الربيع ، فقلت : العدل طابَعُه ... لا فى النهار ، ولا فى الليل طغيان

تعادل الليلُ فيه والنهارُ معاً ... كأنما هو للأيام ميزان

كم كَهْرب الجوَّ فصلٌ غيرُ معتدلٍ ... تعاورتْه زياداتٌ ونقصان !

الحسن فى سنَة من نومه ، فإذا ... حلَّ الربيع فإنَّ الحسن يقظان

كأنما لم يكن شمسٌ ، ولا قمرٌ ... قبل الربيع ، ولا سرْوٌ ، ولا بان

الكون فى نشوة من يوم مقْدَمه ... فكل ما فيه يمشى وهْو ميْسان

كل الطيور عصافيرٌ مغردةٌ ... فيه ، وكلُّ مكان فيه بستان

قم ، نبِّه الطير فى الأوكان من وَسَنٍ ... طال الشتاء عليه وَهْو وَسْنان

طال الشتاءُ ؛ فلا طيرٌ ، ولا شجرٌ ... لا الطيرُ طيرٌ ، ولا الأغصان أغصان !

قم ، نبه الطير ينظرْ عِزَّ دولته ... عرشُ الربيع عليه الطيرُ سلطان

هذى منابرُك العليا مهيأةٌ ... ياطيرُ ، فاصْدَحْ ؛ فكل الكون آذان

أنت الملحِّن والمُنشى ، وأنت لنا ... رِقٌّ ، وأنت مزاميرٌ وعيدان

الطير يصدح ، والغدران هامسةٌ ... المطربان هما : طيرٌ ، وغدران

* * * *

قم ننظُر المـاء ـ مـاء النهر ـ فى دَعَة … والبطُّ يسبـح فيـه وَهْـو جـذلان
يخط فيـه خطـوطا لا بقـاء لهـا … كأنهـا حـادثٌ يمحـوه نسيـان
من كل مـا خـرة للمـاء ، عـابـرةٍ … كأنهـا وحـدهـا فُلْكٌ ، وربـان
الجيـد ساريـةٌ ، فـى الجـوِ عـاليـةٌ … والرِّجلُ فى المـاء مجْدافٌ ، وسكان
أسطـول سلـم تقـر العينَ رؤيتـهُ … لم تنـدلع منـه نحـوَ الشطِّ نيـران

❊ ❊ ❊

مَرَّ النسيم على سطح الغـدير ضُحًى … ومـاؤُه مُطْبقُ الجفنين نعسـان
فيم التجعُّـد إذْ مـرَّ النسيم بـه ؟ … سلوا الغدير ، سلـوه : أَهْو غضبان ؟
إن النسيم رسـول الـزهـر حمَّلـه … سـرَّ العبيـر ، ولـلأسـرار كتمـان
لكنـه بـاح بـالسر الجميـل ، وقـد … يطيب للسر ـ سرِّ الدهـر ـ إعـلان
كم للنسيم مع الشعـر الطويل أو الـ (م) … ثَّوْب القصيـر دُعـابـات لَهَـا شـان
وكم لـه بغصـون الـدوح عـربـدةٌ … كأنـه بغصـون الـدَّوْح ولهـان
وكم تـرنَّح سكـرانـاً بهبَّتـه … كمـا تـرنـح بـالصهبـاء سكـران
وكم رسـالـةِ حبٍ جـاءَ يحملهـا … كـالبرق وهْـوَ حثيثُ الخَطْو عجلان
رسـالـة حلـوة الأنغـام ؛ قَـرَّ بهـا … قلبُ الحبيب قـرارًا وهْـوَ حَيـران
قالوا : عليل ، فقلنـا : هل إليه سَرَى … من المحبيـن أنَّـاتٌ وأشجـان ؟

❊ ❊ ❊

عـرش الطبيعـة قـد صُفَّتْ أرائكُـهُ … إن الـربيع لهـذا العـرش سلطـان
عـرش، سـرادقـهُ فى كل نـاحيـةٍ … يقـام ، يشهـده حُـورٌ وولـدان
ليست معـازفـه رقـاً ، ولا قَصَبـاً … لكن معـازفـه طيـرٌ ، وأفنـان
قد نُسِّقَتْ فيه أزهـارُ الربـا أُصُصاً : … ورد ، وآسٌ، ونَسـريـنٌ ، وريحـان
الأفْق بـالنجم ـ لا بـالشمع ـ مـزدهرٌ … والأرض بـالبُسُط الخضـراءِ تـزدان

أمـا تـرى الأرضَ وشّاهـا الـربيع كمـا وشى الثيابَ ــ ثياب العُرس ــ فنان ؟
نـولٌ يحـوكُ على وجـه الثـرى حُلَـلاً شتى ؛ لهن ــ كمـا للطيف ــ ألـوان
ولا خيـوط لهـا غيـر النبـات ، ومـا لهـا سـوى المـاء أصبـاغ ، وأدهـان

****

إن الـربيعَ كتـابُ الحبِّ نقـرؤُهُ الحبُّ حـاشيـة فيـه ، وعنـوان
فكلُّ عينٍ بـه كـالسيف فـاتكـةٌ وكل قَـدّ بـه كـالـرمح طعّـان
وكل خـدٍ بـه تفـاحـةٌ نضجت وكل نَهْـد حـواه الصـدرُ رمّـان
رجعت فيـه إلى الدنيـا ، أسائلهـا : هل غيرت أهلهـا أم هُمْ كما كـانوا ؟
مـا أخطأت مقلـةٌ فيـه لهـا هـدفـاً إن صوَّبتْ سهمها ، والسهـمُ حرنان
صيدُ القلوب ـ كصيد الطيـر ـ معركةٌ لهـا : سهـام ، وأقـواس ، وأزمـان
بين الظبـاء وأُسْـد الغـاب دائرةٌ سـلاحهـا : أعْيُن وسْنَى ، وأجفـان
كم فى الربيع لها فوق الشواطىءِ ، أو تحت الظلال ـ ظلالِ الدَّوْح ـ ميدان
تبسم البحـر من بعد العبـوس ؛ فهل للبحر ـ أيضاً ــ مسرّات ، وأحزان ؟

****

يا سادنَ البحرِ ، قم ، وافتح شواطئه بـالبـاب للبحـر زُوّار ، وضيفَـان
مـرّتْ عليـه شهـور ، وهْـوَ فى سِنَـة لا الموج مـوجٌ ، ولا الشطّآنُ شطـآن
مَهْـدٌ بـه الـرّمـل ، والكثبـانُ نـاعمـةٌ أغلى ثمـارٍ لـه رمـل ، وكثبـان
سِـرْبُ الغـوانى على الأبـواب منتظـرٌ تكشّفَتْ منـه أعْضَـادٌ ، وسيقـان
من كل سـاحـرة العينين ، ضـامـرةٍ الخَصْـرُفى ظَمَـإٍ ، والـرِّدفُ ريَّـان
إذا سبحن على أمـواجـه ، فُتِحَتْ للسـابحـات من الأمـواج أحضـان
يبـدون فى شَطِّـه أو فـوق لُجّتـهِ كأنمـا هُنَّ درٌّ ، وهْـو دِهْقـان
أيسكن الـدرُّ والمَـرجـان شـاطئَـه أم فى قـرارتـه در ومـرجـان ؟

لا أرهب البحرَ والغيد الحسان بـهِ فإنَّ غضبتَــه عَطْفٌ وتحنــان

ولا أهـاب هـدير البحـر إن سبحت فيـه المهَـا ؛ فَهْـوَ تطْـريبٌ وألحـان

عجبت للبحر ؛ قد فـاض العُبَابُ به لكنــه لِـرُضَــابِ الغيــد ظمـآن !

❊ ❊ ❊ ❊

سبحـان من صوَّر الـدنيـا فأبدعهـا ! فقل لرَبِّكَ ـ رب العرش ـ : سبحان !

آيـات ربك تَتْرى فـى الوجـود ؛ فهل للمـرء عينٌ ؟ وهل للمرءِ وِجْـدان ؟

كل البقــاع محــاريبٌ لــه صُنِعَت وكل مــــا تسمع الآذان قـــرآن !

فى كل ظــاهــرة تبـدو يَلـوُحُ لنــا على جـلالـة ربِّ العــرش بـرهـان !

كم ذرةٍ فـى فضــاء الله ســابحــة فيهـا : عـوالمُ لا تُحْصَى ، وأكـوان !

فيم الصعــود إلى الأفـلاك نكشفهــا والشمس تضحك والشِّعْرى وكيوان ؟

إن ابنَ آدمَ عن ســرِّ الـوجـود ، وعن سـر الحيـاة ، وســر المـوت غفـلان

ضلَّ ابـنُ آدمَ إذ رام الــوصــولَ إلى نهـايـة الكـون ! والإنسـان إنسـان !

في المصيف :

على شاطئ البحر

يـارُبَّ جاريـة فى البحر كـالعلم تـراقصت فـوق مـوج منـه ملتطم
وسـابحينَ علـى شطـآنـه بَـرمـوا بالصيف ؛ فانغمسوا فى مائه الشبم [1]
والبحـر لا ضـائق ، أو شـاعـرٌ بهمـا لكنـه نـاظـرٌ فى ثغـر مبتسم
يقول ـ فى عجب ـ : كم قـارةٍ ركبت ظهـرى، وكم نملـةٍ دبَّتْ على قـدمى

❊ ❊ ❊ ❊

يابحر ، قد سئِمَتْ نفسى الحياةَ على وتيـرة ، فـأرحْ نفسـى من السـأم
إنى أتيتُكَ مصطـافـا ، وملتَمسـاً من مـائك المعـدنـىِّ البرءَ من سقمى
أما الحِسَان على الشاطى ؛ فقد لمحت شَيْبى ، فَهِمْتُ بهـا وحـدى ، ولم تَهِم
إذا نَظـرتُ إلـى حسنـاءَ سـابحـة نـاديت عَهد شبـابى ، وهْـوَ فى صمم
حسبى نسيمُ الصبـا ، فـامـلأْبـه رئتى ولا تحـرِّكْ بأيـام الصِّبَـا ألمى
أغـرقتُ فيكَ همـومى . ليتهـا وقعت فى بطن حـوتٍ من الحيتـان ملتقمِ!

❊ ❊ ❊ ❊

إن كـان شطُّك بـالجنسَيْن مختلطـا فـربمـا اختلط الجنسـان فـى الحـرم
استغفـر الله ! زِىُّ البيت محتشِمٌ لكـنَّ زيَّـك زىٌّ غيـرُ محتشـم
لله منظـرُك السـاجى إذا بسَطَت لك الـرياح أصيـلا راحـة السلمَ ! [2]
ورُخَنَ ينقشن فى الأمـواج من صـورٍ مـا ليس ينقشـه الـرسَّـامُ بـالقلم !

---

(١) الماء الشبم : البارد .

(٢) الساجى : الساكن ، والسلم : الاستسلام والمسالمة .

حبـابُ مـائك ، أَم كـأْسٌ لهـا زبـدٌ ؟ وهمسُ مـوجك ، أم شـاج من النغم ؟

وفــــوق رملك أمشى ، أم على بُسُط صفـراءَ منقـوشـةٍ من صَنعـة العجم ؟

* * * *

قالوا عليك : أُجاج الماء ، قلت لهم بل مــاؤُك العَــذْب سيـالٌ بكـل فم

ألم يحـوِّلْ شعـاعُ الشمس مـاءَك من مِلْح أجـاج إلى عـذب من الـدِّيم ؟

لـولاك ما هَطَلت وطفـاء ، أو هَـدلت ورقاءُ ، أو قبَّلَتْ كـأسٌ شفاهَ ظمى [1]

لم ينتسب شجــرٌ إلا إليك أبــاً ولا انتمى زهَــــــر إلا إليك نُمى

سـرِيْتَ فى طبقـات الأرض مُنْسَـرِبـاً فكيف أصبحتَ تيجاناً على القمم؟ [2]

وكيف طِـرْتَ بـلا ريش وأجنحــة فى حالق الجوِّ كـالِعقْبان والرخم ؟ [3]

النيل يعــرفُ والـدَّانُـوبُ أنهمــا من فيضُ سحبكَ ، أو من سَيْلِكِ العَرِم

مـا سحَّ فـوقـك غيثٌ ، أو جـرى نهَـرٌ إليكَ إلا اعتــرافــا منــه بــالنِّعم

كم مِنَّــة لـك فى الأعنـاق تبـذلهـا ولا تمنُّ بهــا ، يـاحـاتـمَ الكـرم !

سرُّ الحيـاة ـ لِعَمْرى ـ أنتَ مذ نشأت حول الضفاف ، تعـالى بارىءُ النسَمَ !

متى ابتـدأْتَ على الغبْراءِ وابتـدأت ؟ هل أوغَلَتْ مِثْلَمَا أو غَلْـتَ فى القدم ؟

مـرَّت عليـك قـرونٌ ليس يحصُـرُهـا عــدٌّ ، ولم تَشْكُ مـن شَيْب ولا هــرم

قل لى ـ بربِّـك ـ : كهل أنت ، أم هرم أم لا تــزال غــلامـاً بــالغَ الحلُم ؟

* * * *

يكـــادُ سـائِلُك الـرقــراقُ يخـدعنـا عمَّـا حـوَى من وُحــوش لَسْنَ فى أجم

أشِـرعَةَ الغـابِ تقضى بين أهْلِكَ ، أم حقُّ الضعيف لـديهم غيـرُ مُهْتَضَم ؟

---

(١) الوطفاء : السحابة الكثيفة .

(٢) المراد بالتيجان ـ هنا ـ : السحاب ، وهو الذى يطير فى أعالى الجو .

(٣) الرخم : جمع رخمة ؛ وهو : طائر أبقع (فيه سواد وبياض) ، ويشبه النسر فى الخلقة .

هوِّنْ عليك ؛ فكم في البرِّ من سمك يلوح في صورةِ الدُّولات والأُمم ! (١)

قالوا : السلامُ، ولم تعرف شرائعُهم غيرَ المخالب والأنياب من حكم !

يا طالما كنتَ ميداناً لغاشِمِهم فَشَاب ماءَك من أطماعهِ بدم

وشادَ جِسْرًا على الأمواج من جُثث فلم تعُدْ تشتكى الحيتانُ من قَرَمَ (٢)

* * * *

قد كنتَ، يا بحرُ ، قبل اليوم تقهرُنا وكنتَ فوق حدود الظنِّ والوهَم

حتى كشفناكَ بالعلم الحديث؛ فما عادَتْ تحوطك أسْدَافٌ من الظلم (٣)

القوم رادُوك، بل سادوك من زَمنٍ حتى غدَوْتَ لهم من أطْوَع الخدم

وما اكتفوا بارتياد البحر ، بل سَبَحُوا كالجنِّ فى عالم الأفلاك والسُّدُم

إن كنتَ يا بحرُ عملاقاً ، فأنتَ وما تحويه فى ملكوت الله كالقَزَم

وما أنالُك فى شعرى بِمَنْقَصَة يكفيكَ أن خَصَّكَ الرحمنُ بالقسم

إذا تَسمعْتُ خلتُ الموجَ فيك شدَا بذكرِ مَنْ كوَّنَ الأكوانَ من عدم !

---

(١) الدولات : الدول ، جمع دولة ، والله يداولها بين الناس .

(٢) القرم : شدة شهوة اللحم . وقد قرم إلى اللحم : من باب طرب .

(٣) أسداف : جمع سدف و سدفة - بفتح السين فى الأول وضمها فى الثانى - وهو الظلمة .

في الصيف :

من وحي البحر

يـــــالجَمَـــــال المنظـــــر الخـــــلّاب !

عنـــــد التقـــــاءَ الأُفـقِ بـــــالغيـــــاب !

وَفـــــوقهـــــا مـــــواكبُ السَّحـــــاب !

تسبـح فى الفضـــــاءِ كـــــالقبـــــاب !

والشمـس تـــــارةً بـــــلا نِقَـــــاب

وتـــــارة تُشْـــــرفُ فـى الحِجـــــاب

خلـفَ ظَـــــلام الغَيـم والضبـــــاب

والبحـــــر كـــــاسٍ ، أزرقُ الجِلْبَـــــاب

زرقـــــةَ عَيْـنِ الغـــــادةِ الكَعَـــــاب

مـن لـى بِمِجْهَـــــرٍ وإضْطِـــــرْلَاب ؟

حتـى أرى الشمـس علـى اقْتـــــراب :

إذ مـــــال قُـــــرْصهـــــا إلى الغِيَـــــاب

واصطبغَـتْ بحُمْـــــرَة العِتَـــــاب

وانطفـأتْ جمْـــــرَةُ الالتهـــــاب

فى المـــــاء ؛ فَهْى كـــــالسِّـــــراج الخـــــابى[1]

وصـــــاح صـــــوت الـــــدهـــــرِ كـــــالغـــــراب

(١) السراج الخابى : السراج الطافىء ، الذى لا يبعث الضوء .

ـــــ فـى نَغَم خَـــال من الإطْـــراب ـــــ :

صفحـــــةٌ انطَـــوَتْ من الكتـــاب !

... ...

يـــا بحـــرُ ، أنـت ملتقَى الأحبـــاب

وبـــاعثُ النَّشْـــوة فـى الأعصـــاب

ومُبْـــدلُ الأُنـس بـــالاكتِئَـــاب

وطـــاعنُ الصيـف بـــلا حِـــرَاب

إذا عَـــدَا كـــالضَّيْغَم الـــوثَّـــاب

مُهَـــدِّدًا بمِخْلَـبٍ ونـــــاب

تمُّـــوز عـــاش منـك فـى إرهـــاب

آرَادَه حُـــانيــــة الـــرقـــاب

قهـــرتــــه بـــرقـــة الحَبَـــاب

والنسمـــات الحلـــوة الـــرِّطـــاب

فعـــاد مـــرتـــدًّا على الأعْقـــاب

للين حـــد ليس للقـــرضـــاب (١)

مـــا فيـك شىء ليس بـــالجَـــذَّاب

حتـى اصطـــدامُ مـــوجك الصَّخَّـــاب

بـــالصُّمِّ من صخـــورك الصِّـــلاَب

يحكـى لنـــا زئيـــرَ أُسْـــدِ غـــاب

مُهْتَـــاجـــةٍ، مُثـــارة ، غضَـــاب

كم مـــوجـــةٍ تُـــومِض كَـــالشِّهـــاب

---

(١) القرضاب : السيف القطاع ، الذى يقطع العظام ، والجمع : قراضبة .

أو كحُسَـــام سُلَّ مـن قِـــراب

بيضـــــاءَ مثـلِ دِرَّة الجِـــلاَّب

نِثَـــارُهـــا مـن لـــؤلُـــؤ مُـــذَاب

مـــوجُك ـــ مثلُ الـــدهـــر ـــ فى انقــلاب :

بَيْنـــا نـــراه ليِّـن الجَنَـــاب

إذا بــــه أرفـعُ مـن هِضَـــاب

عَـــزَّت على الأَجْـــدلِ والعُقَـــاب

... ...

إن كنـتَ غيـــرَ ســـائغِ الشَّـــراب

فمنـك مـــاءُ الأنْهُـــرِ العِـــذَاب

إن تَفْخَـــرِ الأَنْهـــارُ بـــالأَنسَـــاب

فـــالنيـل مـن أبنْـــائك الأَنجَـــاب

مـلءُ الثُّغُـــور أنـــت والأكـــواب

بكـلِّ عـــذب بَـــاردٍ مُنْسَـــاب

كـــالشهـــد فى الأفـــواه والـــرُّضَـــاب (١)

مـــاؤُك سِـــرُّ النَّسْـل والإِخْصَـــاب

وواضـعُ البـــذور فـى الأَصْـــلاب

وأنـت ســـرُّ خُضـــرة الـــروابى

وثَمَـــرِ النخيـل والأَعْنَـــاب

أنـتَ عَمَـــرْتَ الأرضَ مـن يَبَـــاب

لـــولاك مـــا حَبَـــا عليهـــا حَـــابى

---

(١) الرضاب : الريق ، أو عسل النحل .

أو خلقَ الإنســـانُ مــن تُـــــرَاب

... ...

كـأنمــــا أنـت هنـــا أعــــرابى

خيـــــامُــــــه أرْبَتْ على الحِسَــــاب

منصـــوبـــةٌ ، مشـــدودةُ الأطْنَـــاب [(١)]

عـــالِيَـــةٌ ، مفتـــوحـــةُ الأبـــواب

ريُّ الظمــــاء ، مَطْعَـمُ السِّغـــاب [(٢)]

تجمـع بيـن : الصِّيــــد ، والأَوْشـــاب

بيـن رؤوس النـــاس ، والأذنـــاب

وَرَبْـــرَب الغِــــزْلان ، والـــذئاب

مـــا نَـمَّ نـــابـحٌ مـن الكـــلاَب

أو حـــاجب فظٌّ مـن الحُجَّـــاب

وأنـت جـــالسٌ على الأَعْتـــاب

مـن الـــرمــــال فـــارشٌ زَرَابــى [(٣)]

تَستقبـلُ الـــوفـــودَ بـــالتـــرحـــاب

طَلْـق المحيـــا واسـع الـــرحـــاب

ضخم الجفـــان، فـــاهـق الجـــوابى [(٤)]

... ...

والغِيـــدُ أسْـــرَابٌ إلى أســـراب

يَنْبُتْـن فـى شَطِّـك كـــالأَعشـــاب

---

(١) الأطناب : جمع طنب ـ بسكون النون وضمها ـ وهو : حبل تشد به الخيمة .

(٢) هو سغب وسغبان : أى جوعان ، والجمع : السغاب .

(٣) الزربية : الوسادة تبسط للجلوس عليها . وفى القرآن الكريم : « وزرابى مبثوثة » .

(٤) الجابية : القصعة الكبيرة ، والجمع : بالجوابى . فاهقة : مكتظة بالطعام .

إليـك يفـــــرغـن مـــن المخَـــــابـى

يَكَـــــدْن يَبْـــــدُون بـــــلا ثيـــاب

لَسـنَ بحـــاجــــة إلى اغتصــــاب

يــــابحـــر ، أين شُــرْطَــــةُ الآداب ؟

غيــــدُك قـــد أفْقَـــدْنَنِي صَــوَابـى

أهكـــــذا يلعبْـن بـــــالأَلْبــــاب ؟

هنــــا جمـــالٌ ليس بـــــالكَـــذَّاب

والبحــــر لا يجُـــورُ أو يُحَـــابـى

يــــذيـب كُحْـل العيـن والأهْـــداب

ومــــا علـى الأَوْجُــــه مـنْ خضَـــاب

أَضْــــوَعُ من مِسْكٍ ومـن مَـــلاَب (١)

ليُعــــرَف الـــزيفُ مـن اللبـــاب

مَـــلابِسُ البحـــر بـــلا « أرْواب » ،

حـــول الجســـوم الغَضَّــــة الإِهَـــاب ،

أخطـــرُ من نـــار على أحْطَـــاب !

كـم ذات جسم للنُّهـى ســـــلاَّب

يــرمُقُهــــا النـــاظـــر فى إعجــاب

بكـل طَـــــرْف نَهـمٍ نَهَّــــاب

يجْــرحُ مثـلُ مُــدْيَــــة القصَّـــاب

يـــا للجمـــال الصَّــائبِ المصَـــاب !

---

(١) الملاب : نوع من الطيب كالزعفران .

الحمـــــد لله خَلَت وطَـــابى [1]

مـن الهــــوى وعُطِّلَتْ ركَـــابى

مـــا عـــاد لى بين الحسَـــان سـابى

يــــذيقنى حـــلاوة العقَـــاب

ولا يطيـلُ فـى الهــــوى انْتحَـــابى

مـن كثــــرة الهجـــر والاجتنـــاب

مـــا أنـــا إن صَـــدَّ الحبيبُ عـابى

ولا ليــــوم الـــوَصْل فى ارتقـــاب

وَكيـف أغشى حَلبــــة التَّصَـــابى ،

ومـــا معى قـــوسى ولا نشـــابى ؟

كيـف أخـــوضُهـــا بسيـف نـــابى ؟

وفـــرَسِى بـــادى الهُـــزَال ، كـــابى ؟

مـــالى وللْكَـــواعب الأَتـــرَاب ؟

أيـن مَضَيْتَ أيـن يـــا شبـــابى ؟

قُبِّحْتَ يـــا أخـــدَعَ مـن ســـراب !

مـــا الحب غيـــرُ قَـــدَر غَـــلاَّب

وسبَـب العمـــــران والخَـــرَاب

عُـــذُوبـــة الحـب من العَـــذَاب

وشَهْـــــدُه مُخْتَلِـطٌ بصـــــاب

... ...

---

(1) الوطاب : جمع وطب ؛ وهو : سقاء اللبن ، وخلت وطابه من الهوى : فرغ منه .

يــا بحــرُ ، قــد أصبحتَ من أصحــابى

أكــاد أشتكى إليك مــا بى

كـأنمــا تَشفى مـن الأوصــاب

أو تَفهـمُ المقصــودَ مـن خطــابى

فــإن أقلْ تَهُمَّ بــالجــواب

يــا بحــر ، دقَّتْ ســاعــةُ الإيــاب

وهكــذا العمــرُ إلى ذَهَــاب

عمــرى لــو امتــدَّ إلى أعقــاب

قضيتُــه ، ومــا انقضت آرابى !

إن مت فــادفنــوا معى رغــابى

... ...

يــا بحــر، أنت ريبــة المــرتــاب

لكننــى فيــك أرى محــرابــى

دأبُك هــذا أبَــدا ، ودَابى

أغشــاك لــلأَجــر ، وللثــواب

غِشْيَــانَ عبــدٍ ، خــاشع ، أوَّاب

مُحَلِّق بفكــره ، جــوَّاب

فى المُلك مُلْك سيــد الأَربــاب

الشهْب ســربٌ فيــه من ذبــاب

والشمس عُــودٌ لاح من ثقــاب

والأرض تُـــــــــــرسٌ دار فــى دولاب

وأَنـت قَطْـــــرٌ ســـــال مـن لُعَــــــاب

جلَّ جـــلالُ الخـــالِق الـــوهَّــــاب !

مقــــدَّسِ الصفــــــات والأَلقــــــاب

كـم همســـــةٍ فصيحـــــة الإعْــــراب

للمـــــوج تُطْــــرِى اللهَ فى إسهــــــاب

تشـــــرح ســـرَّ الكـــون للطُّـــلَّاب !

يـــا بحــــر ، كم وصلْتَ مـن أسبـــاب

بينـى وبيـن الغـــــافـــــر التَّـــوَّاب

أنـت لكـلِّ مُلْحِـــــــدٍ وصـــــابى ،

إن تـــــاه فى مُفْتَـــــرَق الشِّعَــــــاب

يــــا خــــامس الأَربعـــة الأَقطـــــاب

فلسفة الحياة

زُفَّت الــدنيــا إليــه كَــاعبَــا　　منــذ أن سُــوِّىَ طفــلا ، بل جنينــا
مُعْــرِسٌ لم يكُ يــومــا خــاطبَــا　　أو أثــارت عــرْسُــه فيــه حنينــا

... ...

رُبَمــا بَتَّــهُ فى يَــوْمٍ هــواهــا　　بعــد أن شــبَّ عن الطــوق الغــلام
أو قَلَتْــه ذات يــوم ، وقــلاهــا　　مَــالِحُــبٍّ بيـن قلبيـن دوام !

... ...

لا ، لَعَمْرى ، لم يجد طعم الحياه　　مُحْتَسٍ من جامهـا المُتْرَع صـابا (١)
مـا رأتْ عينـاى ملــدوغـا سـواه　　هـام بـالحيَّـة نـابـاً ، ولُعَـابـا

... ...

كم عليل الجسم ، ذى طـرف كَليل　　يعشـقُ النــورَ ، وإن لـم يَــرَهُ
وشــريــدٍ فى الحيــاة ، ابنِ سبيل　　إن رأى طيـفَ الــرَّدى أنكــرهُ

... ...

حشــراتُ الأَرض من ألهمهــا　　جمعَ مـا تقتـات فى فصل الشتـاء ؟
وطيــورُ الجــوِّ من عَلَّمهــا　　كيف تبنـى عشَّهـا ؟ حبُّ البقـاءِ

... ...

طـابت الـزهـرة لـونـاً ، وعبيـرًا　　فهـوى الطيـر إليهـا بـالجنـاح
ومشى فـى دولــة النبت سفيــرا　　بين جنبيهـا بحبَّـات اللقـاح

... ...

ولحفظ النـوع ـــ لا أكثـرَ ـــ قَــدْ　　خلـع اللهُ على الأُنثـى الجمــالا
وبَــراهــا فـى بهــاءٍ وغَيَــدْ　　فإذا حـواءُ تستهـوى الرِّجـالا (٢)

---

(١) الجام : الكأس ، والصاب : عصارة شجر مر .

(٢) الغيد ـ بفتحتين ـ: النعومة .

ولأمـــرٍ وأدَ البنتَ أبـــوهـــا وأحسَّ العطـفَ نحـو الــولـــد
وتـــرى الهِـــرَّة إن ريعَ بنـــوهـــا دافعـت عنهم بعـــزم الأَســـدِ

... ...

ولأمـــرٍ مـــا تفيض العيـن دمعَـــا كُلَّمـا حلَّ بهـا ضيفٌ غـريب [1]
جَلَّ من أبـدع هـذا الجسمَ صُنعَـا ! كلُّ عضـــو خلفـــه كـفُّ طبيب !

... ...

وعجيـبٌ أمْـــرُ هـــذا الهيكـل وهْـوَ يـومـا شـاربٌ كأسَ الحمَـام
كيف يـــرميــه بـــداءٍ معْضِلٍ منْ حمـاه من تباريح السَّقَـام ؟ !

... ...

مـا أتينـا هـذه الـدنيـا اختيـارا لا ، ولا منهـا خـرجنـا طـائعين
مِعْصَم قُلِّـــدَ بـــالـــرغـم سِـوَارا وعلى الـــرغـم قَضَـــاهُ بعــد حين

... ...

وعجيب أمـــرُ أحيـــاءِ البحـــار وهْيَ تغـــزو بسيـاطٍ وحِـــراب [2]
أَفَتحْتَ المـــاء غـــزْوٌ وانتصـــار كـــالـــذى نعهـدُه فـوق التـراب ؟

... ...

آكـلاتُ اللَّحم فى جوف الصحـارى بم تقتـاتُ ؟ أيقضى الليث جـوعـا ؟
أُعـذُرِ الـوحش إذا مـا الـوحشُ حـارا فهْـو لـم يسمَعْ بِطَـه أو يَسُـــوعـــا

... ...

وإذا نحن عـذرنـا الـوحش عـذرًا فلعمـــرى ، أىُّ عـــذر للبشـــرْ ؟
إن تحقَّقْ دولـــةٌ عِـــزًّا ونصـــرًا فعلـى أنقـــاض دُولات أُخَـــرْ

---

(١) فى العين غدد خاصة تفرز الدمع ، إن دخلها جسم غريب ؛ لتطرد هذا الجسم .

(٢) فى معهد الأحياء المائية نوع من السمك يسمى : « أبا حربة » ؛ مزود بحربـة قوية يدافع بها عن نفسه ، وفيه نوع آخر يسمى : « أبا كرباج » ؛ مزود بسوط قوى كالذى يتخذ من جلود الفيلة .

عـالَمٌ يطلب بـالمـوت الحيـاه ... بعضُـه يحيـا على أشـلاءِ بَعْضِ
يقفُ المـرءِ على رأْس سِـواه ... كلمـا ضـاقَتْ بـه صفحـةُ أرْضٍ !

... ...

ليس نقلُ الـدمِ من شغـل الطبيب ... وحـده ينقلـه كل الأَنـام
كم دمٍ يجـرى بشـريـان غـريب ... تـارةً فـوضى ، وطـورًا فى نظـام

... ...

وعجبنـا من تصـاريف القـدَرْ ... وَهْـوَ حَتْمٌ ليس منـه مَهْـرَبُ
هـرَمٌ يبقـى ، وطفـل يُحْتَضَـرْ ... وعَـوانٌ ـ دون بكـرٍ ـ تُخْطَبُ

... ...

وغنـىٌّ مـالُـه أسعـدهُ ... وغَنِىٌّ صـار بـالمـال شقيَّـا
وفقيـرٌ فقـره أفسـدهُ ... وفقيـرٌ صـار فَـذًّا عبقـريًّـا

... ...

وبحثنـا عن ملـذَّات الحيـاه ... فـوجـدْنَـاهـا على غيـر قيـاسْ
سـاكنُ الكـوخ غـريـقٌ فى كـرَاه ... ونـزيلُ القصـر يَجْفُـوه النُّعَـاسْ

... ...

وأرى لله تـدبيـرًا خفيـا ... ونظـامـا عبقـريًّـا فى العطـاء
خَلقَ النـاس ، فقيـرًا ، وغنيًّـا ... ومتـاعُ الكلِّ فى الـدنيـا سـواء

... ...

ربمـا أتعبـت الـدنيـا أجيـرا ... كلمـا فكـرفى رقَّـة حـالـهْ
فـإذا مـا صـار فى يـوم أميـرا ... ودَّ لَـوْ عـاد إلى راحـة بـالـهْ

... ...

ربمـا يحسـد إنسـانـا سـواهْ ... حـاسـد لم يـدر مـا خلف القنَـاع
يعـرف الإنسـان فى الـدنيـا أسـاهْ ... ومـآسى الغيـر سـرٌّ لا يُـذَاع

... ...

وسـؤال عجـزت عنـه الفِطنْ : ... هـذه الأحيـاءُ مَـنْ آبـاؤُهـا ؟
قـد عـرفنـا آدمَ النـاسِ ، فَمَنْ ... آدمُ الطيـر ؟ ومَنْ حـواؤُهـا ؟

... ...

هل وجدتم فى السموات أناسا — يا غزاةَ الجوِّ ، يا رُسْلَ الفضاء ؟
أقْرِءوهم من بنى الأرض سلاماً — وعِدُوهُمْ — بعد حينٍ — باللقاءِ

... ...

أَلَنَا فى الأفْقِ إخوان وأهلُ ؟ — مَالَهُمْ لا يَصِلُونَ الرَّحِمَا ؟ !
ما لنا فى الجوِّ نعلُو ، ثم نعلُو — ثم لا نبصرُ فيه نَسَمَا ؟

... ...

لكأنى بالسموات العُلاَ — باسمات الثغر من صنع البشرْ
ابحثوا — من أين جئتم — أولا — ثم والوا البحث عن أهل القمرْ

... ...

أيها المُنْعمُ فى الكون النظرْ — تَعِبَ الباحث من قبلك فيهْ
هو كالبحر ، فخذ منه الحذَرْ — من يجوبُ البَحْرَ أخْلِقْ أن يتوهْ !

... ...

أيها العلمُ ، املأ الدنيا اختراعَا — اِخرِقِ الأرضَ ، وحلِّق فى السماءِ
أنت لم تقطع من الشوطِ ذراعَا — أين لُجُّ البحر من قَطْرةِ ماءِ ؟

... ...

ما احتيال العقلِ فى تلك الأَحاجى ؟ — رَبِّ ، قد آتَيْتَنى ذِهْناً كلِيلا
كلما أمعن عقلى فى اللَّجَاجِ — قلت : « أوتينا من العلم قليلا »

... ...

مَلَكوتٌ كلما فكرتُ فيه — زدتُ إيمانا بعجزى ، ويقينا
وإذا مازاد بى شكِّى ، وتيهى — قلت : حَسْبى أن لى ربًّا ، ودينا

صورة شمسية

تلك السمـــاءُ ، وذاك سَطْحُ المَــاءِ

كلٌّ بـــدا فى الحُلّــةِ الـــزَّرْقَـــاءِ

والشمسُ بـاسِطَــةُ الشُّعَـاع ، تخَـالُهـا

فى الأُفْـقِ بـــاديـــةً ، وفى الـــدَأْمَـــاءِ

لـــولا اضطـرابُ المـاءِ فى الـدأْمَـاءِ ، لَمْ

نَعْـــرِفْ ذُكَـاءً مِـنْ شُعَـاع ذُكـــاءِ [1]

---

(١) الدأماء : البحر . وذكاء : الشمس .

وجدانيات

مشاعر الآبـاء !

هُمْ جميعًـا فى الحبِّ عندى سواءُ
لا امتيــازٌ كــلاّ ، ولا استثنــاءُ

عِقْـدهم كلُّ حبَّـة فيـه ـــ مهمـا
كثُـــر الحبُّ ـــ دُرَّةٌ عصمــاءُ

ليس عنـــدى وسيمُهم بــأَثيــرٍ
لا ، ولا مَيِّــز الـذكِـىَّ الـذكـاءُ

وعيــون الآبــاءِ حَــوْلاءُ ؛ فيهــا
يستــوى الخــاملــون والنُّبَهَــاءُ

غيــرَ أن الصغيــر منهم أثِيــرٌ
وأَثيــرٌ من بــات يَعْــرُوه داءُ

وأثيــرٌ من بــات عنِّى بعيــدًا
وكثيــرٌ أولادىَ الغــربــاءُ

أنـا فيهم أرى استقــامـة ظهـرى
من جَـديـد إن آد ظهـرِى انْحنـاءُ

لستُ أدرى : بنيتُهـم ، أم بَنَـوْنى
أم من الجــانِبَيْـن كــان البنــاءُ ؟

لستُ أدرى : أمِنْ حُشَـاشـة قلبى
قِطعٌ هـــؤلاء ، أَم أبنـــاءُ ؟

أبـــدًا مـــا أُحسُّ جِسْمِىَ إلاَّ
أنهمْ فـى كِيَـانـــه أعْضـــاءُ

من شَغَافِ القلوب ، مـن حَدَق الأَعْـ (م) ـيُن صيغ الحَرْفان : هَمْزٌ ، وَبَـاءُ

* * * *

عـاطفٌ ، عـادلٌ ، عــزيـزٌ ، وعزمى
عِصْمَـةٌ ، عـاصـمٌ ، عِمَـادٌ ، عـلاءُ

مــا عــرفت الحنــان والحبَّ إلاَّ
يـوم جـاءُوا ، أنْعِمْ بهم يـوم جـاءُوا !

لست أبغى منهم على العطف أَجْرًا
لهم الحُسْنى ، أحسنــوا أَم أَسـاءُوا

وذنــوب الأَبنــاء للصَّفح والغُفْــ (م) ــران ؛ مهمـا جَنـوْا فهم أبريـاءُ

وعيــوب الأبنــاء غيــرُ عيــوبٍ
مُقْلــةُ الحبِّ مقلــةٌ عميــاءُ

القَمِىءُ الكَظيمُ عنـــد أبيـــه
فــارعُ الطُّــول ، عينُـه حَــوْراءُ

رُبَّ شَـوْهَـاءَ لا تــرى الأُمُّ فيهــا
غيــرَ حسنــاءَ لم تَلِـدْهـا النسـاءُ

إنَّ عَطْفى لهم دِثــــار إذا مــــا كَلِبَ البـــردُ ، واستبـــدَّ الشتـــاءُ

وإذا مسَّتْهـمْ حـــــرارة صيفٍ فحنـــانى النَّسيـمُ ، والأَنْـــدَاءُ

وإذا شَحَّ الـــزادُ، والمــاءُ يــومًا فلهمْ مِـنْ هَـــوَاىَ : زادٌ ، ومـــاءُ

ورضـــائى عنهم بغيـــر حـــدود ولقـــد ينفـع البنينَ الـــرضـــاءُ

لم يــدَعْ حبُّهم مكـــانًـــا لحبٍّ فى فـــؤادى تحتلُّـــه حسنـــاءُ

مـــا تمنيت أن يكـــون لحىٍّ غيْـرِ نجلى فـوق ارتقـائى ارتقـاءُ

* * * *

إن تنَلْهُم ســرَّاءُ، هـــزَّت كِيـانى من بعيـــدٍ بخمـــرهـــا السَّـرَّاءُ

أو يُصـابـوا ــ ولا أُصيبـوا ــ فَإنِّى من قـــريب لمن أُصيبَ الفـداءُ

أنـا أخشى عليهمُ الشَّوْكَ فى الـور (م) دة ، والـــذَّرَّ إذ يَهُبُّ الهـــواءُ

غيـــر أنـى أَرُوضُهمْ أن يُعَـــانـــوا عَنَتَ العيش ؛ فـالحيـاةُ عَنَـاءُ

لا ، لعمـرى، مـا كـلُّ عيشٍ نَعِيمٌ هـــو ضَنْكٌ حِينًـــا، وحينًـا رَخـاءُ

لا ، لعمـرى ، مـا كـل ريحٍ نسيمٌ إنمـا الـريـحُ : زَعْـزَعُ ، وَرُخَـاءُ

كم تَمَنَّيْتُ أن تكـــون الليـــالى لصغَـــارى كمـا تكـون الإِمَـاءُ

ويكــونُ النَّجــاحُ حِلْفًـا لهـمْ فى كلِّ خطـــو ، وهُمْ لـــهُ حلفـــاءُ

ليتنى أسقيهِـمْ تجــاربَ عُمْـــرى فى إنَــاء! وأيـن هـــذا الإنـــاءُ ؟

أو أُذيبُ العلـــومَ فى كـأسِ مـاءٍ وأقـول : اشـربـوا، هنَّـا ، وشِفـاءُ

ليتنـــا كُلَّمـــا نُسَمِّى وليـــدا وَهْـو فى المَهْـد تَصْدُق الأسماءُ !

ليتنـــا نُـــورثُ البنينَ مـن الفِطْ (م) ـــنَةِ ، والنُّبْل ، والنُّهَى مـا نشـاءُ !

* * * *

أنـــا أرجـــو ألاَّ يخيبَ لَهُمْ مَسْـــ (م) ـــعىً ، وألاَّ يطيشَ فيهم رجـــاءُ

كم سَـأَلْتُ السَّمــاءُ عَطْفًـا عليهم ليت شِعْرى : هل تستجيب السماءُ ؟

ودعـــاءُ الآبـــاء أثْمَنُ كنــزٍ حينمـــا يُخْطِئُ البنينَ الثَّـــراءُ
ليس كـلُّ التُّــراثِ بَيْتًــا وحقْــلاً خيـر مـا وُرِّث البَنُــون الـدعـاءُ
أنـــا من أجْلهم أُريــدُ حيــاةً تَغْمُـر الكـونَ ليس فيهـا شقـاءُ
لم يَشِنْهَــا على المتــاع صِـرَاعٌ أو تُشَــوِّهُ جمــالَهــا الشحنــاءُ
ليس فيهــا داءٌ يُخَـامِـرُ جسمـا سـاغَ ، أو مَـرَّ فى الحُلُـوق الـدواءُ
لم يكـدِّرْ صفـاءَهــا ثُكْل أُمٍّ ليس فيهـا على عـزيـز بكـاءُ

تضحيـــاتُ الآبــاءِ شَتَّى ، ولكن بَسْمَـــةٌ من طفلٍ عليهـــا جَـزَاءُ
لَثَغَـاتُ الصغيـر ــ إن حَـاوَل النط (م) ـقَ ــ نَشيـدٌ مـوقَّعٌ ، وأداءُ
وصيـاحُ الأطفـال ــ والأَبُ غـافٍ ــ نَغَمَـــاتٌ شجيَّـــة وغنَـــاءُ
وخطـابٌ يـأْتيك من نجلك الثَّـا نى قميصٌ جـاءَت بـه البُشَـراءُ
يُكْسِبُ المـرءَ فى الحيـاةِ سُـرُورًا بل غُـــرُورًا أَبنـــاؤُه النُّجبَـــاءُ
واهمٌ من يقـول : لـى بعـد أُمى وأبى مُخْلِصــون ، أو أَصْفِيَــاءُ
أصـدقُ الأَصـدقـاء فى هـذه الدُّنْـ (م) ـيا همُ الأُمَّهــات والآبـــاءُ
وســواءٌ فـى ذلـك الحبِّ : حىٌّ نـــاطقٌ ، أو بَهيمَـــةٌ عَجْمَـــاءُ
هِـــرَّةُ البيت إن يَطُـفْ بِبَنِيهـــا طـــائِفُ السُّـــوءِ حَيَّـــةٌ رَقْطَـــاءُ
ذاك ســرُّ البقـاء ، لـولا حنان الـ (م) أَبِ والأَمِّ مــا تسنَّى البقـــاءُ
ولأَمــرٍ مَـــا يخلُفُ ابنٌ أَبــاه كى تـــدومَ الحيـــاةُ والأحيـــاءُ

ظلع وشيب ! [1]

وأَصبـرُ فى الحيـاة على هُمُـوم تَضيـقُ ببعضهـا ذرْعُ الحليـم
طـريقىَ كلُّـه صخـرٌ ، وإنى لأَعثـر بـالحصـاة على الأديم [2]
وكـم خِـلٍّ حميـم لـم أزُرهُ وبى شـوقٌ إلى الخِلِّ الحميـم
ولـوْ أنّى استطعت وَصَلْتُ أهْلى وصحبى ، بل سَعَيْتُ إلى خُصُومى
أَلَمْ تـرَنى أخـا ظَلْعٍ إذا مـا مشيتُ ، وكنت أعدى من ظَلِيم ؟ [3]
كأَنّى من أسَـاىَ على شبـابى أُمثِّل مِشْيَـةَ الطفـل الفطِيـم
حملت عصـاى مُتّكَـأً ، وكـانت لمحْضِ الزّهْـوِ فى الزمن القـديم
ومـا كـانت لتَجبُـرَ ضعفَ سـاقى ولـو كـانت عصـا مـوسى الكَلِيم
وهل تُغْنِى عصًـا من عُـود نَبْعٍ إذا مـا السّـاقُ كانت من هَشِيم ؟
ورُبَّ مُجَـامل لى عِنْـد سَيْـرِى أُحسُّ بطعنــه لىَ فى الصميم
وآنَـفُ أن يَمُـدَّ إلَىَّ حُـرٌّ يَـدًا ، وأضِيقُ بـالقلب الـرحيم !
وأفـزع حين تُبْـدِلُنى حَنـانًـا بحبِّ ربَّـةُ الـوجـه الـوسيم
وأسمع ـ إن دَعَتْنِى الغِيـدُ عَمًّـا ـ هـزيمَ الرّعْـدِ فى الصوت الرخيم

* * * *

فإن تَـكُ سَـاقِىَ اعتلَّتْ ، فمـا إن مَشتْ إلا على نَهْج قـويم
وحَسْبى أَنَّ سـاقىَ وَهْىَ تشكـو سَعَت بى بين زَمْـزَمَ والحَطيم
وحسبى أن يصيبَ الـدَّاءُ جسمى وتَسْلَمَ منـه أخـلاقى وَخِيمى [4]

---

(١) الظلع ـ بفتح الظاء وسكون اللام ـ: الضعف .

(٢) الأديم : ظهر الأرض .

(٣) الظليم : ذكر النعام .

(٤) الخيم ـ بكسر الخاء ـ : السجية ، والطبيعة ، والأصل .

وَإِنْ تقصر خُطَـاىَ ، فـرُبَّ خطْـوٍ قصيـــرٍ نـمَّ عن خُلُـق كـــريـم

أمـــا يمشـى عبـادُ الله هَـــوْنًـا كمـا فى آيـة الـذِّكْـرِ الحكيم ؟ (١)

أمـــا تَغْـدُو الأرانبُ والهُـــوَيْنَـا تُمَثِّلُ مِشْيَــةَالأسـد الشتيم ؟

وليس العيـبُ فى ســاقـى ورُسْغى لعمـــرُ أبيك ، بل شَيْبِى غَـريمى

إذا مـا الـرأْسُ شـاب ، فكلُّ طبٍّ يضـاعِفُ علَّـة العضـو السَّقيم

تـزيـد مفاصلى الإِبَرُ التهـابـا كـأنَّ المصلَ يُصْنَع من سمـــوم

وقـالـوا : الشيب حَـزْمٌ ، قلت : كـلاَّ سليمُ العقـل فـى الجسم السليم

ومن شَغَفِى بلـــون سَـوَاد شَعْـرِى أَلِفْتُ السُّهـــد فـى الليل البهيـم

ولـم أر مثـل داءِ الشَّيْـب أعْيــا أُنـاســا يَصعَـدون إلى النجــوم

يئستُ مـن الـــوَرَى ، وَوَثِقْـتُ فيمن يُعيــدُ الـرُّوحَ فـى العظم الـرَّمِيم

* * * *

قضيت العمــر أَمْقُتُ كـلَّ ضعفٍ فكيف مُنيتُ بـالضعف المُقِيم ؟ !

كفـــانى أَنَّنى قـــد عشتُ حتى سمعتُ هَـزِيجَ غِـرْبـان ، وبـوم

وأنى صِـرتُ مطمعَ كلِّ عَـــادٍ قليلِ الحَـــوْلِ ذى خـــدٍّ لطيم

وليس يـرى الكـريـمُ أشـدَّ وقعـا عليـــهِ من معـــاداة اللئيم

وإنَّ الحــرَّ تـأبَى نَعْلُـــه أنْ تصـافحُ هـامـةَ العبد الـزنيم (٢)

فـــلا يُنكِـرْ أَخـلائى سُكُـوتى ولا يعجبْ خصـومى مـن وجـومى

وأقبحُ مـــا تــراه العين خَلْـقٌ دميـمٌ نَـمَّ عـن خُلُـقٍ ذميـم

وسِـــرْحـانٌ يقلِّـدُ ليْث غـابٍ وقِـــرْدٌ يـــدَّعى لَفَتَـــاتِ ريم

وذُو قَلَـمٍ تجِلُّ الفَــأْسُ عَنْــهُ يفـاخـرُ بـالنَّثِيـر وبـالنَّظيم

---

(١) قوله تعالى - فى سورة الفرقان -: « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا » .

(٢) الزنيم : الدعى .

وبعض النـــاس ذُو وَجْـــهٍ صَفِيقٍ ينـــافس بَـــرْدهُ بَـــرْدَ الحُسُـــوم

وبعض النـاسِ عنـد الـرَّجْمِ أولى بِــــهِ مـن كل شَيْطَـــان رجيم

❊ ❊ ❊ ❊

أقِيمِى ،أوْ فَـرِيمِـى ، يَـا حَيـاتى سـواءٌ : أَنْ تُقيمى، أو تَـرِيمى [(١)]

إذا مــا عِشْتِ فى جِيل جـديــد فإنَّـكِ فيــــه أشْبَـــهُ بـــاليتيم

وحسبكِ أن تَـرَىْ حَـدَثًـا غَـريـرًا إليك بنظـــرة شـــزْراءَ يُـــومى [(٢)]

إذا شـابَتْ نـواصى اللَّيْثِ ، هَمَّتْ فـــريسَتُـــه عليـــهِ بـالهُجـــوم

قَلَيْنَـا المـوت ــ وهْـو على قِـلاَنـا لـــه يشفـى من الـــدَّاءِ العَقِيم [(٣)]

إذا مــا الطِّـبُّ أفلس، كــان طِبًّــا لِمَـا استعصى عليــه من الكُلُـوم [(٤)]

لعمـرك، قــد يكـون المـوت أحْنَى علـى الأَحيــــــاء مـن أُمٍّ رءُوم

ولم أر مثـلَ طيف المـوتِ ضيفًــا يُلِمُّ بســاحــة الحُــرِّ المَضِيم [(٥)]

---

(١) ريمى : ابعدى .

(٢) نظر شزرا : نظر غضباً واحتقارا بمؤخر عينه ، يومى : يشير .

(٣) قلينا : هجرنا .

(٤) الكلوم : جمع كلم ؛ وهو: الجرح .

(٥) المضيم - بفتح الميم- : المظلوم .

حنين إلى الماضي

لعمرك ، ما صارت رسوما بواليا ... ولكن بلينا نحن ، وَهْى كما هيا

مَغَانٍ سقيناهُنَّ ماءَ شبابنا ... وأسْقَيْنَنَا نَبْعًا من العلم صافيا

وما برحت شمَّاءَ ، شامخةَ الذرا ... فهل ثَمَّ أشياخى بها ولِدَاتِيا ؟

تكاد لذكراها تذوبُ حُشاشَتى ... ويطفرُ من بين الضلوع فؤاديا !

سلامٌ عليها فى « مليجَ » مثابةً ... حفظْتُ بها السبعَ القِصار المثانيا

سلام على طنطا ، ومعهدِها الذى ... نَظَمْتُ به قبل البلوغ القوافيا

سلامٌ على دار القضاء ، وأهلها ... وربعٍ من العِرْفان أصبح خاويا

لقد وأدوها مُنْذ خمسين حِجَّة ... ومـا زال قلبى غائرَ الجُرْح داميا

سلام على دار العلوم ، وعهدِها ... وهيهات هذا العهدُ يرجع ثانيا !

مغان غرفتُ العِلْمَ من غرفاتها ... وأوْدَعْتُ فيها بضعةً من شبابيا

أروح إليها كلَّ يومٍ ، وأغْتَدى ... إلى العلم عطشانا ، من العلم رَاويا

وهَمِّى من الدنيا : كتابى ، ومِرْقَمِى ... خليلىَّ ، رُدًّا مِرْقمى ، وكتابيا

إذِ العيشُ صَفْوٌ ، والحياة رخِيَّة ... كأنَّا بدنيانا أمِنَّا اللياليا

تُزَيِّن دنيانا أمانٍ عريضةٌ ... فما أجملَ الدنيا ، وأَحْلى الأمانيا ! !

وإذْ نتبارى فى القريض ونَظْمِهِ ... ونفتَنُّ فيه بنْيَةً ، ومعانيا

نُدَبِّجُه طوْرًا رصينًا مهذَّبًا ... وطورا دُعَابَات ، وطورا أهَاجِيا

وننظمه أُنشودةً وطنيةً ... تحمِّس رِغدِيدًا ، وتُوقِظُ غافيا

وننشده للمخلصين مدائحاً ... وللزُّعماء الراحلين مَرَاثِيا

وكان لنا ـ إذْ نحن عُزْلٌ ـ ذخيرةً ... نصُدُّ بها الجيشَ الذى جاء غازيا

ونارا على المحتلِّ يَصْلَى أُوارَها ... وسَيْفًا على رأسِ الخوَارج ماضيا

زمانٌ تقضَّى فى مِرَاحٍ ، وفى دَدٍ ... فهل كنتُ فيه ناعم البال راضيا ؟ (١)

لقد كنت أشكو فيه من غير علَّة ... فأصبحت من علاَّتِى اليومَ شاكيا !

تشَكَّى زهير من ثمانين حِجَّةً ... وإنى لأشكو مذْ بلغتُ ثَمَانِيَا !

وأقسم ، لوْ أنى رُدِدْتُ إلى الصبا ... لما كان نوْحى فيه إلاَّ أغانيا

بكينا بِدَمْعِ العين أزْمِنَةً مَضَت ... وكانت مزاياها لدينا مَسَاوِيا

وما طيبَ عيشٌ ليس يَشْعُرُ أهلُهُ ... بلذَّتِه إلا إذا صار ماضيا ؟

أرى صُوَرَ الماضى تفزِّعنى إذا ... هَجَعْتُ ، وتغزونى إذا كنتُ صاحيا

فياليتنى أحيا ليَوْمِىَ وحدَهُ ... وليت لأمسى من حياتِىَ مَاحِيا !

وما سرنى من أمس عند ادكاره ... أدَرَّ لدمع العين مِما شجانيا !

فَلاَ تَقْلبَا لى من حياتِىَ صفحَةً ... وإن كُتبتْ بالمِسْكِ أذْفَرَ ذاكيا (٢)

ويتعب فى دنياه من دقَّ حسُّهُ ... وأُوتِى ذِهْنًا للحوادث واعيا

وأين لِداتى اليومَ ؟ هل رَمَتِ النَّوى ... بهم فى أقاصى المَشْرِقَيْن المراميا ؟

وهل أصبحوا فى كل شرقٍ ومغربٍ ... يُعانُون ما أصبحتُ منه مُعَانِيا ؟

يعانون فَوْدًا أبيضَ الشَّعر ، ناصعًا ... به صار وجهُ العيش أسْحَمَ دَاجِيا؟

سلامٌ على من عاش منْهُمْ ، ورَحْمَةٌ ... على من غدا فى ظلمة القبر ثَاويا !

على كلِّ قبرٍ من قُبور أحبَّتى ... سَحَابٌ من الغُفْران ينسابُ هَامِيا

خليلىَّ ، مَنْ لى كل يومٍ بوقفة ... على كل قبر حَاسِرَ الرأس جَاثِيا ؟

وهل فى وقوفى ما يخفِّفُ لَوْعَتى ... عليهم؟ وهل دمعى يُهَوِّنُ ما بيا ؟

وكيف بقائى بعد صحبى وبعدما ... تجلَّل رأسى الشيبَ ؟ كيف بقائيا ؟

وكيف بقائى وانكفائى على العَصَا ... يذكِّرنى بالموت إن كنت ناسيا ؟

---

(١) الدد : اللهو واللعب .

(٢) المسك الأذفر : شديد الرائحة .

مَشَيْتُ على الأَرض الهوَينَا ، كأنما ... أبى لى وَقارى أن يَرانِىَ عاديا
وما بى لعمرى من وقار ؛ وإنما ... هو العجز لولاه سَبَقت خياليا
وعزَّزتُ ساقىَّ اللتين تراختَا ... بثالثة لم تجْرِ فيها دمائيا
إذا ما اشتكت لم تشكُ حُمَّى جوَارِحى ... ولم أُعطها مَصْلاً من الدَّاءِ واقيا
وأين صنيعُ الله من فرع دَوْحَةٍ ... حَوَتْهُ يَمِينى فاقدَ الحِسِّ ذاويا ؟
ألاَ رُبَّ يومٍ فيه قد كان وَارِفًا ... وكان دقيق الحس، أخضر نامِيا
خليلىَّ ، أعيا الخطوُ ساقى، فَحَطِّما ... عصاى ، ورُدَّا لِى صلابةَ ساقِيا
سَلاَ مَنْ إلى الأفلاك حَثُّوا رحَالهم : ... ألم يجدوا من علَّةِ الساق شافيا ؟
ألم يجدوا للشَّيْبِ مصلا يُزيلُه ؟ ... ألم يجدوا منه طَبيباً مُدَاويا ؟
إذا عجزوا فى الأرض عن كشف ضُرِّها ... ففيم يجوبون النجوم الدَّرَارِيا ؟
وكيف ادعاءُ المرءِ للعلم والحِجَا ... وشرُّ حياة المرء ما زال خافيا ؟ (١)

❊ ❊ ❊ ❊

لعمرك، ما أضفى علىَّ سعادةً ... يَسَارِى ، ولا أزْرَى افتقارى بحاليا
تفرَّقنا الدنيا : يَسَارا ، وفَاقَةً ... ونقتسم اللَّذَّاتِ فيها سواسيا
وَرُبَّ أميرٍ وَدَّ لو كان سُوقَةً ... وذى جِدَةٍ قد بات يَغْبِط عافيا
ومطربة تشجى الجموعَ بصوتها ... وقد حَمَلَتْ بين الضلوع مآسيا
وتحسدها بين الخُدُورِ حَرَائِرٌ ... وتحسد فى بعض الخدُور الجوار يا

❊ ❊ ❊ ❊

تصَفَّحْتُ أيامى فلم تَرَ مقلتى ... بمُعْجَمِهَا سَطْرًا بقدرىَ زاويا
فلستُ أُبالى عَادِىَ الموت بعدما ... حَيِيتُ عيوفَ النفس، للضيْم آبيا

---

(١) فى هذه التساؤلات : يتضح أمل الشاعر من تقدم العلم ، وأن عليه أن يكفل الراحة والأمن للإنسان على الأرض .

تـرفَّعـتُ عن أشيـاءَ ليسـت تَشِينُنِى ... وأعلم أنِّـى قـد أكـون مُغَـاليـا

ومـا ضـرَّنى أن ألْبَسَ الثَّـوْبَ بـاليـا ... إذا كـان من عيبٍ يُـدَنِّسُ خـاليـا ؟

إذا مـلأ الحِقْـدُ الصـدُورَ ، فإنَّنى ... لأحملُـهُ صـدرًا من الحقـد صـافيـا

ومـا أنـا والحقـدُ الـدَّفينُ أُكِنُّـه ... بصدرى ؟ و إنِّى مـا عرفت الأعـاديا

تسَـامُحُ نفسى لم يَـدَعْ لى شـانِئًـا ... وإن زاده هـذا السَّمَـاحُ تمـاديـا

ولم أتَسَـامَحْ عن صَغَـار ؛ وإنمـا ... يسـامح مثلى كبْـرَةً وتعـاليـا

وأُعْـرِضُ عَمَّن لا أَوَدُّ لقـاءَه ... ولا يبلغ الأعـراض عنـه التَّقَـالِيـا

وَزَهَّـدَنِى فى كِسْـرَة الخبـز : أننى ... وَجَدتُ صِراعًـا حـولها ، وتفـانيـا

ومن كلب الـدنيـا على كلب الغنى ... تَمَنَّيْتُ لـو أقضى حَيَـاتىَ طـاويـا

❊ ❊ ❊

خليلىَّ ، حَتَّـام التعلل بـالمنى ؟ ... دَعَـانِى ؛ فإنِّى قـدْ عـرفت مكـانيـا

كفـانى من الإنْجَـاح مـا قـد أصبتُـه ... ومن فَشَلٍ مـا كنت فيـه مـلاقيـا

وكيف طمـوحى بعد أن شابَ مَفـرِقى ... بحسبِىَ من دنيـاىَ : زَادِى ، ومَـائِيَـا

ومضمـون قـولى : أَسأَل الله قـربـة ... وعفـوا أرجِّيـه ليـوم حسـابيـا

عَـرَفْت حيـاتى : بؤسَهـا ونَعِيمَهـا ... فياليت شِعْـرِى : بعدها مـا ورائيا ؟

ويا ليت شعـرى - يوم تدنـو مَنِيَّتى - : ... أيُحْسِنُ قبـرى ، أم يُسِىءُ لقـائيـا ؟

خليلىَّ ، إنـى لا أبَـرِّىءُ سـاحتى ... أأزعم أنِّى مـا اقْتَـرَفْت معـاصيـا ؟

فـلا تـدفنـا ذنبى بقبـرىَ ، وادفنـا ... صـلاتى مَعِى فى جَـوْفِه ، وصيـاميـا

فإن تــدفنـا ذنبى معى ، فلـرُّبمـا ... عفـا الله عمّن كـان للعَفْـو راجيـا

ويأسُك من عفو السماءِ خطيئةٌ أشد من الذنب الذى كنتَ جانِيا

أَأَيْئَسُ من عفو السماءِ، وربَّما وجدت على الأرض ابن حَوَّاءَ عافيا

لعلَّ إلٰه العرش يَقْبَلُ توبتى ويسمع فى البيت الحرام دعائيا

أَهَبْت به ـ إذ لُذْتُ بالرُّكن ـ قائلاً : حَنَانَيْك مَدْعُوًّا، ولَبَّيْك داعيا !

وأسْبَلتُ عند الستر غَرْبَ مَدَامِعى وما كان دمعى فى الحوادث جاريا !

وما كُنْتُ ـ لولا صَالِحٌ ـ مُتَمَتِّعا ولا طائِفًا بالبيت سَبْعًا، وساعيا

جَزى الله عنى صالحا، وكفى به مُثِيبًا على حُسْن الصَّنيع، مُجَازيا !

أشيع أصحابى

أُشَيِّعُ مَـن حـــانـتْ مَنِيَّتُـــه قبلى   وفـــاءً لـــهُ، لا لـــلأقـــارب والأهْل
يقولـون: مَنْ هذا ؟ وأعـرف فضل مَنْ   بـأَعواده سـارُوا ، ويعـرفُ لى فضلى
وكم من عـزيـــز مـا استطعت وداعـه   أحَاوِلُ أن أسعى ؛ فتخـذلنى رِجْلى !
يشيِّعُـــه : قلبى ، ولبى ، وخـاطـــرى   إلى القبر إن لم تَقْوَ ساقى على حَمْلى
ويـارب مُلْتَـاع علـى المَيْت مـا سَعَى   إليـه ، وسـاعٍ لم يَذُقْ لـوْعَـة الثُّكل !
ومـــا أبتغى ــ إن حـــان حَيْنىَ ــ زَفَّـةً   بِحَسْبِى من السـاعين مَنْ كُلِّفـوا نقلى
لقـــد عشت لا أُغْنَى بطبـل يُـدَقُّ لى   فما حاجتى بعد الممات إلى طبْل ؟ !
إذا كنتُ مقبـولا ، فمـا بِـىَ حـاجـة   إلى كثـرة الأفْـواج أو زَحْمَـة الحَفْل
وإن كـانت الأُخرى ، فليس بِنَـافِعى   وفـودٌ من السـاعين فى عَـدَدِ الـرمل
وأَعْلَـمُ أن الله ليس بِخَـــاذلـى   فلِلَّـــه فضـلٌ لا يحيط بـــهِ عَقْلى
جِبَـالُ ذنـوبى ـــ حين أَذْكُـر عفـوَه   ورحمتَـه الكبـرى ـــ أدَقُّ من النَّمْل !

* * * *

ألا ليت شعْـرى : هل تُلاحقُنى غـدا   متـاعـبُ ألقـاهـا على كَتِفى نَسلى ؟
سَيعْلَمُ أهلى ــ بعد فَقْـدى ـ مكـانتى   فتبكى دَما عِرْسِى ، ويبكى دَمًا نَجْلى!
إذا ولـــدى نـاءُوا بـــأَعْبـاءَ نسْلِهِمْ   دَرَى ولـــدى كم حَمَّلـونىَ من ثقلى
وأُقْسِمُ لـم أرهقْ أبى فـى حيـــاتـــه   ولا سَهِـرَتْ أُمِّـى الليـالىَ مـن أجلى

حمائم الحرم

أوحت بهذه القصيدة رؤية الحسان المتنسكات فى الحرم الشريف .

حيِّ حمـــائمَ الحـــرَمْ ‏ ‏ ‏ ‏ بـــالبيت ســـرْبُهـــا اعتصمْ
سِـــرْبٌ من الآرام مـــا ‏ ‏ ‏ ‏ حـــواه بـــانٌ أو عَلَـم [1]
من كـل خَــوْد كَسَنَـا الصْــ (م) ــبح إذا الصبـحُ ابتسم
حَسْنَـــاءُ ، إلاَّ أنَّ هــ (م) ــذا الحسـنَ بـالتقـوى اتَّسَم
يصـونُهــا مـن كلِّ رِيــ (م) ــبَة جـــلالٌ وعظـم
يَـــالَمَهَـــاة يَـــرْعَـــوِى ‏ ‏ ‏ ‏ إن يَلْقَهـــا ليثُ الأجَـم ! [2]
ذات جمـــال خـــالصٍ ‏ ‏ ‏ ‏ لِلَّـــه غيـــر متَّهَـم
فـى حُلَـلٍ بيض عليـــ (م) ــها طـابَعُ الـــزُّهْـــد ارتسم
فَضْفَـــاضَـــة ، لكنهـــا ‏ ‏ ‏ ‏ كـــالبـــدر فيهـــا أو أتَـم
لا ثـــوْبُهـــا بخصـــرهـــا ‏ ‏ ‏ ‏ وَشَـى ؛ ولا بـــالصَّـــدْرِ نَـمْ
والحسـنُ كمْ يـــزداد حُسْــ (م) ــنًا إن هـــو احْتَشَـم [3]
فـى مَسْحَـــة الـــرُّهْبَـــان لا ‏ ‏ ‏ ‏ حَـث وهْـى مـن خيـــر الأُمَـم
مُسْلِمَـــة ، قَـــانِتَـــة ‏ ‏ ‏ ‏ لِلَّـــه بـــارىءِ النَّسَم
قَـــوَّامـــةُ الليـل إذا ‏ ‏ ‏ ‏ جَـنَّ الظــــلا وادْلَهَـم
تُبْـدِى اتِّضَـاعـا ، وَهْـى عُنْــ (م) ــوانُ الإبـــاءِ والشَّمَم

---

(١) الآرام : جمع رئم ؛ وهو : الظبى ، والمراد : الحسان .

(٢) المهـاة : البقرة الـوحشية ، وتشبـه بها الحسنـاء فى جمـال العيـون . يـرعوى : يكف . الأجـم : الغابة .

(٣) هكذا البيت : فى طبعة الديوان الأولى ، وفى إحـدى نسخ القصيدة بخط الشاعر ، وهو مكسور فى شطره الثانى . وفى بعض نسخ القصيدة تصحيح لهذا البيت بتغييره إلى :

ما أجمل الجمال فى الـ (م) عيون إن هو احتشم

وهو أجمل معنى ، وأصح وزناً !

تخـــــدم مـن تعـــرف، أو   تجْهَـلُ مـنْ غيـــر ســـأَم
والنيِّـــــرات تَشتهـى   لـــوَ انَّهَـــا لهـــا خـدَم

❊ ❊ ❊ ❊

فـى البيت قَــــدْ سمعْتُهـــا   تـــدعـــو بصـــوت من نَغـم
سمعتُهـــا وهْـى تلــــ (م) بِّـى فـى خشـــوع ونَـــدَم
تَلْبِيَــــةً تكــــاد أن   تنفُــذَ فـى الصَّخْـــرِ الأصمْ
مـن فَمِهَـــا إلـى سمـــا (م) ءِ الله يصعَـــــد الكَلـم
خِلـتُ سمــــاءَ اللهِ قـــا (م) لت ـــ حين نَـادَتْهـا ـــ : نعم !

❊ ❊ ❊ ❊

سِـــرْبُ الظبـاء ـــ وَيْحكَم ! ـ   علـى الطَّـــواف قـــد عـــزم
خلـــوا لـــه طـــريقَــــهُ   إن طـــاف سَبْعًـــا واستلم
هنـــا رأيت الحسـن بـــالـــ (م) سَّيْـــرِ التقى والملتَـــزم
والحجـــرَ الأسْـــوَدَ بـــالـــ (م) ـــعقيق والـــدُّرِّ التثم
خيـــرَ صفـــاة فـى الــوجـــ (م) ـــود قُبِّلَتْ بخيـــر فـم
سَلْسَـــلُ زمـــــزمَ الْتقَـى   بِـــرِيقِهـــا العـــذب الشَّبِـم
هـــــذا وذاك بَلْسَـمٌ   إذا أسَـــا الجُـــرْحَ التـأم
فـــدَيْتُهـــا مـن الصَّفـــا   سَـــاعِيَـــةً علـى قـــدم
تُـــرَفْـــرِفُ الأَمْـــلاكُ فـــوْ (م) قَ رأْسِهــــا مثـلَ العلـم
تشـقُّ فـى هَـــــوَادة   طـــريقَهَـــا فـى المُـــزْدَحَـم
تخـــرُسُهـــا إذا سَعَـتْ   عيـنُ إلــــــه لـم تنـم
والنـــاس فـى زِحَـــامهـم   مــــوجٌ بِمَـــوْجِ الْتطَـم
كـم قـــدم زلـت ، وكـم   رأسٍ بـــآخـــرَ اصطَـــدم

هنــــــا رأيـتُ الحُسْـنَ مـن إبليـسَ بـــــالـــــرَّجْم انتقـم
كَبَّـــرْتُ سَبْعًـــا ، وَهْـى تـــر (م) مـى الجَمَـــراتِ بـــالعنـم(١)
يـــا ليـت شعـرى ـــ إذ رَمَـتْ ـــ : أغَيْـظُ إبليـسَ احتــــــدم ؟
أم هـــبَّ مِـن مَكْمَنــــــــــه يَلْثَـــمُ كـــفَّ مـــن رَجَـــم ؟
إن تَـــرْمِـــهِ اليـــوم ، فكـمْ أمـــام طُهْـــرِهـــا انهـــزم !

* * *

قُمْ سَـــائِلِ الحسنـــاء : مـــا (م) ذا قــــــدَّمـت مـن النِّعَـم ؟
سَلْ هَـــدْيهـــا ـــ إذْ نَحَـــرَتْـــ (م) ــــهُ ـــ : هـل أحَسَّ بـــالألم ؟
سَلْهَــــــا : أأَنـت مِثْـلُ كـلِّ (م) النَّـــــاسِ مـن لحـمٍ ودم ؟
أم مَلَـكٌ منـــــــــــزَّلٌ ينشـــــر فـى الأرض السلَـم ؟

* * *

يـــا حلـــوُ ، لا عـــانيتَ بعـــ (م) ـــضَ مـــا أُعَـــانى مـن سَقَـم
ولا عثَـــرْتَ عَثْـــرتـى بيـن الـــــوهَـــــادِ والأكَـم
ولا شَكَـتْ ســـاقُـك مـــا تَشْكُـــوه ســــاقى مـن وَرَم
نفْسِـى لنفسـك الفِـــــدَا مـن كـلِّ مكـــــــروه ألَـم
وحجـــــةٌ مَبْـــــرُورةٌ تمحـــو الـــذنـــوبَ واللَّمَـم(٢)
يخُطُّهـــا فى لـــوْحِـــه ربُّ العبـــادِ بـــالقلـم
فـى الحـجِّ أنـتَ حكمـــةٌ والحـجُّ كلــــه حِكَـم

* * *

(١) العنم ـ بفتحتين ـ: شجر لين الأغصان ـ وأزهاره قرمزية ، يتخذ منها خضاب ـ وتشبه به أنامل الحسان .

(٢) اللمم : الذنوب الصغيرة المتقاربة .

أقسمت بـــالستــــر ، وَبِالْـــــ (م) حجْـــــرِ ، وأَعْظمْ بـــالقســم !

إنَّ الصَّـــــلاَح فى الحســـــا (م) ن الغيـــــــد مـن أَحْلـى الشِّيَـم

إنَّ الجمـــــــالَ عفَّـــــــةٌ وحســـنُ طبْـع وكـــــــــــرم

ليـس الجمـــــالُ الابتــــذا (م) لَ ، واستبـــاحـــةَ الحُـــرَم

بَعْـضُ النســــاء نعْمَـــــةٌ مـن عنـــد وَهَّـــاب النِّعَـم

وبعضُهـن كـــــالبَــــرَا (م) كِيـن : رُجُـــــــوم ، وحُمَـم !

لا خيــــــرَ فى بَيْـت لَـــــهُ مـــــا للْجبَـــال مـن قمـمَ

إن كـــان ركنُ الـــدِّيـن فيــــ (م) ـــــهِ والفضيلــــةِ انهـــدم

❊ ❊ ❊

بـــالـــــرُّوح همْـتُ فَلْيَهـمْ بـــالجسمِ عَـــابـــدُ الصَّنـم

قـــالـــوا : عَشِقْـتَ فى الحَـرَم ؟ قلـتُ : نَعَـمْ ، ولا جَـــــــرَم !

صفاء النفس !

دعِينى أَنْجُ من دنيــا الهُمُـــوم ... وفى ملكَــوت عــرشِ الله هِيمِى

دعى خُــدَع المُنَى يـا نفس ؛ إنِّى ... أريــد البحثَ عن عيشٍ كــريم

لقــد مَنَّيْتِنى دهــرًا طــويــلاً ... فعُدتُ ؛ وما حصدتُ سوى هَشيم

فـأعْطينى مقـــادَك ، واتْبَعينى ... أقُــدْكِ إلى الصِّـــرَاط المستقيم

ألا ، يـا نفسُ ، لـو تصفينَ يومـاً ... لكنتِ أرقَّ من مَــــرِّ النسيم

وطِـرْتِ بخَــافيَـات من ضيـاء ... ولـم تمشى على ظَهْــــر الأديم

وكـــدتِ تُحَلِّقين مع الثُّــرَيَّــا ... وتَتَّخِـــذِين بُـرْجـاً فى السَّــدِيم

وأدركتِ الـــذى لا تحتــويــه ... بطــونُ الكُتْبِ من شَتَّى العلــوم

ولم تخْفَ الحقـــائُق عنكِ مهمـا ... خَفِينَ عـن المــدارك والفُهُــــوم

ولم يصـــرفكِ عن أُخْــرَاكِ شَئْءُ ... وغيــرَ رضــاء ربِّكِ لم تَــرُومِى

* * * *

ألا ، يا نفسُ ، وَيْحَكِ! لَسْتِ نفسى ... إذا حــاولـت نَيْــلاً من غــريمى !

فَسُلِّى الضِّغْن من جَنبَـات صـدرى ... وَرِقِّى لــلأَحبَّــة والخُصـــوم

وكـونى : من حَبَاب المـاء ، أو من ... عَبِيــر الــزَّهْــر ، أو ألَق النُّجــوم

إذا مـا الحَــرْبُ حول الـزَّاد قـامتْ ... فخَلِّى الــزادَ نـاحيــةً ، وصُـومى

دَعِينِى لا أعِشْ إلا بِــــرُوحى ... فقــد كُتِبَ الفنـاء على الجُسـوم

أحِبِّـى كـلَّ حــىٍّ ؛ لا تخصِّــى ... بحبِّكِ كـلَّ ذى وجــــه وَسِيـم

مَتَى ، يـا نفسُ ، لا تُبـدِين زهـوًا — بمـا أحـرزت من حَـظٍّ عظيم ؟
متـى ألقــاك لا تُلْقِيـن بَــالاً — لمـا يعـرُوك من خَطْـب جسيم ؟
يكـون الكــونُ حــولـكِ مُكْفَهِـرًا — وتبتسميــن عــن دُرٍّ نظيــم ؟
بــربك ، كـم شــربتِ كئـوسَ راح — مُشَعْشَعَــة ، وأخــرى من جحيم ؟
فهل كــان الأسـى والبِشْــرُ إلاَّ — كأطيــاف السَّحَـائب والغُيــوم ؟
وكـل لَـــذَاذَة تفنـى ، وَيَبْقَـى — متــاعُ الخُلــدِ فى دار النعيـم

* * * *

إذا دَجَت الحــوادث ، فـاستضيئي — بنـــور اللهِ فـى الليـل البَهِيـم
ودُومـى إن أردت الله ذُخْــــرًا — على التَّقْـوى ، وعنهـا لا تَـرِيمى
ولا تُصْغـى إلى همـس الأمـــانـى — وإلا ، عشْــت فــى هــمٍّ مُقيـم
وحسبُك سَلْسَـلُ الفــرْدوس راحــاً — وسِرْبُ الحـور حَسْبُـك من نـديم !
وأين الحـــورُ من نَــدْمـان ســوء — وخمر الخلـد من حَلَبِ الكروم ؟ (١)

* * * *

إلـــى الله اتَّجهـتُ بكــلِّ قلبــى — وأســأَلُــه السعــادة للُعمُــوم
سألــتُ الله للمُثْــرى مــزيــدا — من النُّعْمـى ، ويُسْــرًا للعــديم
سألــتُ الله يَمْحُــو الــدَّاءَ محْــوًا — فــلا تقع العيــونُ علـى سقيم
سألــتُ الله للعَــانِـى انطــلاقًــا — وعطـــفَ أب وأُمٍّ لليتيـــم(٢)
سألــتُ اللهللــدنيــا ســلاَ مًــا — يعيشُ الليثُ فيــــه مع الظَّلِيـم
ولـــولا أننى أدْرَى بقـــدرى — ســألــتُ الله فــى أهـل الجحيـم
وقلت لـــه : أتُصْلى النـاسَ نـارًا — وقــد سمَّيْتَ نفسَك بـالــرحيم ؟

---

(١) ندم على الأمر ندماً : أسف وكرهه بعد وقوعـه ، وهو ندمان وهى ندمانة والجمع ندامى .
وحلب الكروم : الحلب مصدر بمعنى اسم المفعول مثل : جنى .

(٢) العانى : الأسير .

داء ودواء ! !

وكنتَ إذا عَـــرَاكَ عضـــالُ داء   وأنـت فَتى ، وَثقْتَ من الشفـــاء

فمــا لـك كلَّمــا غشِيَتْك عــدوَى   زكـــام رُحْت تُـوقِـنُ بـالفنــاء ؟

دواء الشَّيْــخ يُعْيِـى كـــلَّ طِــبٍّ   ومــا أغنى الشبــابَ عن الـدَّواء !

غريب بين قومي !

إلى مَـنْ أَشتَكى ، يـــاربِّ ، ضَيْمى   أرى نفسى غـــريبــاً بَيْنَ قــومى !

فكم هتفــوا بمحمـــودٍ شكــوكــو   ومـــا شَعَــرُوا بمحمـــودٍ غُنيْم !

تعلم كيف تنسى

وَربَّ أخٍ أســـــاء إلىَّ ليـــلاً   أُصـــافحُــه إذا طلع النَّهَـــارُ

و من لم ينس ــ أو يَتَنَـاسَ ــ مُضْنًى   وقـــد يـؤذى ابْنَ آدمَ الادِّكـــارُ !

ثراء وشقاء !!

مـــا مع الصبـر لَعَمْـرى فَـاقَـةٌ   إنمــا الصبرُ على الفقـرِ ثـرَاء

مـــا مع الصبــر لعمـرى عِلَّــةٌ   إنمــا الصبــر على الــدَّاء شِفَــاء

نذير الموت

ذَوائبُ من بعــــد الظَّـــلامِ تضىءُ ... لِتُعلِنَ : أن المــوت ســـوف يَجِىءُ

فيـزدادُ فى الإحسـان مَن كـان مُحْسِنًـا ... ويُقْلِعُ عـن سُـــوءِ الصنيـع مُسِىء

ألا أيهـــــا الشَّيْبُ المُلِمُّ بلحْيَتِى ... لك الـــويْلُ ! إنِّى من سَنَـاك بـرىء

ترى معجـزات العلم تتْرى ، فهَلْ أرى ... شبـابِىَ من بعـدِ المَشِيبِ يضىء ؟

دَعُـونى من الطِّبِّ الحديث ، وكشفـه ... فإنى أُغـذُّ السَّيـر وَهْـو بطىء (١)

هـو الطب : أما فـى الجِرَاح ؛ فَمَـارِدٌ ... وأمَّـا أمـام الشَّيْب ؛ فَهْـو قمِىء

يأس وأمل !

إذا تـــذكَّـــرْتُ ذنبى ... تملَّـك اليــأْسُ قلبى!

ويـــذهب اليــأْس عَنِّى ... ذكـــرى لـــرحمـــة ربىِّ !

داء نتيجة داء

يقـــولـــون لى : المشْىُ خَيْـــرُ دواءْ ... وطُـــول ُالقُعـــود يَعُـــوق الشفـــاءْ

فقلـت : وصفتُمْ دواءً عـــزيـــزًا ... فـلا هُو فى الأرضِ ، أو فى السمـاء

كـــذاك الحيـــاةُ : نشـــاطٌ وليـــدُ ... نشـــاطٍ ، وداءٌ نتيجـــةُ داء

---

(١) أغذ السير : أسرع فيه .

وطنيّات

لا نكسة

مَنْ قــال : إن اللَّيْث ولىّ مُـدْبـرًا ؟ الأُسْــدُ إنْ وثبتْ ، تعــود القَهْقَــرى

إن الشجــاع يَفـرُّ فى سَـاح الــوَغَى لِيَكِـــرَّ من بعـــد الفــرار مُظَفَّــرا

لا يَفْـــرَحَنَّ المُفْتــرون بجَــولَـــة كسبوا بـدَايَتَها ، وخـابَ مَنِ افْتَرى !

قل لـــلأُلى بـــدءوا بـــدَايـةَ هتْلَــر : سَتُجَــرَّعُــون غــدًا نهــايــةَ هتْلَــرَا

إنــا تــركنــا الخصْـم يضحك أوَّلاً ليــزيـد نَــوْحًـا حين نَضْحَكُ آخــرا

وَلَــرُبَّ ضــرْغَــام أُصيب بلـــدْغَــة من عَقْــربٍ دبَّتْ على وجـه الثَّــرى

يــا شعبَ إســرائيلَ ، غَــرَّكَ مــاردٌ فى الحرب لاقى غَيْرَكُفْءٍ ؛ فازْدَرى !

إنَّــا جُنــودُ بنى النضيــر ، وخَيْبَــر ولَتَلْحَقَنَّ بنــى النضيــرِ ، وخيبـــرا

❊ ❊ ❊

كـذب اليهــودُ ؛ فمـا أقـامــوا دَوْلَـةً فى أرضنــا ، لكن أقـامـوا مَنْسَـرا [(١)]

الغـــدرُ دَيْـدَن شعبهم ؛ فلــوَ انَّــهُ يــومــاً وَفَــى ، لعجبت ألاَّ يَغْــدرا !

قــالــوا : عبـدنـا ربَّ مــوسى وحـدَهُ قلنــا : عبــدتم ذا الــرَّنين الأصْفــرا

ليست لإ بـــــراهيمَ نسْبَتكُـم ، ولاَ لبنيــــــه ؛ لكـنْ تُنْسَبُـــــون لآزرا

لـــو تسألــون أبــا البَـرايــا آدمــاً : هل من ســلالتِكَ اليهـودُ ؟ لأَنْكَــرا

❊ ❊ ❊

يأيهـــا العــربى ، لا ذُقْت القــرَى أبدًا ، ولا نعِمَـتْ جُفونُكَ بـالكرى !

لا يــرقــد العــربــيُّ ملءَ جفــونــه ويـــذوقَ طعمَ الـــزادِ حتى يَثْــأَرا

شـرفُ العــروبـةِ بـات وَهْــوَ مُلَــوَّثٌ بــالعــار ، لا تَلْبَسْــه حتى يَطْهُــرا

---

(١) المنسر : جماعة اللصوص .

عـــارٌ علينـــا لُبْسُـــهُ حتى يُـــرَى ... مُتَطَهِّـــرًا ، بـــدم العِـــدا متعطِّـــرا

ليث العـــروبـــة مـــا عَـــرَا أظْفـــارَهُ ؟ ... ويـــلاه من هِـــرٍّ على الليث اجْتَـــرا !

نَمِـــرُ العـــروبـــة مـــا دَهَـــا أنيـــابَـــهُ ؟ ... أوَمَـــا رأى ذئبَ الفـــلاةِ تَنَمَّـــرا ؟

نِسْـرُ العـروبـة مـا أصـاب جَنَاحَـهُ ؟ ... قـولـوا لـــه : إن البُغَـاثَ اسْتَنْسَـرا !

صـــاروخُكُـمْ سَمَّيْتُمُـــوه قـــاهِـــرًا ... مـا عـــاقَـهُ يـــوم الـوغـى أن يَقْهـرا ؟

صـــاروخكم سميتمـــوه ظـــافِـــرًا ... مـا عـــاقَـهُ يـوم الـــوغى أن يَظْفَـرا ؟

صـــاروخكـم سميتمـــوه عـــابِـــرًا ... مـا عـــاقـه يـــوم الـوغـى أن يَعْبُـرا ؟

ويحى علـى تلك الصـــواريـخ التى ... تَـــأْبَـى غَـــدَاةَ الـــرَّوْع أن تتفجَّـــرا !

لا تَحْلُمـــوا بـــالنصـــر حـــول مـــوائدٍ ... أضْفَـى عليهـا الـزَّيْـفُ لـونـاً أخضـرا

بل عنـــه فـى سُـــود الـوقـــائع فَتِّشُـــوا ... أو فَـاسْأَلُـوا عنه النَّجيعَ الأحمـرا [1]

قالـوا : الحقوقُ ، فقلت : لفظٌ لـم أجِدْ ... عنـــه كَألْسِنـــة اللَّهيب مُعَبِّـــرا

أنصِتْ إليـــه إذا المَـــدَافعُ أَطلَقَتْ ... تَسْمَعْـــهُ مـن أفـــواههن مُفَسَّـــرا

النصـــر ليس يَنَـــالـــهُ بسـؤَالـــه ... شعبٌ ضعيفُ الحَوْل ، مَحْلُولُ العُرا

للنصـــر جيشٌ فى الحـــروبِ مُـــزَوَّدٌ ... من عـــزمـه المـــاضى بجيش آخـــرا

يـــارُبَّ فـــرد فى الكـــريهـــة واحـــد ... بـالصـدق والإيمـــان يَعْـدلُ عَسْكَـرا

من عـــاش فى جـــوِّ القصـــورُ مكيَّفًـــا ... فعلى الحـــروب وهـولهـا لَـنْ يصبرا

من بـــات بيْنَ وســـائد ونَضَـــائد ... فَعَلَى المبيت بخنـــدق لن يَقْـــدرا

للحـرب جنـدٌ يصبـرون علـى الطَّـوى ... يـوم اللقـــاء ، ويلبسـون العِثْيَـرا [2]

ويـــرون جَـــوْف الـــرمل أجملَ فُنْـدُق ... وروائحَ البـــارُود تنفح عَنْبَـــرا

ويـــرون قَصْف المِـــدْفعيَّـــة أرْغُنَـــا ... يَشجى ، وقعقعـةَ الحنـاجـر مِـزْهـرا

---

(١) النجيع : دم الجوف .

(٢) العثير : الغبار . وهو على وزن درهم .

ويَــروْن أن الجُــرح يحكى مُقْلــةً حــوراء، والــدم كــالشراب مُعَصْفــرا
ويـــرون أن مــن اسْتُبِيحَ لـــه حِمًى يلقى المنــايـــا، أو يعيشُ مُحَــرَّرا

* * *

منِّى على فتنـــامَ ألـفُ تحيَّــــة حَيُّوا معـى الشعبَ الذى بَهَـرَ الورى
يــا أيهــا الشعب الــذى مـا هَـالَـهُ عــددُ العــدو ؛ فكـان منـهُ أكثـرا
عَلَّمْتَ أهْلَ البغــى : أن البغــى لا يُغنى، وأنَّ جنـــودَهُ لن تُنْصـــرا
وأريتَـــهُ أن الضَّعيف بحقِّــــه بطلٌ يُـــذلُّ العَـــاتىَ المتجبِّــــرا
وكتبتَ فـى التــاريـخ أروعَ قصَّـــة عن غَضْبَـة الآســادِ إنْ ديسَ الشَّرَى
قـولـوا لـواشنطونَ تسحبُ جيشَهـا فمـــواطنُ الأحــرارِ لن تُسْتَعْمَـــرا
أيسيطـــرون على شعـــوبٍ حـــرَّةٍ وعليهمـــو شعبُ اليهـود تسيْطَـرا ؟

* * *

شعبَ العروبِـة ، ما فعلتَ بخـالـد وتُـــرَاثِـــهِ ؟ أتـرى التــراث تبعثـرا ؟
إنِّى لألمـح روحـــهُ من فـــوقنَـــا قـد رفـرفت، مثـلَ الخيـال إذا سَرَى
تَــرْنُـو إلى اليَــرْمُـوك وَهْى مُشيحَــةٌ وتقـــول : إنى لا أُصـــدِّقُ مـــا أرَى !
أين الفتــوحــاتُ التى استخلصتُهـــا من دولتَىْ : كِسْرى العظيم، وقَيْصَرا ؟
بِمَ كــان يُنْصـــرُ خــالـــدٌ ؟ ألأنَّـــهُ من جَنْـــدَل ، لا من تـراب صُــوِّرا ؟
قـــد كـــان ذا رأس يطيـــرُ بضـــربـــة ودم إذا جُـرِحَتْ جــوارحُـهُ ، جــرى
لكنـــهُ يغْشَى الــــوغى مُتَقَلِّـــدًا : بــالصبـر دِرْعًـــا ، والعقيـدة مغْفـرا
الله أكبـــر سيفُـــهُ وقنــــاتُـــهُ مـــا خـاب عنـد الحربِ شَعْبٌ كَبَّرا

* * * *

يـــا قـــوم ،هُبُّــوا هبـــةً مُضَـــريَّـــةً إن الفتى العـــربىَّ إن دُعِى، انبَـــرى

ضُمُّوا الصفـوفَ ، ووحِّدوا أَشْتَـاتَكمْ ... فى الـوحـدة النصـرُ المبينُ مُـؤَزَّرا

قالوا : الوبـاء ، فقلت : إن القُدْسَ قَدْ ... نـزل اليهـودُ بـه ، فكـانـوا أخطـرا

لم يتـركـوا للمسجـد الأقصى ، ولا ... للعُـرْب فيـه مَنْسَكـًا ، أو مَشْعَـرا

أن يظْهـرُوا ، يـا قـوم ، لم يُبْقُـوا لنـا ... أو لـلأذان ، أو الحَنيفَـةِ مَظْهَـرا

إنى لأُشْهِـدُكم على مـا قلتـهُ ... وعليـه قـد أشْهَـدْتُ هـذا المِنْبـرا

مـاذا أقـولُ ؟ أقـولُ : فيلٌ صـادَهُ ... جُـرَذٌ ، وسِـرْحَـان أذلَّ غضَنْفَـرا ؟

أنـا إن عَـذَرْتُ ، فإن جيـلاً بعـدكم ... يـا قـوم ، من أبنـائكم لَنْ يَعْـذُرا

أنـا إن غَفَـرْتُ ، فليس للتـاريخ إنْ ... يَكْتُبْ لعصـر مقبل أن يَغْفـرا

لا يـرحم التـاريخُ فى الأَحكـام ، إنْ ... قَـاضَى مُسِيئًـا ، أو أدَانَ مقصِّـرا

❊ ❊ ❊ ❊

أعلى الفـدائيين نلْقى عبْئنَـا ... ونُظِلُّ مـن خلف الستـار لنَنْظُـرا ؟

أين الـذى يَلْقَى الأعـادى جَهْـرَةً ... ممَّنْ يُغِيـرُ عَلَيْهمُـو مُتَسَتِّـرا ؟

يـا مَعشَـر الفتح المبين وجنـدَهُ ... حُيِّيتُمُـو جنـدًا وطِبْتُمْ معشـرا

أنقـذتمـو شـرفَ العـروبـةِ بعـدمَا ... أمسى على وجـهِ التُّـراب مُعَفَّـرا

وبـذلتمـو أرواحَكُم لبـلادكُمْ ... ثَمَنًـا ، وجَلَّ المشترِى والمشتَـرَى !

يـاليتنى قـد كُنْتُ فى يَـد بعضكُمْ ... لغمًـا يصيب بـه العـدُوَّ مـدمَّـرا !

أو حـرْبـةً مَسْنُـونَـةً ، أو مـدْفَعًـا ... متفجـرًا ، أو صَـارمـاً ، أوْ خِنْجَـرا !

مـا ضَـرَّ شعبـاً أنتمـو من أهلـه ... أن يستطيل على الشعـوب ويَفْخَـرا

إنـا لنـرجـو أن يكـون صُمُـودُكم ... لِنُكُـوصنَـا يـوم الحسـابُ مكفِّـرا

النصـر حَسْبُكمـو إذا فُـزْتُم بـه ... فَخْرًا ، وحَسْبُ شهيدكـم أن يُؤْجَرا !

لـو يعلـمُ الشهـداء أجرَ جهـادهمْ ... ودُّوا لَـوَ انَّ المـوت فيـه تكـرّرا

قـولـوا لمن رُزِق الشهـادة منكمـو ... يصفِ الجِنَانَ ، وحُـورَها ، والكـوثرا

والله ، ما خدم البلادَ كَمُفْتَدٍ ... قَدْ ذاد عنْ حُرُ ماتها متنكِّرا

لا المجد أمَّل من وراء جهادهِ ... كلاَّ ، ولا اتَّخذ الإغارةَ مَتْجَرا

من يذكرُ الأوطان يَنْسى غيرَها ... أجْدِرْ بها هى وحدَها أن تُذْكَرا !

شُنُّوا عليهم كلَّ يومٍ غارةً ... فى كل وادٍ ، فى المدائِن، فى القُرى

وقفوا لهم فى كلِّ دربٍ ، واكْمُنُوا ... تحت السُّفُوح ، وحَلِّقُوا فوق الذُّرا

لا تتركوهم يَنْعَمُون بروْضَةٍ ... فى القُدْس، أو يجنون كَرْمًا مُثْمِرا

إن يَطْعَموا ،وَجَدُوا الطعام مسمَّمًا ... أو يشربوا، وجدوا الشراب مُكَدَّرا

أو يَدْرُجُوا فوق الثَّرى ،لا تلبث الْـ ... (م) أَمقدام بالأَلْغام أن تتعثَّرا

أو يرقدوا ، حلموا بضرٍّ منكمو ... قد هبَّ من تحت السرير مُشَمِّرا

وثقوا بأنَّا لاحقون بكم غدًا ... ولسوف نُعْلِنُهُ جهادًا أكبرا

راهب الحقل

راهِبٌ خطَّ فى القُرى محرابَهْ | بين شطِّ الغَدير واللَّبْلابَهْ
عاش للحَقْل ، والنبات ؛ فكانا | دينَه فى حياته ، وكتابه
عرف الله فطْرَةً لا اكتسابًا | فرَجا عفوه ، وخاف عقابه !
ما احتواه فى الله شكٌّ ، ولا طُو (م) | لُ التَحَرِّى عنه أثار ارْتِيَابه
حَسْبُه أنَّ كل شىءٍ بهذا الْـ (م) | ـكون يُومِى إليه بالسَّبَّابه
عرف الله فى الطبيعة : عطفاً | وحنَانًا ، وقوَّةً غلَّابه
مِنْ قُواها استمدَّ قُوَّةَ زَنْدَيـ (م) | ـه ، ومن شَمْسِها استعار خِضَابه
رُبَّ طبعٍ من الغدير اسْتقاهُ | فَهْوَ ينسابُ فى الحياة انسيابه
مَنَحَ الأرضَ – لا المِلاحَ – هواهُ | فَهْوَ صبٌّ بها ؛ عميقُ الصَّبابه
كادحٌ فى شبابه ؛ ما قضى فى | مَسْرح اللَّهْو والمِرَاح شبابه
وإذا شاب ، لم يزل عودُه كالنَّـ (م) | ـبْع فيهِ بقيَّةٌ من صَلابه
يلبَسُ الشيْبَ هالةً من وَقَار | لا الضنا شانَهُ ، ولا النقص شابه
لم يزيِّنْ ثِيابَه النقشُ ؛ لكن | زيَّن الطهرُ والعفافُ ثيابه
زُرْقَةُ اللونِ فى العيونِ ، وأُخْرى | فى السموات زانتا جلبابه
وإذا خاف من حساب عسير | ذو ثراء ، فما أخفَّ حسابه !
يحسُدُ القصرُ كوخَه ! رُبَّ كُوخ | هو للأمن والسلام مثابه
أيْن عشٌ رفَّ النعيمُ عليه | من قصور رَانَتْ عليها الكآبه ؟
القَمَارِىُّ حوله والسواقى | تلك عود، وهذه شبَّابه (1)

---

(1) القمارى : جمع قمرية وقمرى ، وهو نوع من الحمام .

لم يــؤرِّقْــه فى مَنــاط الثُّــرَيَّــا ... مطلب راح يــرتقى أسبــابــه

مُكْتَف مـن طعــامــه بِكَفَــافٍ ... قــانعٌ من شـرابـهِ بِصُبَـابـه [1]

رَضيَتْ نفسُــه ؛ فعــاش سعيــدًا ... ولقــد يُسْعِـدُ الـرضــا أصحــابَـه

فى سُكـون القُـرى ينامُ ، ويصحـو ... مــا لــه والمــدائن الصخَّــابـه ؟

أنـا مـنْ ضـاق بـالحَـوَاضـر ذَرْعـا ... وأواهـــا ؛ فحطَّمَتْ أعصــابــه !

كم لها ـ كالمِـلاَح والرَّاح ـ صرعى ... خــدعتهم أضــواؤهــا الخــلاَّبه

حسب هـــذا الأُمِّـى أرضٌ بَـــرَاح ... هــو فى لــوْحهــا يجيـد الكتــابـه

خـــاملٌ مَن يــراه غيــرَ نبيـــه ... وجهــولٌ مَنْ بــالجهــالــة عــابـه

هــو لا يــرتقى المنــابــر ؛ لكنْ ... فــأسُــه فى الثَّرى تُجيـدُ الخطــابـه

لـــو تَـرى مــا يَخُـطُّ محْـراثُــه فى ... أرضــه ، قلتَ: آيـةٌ فـى النَّجَـابـه

إنَّ للكـــون مَعهـــدًا لم يُثَقِّـف ... بِـــدَوَاة ومـــرْقَم طُـــلاَّبَـــه

لم يُسَجِّـل علــومَـــه فـى كتــاب ... أو يُــــدَوِّنْ فـى مُعْجَـمٍ آدابـــه

وبـــه تُشْغَف الســوائم حبًّـــا ... ويــراهــا دُونَ الــورى أحبــابــه

ربطتْـــــهُ بكل ذَاتِ ثُغَـــــاء ... أو خُـــوَار مـــودَّةٌ ، بل قـــرَابـه

رفقـــةٌ يأمـن الصــديقُ أذاهـــا ... لا بــدسَّـــاســة ولا كــذَّابـه

كم سَقَتْـــه من الحليـب زبيبـــاً ... أبيض اللــون ، لا يضيـع صـوابـه

كم صديقٍ مـن وَجهـه يقطر البشْــ (م) ــر ، ولا يـأمَنُ الصَّـديقُ غيــابـه

وَمِنَ النــاطقين مـن هُـوَ أضْـرَى ... من أفـاعى وَكْـرٍ ، ومـن أُسْـدِ غـابـه

* * * *

مــا لهــذا المَــلاَكِ أمسى وأضحى ... وَهْـــو نهْـبٌ، مُقَسَّمٌ لِعَصَـــابــه

صــرفـوا الــراهِبَ البتـول عن اللّـــ (م) ـــه ، وصَــارُوا مِنْ دُونـه أربـابـه

---

(١) الصبابة ـ بضم الصاد ـ : بقية الماء فى الإناء .

أَمِنَ العــدلِ أن يعيش أسيــرَ الـــ (م) ــحقْل ، قَدْ شَـابَ بـالـدماء تـرابـه

وَهْــو مــن أخــرجَ النُّضَــار من الأر (م) ض ، وصَفَّى من التُّـراب لُبـابـه ؟ !

كم جنى القَمحَ عَسْجَدًا ، وجنى القُطْ (م) ــنَ لُجَيْنًا ، وبـات يَلْعَق صابـه !

يطـرُقُ الخَيْــرُ كـلَّ بـاب ، إذا مـا أثمـرتْ أرضُـه ، ويَتْــرُكُ بـابـه

ولمـــولاه يعصـــر الكـــرم خمـــرًا ثم يسقيـــه لاَثِمـــاً أعتـــابـــه

رُبَّ أَيْـــدٍ تخـــاف فـــاهُ ، إذا مـــا رام تَقْبِيلَهـــا ، وتَخْشـى لُعَـابـــه

رب دُرٍّ فى مفـــرق كـــان يـــومـــاً قَطَـــرَاتٍ من الجبيـن مُـــذَابـــه

ودمـــاءٍ تحـــوَّلَتْ فـى صحَـــاف وَجَبَـــاتٍ شهيـــةً مستطـــابـــه

عَبَـرُوه جِسْـرًا إلـى المجـد ؛ حتَّى بلغـــوا فـــوق مَنْكِبَيْـــه الـــذُّؤابـــه

بِـــاسْمِـه يَظْفَـــرون بـــالمـال والجَـــا (م) هِ وَيَقْضِـى كلُّ امـــــرىء آرابـــه

وَهْـوَ شـاكٍ من الطَّوى ، لاصِقٌ بـالـ أرض ، يَجتَـرُّ حلقُـه أوصَـابـه !

يُسْلَبُ القـوتَ ، ثم يـؤمـرُ أن يَنْــ (م) ــعَتَ بـالجـود والنَّـدى سلاَّبـه

إن أحسُّـــوا وجـــودَه ، فكطيف لَمَحَتْـــهُ عينٌ عليهـــا سحـــابـــه

أو تعـــالى صـــراخُـــه ، فكمـــا طنَّ (م) بـدَوْح الهجيــر صــوتُ ذُبــابــه

❊ ❊ ❊ ❊

بَسَطَ الـــراهبُ البتـولُ يـــديـــه ودَعَـــا اللهَ دعـــوةً مستجـــابـــه

ظل فى أرضـــه غـــريبـــاً ، إلى أن بعث اللهُ مـن يَـــرُدَّ اغْتِـــرابـــه

فـإذا ثـــورة على الظلـم تَبْـــرى رأســـه ، ثـم تقتفى أذنـــابَـــه

وإذا الـــراهبُ الـــذى نَسِىَ الشَّـــدْ (م) وَ ، منَ الشَّجــوِ يستَـرِدُّ ربـــابـــه

مستعيـــدا إيمـــانَـــه بعـــد شك فى السمـــوات كـــاد أن ينتـــابـــه

ملْءُ محـــرابـــهِ : صـــلاةٌ ، ونُسْكٌ فى وَقَـــار يحفُّـــهُ ، ومَهَـــابـــه

راكعٌ ، قـــائمٌ ، على الأرض جـــاث فـــوقهـــا فى تبَتُّـل وإنَـــابـــه

صلـــواتٌ تُحَـــوِّلُ التُّـــربَ تبْـــرًا أجـــزل اللهُ للمُصلِّى ثـــوابـــه

معجزة السد

هاتِ، يا شعرُ ، سِحْرَ هاروتَ هات! — صنعَ السـدِّ صانعُ المعجـزات

والسـد مِنْ صنع بـابـل إلا — وَحْيُ شعـر من عنـدِ هـاروتَ آت (١)

كم رأى النـاسُ من جمـال فعَـالا — كُلُّهَـا من خـوارق العـادات

بَطَـلٌ كلُّ مستحيـل لـديـه — يتـراءى فى حَيِّـز الممكنـات

هُـوَ لَـمْ يعتـرفْ بلفظِ « محـال » — فَمَحَـاهُ مِنْ معجم الكلمـات

لاتقـولـوا : عجـائبُ الأرض سبعٌ — فَهْى ـ مِنْ بعـد السَّدِّ ـ سبعُ هنات

الصخـورُ الصَّمَّاء كيف استحـالت — خلفَ أسـوانَ أَلْسُنَـا نـاطقـات ؟

مُفْصِحَاتٌ عن مجـد مصر قـديمًا — وحـديثـاً بِمُحْكَم الآيـات

بين سـدٍّ على العُبَـاب مُقَـام — وقُصُـور فـى جـوفـهِ غـارقـات

قل لمن شيَّـدوا الهيـاكلَ فـى مصـ (م) ـر ، وأَرْسَوْا أهـرامَهـا الشامخـات :

قـد بَنَيْتُم بـأَذْرُع كـادحَـات — وَبَنَيْنَـا لـلأذرع الكـادحـات

وبنيتم لِلْمَـوْتِ أنتم ، وَلَسْنَـا — نحن نبنـى للمـوت ، بَلْ للحيـاة

ليـس من يَبْتَنـي ليَحْفَـظَ رُوحـاً — مثـلَ مـن يَبْتَنِى لحفـظ رُفَـات

أيهـا السـدُّ ، مـا عَهِـدْنـاك إلاّ — مَصْـدَرَ اليُمْن ، مصـدرَ البـركـات

نحن ـ من قبـل أن نَخُطَّك فى الأر (م) ض ـ جَنَيْنَـا تأميـمَ مـاء القنـاة

منعـوا دَرَّهم ؛ فقلنـا : رويـدا (م) نحن نَغْنَـى بـالاكتفـاء الـذَّاتى

أجمعـوا أمْـرَهُم ، وجـاءوا بليْل — فَـرَمَـى الله جمعَهم بـالشَّتـات

---

(١) فى الشطر الأول ـ من البيت ـ كسر بين !

وظفــرنــا بــدولتين ، وأُخــرى هيَ فى الأرض سُبَّــة [1] الدُّولات

مــا بنينــا ســدًّا ؛ ولكن بَنَيْنَــا مجــدَ مصــرٍ ، ونحن خيــرُ البنــاة

وفتحْنــا بــهِ لمصــرَ كِتــابــاً خــالــدَ الــذِّكــرِ مشرقَ الصَّفحَات

وَمَحــوْنَــا عن مصرَ وَصْمَــةَ عــار بَــرئَتْ أرضُهــا من الــوَصَمَــات

نحن لـو لم نَجِـدْ لعَمْرِى صخوراً لابْتَنَيْنَــا الخَــزَّان بــالهــامــات

وحفــرنــا أنْفَــاقَــهُ بــالبنــان الــ (م) رَّخْص ، أو بــالأَظــافــر الناعمــات

وجعلنــا مــلاطــهُ [2] من دِمَــــاء غــاليــات ، على الحِمَى طــاهــرات

وبَــذَلْنــا عن طيبِ نفس لــه المــا (م) لَ ، وعشْنَــا عَيْشَ الجِيَــاع العُــرَاة

فَلقَ اليَمَّ نـــاصــــرٌ بعصــــاه وعصــــاهُ ليْسَتْ مـن الحَيَّــــات

بَلْ عصــا نــاصــرٍ تَــدبُّ على الأر (م) ض ؛ ريَاضًا خضــراءَ ، مُعْشَوْشِبَات

وعصــا نــاصــرٍ إذا مَسَّت الصَّخْـــ (م) ـــرَ ، أحــالَتْــهُ أغصنــا وارفــات

وعصـــا نـــاصـــر تَفُلُّ صـواريـــ (م) ـخ الأعــادى ، وبِيضُهــا المرهفــات

أنتِ يــا مصــرُ من قــديم اللَّيــالى كعبــةُ الســائحيـن والســائحــات

أوَ لم يُهْـــرَعُــــوا إليـك وُفُـــودا ليـــزوروا آثــارَك الخـــالـــدات ؟

قُلْ لمن قَــدَّســوا فــراعينَ مصــر : هَلْ رأَيتُمْ آثــارَهــا المحــدَثــات ؟

أيهــا القــوم ، طــوِّفوا حَــوْلَ مصــر الــ (م) ـــيومَ ، فــى زىِّ مُحْــرِمين حُفَــاة

وَقِفُــوا خلفَ سَــدِّهــا فى خشــوعٍ وقفـــةَالمسلميـن فى عَـــرفــات

هــا هنــا الفنُّ قام يَرْوِى حــديث الْـ (م) ـــمَجْدِ عنــا ، والفنُّ خيــرُ الــرواة

هـــا هنــا معبــدُ الفنـــون لمن را (م) مَ صـــلاةً ، فكَبِّـــروا للصَّـــلاة

أيهــا النيــل ، كم شَقَقْت طَــرِيقًــا فى جبــال ، ومهيعــا [3] فى فــلاة

---

(١) السبة : العار ، ويقصد بها : إسرائيل .

(٢) الملاط : الطين ، أو مادة يطلى بها الحائط ، وتجعل بين كل حجرين فى البناء (المونة) .

(٣) المهيع : الموضع العامر .

كم نسفت النُّجُـودَ نجـدًا، فنجـدًا وفــريت الصفــاة بعــد الصَّفــاة

ماؤك العَـذْبُ كان فى الصخـر أمضى من شِفَــار الفئــوس فى اللَّبنــات

تطـأ الصخـــر فــى أنـــاة ورفـق فإذا الصخـــرُ حفنـــةٌ من فُتـات

مــا لأمْــوَاهك العَــواتى استكـانت فى خشوعٍ خلف الصخورِ العواتى ؟

وقَفتْ خلف سَــدِّ أسـوانَ حَيْــرَى عــاجـزاتٍ ، مشْلـولـةَ الحَـرَكـات

لم تـــزل تقهــرُ الطبيعـــة ، حتَّى قَهَــرَتْهــا أيـدى البُنَــاة الكُمَـاة

أيهــا النيل ـــ صـانـك الله ـ عُــذْرًا إن نَضَعْ فـى طــريقـك العقبــات

مــا أرانــا إلا أسَــرْنَــاك أسـرًا بقيـــودٍ مشـــدودةِ الحلَقـــات

نحن لـــو نستطيع صُنَّـــاك فى الآ (م) مَـاقِ ، بين الجُفُـونِ والحَـدَقَـات

نحن مـن غَيـرة بنينـا سُجُـونًـا من خُـدُود للخُـرَّدِ الفـاتنـات

القـــواريـــرُ تُحفظ الــراح فيهـا وتُصَــان العطــور فـى الآنيــات

حَسْبُك اليـــوم أنَّ مـــاءك حُـــرٌ من قيــودِ المستعمـرين الطُّغـــاة

تعس البحـــرُ ، وهْــوَ ملْحٌ أجـاجٌ كيف يَحْظَى بوصلِ عَـذْب فرات ؟ !

فى سبيل الشيطـان مـا نـال منك الـ (م) بحرُ سُحْتًـا ، فى الأعْصُر الخـاليات

مـا قَــذَفْنَا فى البحـر مـاءك عـذبـاً بل قــذفنــا فى البحــر بـالأقــوات

وَسَقَيْنَــا الحيتــان عـــذبــاً نميــراً وَحَــرَمْنــا منــه جـــذورَ النبــات

مصـر أُم الفنـون من ســالف الـدَّهْـ (م) ــــر ، أَرُونى كمصرَ فى الأُمَّهَـات

مـا بنت سـدهــا بصخـر ومـرو (١) بل بنَتْـــهُ بصـــادقِ العَـزَمـات

بِجُهُـــودٍ تُحــوِّل التُّـــرْبَ تبْـــرا وتَبُثُّ الحيـــاة فـى الفَلَــــوات

وتشيـع الـــرَّخـــاء فى كـلِّ واد وتَصُبُّ الغِنَى بكـلِّ الجهـــات

(١) المرو : أنواع من الصوان ذات أشكال شتى ، وحجارة بيض رقاق براقة ، تقدح منها النار .

نَسْلُنــا من أكبــادنــا فَلَــذاتٌ نحـن نبْنِى لهـــذه الفلـــذات

نحن نبنى لنــا ثَــراءً وَمَجْــدًا ولأَجيــالٍ ، بعــدنــا قــادمــات

أَسْعِفُـوا هــذه الفيـافِىَ بــالمــا (م) ءِ ، وَرَوُّوا أكبـادَهــا الظــامئـات

إنَّ فى بــاطن الصحــارى كنــوزًا فـاكشفـوا عن كنـوزهـا الخـافيـات

ثــرْوَةُ الشعب مجــده إن أراد الـــ مَجْــدَ ، والأَرضُ مصــدرُ الثـروات

مــا كــريـمُ الأَحْجَــار درٌّ يتيمٌ لاَحَ فـــوق النُّحـــورِ واللَّبَّـــات

بَلْ كـريمُ الأحجـار مـا ادَّخَـرَ المـا (م) ءَ ؛ لإِحْيَـــاء كلِّ أرض مَـــوات

حجَـرُ السَّـدِّ زينـة الـوطن المحـــ (م) ــبوبِ ، والـدُّرُّ حليـةُ الغـانيـات

ذكرى دنشواى !

فى ١٣ يونية ١٩٠٦ م ، حدثت حادثة دنشواى .

هِىَ دنشــــــواىُ ولا أزيــــــدْ ... فى السمع أحْــرُفُهــا نَشِيـــدْ !

إنِّـى لأُحنـى الــــــرَّأسَ إذْ ... أمْشِى على هــــذا الصعيــــد

فى كـــربـــلاءَ قضى الحُسَيْـــ (م) ـــنُ ، وكَمْ هنـــا سِبْطٌ شهيــد!

كِمْ هَـــامَـــة صُلِبَتْ هُنَـــا ... وَدَمٌ تـــــدفَّقَ مـن ورِيـــد

لله أَشــــلاءٌ ، عليــــــ (م) ـــها صَـرْحُ الاستقــلالِ شِيـد !

... ...

يـــا دنشـــــواىُ ، وأنتِ فـى ... أرضِ الحِمَـى بيتُ القَصِيــــد

أنـت التــى نَبَّهْـتِ أهــــــ (م) ـــلَ الكهفِ من طُـولِ الـرقـود

وَصَنَعْـتِ أبطـــال البِــــلا (م) دِ ، الـــذَّائِدين عـن الحُـــدود

النَّـــاقمين علـى الدَّخِيــــ (م) ـــلِ ، الثَّـائريـن على القُيُــود

أنْـــت التـــى أَشْعَلْــتِ كـــلَّ (م) عَـــزيمَـــة فى بـــورسعيـــد

بِســلاَحِكِ المــاضى تَقَلَّــــ (م) ــد « مُصْطفى » ، وَسَطَـا « فـريـد »

وَوَلــــدْتِ سعــــدًا للكِنَــــا ... نَـــة ،أيهـــا الأُم الـــوَلُـــود

مـــا نَـــاصِـــرٌ إلا لَكَ ابْــــ (م) ـــنٌ حين يُنْسَبُ، أو حفيـــد

طَهَّــــرْتِ أرجـــاء الحمـى ... مـن كـلِّ جبَّــــارٍ عَنِيـــد

خمسيـن عـــامًـــا تَحْمليـــ (م) ـــن بِبَطْنِـكِ النصْـر الــوليـد (١)

نَصْــــرُ الشعـــوب الثَّـــائِرا (م) تِ يَسيـــرُ فى خطْـــوٍ وئيـــد

---

(١) يشير الشاعر إلى : سنة ١٩٥٦ م ، ويبين أثر دنشواى فى أبناء مصر ، إبان العدوان الثلاثى .

كم مِنْ ثمَـــار بـــذرُهــا   فى الأَرض من عَهْـــد عهيـــد
والشعبُ غيـــرُ الفـــرْد، دو (م) رةُ عـــامِـــهِ عُمْـــرٌ مَـــدِيـــد

... ...

يـــا صـــائِدَ الـــورْقَـــاءَ، سَهْـــ (م) ــمُكَ ليس بـــالسَّهْم السَّـــديـــد
لقـــد اعْتَـــدَيْـــتَ على حِمَـى   قـــوم أُبَـــاةِ الضَّيم ، صيـــد(١)
من جـــاءَ يصطـــاد الأُســـو (م) دَ من الشَّـــرى ، فَهُـــوَ المَصيـــد
يـــا دنشـــوايُ ، وأنتِ عُنْـــ (م) ـــوانُ البُطُـــولـــة والصُّمُـــود
مـــاذا جنيتِ سِـــوَى الـــدِّفَـــا (م) ع عن الحَـــلائل والحَصيـــد ؟
هم حَـــاكَمُـــوكِ أمـــامَ محـــ (م) ـــكَمَة الثَّعَـــالـــب والقـــرود
الظَّـــالِمُـــوكِ قُضَـــاتُهـــا   وهُمُ النِّيَـــابَـــةُ ، والشُّهـــود
نَصَبُـــوا المقَـــاصِل ، والحُشُـــو (م) دُ العُـــزْلُ تنظـــرُ فى جُمـــود!
زَفَـــرَاتُهـــا متصَعِّـــدًا (م) تٌ مَلَّهـــا طـــولُ الصعـــود!
والشمسُ فـــوق القـــوم كَـــا (م) سفَـــةٌ تُحَمْلِقُ فـى شـــرود!
والأَرضُ تحـت القَـــوم كـــا (م) دتْ مـن مَظَـــالمهم تَميـــد!
وعلى المقـــاصـــل : كلُّ شَيْـــ (م) ـــخ واهـــنٍ ،وفتىً جليـــد !!

... ...

شَهَـــروا السِّـــلاح بقـــريـــةٍ   لا نَـــارَ فيهـــا أو حـــديـــد
مـــا يفعـل البطـلُ الكمىُّ (م) بحـــدِّ سَيْف من جَـــريـــد ؟
وكـأنَّ أفئـــدة الطُّغَـــا (م) ةِ مـن الصُّخُـــور أو الجليـــد
الجـــوُّ جمـــرٌ حَـــوْلَهُـم   وهمـــو همـــو رَمْـــزُ البـــرود

---

(١) أباة الضيم : من يرفضون الذل ، وصيد : شرفاء عظماء ، جمع أصيد .

زُرْقُ العيـــون ، مَـــدِيـــدَةٌ قـــامـــاتُهم، حُمْــرُ الجلـــود

كـــالأُرجـــوان وُجُـــوُهُهُـمْ وقلـــوبُهم كَـــالْقَـــار سُـــود

لا يخْشَعُـــون لِـــدَمْع أطْ (م) ـــفَال يَتَـــامَـى فى المهـــود

وعـــويـلِ رَبَّـــاتِ البيـــو (م) تِ كـــأَنَّـــهُ قَصْفُ الـــرعـــود

فكـــأنمـــا الإِعْـــوال فـى آذانهـم نَبَـــراتُ عـــود

• • • •

يـــأَيهـــا العهـــدُ البَغِيـــ (م) ـــضُ، خَسِئْت من بين العهـــود!

لا كـــان عهـــدُ الـــرِّقِّ ، والْـــ (م) إقْطَـــاع، والملك الطَـــرِيـــد!

أَيَّـــام أنْ كـــان الضَّمِيـــ (م) ـــرُ يُبَـــاعُ بـــالثَّمَـن الـــزهيـــد

عَهـــدٌ بـــه الحـــرُّ الكـــريـــ (م) ـــمُ يَعيشُ فـى ذُلِّ العبيـــد

فيـــه : ولـىُّ الأَمـــر مَـــأْ (م) مُـــورٌ ، وسَيِّـــدُهُ مَسُـــود

إن أوْمَـــأَ المُحْتَـــلُّ ، أوْ مَـــأَ كـلُ وَالٍ بـــالسجـــود

من تـــرضَ « لنـــدنُ » عنْـــهُ مِنْ أهل الحِمَـى ، فهـــو السعيـــد

والعـــرش أشبـــهُ بـــالـــدُّمى والقـــولُ مـــا قـــال العميـــد

العـــرشُ بين مـــوائِدٍ خُضْـــر ، وكأس طَـــلاً ، وغِيـــد

فـى مثلِ أُبَّهـــةِ الـــرَّشيـــ (م) ـــدِ ، ومـــالَـــهُ عَـــزْمُ الـــرشيـــد

• • • •

اليـــوم لا مُسْتَعْمِـــرٌ طَـــاغٍ ، ولا مَلكٌ قعيـــد

الأمـــر فى يـــد نَـــاصـــرٍ لا « لمْبســـونَ » ، ولا « لُـــويـــد »

أوطـــانُنـــا مِلْكٌ لنـــا فيهـــا نعيشُ كمـــا نُـــريـــد

فـى أرضهـــا نَبْنـى المَعَـــا (م) قِلَ، والمصـــانِعَ ، والسُّـــدود

كى يعلـمَ الملـــــوان أنَّ (م)	بمصـــر شَعْبًــا لا يَبيـــد (١)
كـــالبَحْـــر ليس بـــآسن	أبــدًا ، وإن طـــالَ الـــرُكــود
اليـــوم لا عـــاف يَمُـــدُّ	يَـــدًا ، ولا سَمْحٌ يجـــود
لا ســـــائلٌ ، أو مُحْسنٌ	الكـلُّ فـى عَيْـشٍ رغيـــد
عَـــرَقُ الجِبَــاه كم اسْتَحـــا (م)	لَ قـــلائدًا فـى كـلِّ جيـــد!
كـم صِيغَ مـن قطَـــراتــــه	للمتـــرَف الـــدرُّ النَّضيـــد!
الأَرضُ للـــــــــزُرَّاع ، لا	للـــــوَارثينَ عـن الجـــدوُد
والكـل خَـــــدَّامُ الحِمَـى	والعَـــدْلُ بينهُمُـــو يســود
و إذا أُغيـــــرَ على البــــلا (م)	د ، فكلُّنَــــا جَيْـشٌ يـــذود
أطفــــالُ وادى النيـل يَـــو (م)	مَ الـــزَّحْـفِ من بعض الجُنــود
وظِبـــاؤُه يـــوم الـــوَغَى	يَبْـــدُون فـى لِبَـدِ الأُســود

❊ ❊ ❊ ❊

يـــا دنشـــوايُ، هنَـــاك مـــا	أحْـــرَزْت من مـــاض مَجيـــد!
قـد طـــاب حـــاضِـــرُكِ السَّعيــ (م)	ـــدُ، وطـــابَ غـــابـرُكِ التليـد
ذكـــراك كـــانت مَـــأْتَمَـــا	بـــالأَمس، وَهْـىَ اليـــوم عيـــد
شهـــداؤُكِ الأَبْـــرارُ يَبْـــ (م)	ـــتَسمُون فـى دار الخلـــود
ويهنِّئُـــون النِّيل والْـــ (م)	ـــهَرَمَيْن بـالعَهـدْ الجـديـد
رشَقـــوا جمـــالا بـــالـــزهـــو (م)	ر؛ من الجِنَـــانِ ،وبـــالـــورود(٢)

---

(١) الملوان : الليل والنهار .

(٢) رشقه : رماه . والجنان : جمع جنة . والورود : جمع لم يسمع .

وإلى فلَسطينَ الشهيـــــد (م) ةِ قَـدْ أشَـارُوا مـن بعيــد

قـولى لَهُمْ : صَبْـرًا جميـ (م) ـلاً ! قـد دنـا يـومُ اليهـود

وغـدًا نُطَهِّـرُ أرضَنَـا مِـنْ رِجْسِ عُبَّـادِ النقـود[1]

---

(1) عباد النقود : اليهود ، وجاء فى القرآن الكريم عنهم : « ولتجدنهم أحرص الناس على حياة » .

ذكرى العدوان الثلاثي !

أعياد النصر

نشرت هذه القصيدة فى الرسالة ، بتاريخ : ٢٤ ـ ١٢ ـ ١٩٦٤ م .

وقفتُ أُبــــارِكُ أَعيــــادَهَــــا وَ أَتلُــو علـى الكــون أمجــادَهــا
وأَمجــاد مِصْـرٍ تهــزُّ الــوجــودَ ويستَعْـذبُ الـدهــرُ إنْشَـادهــا
وآثــارُهــا كعبــةٌ للفنــونِ تُــزَار ، أَلَمْ تَــرَ قُصَّــادهــا ؟
أســاس الحضــارة مَن خَطَّــهُ ؟ ودنيــا المعــارفِ مَنْ شــادهــا ؟
سَلِ الأَرضَ : من بـثَّ فِيهَـا الحيـاةَ وصــاح ؛ فَــأَيْقـظ رُقَّــادهــا ؟
وأرْسَى علـى الأَرض أهْــرَامَــه فــأَصغــرت الأرض أوتــادهــا ؟
ألاَ قل لمن طَــافَ حــول الفضــاءِ ورام الكــواكب فَــارتَــادهــا :
سَلِ النَّجم، يُخْبِـرْك : أَنَّـا قـديمًا بلغنــا الشمــوس وآرادهــا (١)

***

بعثتُ نشيــدىَ فـى عيــد مصــرَ يشــاركُ فى العــزْف أعــوادهــا
وللنَّصْــــرِ أُنْشُــــودَةٌ لا تُمَـلُّ ولا يَسْــأَمُ السمْعُ تَــرْدَادهــا
تُـــرَتِّلُهـــا أَلْسُنٌ مثلمــا تــــرتِّل فـى الليلِ أورادهـــا
أَلا ، إنَّنَــا أُمــةٌ حَطَّمتْ بقبضــة « شمشــونَ » أصفــادهــا
تُعَــرِّض أجيــادَهــا للسيــوف ولا يلمس الطــوق أجيــادهــا
لأجل الحِمَى تُــرْخِصُ المُهجــاتِ وتَصْهَــرُ فى النــار أجســادهــا
وتنسـى إذا حــاربَتْ نَفْسَهَــا وتــذكــر فـى الغــد أحْفَــادهــا

---

(١) آرادها : أصلها ، أرْآد جمع رأد ، ورأد الضحى : وقت شباب الشمس وارتفاعها .

وتعلـمُ أنَّ الهــــزيمـــــة عـــــارٌ ... يــــلاحق فى التُّــــرُب أجــدادهــــا

حيـــــاضُ الـــــردى أين رُوَّادُهــــا ... إذا نحـن لـم نـك رُوَّادهـــــــا ؟

نخــــوض الحـــروب إذا أُوقِـــــدَتْ ... وإن نـكُ نكـــــره إيقـــــادهــــا

وتعـــــرفُنــــا البيـضُ عنـــد اللقـــاءِ ... كمـا تعـرف الصُّفْـرُ (١) نقادها

❊ ❊ ❊

ويـــــوم القنـــاة دَهَـى المعتـــــدينَ ... على حُـــرُمـات الحمَى مــا دهى

سَمَــاوَاتُ « لنـدنَ » قـــد أرْعَـدَتْ ... فمـــا رَهِبَتْ مصـــرُ إرعــــادهـــا

وقُـــوَّاتُ « بــاريسَ » قـد أوْعَـدَت ... فمـــا خَشيَتْ مصـــر إيعــــادهـــا

وخلف ركـــاب الخَميسَيْنِ ســـاقت ... عصــــابـــةُ صِهْيَـوْنَ أوغــــادهـــا

سَلِ الحلف ـ حلْفَ الشياطينِ ـ : كَيْـفَ ... رأى غَــابَ مصْـــرَ وآســـادهـــا ؟

جيــــوشٌ تُــــدِلُّ بــــآلاتهــــا ... رَأَتْ فى الكنَـــانَـــة أنْـــدَادهـــا

هُمُـــو حَسِبُوا مصـــر صَيْـدًا سمينًـا ... وقـــدْ تَقْنصُ الأسْـــدُ صَيَّـادهـــا

ومـن رام لَحْمَ الكَــــواســـــر زادًا ... لَــــهُ ، تَـكُ أشـــلاؤُه زادهـــــا

ومصــــر تَـــرُدُّ أذى مَنْ يُغيـــرُ ... عليهـــا ، وتَجْلِـــدُ جَــلَّادهــــا

لقـــد عَبَّـأَتْ مصـــر يــوم القنـــاة ... من الحـقِّ والحِقْـد أجنـــادهـــا

وغَى مــا استطـــاع العـدو المغيـرُ ... بغيـــر الهـــزيمـــة إخمــادهـــا

أدَار السَّـوادُ (٢) رحــاهــا ؛ فكـــانـوا ... جنـــودَ الحـــروب ، وقُـــوَّادهــــا

تــــرى الأُمَّ تـــزْحَفُ زحـف اللَّبَـــاة ... إليهـــــا ، وتَــــدْفَعُ أولادهــــا

لقد حسبتهـا السموات « بـدراً » (٣) ... فســـاقَتْ إلى مصـــرَ أمـدادهـــا

---

(١) يقصد : الدنانير الصفر .

(٢) يريد بالسواد : الشعب .

(٣) يشير إلى : غزوة بدر .

وكم حرسَتْ مصْرَ عينُ السماءِ وَكادَ الإلـهُ لمن كادها

إذا ادَّرعت أُمةٌ باليقينِ تولَّى المُهيْمِنُ إنجادها

ولم أنْسَ أن العروبة كانت سواعدَ مصر وأعْضَادها

ولم أنس جِلَّقَها [1] حين مدَّت يَدَيْهَا، ولم أنس بغدادها

أراد المهاجمُ تَشْتيتَهَا فوحَّدَ بالغزوِ آحَادها

وساد العروبةَ رُوحُ الوِئام وأنْعمْ بهِ حينما سادها !

ومصرُ ملاذُ العروبة ؛ تَحْمِي حماها ، وترعى لها ضادها

وتدفعُ عنها العوادىَ حينَ تَنُوب ، وتحمل ما آدها [2]

وتدرى العروبةُ أن جمالا إذا جُرِحَت، كان ضَمّادها

وتعرف مصرُ لهُ أنَّهُ إلى قِمَّة المجد قد قادها

وتعرف أنَّ جمالا أذلَّ عِداها ، وأرغم حُسَّادها

تولى بمصر زِمَام الأمور فقَوَّم بالعدل مُنْآدها [3]

ويارُبَّ والٍ أراد صلاح الْـ (م) أُمُورِ؛ فَضَاعَفَ إفسادها

وربَّ طبيب قليل المرُون [4] إذا ما أَسى علة زادها

عهودُ المَظَالم زالَتْ ، فلا سَقَاها الغمامُ ، ولا جَادها !

ولم نتحدَّ العروشَ ؛ ولكنْ هو الظلمُ زَلْزَلَ أطوادها

أرى المَلكيَّةَ حُمَّتْ، وباتَت من السُّقْم تُوئسُ عُوَّادها

وساد السَّوادُ البلادَ وصارَ ولاةُ الممالك أفرادها

وعزَّت نفوسٌ على الهُون رِيضَت ومن أَلِفَ الذلَّةَ اعتادها

---

(١) دمشق .

(٢) ما آدها : ما أجهدها .

(٣) مُنْآدها : معوجها .

(٤) كانت كلمة المرون فى الأصل بخط الشاعر : « المران » .

لقد كـانت الأرْضُ حـربًـا على مَنْ … سقـاهـا ، ونَضَّـرَ أعـوادهـا

تفيض علـى نـاعمـات الأكفِّ … نُضَـارًا ، وتحـرم حصَّـادهـا

فكـم من عـراةٍ لهـم سـادةٌ … منَ الخَـزِّ تنسـجُ أبـرادهـا

وُحُـوشٌ من الإنـس ليست بغيـرِ … دمِ الشعـبِ تنقع أكبـادهـا

بـأيـد مُلَـوَّثـة ، لا تعـفُّ … من السحـت تجْمَع إيـرادهـا

جمـالُ ، جمـالُ ، حقـوقُ الضعيف … إذا سلبت كنـتَ رَدَّادهـا

جمـال ، جمـال ، قيـود الشعـوب … إذا أُحْكِمَتْ كنـتَ حـدادهـا

جمـال ، جمـال ، بِنَى الاحتـلال … إذا شُيِّـدَتْ كنتَ هـدَّادهـا (1)

غـزوْتَ العـروشَ ، وبعـد العـروش … تَتَبَّعْتَ بـالغـزو عُبَّـادهـا

بَلَـوْنَـاك فى كل خَطْـب ؛ فكنتَ … ذكىَّ القـريحـة ، وَقَّـادهـا

إلاَم سُكُـوتـك عـن عصبـة … تَـولىَّ الشيـاطينُ إيجَـادهـا ؟

أيَشْهَـدُ مصـرعَهـا الغَـرْبُ يـومـاً … كمـا شَهِـد العُـرْبُ ميـلادهـا ؟

بِـرَبِّك : هـل حـانَ ميعـادُهـا ؟ … قـد اسْتَبْطَـأَ العُـرْبُ ميعَـادهـا

لقـد سَئِمَ العُـرْبُ طـولَ الجمـام … وقـد ملـت البيض أغمـادهـا (2)

---

(1) البنية : ما بنى، وجمعه : بنى .

(2) الجمام : الراحة .

في عيد الثورة سنة ١٩٦٥ :

بين عهدين

لا مصرُ مصرُ ، ولا السُّكَّانُ سكانُ	واد جديدٌ ، وقومٌ غيرُ من كانوا !

عهدان : هـذا عزيزٌ ملْـؤُهُ رَغَدٌ	وذاك طابَعُه ذُلٌّ وحرمان !

ثلاثَ عَشْرَةَ مَرتْ لم تَدَعْ حجراً	إلا تناولـه نقْص وبنيان

خُطَا الشعوب وئيداتٌ ، فكيف بنا	مرَّتْ علينا الليالى وَهْىَ أزمان ؟

يكاد ينكر طَرْفى ما أشاهدهُ	كأنَّ طرفىَ يرنُو وَهْو وسْنان

إذا مشيتُ بِسِيف النيل أنكرُهُ	وربما أنكرَتْنِي منه شُطْآن (١)

قد كان يجرى ذليلَ الماءِ مكتئباً	ما بَاله اليوم يجرى وَهْو نَشْوان ؟

على المَجَرَّة جرَّ الذيل مفتخرًا	أما ترى الموجَ فيه وَهْو مَيْسان ؟

من للمجرة بالسَّدِّ الذى رفعتْ	أسوارَه فوق ماء النيل أسْوان ؟

أين العميد بشَطِّ النيل يملكهُ	طُرًّا ، كما ملك الدنيا سليمان ؟

وأين سُدَّتُه تَعْنُو الوجوهُ لها	وتنحنى فوقها هَامٌ وأذقان ؟

والنيل يعصر للمحتَلِّ كرمتَهُ	وسادةُ النيل للمحتل عُبْدان ؟

لا يُعجبَنَّ ذَليلاً حُسْنُ بِزَّتهِ	بعض الثِّياب على الأحياء أكفان ! !

اليوم ينساب ماءُ النيل منطلقاً	خَرِيرُهُ نَغَمٌ شاج ، وألحان

يارب عصر مضى لا النيل مُرْتَجزٌ	ولا تحس خريرَ النيل آذان

يطيب للغاصب المحتل سَلْسَلُه	وابْنُ البلادِ بماءِ النيل غَصَّان !

---

(١) سيف النيل : شاطئه وساحله ، بكسر السين .

لأيُــرْجعُ الله عهــدًا دال دائلــهُ ... ســادَ السَّــوادَ بـه جـورٌ ، وطغيـان

كلُّ امـرىءٍ عــاكف فيــه على وَثَن ... والمــالكــون زمــامَ الأمــر أوثــان

كُنَّــا وكـانت بــه أهــدافنـا سِلعـاً ... لهُنَّ فى مصـــر أســواقٌ، وأثْمَـــان

يلى الــزَّعــامــةَ فيــهِ كـلُّ مُتَّجِـر ... يـريـد ربحـاً، وحظُّ الشعب خُسـران

من كـل صــائغ أقــوالٍ مُنَمقَّــة ... كأنــه فـى مجــال القــول سَحْبـان

على المنــاصب بين القـوم معـركـةٌ ... كبــرى لهــا ألْـفُ ميدان ، وميـدانُ

والأجنبى يــديــر الحــربَ عن كَثَب ... فى مصـرَ ، وهْـوَ قريـرُ العين جـذلان

كـانـوا نَعَـاماً إذا نـارُ الـوغى اتَّقَـدتْ ... لكنهم إذ يَسُـــود السِّلـمُ فُـــرســـان

كم أنكـرتْ عهدَ الاستعمـار شرذمـةٌ ... هُمْ ـ لا سِوَاهُمْ ـ للاستعمـار أعوان

زعـامـةٌ كـان الاستقــلال فى يَـدهَـا ... عصماءِ يعرضها فى السوق دِهْقَان (١)

ما كان فى يدها استعمارُ مصر سوى ... قميصِ عُثْمَــانَ لمَّــا مــات عثمــان

❊❊❊❊

تَمُّــوزُ بـالثـورة البيضـاء تــاه على ... كل الشهـور ؛ فَغَضَّ الطَّـرْفَ نيسـان

شتَّــان بينهمــا : هــذا يَفُــوح بــه ... زهْـــرٌ ، وذاك ليــوم النصـــر إبَّـــان

أنعم بهــا ثــورةً بــاتتْ تسيـر على ... مِشْكَــاتهـــا أممٌ شتى، وبلـــدان !

أثــارهــا عـربىُّ السَّمْت، أسْمَـرُ من ... صميم مصـــر ، بمـــاء النيل ريَّـــان

فى عصبـة مِنْ بَنـى الأهـرام شـامخـةٍ ... بِنَــا هُمُو ، لَـوْ يلين الصخْـرُ ما لانـوا

مُبــرَّئيـن من الآراب ؛ مـــا علقَتْ ... بمــــا عليهم من الأثـــواب أدران

غَـذَّا همــو من ثمـار النيلِ يـانعُهـا ... ومن حَـــرَائر وادى النيـل ألبـــان

على أكفِّهمــــو أرواحُهـمْ هِبَـــةٌ ... منهم لتخــريــر واديهم وقُــربـان

(١) دهقان : التاجر ذو الخبرة .

لهم قُلوبٌ على الأوطان سائلةٌ   من رِقَّةٍ ، وَهْى يوم الروع صفوان

لم يُولَدُوا فى قصور العزِّ شامخةً   تزين أبهاءَها حورٌ وولدان

بل أنبَتَتْهم عصورٌ كُلُّها محنٌ   للظلم فيها ـ كما للطيْف ـ ألوان

والشعب يُصْلحُه أبناء جلْدَته   هيهات يأسُو جراحَ الشاء ذوبان !

لا يحسم القولُ عدوانًا على وطنٍ   وإنما يحسم العدوانَ عدوان

لا يطفىءُ الماءُ نيرانَ العدوِّ إذا   مافار؛ بل تطفىءُ النيرانَ نيران

... ...

ثلاثَ عشرةَ ما شاب الشبابُ بها   ولا تجاوز سِنَّ الرشْد غلمان

قد حقَّقَتْ معجزات لا يحققها   لمصرَ فى عالم الأَحلام إنسان

ولا تنبَّأَ رملُ الضَّاربين بها   إذا تنبَّأَ بالأسْرار كُهَّان

ولا تدورُ لشعر فى مُخَيَّلَة   والشعر تَدْنُو له الشِّعْرَى وَكِيوان

أنَّى اتجهنا ، رأينا نهضةً عَمَماً   لها أساسان : إنصاف وعُمْران

ياليت شِعْرِى : أعهد السحر قد رَجَعَتْ   فيه العصا ، وهْىَ فوق الأرض ثعبان ؟

كلا ، لعمرىَ ، ما السِّحْرُ المُبينُ سوى   عزمٍ شديدِ القُوى ، يَحْدُوه إيمان

... ...

عهدُ الخواقين قد طَاحَ الزمان به   ما عاد يُزْهَى بتاج الملك خاقان (١)

قد حطَّم الماردُ العملاقُ قُمْقُمَه   فما لغير سَوَاد الشعب سلطان

والملكُ عبءٌ ، يؤُود الظهرَ محملُهُ   لا هامة عاطلٌ بالتاج تَزْدان (٢)

ليستْ ملوكُ الورى أنصافَ آلهة   ولا رعايَا ، هُمُو فى الأرض قُطْعان

بالأمسِ كان لنا عرشٌ أُقِيمَ على   غيرِ الولاء ؛ فلم يَصْلُحْ لهُ شان

---

(١) الخواقين : جمع خاقان ، وهو لقب لكل ملك من ملوك الترك . وهى كلمة تركية .

(٢) يؤوده : يعجزه .

والعـــرش عِـــزَّتُـــه من عِـــزٍّ أمتـــه   إن هـان شعبٌ على حُكَّامـه هـانـوا
هيهـات يثبتُ عـــرشُ الملك إن هـو لم   تسْنِـدْهُ من شعبـه المحكومِ أركـان !

... ...

تَمُّـــوزُ ، ذكَّـــرتَنِي مـــا لَسْتُ نـــاسيَـــه   والـذكريـاتُ : مَسَرَّاتٌ ، وأحـزان !
ذكَّـــرْتَنِى القصـرَ إذ كـــان الجنـودُ بـــه   وربُّـه عـن صـروف الـدهـــر غفـلان
صـــريع كـأسٍ ، غـــريقٌ فى مبـــاذلـــه   ياليـت شعرى : أقَصْـرٌ ذاك أم حَان ؟
الشعب كـــان سجينـــا عنـــد مـــالكـــه.   فبـــاتَ وَهْـــوَ لِـرَبِّ التَّـــاج سجَّـــان
قضى شـريدًا ، فمـا أدمى القلـوب ، ولا   سـالتْ عليـه مـن الأجفـان غُـدران !
والـدهـرُ قـاضٍ؛ إذا جـارَ القضـاةُ على   حقّ ، ففـى يـده للعـــدلِ ميـــزان

من وحى المؤتمر

نشرت فى مجلة الرسالة

العدد : ١٠٤٥ ، ٢٣ من يناير سنة ١٩٦٤ م

مَنْ هــؤلاء بـدار النـدوة اجتمعـوا ؟ الـدهــر ينظــرُ ، والتــاريخُ يستمعُ

ســادات يعـرب قد حطُّوا رحـالهمـو فى دارهمْ ، وإلـى أوطـانهم نــزعـوا

كل البــلاد بـلاد العُــرْبِ أبــرجُهم فى أيهـا نـزلـت أجْـرَامُهم ، سَطَعـوا

إن لـم تسَعْهم بــوادى النيل أرْبُعُـه ففى الصـدور ، وفَـوْقَ الهـام مُتَّسع

يـا سـادةَ العُرْب ، حيَّـا الله مَقْـدَمَكم وبـاركت يـومَــه الآحـادُ والجمع !

الأمـرُ جـدٌّ ، ونعم النـاهضـون بـه أنتم ، ومَنْ غيـركم بـالأمـر يضطلع ؟

إن كـان للخصم أقـوامٌ تشـايعـهُ فـالحـقُّ ، والمـلأُ الأعلى لكـم شِيَع

إن الـذيـن سكتنـا عن مَظَـالمهم لمَّـا سكتنـا عليهـم حقبـة ؛ ضَبَعـوا

لقـد مَدَدْنـا لهم حبلَ الـرجاء ، ولـوْ لـم : نمْـدد الحبل ، فى أوكارهم قبعـوا

تصَّـرف القـوم فى الأردُنِّ حين غـدا لهم : مَصيفٌ بشطَّيْــه ، ومُــرْتَبَع

إن يُطْلقوا يـدَهم فى نهركـم ، طمعوا من بعـدُ فى غيـره ، واستحكم الطمع

مَنَّــوْا بملك سليمــانٍ نفـو سَهُمُــو ولــو تحقَّـق هــذا الحُلْم مــا قنعـوا

لو يشـربون دمـاءَ العُرْبِ ، مـا نَهِلوا أو يـأْكلون لحـومَ العُـرُبِ ، ما شَبِعـوا

... ...

بـــالله ، هل نَسِـى الأشـرارُ أنهُمُــو يـومَ القنـاة على أقفــائهم صُفعُــوا ؟

إذْ أقبلت دول العـــدوان زاحفـــةً زحف الأفـاعى ، وهـم فى ذَيلهـا تَبع

جـاء الثـلاثــةُ ، والشيطـان رابعُهم يحدوهُمُو حادِيَانِ : الحقدُ ، والجشع

وغـرَّهم من سبيـل الغـدرِ مـا سلكـوا | وسـرَّهم من جنـود البغيِ مـا جمَعـوا
حتى وقفنـا لهم صفًّـا ؛ فمـا كسبـوا | شيئـا ، ولكنَّهم بـالخـزى قَـدْ رَجعـوا
شـادوا من الـوَهْم آمـالا، فحين بَـدَتْ | شمسُ الحقيقـة فى آمـالهم ؛ فجعـوا

* * *

إن الضبـابَ الـذى غَشَّى مـرابعَنـا | من خُمسَ عَشْرَةَ كـاد اليوم ينقشع (١)
هم حـرَّكـوا فتنـة كنَّـا نتُـوق إلى | يَـدٍ تحـرِّكهـا ، والخيـرُ مـا صنعـوا
مـؤَجِّجُ النـار تَصْـلاهـا جوارحُـه | وحـافـرُ البئـر فى أعمـاقهـا يقَع
فَلْينقلب سـائلُ الأردنَّ ألسنـةً | من اللهيـب على شطَّيْـه تنـدلع
ومـا لهم وميـاه النهـر فى بلـد | لا النهـرُ يعـرفهـم فيهـا ، ولا التُّـرع ؟

* * *

الأرض تلعَنُهـم مـن تحـت أرجلهـم | والأُفُقُ ينظـر شَـزْرا ؛ كلمَّـا طلعـوا
والشمس تطلع فيهم ، وَهْى كـاسفـةٌ | والنجم يبْـدو عليهـم ، وَهْـو مُمْتَقَع
مَنْ هـؤلاء ؟ وما تلـك الوجـوه ؟ ومِنْ | أىِّ الخـلائق هـذا المنظـر البَشع ؟
من أى وَكْـر ببطن الأرض قد زَحَفُـوا ؟ | من أىِّ مستنقع فى جـوفهـا نَبَعُـوا ؟
سبحـان من زيَّن الـدنيـا وشَـوَّهَهُمْ ! | إن الخليقـة ثَـوْبٌ هُـمْ بـه رُقَع
قد أضحك الكونَ : أن الـذئب جار على | سبْع الفَـلاَة ، ولم يَفْتكْ بـه السَّبُع
وأن أجبنَ مَـنْ فـوق التـراب على | أُسْدِ الشَّرَى منْ بنى عـدنان قد شجعوا
وأن شـذَّاذَ أهلِ الأرض قـد نـزلـوا | جنـات عـدن ، وفى أفْيَـائهـا رتعـوا
مَنْ قال : إن الشَّرَى ــ والليثُ داخلهُ ــ | لـلابقين وللشُّـرَّاد منتجـع ؟
لا تمنـعُ الظلمَ أقـوالٌ مُنَمَّقَـةٌ | الظلم بـالنـار والفُـولاَذ يمتنع
وبـالـوقـوف أمـام الخَطْبِ محتـدمـاً | صَفَـا قلـوبُ المنايـا منـه تَنْخلع

(١) يشير إلى : تـاريخ قيام إسرائيل ، ويأمل فى مؤتمـر الرؤساء العرب أن يخطط لإضعـافها وتقليم أظافرها .

حتى كأنَّ قلـوبَ العُـرْب قـاطِبَـةً
قلبٌ ، وأضـلاعها مـن حـولـه ضِلَع

لا يحسب القـومُ أن الخُلـف بينكُمُـو
فى الـرأى معنـاه أن الشَّمْلَ مُنْصَـدع

بـالضـاد وثَّقَ ربُّ العـرش أُلْفتَنـا
هيهـاتَ هيهـاتَ حبـلُ الله ينقطع !

لن تـردعُـوهم بغير السيف منصلتا
إن اللئيم بحـدِّ السيف يـرتـدع

وكيف نـردع شعبـا مـالـهُ خُلُقٌ
يصـد عن منكـر، أو شـرعة تـزع ؟

المـالُ عنـدهم دِيـنٌ يُـدَان بـه
هـو التُّقَى ، وهُـو الإيمـان والـوَرَع

يكـادُ يسجـد للشيطـان سَاجِـدُهم
فى القُـدْسِ، إن كان بـالشيطـان ينتفع

دُقُّـوا طبـول الـوَغَى ؛ فـالكل مُلْتَئِمٌ
شَـاكى السِّلاح ،ليوم الـزحف مُـدَّرع

العُـرْبُ أجمع قُـوَّاتٌ معبَّـأةٌ
إن قلتم : انـدفِعُوا للغـارة ، انـدَفَعوا

أبنـاءُ يعـربَ حبُّ الحـرب فى دمهمْ
على الحفيظـة والإقـدام قـد طُبعُـوا

من كل أرْوَعَ يلقـى المـوتَ مبتسمـاً
فى سـاحـة الـرَّوْع: لا خـوفٌ ، لا فـزع

الـرُّوحُ يُسْلمُهـا طوعـاً ؛ كـأَنَّ لـه
فى الحـربُ روحًـا سواهـا حين تنتـزع

إن يفعلـوا ، فتـراثٌ عـن أوائلهم
سـارُوا على هـديهم فيـه ، وما ابتـدعـوا

ليست إلى العَـرَب الأمجـاد نسْبَتُنَـا
إن نحن لم نختـرع فى المجد مـا اخترعـوا

هُمُـو أوائلُ سنُّـوا المكرُمـات لنـا
لله والمجـد مـا سَنُّـوا ، ومـا شَـرَعُـوا !

وللعلـوم من الأسفـار مـا كتبـوا
وللفنـون من البنيـان مـا رفعـوا

شـادوا الحضـارة بُنْيَانًـا على أسس
والدهـر فى المهد: لا كَهْـلٌ ، ولا جذَع

إن قيلَ : سلمُ ، فهم فى السلم قـد نَبَغـوا
أو قيل : حربٌ، فهم فى الحـرب قد بَرَعوا

يا سـادة العُرْبِ، أمْرُ العرب فى يـدكم:
إن تنطقـوا سَمِعـوا ، أوتأْمـروا صَـدَعـوا

ادعـوا تُلَبِّ فتـاةُ الحىِّ دعـوتكم
قبـل الفتـى ، ويلـبِّ الشيخُ واليفـع

إن تُقْـدمـوا فبنـو الإقـدام نحن ، وإن
قلتم سـلامـاً فبـالإكـراه نقتنع

الـلاجئـون لهم، يـاقـوم ، مَظْلَمَـةٌ
قـد خَطَّهـا قلمـان: الحُـزن ، والجـزَع

كأنَّنِى بهمُــو إذ هــان أمــرُهُمُــو ... ودُّوا لَــوَ انَّهُمُــوا قبل الهــوان نُعُــوا

سِيمُوا الخضــوع ؛ فعافُــوه ، وكيف بهِ ... وهم لغيــر جَنَــاب الله مــا خضعــوا ؟

تملَّكت عصبــةُ الأشــرار مــا رفعــوا ... من البِنَى ، وجنتْ فى الأرض ما زرعوا

لهم على الأرض أكبــادُ تــذوب أسًى ... غيرَ الهَوَان ، وغير البـؤس مارضعوا !

تحت القِبَاب ـ قباب العــزِّ ـ قد نَشأُوا ... لكنَّهم فى خيــام الــذُّلِّ قــد وُضعــوا

عاشــوا على فضلات المحسنيــن بها ... السُّمُّ مــا أكلوا ، والمرُّ مــا جَرَعـوا !

الــلاجئــون بظهــر الضــاد قــاطبــة ... جُــرْحٌ عميقٌ ، وهم فى قلبهــا وجع !

وكيف يَجْفُــو لــذيــذُ النــوم أعينَهم ... وفى المضاجع إخوان لهم هجعو ا ؟

بــالله ، لا تقبلــوا فيهــم مُســاومــةً ... مع الخصــوم ؛ فمــا أعــراضُنَــا سِلَع

الشــرق يــرقب مــا يُمْلِيــه جَمْعُكُمُــو ... والغــرب ينظــر مــا يأتى ومــا يــدع

وروُحُ كلِّ شهيــدٍ فــى الجِنَــان على ... قـــــراركم مــن وراء الغيب تَطَّلــع

الســاجدون لكم يــدعُون إن سجــدوا ... والــراكعــون لكم يــدعــون إن ركعــوا

حتى المساجد كادت ـ وَهْى من حجرٍ ـ ... مع المصلين تــدعــو الله ، والبِيَع (١)

---

(١) البيعة ـ بكسر الباء ـ : معبد النصارى .

نشيد الوطن السليب

أثيـرُوهـا ، فنحن لهـا جُنُـود وهُمْ بـدلَ الهشيم لهـا وَقُـودُ
تطَلَّعَ نحـونـا وطنٌ سليبٌ بـه وبـأَهلـه عبث اليهـودُ

إلى الـوطن السليب غـدا نعـودُ

أثيـروهـا فأشـرارُ البَـرايَـا لهـا دون الأنـام هُمُ الضَّحـايـا
ولَـوْ أنَّ المَنَـايـا حَـالَفَتْهم سقينـاهم وإِيَّـاهـا المنـايـا

أَثيـروهـا ... ... إلـخ .

إذا مـا الحقُّ أنكـره الطُّغَـاةُ ولـم تُظْهـرُه آيٌ بيِّنَـاتُ
فأفْـواه المـدافع نـاطقـاتُ وأَلْسِنَـةُ اللهيـب لهـا لغـاتُ

أَثيـروهـا ... ... إلـخ .

دُعَـاةُ الشَّـرِّ كـم نقضـوا العهـودا فـلا تُبْقُـوا لـدولتهم وُجُـودا
ومـا غَصَبُـوا فلَسْطينـا ، ولكنْ بهـا حَفَـروا لأَنفسهم لُحُـودا

أَثيـروهـا ... ... إلـخ .

بَـرِئْنَـا من تُـراثِ ابْنِ الـوليـد وأمجـاد الأُبـوَّة والجُـدُودِ
إذا زحف المُغيـرُ على الحُـدود فلـم نفتكْ بـه فَتْـكَ الأُسـودِ

أَثيـروهـا ... ... إلـخ .

لنـا أرضٌ بهـا أُسْـدٌ وغـابُ وجَـوٌّ فيـه يحتـرق السَّحـابُ
لنـا مـاءٌ يُحِيلُ البحـر جَمْـرًا بـه لِلْمعتـدِى سمٌّ مُـذَابُ

أَثيـروهـا ... ... إلـخ .

وقَفْنَـا كـالـرَّواسى للنضَـال نصـون العِـرْضَ بـالمُهَج الغَـوَالى
لنـا من حقِّنـا المسلـوب جُنْـدٌ وجُنْـدٌ من عنـايـةِ ذى الجَـلالِ

أغنيـة :

وطن ينادى أهله !

١٠ من يولية ١٩٦٧ م

أخى ، هـذه الأرضُ مـا شـأْنُهَـا ؟   يكـادُ يُنَـاجيكَ بنيـانُهـا !

تكـادُ لفَـرْطَ أسَـاهـا تفيضُ   من الـدَّمع ـ لا المـاءِ ـ غـدرانُها !

بِـرَبِّك : هل فَقَـدَتْ أهلَهَـا   فـزادتْ على الأهل أحْـزَانُهـا ؟

لقـد حلَّهَـا غيـرُ سُكَّـانهـا   وعنهـا تَـرَحَّلَ سُكَّـانُهـا

على بـابهـا صاح طَيْـرٌ غـريبٌ   فَنَـاحَ على طَيْـره بَـانُهـا !

إذا ذُكـر العُـرْبُ ؛ حنَّتْ، وأنَّتْ   وراحَتْ تُلـوِّحُ أغصـانهـا !

وصـاحت تُهيبُ بجيـرانهَـا   فهل سَمعَ الصَّوْتَ جيـرانُهـا ؟

فلَسْطِينُ ، أرضُ العُـرُبـة عَيْنٌ   وأنتِ مـن العَيْن إنْسَـانُهـا

فـلا غَمَضَتْ عنك عينُ فتَـاكِ   ولا ذاقَت النَّـوْمَ أجفـانُهـا

إلـى أن أُقَبِّل أرضَكِ سَبْعـاً   فتهـدأ نفسى وأشجـانُهـا

فإن عشت ، تخْمُـدْ بقلبى حقـودٌ   تَسَعَّـرُ فى القلب نيـرانُهـا

وإن متُّ ، لـم تُنسنيكِ الجنـانُ   وَحُـورُ الجنَـانِ وَوِلْـدَانُهـا

وَخَلْفى لِثـأْرى وثَـأْر بـلادى   أُسُـودُ الحُـرُوب وفُـرْسـانُهـا

إذا صفَحَـاتُ البطـولـةِ خُطَّتْ   فـإنَّ العـروبـةَ عُنْـوَانُهـا

ودينُ العُـروبـةِ ـ بعـد الإلـٰه   وبعـد النَّبِيِّينَ ـ أوطـانُهـا

فلَسْطين : أرواحُنـا الغـاليـاتُ   بِبـابكِ تَـرْخُص أَثْمَـانُهـا

بـلادِىَ ليست لغيـرى ، ونَفْسِى   ونَفْسُ وَحِيـدِىَ قُـرْبَـانُهـا !

على هامش المعركة :

إلى مجلس الأمن

يـا مَجْلسَ الأمن ، جِـدٌ أنتَ أم لعبُ ؟ وصـورةٌ حيَّـةٌ ، أمَ هيكلُ خشبُ ؟

أُسطورةأنت فى العصر الحديث ، غدًا تـروى أحـاديثَهـا السُّمـار والكتب

مَبْنَـاكَ دارٌ لحفظ الأمـن سـاهـرةٌ عليـه ، أم مُنتَدًى تُلْقَى بـه الخُطب ؟

فى كلِّ يـومٍ تُـدينُ الغـاصبيـن ؛ فـلا بالحكم دَانُـوا ، لا ردُّوا الذى اغتصبوا

مـا بَـالُ خَـدِّك من لطـم اليهـود لـه كأنَّمـا هـو بـالحِنَّـاء مُخْتَضِب ؟

لَقَـدْ أذلَّك ذلاًّ غيـرَ محتمَـل شَعْبٌ ذليـلٌ إلى صِهْيَـوْنَ ينتسب

وَيْحى على معشـر قـادَتْهـم امـرأةٌ بكل أحكامكَ الحيطانَ قـد ضربوا ! (١)

إذا تحـدَّتْ شعـوبَ الأرض قـاطبـةً أُنثى ، فَقُـولـوا ليـوم الحشـر يَقْتـرب!

يـا مجلسَ الأمن ، من أَمَّنتَـهُ فَـزِعٌ من خـوفه قلبُه فى صـدره يَجِب! (٢)

ومن أغْثَتَ بُغَـاثُ الطَّيْـرِ تخطفُـهُ ومن أعَنْـت فـلا جَـاهٌ ولا نَشَب (٣)

من اكتسى بِكَ عَـارٍ ؛ لاَ كِسَـاء لـهُ يكسـوهُ إلا الرِّيـاحُ الهُوجُ ، والسحبُ

وليـس مَنْ تَتَبنَّـاه لِتَحميَـهُ إلا يتيمـاً لـه الهَمُّ المُقيم أب

وَعَـاجِـزٌ أنت عن إنصـافِ مُهْتَضَمٍ عجْزَ الثعالب عـن كرْمٍ بـهِ عنب (٤)

❊ ❊ ❊

لمجلس الأمن أحكـامٌ تـذوبُ ، كمـا ذابَتْ فَقَـاقِيعُ كـأس حَفَّهـا حَبَب

يا طـولَ ما ضحكتْ بِيضُ الصحائف مِنْ أحكامه ، وشَكَـتْ أقلامُ مَن كتبوا !!

---

(١) ويحى : عجبى .

(٢) يجب : من وجب القلب وجيباً ، إذا اضطرب .

(٣) بغاث الطير ـ بتثليث الباء ـ : أشرارها وضعافها . والنشب : المال والعقار .

(٤) المهتضم : المظلوم .

مـا شـاهـد النـاسُ قَبل اليـوم مَحْكَمَـةً ... لَم تَمْـحُ إثمًـا من الآثــام يُــرْتَكَب

ولا قُضَـاةً يَهَـابُــونَ الجُنَــاة ؛ فهم ... يُغْضُــون إن أزهقــوا الأرواحَ أو نهبــوا

تَكَـالـبَ القـومُ حــولَ الأرض وانتشـروا ... مثل الجراد بها ، واسْتَحْكَم الكَلَب [1]

فى كل يــوم جــديــدٌ مِنْ تَــوَسُّعِهمْ ... حَتَّى تَخَــوَّفَـت الأفــلاكُ والشهُب

هم يشـربـون دمــاء النـاس إن ظمئـوا ... ويــاكـلـون لُحُــومَ النـاس إن سغبــوا

لا يَهْنهم من لحــوم النـاس مــا أكلُـوا ... أو يَهنهم من دِماء النـاسِ ما شَـرِبُوا ! !

إن تَتـرُكـوهُمْ ، فلن يُشْفَى سُعَـارُهُمـو ... يـومًـا ، ولن يَقْنَعُـوا يــومـاً بمـا سَلَبُـوا

يا سَاهـرين على الأمن ، اهْجَعُوا ؛ فلقدْ ... طَـال السُّهـادُ بكـم ، والأمنُ ينْتَحِب !

صــونُـوا كــرامتكم ممن بهــا عَبِثـوا ... أو فَاستـرِيحوا ؛ فقـدْ أضْنَاكُم التَعَب !

لا تعجلـوا بـاتهـام القـومِ ، والتَمسـوا ... عُـذْرًا لآثــامهم ، واقْضـوا بمــا طلبـوا

ودَلِّلُــوهم إذا لم يُــذْعنُــوا لكمُــو ... إن المــودَّة بــالتــدليـل تُكتَسب

وَبَــرِّئُوا كـل جــانٍ من جِنــايتــهِ ... إذا بَــدَا لَكُمُــو فى وَجْهِــهِ غَضَب

* * *

يــا مَنْ وهبْتُم لنــا أمْنًــا نعيشُ بــه ... عَفْـوًا ، ألاَ يملِكُ الإنســانُ مـا يَهَب ؟

فأَمِّنـوا ــ قبل أمن النـاسِ ــ أنْفُسَكُمْ ... أوْ ، لاَ ؛ فليـس لهم فـى أمْنِكُـم أرَبُ

مــاذا فعلتم سِوَى أنْ صَـار عـالَمُنَــا ... غــابًــا تحكَّم فيــه مَنْ لــه الغَلَب ؟

نَـارُ الحـروب التى فـى العـالَم اتَّقَـدَتْ ... أنتم لهـا ــ قبلَ من يَصْلَوْنَهـا ــ حَطَب

لا تَهْتِفُــوا بشعــاراتٍ مُــزَيَّفَـــة ... مَـا السلم ، والأمن إلا المَيْنُ والكـذب

يــاليتَ مَغْنَــاكُمُــو مَغْنًى يطيب لنــا ... فيـه الغِنـاءُ ويحلـو اللَّهْـوُ والطَّرَب !

أجْدَى على الأمن من أقْطَابِ مجلسكم ... كَلْبٌ على اللِّصِّ ـ إذْ يَغشى الحِمَى ـ يَثِب

هَــذِى قــراراتكم شَــلاَّءُ ، مُــودَعَــةٌ ... غَيَابَـةَ السجن ، عنهــا النُّورُ مُحْتَجِب

---

(١) الكلب : الداء المعروف ، والأذى والشر .

أحكـامكم عَـاطِـلاتٌ لا يُنَفِّـذُهـا إلا الحـديـدُ وإلا النَّـارُ تلتهب

الحكم مـالم يَجِـدْ سيفًـا يعـزِّزُه خُـرافـةٌ ؛ مـالهـا رَأْسٌ ولا ذَنَب

لا أمْنَ فى الأرض مـا لم يَحْمِ حَـوْزَتـه جيشٌ يـرد جِمَاحَ المعتـدى ، لَجِب

شـدوا على من أثـاروا حَـوْلكم شَغَبـاً بـالحَزْم لا بـالتَّـراخى يُحْسَمُ الشَّغَبُ

وأدِّبُـوا مَنْ عصـاكم بـالسلاح ؛ فقـد يُقَـوِّمُ الأنفسَ المُعْـوَجَّـةَ الأدب

رُدُّوا اعتبـاركمو يـا ،قوم، حسبكُمُـو حِلْمًا ؛ لقـد فَقَدتْ أحلامَهَـا العَرَب

على هامش المعركة :

كلب بلفور

« وجهت إسرائيل إلى بريطانيا إنذاراً ، تطلب فيه : أن تعدل قانونها بحيث لا يسمح للفلسطينيين أن يزاولوا فيها نشاطهم » .

مَنْ سَمَّن الكلبَ أمسى منه مَعْقُورا ... يا جيرة « المَنْشِ » ، هذا كلب « بلفورا »

الذنبُ ذنبكُمُو ، والكلبُ كَلْبُكُمو ... ما زال يَسْمَن حتى بات مَسْعُورا

لولاكمو ، لم يجد نابا ولا ظُفُرا ... ولا رأت عينُه ـ لَوْلاَكُم ـ النُّورا

وكيف يزجر هذا الكلبَ زاجرُهُ ... وليس عن عَضِّ من رَبَّاه مَزْجُورا ؟

عَضَّ اليمينَ التى كم أطعمتْ فَمَهُ ... وكم سقَتْهُ النَّمِير العذبَ مقطورا

وسوف يَعْقرُ أمريكا بفيه غدًا ... إن لم تُعِدُّوا له قَيْدًا وسَاجُورا

وسوف يَنْبَحُ من لاقى ويَجْرَحُهُ ... ما دام يلقَى له نابًا وأظفورا

ألقوه فى جَوْف جُبٍّ لا قرار لهُ ... وخَلِّفُوه بجوف الجب محصورا

إن تطرحوه بماء البحر، دنَّسهُ ... فطهروا منه ماءَ البحر تطهيرا

بأىِّ عينٍ نظرتم يومَ مَوْلِدِهِ ؟ ... كانت عيونكمو حوْلاءَ أم عُورا ؟

يَا ليتكم يوم أن ربَّيْتُمُوه لنا ... أبْدَلْتُمُونَا به أفْعَى وخنزيرا !

دَلَّلْتُم الكلب حتى كاد سادتُكم ... يدعونه : ملكاً ، أو إمْبراطورا

إذا سمعتم نُباحاً منه أطْرَبَكُم ... كأنكم قد سمعتم منه مَزْمُورا

وإن دنا منكمو قبَّلْتُمُوه كما ... يُقَبِّل الحورَ صبٌّ يَعْشَق الحورا

وإن تجَهَّم قمتم حول مَضْجَعِهِ ... حتى ينامَ قريرَ العين مسرورا

وإن يَبُلْ فى سرير من أسرَّتكم ... شَممتُمو بولَه : مِسْكًا، وكافورا

إن الثِّقَاب الذى أشعلتموه ، غدًا يُؤجِّجُ النار فوق الأرض تَنُّورا

بالأمس أنكرتمو شرَّ اليهود إلى أن أصبح اليوم ملموساً ومنظورا

لم تُنصفوا يوم آوَيْتُم ــ بلا حذر ـ شعبًا على النَّفْى والتشريد مفطورا

شمَّ الهواء ؛ فثار الشر فى دمه يا ليتهُ ظل تحت الأرض مطْمُورا !

ما ضَرَّ إن حاولوا إنضَاج خبزهِمُو لو أحرقوا كوكباً بالناس مَعْمورا ؟

قد أسْكَر القومَ نصرٌ زائفٌ ظفروا به ، فلا تَعْذِلوا من بات مخمورا

الفأرُ فى حانة الخَمَّارِ إن تره لألْفِ هرٍّ تَصَدَّى، كان معذورا

❊ ❊ ❊

يا مَنْ جَلَبْتُم لنا هذا الوباءَ ، خذوا نصيبَكم منه قبل الغير موفورا

ما كنتُ أحسَب إسرائيلَ تنذركم وقد بنيتم بها من خَلْفِكُم سُورا

أنتم حفرتم بها فى الشرق ساحتكم يا ليته كان بالقرصان مخفورا !

كم راع إنذارُ إسرائيل ليثَ شرًى عن غابِهِ ارتَدَّ « نابليونُ » مقهورا

تلفَّت الجيش عبر المَنْشِ من فزع إذ ذاك ، وانْتَفَضَ الأُسطول مذعورا

ويْحى على الدولة العظمى ؛ أتيح لها مَنْ راح يُوسِعُها ذُلًّا وتحقيرا !

زُجُّوا بقانونكم فى البحر ، والتمسوا سواه حتى تنالوا عَطْفَ « مائيرا »

« جولدا » تُدِلُّ عليكم دَلَّ غانية ليس الدَّلال على الحسناء محظورا

وكل تِيه من الحسناء مُحْتَمَلٌ وكل ذنب جَنَتْه كان مغفورا

إن لم تقوموا بتقديم الولاء لها يرتدَّ أُسطولُكم فى البحر مَدْحورا

وانهار شاطئكم من تحتِ أرجلكم وبات بالنار ــ قبل الماء ــ محصورا

وكيف لا، ولها جيش تصولُ به لو حارب الجِنَّ طُرًّا عاد منصورا ؟

ما بال دستوركم : عَدْلاً، وتسويةً بين الجميع ؟لَحَاهُ اللهُ دستورا ![1]

---

(١) لحاه الله : قبحه .

لقــد تطــوَّرت الــدنيــا بِــرُمَّتِهــا ... ولم يــزل جــامِــدًا لم يلق تطــويــرا

ويلٌ لهم !أئذَا جــافــى مطــامِعهم ... قـــانـــونُ دولتكــم عَــدُّوه مَبْتــورا ؟

قـولـوا لهم، يضعـوا أحكامَـه لكمـو ... أو فـاجعلـوا الأمر فيمـا بينكم شُـورى

دار الـزمـان ؛ فصار العبـد يَأْمُـر، أوْ ... ينهى ؛ ومــولاه مَنْهِيًّــا ، ومـــأْ مــورا

مـا كـان فى شـرعكم أمْتٌ ولا عِـوَجٌ ... لكنْ تَجَنَّــوْا عليــه وادَّعَــوْا زُورَا (١)

متى نَفَـى وطنُ الأحـــرار مهتضمـــاً ... يــريـد للــوطن المحتـل تحـريــرًا ؟

إن تأو بعضَ ضحـايـاهم بـلادُكمـو ... فكم أوَتْ فَـــاجِــرًا منهمْ وشِـــرِّيــرَا

لا تتــركــوا أحــدًا يــرتــاد واديكم ... وصَيِّـــرُوهُ على الصَّهْيَــون مقصـــورا

مــدَّ اليهــود إلى التـــاميــز أعينهم ... فهل يـــريـــدون فى أحيـــائه دُورا ؟

أهم بـ « لنـدن » فى التوراة قـد وُعدوا ... أو جـاء ذلك فى التلمود مسطـورا ؟ !

يا جيـرة المَنْشِ، أضحى ليثُكم جُرَذًا ... وصـار شاهينكم فـى الجو عصفـورا !

(١) الأمت : الضعف ، والوهن ، والشك ، والعيب .

نشيد
مدينة الأَقصر

يـــا بلـــدة الأَقصُــــرْ دانـتْ لـك الأعصُــــرْ
واديـك كـــالأسطـــرْ فـى صفحــة الخلــدِ

* * *

لِمُلُـــــوكِ واديـكِ شهــــدت أَعـــاديـكِ
كـم معبــــدٍ فيـكِ أَرسَـى مـن الطــــود

* * *

يـــا كعبـــةَ الغـــرْب فـى دولــــة العُـــرْب
كــم فيــك مـــن ركْـــب كـم فيـك مـن وفــــد

* * *

كـم فيـك من سِفْـــــر قـــد خط بـــالتبْـــر
من ســـالف الـــدهــر نقشًـــا على البـــرْدِى

* * *

آثـــارك الغَـــرَّا قـــد صيـــرت مضـــرا
بيـن الـــورى طُــرَّا علَمـــاً على المجـــد

* * *

فى تـــربك الطـــاهــر مجـــدٌ لنـــا غـــابــر
سيُعيـــده نـــاصـــر بـــالعـــزم والجـــد

عبـــــرات !

رويدك يا جمال !

نهضتَ بمـــا تَنُـــوءُ بـــه الجبـــالُ — فكيف يطـول عمـرُك يا جمـال ؟ (١)

رويـدك ، يـا جمــال ، فأنت تشكـو — وللجسـد الـذى يشكـو احتمــال

فتًى لم يستكـنْ للـــداء لَمَّـــا — غـــزاه ، كأن غـــزوتــه احتـــلال

أيحســب أن داء القلـــب خصـــمٌ — وأن الحـــرب بينهمـــا سِجَـــال ؟

ومـــا أخْنى عليـــه الـــداء لكن — شجـــاعتُـــه هـى الـداء العُضـــال

صـريعَ القلب ، مـا خَلَّفْـت قلبـاً — بصـــدر لم يُخَـــامِـرْهُ اعتـــلال

أيشكـــو قلبُك الخفَّـــاقُ ضِيقـــاً — وقلبك لا يحيط بـــه خَيَـــال ؟

وفيـــه لكل محـــزون مكـــانٌ — وفيـــه لكل مكـروب مجـــال ؟

أيسكت ، والقلـــوب لهـــا وَجِيبٌ — وييبَس ، والرياض لها اخضلال ؟ (٢)

أيسكـن والكـــــواكـب دائراتٌ — كأنَّ الكـون ليس بـه اختـــلال ؟

أيَغْـــوِزُهُ دم ، ولنـــا عـــروقٌ — جـــرت فيهـا دمـــاء لاَ تُكَـــال ؟

* * *

عـــلام تشـــدُّ رحلك يـــا جمـــال ؟ — رويـــدَك ! لم يَحِنْ لك الارتحـــال

رســـالتُك التـى أنفقْتَ فيهـــا — حَيَـــاتَك ، مـا أُتِيـح لهـا الكَمَـال

لكم عَلَّمتنـــا صبـــرًا جميـــلاً — وأين الصبـــر بعـدك والجمـــال ؟

ومـــا نَعْصِى نصـــائحَك الغَـــوَالى — ولكـن كيف يمكـن الامتثـــال ؟

مصـــابُك لاتخففُـــهُ دمـــوعٌ — ومجـــدك لا يصـــوِّرُهُ مَقَـــال

---

(١) تنوء الجبال : تعجز .

(٢) وجيب القلب : اضطرابه وخفقانه . اخضلت الرياض اخضلالا: كثرت أوراقها وأغصانها .

سَمَــوْتَ إلى السُّهَــا حيًّـا ، وَمَيْتًـا ... ومــوتـك ليلــةَ الإِسْــرَاء فَــالُ

كأنـى بــالتــراب عليك يبكى ... ويصــرُخُ فــوق قبــرك إذ يُهَــال

جـرى النيلُ الحــزين عليك دمعــاً ... وســال دمــاً على البطل « القنــال »

صخـور السـد بعـدك نـاطقاتٌ : ... بأنْ لا شىءَ فـى الـدنيـا محــال

بحيــرةُ نــاصــرٍ مــاذا دَهَـاهَـا ؟ ... دمـــوع تلـك أو مـــاء زلال ؟

* * *

قبضـتَ علـى أزِمَّتهـــــا بكـفٍّ ... كأن بنــانَهـــا قُضُبٌ صقـــال

ويختلف الـــرجـــال كمــا أرادوا ... فإن أو مــأْت أنت ، فـلا جـدال

وتعلم أنَّ عـــرش الحكم سُهْـــدٌ ... وجهـــد ، لا دلالٌ واختيـــال

وأنَّ مَن استقـــر عليـــه ، تُلْقَـى ... علـى كتفيـــه أعبـــاء ثِقَـــال

فلـم يغمض لـــه فـى الليل جَفْـنٌ ... ولم يهــدأْ لــه فى الصحـــو بـال

إذا كــانت عــروسَ الشـرق مصـرٌ ... فأنـت بخــدِّهـــا الــوَرْدِيِّ خــال

* * *

صَمَتَّ ، وكـم خطــابٍ منك دَوَّى ... بأسمــاع الــورى وَهْــو ارتجــال !

إذا أطلقْتـــه أصغـى جَنُـــوبٌ ... إليــه ، وأرهف الأُذنَ الشَّمَـــال

وشـــر الصَّمت صَمْـتٌ مِنْ بَلِيغٍ ... لــه فى المحفـل الخُطبُ الطــوال

حــديـث لا تكلُّفَ فيــه ، بــاد ... ولا بـــادٍ عليـــه الافْتِعَـــال

إذا أَلقيتـــه وسَـط احتفــــال ... تكهْـــرَب أو تمغطسَ الاحتفـــال

تــزيِّنُــهُ حقــائقُ ســافــراتٌ ... سفــورَ الغِيـد تبـرزهــا الحجــال

ومــا لغــة السيــاســةِ غيــرُ زيْفٍ ... ومــا مــدلــولهــا إلاَّ ضــلاَل

وخيــر القــول مــا أمـلاه طبْعٌ ... وأصــدقُــه هــو السِّحْــرُ الحــلال

عهـــدتك تبتنى للخُلْقِ رُكْنًـــا بعصــر ســاد فيـــه الانحـــلال
تـــريـــد لهـــذه الـــدنيـــا ســـلامًـــا تـــآخى اللَّيْثُ فيـــه والغـــزال
وعهـــدًا من رخـــاءٍ ؛ لا فقيـــرٌ يمـــد يـــديـــه فيـــه ، ولا ســـؤال
فمـــا فى النـــاس من بَشْم عَلِيلٍ ولا طـــاوٍ أضَـــرَّ بـــه الهُـــزَال [1]
ولا شعـــبٌ تحكَّـــم فـــى ســـــواه ولا عـــانٍ بـــرجليـــه شِكـــال
تـــريـــد العيش تســويـــةً وتَـــأْبَى إرادتُـــك الطبـــائع والخصـــال
وكيف يســـودُ فى الـــدنيـــا ســـلامٌ إذا لم يَخْـــم حَـــوْزَتَـــه القِتَـــال ؟

❊ ❊ ❊

وقـــالـــوا : عـــاش فـــى دنيـــاه فـــذًّا فقلت : ومـــات مـــوتـــاً لا يُنَـــال
وشُيِّعَ نعشُـــه فى مِهْـــرَجَـــان تحفُّ بـــه المَهـــابـــةُ والجـــلال
ومـــاج النـــاس حـــولَ النعشِ مَـــوْجـــا كأن الحـــزن ذَوَّبَهُمْ ؛ فســـالـــوا !
مشينـــا ، لا نصـــدِّقُ مـــا نـــراه وكيف نَـــرَى ولِلـــدَّمْعِ انهمـــال ؟
نُكـــذب مَـــوْتـــه ، ونشكُّ فيـــه ولاشكٌّ ، هنـــاك ولا احتمـــال
فَلَمَّـــا طـــاشت الآمـــال قلنـــا ـــ على مضض ـــ : إلى الله المـــآل
ومـــالـــوا بـــالـــرَّئيس ليـــدفنـــوه فهل مـــال المقطم حين مـــالـــوا ؟
ومـــا ســـالـــت دمـــوعُ العين إلا لتطفىء مهجـــةً فيهـــا اشتعـــال
وبعض الـــدمع ذوبُ القلب سَـــالتْ عُصَـــارَتُـــه ، وبعض الـــدمع آل [2]

❊ ❊ ❊

نعـــاه النـــاس فى شـــرق ، وغـــرب كـــأنهمـــوا لـــه صَحْـــبٌ ، وآل
ومـــا ورِث السيـــادةَ عَنْ جـــدودٍ ولا شهـــر اسمَـــهُ عَـــمٌّ وخـــال

(١) البشم : الإكثار من الطعام إلى حد التخمة ، وأبشمه الطعام : أتخمه ، والطاوى : الجائع .
(٢) الآل : السراب ، والمراد : الخداع .

فقل لمُفَـــاخـــر بأبيـــه : هـل من أب للشمس ؟ وابـنُ مَن الهـــلال ؟
إذا فخـــر العصـــامِيُّـــون يـــومـــاً بأنفسهـــم ، فـــأَنْـتَ لهم مثـــــال

❊ ❊ ❊

تعـــــالـى الله! إن المـــــوت حـق وما للطبِّ فـى المـوت احتيـال !
وكم مُتَـدَثِّـر صُـوفـاً وقطنـاً حِـذَار البـرد أدركـه السُّـلَال ! (١)
وكـم عينٍ مُكَحَّلَـــةٍ بسحـــر لهـا فـى القبـر بـالتـرب اكتحـال !
ألا ليـت العظيمَ يَظَـلُّ حيًّـــا ولا يعـــرُوه شَيْبٌ واكتهـــال !
دَفَنَّــاه بـأيـــدينـــا ، وكُنَّـــا نُـــرَاعُ إذا أَلَمَّ بــــه سُعَـــال !
قضَى ــ كـابن الـوليد ــ على فـراش وكم أخْطَــاه غَـــدْرٌ واغْتِيَـــال
فـــلا نـام الجبـانُ قـريـرَ عين ولا صَلَحَتْ لـوَاهـى العـزم حـال
إذا حـان الـــرَّدَى، فـالمـاء سمٌّ كأن المـــاء تنفثُــه صِـــلَال (٢)
وإن كُتبـتْ لمخلـــوق حيـــاةٌ تثلمـت الأسنَّـــةُ والنِّصَـــــال
ولا يفنى عظـــامُ النــاس، لكن إلى التـــاريخ مَـــوْتُهُم انتقـــال
حيـاةٌ فى صــدور النـاس، أو فى بطـــون الكتب ليس لهـــا زوال

❊ ❊ ❊

سَلُــوا رَكْبَ العـروبـة فى البـوادى تَخُبُّ بــه النَّجَـائب والجمَـــال
بِبَطْـن الأرض تستـــرهُ وهـــادٌ وفـــوق الأرض تُظْهِـــرُه تـــلال
سَلُـوه : عَـلَامَ ينتحـب انتحـابـا وتنتحب الــرَّوَاحلُ والــرِّحـــال ؟
لقـد عصفت بحـاديـه السَّـواقى وغَطَّتْـه الجنـادلُ ، والــرِّمَـــال
وظـل الجسْـمُ يتبعـــه ،ولكـن جمـــالٌ لم تَغبْ مَعَــهُ الظـــلال
كأنـى بـــالفقيـد مِـنَ الأعـــالى يشـــاركنـا إذا احتـدم النِّـزال

---

(١) السلال ـ بضم السين ـ: مرض يصيب الرئة ، يهزل صاحبه ويضنيه .

(٢) الصلال : جمع صل ـ بالكسر ـ وهى : الحية الخبيثة .

وتهتف روحـــه : مـــالى تـــراث أخلفـــــه لكـم إلا النِّضـــــال
وإلا مــــا ورثتم مـن خـــــلالى ونِعْمَـتْ ثــــروةً تلـك الخِـــلال

❊ ❊ ❊ ❊

جنودَ العُـرْبِ، والوُا الـزحف، لَسْتُمْ كتـــائبَ نـاصـــر إن لم تـــوالـــوا
وإن تُمْـــددْ أعـــاديكم بجنـــد أبـــالســـةُ الجحيم، فـــلا تبـــالـــوا
وغـــالـــوا بـــالنفـــوس ، فإن ينلهـــا من الأهل الهــوان ، فـــلا تغـــالـــوا
وحـرب الأهل ـ مـا دارت رحـاهـا ـ مَغبَّتُهــــا علـى كـل وَبَـــــال
أفى حـــرب المصيـــر مع الأعـــادِى يَـــدبُّ إلـى صفـــوفكم انفصـــال ؟
أليس لكم بِمَـنْ غَصَبُـوا حمـــاكم عن الشحنـــــاء بينكم اشتغـــــال ؟
دمـــــاءُ الأهل فـى الأُرْدُنِّ ســـالَتْ وقُطِّعَت الـــوشَـــائجُ والحبَـــال
وصـــال بــه الجنـــودُ أسـودَ غَـــابٍ فليتهمـــو على الأعْـــداء صـــالـــوا !
إذا انتصـــــر الشقيـقُ على شقيـقٍ فَيُمْنَـــــاه أصـــابَتْهـــا الشِّمَـــــال

❊ ❊ ❊ ❊

لعمـرك، مـا العـروبـةُ مَحْضُ فَخْـرٍ بأســـلاف لنـــا كـــانـــوا ، وَدَالُـــوا
ولكنَّ العـــروبـــةَ صـــدقُ عَـــزْمٍ ومبـــــذولان : أرْوَاحٌ ، ومــــال
وإحْيَـــــاءٌ لأمْجَـــــادِ الأوَالـى وأقـــوال تُعَـــزِّزُهـــا فعَـــال
وأفئـــدة رَسَـــا الإيمـــان فيهـــا لهـــا بـــالله فى المحَـن اتصـــال
إذا أنتـم إلـى العـــــرب انْتَمَيْتُـمْ فمـــا تكفى العَبَـــاءَةُ والعِقَـــال
جُنُـــودَ العـــرب ، نـــاداكم جمـــالٌ وصـــاح بكل مِئْــذَنَــة بـــلال :
عِـــدَاكم مـــالهـم أبـــداً عُهُـــودٌ وهل للـــرقص فى المشى اعتـــدال ؟

عهـدنـاكـم إلى الجُلَّى عِجَـالاً ... وعنـد الفئ ما أنتم عجـال

سليلُ العُـرْب عنـد الحَـرْب ثَبْتٌ ... لـه وجـهٌ وليس لـه قَـذَال

لئن نَكُ فى حَـزِيـرَانَ انخـذلنـا ... فكم نصـرٍ يُسَبِّبُه انخـذال

وإن تك مصـر قـد فَقَـدَتْ جَمَـالاً ... فمـا عقمت ، ولا قَلَّ الـرجـال

جمـالٌ غـاب ، والعـدوان بَـاقٍ ... وجـرح القُـدس دَام لا يـزال !

وتنـدمـل الجـراحُ مع الليـالى ... وجرح القـدْسِ ليس لـه اندمَال !

دمعة على العقاد !

فيلسوف الشرق

نشرت فى مجلة الرسالة فى ١٩ / ٣ / ١٩٦٤ م .

جـزع الشـرق ، وأجـرى أدْمُعَـهْ ! ... ليت شعـرى : أىُّ خطـب رَوَّعـه ؟

لا تلـومـوه على تَـذْرافهـا ... فيلسـوف الشـرق خَلَّى مـوضعـه

شيَّع الفجـرَ لعمـرى بـاسمًـا ... والضحى فى رأْده مـن شَيَّعَـه ؟ (١)

كفِّنـوا العقـادَ فى أسفـاره ... وادفنـوا المِرْقَـم والطِّرْس معـه (٢)

لست أدرى : أشهـابًـا كـان ، أَمْ ... عَيْلَمًـا ، أم راهِبًـا فى صـومعـهْ ؟

عـالم ، بـل عـالَمٌ فى رجل ... ليت شعـرى : أىُّ قبـر وسعـه ؟

سـائلـوا العلَّـة : هـل أوْدَتْ بـه ... رغم سبعين وخمس مسـرعـه ؟ (٣)

لا تقيسُـوا بـالليـالى عمـرَهُ ... بل سلـو ا : فـى أى شىء قطعـه ؟

لم يَسَلْـهُ سـائلٌ عـن معضل ... حَيَّـر الأَفهـام إلَّا أقنعـه

مَـالـه اليـومَ طـويـلا صمتُـه ؟ ... أى شىء عـن جـوابى منعـه ؟

صـرَعَ المـوتُ فتًى لـم يستطع ... خصمُـه فـى حَلْبَـة أن يصـرعـه

لستَ تـدرى : أهـو يَحْشُـو طرْسـه ... أحْـرفـاً ، أم هـو يحشـو مـدْفعـه ؟

وسـلاحـاه : يَـرَاعٌ مُـرْهَفٌ ... ودليـلٌ بَيِّنٌ ، مـا أنصعـه !

ذو يـراع حيـن يـأْسـو علَّـةً ... يـزدرى كـلُّ طبيـبٍ مبضعـه

دولـة الألفـاظ فى خـدْمَتـه ... إنْ دعـا اللفظـةَ ، جـاءت طيِّعَـه

نـافـذُ الطعنـة ، إن شـاكَ بـه ... أضْلُعَ الجبَّـارِ، تقْصِفْ أضلعه

---

(١) رأد الضحى : ارتفاع الشمس وانبساطها .

(٢) المرقم : القلم ، والطرس : الورق .

(٣) يشير بذلك إلى : سن العقاد حين وافته المنية (٧٥ عاما) .

إن يسلطـــه على نجْـم هَـــوَى ... أو على أركـــان طـــوْد صَـدَّعــه

رُبَّ حقٍّ صـــانـــه ، أو بَـــائِس ... ذاد عنـــه ، أو سَفِيـــه رَدَعـــه

رب غِـــرٍّ رام منـــه لفْتـــةً ... فــرمـــاهُ بـــالنُّعُـوت المقـــذعــه

نخلـــةٌ دَبَّتْ عليهـــا نَمْلَـــةٌ ... وَخضَمٌّ فيـــه نَقَّتْ ضِفْـــدَعـــه

شتم الأعـــرجُ طـــوْدا شـــامخـــاً ... حينمـــا أعجـــزه أن يطلعـــه

إن عـــرض الحـــر مـــرعًى مُخْصبٌ ... يجـــد الـــوالغ فيـــه مـــرتعـه

ســـائلـوا ذئب الغضى فى جحـــره : ... مَنْ على الأُسْدِ الضوارى شجَّعه ؟

ينـــــزل الليث إلـى ليث ، ولا ... تجمـع الليثَ بهـــرٍّ مَعْمَعَـــه

قلم العقـــاد سيفٌ بـــاتـــرٌ ... لم يجـــردْهُ ابتغـــاءَ المنفعـــه

لم يجـــرعْـــهُ كُئـوسَ الشَّهـــد، بَلْ ... كم كئـــوس من زُعَـــاف جَـــرَّعَـه

العصـــامىُّ الـــذى يـــأْبى ســـوى ... كفِّـــه نحـــو العـــلا أن تـــدفعَـه

العَيُـــوف النفس؛ لـــو ألبســـه ... غيـــرُهُ ثـــوبَ خُلـــود خلعـــه

يَـــابِسٌ ، بل شَـــامِس ؛ لم تستطع ... رغبـــة أو رهبـــة أن تخضعـــه

لا تلـــومـــوه على أخـــلاقـــه ... هكـــذا رَبُّ البَـــرَايـــا طَبَعَـــه

هكـــــذا صـــوَّرهُ بـــارئهُ ... وعلـى مقلتـــهِ قَـــدْ صنعـــه

عـــاش فى عصـــر الشفـــاعـــات ؛ فمـــا ... شقَّ الا بِيَـــدَيْـــه مهْيَعَـــه (١)

وهْـــو كـم من نَـــابـــه أخْمَلَـــهُ ... وأديـبٍ مـن حضيـض رفعـــه

لا يحط الـــدهـــرُ مَنْ يـــرفعُـــه ... لا ، ولا يـــرفع قَـــدْرًا وضعـــه

يجـــد الأعـــداءُ فيـــه لـــدَدًا ... والأخـــلَّاء صفـــاءً وَدَعَـــه

شـــامخُ الـــرأْسِ إذا الـــرأْسُ انحنى ... أبغضُ النـــاس إليـــه الإمَّعَـــة (٢)

---

(١) المهيع : الطريق .

(٢) الإمعة : الذى لا رأى له ، ويتبع غيره : أساء ، أو أحسن .

ليست العـــزة دينـــاً تبعَـــهْ — إنمـــا العـــزَّةُ دينٌ شـــرَّعـــه

وتَقَـــاضَتْـــهُ المعـــالى حقبَـــةً — ثمـنَ العـــزة فقـــرا أدقَعـــه

رُبَّ يـــوم عضـــه فيـــه الطـــوى — ورداء بيـــديـــه رَقَّعَـــه

فى زمـــان أَلِـفَ الـــذُّلَّ ؛ فمَنْ — رفع الهـــامـــةَ فيـــه ، جَـــوَّعَـــه

لاَثـمُ الأعتـــاب فيـــه آمـــرٌ — والفتى الحـــرُّ بـــه مـــا أضْيَعَـــه !

حسبُـــه السِّجْـن أواه تسعـــةً — وَهْـو يشكـو من سقـام أو جعـه (١)

ونـــزول المـــاجـــدِ الحُـــرِّ بـــه — مـن قـــديـم سُنَّـــةٌ مُتَّبَعـــه

* * * *

كـــاتِـبٌ تلمح فى أُسلـــوبـــه : — وجهَـــه ، بل يـــدَه ، بل أصبعَـــه

ذو بيـــان لـم يقلِّـــده الحلَى — من رَأى الأُسلـوب فَـلاً ، سجعـه

لم يُـــوَشَّـعْ بجُمَـــان قـــولُـــه — بل بفكـــر فيـــه عمـقٌ وشَّعَـــه

رُبَّ نثـــرٍ بَـــرْقعَتْـــهُ زينـــةٌ — هـــو زيفٌ حين يَنْضُـــو بُـــرْقُعَـــه

رب نظم مـــا لـــه من هـــدَف — ليس يـــدرى نـــاظمـــوه مـــوقعَـــه

ومن الشعـــرِ غثيث فـــاتـــرٌ — تـــأْنفُ الآذان مـن أن تسمعـــه

مـــالـــه من أبْحُـــر، أو تُـــرَع — أو عيـــون . لست تـــدرى مَنْبَعـــه !

لفَّقَتْـــه عصبـــةٌ مـــا وردت — بحـــرَه ؛ بـل وردت مُسْتنقَعـــه

هل درى الشمَّـــاخُ فـى صحـــرائه : — أن قـــومـــاً ألبســـوه قُبَّعـــه ؟

يـــا دعـاةَ الشعـــر ، مـاذا قلتمـــو ؟ — أنـــا لا أسمع إلا جعجعـــه !

أيهـــا الـذؤبَـــان ، قـد حَلَّ الشـــرى — واستُبيحَت حـــرمـــاتُ المسبعـــه

فأحلُّـــوا الشعـــر مـن أوزانـــه — واقطعـــوا كل لســـان قطعـــه

* * * *

---

(١) يشير إلى : سجن العقاد تسعة أشهر ؛ لأنه كان وجه إلى الملك فؤاد قوله - فى مجلس النواب - : «وإن الشعب قادر أن يسحق أكبر رأس يعطل الدستور » .

عبقريُّ العبقريات قضى ... فهَيَ من حُزْنٍ عليه جزعه !

إن بَكتْه العبقريات دَمًا ... فَهْي من أوصافه منتزعه

خَالدٌ خلَّد أبطال الورى ... أي معنى بهمُو قَدْ جمعه ؟

ادفنوه بين دور العلم، أو ... بين دور الكُتُب خُطُّوا مضجعه

طلَّقَ الدُّنيا ثلاثًا ، واصطفى ... من بنات الفكر حُورًا أربعه

ما بنى إلا بموسوعاتها ... وتبناها ؛ فكانت منَعه

عاش كالنحل دَءُوبًا بينها ... يَنْتقَى من كُلِّ زَهْر أينعه

أغلبُ الظَّنِّ ، لعمرى ، أنها ... خيرُ مَنْ صاحَبَه أو وَدَّعه

مات عباسٌ ! وتبقى أُمَمٌ ... تجتنى من بعده ما زرعه

مات عباس ! جزاه ربه ... رحمةً عن كلِّ معنىً أبدعه !

دمعة على الخفيف !

نشرت فى الأهرام ، فى ١ - ١١ - ١٩٦١ م

من كنتُ بـالأمس فى شعـرى أُداعبُـهُ ... مـا بـالُـه اليـوم قـد أصبحت أرثيـه ؟

يـأبـى علىَّ قـريضى أن يصـدِّقَنى ... إن قلت : أصبح بطنُ الأرض يُؤويه !

أرثى الخفيف بشعـرى أم أُفـاكهُـهُ ؟ ... لا ؛ بل أسوق لـه إحـدى الأفـاكيـه

إنى لأحسَب تـأْتينى مـداعبـة ... جـريـا على عـادتى أنشأتهـا فيـه

تشابَـه الحزنُ عنـدى والسرورُ ؛ فمـا ... أدرى فكـاهـاتِ دهـرى من مـآسيـه

محمـودُ ، شعـرُك حَسْبى إذ تفـارقُنى ... فأنـت فى كـل بيت حيـن أرويــه

رنـاتُ صـوتـك تسرى مـن مطـالعـه ... وحسنُ سَمْتِك يبـدو من قـوافيـه

محمودُ ، سامَحَك الرحمن ! كنـت ندًى ... على فُؤادِى ؛ فكيف اليـومَ تُصميه ؟!

في رثاء الخفيف :

فديتك راحلا !

عَــلامَ تَشُــدُّ رحلكَ غيــرَ وانى ؟ ... فــديتُك راحــــلاً قبل الأوان !

رويدك ، يا خفيفُ ؛ فلست تدرى ... بقبــرك ــ بعــد بُعْــدكَ ــ مــا أُعــانى

بــربِّك : كيف تلقى المـوتىَ دونى ؟ ... وكيف بــه دعــاكَ ، ومــا دعــانى ؟

وإنى مـن كيَــانـك كنتُ جــزءا ... كمــا قــد كنتَ جــزءا من كيــانى

وَكنتُ أعُــدُّ دمع العين ضعفًــا ... فســـال عليك منطلـقَ العِنَـــان

وكيف أُطيـقُ بعـــدك حَقْنَ دمعى ... ولـى : قلـب يحس ، ومقلتـــان ؟

وقـالــوا : إن سَكْبَ الـدمع يَشْفى ... فمــا للــدمع بعــدك مــا شفــانى ؟

ومــا هـذى الحيــاةُ سـوى طـريق ... ونحن على الطــريق مســافــران

فكيف تــركْتنى فى الــدرب فــردًا ... ومــالى بــالسُّــرى فــردًا يــدان ؟

وآخـى بيننـــا الأدبُ المصفَّـى ... فظن النـــاس أنـــا تـــوءَمـــان

فكنتُ إذا فــرحتُ ، فــرحتَ قبلى ... وتَشجَـى أنـتَ ، إن هَمٌّ شجـــانـى

وإن غَشِيَتْك غــاشيــةٌ ، أُعَــزَّى ... وإن رُقِّيــتَ ، جـــاءَتْنى التهـــانـى

* * * *

أحقًّـــا : أنَّ محمـــودا تـــولى ... وأنـى لـن أراه ، ولـن يَـــرانـى ؟ !

وكيـف ، وصــوتُـه مــا زال يسرِى ... إلى سمعى كمــا تسـرى الأغــانى ؟ !

وذلـك سمتــه طلقُ المحيـــا ... وذاك شبــابُـــه فـى عنفـــوان ؟

كــذلك أنتِ ، يــا دنيـا ، ســرابٌ ... لَحَـــاكِ الله ! مـــالـك من أمـــان !

يُطـــالِعُنى الخفيـفُ بكل أُفْـق ... وألمـح وجهَـــــه فـى كـلِّ آن

فعنـــد النــوم يَعْــرض لى خيـــالاً   وعنـــد الصحـــو يبـــدو للعَيـــان
أكـــاد أراه حيـن أسيغُ مَـــائى   وزادى فـى الكئـــوس ، وفى الأوانـى
أرى وَجــهَ الخفيـف خَبَـا سَنـاهُ   فأعجـب : كيف يَبْـدُو النَيِّـرَان ؟ !
وأعجب للكـواكـب : كيف تَسْرِى   ولا يَعْـرو الكـواكبَ مـا عـرانى ؟ !
كــأنِّى مــا جَفـوْتُ ســواه خــلاًّ   ولا خـلٌّ ســواه قـــد جفـــانى
كأنـى مــا جلستُ إليــه يــومــاً   ليُطْـــرِفَنى بأبكـــار المعـــانى
فأنســـانى الجلـــوسُ إليـــه نفسى   ومـــا أَلقـــاه من عَنَت الـــزمـــان
يطيبُ بَيَـــان محمـــود بسمْعى   ومحمـــودٌ يطيبُ لـــه بيـــانى
ويطـــرب حيـن يهجـــوه غنيمٌ   وأطـــرب للخفيف إذا هجـــانى
كـلانـــا شــاعـر يهجـــو أخــاه   بـــلا حقـــد عليـــه ولا اضطغـــان
أهـــاجٍ هُـنَّ فى الأذْوَاق أشْهَـى   من التشبيـب بـــالبيض الغـــوانى
ســرت أبيـــاتُهـــا بين النـــدامى   فـأنستْهم معتَّقـــةَ الـــدِّنـــان
يعطـــرهـــا الـــوفـــاءِ بنفـح طيب   ويكســـوهـــا الصفـــاء بطيلســـان
وكم مـــدحٍ يفيـض بـــه نفـــاقًـــا   لســـانٌ مثـلُ نـــاب الأفعـــوان

* * * *

كَبَـا المُهْـر الـذى مـا اعتـاد إلا   فَخَـــار السبق فى يــوم الـــرِّهَـــان
وقـــال الطبُّ : سكتــةُ نبض قلب   عـــرتـــه ! فقلت : أفنـــاه التَّفـــانى !
سِجلٌّ خُـطَّ فى خمسين عـــامًـــا   طـــوتـــهُ يـــدُ المنيَّـــة فى ثـــوان
ولكن بعـــد أن أضحى نشيـــدًا   يُـــردَّدُ مثـل تـــرديـــد الأذان
يصيب المـوتُ محمـودا ؛ فيفنى   وليس تـــراثُ محمـــود بفـــان

* * * *

أعِنِّى ، يـا خفيفُ ، على المـراثى   رأيت الشعـرَ بعـدك قـد عَصَـانى

فكم عـــاونْتنى فى مـــدح خلٍّ وكم ســاعـدتنى فـى هجـوِ شــانى
ومــا تـرجَمْتُ عـن حـزنى بشعـرى فهــلا كــان شعـرُك تَــرجمــانى ؟
عهـدتُـك نـاطقًـا بــالشعـر دُرًّا كأنك صِـــدْتَ شعـرَكَ من عُمــان
تفّـــــرد كـل ذى قلـم بِحُسْنى وتمـت للخفيـف الحُسنَيــــــان
بكت فيك الكتـــابــة ، والقـــوافى نبـــوغَ ابن المقفَّع ، وابـن هـــانى

* * * *

ليَهْنكَ : أن مَـــوْتـك فى مكـــان طَهُــور الأرض ، قُــدْسىِّ المغــانى
صــريعُ العلم أشجـعُ من صــريعٍ بضــرب السيف ، أو طَعْـن السِّنـان
ودُور العلـم مَيْــــــدانٌ فسيح يمـوتُ بـه الشهيــدُ بـلا طعَــان
وكـل دروسهــــا نُسُكٌ ، وَوَحْىٌ وآيـــــاتٌ من السبع المثـــانى
ولمَّـــا أن سقطـتَ على ثَـــرَاهـــا كمـــا سقط الكَمِىُّ عن الحصـــان
تفـــزَّعَ سقفُهـــا هَلعًـــا ؛ وضجَّتْ صحـــائفُهـــا ، وأَعْـوَلت المبـــانى
وسحَّت مـن عَصىِّ الــدمـع سُحْبٌ على دمـك الـــزَكىِّ الأرجـــوانى
دمـــان : دمُ الشهـــادة منك يجـرى وآخـــرُ مـن دمـــوع العين قـــانى
وزاغت حــــولـك الأبصــــار حتى كأنَّ الأفْـقَ غُشِّىَ بـــالــدُّخــــان
وربع جَنــــانُ كـلِّ فتىً جليــــد يخـوضُ لَظَى الـوَغى ثَبْت الجنــان
عيـون بنيكَ حــولكَ نــاضحَــات بـــدمع ، أو بطهـــر ، أو حنـــان
يَـــوَدُّ فِــدَاك كلُّ أغَـــرَّ منهم كأن قَـــوَامــــه مـن خيـــزران
ومـــا فقـــدوا بفقــدك غيـــرَ دُنيـــا معلقـــــة عليك مـن الأمــــانى
ومـــا حَمَلُـوا على الأعنـــاق إلا مـلاَكًـــا من مـلائكـــة الجنَــان

* * * *

تَخـــذتَ العـــالمَ العُلْــوِيَّ دارًا وَعفـتَ العيشَ فـى دار الهَـــوَان

وليس النجم يمكـثُ فى مـــدار وليس الطيـــرَ يلْبَثُ فـى مكـــان

وأشهــد، مـا حَنَيْتَ الـرّأْسَ يـومًـا لتـــذْنُـــوَ مـن فـــلانٍ أو فـــلان

ولا عَـــرَّضتَ نفسَـك لابتـــذال ولا عـــرضت شِـعْــرَك لامتهـــان

فمـــا تسعى إلى أحـــد، ويسعى إليكَ مُهَـــرْولاً قـــاص ، ودانـى

ولا تـــرجـــو سوى المـولى مُعينًــا وأكـــرم بــالمعين وبــالمعَـــان !

ومـــا الـــزُّلْفَى سـوى ستـــرٍ يغطى قصـــورَ مـــواهبٍ ، وخمـــولَ شـــان

ضمنتَ بعبقـــريتك الأمـــانى ومـــا كـــالعبقـــريَّـــةِ من ضمـــان

❊ ❊ ❊ ❊

ومـا أعقبتَ ، يـا محمـودُ ، نَسْـلاً ســوى أبكـــارِ أفكـــارٍ حِسَـــان

إذا خطبت ، تســاق لهـا الـــدَّرَارى مُهـــورا ، لا اليتيم مـن الجُمـــان

ولـــولا الفن كنـتَ أبًـــا وجَـــدًّا ولكن لست بـــالـــرجُـلِ الأنـــانِى

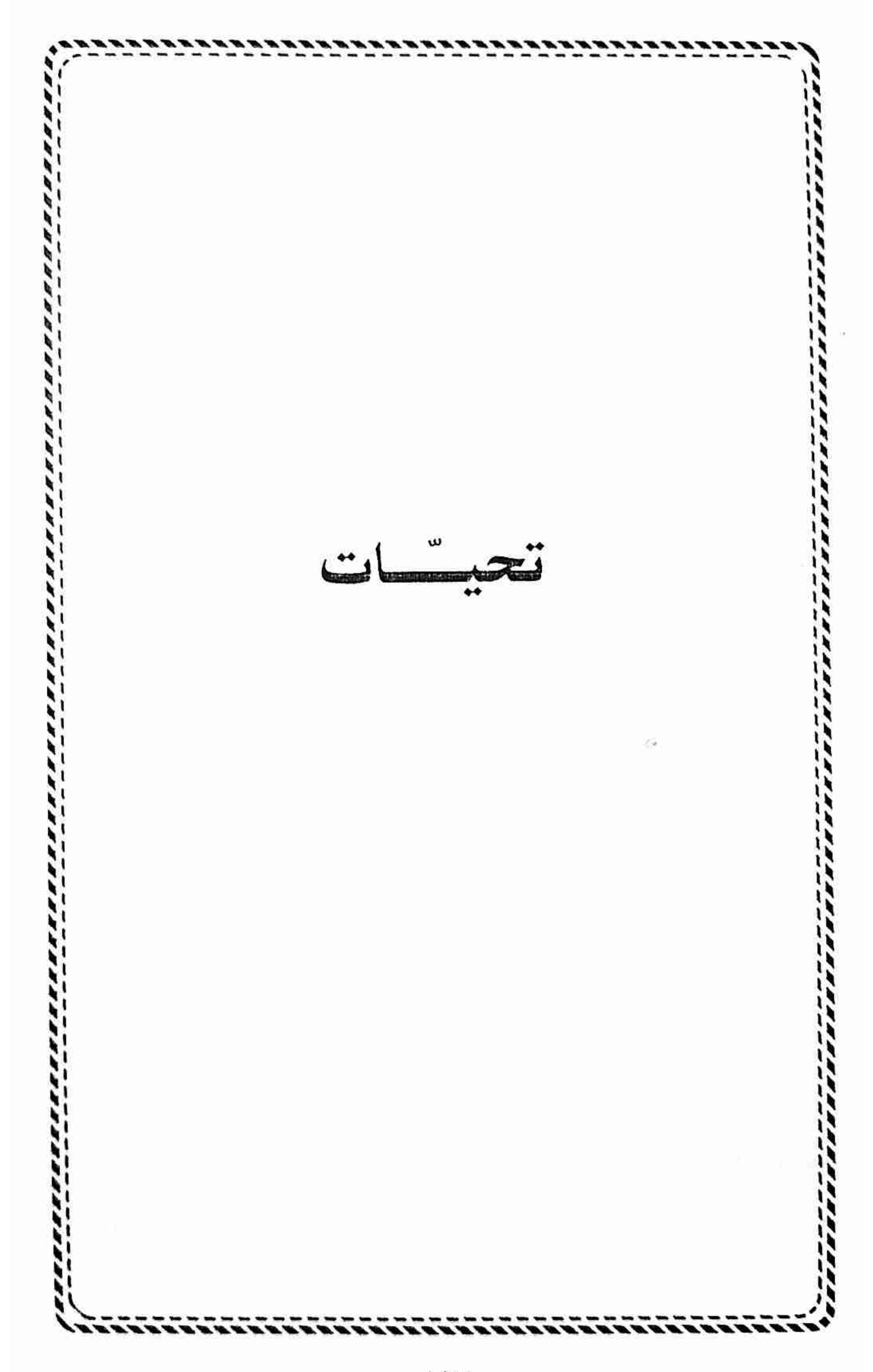
كفى بــــالفن، للفَنَّـــان دَبْـــرًا يَعُـــوقُ عن التنـــاسل والقِـــران

رســـالتك النبيلـــةُ منك حَلَّتْ محل النَّجْـل والـــزوج الحَصـــان

لقـــد رَبَّيْتَ لـــلأوطـــان جيـــلاً أشـمَّ الأنـف منطلـقَ اللســـــان

فكل أب بمصـــرَ يـــراك قَبْـــلاً أبـــا لبنيـــه أوّلَ، وهْـــو ثـــانى

شبـــابُ الجيل يسألُ عـن أبيـــه فيـــومئ نحـــو قبـرك بـــالبنـان !



تحيّـــات

من يد الرئيس

من وحى جائزة الدولة التشجيعية فى الشعر،
التى تسلمها الشاعر من يد السيد الرئيس ،
فى عيد العلم ،عن ديوانه : « فى ظلال الثورة »

قل للرئيس : رفعتَ مَوْضعَ شاعر ... يطريك من قلب، بِحبِّكَ عامر
نيل الجوائز من يديك جوائزٌ ... أخرى تفوز بها يَمينُ الظافر
لم أَدْرِ : من كف الرشيد ينالها ... مَنْ فاز ، أو من كَفِّ عبد الناصر ؟
هذا جمالٌ صافحتْ يدُهُ يَدِى ... والقلب يخْفقُ عن جناحَىْ طائر
رَدَّ الشبابَ إلىَّ إذْ صافحتُه ... يدُ ثائرٍ شَدَّت على يَد ثائر
أغلى الجوائز من جمال : نظرةٌ ... منه ، تَقَرُّ بها عيونُ الناظر
أغلى الجوائز من جمال : قُبْلَةٌ ... طُبِعَت على هذا الجبينِ الطاهر
يا راعِىَ الآداب ، إن الفنَّ لمْ ... يظفَرْ بعهدٍ مثلِ عهدِكَ زاهر
اليوم لا يشكو أديبٌ حظَّهُ ... فلقد نَهَضْتَ بكل حظٍّ عاثِر
قالوا: بنو العباس، قلنا : أَيْنَ هُمُ ... ليروا جمالاً فى الزمان الحاضر ؟
أعْلَيْتَ من شأن اليَرَاع ، وإنَّه ... فى المعجزات عَصاً بيُمْنَى ساحر
فى السِّلْمِ يرتاد النجومَ ، وفى الوغى ... يبْرِى الرقابَ بحدِّ سيف باتر
يا شافيا صنعاءَ من أوجاعها ... لله درُّكَ من طبيب ماهر !
أحرزْتَ فى نجران نصرًا باهرًا ... وغدًا سَتُتْبِعُه بنصر باهر
حتى تُطَهَّرَ للعروبة أرضُها ... فى القدس من عباد عجْل السامر

حفظ الله صالحا

إلى الأستاذ : صالح مسعود ،
وزير الخارجية والوحدة بليبيا ،
الذى أنا مدين له بأداءِ فريضة الحج(١) .

حفظ الله صالحا ، وأدامَهْ ... ما عَدَتْه ـ ولا عداها ـ الشهامَهْ
عربىٌّ على مُحيَّاهُ تبدو ... من سمات العُرْب الأوَالى علامه
ليس من نجد ، أو تِهامةَ ، لكن ... تتباهى نجدٌ به ، وتهامه
بل بأمثال صالح يتحدى ... شَعْبُ ليبيا ، ويرفع الشرقُ هامَه
إنما صالحٌ بقيةُ قومٍ ... بالمعالى نفوسُهُم مُسْتَهَامه
يصنعون الجميلَ طبْعاً ، وإن هم ... لم يُثَابُوا عليه يَوْمَ القيامه
أرْيَحِىٌّ ؛ يكاد يمنح أرْبَا (م) ... ب الخطايا صلاتَهُ ، وصِيَامه
يُتْبِعُ القولَ بالفعال ، وكم من ... قائلٍ تَنْقُص الفعال كلامَه
لَسْتَ تدرى ـ إذا حَباك بفضل ـ : ... أنت معط ، أم نائلٌ إنعامه ؟
يملأُ السمع إن تحدَّثَ ، والعيْـ (م) ... ـنَ إذا لاح رَوْنَقاً ، ووَسَامه
يملأُ القلبَ حين يَبْدو لرائيـ (م) ... ـه ؛ فلا يستطيعُ إلا احترامه
شاهرٌ سَيْفَهُ لرَدِّ فلسطيـ (م) ... ـن المفدَّاةَ ، شارعٌ أقلامه
فإذا ما التمستَه فى مجالِ الـ (م) ... زَّحف ، كان المهندَ الصَّمْصَامَه
وإذا ما التمستَه فى مجالِ الْـ (م) ... ـبَحْثِ ، كان المحقِّقَ العَلاَّمه
وإذا حلَّ صالحٌ فى مكان ... كان غاباً يحلُّ فيه أُسامه
لا ، لَعَمْرى ، فما أسامَةُ إلا ... كاذب حين يَدَّعى إقدامه

---

(١) حج الشاعر ١٩٦٨ م ، بدعوة من الممدوح .

بطل مــا انحنى غَـدَاةَ نَفَــوْهُ | لا ، ولا يــوم قَــرَّروا إعــدامــه
رُب حكمٍ قــد أَصْـدَرُوهُ عليـه | فتلقى صُـدُورَهُ بـابتسـامـه
يُبتَلىَ الحـرُّ دائمـا بـأُنَـاس | لا تسـاوى هـامـاتُهم إبهـامـه
إن صـوت الأحـرار يعلـو وإن هُمْ | كمَّمُـوا كل نـاطـقٍ بكمـامـه
إن تـاريخ صـالـح صفحـاتٌ | من كفـاح ، بل قصـة ، بل « درامـه »
من يُـرِدْ خـدمـةَ العـروبـة والإسْـ (م) | ـلامِ ، يَجْعَلْـه فى الجهـاد إمـامـه
من شبـاب ثَـارُوا على كل طغيـا (م) | نِ بليبيـا ، وحَطَّمـوا أصنـامـه
ومشى ركبُهم إلى سـاحـة التضـ (م) | ـحيةِ الكُبْرَى حـامـلاً أعلامه
بـارك الله فيـه عَهْـدا جـديـدًا | أدرك الشعب فيـه معنى الكـرامـه !
صنع المعجـزات وَهْـوَ وليـدٌ | لم يكـد عمـره يجـاوِزُ عـامـه

* * * *

يـا ابـنَ مسعـود ، قـد أتيت بمـا لم | يُـرْوَ عن حـاتم ، وكعب بن آمـه (١)
أنت قـد طـرتَ بى إلى عـرفـات | وإلى المصطفى ؛ فـزرت مقـامـه
لكَ ، يـا صاح ، نصفُ أجرِ طـوافى | ووقـوفى ، وإن أبَيْتَ اقتسـامـه
أسأل الله ذا الجـلال السـلامـه | لكَ فى كلِّ رحْلَـة وإقـامـه

---

(١) جوادان عربيان ؛ يضرب بهما المثل فى السماحة والجود .

ناصر الفصحى

فى الاحتفال بتكريم الأُستاذ : عزيز أباظة ؛
بمناسبة منحه جائزة الدولة التقديرية .

جاءَتكُ مُطْرِقَةً من شدة الخَجَلِ ... عذرا لها إن تكن جاءَتْ على مَهَل !
عذرا لها ؛ أنها كانَتْ مُهَرْوِلَةً ... لكن تكاثَرَت الأَحجارُ فى السُّبل
إن كان قلبك لم يخفق لمَقْدَمها ... فقلبها خافق من شدة الجذل
أكْرِمْ بها فى مجال الفخرِ جائزةً ... قد نالها بطلٌ مِنْ راحتَىْ بطل !

❊ ❊ ❊

يا رافعًا راية الفصحى ، وباعِثَها ... من وحشة البدْو فى زاه من الحلل
يارُبَّ قُنْبُلَة من أحرف صُنِعَتْ ... ألقَيْتَها غير هَيَّاب ، ولا وَكِل
والقوم أفواههم فى الحفل فاغرةٌ ... وأنت أثبتُ وَسْطَ الحفل من جبل
دعوت باللغة الفصحى إلى اللغة الـْ (م) ـفصحى ؛ فأَيَّدت قولَ الحق بالعمل
كأنما كان أوصاك الخليلُ على ... تراثه ، أو نمَاك الأَسودُ الدؤَلى
إن الذى يَشْنَأُ الفصحى وينكِرُهَا ... يدعو على لغة القرآن بالشَّلَل
إن جادلوك ولَجُّوا فى جِدَالهمُو ... فالحق مُذْ كَان لم يَسلَمْ من الجدَل
والجهر بالحق بين المنكرين لهُ ... رسالةُ الله أوْحَاها إلى الرسُل
الجهلُ علةُ ما قال الخصوم، وإن ... تَذَرَّعُوا بسوى هذا من العلل
هيهات تجمع يوما شملنا لغة ... بلا قواعدَ تَحميها من الخلل !
إنِّى أخاطب سكان الكفور؛ فلا ... أعى الخطاب، ولا القاموسُ يشرح لى
ماوَحَّد العُرْبَ كالفصحى، فإن وَهَنَتْ ... فَبَشِّر القومَ بالخذلان والفشل

إذا تكلف قـــول الشعــر قـــائلـــه فـــالشعـر عنــدكَ طَبْعٌ غَيْــرُ مفتعل
هما النقيضان ـ فى ديوانك اجتمعا ـ : فكْـرُ الأواخــر ، فى ديبــاجـة الأُول
عصْـرُ الحُسَام ، وعصـرُ الـذَّرَة اقْتَرَنَـا فى شعرِه ، والتقى الصَّـاروخُ بالجمل
رعيَّـــةُ الشعـر قـــد أصبَحْتَ راعِيهَـــا والشعـــرُ دولتـــه مـن أكـــرم الـــدول
والخـارجـون على أحكـامها صَبَـأُوا مِثْلَ الخـــوارج فى عهـد الإمـــام على
مُجـدِّدُو الشِّعْـر غَضُّـوا من مَحَـاسِنِـه كمـــــا يُضَيِّعُ كُحْـلٌ عيْنُ مُكْتَحـل
هم أنشئـــوه بـــــلا وزن وقـــافيـــة فَلْيَأخُــذُوا ألفَ بيت منــه مُــرْتجَل
ما ألبس الشعرَ سـربالَ الجمال سوى مستفعلن فـــــاعلن مستفعلـن فعل
كم صـدَّعُــونـــا بأقــوال مُهَلْهلَـــةٍ ليست بشعـرٍ ، ولا نثـرٍ ، ولا زَجَل !
إن القَـــرِيضَ بـــلا وزن وقَـــافِيَـــةٍ خُنْثَى ؛ فـلا هو بالأُنثى ولا الـرجل !
الشعـــر بـــاق بقـاء الحِسِّ تـــدفعُـــه عـوامل الحُبِّ ، والإِشْفَـاق ، والأَمَل
لن يبلغ القـوم من تَشْـويهِهِ غَـرَضـاً صـلابـةُ الصخـر تُعْيِى قـرنَيِ الـوعل
هيهـاتَ ينْضَبُ نبعُ الشعـر مـا بَقِيَتْ حَسْنَاءُ تـوحى إلى العُشَّاق بـالغزل !
سحـران لم يأت هـــاروتٌ بمثلهمـا : سِحْـرُ العيون ، وسحـر الأَعْينِ النُّجُل

* * *

يـــا رائد المســرح الشِّعْــرىِّ فى زمنٍ فيـه الرَّطَـانَـةُ صارتْ مَضْـرِبَ المثل
طَوَّعْتَ للمسرح الشعرَ العَصِىَّ ، ومن لـــه اقتـــدارُك إنْ يـأمُــرْه يَمْتَثِل ؟
أشخاص مسـرحك الأمواتُ تحسبهم فوق الصحـائِفِ من عَظْم ومن عَضَل
تكَـــادُ مـن غيـــر تمثيل على خشب نَــرَى تَحـرُّكَ مـــا حَـرَّكْتَ بـالمقل
لـــو أن قَيْسـاً صَحَـــا من قَبْـرِهِ ورأَى لبْنَى عـزيزٍ ، لنَـاجَى النَّفْسَ بـالقُبَل

ما نسيناك

إلى صديقى الشاعر الكبير الأستاذ : محمد مصطفى الماحى ؛
بمناسبة إهداء الشاعر ديوانه : « فى ظلال الثورة »
صديقه الحميم فى ١ ـ ٢ ـ ١٩٦٢ م

جَلَّ مَنْ بالبيان ، يا صَاح ، زَانَكْ ... صَانَهُ الله ذو الجَلَال ، وصانَك !

كيف يشكو بَرْدَ الشتاء ربيعٌ ؟ ... أوَ ما شَمَّ أنفُه ريحانَك ؟

اعذُر السُّقْمَ إنْ عَرَاك ؛ فما للسّـ (م) ـقم حِسٌّ بهِ يذوق بيانك

لو دَرتْ من تكون تلك الليالى ... ما أصابت بعلَّةٍ جُثْمَانك

ولأبقَتْكَ للقوافِى مُعَافىً ... تَبْتَنِيها مُشَيَّدًا ببيانك

ما نسيناكَ ، يا صديقى ، ولكنْ ... ما عَدَدْنَا نفوسَنَا أقْرَانك

أنا إن لم أبْعَثْ إليك قريضى ... فَلأَنِّى يَخْشَى حَصَايَ جُمَانك

لا تَلُمْنى ؛ فإن شَيْطانَ شعْرِى ... يتَوَارَى إذا رأى شَيْطَانك

ليس ذنبى إن بات يرفعك الشعـ (م) ـرُ ، ويعلى بين الكواكب شَانك

أنت بين النجوم، يا صاح ، تَسْرِى ... فَلِيَ العُذْر إن جهلتُ مكانك

صاح ، هذا ديوان شعرِى على ما ... فيه ، فامْنَحْ تقصيرَهَ غُفْرانك

رد الماحي

أخي العزيز الشاعر الكبير الأستاذ : محمود غنيم .

يـا صـديقي لقـد عـرَفْتُ مكـانك بين صَحْبي ، كمـا عَـرَفْت بيـانَك

شَفَّنِي عـارضٌ من السُّقْم حسبي منـه : أنـي لم أستطع لقيـانَك

فأنبت الكتـاب عني ؛ لأني أشْـ (م) ـتقت في لـوعـة النوى ألحـانك

وحـديثـا كـرائق الـراح عـذبـا كنت فيـه مـداعبـا أخـدانَك

يـاصفييّ ، وأنت تعـرفُ ودّي وارتقـابي ـ مـدى الحيـاة ـ حَنـانك

أصحيح مـا قيـل عن نشـرك اليـو (م) مَ جـديـدا أصفيتـه وجـدانك ؟

ونفَخْتَ البيـان آيتَك الكبـ (م) ـرى فـزكّتْ بسحـرهـا سلطـانَك ؟

فـإذا صح مـا علمـتُ ، فإنّي لحـريٌّ بـأن أذوق افتنـانَك ! !

قـد تَشَهَّيْتُ زورةً هـي طِبّي وتمنيتُ أن أرى « ديـوانَـك »

ومعـاذ الاخـاءَ أن يُحـرَمَ الـوُدَّ (م) مُحِـبٌّ ، أو يشتكي هِجْـرانَـك

ولأنْتَ الـوفـيُّ فـي كل حيـنٍ فأقم لـي على الـوَفَـا بـرهـانَك

شكـرَ الله حسن صنعك ، إنّي لن تُـوَفّي بَـراعَتي شكـرانك

المخلص :
محمد مصطفى الماحي

شعر الماحى

سَلْ عن الحبِّ ، والوِدَاد الصُّراح ... إن هما أعوزَاكَ شعرَ الماحى
والتمِسْ فيه نفسه ، تلق صفوًا ... من لُجَين أذيب فى دَنِّ راح
هى نفسَ شَفَّافَةٌ ؛ نسجتها ... قدرةُ الله من شُعَاع الصَّبَاح
وَهْو شعر أشهى إلى كلِّ نَفْسٍ ... من جَنَى النحلِ ، أو رُضَاب الملاح

* * * *

يا هَزَارًا فى روضة الشعر ، لكن ... لست مثل الهَزَار رخوَ الجناح
لكَ فى الشعر كلُّ معنىً رَقيقٍ ... فى بناء أقوى من الصُّفَّاح
أدْرِك الشعرَ، يا مُحَمد ، إن الـ (م) ـشِّعرَ دون الفنون دَامى الجراح
شَوَّهتْه عصابةٌ تدَّعِيهِ ... مثل دعوى : مُسَيْلِم ، وسَجَاح

* * * *

من أحلَّ القريضَ من وزنه أو ... من قوافيه ، فَهْوَ شخصٌ إبَاحى
نحن فى عصر أصبح العَجْزُ فيه ... قدرةً ، والإخفاقُ كلَّ النجاح
نحن فى عصر لله فيه السعى ... أعلى مراتب الإفصاح[1]
رب بيت يُغْنِى الزمانَ ، وبيت ... من هشيم يَذْرُوه مرُّ الرياح
كلُّ شعر أتى بغير عمودٍ ... عُدَّ فى الشعر من قبيل المُزَاح

* * * *

ليس شعرا ما لم يكن عن شُعور ... وله من قَرَارةِ النفس واح

---

(١) البيت مكسور كسرا واضحاً .

ليس شعـــرا مـــا لم يقم قـــائلـــوه بخطـــاب القلـــوب والأرواح
ليس شعـــرا مـــا احتـــاج قُـــرَّاؤه فى فهم أهـــدافـــه إلى شُـــرَّاح
ليس شعـــرا مـــا جـــاء عَنْ غيـــر طَبْع بعـــد طـــول اللَّجَـــاج والإلْحَـــاح
إن من ينشـــد القـــريض بـــلا طبْـــ (م) ـــع ، يَخُـــوض الـــوَغَى بِغَيْـــرِ سِـــلاح

* * * *

صـــاح ، قل لى ـ وأنْتَ أكبَـرُ مُثْرٍ ـ : كيف سميت : « ماحيِا » ، يا صاح ؟
لك مـــن أكْـــرَم الخِـــلاَل رَصِيـــدٌ وكنـــوز من التُّقَـــى ، والصَّـــلاح
ومن الشعـــــر فِضَّـــــةٌ ، ونُضَـــارٌ أفمن يَملِكُ النفيسين مـــــاح ؟ !

أىّ الشاعرين ؟

يسكن صديقنا : الماحى
فى شارع يحمل اسم : البحترى .

الشاعـر الماحى، الـرَّقِيقُ ، العبقرى فى شـارع سَمَّـوْهُ بـاسم : البحتـرى
فسألت : أىُّ الشـاعـرين مـرادُهم ؟ قـد حـرت فى هـذا ، وزاد تحيـرى !
فَـرسَـا رِهَـانٍ ؛ ليس بَيْنَ كليهمـــا من فـارق غيـرُ اختـلاف الأَعْصُـر

في مهرجان دار العلوم

في العيد الخمسين لإنشائها : ١٩٢٧ م

خَلِّ العــذارىَ ، لا يَــرُقْنكَ منظــرا ... هُنَّ الظِّبــاءُ صَرَعْـنَ أسادَ الشَّــرى

وملكْنَ قلبَكَ ، لا يَــرَوْنَ فَكَـاكَـهُ ... أرأيتَ مَمْلُـوكَ الغـوانى يُشْتَـرى ؟

قلـبٌ أرقُّ من النَّميــــرِ طلبتـــهُ ... فــوجــدتُــهُ من مقلَتَىَّ تحــدَّرا

وهــو الجَمـالُ رأيت فـى تقـديسِـهِ ... تقـديس من بَـرَأ الجمَـالَ وصـوَّرا

أحببتَــــه عفَّ الإِزارِ، وكم هَــوًى ... عَبِثَ الهـوى بصفـائِه؛ فتكــدَّرا !

لا تعــذُلانى أن صَبَـوْتُ بل اعــذُلاَ ... قلبى إذا هُــوَ فى الصَّبَّـابَـةِ قَصَّـرا

وإذا بحثتَ عن الغـرام ، وجـدتَـهُ ... لتحــرُّكِ الـدمِ فى عــروقِكَ مَظْهَـرا

من لم يحــرِّكْـهُ الجمــالُ ، فَمَيِّتٌ ... كيف الحيـاة إذا الفـؤادُ تحجَّـرا ؟

قل لابن حُجْــر : يــا قَتِيلَ عُنَيْـزَةٍ ... هَلاَّ شَهِدْتَ من الكِنـانةِ جؤذرا ؟ (١)

هــلا شهـدتَ عقِيلَــةً مِصْـريَّــةً ... تنسيك ذاتَ الخِـدْرِ ، وابنةَ قَيْصـرا ؟

حضــريَّـــة يُـدْمِى بعيــرُ عُنيـزَةَ ... بِـزمـامِـهِ إبْهَــامَهـا والخِنْصَـرا

أبتِ الــرواسمَ ، واستقَلَّتْ مَـركبـا ... بـالكهـرباءِ وبـالبخـار مُسَيَّـرا

مــا بــالُ هــذا الظَّبْـىِ أقبل يَنْثنى ؟ ... هل بـات من أَسْـرِ الخُدَور محـرَّرا ؟

الله لا يــرضيــه سَتْـرُ هِبَـاتِــه ... أتُــراهُ قـد خلَـقَ الجمـاَل لِيُستَـرا ؟

جُـولِى بمعتَــرَكِ الحياةِ طَليقــةً ... إنى رأيت الخِــدْرَ سِجْنـا أصغـرا

من لم يَعِـفَّ مع السفـورِ ضميـرُهُ ... لا يــرتـدى ثـوبَ العَفَـافِ مخـدّرا

---

(١) ابن حجر : هو امرؤ القيس الشاعر الجاهلى المصرح بحبه ، وعنيزة : بنت عمه ، ويقول فيها : ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة .

والجؤذر : ولد البقرة الوحشية ، وهو كناية عن الفتاة الجميلة .

قالوا : عجبنا كيف تصدق فى الهوى ... وتَعِفُّ فى شرخ الشبيبة مئْزَرا ؟

أو ما ترى صَرْحَ الفضيلةِ قد هوَى ... باسم الهوى والحب ؟ قلتُ : نعم، أرى !

لكنما دارُ العلوم أُمُومَتِي ... قد علَّمَتنى أن أُحِبَّ وأطهُرَا

دار نزلتُ بها ؛ فكانت جنَّةً ... ووردت منهلَها ؛ فكانت كوثرا

فيها قضيتُ من العلوم لُبَانَتى ... (وعلى كواكبها تعلمْتُ السرَى) (١)

دار المربِّين الذين بَلَوْتُهم ... فحسبْتَ (رُسُّو) منهمو ، و (سْبنسرا)

لمْ أتْلُ فيها من دروسىَ أَحْرُفاً ... إلا تلَوْتُ من الفضيلة أسْطُرا

دارٌ نزلت عكاظَ يوم نزلتُها ... وشهدتُ من أهل الجزيرة مَعْشَرا

وشربتُ فيها من مَعِينِ « محمد » ... شِعْرًا أرقَّ من النسيم إذا سَرَى (٢)

الشاعرُ البَدوىُّ تلمس نفسهُ ... فتحسُّ فيها شاعرًا متحضِّرَا

ولقد يصوغ الشِّعرَ ؛ وهْوَ حماسةٌ ... فيريك عَمْرًا فى الجِلادِ ، وعنترا (٣)

وتحس قَعْقَعَةَ السلاح ، ودونَها ... خيلٌ سَنَابِكُهَا تثير العِثْيرا (٤)

دارُ العلوم أمومةٌ ما أنجبتْ ... لسماءِ وادى النيل إلا نيِّرا

طلعتْ شِهاباً فى ظلام مطبقٍ ... لا يأمنُ السارى به أن يَعْثرا

فسعَتْ بمصرَ إلى العُلا ، وجوادُها ... كابٍ ، ولهْجَتُها تسير القَهْقرَى

حسبُ الكِنَانَةِ من بنيها أنهمْ ... كانوا لدائرة المعارف محْوَرَا

ولدتْ ؛ فأنجبت الكرامَ ، وأتأمَتْ ... وجَرَى بنوها فى المعارف أبْحُرا

---

(١) الشطر الثانى لشوقى .

(٢) محمد : هو الشاعر محمد عبد المطلب شاعر حديث ، يلتزم عمود الشعر العربى الأصيل، وكان أستاذ الشاعر غنيم فى دار العلوم .

(٣) عمرو : هو ابن معد يكرب الزبيدى الذى ضرب به المثل فى الإقدام والجرأة . وعنترة : هو ابن شداد العبسى وكلاهما شاعر إلى جانب شجاعته .

(٤) العثير : الغبار .

مَلَكوا مقاليدَ البيانِ ، فَبِاسْمِهم — نجد الكلامَ مُذَيَّلاً ومصدَّرا

من كل أروعَ مِدْرِهٍ فى كَفِّه — قلمٌ قد اتخذ الأصابع مِنْبرا (١)

فتخالُه — إن قال شعرًا — أحمدًا — وتخالُهُ عند الخطابة حيدَرا (٢)

دارَ العلوم، تحيةً من ناشئٍ — عرف الجميلَ لباذليه وقدّرا

يا دوحةً سمَقَتْ ، فطاول فرْعُها — (فرعَ الثريا وهى فى أصل الثَّرى) (٣)

لله درُّكَ ، يا علىُّ ، سَللْتَها — سيفاً على عُنُق الجهالة مُشْهرا ! (٤)

أَسَّسْتَها ؛ ففتحتَ مِصْرَ بفتحها — وسبقْتَ (عمْرًا) فى الفتوح، و (جوهرا)

... ...

يا ربما فتح الممالكَ فاتحٌ — بمعاهد التعليم عالية الذُّرا

يغْنيك عن ذهب « المعزِّ » وسيفِهِ — قلمٌ يخطُّ على الصحيفةِ أسْطُرا

إن اليراعةَ فى أنامل طالبٍ — كالسيف فى كفِّ المدَرَّع أبْتَرا

والطرَسَ فى يُمْناه أبيضَ ناصِعاً — مثلُ اللواءِ على الكتيبة أَحمرا

ولَرُبَّ مدرسةٍ تحطم قلعةً — وتُبِيدُ أسطولا، وتَهْزِمُ عَسْكرا

ما المجدُ فى هرم كصرحٍ يُبْتَنَى — كى تُلْحَدَ الأمواتُ فيه وتُقْبَرا

أو فى المآذنِ باسِقاتٍ ، أينما — أرسلتَ طَرْفَكَ نحوهُنَّ تحيَّرا

عصرُ الخورنقِ والسَّدِيرِ مضى ، فلا — تَذْكُرْ لنا نعمانَه والمنْذِرا

هذا زمانُ العلم ، تُرْفَعُ دورهُ — وتُشَاد؛ لا لَبِناً، ولكن جوَهرا

---

(١) المدره : السيد الشريف ، والبليغ الفصيح ، والشجاع الجرىء .

(٢) أحمد : المراد به المتنبى والحيدر : الأسد . (٣) الشطر الثانى لشوقى .

(٤) على : هو على مبارك باشا الذى أنشأ دار العلوم ، وكان ناظرا (وزيرا) للمعارف آنذاك .

أو مــا رأيـت الغَـرْب ألقَى سيفَــهُ وسطــا تحــدى علمـــه واستعمــرا ؟
الله يعلم مـــا تـــوطَّـــدَ ملكُهُمْ إلا لأنَّهُمُـــو أســاتـــذةُ الــورى
إنى رأيتُ الشــرقَ ينطقُ عَنْهُمُـــو (كـــالببغـــاءِ مـــردّدًا ومكـــرّرًا)
والشــرق مطلعُ كـلِّ شمسٍ، أفقــهُ نجْمُ المعــارف، مِن هُنَــا لِكَ أسْفَــرا
يــارب يــوم بَــرَّزَتْ بعلـــومِهـــا (بغــدادُ) فيـه ؛ فأصْبَحَتْ أم القــرى
ولــرب يــوم مِصْـــر فيــهِ شَيَّـدَتْ أهـرامَهـــا ، والغَرْبُ فى سِنَــةِ الكِـرى
قِفْ فى ثَــرَى الإسكنـدريــة بُرْهَــةً واسْتَفْتِ « بطليمــوسَ » ، والإسْكَنْدرا
واستفْتِ هــذا الثغـرَ عــن تــاريخِــهِ فــالعلم ـ قبـل المـاءِ ـــ منـه تفجَّــرا

* * *

يـــا معهـــدًا للضـــاد ألقى بـــذرَهُ فى تُــرْبَــةِ الــوادى الخصيب فأثمــرا
ردَّ القــديمَ إلى الحــديث مــوفَّقــاً ومشى بجنب الــدهــر حيـنَ تطــوّرا
خمســون عــامــا قــد طــواهَــا مثلمـا تَطْـوِى السـلافـةُ فى الـدِّنَـانِ الأعْصُـرا
هــو ثـالثُ الهـرمين فى هــذا الحمَى هل يَهْـرَمُ الهــرمــان مَهْمَــا عُمِّــرا ؟
مــا بــالُ من أنْحَى عليــه بلــومــه وأطـــال فى هَجْــوِ القـديـم وثَــرْثَــرا ؟
يـــا من تقلَّـــد مــن عصــاه مِعْـــولاً وعـــدا على دارِ العلـــوم مُـــدَمِّـــرا
مهـلاً ـ فَدَيتُك لــو لمستَ جـدارهـا لــرأيت كل الصيــد فى جــوف الفـرا
يـــاربَّ فـــاتِنة ـــ يعيبُ جمــالَهـــا مَن كــان يُــدْرِك كنهَــهُ لــو أبصــرا
(لا تَحْـذُ حَـذْوَ عصابـةٍ مفْتـونـةٍ يجـدون كل قـديم شىءٍ مُنْكــرا) (١)
يجـدون إنكــارَ القــديم فضيلــةً والخــوضَ فى الــدِّين الحنيف تحضُّـرا

---

(١) غير خاف أن البيت لشوقى ، فى رائيته الخالدة فى الأزهر .

عَبَدُوا الجديد مقلّدين ، وربّما حَسِبُوا سوادُ القارِ مسْكاً أذفرا

فانقُدْ علومَك كالدراهم، إننى أَلْفيتُ منها خالصا ومُزَوَّرا (١)

يا نازلى دارِ العلوم ، نزلتُمُو ركناً من البَيْتَ الحرام مُطَهَّرا

كرَّمتُمُوا أمَّ اللُّغى فى شخصها وأقمتموا للدين فيها مَشْعَرا

هى حفلةُ الدين الحنيف، شُهُودها كشهودِ بدْرٍ فى الجهادِ وخَيْبَرا

فكأنَّنِي أبصرتَ جِبْرِيلاً بها بين الصفوف مُهَلِّلاً ومُكبِّرا

---

(١) فى هذا البيت - والأبيات السبعة قبله - يعيب الشاعر صنيع المرحوم الدكتور طه حسين، حين دعا إلى التجديد ، وذم القديم ، وشكك فى شعرنا القديم ؛ زاعما أنه منتحل .

حى البيان

ألقاها الشاعر فى حفل تكريمه ، الذى أقامته رابطة الأدب الحديث ، بمناسبة صدور ديوانه : « فى ظلال الثورة » ، فبراير ١٩٦٢ م

حَىِّ البيــانَ ، وقــفْ بسُــدَّةِ بــابــه ... واخشَعْ أمـام الصِّيـد مـن حُجَّـابـه !

يــاعصبــةَ الأدب الحديث ، أنـا امـرؤٌ ... أهــوى البيــانَ ولَسْتُ من أربــابــه

آلَتْ سَــدَانَتُـه إليكـم ، فـاسمحـوا ... لىَ بــالـوقوف ولـوْ على أعْتَـابِـه (١)

إن لم يكــونـوا ســادنيـه ، فأنتُمُـو ... رهبــانــه النُّسَّـــاكُ فى محــرابــه

أنتم صَيَــارِفَــةٌ إذا اختلطـت على ... لُبِّ اللَّبيـبِ قُشُــورُهُ بلُبَـــابــه

والــدافعــون لِــوَاءَهُ فى عــالَم ... نخـر القَرَى كـالسوس فى آدابـه (٢)

لا وزن لـــلأرواح فيـــه ؛ وإنمـــا ... ذهب الحُطَــامُ وحُبُّـه بصــوابــه

ينــون بــالفضـل الســلامَ ، ولَيْتَهُم ... بـالـروح قـد عَمِلُـوا على استتبـابـه !

إن رُمْتَ للشعب الحيــاة فَغَــذِّه ... بــالفنِّ ، قبل طعــامــه ، وشـرابـه

الفنُّ إنْ يــأخُــذْ بســاعــد أُمَّـــة ... نهضت ، وتـذهبُ رِيحُهـا بذهـابـه

كم نــال شــاعــرأُمَّــةٍ بــربـابـة ... مــا لم ينَلْــهُ كمِيهــا بِحِـرَابــه

✻ ✻ ✻

ليت الحيــاةَ جميعَهـا شِعْـرًا ؛ إذن ... لم يَشْكُ هـذا الكـونُ طولَ عَـذَابِـه !

وسمعت تَحنــان الحَمَــام بأيكــه ... بـدَل الــذئاب العـاويـات بغـابــه

ورأيت وجــه العيش غَضًّــا نـاعمــا ... فيــه مـلامِحُ مـن وجــوه كِعَــابــه

---

(١) السدانة : خدمة البيت الحرام ، أو أى مكان مقدس ، والقائم بها : سادن : والجمع : سدنة .

(٢) يقال : قرى فلان قريا وقرى ؛ ورم شدقاه من وجع الأسنان ، والمراد : أضعف الآداب وأفسدها .

لا غـارقًـا فى الـدمـع ، أو مُتَخَضِّبـاً   بـدم الحـروب يَـرُوعُ لـونُ خِضَـابـه
عصـر تَمَشَّى الضعفُ مثلَ الـداءَ فى   شُعــرائه ، وسـرى إلـى كُتَّـابــه
واذا أُصيـب الشعب فـى آدابــــه   عَــزَّ العـزاءُ أمـامَ هـوْل مُصَـابـه
حَتَّـامَ يشكـو الشعــرَ من مُتَمَسِّحٍ   فيــه يُشيِّــدُ نفسَـه بخــرابــه ؟
نَفَـرٌ رأى التجـديـد فى إعجـامِـهِ   لمــا أحسَّ العجْـزَ عن إعْــرَابــه
ينــــون أنفسهم علـى أشــــلائه   وعلى حســاب النَّيْـل من أقطــابــه
وأمَسُّ مـــا يلقى الكـريم إهَـــانَـةً   تأتيــــه مِمَّنْ ليس مـن أضْــرابــه
يـــا رُبَّ داعِيــة يبــوِّىءُ نَفْسَـــهُ   عَــرْشَ القـريضِ ، وغَيْـرُه أولى بــه
ولَـــرب أُسْتَـــاذ لــــهُ مُتَفَـــرَّغ   أحْــرَى بـه لــو عُــدَّ من طُـلاَّبــه !
فَحْلٌ ينـــال النصـرَ فى ميـدانــه   وســـواه يُستـولى علـى أسْـلابــه
مـــا كل ذى صــوت يَطنُّ بِطَـــائِرٍ   غَـرِد ، هَـزَارُ الـرَّوْض غَيْـرُ ذُبَـابـه
والشعــر منــه : مُخلَّــدٌ ، ومعَمَّــرٌ   ومكفَّنٌ فـى مهْـــده بِثيــــابــــه

* * * *

أعــددتُ للنُّقَّــادِ صَــدْرًا لـم يضقْ   يـــومـــا بمنتقِــدٍ فسيحُ رحـابــه
أجــدى علـى الفنَّــان من إطْــرَائه   نَقْــدٌ يبصِّــرُهُ بمــوضـع عَـابِــه
إن تَنْقُــدِ الفنــانَ ، تُــرْهفْ حسَّــهُ   وإذا أردتَ لــه الكَــلاَل ، فَحَــابِـه
ولقــد أُفَضِّلُ نــاقــدا متحــامــلا   عن جــاهل يَشْتطُّ فـى إعجـابــه
والنقــد يَجْنى ورده مـن شــوكــه   غَضًّــا ، ويعصـر شهْـدَهُ من صَـابـه
يَغْيـا بــه من يَسْتَــريبُ بنفســه   ويسيغُــه طَبْعُ الأديبِ النَّــابِــه

مَنْ يَبْن بالصُّفَّاح صَرْحاً، لم يخفْ عَصْفَ الرياح الهُوج حولَ قِبابه (١)

ما سار ركبُ الفنِّ فى ملكوتِهِ إلا وسارَ النقدُ خلفُ رِكابه

ما أحرز الفنُّ الرفيعُ تقدماً إلا وكان النَّقْدُ من أسبابه

وأحقُّ نَقَّادٍ بصفعِ قَذَالِهِ من راح يخلطُ نَقْدَهُ بِسبَابِهِ (٢)

＊＊＊＊

قُلْ للأُلى أَثْنَوْا عليك بفضلهمْ ــ والفضل مَرْدُودٌ إلى أصحابه ــ :

أضْفَيْتمُو حُلَلَ الثناء على امرىء ليس الثناءُ وَحُبُّه من دَأْبه

ما سار وانيةً خُطَاه ؛ وإنما حَدَّت دواعى العيش من إخْصابه

شاهَتْ أضابيرُ المكاتبِ ؛ ما سَمَتْ بالفنِّ ؛ بل عملتْ على إجْدَابه

أقضى الحياةَ هناكَ يوماً واحدًا مُتكررًا ، فى منظرٍ متشابه

أكداسُ أوراقٍ يغيبُ الشِّعْرُ فى طَيَّاتِها ، ويطُول عهدُ غيابه

ويَفِرُّ شيطانُ القوافى هارِباً منها هروبَ الكَبْش من قَصَّابِه

والفنُّ يطلب راهباً متفرِّغاً وودِدتُّ أنى كنت من رُهَّابه

وإذنْ لَطِرْتُ إلى الفَضاءَ محلِّقاً فى لمح كوكبه ، ورمش شهابه

وأتيتُ من سحرِ البيان بمعْجِزٍ لم يَرْوِه الرَّاوُونَ عن أغْرابه

ومن الحروفِ المُعْجَمَات عصرتُ ما لا يعصر الخَمَّارُ من أعْنَابه

شعرٌ بهِ ينسى المُحِبُّ حبيبَهُ والغائب المشتاقُ يومَ إيابه

＊＊＊＊

---

(١) الصفاح : السيوف العريضة ، القوية .

(٢) القذال ــ كسحاب ــ : جماع مؤخر الرأس ، أعلى القفا .

يـا عصبـة الأدب الحـديثِ، سَلِمْتِ منْ ظُفـر الـزمـانِ على الأديبِ ونَـابـه

كم عفّت الـدنيـا أديبـاً قَـارِحـاً فأصـاب فى نَـاديـك حُسْنَ ثـوابـه

سيـروا مع الأيـام بـالأدب الـذى كـرَّسْتُمـو أيـامكم لحسـابـه

لا يشكُ عَصْـرُكُمُـو قمـاءةَ ثـوبـه بل أَظْهـروا العمـلاق فـى جلبـابـه

عصـرُ الحضـارة والضيـاءِ أَظَلَّكُمْ حـاشـاه يُغـرقكم بِفيْضِ عبـابـه !

قـد بات يغشى النَّجْـمَ فى صاروخـه من كـان يَـرْصُـدُهُ بإِصْطِـرلابـه

بين وزير وشاعر

انتهت مدة خدمة الشاعر : محمود غنيم ، المفتش العام للغة العربية ، فتعب فى الاتصال به طالبوه الذين كانوا يتصلون به عن طريق مكتبه ؛ فبعث إلى السيد وزير المواصلات بالأبيات التالية :

نشرت فى مجلة الرسالة ، العدد : ١٠٤١
٢٦ من ديسمبر سنة ١٩٦٣ م

كُنْ لى نصيراً ، يا خليل ... يا صاحبَ الحَسَب النبيل
قدْ صِرْتُ بعد تقاعُدى ... مِنْ بعضِ أبناء السَّبيل !
لا يهتدى أحدٌ إلىَّ (م) ولو سَعى لى ألفَ ميل
بَيْتى بدون مسرَّة ... مثلُ الفَلاةِ بلا دليل

ولما أمر السيد الوزير بتركيب تليفون بمنزله بمصر الجديدة ؛ شكره بالأبيات التالية :

أنا إن شكرت لمصطفى ... فبشكْره يقْضى الْوَفَا
أسْدَى إلىَّ يَدًا أرقَّ (م) من النسيم وألطفا
قد كنتُ سِرًّا خافيا ... فالآن قد برح الخَفَا
والآن أصبح منزلى ... عَلَماً كَمرْوةَ والصَّفا

إهداء

إلى صاحب المعالى ، الشيخ : عبد الله الجابر الصباح .

لَمَّـا رأيت جميلَ عطفِك غـامـرى ... ورأيتُ فضلَك فـوقَ شُكْـرِ الشـاكـر

عَبَّرْتُ عـن شكرى بِذَوْبِ حُشَـاشَتى ... وعميق إحسـاسى ، وفيضِ خواطـرى

أهـدى إليك ــ ولا أَمُنُّ ــ أعَـزَّ مَـا ... ملكت يـدى ، والشِّعْـرُ كَنْزُ الشـاعـر

قـدَّمـتُ ديـوانى إليـكَ ، وحَسْبُـهُ ... شَـرَفُ القبـول من الأميـر الجـابـر

فإذا قبلـتَ ، فتلكَ عنـدى مِنَّـةٌ ... أُخْـرَى ، وشُكْـرٌ مـالـه مِنْ آخـر

قـالوا : الصبـاحُ : فقلت : لولا أنَّـهُ ... كَسَمِيِّـهِ ، لـم يَسْبِ عين النـاظـر

الجـابـر الصبَّـاح إن ذكـر اسمـهُ ... خلَعَ الجمـال على الصَّبَـاح السَّـافـر

إلى الأمير القاسمى

في ١-٦-١٩٧٠ م

إلى الأميــــر القـــــاسمى	ذى الفضـل والمكـــــارم
ربِّ الفـــريض النـــابغِيِّ (م)	والسخـــــاء الحـــــاتمى
صقـــر قـــريش كلِّهـــا	أُمَيَّـــــةٍ ، وهـــــاشم
مـــا فى الصقـــور مِثلُـــهُ	كـــلاَّ ، ولا القَشَـــاعم
إلى الـــذِى قِصَـــارُه	يُـــزْرِين بـــالمـــلاحم
كـأنَّهـــــا تَحَـــدَّرتْ	مـن منبج ، أو جـــاسم
إلى الـــذى عَـــزَّتْ بـــه	أرض المُعِـــزِّ الفــاطمى
أبعثُ شعـــرى واجمـــاً	مُطَـــأْطِئَ الجمـــاجم
ما قيمــة ُالأصـداف عنــ (م)	ــد صــائدِ التـــوائم ؟
فَـــاعْجَبْ لهـــا هـــديَّـــةً	لشـــاعـــرٍ من نـــاظمِ !

مع تقديم أخلص التحيات وأصدق التمنيات ...

مساجلة
بين العقاد ومحمود غنيم

زار الأستاذ : محمود غنيم مدينة أسوان ، فى رحلة تفتيشية فى أثناء وجود الأستاذ : العقاد بها ، فنشط لزيارته فى منزله ، وأنشده الأبيات الآتية :

أُسـوانُ والعقّـادُ فيهـا كعبـةٌ — سمح الزمان ؛ فكنت من حُجّاجها
قـد كنت أُبْصـرهَا بـرأس حَـاسرٍ — واليـوم قَـدْ أبصـرتُهـا فى تـاجهـا
قـولـوا لـروّاد الكـواكب : إنّنِى — زُرْتُ النجـومَ الزُّهْـرَ فى أبـراجهـا
الضّـادُ - يـا عَبّاسُ - أنت سراجُهـا — وأنـا شعـاعٌ من ومَيِضِ سـراجهـا

وقد رد عليه الأستاذ : العقاد ؛ بقوله :

أسـوان فى ديـن السمـاحـة كعبـة — بِحُـدَاتهـا ، والغُـرّ من حجّـاجها
أقْبِلْ إليهـا ، يـا غنيمُ ، وزِدْ بمـا — حَيّيْتَهـا بُـرْجـاً إلى أبـراجهـا
والشعـر مـن وَحْى الغنيـم غنيمـةٌ — أغنى الغُنَـاة مُـزَوّدٌ من حـاجهـا
أنت الـوميضُ من السـراج إذ ارتقت — ومضـاتُـه العليـا إلى مِعْـراجهـا

سلطان العاشقين

أبو سلطان

أهدى الأمير : صقر القاسمى إلى الشاعر ديوانه : « فى جنة الحب » ؛

فكتب إليه :

أيُّ حبٍ فـى ذلك الـــديـــوان ؟ أى شعـــرٍ فيــه رقيق المعـــانى ؟

هـا هنـا الشعرُ هـا هنـا ، والتَّصـابى إنمـا الشعـــر والهـوى تَـــوأَمَـــان

غَــازِىَ الغيــد فى دمشق ، ولبنـا (م) ن ،وفى شَـطِّ دجلـــة ، وعُمـــان

عُمَـرٌ أنت فى الصبـابـةِ ، أو قَيْـ (م) ـسٌ جـديـد، أو ابن أحْنَفَ ثـان

لـو تــلا هـؤلاء شعـرَكَ ، قـالـوا : إن سلطـــانـنــا أبـــو سلطـــان !

قداحة

أهدى الأمير : صقر القاسمى إلى
الشاعر قداحة (ولاعـة) ثمينـة ؛
فبعث إليه :

قَــدَّاحـــةٌ جــاءَتْكَ مــن قــدَّاح ... قــداحِ زَنْــدِ المجــدِ والسَّمَــاح
شُعْلتُهـــا تضىءِ كــالمِصْبَــاحَ ... هــازئةً بعــاصف الــريـــاح
فَتيلُهــا مــن طـــرة المـــلاَح ... وَزَيْتُهـــا من قَطَـــرات الـــرَّاح
أو من عصيــر الــزَّنْبَق الفَــوَّاح ... لله ومضُ نــورِهــا اللَّمَـــاح !
يحكى لنـــا عن فلق الصبـــاح ... رقصتُـــه تــدعـــو إلى المـــراح
وتَفتح القَلْـبَ بـــلا مِفْتَـــاح ... وتمـــلأ الصــدْرَ بـــالانشـــراح
إليكَ أهـــداهـــا كــريـم الــرَّاح ... مَنْ قَـــدْرُهُ جــلَّ عن الأَمْـــداح
وفضلُـــه احتـــاج إلـى شُــرَّاح ... لازلتَ ، يا صقرُ ، رحيبَ السَّاح
مــرفــرفــا فى الجَــوِّ بــالجنَــاح ... مُحَلِّقـــاً فى ســـائر النـــواحى
تعشق كــلَّ ذات وجــه ضـــاحى ... ولا أقـــول : رَجُلٌ إبـــاحــى
فأنـت رمــز الطهــرِ والصـــلاح ... لكن أقـــولُ : مطلَق الســـراح
يهيم بـــالثُّغُـــور كـــالأَقـــاحى ... وبـــالخـــدود الحُمْـر كــالتفَّــاح
نَسِيبـــه نهـــايـــة الإفْصـــاح ... تحفظــه الحسَـــان فى الألـــواح
الحبُّ لـــلأَجســـاد كـــالأرواح ... والشِّعــرُ وَحْىٌ ، والجمــال واحى

أيّنا الأباحى ؟

ورد الأمير الشاعر على الشاعر
بالأبيات التالية :

يـا شـاعـرا محلِّقَ الجنـاح ... كـالنَّسر فى الجوِّ الطليقِ الضاحى
يسمو على السحاب ، والرياح ... يـرنـو بعينَىْ قـانِصٍ لمَّـاح
يختـار من أجـوائه الفسَـاح ... فـرائدًا من درر وِضَـاح
أو مـا حـواه الثغـر من أقـاح ... أو زَيَّـنَ الصـدورَ مـن تُفَّـاح
غنيم ، خِـذْن المجـدِ والسمـاح ... شعـرُك كـالمـرام لـلأرواح
لا يتـرك الصـاحىَ وهْـو صـاحى ... نـزَّهتَـه عن كَبْـوِة المـدَّاح
وصُغْتَـه للحب والسـلاح ... وللـوفـاءِ المَحْضِ والمِـلاح
صـاف ؛ كمثل الجدول المِمْـراح ... مـا احتـاج معنـاه إلى شـراح
قـدَّاحتى حلت بخيـر سـاح ... بكفِّ شهـم، مـاجـد، قـداح
إشـراقهـا مِنْ وجهـه الـوضَّـاح ... وزنـدُهـا من عَـزْمَـه الطَّمَّـاح
قـد بَعَثَتْ تشكـرُ لى سمـاحى ... تقـول : نلتُ غـايـة الفـلاح
حللتُ فى كـف فتًى إبـاحى ... ليس يـرى فى الحب من جُنَـاح
لَـوْجُـذْتَ للـوكيل بى، يـا صـاح ... لطـال سُهْـدى وعـلا نُـوَاحى[1]
من قبضـةِ الأنـامـل الشِّحَـاح ... وصحبِـة الخـلائق القبـاح
تبًّـا لكل شـاعـرٍ وَقـاح ... فى شعـره أكـذبُ من سجـاح

---

(١) يشير إلى : الشاعر العوضى الوكيل ، وكان بين الأمير ، وغنيم ، والعوضى مداعبات وأفاكيه .

تقليد

فى يوم: ١٢ من يولية ، سنة ١٩٦٣ م ، أقام السيد : وزير التربية والتعليم مأدبة عشاء ؛ تكريما للمحالين إلى المعاش من كبار رجال الوزارة ، وكان الشاعر من بينهم ؛ فألقى فيها هذه الأبيات :

أكـرِمْ بـه مـن « سَيِّـدٍ » تقليـدا ... زاد العلـومَ وأهلهـا تمجيـدا !

مـا مَجَّـد المتقاعـدين ، بل الألى ... بـدرُوا جهادًا فى الحياةِ جديـدا

قل للـوزيـر : غَمَـرْتَنـا بسعـادةٍ ... حتى غـدا يَـوْمُ الإحَـالـةِ عيـدا

حفلٌ كـريم، عن رضـاك معبـرٌ ... لَسْنَـا نـريـد على رضـاك مَـزِيـدا

الله سـاقك للمُعَلِّـم نجـدةً ... وبنـاك حصنـا للعلـوم مشيـدا

أو لم تـرُدَّ إلى المعلـم حقـه ؟ ... لـولاك ؛ لم يـك حقـه مـردودا

إنـا سنتخـذ الـوزيـر إمـامَنَـا ... من يمشِ خلف خطاه ، عاش سعيدا

لا هُمَّ ، أَمْـدِدْنَـا ببعض نَشَـاطِـه ... ومعـاذَ رَبِّىَ أن أكـونَ حَسُـودا !

هوليلاى

قيلت فى حفل تكريم الأستاذ: محمد أحمد بنونة ، الوكيل المساعد لوزارة التعليم العالى ، فى ٢٢ من ديسمبر ١٩٦١ م

كـرِّمــوه ؛ فإن من تُكــرمــونــه   تَتَمنَّى شمسُ الضُّحى أن تكــونــه

لــو وضعنــا عـن المــروءَة سِفْــرًا   كــان عنــوان سفــرهــا : بنُّــونــه

ولــوَ انَّ الشيــوخَ تُعْشَقُ كــالبيــ (م) ــض العَذَارى، لم يعشق القلبُ دونه

هــوليــلاى؛ فــاعــذرونى إذا مــا   أنــا أصبحت فى الهــوى مجنونَــه

كَمْ دعـــانى إلى مـــوائِد شـــايٍ   عَـامِـرات ، فكيف أقضـى دُيُـونـه ؟

رجلٌ مـن تكنْ لـــه فى يـــديــه   حــاجــةٌ ، فَهْى عنـدهُ مَضْمــونـهْ

وعليهــا ابتســامــةٌ عــذبــةٌ ، فيـ (م) ــها شِفَــاءُ لــلأنفس المحــزونــه

صــاغــه الله مــن نَــدًى، وظِــلاَل   يشبــه الــروضُ زهــرَهُ ، وغصــونــه

فــإذا شم أنفُـــــــهُ ريحَ ضيم   كــان كــالصخـر جفْــوةً وخشــونــه

شــامخٌ كــالجبــال فـى غَيْـر كِبْـر   ليس يُغْضِى علـى الهـوان جفــونــه

وشُجــاعٌ فــى رأيــه ، ليس يَــذْرِى   جيمَ جُبْنٍ ،أوبَــاءَه ، أو نُــونَــه

مــا عَهِــدْنَــاهُ بــالمنــاصب مَفْتُــو (م) نًــا ،ولكنهــا بــه مفتــونــه

خلقــهُ فـى شتــاءِ أمشيــرَ دِفءٌ   ونسيمُ مُــرَطَّبٌ فـى بئــونــه

لا تقيمــوا لــه احتفــالا وتُلْقُــوا   فيــه قــولاً مُنَمقــاً تنشئــونــه

ألفُّوا فيه سيرةً ، أو كتابًا ودَعُوا فتيةَ الحِمَى يقرءُونه

أو دَعُونى أنظِمْ سجاياه طرًّا فى نشيد مُرَتَّلٍ يحفظونه

كى يشِبُّوا على حميد السجايا وعلى عِزَّة النفوس المصونه

أيها المُحْتَفَى بهِ، أنت أهْلٌ لعيون القَرِيضِ، فَاقْبَلْ عيونه

وأَجِزْنى بمنحةٍ ، وتذكَّرْ أننا فى الشتاءِ ، فصلِ المعونه

وتذكرْ من كان يَجْزِى على الشعر بِمَنْح الجواهر المكنونه (م)

في زيارة الواحات

هلَّلتُ للـوادي الخصيبِ الأخضـرِ ... متحـديـاً جَـدْبَ الفضـاءِ المُقْفـر

فَنَـزَلْتُ منه ـــ إذْ نـزلتُ ـ بجنـةٍ ... وشـربتُ فيـه مثلَ مـاء الكَـوْثَـر

لكأنمـا الصحـراء عنـه تبَسَّمَتْ ... بعـد العُبُـوس تَبَسُّمَ المستبشـر

يأيهـا الـــوادى الجميل ، تحيَّـةً ... بشـراكَ ! قـدْ وافـاكَ خَيْـرُ مُعَمِّـر

لكَ حـاضـرٌ زَاهٍ ، سيأتـى بعـدهُ ... مستقبلٌ أزْهَـى على يَـدِ أنـور

أَمـا الظَّـلامُ ؛ فقـد تَبَـدَّدَ جيشـهُ ... وسطـا عليـه عَسْكَـرٌ فى عسكـر

كلمة تقدير

إلى الصديق ابن الصديق ، الدكتور : أسامة حسن علوان

يكتبُ اللهُ للمــريض السَّــلاَمــه   حين تـأسـو المـريضَ كفُّ أسـامـه

مَلِكٌ حـــاكمٌ على دولـــةِ الأَغـــ (م)   ـصابِ ، يُمْضِى فى مُلْكِها أحكامه

دائم البشْـــرِ إذ يعــالـج مَـرْضَـا (م)   هُ ، وقـد تُبْـرِىءُ المـريض ابتسـامهْ

ليس ملْكَــاً لنفســه هــو ، لكِنْ   هــو مِلْكُ لكلِّ شَــاكٍ سقَــامــه

لكــأَنَّ المسيحَ أوصى أُسَــامَــه   بشفـاءِ المَـرْضَى ؛ فقـام مَقَـامَـه !

يا ابن عيسى

أنتَ للحقَ أنتَ، خيـرُ طـريقٍ   يـا ابنَ عيسى، وأنـت عـوْنُ الفـريق

قـد عهدنـاك فى جميع قَضَايـا   كَ حَلِيفَ النجـاح والتـوفيـق

لك فى سـاحـة العـدالة ، يـا معخـ (م) ـمُودُ جـولاتُ مِـدْرَهٍ مِنْطِيق

يَشْفَعُ الحقَّ بـالـدليلِ مَصُوغـاً   فـى بيـان كأنّـهُ مِنْ رَحيـق

يـوشك الحقُّ ـ إذْ تـدافعُ عنـهُ ـ   أن يمُـدَّ اليَـدَيْنِ بـالتصفيق

يَفْـزَعُ الظلمُ إن رآك ، كمـا يَفْـ (م) زَعُ جيشُ الظـلام عنـد الشُروق

إن عيسى أحيـا مـوَات الـدنيـا   وابن عيسى أحيـا مـوَات الحقـوق

الطبيب إمام

أنتَ فى الطبِّ ، يا إمامُ ، إمَام   إن لمستَ السَّقيم ، زال السَّقَامُ
لك وجهٌ يكاد يقطر بِشْرًا   وابتسام تُشْفَى به الآلامُ
أودع الله فى يديك سلاحا   كلُّ جُرْح بحدِّه يَلْتَامُ
هو سيفٌ ماض على كلِّ داءٍ   وهْوَ للناس : رحمةٌ ، وسلامُ
أنت لولاك ؛ لم تَشَمَّ عبيرا   أو تُشَنِّفْ آذانَنا الأنغامُ

يا أبا فيصل

يــا أبــا فَيْصَـلٍ ، عليك ســلامُ　　إن بيتــا يــأْويـك بيتٌ حَــرَام

لا تقُلْ : حــاتم، وكعـب ، ومعن　　إنهم عنــد صَـــالِح أقـــزام

بَــاسِمٌ أنت للضيــوف ، وأحلى　　مَــا بِـه يُكْــرَمُ الضيـوفُ ابتســام

ليس كـلُّ الطعـــام خُبْـــزًا وأرزًا　　فمن البِشْــرِ للضيــوف طعَــام

أنت ، يـا صَاحِ ، صَالِحٌ لِلْمَعَالى　　وشَهَــابــاً بــه يُنِيــرُ الظــلام

حفظ الله صـــالحـــا وبنيـــه　　إنَّ نَسْلَ الأبِ الكـــريم كِـــرَام

أنت فـى دولــة الكُــوَيْت لــواءٌ　　خَــافِقٌ فــوقها ، وهُمْ أعْــلام

تحية موجزة

للشاعر الكبير : أحمد السقاف

رفعتَ ، يا سَقَّافُ ، سقفَ منزلى ... إلى الثُّريا ، والسِّمَاك الأعزل

أما ترى جدرانه فى جَذَل ... كادت تُحَيِّيكَ وإن لم تَعْقل

لله أنتَ من كريم مُفْضل ... وشاعر من الطِّراز الأول !

شعرُكَ ، يا سَقَّافُ ، عذبُ المَنْهَل ... أعذب من لامِيَّةِ السَّمَوْءَل [1]

كم لك من قصيدة فى محفل ... ألهته عن سِقْطِ اللِّوى وحَوْمَلَ ! [2]

شعر يسيل كالنَّمِير السَّلْسَل ... ليس بواهى النَّسْج أو مُهَلْهَل

ذَكَّرَنَا شعرَ الفُحُول البُزَّل ... ما لِلَبِيد مِثْلُه ، أو جَرْوَل [3]

يارب شعرٍ فَاتِرٍ مبتَذَل ... لا هو بالنثر، ولا بالزَّجل

من القَوافى، ومن الوَزْن خَلِى ... به يُشَجُّ الرأسُ ، لا بالجندل

مَنَ نظم الشعر بلا مستفعِل ... فإنما أصابَهُ فى المقتل

لله دَرُّ أحمدٍ من رجلٍ ... قد سار فى شَبَابه المقتبل

فى خَلْقِه وخُلْقِه المكتمِل ... كاد يكون مضربا للمثل

ينطق لكن بلسان العجل ... وهو الفصيح قولُه ، إن يقُل

****

تحية موجزة لم تصقل ... فشعرها أشبه بالمرتجل

يسعى إليك، مُطرقًا فى خَجَل ... فالتمس العذر له ، والعذرَ لى

---

(١) السموءل : شاعر جاهلى ، وضرب به المثل فى الوفاء .

(٢) يرمز إلى معلقة امرىء القيس ، التى تبدأ بقوله :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل

(٣) جرول : لقب الحطيئة ، الشاعر المجيد الهجاء .

هنا شعر أنثى !

في ٩ ـ ٦ ـ ١٩٦٨ ـ م

لِلُـــورَا قَـــوَافٍ تَفُـــوح عبيـــرا رعى الله لـــورا ، وديـــوان لـــورا

لقـــد رَقَّ ؛ حتى حسبنـــاه ســـال رَحِيقـــاً عتيقـــاً ؛ وعـــذْبًـــا نميـــرا

بحـــورٌ مـن الشعـــر فـى عُمْقِهـــا وَرُحْبِ مَـداهـــا تحـــاكى البحـــورا

ولم تَحْـــوِ مـــاءً، ولكن حـــوَتْ عـــواطفَ جيَّـــاشَـــةً وشُعُـــورا

هنـــا شعـــرُ أنثى : تفيض حَنـــانـــا وحُبًّـــا ، وتحمـل قَلْبـــاً كبيـــرا

وكـم قلـم فى بنَـــانٍ خَضِيـــبٍ حسبنـــاه من شـــاربيْن استُعيـــرا

لقـــد حلَّقَتْ بجنـــاح قـــوىّ كعصفـــورة تَتَحـــدَّى النســـورا

وخلَّت ســـواهـــا مـن الغـــانيـــاتِ يسيـــر مهيض الجنـــاح كسيـــرا

وثـــارت علـى التُّـــرَّهَـــات بقلبٍ شجـــاع، وحـق لهـــا أن تثـــورا !

تعبـــر، صـــادقـــةً ،عن هـــوَاهـــا وتنكـــره الغيـــد إفكـــاً وزورا

وهل تنكـــرُ الغـــانيـــاتُ الغـــرامَ ؟ أيحمِلْن بيـن الصـــدور صخـــورا ؟

كيـــوبيـــد يُغـــزو عـــرينَ الأُســـود فكيف بـــه لا يشـــقُّ الخـــدُورا ؟

هل عاد قيس ؟

إلى الشاعر العاطفى : محمد عمر الطوانسى

بِنَسِيبِ شعـــرِكِ ، يــا عُمَــرْ للغـــانيـــات حَــلا السَّمَــرْ

هتَفَت بـــه الهيفَـــاءُ ، وهـــمْ (م) ـــىَ بخــدْرهــا عنــد السَّحــر

شعــــر تغنَّى العــــاشقـــو (م) نَ بـــهِ على ضَـــوء القمـــر

وبـــــــه تَمثَّل كــلُّ صَـبٍّ (م) يشْتكـى خِـــــلاًّ هَجَـــــر

الحبُّ فَـــاض بــــه كمـــا فـــاض العُبَـــاب علـى النَّهَــر

هـــو للصَّبَـــابَـــة معـــرض هـــو للغَـــوانِـى مُـــؤتمـــر

مـــا زلت تنسب بـــالحســـا (م) نِ الغِيـــدِ ، ربَّـــاتِ الحَـــوَر

وتئِـنُّ مـن فَـــــرْط الهُيَـــا (م) م وتشتكـى طـــــولَ السهـــــر

حتـى سألـتُ : أعـــــاد قَيْـــــ (م) ـــسٌ ، قيسُ ليلـى، من سَفـــر ؟

أو هـل تُـــــرَى ابن أبـى ربيـــ (م) ـــعةَ بعـــد غيبتِـــهِ حضـــر ؟

أو زار طيـــف كُثَيِّـــــــــرٍ أو أحـــوصٌ ثـــانٍ ظهـــر ؟

* * * *

سيمـــا الأصـــالـــة فى قَـــريـــ (م) ـــضكَ ، لا الفهـــاهـــةُ والهـــذر

لا الشعـــر خـــانَتْـــه قـــوا (م) فيـــه ، ولا الـــوزنُ انْكَســـر

مـــا الشعـــر إن هـــو لـم تـــزيِّـــ (م) نْـــهُ قـــوافيـــــه الغـــرر ؟

الشعـــــر مــــا لم يتـــزن كـــالعـــود ليس لـــه وَتَـــر

بـــالشعـــر يلْهَجُ معشـــرُ مـــا عنـــدهم عنـــه خبـــر

والشعـــرُ منهـم بــاسـمُ الشــ (م) ـــفتين، مفتَـــرُّ الثَّغَـــر

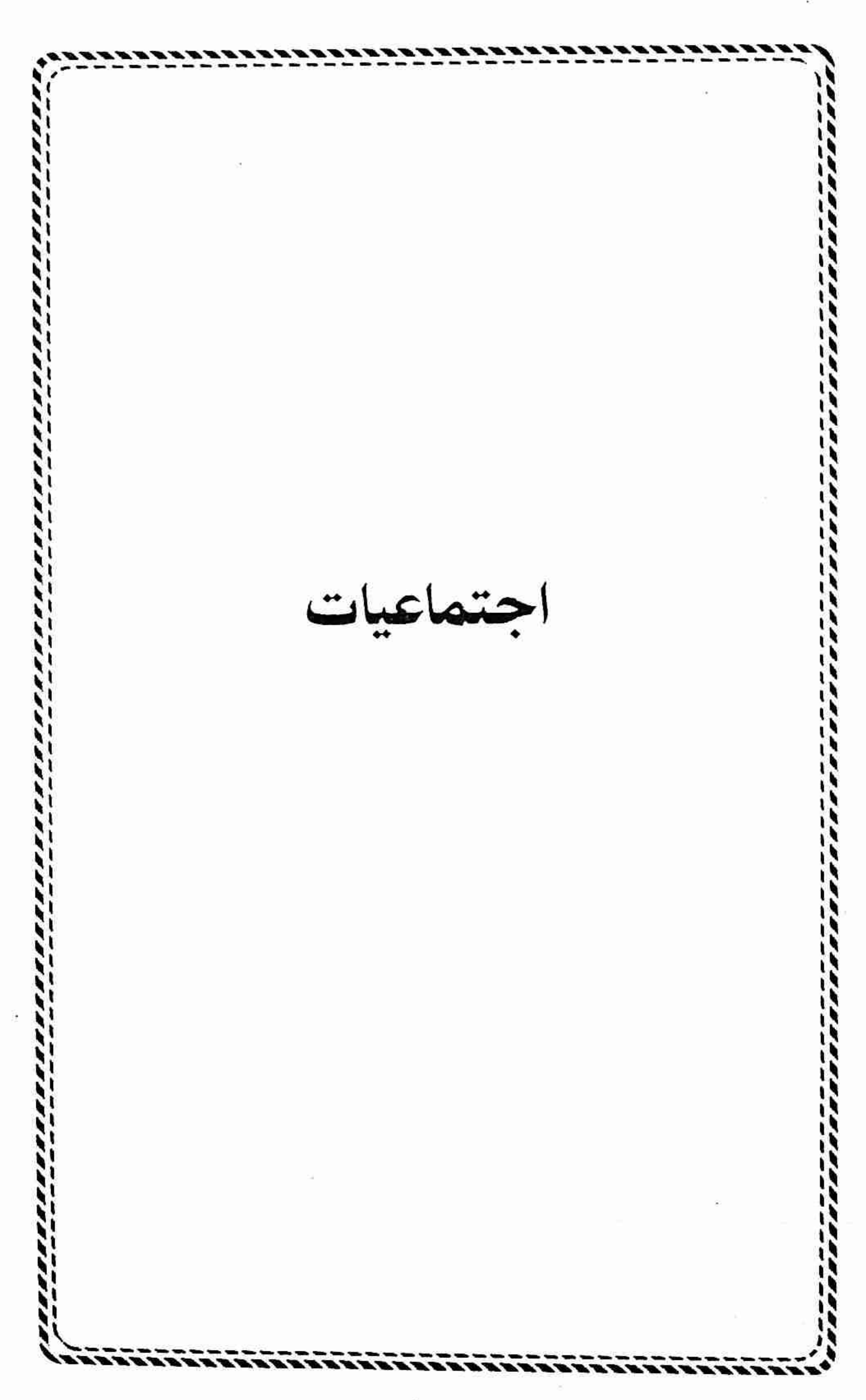
والشعـــر منـــه خـــالـــدٌ بــــرواتـــه بـــاقـى الأَثَـــر

ومكفَّـــنٌ فـى مهـــــــده يــــوم الـــولادة يُحْتَضَـــر

مـــا كـل مـن خـطَّ اسمَـــهُ فـى صـــدر ديـــوانٍ شَعـــر

الغـثُّ لا يُقْيــــا لـــــه مهمـــا أُذِيع أو انتشـــر

والـــدهـــرُ خيـــرُ مميِّـــزٍ بيـن الـــلآلـىءِ والحجـــر



اجتماعيات

أسف بالغ !

نشرت الصحف أن مريضًا استبد به المرض ، وتردد على المستشفيات ؛ فلم يجد من بين الأطباءِ من يداويه بالمجّان ، ولجأ إلى أخيه فبرم به بعد مدة ، فلم يجد بدًا من أن يتردى فى جب ؛ تخلصًا من حياة لم يجد بين أبنائها التراحم ، وفقد فيها التواد والمعروف مع أقرب الناس إليه ، فقال الشاعر [1] :

شَفَاه رسول الموت إذ خانه الطِبُّ	وضاقت به الدنيا ، فلم يضق الجُبُّ
فتى عاش فى آلامه نِصفَ مَيِّتٍ	كنوُر سراج لا يضىء ، ولا يخْبُو
تحاماه أهلوه ، ومن قَلَّ مالُه	فليس له أهلٌ ، وليس له صَحْبُ
أهابَ بأهل الطبِّ ، والطبُّ مُطْرِقٌ	أصمُّ ، له (جيب) ، وليس له قلب
إذا أَنَّ ذُو جاه ، فعشرون آسيا	على بابه ، والمعدمون لهم رَبُّ !
بنى وطنى ، هذا شهيد عُقُوقكم	فليس عليه أو على القدَر الذنب
تباركت ربى ! يسقط الطير جائعًا	بمصرَ ، وفى مصر المناهل والحبُّ
وكم هبةٍ تُحْيى من الموت أنفسًا	على قدمىْ هيفاءَ ينثرها حِبُّ
بنى وطنى ، حذرتُكم نشوةَ الغنى	فأولها سِلْم ، وآخرها حرب !

---

(١) من صور الحياة المصرية : للأستاذ محمد صادق عرنوس ص ١٢٤ ، ١٢٥ ، مطبعة أنصار السنة المحمدية ، سنة ١٩٤٨ م .

من شعره المبكر :

حفل زواج

أرأيتَ كيف تـلاقَـتِ الأقمـارُ وحـوتْ نجـومَ الأُفْقِ تلك الـدارُ ؟

لا غَـرْوَ ؛ هـذا منـزلٌ مُسْتَـأْصِلٌ في المجـد، بُرْجُ الشمـس منه يَغَار

يأيهـا الحفلُ الكـريمُ ، تحيـةً من نَفْحِهـا تتعطَّـرُ الأزهـار

لم يَحْـوِكم هـذا المكـانُ ؛ وإنما تحـوِيكُـمُ الأَسمـاعُ والأبصـار

أهْنِيء بيـومك، يـا « محمد » ، إنـه يـوم تَضِنُّ بمثلـهِ الأعمَـار

أنـا لا أقـول : لقـد ظفـرتَ بِـدُرَّةٍ إن الجـواهِـرَ كلَّهـا أحْجَـار

بل تلك أنثى من سـلالةِ « مُصْطَفى » هل بعـد ذلك رِفْعـةٌ وفَخَـار ؟

❊ ❊ ❊ ❊

أمحمـدُ ، منِّى إليكَ نصيحـةٌ لكَ سـوف أبْـذُلهـا ، وَلِي دِينـار

عهـد العُـزُوبَـةِ قَـدْ مَضَى بِشقـائِهِ إن العُـزُوبَـةَ كلَّهـا أخْطـار

قَـدْ عِشْتُ قبلـكَ أَعْـزَبًـا ، لكنني لا أرْضَ تَـأْوِينى ، وَلاَ لـىَ دار !

لا تسألـوا عن بَعْضِ مـا قـاسيتُـهُ قبل الـزواج ؛ فهـذه أسـرار

قـالـوا: الـزواجُ ، فقلتُ: من ريفيَّـةٍ لا المُـدْنُ تُعجِبُنى ، ولا الأمصـار

لا تَخْـدَعَنَّكَ غـادَةٌ حضـريَّـةٌ فيهـا بيـاضٌ زائفٌ، وحَمَـار (١)

---

(١) يقال فى صفات الألوان : حمرة وزرقة ، ولا تكون الصفة منها على : (فعال) إلا فى بياض وسواد .

أَتظُنُّ أن الجسم جسمٌ : نصفُــــه   عـــارٍ ، وأثـــوابٌ عليـــه قِصـــار
اختَــرْ لنفسِكَ مـن فُتَيَّـاتِ القُـرى   أهْـــلا ، فهُنَّ مَـــلائِكٌ أطهـــار
أنــا لا أقــولُ : تــزوَّجُـوا رِيفيَّـةً   ممَّـنْ يُـــدَقُّ لأجلهـن الــــزَّار
كــلاَّ . ولكــنْ بينَ جُـدْرانِ القُــرى   حُـورٌ ، حــرائرُ، نُهَّـدٌ، أبْكــار
أنثى مُثَقَّفَـــةٌ إذا عـــاشــرتَهـــا   تَـدْرى شئـــون البَيْتِ كيف تُـدار
قل للشبـــاب إذا أراد تَـــأَهُّـــلاً :   ثَــوْبُ الجمـال علـى النساءِ مُعَـار
لا يَخْـدَعنَّهم الجمـــال ، ولا الغِنَى   إن يَبْتَغُـــوهُ ، فـــإنهّمْ تُجَّـــار
العلـمُ للهيفــــاءِ أجْمـلُ زينـــةٍ   إن لم يـــزنهـــا دملج وسِــوَار[1]
من لمْ تُجمِّـلْ بــالفضيلـةِ نَفْسَهـا   لم يُغْـنِ عنهـا فِضَّـــةٌ ونُضَــار
زُفَّتْ كــريمــةُ مصطفى لمحمَّــدٍ   يــا حبـــذا الأزواجُ والأصْهَــار !
قــد بــات فـى أمِّ الكتـاب مسجَّـلا   عقـــدٌ يتـــوِّجُ رأسَـــهُ نَضَّـــار

---

(١) الدملج والدملوج : سوار يحيط بالعضد ، وكل ما صنع بحذق ومهارة .

النشيد الرياضى

بعَـــزْم الشَّبـاب نَهُـــزُّ الـــوجـــودْ   وبـــالتَّضْحِيَـــاتِ وبـــذْلِ الجُهُـــودْ
إذا السِّلْمُ ســـادَ ، فنحنُ البُنَـــاةُ   وإن شَبَّت الحَـرْبُ ، كنَّـــا الجنـــودْ

* * *

ســـواعـــدُنـــا خُلِقَتْ للنِّضَـــال   وأقـــدامُنَـــا قَـــاهِـــرَاتُ الـــرِّمَـــالْ
وإقْـــدَامُنَـــا مـــن هُبُـــوبِ الـــرِّيَـــاح   وإيمـــانُنُـــا فى رُسُـــوخ الجِبَـــالْ

* * *

كـــرامٌ ؛ نُصـــافِـــحُ من نغلـــبُ   ويَسْمُـــو بأخـــلاقنـــا المَلْعَبُ
ويصنعُ منَّـــا رِجَـــالاً ، ونَحْـــنُ   بـــه أُسْـــرَةٌ ، وهْـــوَ نِعْمَ الأَبُ

* * *

لنـــا حَـــرَكَـــاتٌ تَشُـــدُّ العـــرا   وتَـــرْبِط بين شُعـــوبِ الـــوَرَى
وتَكْسُـــو الحيـــاةَ رِداءَ الجَمَـــالِ   وتَبْنـى السَّـــلامَ رفيـعَ الـــذُّرَا

* * *

شِعَـــارُ الـــريـــاضِىِّ نِعْمَ الشِّعَـــارْ :   أصُـــدُّ الغُـــزاة ، وأحْمِى الـــذمَـــارْ
أُجِلُّ الكبيـــرَ ، وأرْعَى الصَّغِيـــرَ   وأعْـــرِفُ للجـــارِ حقَّ الجِـــوَارْ

نشيد
المعهد العالى للتربية الرياضية

إلى الأمـــام سِـــرْ ، إلى الأمـــام أسُـودُ بـالتَّـدريب ، والنظـــامِ
لى عَـــزْمَـــةٌ قُـــدَّتْ من الأَهْـــرَام سِـــرُّ الحيـــاةِ صحـــةُ الأَجســـام

إلى الأمـام سِـرْ إلى الأمـام

نَحْنُ الـرِّجَـالُ ، نُنْبِـتُ الـرِّجَـالاَ نحن الـذيـن نُنْشِىءُ الأَجْيَـالاَ
على يَـدَيْنَـا نَصْنَعُ الأَبْطَـالاَ إنَّـا نُـرَبِّى للحمى أشْبَـالاَ

كَيْمـا يَصُـونُـوا حُـرْمَـةَ الآجَـام
إلى الأمـام سِـرْ إلى الأمـام ... إلخ

نَبْنـِي العُقُـولَ للحِمَـى بنـاءَ وبـالنَّشَـاط نُـزْهِفُ الـذَّكَـاءَ
ونَغْـرِسُ العِـزَّةَ والإبـاءَ بِـالْـوَثْبِ والتمـرينِ نَغْـزُو الـدَّاءَ

ونعلن الحـرب على السَّقَـامِ
إلى الأمـام سِـرْ إلى الأمـام ... إلخ

سِـلاَحُنَـا ريـاضـةُ الأبـدانِ دُرُوعُنَـا مِنْ قُـوَّةِ الإيمَـان
أخـلاَقُنَـا متِينَـةُ البُنْيَـانِ بَـاهِى بنـا ، يـا أُمَّـةَ العُـرْبَـان

فنحن جنْـــدُ الحـــربِ والسَّـــلام

إلى الأَمــام ســر إلى الأَمــام ... إلخ

للعلم نحنُ والعُـــــلاَ جُنـــودُ بعَـــزْمنـــا أوطـــانُنَـــا تَسُـــودُ

بـــالــــروح فى سبِيلِهـــا نجُـــودُ يـــا أمَّـــةَ العُـــرْبِ، لكِ الخُلُـــودُ

لِجُنْــــدكِ النَّصْــــرُ على الــــدوام

إلى الأَمــام سِــرْ إلى الأَمــام ... إلخ

استعطاف وتبرئة

استعطاف موجه إلى سمو الأمير : زايد بن سلطان حاكم اتحاد إمارات الخليج ، بشأن قضية الأمير : محمد صقر القاسمى .

حَيِّ الخليجَ ، وسل ساداتِه النُّجُبا ... عن ليثِ غابٍ ، على شُطْآنه وثَبا

ما حاد عن شرعة الإنصاف مُهْتَضَمٌ ... قد جاءه يقتضى حقًّا لَهُ سُلبا

قصر الإمارة مَغْنَاهُ ومرتَعُهُ ... إنْ يقتحمْهُ بلا إذْنٍ ، فلا عجبا !

مَنْ حكمَّ المَنْشَ فى شطِّ الخليج ؛ فذا ... وَالٍ أُقِيل ، وهذا غيره نُصبا ؟

لصٌّ تصرَّفَ فيما ليس يملكهُ ... ما كان للصِّ أن يَمْتَنَّ أو يهبا

هزْليَّةٌ أحكم المحتلُّ حَبْكَتَها ... لا تعرضوها فُصُولاً بعد ما ذهبا

إن الأَميرَ الذى لاقى مَنِيَّتَه ... ما كان للعرش منْ وَاليهِ مُغْتَصِبا

لكنَّها فِتْنَةٌ هو جاءُ عارمةٌ ... ألقى الدخيلُ عليها النارَ والحطبا

شاه الدخيل ؛ فكم شَبَّتْ لظىً يَدُهُ ... وكم أَخًا بأَخٍ فى فتنة ضَرَبا

ما كان من هَمِّ صقر قَتْلُ صاحبِهِ ... لكنْ عليه بحد السيف قد عتبا

وكيف يفتك فى وعيٍ أَخٌ بأَخٍ ؟ ... لكنه قدَرٌ فى اللوح قد كُتِبا

لبئْسَتِ الحربُ ــ حَرْبُ الأهل ـ عاقبةً ... أشقى فوارسها مَنْ أحرزَ الغلبا

يكاد يهتزُّ ركنُ الأرض من فَزَعٍ ... إذا أَخٌ وأخوه فوقها احتربا

ويح الشقيقين : مَقْتُولٌ جرى دمُهُ ... وقاتل دمعُه من قلبه انسكبا !!

لا الصِّهرُ أغنى ، ولا الأرحام شافعةٌ ... والثأْرُ لا يعرف القربى ولا النسبا

سجيَّـةُ العـــربى الحــرِّ من قــدمٍ   إن ضــاع حقٌّ لــه لم يألُـــهُ طلبــا
يخوض من أجلـه الرَّجَّـافَ مُضْطَرِبًا   آذيُّـه ، ويخــوضُ الجمْــرَ ملتهبــا

* * *

عـذرا لصقــر إذا قـاضيتمــوه ؛ فمـا   أولاه بالعـذر فى الذنب الـذى ارتكبا
إن كـان قـدَّم كأسَ المـوت مُتْرَعَـةً   إلى أخيــه ، فمنهــا قَبْلَـهُ شــربــا
صقـرٌ حسـامٌ بكـف العـربُ منْصَلِتٌ   مـاضى الغرار ، إذا حَـدُّ الحُسَام نبـا
صقرٌ هو الصقـر فى جوِّ السماء ، إذا   ما أصبح الصقرُ فـى جو السماءِ دَبى
صقـــر ومَن مثلُ صقـر فى أرومتــه ؟   هــو المنسَّبُ خـالاً ، والكــريم أبـا
صقـر أميـرًا ، وصقــر سـوقـةً ، رجلٌ   يعيش رأسًــا ، أشمَّ الأنف ، لا ذَنَبـا
من قــدَّمَ العــرش قــربانًــا لأُمتــه   وقــام للــوطن الغــالى بمــا وَجَبـا
وعاش فى غـربة عَيْش الكَفَـاف ، ولوْ   شاءَ استحـال الحَصَى فى كفِّـهِ ذهبا
نـــال الإمـــارةَ إرثًـــا عـن أوائلـــهِ   فكيف يـذهبُ ميراثُ الجـدودِ هبا؟
إن كـان صقـر عِظَـامِيًّا فقـد ظفـرَتْ   يـداه بــالمجـدِ مــوروثـا ومكتسبــا

* * *

لـو طأطأ الـرأس صقرٌعـاش فى دَعَـةٍ   ولم يَعِشْ فى فِجَـاجِ الأرض مغتـربـا
مـــا دار فى فلـك المُحْتَلِّ إمَّعَـــةً   بل كـان يَقْضِى ، ولا يَقْضِى لـه أربَـا
مـا كـــان شـاهًـا بِشِطْـرَنْجٍ تحــرِّكُـهُ   كف الـدَّخيلِ كمــا شــاءَتْ إذا لعبـا
كـــانت جَـرِيــرتـهُ أن سِيمَ فى نفــرٍ   من قــومـه ذلـةً ، فـاستسلمـوا ، وأبَى
كانت جنايته أن قال : « لا » ، وعَصَى   منْ لا يُــرَدُّ لــــه قــولٌ إذا رغبــــا

لا يقبل الحــر زادًا قــدَّمَتْـه لـــه ... كفُّ الـدخيل ، ولو ذاق الـردى سَغَبَا

* * *

قل لابن سلطـــانَ قــولاً غيــر مُتَّهَم ... مِنْ شاعِـرٍ منصف لا يألف الكـذبا :

شيخَ الإمـارات ، صقـرٌ أنت تعـرفـهُ ... وأنت ــ يــوم نَفَـوْه ــ تعــرف السببـا

ناشـدتُك العَدْل فيه ، والعـروبةَ ، بل ... نـاشـدتك الله ، والإسـلامَ ، والحَسبـا

طـــال الـزمـــانُ عليـه رَهْنَ مَحْبِســـهِ ... والصقر لا يعـرف الأَقْفَاصَ والقُضُبَـا

لا تأخـــــذوه بِـــــوِزْرٍ ليـس وازِرَهُ ... فَتُشْعِلوا فى الصـدور الحِقد والغضبا

ورشحـــوه ليــومٍ فيـــه نــدفـع عَنْ ... أحسـابنـا ، إن هـذا اليـومَ قـد قـرُبَـا

إن تفقـدوه ، فقـدتُم خَيْــرَ قـادتِكم ... والحامِىَ المـرتَجَى ، والمعقل الأَشِبَا

هــو الأمير الــذى أَحْيَـا لكم أدَبًـا ... يعيـد عهـد بنى حَمْـدانَ فـى حَلَبـا

عطفًـا على شَيْخَــةٍ رِيعَتْ بفقـد أخٍ ... فكيف أنْ نَجْلُهَـا أو بَعْلُهَـا نُكِبـا ؟ !

قالـوا : جَلِيلةُ . قلنا : لا تقـاسُ بها ... وإن جـرى دمعهـا مـن عينهـا سُحُبـا

رُدُّوا إلى القـــاسِمىِّ الحـر قلعتَـــهُ ... وامشـوا على نَهْجِـهِ إن كنتمو عَـرَبـا

دعـــابات

بط الماحى

تبتدىءُ هذه المساجلة الفكاهية ، حينما وقف الشاعر الظريف : عبد السلام شهاب فى إحدى الندوات التى نوقش فيها ديوان الماحى ، فألقى زجلا فكاهيا ظريفا ، بدأه بقوله :

ديوان الماحى الدمياطى   سبحان الوهَّابِ العاطى !

ثم جعل يعدِّدُ مناقبَه حتى قال :

ولبيت الماحى صِيتٌ فى   تربية البطِّ الزَّغاط

وحينئذ : تحركت شهوة الطعام عند الشاعر؛ فأرسل إلى صديقه الماحى يقول :

قد سمعنا عن بطكم ما سمعنا   فأكَلنا بالأُذْن حتى شبِعنا

غير أن الأفواه تنطق هَمْسا :   ما عرفنا لذلك البط مَعْنى

يا أبا مُصْطفى ، عليك سلامٌ   أفَيُرْضيك أن شبعتَ وجُعْنا ؟

وسع الناسَ كلَّهم بطُّك النا (م)   ضِجُ دُهنا ، لكنه لم يسعْنا

جُدْ علينا ولو بطيفِ جَنَاح   لا تَدَعْنَا نشكو الطوى ، لا تدعنا !

نحن فى عَهْدِ أزمة وغلاءٍ   قد رهنَّا فيه المتاع وبعنا

نحن قوم لنا العفافُ شِعَارٌ   إن سُقينَا حِسَاءَ بطٍ قنعنا

وإذا نالنا كَرِيمٌ بإحسا (م)   نٍ شكرْنَا صنيعَهُ وأذعنا

ونذيق البخيل هَجْوًا وبَيلاً   مِثْلَ حدِّ السلاح ضربًا وطعنا

صاح ، لا عذر بعد هذا ، فَقُلْ لى :   قد سمعنا ما قلتَهُ وأطعنا

فكتب الماحى إلى الشاعر ، يقول :

يـا أخى، يـا غنيـمُ ، رِفْقـاً بحـالى ... إن عبـد السـلام بـات يُغَـالى

لا تصـدقْ مـا قـالَـهُ ، يـا صـديقى ... إنـه شـاعـرٌ رحيب الخيـال

لـم يــزرنـى ولـم أزره ، ولكـن ... هـاجـه الشـوقُ للطعـام الغـالى

كـان فيمـا مضى يقـدَّمُ بطٌّ ... ودَجَـاجٌ محمَّـرٌ فى المقـالى

يـومَ كـان الـزمـان سهـلا رَخيًّـا ... لا يمـر الغـلاء فيـه ببـال

فَغَـدَا البطُّ والـدجاج ـ كمـا تَعْـ (م) لم ـ ضـربين من ضُرُوب المحـال

غيـر أنى ـ وقـد تَصَـوَّرتُ مـا قـا (م) ل صحيحـاً ـ أراه سَهْلَ المنـال

لك عنـدى وللصـديقِ شِهَـابٌ ... أسمنُ البـطِّ فى قـريب الليـالى

ولمـن شئت مـن مُحبيكَ طُـرًّا ... أنـا والله لست بـالبخَّـال

فـاقترِح، يـا أخى ـ فـديتُكَ ـ يومـاً ... واختبر ـ إن شككْت ـ صِدْقَ مقالى

ولما وجد الشاعر الدعوة مذبذبة غير صريحة ؛ بعث إلى الماحى يقول :

أيهـا الشـاعـر الـرقيـق الحـال ... أنـا لم أدْرِ أن جيبَك خـالى

أنت قَـدْ بِتَّ تـدَّعى الفَقْـرَ حتىَّ ... كِـدْتُ أهـدى إليك قـوتَ عيـالى

مـا طلبنـا إليك ذبـح فَصِيلَيْـ (م) ـن ، وفَحلينِ من فُحُـول الجمـال

بل طلبنـا جنَـاح أنثى مـن البطِّ (م) إلـى الله تَشْتَكِـى مـن هُـزال

فعـلام الأسـى، وطـولُ التَّشَـاكى ... والتَّبـاكى على الـزمـانِ الخـالى ؟

لَسْتَ ممن يـدعـو الضيـوفَ بقلبِ ... بل بقـول ممـزَّقِ الأوصـال

لست ممن يـدعـو بطـرفٍ قـريـرٍ ... بل بطـرفٍ ذى مَـدْمَع سَيَّـال

مُـومِئـاً نحـوَ بـاب دارك للضيـ (م) ـف بِيُمْناك ، طَـارِدًا بـالشِّمَـال

والكـريم الكـريـم يـدعـو بقلب ... ثـابتٍ ثـابت ثبَـاتَ الجبـال

يــا ابـن دِمْيَــاطَ ، إنَّ دمْيَــاطَ إنْ عـدَّت بنيهـا تعـدَّك ابـن خـلال

إن دميــاط مَهْبِطُ الشِّعـــرِ ، لكن هى فى الحـرص مضـربُ الأمثـال

إن أنْجَـــالَهَـــا كَثِيـــرٌ ، ولكن أنت ، يـا صَـاح ، أنْجَبُ الأنجـال

بكـــرُهَـا أنتَ حِكْمَـــةً وبيـانــاً وفتـاهــا حِـرْصـاً على الأمــوال

صـاح دَعْنى من أكـل بطِّك ، دَعْنى أوثِـر الجـوعَ ؛ إن عِـرْضِىَ غـالى !

فأجـاب المـاحى إجابـة لا تـزيـد عن سابقتهـا فتيـلا بقـولـه :

يـا صـديقى ، لقـد عهـدتُكَ عَـدْلاً منصفـــاً فى المقَـال والأفعــال

أنـا لا أشتكى ــ كمـا قلت ــ فقْرًا لا ، ولا البُخْلُ خَصْلَـةٌ مـن خصـالى

فلم الجـــور والتشكُّـكُ فيمـــا سُقْتَـه بـاكيـا لِـرِقَّـهِ حـالى ؟

فيم نُكْــرَانُك الغـلاءَ ، وكـلُّ الـ (م) ـنـاس يشكـون من أذى مغتـال ؟

فــإذا لم تحسَّـــهُ ، فهنيئــاً لكَ مــا قــد جمعتَ من أمــوال

أنـا عنـدى من القنـاعــة كَنْـزٌ ومـن الله فضلُـــه المتـــوالى

إن دميــاط ذاتُ جـــد ، وقَصْـدٍ لا لحــرص ، ولا لِسُــوءِ فعــال

تضع الحقَّ فى النِّصـاب ، ولا تفـ (م) ـعل فعل الأغْفَــال والجُهَّــال

هل أُجَـارِيك فـى دُعَــابَتِك الحـرَّ (م) ى ، وأنت المُـــدَاعِبُ المتغــالى

لا ، وحسبى أنّـى أعُــودُ إلـى دَعْـ (م) وَتِكَ اليـوم ، صـادِقـاً فى سـؤالى

مـعَ مـنْ شِئْـتَ مِـنْ محبيـك ، أنّـى لا أمـــارى ، ولست بـالبخَّـــال

فـاقترح ، يـا أخى ــ فـديتُك ــ يومـاً واختبر ـ إن شككت ــ صدقَ مقالى

وحينئذ : وجـد الشاعـر أنه لا مندوحـة من تنفيذ ما هـدد به ؛ فبعث إليـه بهذه المقطوعات :

١ـ دون الوصال

بـالله ، يـا ذاتَ المُحَيَّـا الضَّـاحِى قـد طال بى لَيْلى ، وأنتِ صَبَاحى !
قـالت : أتطمع فـى الـوِصَـال ودونـه قُبُلُ النجـوم وأَكْلُ بطِّ المـاحى ؟

٢ ـ ليلى المريضة بالعراق

ويـلاه !ليلى بـالعـراق مـريضـة قــد أصْبَحَتْ فى عــالمَ الأرواحِ !
كيف السبيلُ إلـى الـدواءِ ، وإنمـا هــو دِرْهمٌ من دهـنِ بَطِّ المـاحى ؟

٣ ـــ حـامل الأوسمـة

قال الصـديق : لقد وصلتُ ؛ فـزينوا صـدرى بـأَلفِ قِـلادَةٍ ووشـاح
فسألتـه : أوليت عـرشـاً ؟ قـال : لا لكن لمحـت خَيَـال بَـطِّ المـاحى

٤ ـــ مصارع الآســاد

سـاءَلتـه من أنت ؟ قال : أنـا الـذى يـدرى الكمـاة المُعْلَمُـون كفـاحى
صـارعت آسـاد الشَّرَى ؛ فَصَـرعْتُهَـا لكن عجـزتُ أمـام بط المـاحى

٥ ـــ الفـرسـان الثـلاثـة

لـو أن « هـانيبـالَ » جاءَ محـاربـاً فى ألـف ألف مُـدَجَّجِ بســلاح
أو أن « نـابليونَ » عـاد ، و « هِتْلَرًا » لم ينجحـوا فى غَـزْوِ بط المـاحى

٦ـ المستحيـلان

لا شىءٍ فـى دنيـاك غيـرُ متـاح من يسْعَ ، كُلِّلَ سعْيُـهُ بنجـاح
إلا طبيبـاً قـام يُحْيِى ميتـاً أو طـامعـا فى أكلِ بط المـاحى !

٧ ـــ فـى زحـل

لمـا تكَشَّفَت النجـوم ، وأفلحـوا فى غَـزْوِهـا بـالعلم أىَّ فـلاح
سـاءَلت عن زُحَل : أفيـه خـلائقٌ ؟ قـالـوا : وجـدنـا فيـه بطَّ المـاحى

٨ـ عفريت من الجن

أسمعت عـن جنٍّ ابن داود الــذى ... قـد جـاءَهُ بـالعــرش فـوْقَ جنـاح ؟
لـــو ظـل يبحث ألفَ عـامٍ كـامل ... لم يـدر أين مكـانُ بط المـاحى !

٩ـ محتضر يتمنى

شـاهــدت خِلِىَّ وهْـو يَلْفِظُ رُوحـهُ ... فسألتـه : مـا تشتهى يـا صـاح ؟
فأجــاب : أطلب مـن حبيبى قبلـةً ... أو قطعـــةً مـن لحم بط المـــاحى

١٠ـمهر الخطيبة

قـال الخطيبُ : لَقَدْ فقـدت خطيبتى ... وأطُــول حُـزْنى بعــدهـا ونُــواحى !
كيف السبيلُ إلى الـزواج ، ومـرهـا ... هـو ريشـة من ريش بط المـاحى ؟

وقد أجاب الماحى على هذه الدعابات بقوله :

يـا أخى ، يـا غنيـم ، سامحك اللـ (م) ـه! فمـا كنتُ يـا أخى بـالشَّحَاح
كم قصيــد دَبَّجْتــه كنتَ فيــهِ ... مَثَــلاً فـى بـــراعـــة اللَّمَّـــاح
تحسـب البط نعمـــةَ الله ، حتـى ... بِتَّ تـرضى بـريشـة مـن جنَـاح
مَـــرَّةً تطلب الحِســـاءَ ، وأُخْـــرى ... تَتَغَنَّـى بـــالبط فـى إفصـــاح
أتُــرى : ليس فـى البسيطـــة شىءُ ... يمـلأ البطـنَ غيــر بط المـــاحى ؟
إن ذكــرت الغـلاءَ يـومـاً تشكـكــ (م) ـــت ، وبـالغتَ فى مقـالـةِ لاحى
ورفعـتَ السيـــــاط حتى كـأنـى ... جئت ذنبـا فـوق الـرضـا والسمـاح
كم تـــأتَّى مستنفــرا فى حـــديث ... خَـــالِبٍ للعقـــول والأرواح
فـى خيـــال مُجنَّـح ، وبيـــان ... أين منـــه بـلاغـــة الـوضَّـاح ؟
صغت فيـه مـلاحِمـاً وحِكـايـا (م) ت تجلت فى أجمـل الأوضـــاح
ولقـد كــدتُ أحْـزَنُ اليــوم حتى ... أتلقـى العِتَـــاب كـل صبــاح

فهــــو عتب مُحبَّبٌ بـل نكـــاتٌ   مُسْكِــــرَاتٌ للنفس مثـل الـــــراح
غيــــر أنى أعــودُ ألمحُ مـــا يســـ (م) ـــفر عنـــه البيـــان مـن إلْحَـــاح
فَسَلِ الــــرحمـــة التى أمـــر الله   بهـــا ؛ فَهْىَ شيمـــة السمَّـــاح
فـاقتـرح يـا أخى ــ فـديتك ــ يـومـا   واختبر ـ إن شككت ـ صِدْق الماحى

وأخيرا ذبح البط ؛ فقال الشاعر شاكرا :

العود أحمد

يقـولـون : مـا للشعــر غـاض معِينُـه   وكنتَ تقول الشعـر فى البط محكَما ؟
فقلت لهم : قـد كان جـوعىَ مُلْهِمِى   فلمـــا أكلـت البط ؛ لم ألق مُلْهِمـــا
فــلا شُكْــرَ للمـــاحى إذا لم يُثَنِّهـــا   فــإن هـو ثَنَّى كـــان أسْخَى وأكـرمـــا
وإلا فإنـــا قـــائلـــون لِبَطِّـــهِ :   « إلى حيث ألْقَتْ رحلَهـــا أم قشعمـــا»
وأهـــونُ من هـــذا لــدَىَّ : لــوَ اننَى   حفـرت بظُفْـرى فـى الجَنَـادِل مَنْجما
لـــه الله بطـــا صِـــدْتُـه بقصـــائدٍ   تكـاد تصِيـدُ النَّجْم من كبـد السَّمَـا !

من الشعر الفكاهى :

قالوا أحيل

أحيل الأستاذ : محمد برانق ، صديق الشاعر وزميله ـ من عهد التلمذة ـ إلى المعاش ، فقال يكرمه ويداعبه :

قـالـوا : أحيل إلى القُعُـودِ   والمـاءَ يـأسِنُ بـالـركـودِ

فأجبت : كَـلا ، بل ستُـو (م) لدُ ، يا مُحَمـدُ ، من جديد

من كـان مثلَكَ لا ينـا (م) مُ ، وَمَنْ لمثلِكَ بـالـرُّقـود ؟

فَغَـدًا تُتَـاجـر فى النَّحَـا (م) س ، وفى الصفيح ، وفى الحديد

إنِّى أعيـذُك بـاسم ربِّ الْـ (م) عَـرش من عين الحسـود

مـا زلتَ بعـد بلـوغك الـ (م) ستين مُحْمـرَّ الخـدود

كـم ذاتِ دَل تشتهـى   مـا فـوق خـدِّك من ورود

لك فتنـة البيضِ الغـوانى   حيـن تَبْـدُو من بعيـد

إنـى أُكَـرِّمُ فيك بعضَ   الحِلْم والـرأى السَّـديـد

لك بعضُ مـا لى من : صَفَـا (م) ءِ النَّفْسَ ، والخُلُق الحميـد

لكـن رُزِقْـتَ بثـروةٍ   ورُزِئْتُ بـالفقـر الشـديـد

سبحـانَ من قَسَم المـواهـ (م) ـب والحظـوظَ على العبيـد !

رجـل يسـودُ بِعِلْمِـهِ   وسِـوَاهِ بـالجَـدِّ السعيـد

اكتُبْ وألِّـف كيـف شئـ (م) ـتَ ؛ فأنْتَ من أهل الجُـدود

لم تُـؤْتَ شعـراً مثل شعـ (م) ـر أبى العـلاءِ ، أو الـوليـد

كَـلاَّ ، ولا علمَ ابنِ سيـ (م) ـنا ، أو يَـرَاعَ ابنِ العميـد

لكـن رزقتَ مَهَـــــارة الصِّهْــــــ (م) ـــــيَوْنِ فى جمـع النقـــــود
قـل لـى : أَأَنـت لِيغـــــــربٍ   أم أنـت مـن أصـل يَهُـــــودى ؟
ألـــديـك منجـم عسَجْــــدٍ   أم بِئْـــرُ بتـــرول سعـــــودى ؟
بـــالله ، كـم لك فـى المصــــا (م) رف، يـــا مُحَمَّــدُ ، من رصيــد ؟
كـم تقتنـى مـن ضيْعَـــــــةٍ   كُبْـــرَى ومـن بيـتٍ مشيـــد ؟
لكِـنْ بيـــــوتُـكُ لا تســـــا (م) وى شَطْـــرَ بيَتٍ من قصيـــدى
أنسيـتَ إِذْ كُنَّـــا معــــاً   نشتـــاقُ رائحـــة الثَّـــريــد ؟
أنسيـت إِذ كنــــا ننــــا (م) مُ على سَـريــرٍ من جـريـــد ؟
فـى منـــزل قــــد كَـــادَ مِنْ   تَقْــوَاه يُـومِئُ بـــالسجــود ؟
أنسيـت إِذ كنـــا نُضَحِّــــــ (م) ــى بـــالفـلافل كُـلَّ عيــد ؟
أيـــام كـــان ربـــاطُ جيـــ (م) ــدِكَ خـرقـةً ،وربـــاط جيـدى
ونكـــاد نَقْضِى العـــام أجْـــ (م) ـمَعه بِســــرْوَال وحيـــد ؟
فـــاقنـعْ بمـــا كسبَـت يــدا (م) كَ ،ولا تقُلْ : هـل من مـزيــد ؟
وابْسُـطْ يمينك بــــالعطــــا (م) ءِ لِشــاعِــرٍ مثلى مُجِيــد
واعلَـمْ بـأن المَـــدْحَ ليـــــ (م) ـــس يُبـاع بـــالثَّمـنِ الـزهيـد
فــــإِذا دَفَعْتَ ، سمعتَ مــــا   قـــال ابنُ هــانىءَ فى الــرشيـد
وإذا أبيْـتَ ، فَلـي هِجَـــــا (م) ءٌ ، دونــــهَ سلْخ الجلـــــود

جحود

اقترض الشاعر من صديقه الشاعر:
كامل الصيرفى مبلغا من النقود ،
ثم رده إليه مشفوعا بقوله :

إلى ابن الصَّيْــرَفِيِّ أردُّ دَيْنى ... ولست أردُّهُ خُلُقــاً ودينــا
فــإنى لـم أكن يـومـاً حَـرِيصـاً ... على رد الحقـــوقِ ، ولا أمينـا
ولكـن لم أُطِـقْ صبــرًا على أن ... أكــونَ لجــائعٍ عَـارٍ مَـدينـا
فَيَـا ابْنَ الصيـرفـى خَسِئْتَ ! حـاشـا ... لمثلى أن تكـــون لــه مُعينَـا
ولستُ بقــائلٍ : شكــرا جـزيـلاً ... فلستَ بشكــر أمْثَـالِى قَمِينـا
ولستُ إليـكَ ألجــأُ بعــد هــذَا ... ولــو عــاملتُ إبليسَ اللعِينـا

فيم احتفالكم ؟

فيم احتفالكمو به ؟ وعلاما ؟ ... كرّمتمُو سبّابةً شتّاما

عَضْبُ اللسان يكاد يهجُو نَفْسَه ... ويجرِّحُ الأخوال والأعماما

إن لم يجد حرا يمزق عِرْضَه ... أمْسى كئيباً ؛ لا يذوقُ مناما

إن يأكل الناسُ الدجاجَ ، فإنه ... أضحى له لَحْمُ الأنام طعاما

ما بيْن فكّيْهِ لسانٌ سائل ... منه الأفاعى تَسْتَعيرُ سماما

قد باتَ يهجونى ؛ ومنّى شِعْرُهُ ... وأنا الذى ألهمتُهُ إلهاما

أرأيتَ تلميذا يَعقُّ معلِّماً ... وذُبَابَةً قد هاجَمَتْ ضرغاما ؟

شكرا لقوم كرّمُوه ؛ فإنهم ... تركوا الفحولَ وشجعوا الأقزاما

منحوه جائزةَ القَريضِ ، وإنهُ ... فى الهجو يأْخذ أربعين وِسَاما

إن الوكيلَ لِسَانُه سيكون فى ... أيدى زبانية الجحيم زِمَاما

لن يغفرَ المولى له إقْذَاعَهُ ... ولوَ انه صَلّى ، وطافَ ، وصاما

يا ابْنَ الوكيل ، دَع الهِجَاءَ ، وبى أَشِدْ ... أُسْبغْ عليك الفضل والإنعاما

إنى جعلتُك فى بلاطى شاعرا ... كم فى بلاطى شاعر وندامى !

تبرأ من أبيه

لصديقنا الشاعر العوضى الوكيل نجل ، طلب من الجهات الرسمية حذف كلمة العوضى من اسمه ، فقال الشاعر يداعبه :

شريفٌ قد تَبَّرأ من أبيه ... وأنْكرَ الانتسابَ إلى سَفِيه
وأُقسمُ ، إنه لاخف سُخْطاً ... على تلك الأبوة من أخِيه
ولو كان ابنَ كوهينٍ لباهى ... وتاه بذلك الأب أىَّ تِيه
لقد بلغ الوكيل أحطَّ دَرْكٍ ... ومَنْ أدْرَى بذلك من بَنِيه ؟
أبٌ فى السوق يَعْرِضُه بنوه ... بلا ثمن ، فَيَا مَنْ يشتريه ؟ !

... ...

عصامى

ولما عَىَّ الوكيل عن الرد قال الشاعر على لسانه هلا قلت ؟ :

شريف ما تبرأ من أبيه ... فكل فضائل الثقلَيْن فيه
ولكن كان إن يُذْكَرْ أبوه ... يتيه بذلك الأب أىَّ تيه
فلما شَبَّ ، قال : بمحض جَدِّى ... وصنع يدَىَّ مجدى أبْتَنِيه
إذا كان الفتى لأبيه تُعزَى ... نباهَتُه ، فما هو بالنبيه
بنو العَوَضِىِّ كلُّهُمُ عصام ... كذا العوضُّى قد رَبَّى بنيه !

يا بائع الليمون

مداعبة لصديقه ؛ العوضى الوكيل .

يــا بــائع الليمــون فى الْــ (م) أســواق بــالثمن القليلِ

إنــى أدلُّـك إن إرد (م) تَ غِنَى اليهــودِ على السبيل

اعــرضْـه فـى الحفــلات بعــ (م) ــد سمــاع شِعْـرِ ابن الــوكيل

بيت واحد

مداعبة أخرى له أيضا .

أنــا إن أردت تخلُّصــاً فــى البيــت مــن ضيــف ثقيــل

أنشــدتُ هــذا الضيفَ بيــ (م) ــتا واحــدًا لابن الــوكيـل

ولــوَ انَّنيِ ثنَّيتُ، أقــ (م) ــعده الصُّــدَاعُ عـن الــرحيل

من هو ؟

بعث صديقنا : العوضى الوكيل ، إلى الأمير الشاعر الكبير: محمد صقر الهاشمى :

هجــانىَ صقــرٌ ولـم أهجـه وقــد رابنى منــه مــا رابنـى

ولست أميــرا ، ولا حــاكمــا فــإن قلت هجـوا، فمـا عــابنى

فكتبت إليه :

لعمـرى إن هجـا العـوضىَّ صقـرٌ   فهـذا الهجـوُ للعـوضِّى فخـر
ومن هـو ذلك الصعلـوكُ حتىَّ   يكـون لـه لـدى الامـراء قـدر ؟
ولـم تسمـع بليث عَـضَّ فـأُرا   وبـرغـوثٍ عليـه انقَضَّ نَسْـر

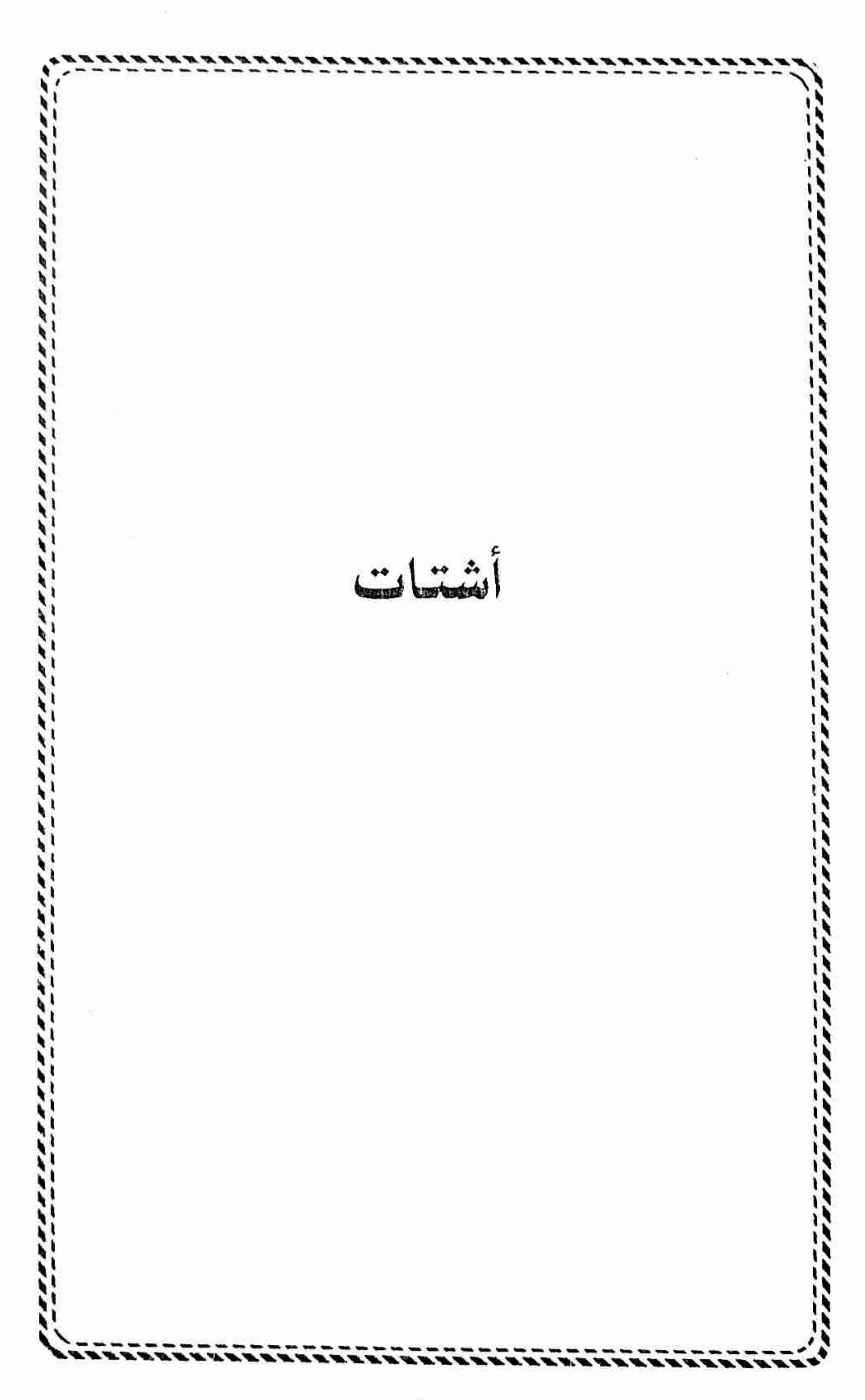
... ...

حلاوتان

فى حفل حاشد أقيم اقتراع على علبة حلوى ، فكانت من نصيب حسناءَ تسمى فاطمة ، فطمع فيها الشاعر ؛ فارتجل الأبيات التالية :

قـالـوا : أتبخل بـالحـلاوة فـاطمُ ؟   فأجبـت : إنى لا أصـدق بخلهـا
هيهـات تبخلُ بـالحـلاوة غـادةٌ   الله أعطـاهـا الحـلاوة كُلَّهـا !
لك ، يـا فتـاةُ ، حـلاوتـان : فهـذه   للنـاظـرين ، وتلك نَبْغـى أكلهـا

وبذلك وضع يده على العلبة .



أشتات

جندى يحمل سلاحين

لله جنـــــدىٌّ بَـــــدَا   من وجهـه فلـقُ الصَّبَـاح !

ذو طُـــرَّة مُضْفَــرَّةٍ   كغـدائر الغِيـد المــلاح

هــذا البَنَـانُ الـــرَّخْصُ لاَ   يَقْـوَى على حمل السِّـلاح

يكْفيـــه لحظٌ فَـــاتكٌ   بين القلـوب لــهُ جِـرَاح

مــا حــرب جنــدىٍّ لــهُ   فى السلـم كلُّ دَمٍ مبــاح ؟

على لسان الأمير

لم يهد الشاعر الكبير : عزيز أباظة مؤلفاته إلى سمو الأمير الشاعر : صقر القاسمى ، فاشترى الأمير هذه المؤلفات ، وغلفها ، وبعث بها هدية إلى المؤلف ، وطلب إلى الشاعر أن يقدمها إليه بأبيات ، فقال :

يـا شـاعـرا عـزّت بـهِ لغـةُ الخليل وسيبـويـه
إن قـال مـال الـدهـر مِنْ طَـرَبٍ ، وأَرْهَفَ مسمعيـه
لـم يُعْطَ فنـانٌ كبيـ (م) رٌ أصْغَـرِينِ كـأصغـريـه
عمَّ الجميعَ نَـدَى يـديـ (م) ـه ، وإن حُـرِمتُ نـدى يـديـه
ومـن الخَـوَارِق : بُخْلُ مَنْ يَـرْوى الحَيَـا عن راحتيـه
أبتـاعُ شعـرَك ، يـا عَـزِيـ (م) زُ، ولـو بمليـونَـىْ جنيـه
إن كنتَ لـم تُسْعِـفْ بـه ظمـآنَ مشتـاقـاً إليـه
فـإليكَ أُهْـدِيـه ، وإن تَكُ أنتَ نـاسجُ بـردتيـه
أهـدى إليـك عصيـر خمـ (م) ـر أنْتَ غـارسُ كـرمتيـه
هـذا سجلٌ ، كـلُّ مـا أنشأتَـه فـى دَفَّتَيْـه
سِفْـرٌ يعَضُّ السمح مـن حِـرْصٍ عليـه بنـاجِـذيـه
من سُـود أحـرفـه يـريـ (م) ـك الفنُّ حمـرةَ وجْنَتَيـه
عجبـا أزُفُّ إلـى عـزيـ (م) ـزٍ تحفـة هى من لـديـه
« كـالبحـر يُمْطِـرُهُ السحـا (م) بُ ، ومـا لـهُ فَضْلٌ عليـه »

حديث خرافة

حملنـــا رايـــةَ الشعـــر ... مـــدى حين من الـــدهـــر

فـــرفـــرف ظلُّهـــا فـــوقَ ... مـــدارِ الأنجم الـــزُّهْـــر

إلـى أن جـــاءَ نـشءٌ بيْـــ (م) ـــنَ مـأفـــونٍ ومُغْتَـــرِّ

وقـــالـــوا : شعـــركُم عبْـــدٌ ... دعـــونـــا نَأتِ بـــالحـــر

فخلينـــا المجـــال لَهُـم ... فَـدَسُّـوا الشعـــرَ فى القبـــر

هـى الأذواق قـــد فَســـدَتْ ... فصـــار التُّـرْب كـــالتِّبـــر !

وصـــار المُـــرُّ كـــالحُلْـــوِ ... وصـــار الحلـــو كـــالمـــر !

يقـــول الشعـــرَ قـــائلُهم ... كجلمـــودٍ من الصخـــر

ومـــا نـــدرى لـــه معنىً ... ولا قـــائِلُـــه يـــدرى !

فنـــرجـــو الله لَـــوْ مَنَّ ... على الأسمـــاع بـــالـــوَقْـــر

حـــديثُ خُـــرَافـــةٍ يَنْبُـــو ... عـن الأذواق والفكـــر

ويبلـغ فـى بـــرودتـــه ... مئـــاتٍ عقبَ الصفْـــر

وبعض القـــول خنثى؛ ليـــ (م) ـــس بـــالنظم، ولا النثـــر

تكـــاد تقيـــؤه الصحُـفُ ... إذا قُـــدِّم للنشـــر

ألا مـــا آسَنَ الشعـــرَ ... إذا لـم يَـكُ مـن بحـــر !

وخــــانتـــه قَـــوَافيـــهِ وشَطْـــرٌ طـــال عـن شطـــر

ومـــا الشعـــر ســـوى وَحْـى على ألسنـــةٍ يجـــرى

إذا همَست بـــه شَفَـــةٌ ســرى كـالبـرْق إذ يســرى

ويفـــرض نفســـه فَـــرْضـاً على التـاريـخ بـالأمـــر

يُنَـــال الشعـــر بـــالطبع وليس يُنَـــال بـــالسفـــر

وليس ينـــال بـــالـــدعـــوى ولا بـــالطبل والـــزمـــر !

إلى دعاة الشعر الحر :

حرروا النثر أيضا

حـــرِّرُوا الشعـــرَ من قُيـــود الخليلِ وحَمَـــوْه مــن فـــاعــل وفَعــــول

لهمُ الله ! مــا لهــمَ يَتْــركــون النـــ (م) ـــثَر رهنـــاً بكـل قيـــدٍ ثقيل ؟

أيهــا القــومُ ، حــرِّروا النثـر أيضــاً لِتُتِمُّـــوا بـــــذاك صنعَ الجميـل

حـــرروا النثــر من قَـوَاعــدِ صــرفٍ مشكـــلات أَعْيَتْ كبـار العقـــول

حـــرروه مــن نحــو زيـــدٍ وعمـــرو وخـــلافٍ بيـن النحـــاة طـــويل

حـرروه مـن أحـرف الجــرِّ ، والجـز (م) م ، ومن فَـــاعلٍ ، ومـن مفعـــول

مـا لتلك الأسمــاء : تُـرْفَعَ كــالهـا (م) م ، وهـــذى تُجَـــرُّ جَـرَّ الــذيــول ؟

مــا لتلـك الأفعــال : هـــذا عَلِيلٌ بــات يشكـــو ، وذاك غيـــر عليل ؟

انطقـــوا بـــالكـــلام دون مُــراعَــا (م) ةِ فـــروع لضبطـــه أو أصــــول

واطـرحـوا هذه المعــاجِمَ فى الـدجـ (م) ـلةِ ، أو فى الفُــرَات طَـرْحَ المغـول

واتـــركــوا هـــذه المجــامعَ ينعــا (م) هــا لأَصحـــابهــا نعـــاة الطُّلُــول

أيهــا العــابثــون بــالضــاد ، رفقــا مـــا تبَقَّى للعُـــرْب غيــــرُ قليل

آفـــة الضـــاد مــارق من بنيهـــا هُـــوَ شَـــرٌّ مــن ألف ألـف دخيل

تكشف الغيد !

من « المينى جيب إلى « الميكروجيب » ، إلى مالا يعلم إلا الله وحده !

تكشَّفَ الغِيدُ أعضادًا وسِيقَانا — لم يبق مستَتِرٌ فى الغيد ما بانا

ما للفساتين فوق الرُّكْبَةِ انحسرت — فما ترى تحتها عينان فستانا ؟

ياليت شِعْرِى : ما تُبْدى الفتاة غدًا — بعد الذى قد بدا من جِسمها الآنا ؟

كأنَّنِى بثياب الغِيدِ بعد غدٍ — إن حَدَّثَ الناسُ عنها ، قَدَّموا كانا

قل لِلمليحة : لا تَكْشِفْ مفاتنها — فالذوقُ يُنْكِر هذا الكشفَ نكرانا

بالله ، يا فَتَيَاتِ العَصْرِ ، قُلْنَ لنا : — أزَانَ أبدانكُنَّ العُرْىَ أم شانا ؟

صُنَّ الجمال بأثواب تضاعفهُ — كم من جمالٍ بِضَافى ثوبه ازدانا

لسنا نعود إلى الماضى بغادتنا — ولا نريد لها سِجْناً وسجَّاناً

لكنَّ للذوق حدًّا لا نجاوزُهُ — وللشريعة والأخلاق مِيزانا

قد يأخذ الحُسْنُ بالألباب مُؤْتزراً — وليس يأخذ بالألباب عُرْيانا

تلك الخدُور التى ضاق الحِسان بها — كم ألهَمَتْ شاعرا فى الحبِّ ديوانا

كم نظرةٍ خلف سترِ خِلْسَةً أخذت — فأجَّجَتْ فى حَنَايا الصدر نيرانا

كم كنتُ أحلمُ بالحسناءِ لائذةً — بِخِدرِها ، فبماذا أحلم الآنا ؟

كم زارنى طيفُ من أهْواهُ فى حُلم — فكان أجمل من مرآهُ يقظانا

إن الفتاة إذا لم تُبْدِ زينتها — أضفى الخيالُ عليها الحسنَ ألوانا

الحسنُ فى الوهم غيرُ الحسنِ تبصره — شَتَّان بينهما فى الذوق ، شتانا !

لا تعرضى الحسن ، يا حسناء ، مبتذلا — لن تَفْتِنى بابتذال الحسن إنسانا

لا يُعْشَقُ الحسنُ إلا وهو مُمْتَنِعٌ — ما أرخص الحسنَ مقدارا إذا دَانا !

بـالبـدرِ هِمْنَـا زمـانـا وهـو أُحْجِيَـةٌ حتى إذا مــا كشفنـا سِــرَّه هــانــا

والمـاءُ ـ وهْـو قـوام الـروح ـ أرْخَصَـه أنـا نــرى كلَّ نَهْــرٍ منـه مــلآنـا

والــورد يَفْتِنُ فــوق الغصن منظــرُهُ وليس ـــ إن عَـرَكْتَـه الكـف ـ فتّـانـا

يا حـورُ ، ما أجمـل الغِزْلانَ نـافرةً ! فـانفـرن ، يا حـور ، أو لستنَّ غـزلانـا

إن الجمــال الــذى كُنَّــا نهيم بــهِ مـا عــاد يشكـو مُحِبٌّ منه حـرْمـانـا

مـا عـاد للحسن عنـد الصبِّ مَنْزِلَـةٌ مُـنْـذُ مَـدَّ كفَّيْـهِ يستجـديـه إحسـانـا

كم من فـؤاد بـه نار الهـوى خَمَـدَتْ وكــان من حَـرِّهَــا بـالأمس بُـرْكـانـا

قـد يصحب المرءُ أنثى فى تَبَـذُّلِهـا وليس يــرضى بهــا إن رام بُنْيَــانــا

أنثى الخــلاعـة فى العينين شَــائِهَـةٌ تكــاد تحسبهــا العينــان شيطــانـا

لا تَنْسَ يــوم الْـوَغَى أنثى رســالتَهـا قــد تلبس الفتيــاتُ الـدرع أحيـانـا

هـذا زمـان تخوضُ الحـربَ نسـوتُـهُ مع الــرجـال شُجَــاعَـات وشجعــانـا

تصـوِّبُ المـدفعَ الــرشـاشَ غـادتُـه فى الحــرب : لا أعينا نُجـلاً وأحضانـا

إذا تبَــدَّتْ عَــذَارَانــا بــلا حُلَل فكيف تُــرْفـلُ فى درع عـــذارانــا ؟

يـا مَن بحثتَ عن الحـور الحرائر ، خـذ أزيــاءَهُنَّ على الأخــلاق عنـوانــا

سلاح غاندى

تقلــد صــوتَـه غــانــدى حســامــا مــرهف الحــد
ولــم يغمـــــده إلا أن تجــاب مطــالــب الهنــد
فمــا أغنـت بــريطــانيــا قــوى الأسطــول والجنــد
ولــــوَّح وهْــو مسجــون بسيف الجـــوع من بعــد
مخيف ، مــا يخــاف من الــ (م) ـــغضنفر وهْــو فى القيــد
حســـام: لا يــريـق دمــا ولا يـأوى إلـى غمـــــد
ويقطـع حينمـــا ينبـــو كــذى غــرْب وإفــرنــد
فيــــا لله مـن حمَـل يــريك مصــارع الأُسْــد !
ومــا غــانــدى بـذى بطْش ولا هــو بــالفتى الجلــد
ولكـن هيكـلٌ لـم يخْــــ (م) وغيــــرَ العظم والجلـــد
خيــــال حيـن تلمحـــه وأعــــزلُ غيـــرُ معتــد
تنــازلــه بــريطــانيــا نــــزال النــد للنــد
ويـأبى حكمهـــا للهنــ (م) ــد حكـم الحــر للعبــد
بصــوت الحق قــد نــادى وصــوت الحق كــالــرعــد
فهــز الغــرب هــزَّ الفلْــ (م) ـــك بين الجــزر والمــد
ومــا غــانــدى ســوى عـزم من الصــوَّان منقـــدِّ

وإيمـــانٍ رســـا كـــالطـــو (م) د، أو أرْسَى مـن الطـــــود
وتمثـــــالٍ أقيـم لنـــــا مـن الإخـــلاص والـــزهـــد
وفـــــــردٍ حـل فـى شعـب وشعـب حـل فـى فـــــــرد
كـأن الله صـــــور جسْـــــ (م) ـــمه من طينـــة الخلـــد
تكـــاد النـــاسُ تتبعُـــــه وتحسَـب أنـــه المهـــدى

آخر ما أثمرتْه قريحة

محمود غنيم

ودبَّجَه يَرَاعه

إيضاح *

ذهب بعض الدارسين (1) إلى أن آخر ما قال محمود غنيم ، هو بيتاه :

أرى نفسى غـريبـاً بين قـومى	إلى من أشتكى يـارب ضَيمْى ؟
ومـا شَعَـرُوا بمحمـود غنيم (2)	فكم هتفـوا بمحمـود شكـوكـو

ولكن هذه القصيدة « صانع الأجيال » هى آخر ما أخرجت قريحته الشعرية المتوقدة ؛ ومما يدعم ذلك :

* أن هذه القصيدة كانت تردد فى جنبات نادى المعلمين بالجزيرة ، فى أول احتفال بعيد المعلم ، بعد وفاته بأسبوع واحد (3) .

* أن فى كلمة مجلة الرائد التى نشرت فيها القصيدة ، إشارةً صريحة إلى أن هذا آخر ما نظم غنيم (4) .

* أن ابنا باراً من أبناء الشّاعر ـ وكلهم بار بأبويه ـ قد أكد لى غير مرة أن هذه القصيدة هى آخر ما كتبه الوالد ــ رحمه الله ــ من الشعر ، وكان من حديث هذا الابن الوفى قوله : كتب والدى هذه القصيدة قبل وفاته بما لا يزيد على أيام الأسبوع ؛ استجابة لمطلب عبر الهاتف ، من السيدة الفاضلة : فاطمة عنان ، أم المعلمين آنئذٍ . وكان يضع فى

---

* بقلم : مراجع الديوان .

(1) راجع كلمة الدكتور : مختار الوكيل ، فى كتاب : دموع على الشاعر محمود غنيم ، ص٤٤ ، ودراسة الدكتور محمد عبد المنعم خفاجة عن محمود غنيم فى : خمسة من شعراء الوطنية ، جـ ٢ ، ص ١٦٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦ م .

(2) رجع الصدى : ص ١١٣ طبعة دار الشعب ، وص ٧٥٧ طبعة دار الغد العربى .

(3) جاء هذا على لسان أحد أبناء الشاعر ، وكان قد شهد هذا الاحتفال .

(4) انظر الكلمة قبل القصيدة ، ومجلة الرائد ، ص٣٢ ، العدد الأول : يناير وفبراير ١٩٧٣م .

حسبانه أن يلقيها بنفسه فى عيد المعلم ، وقد جلست معه أكثر من مرة : مرة وهو يصوغهـا الصياغة الأولى ، وثانيـة وهو ينقحها ويراجعها ، وثـالثة وهو يعدها فى صورتهـا الأخيرة ، وكانت تغمره ـ رحمة الله عليـه ـ سعادة كبيرة ، وشعور بجمع بين عظمـة الفنان ، ووداعة الأطفـال حين كان يقـول لى : ما رأيك يا ولـدى فى هذه الأبيات ؟ وهل يعجبكُ هذا الأسلـوب ؟ وما تعليقك على هذه الفكرة ؟ ولكن القدر لم يمهله ، فاختاره الله إلى جواره .

صانع الأجيال*

آخر ما نظم المعلم الشاعر الكبير الأستاذ : محمود غنيم ، وكان على مـوعد مع عيد المعلم حيث يلقى فى مهرجـانه هذه القصيـدة العصماء ... ولكن القـدر أبى إلا أن يسبق الأجل ويخفت إلى الأبـد هذا الصـوت الجهير ، بعـد أن خلد فى هذه القصيدة أمجاد المعلم وأمجاده ...

قالوا : المعلمُ . قلت : لَستُ أُغالى   إن قُلتُ : هــذا صـانِعُ الأَجيــالِ

إن قلتُ : صـوَّرها ، وأَبـدَعَ خَلْقَهَـا   لم يُغضِب الـرَّحمنَ صِدقُ مقـالِى

نُـورُ المعلّمِ نفحــةٌ قــدسِيَّــةٌ   من نُــورِ وَجْــه الخَـالِقِ المُتعـالى

وصَـداهُ من صَـوْت الإلــه ، كأنَّــهُ   ـــ إن رَاحَ يُطلِقُــه ـــ أَذانُ بِـلالِ

صَنَع الصـــواريخَ المُبِيـدةَ غيـرُهُ   وعلى يَـــدَيْــه يتمّ صُنعُ رِجـالِ

أبـدًا يُبشِّـر بـالسَّـلام ، وليس مَنْ   يَبْنِى السَّــلام كقَـاطِع الآجـالِ

جُنْدِيُّكِ المَجهولُ ـ يا مِصْرُ ـ الذى   لا فِى البُكــورِ يَنِى ، ولا الآصَــال

فى ســاعــة الجُلَّى يَجِئُ مُشَمِّـرًا   وَ يَغِيبُ ســاعــةَ قِسْمــةِ الأَنْفــالِ

كم أَغفلُــوه، فمـا تَـراءَى شـاكِيـاً   أو بــاكِيـــاً من عِلّـــة الإغْفــالِ

حَسْبُ المعلّـم : راحــةٌ نَفْسِيَّـــةٌ   تغنيــه ـ إذْ يَشْكُــو ـ من الإقــلالِ

مــا بَعْدَ تَقــويِم النّفوسِ سَعــادةٌ   أو بعــد مَحْــوِ جَهــالــةِ الجُهَّــالِ

مــا ضَــرَّه عِــرْضٌ سليمٌ فــوقَــه   ثَــوبٌ رخِيصٌ ، أو قَمِيصٌ بَـالِى

كَمْ مكثِــرٍ مــا نَــالَ من إكثــارِهِ   إلا ازْدِيَــــادَ الهَــمِّ والبَلْبــــالِ

فِيمَ الثّـــراءُ الجَمُّ ؟ ليس لمَيِّتٍ   كفنٌ بـــه جَيْبٌ لحِفْظِ المَـالِ !

* * *

* مجلة الرائد : العدد الأول ـ السنة الثامنة عشرة ـ يناير ، فبراير ١٩٧٣ م ص ٣٢ : ٣٥

ولقد قضيتُ العُمرَ أطْبَع فِتيَتى ... طَبْعاً على كَرَمٍ ، وحُسْنِ خِلالِ

كم كُنتُ أحبُوهم بَعْطِفِى دائماً ... لا فرقَ بَيْنَهُمُو وبَيْن عِيالِى

حَسْبِي فَخاراً : أن أقدِّم للحِمَى ... من فِتيَتِى بَطَلاً من الأبطالِ

يا رُبَّ أروعَ ماجدٍ صادَفْتُه ... فسألتُ عنه ، فكانَ من أنجالِى

أمْسَى يُبادِلُنى الوفاءَ بِمِثْلِهِ ... إنّ الجَمِيلَ يُكالُ بالمِكْيالِ

كانوا تَلامِذَتِى، فَصَارُوا إخْوَتى ... وأعزَّ أصحابِى ، وأكرمَ آلِي

أنَّى اتجهتُ ، وجدتُهم بِيَ أحْدَقُوا ... « مِنْ عَنْ يَمِينِى تارةً وشِمالِى »

يا مُنصفِى العُمَّال ، هلاَّ زِنْتُمُو ... باسْمِ المُعَلِّم صَفحةَ العُمَّالِ ؟

هو عاملٌ، بل راهِبٌ مُتَبَتِّلٌ ... صُوَرُ العِبادة جَمَّةُ الأشكالِ

يارُبَّ دَرْسٍ واحدٍ أربَى عَلَى ... تَسْبِيحِ أيَّامٍ، وذِكْرِ لَيالِى

وَلَرُبَّمَا نَسِيَ المُعَلِّم نَفْسَهُ ... وَجَنَى عليه جهادُه المُتَوالِى

ولقد يَنامُ وكُتْبُه من حَوْلِه ... فكأنَّه مِنْهُنَّ بين تِلالِ

وَيَبِيتُ يَهْذِى بالدُّروسِ، كأنَّه ... فى الفَصْل بين إجابةٍ وسُؤال

أو نازِلٌ بجَزِيرةٍ ، أو سابِحٌ ... فى البحر بين الرَّأسِ والشَّلاَّل

أو غارِقٌ مع خالدٍ أو طارقٍ ... فى الحَرْب بين صَوارم وعَوالِى

أو مُنْشِدٌ للنَّشْءِ شِعْرَ حماسةٍ ... أو نادِبٌ طَلَلاً من الأطْلالِ

أو بَيْن أهرام، وَبَيْن دَوائرٍ ... مَجْهُولةِ الأحْجامِ والأطْوالِ

أو بين أفعالٍ صَحاحٍ ما شَكَت ... عِللاً ، ومُعْتَلٍّ من الأفعالِ

* * *

ناد المعُلّم ـ قبل آسادِ الشَّرَى ـ ... يا ابنَ العرين، ويا أبَا الأشْبال

رَسَنُ الشَّبيبَة فى يَدَيْك ، وإنَّها ... حَبلُ الرَّجَاءِ ، ومَعْقِدُ الآمالِ

قَدِّرْ خُطاكَ ؛ فأنتَ وحدَك قُدْوةٌ ... للنَّشْءِ فى الأقوالِ والأعمالِ

لَيْسَ المدرِّسُ ناجحاً فى دَرْسِه ... ما لم يكُن للنَّشْءِ خَيرَ مِثالِ

لو قدَّر اللهُ الكمالَ لغَيْرِه ... قُلْنَا له : استَمْسِك بكُل كَمالِ

مـا حلَّ من عبَـثٍ لَغيـرك ، فَهْـو فى ... شَـرْعِ الـوَرَىٰ لك أنتَ غَيْـرُ حَـلالِ
النَّـاسُ تَصفَح عن سِـواكَ ؛ وإنَّمـا ... يَـزِنُـون ذَنبَك أنـتَ بـالمِثْقـالِ
أقسمتُ، مـا جَـارُوا عَلَيْك ؛ وإنَّمـا ... وضَعُـوكَ منهـم مَـوْضِعَ الإجْـلالِ
لا تَشْكُ من عَنَـتِ الحَيـاةِ ، فإنَّمـا ... شَكْـوَى العَـزِيـز بِـدَايَـةُ الإذْلاَلِ
أوَ مَـا نَظَـرتَ إلى المهندسِ كـادِحًـا ... فى القَيْظِ بيـن جَنـادِلٍ ورمـالِ ؟ !
وإلى الطَّبِيـب يَعِيش طِيلَـةَ عُمـرِه ... مـا بين حَشْـرَجَـةٍ ؛ وبَيْن سُعـالِ ؟ !
ولـرُبَّ قـاض تَنْقَضِـى أيـامُـه ... فى صُحْبَـة السَّفَّـاكِ والنَّشَّـالِ !
وتعيشُ أنتَ مـع المَـلائك نـاعمـاً ... فى الخُلْـد بَيْـن أرائكٍ وظِـلالِ
خدعَتْك نفسُك إن ظَنَنْتَ سِواكَ مِنْ ... شَتَّى الطَّـوائفِ مُستَـريحَ البَـالِ
الكُلُّ شَـاكٍ حَظَّـه ، مُتَبَـرِّمٌ ... هَيْهـاتَ أن يَـرضَى الأنـامُ بحـالِ !
والحُـرُّ مَنْ حَمَل الحَيـاةَ بمَنْكِبٍ ... كـالطَّـوْدِ لا يَشْكُـو من الأثْقـالِ

* * *

يـأيُّهـا الجُنْـدُ الأُلَى مـا زَيَّنُـوا ... صَـدْرَ الجِهـاد بـأنْجُمٍ وهِـلالِ
هـلاّ قَبِلْتُم نُصحَ خِـدْنٍ سـابِقٍ ... لم يَسـلُ شِكَّتَـه ، ولَيْسَ بِسـالِ ؟
إن كـان أعيـاهُ النِّضـالُ ، فـرُوحُـه ... وشُعـورُه مَعَكم بكُـلِّ مجـال
رَبُّـوا الشَّبـابَ على الفَضِيلـة ؛ إنَّها ... هى زَيـنٌ مُـزْدَانٍ، وحِلْيَـةُ حَـالِ
ما الـدِّينُ خَصْمٌ للحَضَارة ؛ بـل هُمَا ... صِنْوانِ ، بل جَسَـدَان فـى سِـرْبـالِ
قُـولُـوا لهم : إن الصَّـلاةَ ريـاضَـةٌ ... ووقـايـةٌ مـن فِتنَـةٍ وضَـلالِ
قُـولُـوا لَهُم : إنَّ الحَنِيفَـةَ وَحْـدَهـاَ ... كَـانـت ذَخيـرةَ فَـاتِحِيـن أوَالِى
« اللهُ أكبـرُ » طَلْقَـةٌ ذَرِّيَّـةٌ ... مَلَكَ الـوُجُـودَ بهـا رُعـاة جمـال
مـا حَقَّق الأهـدافَ إلاّ أُمَّـةٌ ... رَسَخَت عَقِيـدَتُهـا رُسُـوخَ جِبـالِ
وإذا أُصِيبَ الشَّعْبُ فى إيمـانِـه ... فـانْـدُبْـه فى نَـوْحٍ ، وفى إعـوالِ
وإذا هـو انحَلَّت عُـرى أَخـلاقِـه ... لم تُجْـدِ فيـه حِيلَـةُ المُحْتـالِ
مـا طـاف طائِفُ الانْحِـلالِ بـأُمَّـةٍ ... إلا وآذَنَ نَجْمُهـا بِـزَوالِ

خُلُّوا لنا عُقَدَ الشَّبابِ جميعَها   فلطَالَمَا استَعْصَت على الحلَّالِ

غُوصُوا بأغْوار الشبيبَة ، وانفُذُوا   من كُلّ بَابٍ مُحْكَم الأقفالِ

فإذا عرفْتُمْ أين يَكمُن دَاؤها   فاستأصِلُوه أيَّما استِئصالِ

أنتُم ــ إذا عَجَزَ الطَّبِيبُ ــ أُساتُها   من كلّ داءٍ فى النُّفوس عُضالِ

لا تَيْئَسُوا من بُرْءِ ذى سَقَمٍ ، وإن   طَالَ العِلاجُ عليه أىَّ مَطالِ

كان الصُّعودُ إلى السَّماء خُرافةً   كُبْرَى ، فَصارَ اليوم غيرَ مُحالِ

واستأنِسوا الأطفال فى حَلقَاتِكُم   بِبَراءةٍ كبَراءةِ الأطْفالِ

بحَنانِ وَالِدةٍ ، ورِقّةِ وَالِدٍ   ومَحَبَّةِ الأعْمام والأخْوالِ

وأحقُّ مَنْ ساسَ الصِّغارَ مُحَنَّكٌ   صَقَلَتْه دُورُ العِلْم أىَّ صِقالِ

* * *

يا وَاقِفين على السَّلام جُهُودَهُم   قُودُوا الصُّفوفَ بِعَزْمِ هانيبَالِ

دِيسَ العَرينُ ؛ فأغمِدُوا أقلامكم   وتقَلَّدُوا بأسِنَّةٍ ونِصالِ

ومنَ البليَّة : أنّ جَوَّ السّلْم لا   يَصْفُو بغَيْر مَعارِكٍ وقِتالِ

العِلم عُنوانُ السَّلامِ ، وإنَّما   هُمْ أفسَدُوه بسُوءِ الاسْتِعْمالِ

أنتُم ـ لعَمْرِى ـ مُشْعِلُو الثَّوراتِ فى   قَلْبِ الحِمَى ، وبُناةُ الاسْتِقْلالِ

وأعزُّ ما مَلَكَ الحِمَى من ثَورَةٍ   ومُحَارِبُو الفَوْضَى والاسْتِغلالِ

ومُحَطِّمُو الأغلالِ عن سَاقِ الحِمَى   من بعد ما وَرِمَتْ من الأغْلالِ

ومُوَحِّدو شَمْلِ العُرُوبة ، وَهْوَ مِنْ   طُول الشِّقاق مُمَزَّقُ الأوْصالِ

والنازِلُونَ إلى مَيادين الوَغَى   كالأُسْدِ حين تَقُولُ مِصْرُ : «نَزالِ»

والمُرخِصُون نفُوسَهم فى حُبِّها   ولِمِصْرَ يَرخُص كُلُّ شَىْءٍ غالِ

والكاتِبُون لها صَحَائِفَ مَجْدِها   يَوْمَ الكَرِيهَة بالدَّمِ السَّيَّالِ

وعلى يَدَيْكم سوفَ يَنْتَصِر الحِمَى   وتَعُودُ أمجادٌ لمِصْرَ خَوالِي

وتَذُوقَ ما ذَاقَ التَّتارُ عِصابَةٌ   هى فى الشَّراسَةِ مَضْرِبُ الأمْثالِ

ويُحَقِّقُ اللهُ الرجاءَ ؛ فلا نَرَى   فى القُدْس للصُّهيُونِ طَيْفَ خَيالِ

والله لا يَنْسَى كِنَـــانَتَـــهُ ! وكَـمْ ... للهِ إمْهـــالٌ بِــــلاَ إهمـــالِ !

* * *

حَمَلَ الأمـــانَـــةَ أنـــورٌ ، ولأنْـــوَر ... كَتِفـــان تَضْطَلِعَـــان بـــالأحْمـــالِ

عـــرفَتْـهُ مِصْـــرُ بَل العُـــروبَـةُ كُلُّهـــا ... خَـــوّاضَ أهـــوالٍ ، وحِلْسَ نِضـــالِ

اليُمْنُ والإقبـــالُ مـن حُلَفَـــائِه ... لا زَالَ حِلْـفَ اليُمْنِ والإقبـــالِ !

إن غـاب عـن مِصْـرٍ جَمـالٌ واحـدٌ ... فبِمِصْـرَ ـ يَوْمَ الـرَّوْعِ ـ ألفُ جَمـالِ

قالوا عن :

« محمود غنيم »

فيمـا يأتى، بعض من الآراء النقـديـة التى أدلى بهـا الأدبـاء، والشعراء، حول صاحب الديوان، وشعـره؛ سواء أكان خلال حياته أم كان بعد وفاته .

وقـد رأينا أن نعـرض لمقتطفـات مختـارة من هذه الآراء؛ لعلهـا تسـاند القـراء، والبـاحثين؛ فى التعرف علـى شعر محمـود غنيم من وجهة نظر معاصريه !

«لقد كان الشاعر الراحل فى طليعـة من أنجبتهم مصر من شعراء العربية وأدبائهـا؛ فحولة، وأصـالة، وصدقًـا، والتزامًـا؛ فقد تميز شعـره بغـزارة الفـكر، والثقـافة الـواسعة، والصياغـة المحبوكة؛ لمعـرفته بأصـول اللغة العربية وأسرارها، وحلاوة الإيقاع؛ ولحسه المرهف، وشاعريته الأصيلة .

لهذا؛ يمكننا أن نضع محمود غنيم فى مـرتبة الشعراء المتطورين، رغم تمسكه بأسلوب الشعر العمودى، والتزامه بهذا الأسلوب» .

يوسـف السبـاعى

«لقد استطاع محمود غنيم ـ على مـدى نصف قرن من الزمان ـ أن يمنح الشعر العربى رصيدًا فاخرًا من نفـائس القصيدة، يضاف إلى الذخر الكريم من روائع بحوثه وأعلاقها !

إن محمود غنيم يمثل الشاعر الحق؛ بشوامخ شعره؛ وبما كان يرفد هذا الشعر من خبرة واسعـة الآفاق، وعلم غزير بآداب هذه اللغـة الشريفة . . . إلى علم بالغ محيط بأصول فن الشعـر نفسه : عروضه وموسيقـاه؛ أصوله، وفصـوله؛ جليلـه وهزيلـه ! وذلك مشرب من العلم والخبـرة، خلفاؤه فيـه قليلون، مع الأسف البالغ !!»

عزيز أباظة

«كـان « غنيم » من جيل الأعلام الكبـار الذين شبّـوا على حب العربيـة ، وبلاغتهـا ، وشعرها ، وتـراثها ، وكان للصحـافة الأدبية ، ولنـدوات الشعر ، والأدب ـ في القاهرة ـ أثرهما الكبير في نفسه .

ولا شك أن دراسته في الأزهر ، ودار العلوم ، ثم حياته ، وعمله ، وبيئته ؛ قد مكنت للثقافـة العربية الأصيلـة في نفسه ! ومن أجل ذلك ؛ جاءت عبـاراته عالية المنزلـة في البلاغة . ويعدّ من أنقى معاصريه لهجـة ، وأعذبهم بيانًا ؛ وهو ـ من هذه الناحية ـ شاعر بليغ ، يتخطى بأسلوبه القرون ؛ ليصل بعبارته إلى منازل المحدثين في الجلالة ، والرصانة ، والطبع ، وقوة النسج » !

د . محمد عبد المنعم خفاجى

«ومحمـود غنيم . . من ذلك الـرعيل الـذى أشرب حب الشعـر العـربى الجزل الأصيـل ؛ بديبـاجته الـرائعة ، وصورة الـدافئة ، ومعـانيه المتـألقة ، وأخيلته المجنحة .

وهو ـ إلى ذلك ـ شاعر مصرى أصيل ؛ عـذب البيان ، سلس العبارة ، مـوسيقىّ اللفظ ، عميق النظـرة ، صـافـى التأمل ، هـادىء النفس ، مـولع بالريف المصرى ؛ ومتفانٍ فى حب أهله . . .

ولقد أحسن تصوير الريف المصرى فى كثير من قصائده الرائعة ! » .

د. مختار الوكيل

« كان الأستاذ : محمود غنيم رضى النفس ، كريم الخلق ، أنيس الطبع ! وكثيرًا ما كـان يتبسط معى فى القول ، ويشملنى ـ وشعـر زملائى ـ بدعـاباته

الرقيقة ؛ معلنا عدم رضائه عن نهجى ونهج زملائى فى القول، فأتقبل هذه المعاتبة هادىء النفس !» .

صلاح عبد الصبور

«اشتهر محمود غنيم بقومياته ودينياته المجلجلة ، واشتهر ـ بعد ذلك ـ بأنه كان من ظرفاء عصره ؛ وله فى الإخوانيات ، والمداعبات الإخوانية باع طويل ، لا أحسب أن أحدًا من معاصريه قد بلغ شأنه » .

صالح جودت

«لقد كان غنيم ظاهرة متفردة فى أدبنا الحديث ؛ كان متين البناء الشعرى ، إلى جانب براعة الصور ، ونضارة التعبير ، وعذوبة الألفاظ ، وعصريّة الموضوعات .

وكان يحن إلى الفردوس المفقود ؛ والفردوس المفقود ـ فى نظره ـ هو : الدولة الإسلامية . . . كان يريد أن يعيد مجد هذه الدولة ، وكانت تلك رسالته ؛ لم يكن يقول هذا تقريرًا ، ولا فراقًا ، ولا بكاء ؛ بل كان يقوله شعرًا ناضرًا ، مصورًا ، ملونًا ، عذبًا ، سهلاً على ألسنة الرواة !» .

د . نجيب الكيلانى

«تناول الشاعر ـ فى شعره ـ جميع الأغراض ، وطرق كل الموضوعات : ما يتصل منها بالتعبير عن ذاته ، وما يتعلق بالجوانب الاجتماعية ، والدينية ، والقومية ، والوقوف عند مظاهر الوجود ، ومناجاة الطبيعة واستلهامها !وعبر عن آلامه وأحلامه ؛ كما عبر عن آلام أمته وآمالها ، فى شعر عذب يغزو القلوب ، ويستحوذ على النفوس !!» .

د . كامل السوافيرى

«إذا كان لشوقى ميزة الأسبقيـة إلى الحديث عن النيل ، فلـمحمود غنيم ميزة التفوق على شوقى نفسه ؛ فى طلاوة البيان ، وروعة الموسيقا » .

الغـزالـى حـرب

«هذا هـو شعر غنيم ، الذى سيـذكره القـراء والدارسون : اليـوم ، وغدًا ، وبعد غد ؛ وسيذكرونه فى كل مقـام ، وفى كل مجال . سيذكرونه إذا طلعت الشمس ؛ فيهتفون بأشعاره فى تحيتها ، وسيذكرونه إذا بزغ القمر ؛ فينشدون بعض ما قالـه غنيم فيه ، وسيذكرونه كلمـا أقبل الصيف ؛ وكلما أقبل الربيع وازدهر ، وسيذكرونه طالما بقى للسان العربى وجود على هذا الكوكب الذى نعيش عليه !!» .

العـوضى الوكيـل

أسلحتـــهُ أرســـانهنّ القـــوافي والقــوافي كم شــاعــرٍ تعصــاهُ !

ســاقهـا فى مجـالــهِ طيّعــاتٍ راقصــاتٍ علــى صــدى نجــواهُ

واحتــوى فى خيــالـه أدب العُــرْ بَ تــراثًــا ، مقـدّسـا مــا احتــواهُ

ووعى أرفـعَ البيـــانِ من القـــرْ آنِ ، يضفى جــلالــه مــا وعـــاهُ

ثم أجْــرَى يــراعــه فــى اقتــدار بــالــذى قــدْ جــرى بــه أصْغَــرَاهُ

دقّــة الصــائغ الصنــاع إذا مــا صاغ مـن جوهـر الكـلام جُلاهُ !

حسن كامل الصيرفى

إن جدّ فى القـول فالآيـاتُ محكمةٌ كأنهـــا فيضُ نبع غيــر محـــدودِ

أوْ صاغَ فى الشعر عقـدًا من فرائِدِهِ ألقى البيـــانُ إليْــهِ بــالمقــاليــدِ

فى سلْسلٍ من بديع اللحنِ ، يألفُهُ سمعُ الفتى ؛ بين منغـوم ، ومنضـودِ

فى لفظـــه ، ومعـــانيـــه ، ورقّتِـــهِ مـا يفتنُ اللبَّ من حسن وتجـديـدِ !

وإن يفُـهْ بـدعـاباتٍ جَـرَتْ طـرفًـا فى أَنفُسِ القوم جَـرْىَ الماء فى العودِ

كأنهـا نفحـاتُ الطيب عـاطـرةً أو أنهـــا بسمـــاتُ الخـــرَّد الغيـــدِ

فى عفـــةٍ ونقـــاءٍ لا يخـــالطِـــهُ زيفٌ ، وليس عن الفصحى بمردودِ !

محمد مصطفى الماحى

يا أخـا الشعرِ ، يجمعُ الـرنَم العذْ بَ ، وجُمَّـــاعُ أمــرهِ نغَمَـــاتُ

كلُّ سمْطٍ منـــه كسمط الـــلآلى قـــد جلَتْـــه الشطـــورُ والأبيـــات

أنت فيـهِ المبّــرزُ الفحلُ ؛ يـروى عنك آيـــاتِكَ الحســـانَ الـــرواةُ

زعمـــوهُ يسيـــرُ من غيـــرِ لحنٍ ولنظم الكـــلام منـــهُ انفـــلاتُ

كيف يجرى بغيْرِ لحنٍ على الـــ(م)ــدَّهر ، ومنه الغنـاءُ والنبَراتُ ؟!
إنهـــا دعـــوةُ التسيُّب شـــاعَتْ وسقـاهـا من العـداءِ العـدَاةُ !!

العوضى الوكيل

أسْمَعْتَنِى من رصينِ الشعـر قـافيـةً ما شَـانَهـا خللٌ ، أو ضـرَّ إقـواءُ
ولم تَـزلْ صامـدًا ، والحـربُ طاحنـةٌ كأنمـــا نظـــراءُ القـــولِ أعـــداءُ
وذائدًا عن حمى الفصحى ؛ تُشِيدُ بِهَا وللعـــزيمـــةِ يـــوم الـــذَّودِ إمضَـــاءُ
مستلهمًـا لغـةَ القــرآنِ خـالـدةً فروضـةُ الشعرِ - بعـد الوحيِ - غَنَّاءُ

***

قـالوا : هجـوتَ ! وكم أسمعتنى طُرَفًا من الدُّعابِ ، ومـا للسهم إصمَاءُ !
فمـا تكنُّ سـوى الأخــلاقِ فـاضلـةً وللـــرجـولـةِ تكــريمٌ ، وإعــلاَءُ
وحـافظًـا لكرامـاتِ الـرجـالِ . . إذَا أسرَرْتَ هجْوا ، علَتْ للمدْحِ أصْدَاءُ
ومـا هجـوتَهُمْ غـلاًّ ، ولا حَسَـدًا بلْ أنت للظلمِ فى دُنْيَـاك هجَّـاءُ !

عامر محمد بحيرى

***

إنَّ «محمـودَنـا غنيمُ» المعـانى كـانَ للشعـر مـا عَـلا مـوضـوعًـا
فـاذكـرُوهُ معلِّمًـا نشَّأ الجيـــ ــلَ وأزكى بـالطيِّبات الفُـرُوعـا
واذكــرُوه مفكـرًا عـاش حـرًّا قـاوم الضيْم ؛ مـا استلانَ الخُنُوعـا
واذكـروه لـدَى العـروبـةِ سـدًّا عـاشَ فيهـا - كمـا تَشَـاءُ - مَنِيعـا
الأعـاصيـرُ صَدّهـا عَنْ حمِـاهـا ورَمَى طيْشَهـا ، ووفّى الـدفُـوعـا

والأســـاطيــرُ ملَّهـــا فى بيـــانٍ رصَّع الخلْـــدُ وشْيَــهُ تــرصيعـا

والنـــواطيــرُ ردَّهـــا فى هـــدوءٍ ولقـــد عـــزَّ شـاعـــرًا مطبـــوعـــا !

كان حُلوَ المـزاح ؛ روحًا ، وطبعًا كان عفَّ اللسان ؛ يـرضى السميعا

رحمَ اللهُ فى الفَـــراديسِ « محمــو دًا » ، وأبقى بيـــانــه المسمـوعـــا !

قاسم مظهر محمود

***

أنت بـــالشعــر تَـرْجُمــانٌ لواديـــ ـــكَ ، رســـول محـذّر ، مُتَفَـــائِلْ

كم نظمت القصيـد « صـرْخَـةَواد» ودواوينَ عبقــــرىٍّ منـــاضِلْ !

ولطيفُ المـــزاح ينســـاب من رُو حِكَ سِحْـرًا ، وإن يَكنْ غيرَ هـازِلْ

والقصيـــد الـــذى أشَعْتَ وعَطَّـــرْ تَ ، كأن النسيم بـالشعـر جـائِلْ !

مصطفى بهجت بدوى

الشعـــــرُ بعـــــد « غنيمٍ » بـــاكٍ ، حـــزيـن المشـــاعـــرْ !!

عَلَـى أخينــــــا « غنيمٍ » كنـــا عقـــدنـــا الخنـــاصـــرْ

فمـــــا تعـــــداه نـــــدٌّ ولا شـــــآه مُنـــــاظـــــرْ

يغـــــوص دون المعـــــانـى فـى كلِّ بحـــــر زاخـــــرْ !

فـى خفـــــة وبيـــــانٍ كأنـــــه سحـــــرُ ســـاحـــرْ

وفـى بـــــديهـــــة ذهـنٍ مُهيَّأ الـــــذهن حـــــاضـــرْ

وفـى مـــــرارة لـــــذع حلـــو الـــدعـــابـــة سَـاخِـــرْ

وفـى طـــــرافـــــة مـــزحٍ ضـــاحى الجـــوانـب سَـــافِـــرْ

وفـى بـــــراءة قلـــب مثل الطفـــولـــة طـــاهـــرْ

محمد عبد الغنى حسن

غنَّتْ بـأشعــــاره الــــدنيـــا بأجمعهـــا

وعطَّـــرَ السَّهْلَ بـــالألحـــان والبيـــدا

كنـــا نفـــرُّ إليـــه من متـــاعبنـــا

فنلتقـى ببســـاط الأنـس ممـــدودًا !!

ينسى الحـــزين لَـــدَيْــهِ مـــا يفـــزِّعـــه

ولا يعـــود بـــه المكـــدود مكـــدودًا !!

إذا هجـــا ، كـــان أحـــلانـــا معـــابَـــةً

وإن روى ، كـــان أعـــلانـــا أســـانيـــدا

تكـــاد أشعـــاره ـ مـــن طـول مـــا فعـلت

بلـــبِّ ســـامعـــها ـ تحـــكى العنـــاقيـــدا

ولا يكـــــاد يجلّـى فـى فكـــاهتـــه

حتـى يميـلَ إليـــه الأذن والجيـــدا

يـــود مهجـــوُّه مـن حلـــو نكنتـــه

لـــوزادَهُ بـــالهجـــاء المـــرِّ تخليـــدًا

محمد عبد الغنى حسن

ســـلام على نيـلِ اللغـــا ، وفـــراتهـــا

ونسْـمِ الخُـــزَامَـى فى خِضَـمِّ الـــزوابعِ

وبسمَـــةِ إنســـانٍ ، وسمحـــة شـــاعـــرٍ

إذا انحـــدر السيـلُ ارتقى فـى المطـــالِعِ

وفـيٌّ ؛ كأنّـى «بـــالسمْـــوءَل» مـــاثِـلٌ

بمأســـاتـــه فـى الـــذود دون الـــودائِعِ

ونــــذْب « كـــزيـــد الخيْل » مـن كل لائذٍ

« وعنتــــرة » فـى النجـع من كـل طـــامـع

و «عـــروةٍ بن الـــورد » مـن كلّ عـــاجــزٍ

ومـن كـلّ مسكيـنٍ ، ومـن كـلِّ جــــائِع

« وسَحْبــانَ » فـى التّبْيَـــان من كـل قــدرةٍ

إذا جـــالت الأفـــذاذُ بَيْـنَ المجَـــامِـعِ

كامـل أمــين

من شِعْــرك العــذْبِ تلك الكأسُ متــرعــة

فيهـــا لكـل جـــراح القلْـبِ ملْتَـــأَمُ

نشَّــأْتَ جيـــلاً لفُصْحَـــانـــا يُـــدعِّمُهَـــا

فأين بعـدك ـــ يـا محمـودنـا ـــ الـدعَمُ ؟!

قــد عشت صَـرْحًـا لفصحـانـا وعـــزَّتهَـا

والهـــادمـون لفصحـــانـــا بكَ انهـدمــوا

أقسَمْـتُ ، شعُــــركَ أنغـــامٌ على وتـــرٍ

مـن الخلــــــــود ، وحـقُّ ذلـك القسَـمُ !

محمــود جـبر

ذهبَ الـــردى بـــالشـــاعـــرِ العمـــلاق

ومضـىِ بخيـــــر أحبَّتى ورفـــــاقى !!

وقســا الحِمَــام على القـــريض ؛ فـــدكَّــهُ

فـى غيـــــر مـــا رفـقٍ ، ولا إشفـــاق !!

وعـــدا على الفصحى ، فقـــوَّض صــرْحَهــا

واغتـــال سيـــدَّهـــا علـى الإطــــلاق

فغـــدت تنـــوحُ على عميـــد حُمَــاتهــا

وتمـــــدّ كـفَّ العَــــوْزِ والإمْـــــلاقِ

د. عزت شندى موسى

مــــا جفَّ نبعُـكَ ، أو تـــوانى سيْبـــهُ

عَبقُ الـــزهـــور ـــ إذا ذبلْـنَ ـــ بقـــاءُ

يـــا شـــاعـــرَ الفصْحَى ، ومنكَ لـــواؤُهـــا

بكـتِ القصـــائدُ إذْ بكـــاكَ لِـــوَاءُ

محمـــودُ ، قـــد كنتَ النجـــومَ تألُّقـــا

بلســـانِ يعـــرُبَ ، والكـــلامُ عطـــاءُ

فُقـتَ الأوائلَ فى المحـــافل ؛ منشـــدا

غُـــرَرَ القصيـــدِ ، وكـــانَ منـكَ ضيَـــاءُ

صنتَ الـــذى نهجَ القُـــدَامى قبلَنَـــا

واختـــرتَ نهجًـــا قـــدسَتْـــهُ سمَـــاءُ

رشدى محمد إبراهيم

قـــد كـــان أستـــاذَ البــلاغـــة ؛ طـــالمـــا

قـــد هـــــزَّنـــا ببيَـــانِـــهِ وبَـــديعِ

ميـــزانـــه : عـــدل ، بـــرقـــة شـــاعـــر

يـــزنُ الكـــلامَ بقُـــدرة التصـــريعِ

ويجـــول فى روض القـــريض بشَـــدْوِهِ

كـــالعَنـــدليب يَجُـــولُ بيْـنَ ربُـــوعِ

ويُنَمِّـق الأفكـــار ، دراً صـــافيـــا

فيُـــذيعُهـــا التـــاريـخُ خيـــر مـــذِيعِ

روحيـة القليـنى

فهـــارس
المجـــلد الأول

أولاً

فهـرس القصـائـــد

فهرس الديوان الأول
« صرخة في وادٍ »

الموضوع	الصفحة

فهرس الديوان الثانى

« فى ظلال الثورة »

الموضوع	الصفحة

فهرس الديوان الثالث

« رجع الصدى »

ثانيـــا

فهـرس القــوافــى

(أ) القوافى المرتبة ترتيبًا هجائيًا *

قافية الهمزة

عنوان القصيدة	مطلعهـــا	قافيتها	بحرها	رقم الصفحة
رثاء طيارين	يا مصر قد عزّ العزاءُ	البقاءُ	مجزوء الكامل	١٩١
عدل السماء	تجلّى على الأرض عدلُ السماءْ	ضياءْ	المتقارب	٦٢٥
الإنسان الآلى	ماذا أشاهدُ لا طينًا ولا ماءَ	حوّاءَ	البسيط	١٣٢
بيوت الشعراء	كسوتُ الناس خزًّا من ثنائى	كسائى	الوافر	١٥٤
العلم والتاج	فاروق يا رب اليد البيضاءِ	بناءِ	الكامل	٢٧٣
الملاح التـائه	بعثْتَ بملاحك التائهِ	إهدائهِ	المتقارب	٢٨٦
المطر	بدت الأرض مرّةً كالسماءِ	ماءِ	الخفيف	٢٨٣
بطش الضعيف	كأسٌ تدور على ثغور ظماءِ	البيضاءِ	الكامل	٢٨٩
شيخ القضاة	نِضْوُ السُّهاد أطال من إغفائِهِ	بُرَحائِهِ	الكامل	٥٠٢
ليالى القاهرة	يا لَلّيالى الوضاءِ	الرواءِ	المجتث	٥٤٦
يا ملاذ الموظفين	حرسَ المالَ سيد الأمناءِ	السماءِ	الخفيف	٥٦٠
فاجعة الثغر	الثغر أين مضى رواؤه	شتاؤه	مجزوء الكامل	٤٨
مشاعر الآباء	هم جميعًا في الحب عندى سواءُ	استثناءُ	الخفيف	٧٣٩
ثراءٌ وشقاء	ما مع الصبر لعمرى فاقةٌ	ثراءُ	الرمل	٧٥٧
نذير الموت	ذوائب من بعد الظلام تضىءُ	يجىءُ	الطويل	٧٥٨

* قام بعملها: محمد فتحى نصّار ، وحسّان محمد الشناوى .

قافية الباء

قافية التاء

قافية الجيم

قافية الحاء

قافية الدال

قافية الراء

قافية الزاى

قافية السين

قافية العين

قافية الفاء

قافية القاف

قافية الكاف

قافية اللام

قافية الميم

عنوان القصيدة	مطلعهـــا	قافيتها	بحرها	رقم الصفحة
جنازة السلام	أرأيت إذ ولد السلامْ	الفطامْ	مجزوء الكامل	٦٧
صدى الجلاء	سرى فى الكنانة مسرى النغمْ	الهرمْ	المتقارب	٣١٧
ذكرى شوقى	طواه الردى فتحدّى العدمْ	فمْ	المتقارب	٥٣١
ديك غير وديك	يا صاح مالك والكرمْ	قدمْ	مجزوء الكامل	٥٧٥
حمائم الحرم	حيِّ حمائم الحرمْ	اعتصمْ	مجزوء الرجز	٧٥١
تجار العقائد	خطر تغلغل فى الحمى	مرْيما	مجزوء الكامل	٩٣
الحياة	حرة لا تزور إلا لماما	الغلاما	الخفيف	١١٨
أدب الوزراء	هتفوا بهيكل الوزير وإنما	انتمى	الكامل	٢٢٦
صاحب آوتيه	صاحبٌ آوتيه خمسين عامًا	المقاما	الرمل	٤٦٣
خيال فى يقظة	ثغر الحبيب من الإطار تبَسَّما	سلما	الكامل	٤٧٨
قالوا نكرمُه	قالوا : نكرمه فقلت علاما ؟	الإكراما	الكامل	٥٨٣
مثل التلال	مثل التلال تراهموا أو أضخما	الدُّمى	الكامل	٦٠٢
حَتام تنحسُنى	يا ابن الخفيف خففت عقلا لادما	معدما	الكامل	٦١٤
حفظ الله صالحا	حفظ الله صالحا وأدامَهْ	الشهامَةْ	الخفيف	٨٢٠
فيم احتفالكم	فيم احتفالكمو به وعلاما ؟	شتاما	الكامل	٨٨٠
عصبة الأمم	ويحى على محكمة السلامِ	السلامِ	الرجز	٦٥
قومى بين الشرق والغرب	قومى لأنتم عبرة الأقوامِ	سامِ	الكامل	٩٥
هرم يهوى	فى بهو فرعون بل فى ساحة الحرمِ	الهرمِ	البسيط	١٧٧
أم على	قل لنجيب يا أمير الندى	تمَّهْ	السريع	٢٦٠
الكبش والذئب	الكبش قام خطيبا فوق أيكته	الغنمِ	البسيط	٢٨٦

قافية النون

قافية الهاء

قافية الياء

(ب) فهرس الأراجير

(جـ) القوافى المنوّعات *

(*) رتبت القوافى ـ هنا ـ بحسب أسبقية ورودها فى المجلد كله .

عنوان القصيدة	مطلعهـــا	بحرها	رقم الصفحة
نشيد حيوا العلم	ارفعوا الصوت وحيوا العلما	الرمل	٤٢٥
نشيد شباب الجامعة	هلموا يا شباب الجامعاتِ	الوافر	٤٥٣
نشيد الدعاية الصحية	يا شباب العلم فى الوادى الأمين	الرمل	٤٥٥
نشيد الطيران	اسلمى للشرق يا أم النسور	الرمل	٤٥٦
نشيد المعهد العالى للتربية الرياضية	إلى الأمام سر إلى الأمامِ	الرجز	٨٦٣
أغنية عيد العلم	يا شباب النيل ، حيوا موكبا	الرمل	٦٠٤
نشيد عيد العلم	فى مهرجان العلم يا مصر اطربى	الرجز[1]	٦٠٦
فلسفة الحياة	زفّت الدنيا إليه كاعبا	الرمل	٧٣٢
نشيد الوطن السليب	أثيروها فنحن لها جنودُ	الوافر	٧٩٠
نشيد مدينة الأقصر	يا بلدة الأقْصُرْ	مجزوء الكامل[2]	٧٩٨
بط الماحى[3]	قد سمعنا عن بطِّكُم ما سمعنا	الخفيف	٨٧١
من هو ؟	هجانى صقرٌ ولم أهجُهُ	المتقارب	٨٨٣
النشيد الرياضى	بعزم الشباب نهز الوجود	المتقارب	٨٦٣

---

(١) ويمكن عد هذا النشيد من الموشحات .

(٢) استخدم الشاعر مجزوء الكامل استخدامًا لافتًا ؛ إذ بنى النشيد على «مُتَفَا علن مُتْفَا» ، مع جعل التفعيلة الثانية حذاء مضمرة فى الأعاريض والأضرب كلها ، وهى صورة لم ينص عليها أهل العروض ، ولكنها تشهد لغنيم بالتمكن من الموسيقا ، وتطوبعها لشاعريته .

(٣) وضعت «ملحمة بط الماحى» ـ كما سماها بعض الدارسين أو المساجلة الفكاهية كما سماها الشاعر ـ هنا ، إيثارًا لترتيب الشاعر نفسه ؛ إذ لم يضع للقصائد والمقطوعات خاصة التى بينه وبين الماحى عناوين محددة ، إلا فى آخر مقطوعة ؛ وهى : «العود أحمد» .

رجاء واستدراك

لقد بُذِل فى هذا المجلد ما يعلم الله وحده من وقت وجهد ؛ لكى يخرج إلى القارىء الكريم فى صورة مفيدة ممتعة !

ومع هـذا ، لا يسلم عمل البشـر من نقـص ، وإن بلـغ الجـودة فى الإتقـان ؛ فالله ـ سبحانه وتعالى ـ له الكمال المطلق !

لذا ؛ نعتذر إلى القـراء والدارسين عما قد يقع فى هـذا العمل من أخطاء غير مقصودة .

ومن هذه الهنات : أن « **كلمة تقدير** » وقعت ـ فى فهرس القـوافـى ـ بعـد « **هوليلاى** » فى قافية النون ، وموقعها الصحيح بعد « **حفظ الله صالحًا** » فى قافية الميم .

وسبحان من لا تأخذه سنة ولا نوم !

شكر وتقدير

نود فى الختام أن نتقدم بعميق الشكر إلى كل من ساعد فى إخراج هذا المجلد من الباحثين والشعراء .

ونتوجه بشكر خاص إلى الكاتب الصحفى والشاعر الكبير الأستاذ/ مصطفى بهجت بدوى ، والدكتور/ محمد عبد المنعم خفاجى ـ رئيس رابطة الأدب الحديث ، والأستاذ/ حسان الشناوى ـ المدرس بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر على صدق معاونتهم .

كما نخص بالشكر الأستاذ/ حمدان جعفر ـ مدير عام **دار الغد العربى** وأسرة الدار .

دكتور/ **عزيز محمود غنيم**

قام بالإشراف على طبع هذا المجلد
رابطة الأدب الحديث بالقاهرة

رقم الإيـداع

٩٣ / ٨٩٩٧

I.S.B.N

777-5066-20-4



قد يكون من السهل إخراج ديوان شعرى فى طبعة جديدة، إذا كان ثمة نسخة من الطبعة السابقة .

أما إخراج تراث أديب كبير فى سلسلة أعمال كاملة ؛ فعمل يحتاج تضافر جهود، وتعاون عقول؛ ليَخرج فى ثوب يريح القراء ويسعدهم!

وها هو ذا المجلد الأول من الأعمال الكاملة للشاعر الكبير: محمود غنيم يضم - بين دفتيه - دووانيه الشعرية الثلاثة: «**صرخة فى واد**»، «**فى ظلال الثورة**»، «**رجع الصدى**» . وقصائده تغطى حقبة زمنية من حياتنا الثقافية والسياسية، تربو على نصف قرن من الزمان!!

حقبة حفلت بمتغيرات هائلة فى مسيرة الوطن والأمة؛ إذ حملت أحلام الاستقلال، وحماس الثورة، وانكسارات الهزيمة، وآمال النصر، وهى منعطفات امتلكت حواس الشاعر ؛ فانطلق يعبر عنها بالبيان الساحر الذى ملك ناصيته، وبالموهبة التى رفدته بتراكيب وصور متفردة، شهد له بها نقّاده قبل محبيه .

ويكشف تراث محمود غنيم الضخم اعتزازه بميراثه الشرقى على أرض العروبة والإسلام؛ فلم ينجرف - برغم إدراكه تخلف أمته عن ركب التقدم - مع تيار التغريب الذى غالى بعض رموز الثقافة - فى هذه المدة العصيبة من حياة الأمة - فى تبعيته، ثم اعتذروا عنه فى أخريات حياتهم!!

كما يتسم جانب من شعر غنيم برؤية نقدية لاذعة يكاد ينفرد بها من بين شعراء جيله؛ حين أشهر سلاح الشعر يغمده فيما اعترى حياتنا من ظواهر سلبية؛ وتلك وظيفة جديدة للشعر تعامل معها باقتدار!

ويؤكد شعر غنيم صعوبة إدراجه ضمن مدرسة شعرية معينة؛ ففيه امتداد لمدرسة البعث، ومسحة من مدرسة الديوان، ولمحة من جماعة أبولو، ونفحة من جماعة أدباء العروبة، ثم هو - بعد ذلك - صاحب أدَاء مستقل، ورؤية خاصة مكنته من أن يتبوأ منزلة مرموقة بين شعراء العربية، فى العصر الحديث .

الناشر